KÖPRÜLÜ KÜT.
70



الاول



٧٠



كد ٢ ش قسم ١

٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق و
بين له من شعاير الشرايع كل ما جل ودق انزل عليه اظهر بينات
وابهر حجج قرانا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ناطقا بكل امر رشيد
هاديا الى صراط العزيز الحميد امرا بعبادة الصمد المعبود
كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي لهيبته
تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور حقيقا بان يسير به
الجبال وييسر به كل صعب محال معجزا افحم كل مصقع من مهرة قحطان وبكت كل
مفلق من سحرة البيان بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومماراته لعجزوا عن
الاتيان بمثل اية من اياته نزله عليه على فترة من الرسل ليرشد الامة الى اقوم السبل
فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين فانمحى دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه
فقد فاز بمناه واما من عانده وعصاه واتخذ الهه هواه فقد هام في موامي الردى وتردى
في مهاوي الثبور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه وعلى اله الاخيار وصحبه
الابرار ما تناوبت الانواء وتعاقبت الظلم والاضواء وعلى من تبعهم باحسان مدى
الدهور والازمان فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي ابو السعود
بن محمد العمادي ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرف منها مسطورا
والحكمة الكبرى في تخمير طينة ادم ولم يكن شيئا مذكورا ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة
البادي المبدئ المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل
فانه عز سلطانه وبهر برهانه وان سطر ايات قدرته في صحايف الاكوان و
نصب رايات وحدته في صفايح الاعراض والاعيان وجعل كل ذرة
من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات اليم وكل قطعة
جرى عليها قلم الابداع وكل حرف رقم في لوح الاختراع مراة
لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة
المكنون واية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا ريب فيه و
منهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل نطقا يتلوا ايات
ربه فهل من سامع واع ومجيبا

صادقا فهل له من داع يكلم الناس
على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب عقولهم
يحاور تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة لكن
الاستدلال بتلك الايات والدلايل والاستشهاد بتلك الامارات
والمخايل والتنبه لتلك الاشارات السرية والتفطن
لمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز
اسرار القضاء والقدر وكنوز اثار التعاجيب والعبر مما لا
يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى والقدر فاذن مدار
المراد ليس الا كلام رب العباد اذ هو المظهر لتفاصيل الشعاير الدينية والمفسر
لمشكلات الايات التكوينية والكاشف عن خبايا حظاير القدس والمطلع على خفايا اسرار
الانس وبه تكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والاخرة خلا انه ايضا
من علو الشان وسمو المكان ونهاية الغموض والاعضال وصعوبة الماخذ وعزة المنال
في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية اعز من بيض الانوق وابعد من
مناط العيوق لا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة ولا يتاتى الرقي الى مدارجه المنيعة
كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقايق العلوم النظرية والعملية ومنطويا على رقايق الفنون
الخفية والجلية حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية ومحيطا بمناط الدلايل الاصلية والفرعية
منبئا عن اسرار الحقايق والنعوت مخبرا باطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الاوامر
والنواهي واليه يستند معرفة الاشياء كما هي قد نسج على اغرب منوال وابدع طراز و
احتجبت طلعته بسبحات الاعجاز طويت حقايقه الابية عن العقول وزويت دقايقه
الخفية عن اذهان الفحول يرد عيون العقول سبحاته ويخطف ابصار البصاير
بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته اساطين
ايمة التفسير في كل عصر من الاعصار وتولى تيسير
عويصات معضلاته سلاطين اسرة التقرير والتحرير في
كل قطر من الاقطار فغاصوا في لججه وخاضوا في ثبجه فنظموا
فرايده في سلك التحرير وابرزوا فوايده في معرض التقرير وصنفوا
كتبا جليلة الاقدار والفوا زبرا جميلة الاثار
اما المتقدمون المحققون فاقتصروا

على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الاحكام حسبما المفهم من سيد الانام عليه
شرايف التحية والسلام واما المتاخرون المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرايقة وابداء خباياه
الفايقة ليعاين الناس دلايل اعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن ساير الكتب الكريمة الربانية
والزبر العظيمة السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرايعة يتضمن كل منها فوايد شريفة
تقربها عيون الاعيان وعوايد لطيفة يتشنف بها آذان الاذهان لاسيما الكشاف وانوار التنزيل
المتفردان بالشان الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما قد احرز قصب السبق في احراز كانه مرآة لاجتلاء
وجه الاعجاز صحايفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلايد العقيان ولقد كان في
سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي
لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناء الليل واطراف النهار ان انظم درر فوايدهما في سمط
دقيق وارتب غرر فوايدهما على ترتيب انيق واضيف اليهما ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر
الحقايق وصادفته في اصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقايق واسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق
انيق واسلوب بديع حسبما تقتضيه جلالة شان التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح للفكر
العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف تمتد اليها اعناق
الهمم من كل ماهر لبيب وغرايب رغايب ترنو اليها احداق الامم من كل نحرير اديب وتحقيقات
رصينة تقيل عثرات الافهام في مداحض الاقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الاوهام من
خواطر الانام في معارك افكار يشتبه فيها الشؤون ومدارك انظار تختلط فيها الظنون وابرز
من وراء استار الكمون من دقايق السر المخزون في خزاين الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النفوس وتقر
به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز واهديها الى الخزانة العامرة الغامرة للبحار الزاخرة
لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض الا وهو السلطان
الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر ووارث الخلافة
الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع الانور مرغم انوف الفراعنة
والجبابرة معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده
الغالب الهمام الذي شرق عزمه المنير فانتهى الى المشرق الاسنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس او دنا
بخميس عرمرم متزاحم الافواج وعسكر كخضم متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب
وما بين قطبي الشمال والجنوب منتظما في سلك ولاياته الواسعة ومندرجا تحت ظلال راياته الرايعة
فاصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بتذكار اسمه الميمون فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط
واستغرق فلكه البحر المحيط فكان فضاء ضربت فيه خيامه او نصبت عليه الويته واعلامه مالك
ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم قاصم القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم والروم
سلطان المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية
المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين وحماية المقامين الجميلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية
عاشر الخواقين العثمانية السلطان بن السلطان السلطان سليمان خان بن السلطان المظفر المنصور والمجاهد
الموفق المشهور صاحب المغازي المشهورة في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحايف
الاسفار السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان الحميد السلطان بايزيد خان لازالت

سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام متنزهة في روضة الرضوان
وكنت اتردد فيه بين اقدام واحجام لقصور شاني وعزة المرام اين الحضيض من الذرى
شتان بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقاء بالشباك واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك
نمضت عليه الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤون فابتليت بتدبير مصالح العباد
برهة في قضاء البلاد واخرى في قضاء العساكر والاجناد فحال بيني وبين ما كنت اخال تراكم
المهمات وتزاحم الاشغال وهجوم العوارض والعلايق وهجوم الصوارف والعوايق والتردد
الى المغازي والاسفار والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الامور اقدر في نفسي
ان انتهز نهزة من الدهور ويتيسر لي القرار وتطمئن بي الدار واظفر حينئذ بوقت خال
لانتقل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه اليه وجهي واسلم له سري وعلانيتي وانظر الى
كل شيء بعين الشهود واتعرف سر الحق في كل موجود تلافيا لما فرطت واستعدادا لما هو آت
واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه واتولى لتكميل ما توجهت اليه برفاهة واطمينان وحضور قلب
وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حول
توجهت في امر اشق من الاول امرت بحل مشكلات الانام فيما يجري بينهم من النزاع والخصام فلقيت
معضلة طويلة الذيول وصرت كالهارب من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وعمرني ما عمر
غوارب ما جرى بين زيد وعمرو فاضحيت في ضيق المجال وسعة الاشغال اشهر ممن يضرب به
الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال لقد كنت اشكو الحوادث برهة واستمرض الايام وهي صحايح
الى ان تغشتني وقت حوادث تحقق ان السالفات منايح فلما انصرمت عرى الآمال عن الفوز
بفراغ البال ورايت ان الفرصة على جناح الفوات وشمل الاسباب في شرف الشتات وقد
مسني الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنا الاجل من الحلول واشرفت شمس الحيوة على الافول
عزمت على انشاء ما كنت انويه وتوجهت الى املاء ما ظللت ابتغيه ناويا ان اسميه عند تمامه
بتوفيق الله تعالى وانعامه ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تفاقم
المكايد علي وتزاحم المشاغل بين يدي متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك و
الملكوت في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني
لتحصيل ما ارومه وارجوه ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله خير عدة وعتاد اتمتع به يوم
المعاد فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى جنابه
الرفيع افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على دقايق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج
هداك وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن وخذ بناصيتنا الى الخير
حيث كان جباهنا على جباه الاستكانة ضارعين ولابواب فضلك قارعين انت الملاذ في كل امر
مهم وانت المعاذ في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك
الخلق والامر واليك النشور



اسم كتاب

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت
على اول كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية
قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول
باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه
واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ اخره وذلك
انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا بالذات
وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ اخر الشيء يعرض للاخر اولا
وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار
بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي
لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة
بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بتنزل الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من
جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح
او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى
الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهود والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من
كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدأ للكتاب
على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فلانه اذ ليس المراد
بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلوة حتى يعتبر في التسمية مبدائيتها له واما الاخران
فلان اعتبار المبدائية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء
الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب المعهود وتسمى ام القران لكونها اصلا ومنشأ

التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب

له اما لمبدائيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده
ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع
على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقران هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى
بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والايات الواضحة الدلالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها
المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القران لا ما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدأ
بقراءتها في الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام انها انزلت
من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القران كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى
سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة
الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات تثنى في الصلوة
او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت
القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم

اختلف الائمة في شان التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القران اصلا وهو قول ابن مسعود
رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة و
الشام وفقهاؤها وقيل انها اية فذة من القران انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب

الحنفية وقيل انها اية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا رضي
الله عنهم وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انها
انزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء
مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رضي الله عنه ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن
الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه اليه احد وقيل انها اية من الفاتحة مع كونها قرانا في سائر
السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها اية تامة اولا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره
القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنه وقيل انها اية تامة في الفاتحة
واية تامة في البواقي وقيل انها بعض اية في الكل وقيل انها ايات من القران متعددة بعدد السور

وبعض في البواقي وقيل بعض اية في الفاتحة صح

المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول اخر ذكره بعض
المتاخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها اية تامة في الفاتحة وليست بقران في سائر السور ولولا اعتبار كونها
اية تامة لكان ذلك احد محلي تردد الشافعي رضي الله عنه فانه قد نقل عنه انها بعض اية في الفاتحة واما
في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرانا اولا وقيل بين ان يكون اية تامة اولا قال الامام الغزالي
والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل رضي الله عنه في كونها اية كاملة وفي كونها من الفاتحة
روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القران هذا والمشهور
من هذه الاقاويل هي الثلثة الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام
الله عز وجل يقضي بنفي القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما
فان كونها جزءا من القران لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها اية منفردة منه واما
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى وما روي
عن ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم و
ما روي عن ام سلمة رضي الله عنها من انه عليه السلام قرا سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين اية وان دل كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول
فلانه لا يدل الا على كونها ايات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب
من كونها اية تامة من كل واحدة منها الا ان يلتجأ الى ان يقال ان كونها ايات متعددة بعدد السور المصدرة
بها من غير ان تكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور واما الثالث
فناطق بخلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها
كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة
والملابسة تبركا اي بسم الله اقرأ او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير
ابدأ لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا للحديث
الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير اقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية
لا تقدير فعله اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدأ وهذا الى اخر السورة الكريمة
مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال
الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسألة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح
لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام

الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون قد ادخلت عليها عند الابتداء
همزة لان من دابهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي وسميت وسمي كهدى
لغة فيه قال والله اسماك سمي مباركا • اثرك الله به ايثاركا • والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو
لانه رفع للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل
ليقل اعلالها ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسُم قال
بسم الذي في كل سورة سمه • وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا
فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة عند
الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة باياك نستعين
وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تع
يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا
فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق ولا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل
فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذلك فرع كون المراد بالله
هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على
الاستعانة الثانية او التبرك وانما كتبت الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله
اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث
لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج
الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من
خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله
في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع
اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود
الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه
الجوهري على انه اسم منها بمعنى المالوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف
ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق
بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامها به فمدلولها مركب
من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى معين قائم بها على انه ملاك الامر تلك
الخصوصية فباي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي
الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك
المعينين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى
تحير لانه سبحانه يحار في شانه العقول والاوهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله
بالكسر وكذا تاله واستاله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اي
سكن اليه لاطمينان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من
امر نزل به والهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله
لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات

الجليل

الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته
سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق
الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق
على غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا
لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء
لضرورة الشعر في قوله الا لا بارك الله في سهيل • اذا ما الله بارك في الرجال • والرحمن والرحيم صفتان
مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة
مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف
ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب
بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى توخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون
المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا
له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتباره يوجب
اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب فعل
يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها
وجود فعلى فتمنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا
وتقديمه مع كون القياس تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل
وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل
على جلائل النعم وعظائمها واصولها احق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر
لتحريك سلسلة الرحمة • الحمد لله • الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجه
الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف
في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج عامة الافعال بمفعولاتها
واما الاول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك
قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها منبئ عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل
فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا
واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما تقتضيه خصوصيات
الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة موثرة فيه كعامة الافعال
وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة
مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخرين فنظم القسم
الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخرين
من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها
منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك
حدثني الحديث وسالني المال فان الحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث

فمعناه انه فرد من افراد المعبود بالحق او ذاك المعبود بالحق

على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف
هذه الكيفيات الثلث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد
لاحد وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل
او اختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما في
المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده واياما
كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما
متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة
ومرادف التاييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالارادة في مقام
التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي
قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل عن
استحقاق الارادة ههنا استقلالا او استتباعا بحمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فايدة
يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء وآداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال
كما قال من قال • افادتكم النعماء مني ثلثة • يدي ولساني والضمير المحجبا • فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى
ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها
لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا لامره في قوله صلى الله عليه
وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتدا وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان
المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية
ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له
تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد
ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق
حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال احد ان يسال عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير مطابق
للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لحمدهم والاعتذار بان المعنى نخصك
بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان
فرض السؤال من جهته عز وجل فات نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير
اخل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استيناف جواب السؤال يقتضيه اجراء
تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة
فيه فان تناسي جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله
والحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة
الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء اخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي
هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث
متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له
في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن
السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني

لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى
بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كيفا وكما وقد قيل الاستغراق الحاصل بالقصد
الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم
اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل

رب العالمين بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار
وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة
اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي
تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه
بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره
تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما
في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي
ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله تعالى جاز فيه الاطلاق
والتقييد كما في قوله تعالى أأرباب متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم
به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس
جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع
ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم
بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من
الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق
فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس
والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي
او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف
نزل العالم وان لم يطلق على احاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق
احاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد
الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها كانها احاد مفرده التقديري ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع
الجمع فكما ان الاقاويل يتناول كل واحد من احاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد
تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون
مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء
على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الاحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما
باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه
وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق
الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان • وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان
دليل لائح على الصانع المجيد • وسبيل واضح الى عالم التوحيد • واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة الى
بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات

والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آناً واحداً لما استقر له القرار ولا اطمأنت
به الدار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل
زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط به فلك
التقدير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه
بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء
عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري
لما ان الدوام من خصايص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي
هي علله وشرايطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها
دخل في وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع
غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في نفسها فابقاء
تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل
الفايضة على كل فرد من افراد الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما
اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شانه لا يضاهى واحسانه لا
يتناهى ونحن في معرفته حايرون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون نسألك اللهم الهداية الى
مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب
اليك **الرحمن الرحيم** صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض
على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تاخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم
الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقا
للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه
وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين
باسمه الجليل والاوفق لمقاصده **مالك يوم الدين** صفة رابعة له تعالى وتاخيرها عن الصفات الاول
مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر
والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو
الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك
بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر
مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من
الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا
كان او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا واما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية
للشيء باسم مسببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى
فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها
نحو عاقبت اللص ونظايره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب به و
هو العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين

الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة ساير الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب
وعام الفتح وتخصيصه من بين ساير ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب
فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف
على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي
مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما
هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللايق بالمقام فلا ريب في كونها
اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم
يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد
به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو
لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا يرى انك تقول في مالك عبده امس انه مضاف الى
المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده
تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلايق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات
الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد
لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منهما
له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا
وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه
من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على
وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعني بالاختصاص
اياك نعبد واياك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار
على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب
ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد
من الآخرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الاية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما
استاثر به هذا المقام الجليل من النكت الرايقة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري
عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور
فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعدما تامل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس
المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلايل الصفات واحكام الربوبية المميزة
له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه
الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ
نفسه في حظاير القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع
والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة
والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او
يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة التي هي مناجاة

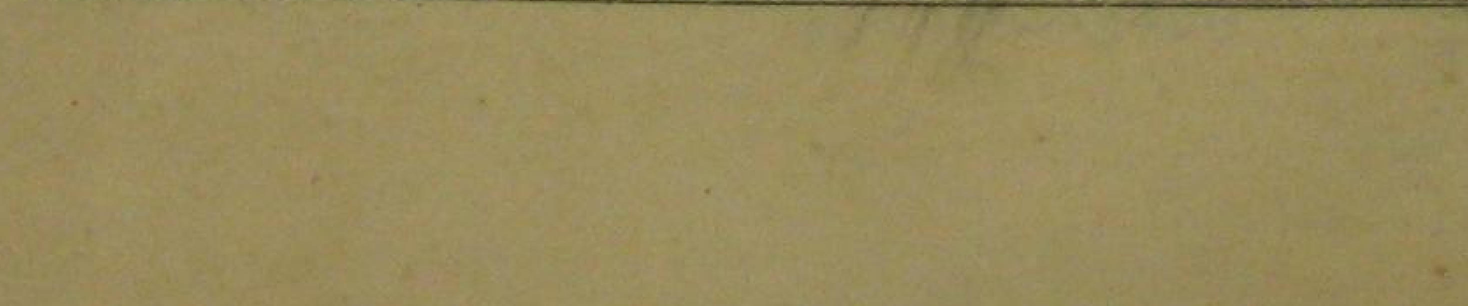
العبد لمولاه وبنية للتبتل بالكلية وايا ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت
لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من
الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي
الضماير واياد عامة لها التصير بها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد و
هياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها
وقيل العبادة فعل ما يرضى به الله والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي
سيأتي بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم
والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على
تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم
العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة
فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين
ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على
المسئول ادعى للاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان
فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسئول هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق
بشان التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى في
ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد
والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص
العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه اخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه
من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كانه قيل واياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير
اعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وبكونها عند
العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملائمة لما يعقبه من الدعاء
ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان
بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية
مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك او
للاشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ
نستعين بكسر النون على لغة بني تميم ● اهدنا الصراط المستقيم ● افراد لمعظم افراد المعونة المسئولة بالذكر
وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية
ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام
كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى
واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا يكاد يحصر
منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله
الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية
والمعادية ومنها آفاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد

العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل
وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسالك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية
الافاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم
افلا تبصرون وفي قوله عز وعلا ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم
يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي او الالهام ولكل مرتبة من هذه
المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم
هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير
مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا
عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين
الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر
من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم
الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة
قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث و
المستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط ●
صراط الذين انعمت عليهم ● بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة
وفائدته التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود
له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان
نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل
الاظهر انهم المذكورون في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما
السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي
يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى
مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان
روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات
نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء
والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات
المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين
مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك
العظيم ورحمتك الواسعة ● غير المغضوب عليهم ولا الضالين ● صفة للموصول على انه عبارة عن احدى
الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم
بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم
والضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وضعوا
بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة

المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين
لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذا اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني
وبالمغضوب عليهم ولا الضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ على ابهامه نكرة
مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدليه ما اضيف اليه مما
قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما
سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى
جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شان البدل ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد وتقرير
وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح
لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب
على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة
الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب
ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان يشبه
الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على
الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد
الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها
كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا
ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا
المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا
مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على
لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين • آمين • اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها
قال • ويرحم الله عبدا قال امينا • وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا • عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين
عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة
الكريمة بها والمشهور عند ابي حنيفة رضي الله عنه ان المصلي يأتي بها مخافتة وعنه انه لا يأتي بها الامام لانه
الداعي وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعند الشافعي يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها
صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل و
القرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة
ابن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة



الم • الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها
تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على
ذلك اساطين ائمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن
مسعود رضي الله عنه من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها
لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف ذلك
الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه
قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب
منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة
تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها
المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء
كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل
سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا
على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما ادلت لا الف مؤلف من ثلاثة احرف فكان الحسنات في قراءة قوله تعالى
ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة
وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالفات الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم
للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط
بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك
الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول
من غير فرق بينهما الا يرى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن
طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل كل مسمى
لكونه من قبيل الالفاظ صدر الاسم ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها
استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبنى الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز
على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم
يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما آخره الف عند التهجي لابتغاء الخفة
لا لان وزانه وزان لا تقصر تارة فيكون حرفا وتمد اخرى فيكون اسما لها كما في قول حسان رضي الله عنه • ما قال
لا قط الا في تشهده • لولا التشهد لم تسمع له لاء • هذا وقد تكلموا في شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل
انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال في كل كتاب سر وسر
القرآن اوائل السور وعن علي رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه
وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات
الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل
الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هي اقسام من
الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل



اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام اخر وقيل وقيل ولكن الذي عليه التعويل انها اسماء للسور المصدرة
بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب
من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي
وقتادة من انها اسماء للقران والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما
واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد
الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته انفا وانما كتبت
في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على نهج التهجي دون
التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لاسيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس
واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقران
وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق
القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام في
نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة و
تهالكهم على المعازة والمعارة اوليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي
من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام
من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتاتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط فاعز
من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لاسيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري
مبني على نهج عبقري بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد
وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي
على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان
من دقت حكمته من ان يطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان ينالها ايدي الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها
ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور دون ايرادها مرة
لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه
وعد بعضها اية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فاية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست باية
والمص اية والمر لم تعد اية والر ليست باية في شيء من سورها الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس
ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وكهيعص اية وحم عسق ايتان وص وق ون لم
تعد واحدة منها اية هذا على راي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح ايات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها
واما من عداهم فلا يعدونها اية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب
ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقران كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على
الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما
يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة
الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتاتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئت بالنصب
على اضمار فعل اي اذكروا واقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة
لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور

من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقران وقاف والقران فكانه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى
السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب
باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القران والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد
قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر
والانثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا
باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين و
يجوز في طاسين ميم ان يفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح
فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر الاحكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه
الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقران فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم
اي مسمى به وانما صحت الاشارة الى القران بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار
في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل
عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها
الاخبار بها وادعاء شهرتها يأباه التردد في ان المسمى هي السورة او كل القران ذلك ذا اسم اشارة واللام
عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس
البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية من
الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من المرسل الى
المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا للايراد لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب
وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من
حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعي اعتبار الحيثية الثانية فالاولى بناؤه على ان التسمية لتمييز السور بعضها
من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله
عز وعلا الكتاب اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستانفة موكدة لما افادته
الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول و
اسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور
واما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور
البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب
على المنظوم عبارة لما انه ماله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القران الكريم وان لم يتم تنزيله
عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى
السماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة القصوى منه
كانه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام
الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القران فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل
الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية
خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مراضي الخصال
وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي

الثاني

الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هنا لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع
القرآن المقابل لساير افراده من الكتب السماوية لا بعضه الذي يطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد
لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حاله ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان ساير السور وان لم يكن الحصر
بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على
تقدير كون الم خبر مبتدأ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى
تقدير كونه مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا
التقديرين هو المسمى سواء كان هي السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك
الكتاب العجيب الشأن البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد حينئذ ظاهر خلا
انه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن
فهو ما في التورية والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط
التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدأ اي المؤلف من هذه
الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر
لذلك الكتاب على الصور الثلث المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ
المقدر اجراء على راي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية
من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب موكدة لما قبلها و
كلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها
واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما
حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه مركب معها
تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب موجود او نحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر
الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف
ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب
فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب
في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا
او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب
انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته وكونه وحيا منزلا من عند الله
تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الخ
فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او وان ارتبتم فيما نزلنا الخ الا انه خولف في الاسلوب حيث
فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم
لا من جهته العالية ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في ساير الكتب ليقتضي
المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف
على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله
تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك
في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلالة فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره في مفهوم

في اعتباره

الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم
هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول
وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما
الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما
على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال
الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من
الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف
في تحقق مفهوم الهدى او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في
مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد اعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له
في الوجود زمانا بحسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور
فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه
الى زيادته ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم
الوصول فحيث كان امرا مستمرا شاملا لما تقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه
في آن من آنات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الآن مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا
وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك
الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه
ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجوب
الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجود اللازم فيه
وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله
لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية
صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستتبعة لاحكام
مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها
من الاضافات العارضة له بالقياس الى سايرها وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ
لا موثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد
المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذي هو اثر خاص لذلك الاعتماد
اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر آخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات
العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا امر مطرد في آثاره الطبيعية واما الآثار التي لها مدخل في وجودها
في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار
الاختيارية الصادرة عن موثراتها بواسطة كونه داعيا اليها بحيث كانت تلك الآثار مستقلة في انفسها مستندة
الى موثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها
داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة
المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا
فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما

ولم يعتبر الاضافه العارضيه لهما بحسبهما داخله فى مدلول اعم اسميهما الامر والدعوة بل جعلا عبارة عن نفس الطلب
المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة اولا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الامتثال والاجابة
فعلان مستقلان فى انفسهما صادران عن المامور والمدعو باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الاثار
الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما فى الجملة كذلك هدى المهدى اى توجهه الى ما ذكر
من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعنى التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الاثار الطبيعية
وان كان مترتبا عليها فى الجملة فلما بعدا من متممات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافه العارضه لهما بحسبهما
داخلة فى مدلولهما علم انه لم يعد الهدى من متممات الهداية اللازمة ولم يعتبر الاضافه العارضة لها بحسبه داخلة
فى مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر و
الدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضى الاتصافهما بكونهما مامورا او مدعوا وليس من ضرورة اتصافهما بالامتثال
والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدى
يقتضى اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدى المبنى للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره الماخوذ من المبنى
للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم فى مدلول المتعدى
حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستدعى الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال
والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التى هى عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدى لا يستدعى الا اتصافه
بالمدلولية التى هى عبارة عن المصدر الماخوذ من المبنى للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة كما هو معنى
الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يوخذ فى
مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدى المبنى للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا
انما هو فى الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست
كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر فى مدلول التعليم قطعا فليكن
الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم
للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس بمستقل فى ذلك ففى اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر فى تحققه و
تحصله الى الاخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادى العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيا فشيا على نهج
يقتضيه الحال بحيث لا ينساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض اخر فكل منهما متمم للاخر معتبر فى مدلوله
واما الهدى الذى هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختيارى يستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها
داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها ولا معتبرا فى مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع الهداية و
التعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره فى مدلول التعليم اعتبار الهدى فى مدلول الهداية قلنا اطلاق
الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا
اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل اليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم بحيث
لم يكن ذلك تعليما فى الحقيقة فليكن الهداية ايضا كذلك وليحمل تسمية ما لا يستتبع الهدى بها على التجوز قلنا شتان
بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك
واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشايبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدى
بعد تكامل ما يتم من قبل الهادى وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من
شانه الايصال الى البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير ان يشترط فى مدلولها الوصول ولا القبول

وان الدلالة المقارنة لهما اولاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية
لها وان ما فى قوله تعالى انك لا تهدى من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من
قبيل المجاز واكشف ان الدلالات الكونية المنصوبة فى الانفس والافاق والبيانات التشريعية الواردة فى الكتب
السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فايضة من عند الله سبحانه والحمد لله
الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله • للمتقين • اى المتصفين بالتقوى حالا او مالا وتخصيص
الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره • المنتفعون باثاره • وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مومن وكافر وبذلك
الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقى اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة والتقوى فى
عرف الشرع عبارة عن كمال التوقى عما يضره فى الاخرة قال عليه السلام جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان الاية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقى
من ترك ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه باس وعن ابى يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة
وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقى من تبرا عن حوله وقدرته وقيل التقوى
ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد
محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجاير وعن ابى تراب بين يدى التقوى خمس عقبات لا ينال من
لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة • وايثار الضعف على القوة • وايثار الذل على العزة • وايثار الجهد على الراحة • وايثار
الموت على الحيوة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الى ان يكون بحيث لو جعل ما فى قلبه فى طبق
فطيف به فى السوق لم يستحى ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان
للتقوى ثلث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
والثانية التجنب عن كل ما يوثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو
المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل و
يتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقى المامور به فى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه
المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفايضة عليهم
بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوات والسلام
حيث جمعوا بذلك بين رياستى النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم الارواح
ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شؤن الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية • المويدة
بالقوة القدسية • وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين • فان اريد بكونه هدى للمتقين
ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره
على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شانهم وان اريد به ارشاده
الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عنى بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عنى بهم
اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهدايته المترتبة وكذا الحال فيما
بين المرتبة الثانية والثالثة فانه ان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عنى بالمتقين اصحاب
المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة فى
جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها
داخلا فى المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف

وذيلها

وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك
الكتاب او مبتداء خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى
الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال
كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب
اما للمبالغة كانه نفس الهدى او بجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذى يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب
هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها
على انها خبر لمبتدا مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس
ما يولفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال
الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا افضل مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدا
جملة موكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او تستتبع السابقة منها اللاحقة
استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته
بالمرة ظهر ان الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا
انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة
ما لا يخفى جلالة شانه حسبما حققته الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه
صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر
بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى
عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة
والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير القرب الداعية
الى التجنب عن المعاصي غالبا الا يرى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء وقوله عليه السلام الصلوة عماد
الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات
وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على ساير ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات
او النصب على المدح بتقدير اعنى او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة
باسم الاشارة كما سياتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا
مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما
على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع
مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان
له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة
متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف
في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اى التفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان
الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبي عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد
رغبة فيه من المخاطب ان قيل لا ريب في ان حال الموصول عند كونه خبرا لمبتدا محذوف كحاله عند كونه مبتدا خبره
اولئك على هدى في انه يستتبع بجملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من
الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم للهدى

والفلاح

والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف غير تام و
في الثانية منقطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك ان المبتدا في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن
الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدا اجمالا حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد
للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة
لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان معلوما الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا
له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل
العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ
عنه المبتدا من المعاني اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك منقطعا عما قبله محافظة
على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدى الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين
يقال امنته غيرى ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اى يجعله امينا من التكذيب والمخالفة
واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمانينة ومنه ما
حكى عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اى ما صرت ذا امن وسكون وهو في الشرع لا يتحقق بدون
التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزا ونظايرها
وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول راى الشيخ الاشعري ومن شايعه فان الاقرار
عنده منشا لاجراء الاحكام والثانى مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار
ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور
المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل
فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون
بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او
فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظايره واياما
كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتدا بطريق البداهة وهو قسمان
قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل
كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرايع والاحكام واليوم الاخر واحواله من البعث والنشور
والحساب والجزا وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا من الوثوق
وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما
في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم انى لم اخنه بالغيب اى يؤمنون ملتبسين بالغيبة
اما عن المؤمن به اى غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روى ان
اصحاب بن مسعود رضي الله عنه ذكروا اصحاب رسول الله عليه وسلم وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر
محمد كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم قرا هذه الاية واما عن الناس
اى غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم فالباء حينئذ للآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في
قولهم فلان يعطى ويمنع اى يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما

وكلا الوجهين حسن ههنا

بحبالايمان به ويقيمون الصلوة اى يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع فى شىء من فرايضها
وسننها وادابها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت
وامتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذى يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من
غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله
على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذى هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر و
الى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما
سمى الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتيان فى اعلى الفخذين
لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ فى المعنى الثانى دون الاول لا يقدح فى نقله عنه وانما سمى
الداعى مصليا تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق فى اللغة العطاء
ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعى للمذبوح والمرعى وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفى العرف ما ينتفع به الحيوان
والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا
يرى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا
واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم
بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روى عنه عليه السلام فى حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال
يا رسول الله ان الله كتب على الشقوة فلا ارانى ارزق الا من دفى بكفى فاذن لى فى الغناء من غير فاحشة من انه
قال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اى عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا
فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن
المتغذى به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد
اخوان خلا ان فى الثانى معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا
كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة
على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الاى وادخال من التبعيضية عليه للكف
عن التبذير هذا وقد جوز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التى منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة
ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار
المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك معطوف على الموصول الاول
على تقدير وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه فى زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا ومن
حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين الذين امنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع
كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالاخرين الذين امنوا بالقران بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد
الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم
عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الاخرين فانهم
غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التى لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان
يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف
الذوات بل لاختلاف الصفات كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم وفى قوله يا لهف

زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغايبة والايمان
بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف
مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للاخر وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرايع المندرجة
تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثانى بالايقان بالاخرة مع كونه منطويا تحت الاول
تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما فى اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سياتى هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان ومن
عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبى المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن
به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التى يجب الايمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية
لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما
يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول للتنبيه على
تغاير القبيلين وتباين السبيلين فليتامل وان يراد بالموصول الثانى بعد اندراج الكل فى الاول فريق خاص
منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب بان خصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل اثر جريان ذكر الملئكة عليهم السلام
تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم فى تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه
بالمعانى انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها فانزالها عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم
السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها
الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليك هو القران باسره والشريعة عن اخرها والتعبير
عن انزاله بالماضى مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما فى شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع
كما فى قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع انهم ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا
وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وساير الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام
لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به فى قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم واسمعيل الاية والايمان بالكل جملة فرض وبالقران تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية
فان وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل وقد قرئا
على بناء الكبريا وقد قرئا على البناء للفاعل وبالاخرة هم يوقنون الايقان اتقان العلم بالشىء بنفى الشك و
الشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اى يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك و
الاوهام التى من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودات واختلافهم فى ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفى تقديم الصلة
وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم فى امور الاخرة بمعزل من الصحة
فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والاخرة تانيث الاخر كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا
مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمها
ما قبلها مجرى ضمها فى وجوه ووقتت ونظيره ما فى قوله لحب المؤقدان الى موسى وجعدة اذ اضاءهما
الوقود وقوله تعالى اولئك اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها
وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدا وقوله عز وعلا على هدى خبره و
ما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اى هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره

وإيراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف
فيه كيفما يريد أو على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب و
استوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للإيذان بقوة تمكنهم منه و
كمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الإضافية إثر
بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها أي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته تعالى وفنون
توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف إليهم وتشريفهما
ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد أدغمت النون في الراء بغنة وبغير
غنة والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الإعراب مقررة لمضمون
قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا
عليه من الهدى حسبما تحققته لا سيما مع ملاحظة ما استتبعه من الفوز والفلاح وقيل في واقعة موقع
الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كأنه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب
العظيم الشأن وهل هم أحقاء بتلك الأثرة فأجيب بأنهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام أصل الهدى الجامع
لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فأي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جار عن سنن الصواب
من قال في تقرير الجواب إن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح
آجلا وأما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على أنها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الأول
والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق إليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين
قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فأجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم
إجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة أي الذين هذه شؤونهم أحقاء بما هو أعظم من ذلك كقولك
أحب الأنصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله أولئك سواد
عيني وسويداء قلبي واعلم أن هذا المسلك يسلك تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك
أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وأخرى بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك
ولا ريب في أن هذا أبلغ من الأول لما فيه من بيان الموجب للحكم وإيراد اسم الإشارة بمنزلة إعادة الموصوف بصفاته
المذكورة مع ما فيه من الإشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة والإيماء
إلى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز أن يكون الموصول الأول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ
وأولئك إلى آخره خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من أهل الكتاب حيث
كانوا يزعمون أنهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح وأولئك هم المفلحون تكرير اسم الإشارة لإظهار
مزيد العناية بشأن المشار إليهم وللتنبيه على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك
الأثرتين وأن كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف
ما في قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فإن التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما
يفيده تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة الثانية مقررة للأولى وأما الإفلاح الذي هو عبارة عن الفوز
بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه أعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل
ما فعل وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ
خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون

في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه
المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة اللائقة حسبما أشير إليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب
في اقتفاء أثرهم والإرشاد إلى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق إن الذين كفروا
كلام مستأنف سيق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المتصفين بنعوت الكمال
الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل وإنما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم
وإن الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الأسلوب والتباين في الغرض فإن الأولى مسوقة لبيان رفعة شأن
الكتاب في باب الهداية والإرشاد وأما التعرض لأحوال المهتدين به فإنما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول
موصولا بما قبله أو مفصولا عنه فإن الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المقدم فهو من مستتبعاته لا
محالة وأما الثانية فمسوقة لبيان أحوال الكفرة أصالة وترامي أمرهم في الغواية والضلال إلى حيث لا يجديهم
الإنذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول
وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وإنما أوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس
الكلام على بيان أن الكتاب هاد للأولين وغير مجد للآخرين لأن العنوان الأخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض
له في أثناء تعداد كمالاته وإن من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء
دخول نون الوقاية عليها كإنني ولعلني ونظائرهما وإعطاء معانيه والتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك
أعملت عمله الفرعي وهو نصب الأول ورفع الثاني إيذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا
عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب وأجيب بأن ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل
وإلا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف وأثرها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك تتلقى
بها القسم ويصدر بها الأجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والإنكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله
قائم إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه
وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم
وأحبار اليهود أو للجنس وقد خص منه غير المصرين بما أسند إليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في
اللغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح أي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال تعالى كمثل غيث أعجب الكفار
نباته وعليه قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح
بدنه وفي الشريعة إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار
بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فإن من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على
أمثال ذلك إذ لا داعي إليه كالزنى وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي
على وجه الإخبار فإنه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة وأجيب بأنه من مقتضيات التعلق وحدوثه
لا يستدعي حدوث الكلام كما أن حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم سواء هو
اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله
تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على أنه خبر لإن وقوله تعالى أأنذرتهم أم لم
تنذرهم مرتفع به على الفاعلية لأن الهمزة وأم مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما
كما جرد الأمر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك
اللهم اغفر لنا أيتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه

كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتداء وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لان و
الفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على
طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم و
قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم
والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستوا
وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتداء وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه
سواء لا بيان كون المستوى الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه
فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاصرار عليه لما انهم ليسوا باهل
للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع
فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما و
بتوسيطها والثانيه بين بين وبتخفيف الثانيه بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه
والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانيه الفا وقد نسب ذلك الى اللحن لا يؤمنون
جملة مستقلة موكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال موكدة له
او بدل منه او خبر لان وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على راي من يجوزه عند كونه جملة والآية
الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة
ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان
باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز
عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء
او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما
نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلفوا بالايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز
الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم
فهي من المعجزات الباهرة ختم الله على قلوبهم استيناف تعليل لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه
او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم
عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملو والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس
المراد بصيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم
عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان
يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخاليه المبنيه للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي
هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة
التمثيل بان تشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من الوصول
اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينيه النافعه وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة
لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا للمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله

بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر من جانب
المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا بالفاظ
متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها
وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية
على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ
التي ليس فيها التجوز المعهود ولم يكن الهيئة المنتزعة منها مدلولا وضعيا لها لم يكن ما دل على الهيئة المشبهة مستعملا
في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في
غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما براسه ومن رام تقليل الاقسام
عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات الوضعيه وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من
هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة
في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الآية الكريمة
ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه
ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم و
نحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا
عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد
تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او بقلوب قدر ختم الله تعالى عليها كما في
سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده
اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم
يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم
لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد
ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله
تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملئكة
فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى سمعهم عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم
على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة
الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان
ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو
فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا
اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال اولان
جنايتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعيه وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به
يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها اهم والتقديم انسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز
وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان

بها عند استعماله في الهيئة صح

السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل
او لتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل • وعلى ابصارهم
غشاوة • الابصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بنيت
لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على راي سيبويه مبتدا خبره الظرف المقدم
والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الايات
المنصوبة في الافاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما الايات التي تتلقى
بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليهم حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طرقي معرفته اعني
القلب الجملة الفعلية وعلى راي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل
ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم
بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة و
منصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع • ولهم عذاب عظيم • وعيد وبيان لما يستحقونه في الاخرة و
العذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش و
يردعه ولذلك سمي نقاخا فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا فانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح
وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية و
التمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير و
يستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده
التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس
وهي غشاوة التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ
بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين • ومن الناس • شروع في بيان بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا مقتصرين
على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل يضمون اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتعديد جناياتهم الشنيعة
المستتبعة لاحوال هائلة عاجلة وآجلة واصل ناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا
كما قيل لوقه في الوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله ان المنايا يطلعن على
الاناس الامنينا فشاذ سموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم
الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه ماخوذ من نسي نقلت
لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر في الموصول
كانه قيل ومنهم او ومن اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على
انه مبتدا باعتبار مضمونه او بتقدير موصوف هو المبتدا كما في قوله عز وجل وما منا دون ذلك اي وجمع منا الخ ومن في
قوله تعالى • من يقول • موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض من الناس الذي يقول
كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الخ او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الخ على ان يكون مناط
الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات
اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال فياباه جزالة المعنى لان كونهم
من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن الفائدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا مدار

الناس او وبعض

الجواب عنه بان الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه
من الناس فيخبر به ويتعجب منه وانت خبير بان الناس عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصور على المصرين و
اياما كان فالفائدة ظاهرة بل لان جزئية الظرف تستدعي ان يكون اتصاف هؤلاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة
في ثلث عشرة اية عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك
المذكورين ولا ريب لاحد في انه يجب حمل النظم الجليل على اجزل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول
باعتبار لفظه من وجمعه في قوله تعالى • امنا بالله وباليوم الاخر • وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم
الاخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم
للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء للادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد امنوا بكل
منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد
منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الاخر بقولهم لن تمسنا
النار الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوه لو صدر
عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على
المسلمين واستهزاء بهم • وما هم بمؤمنين • رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان جواز
دخول الباء في خبرها لتاكيد النفي اتفاقي بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم
المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما تفيده الفعلية ولا
يتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام
فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود
وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل
لا لعدم استمرار التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا
عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الاية الكريمة ان
من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه بكلمتي
الشهادة فارغ القلب عما يواطئه او ينافيه مؤمن • يخادعون الله والذين امنوا • بيان ليقولون وتوضيح
لما هو غرضهم مما يقولون او استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل ما لهم يقولون
ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة
المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا
مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب
او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي
اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الاخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم
كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما
يصيب سائر الكفرة وايا ما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة
جنايتهم اي يعاملون معاملة الخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى
الرسول صلى الله عليه وسلم ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله

فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كامر واما المجرد للتوطئة والتمهيد
لما بعده من نسبته الى الذين امنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان
يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم
الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخادعون الله والله يخادعهم او على جعلها استعارة
تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام الاسلام عليهم و
هم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمؤمنين
بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم
اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخادعهم بمقابلة خداعهم له لم يتصور منهم التصدي للخداع
واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غائلتها
آيلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز وعلا وما يخدعون الا انفسهم فالتعرض لحال الجانب
الاخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون
بذلك الا انفسهم فان دايرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب
فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون
تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم
حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون
اي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء و
حقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به و
للماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هاهنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم
الى غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما
يشعرون اي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون
بشيء اصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس
مختل المشاعر في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل
في افاعيله ويؤدي الى الموت استعير هاهنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله
عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير
ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل
له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه
تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه
وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف
الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما داخل
قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما اضلهم من
القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة و
تاييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ حينئذ استيناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون
الله الى آخره كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف

كما لا يخفى

مضاعف هذه حالهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم
والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجيء في قوله تعالى
بديع السموات والارض بما كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على
يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي
هو قولهم امنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان
ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا
ويجوز ان يكون محمولا على الظاهر بناء على راي من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر
ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على
الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين ساير موجباته القوية اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين
بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر
كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة ساير جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا
يوصف واما للرمز الى كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم
السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق
رضي الله عنه ويروى مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي
ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد
محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القرآن
او موصولة اي بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين في بان
وقلص في قلص او للتكثير كما في موتت البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا
ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رايه ولذلك قيل له مذبذب واذا قيل لهم
لا تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من قبايحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا
ظرف زمن مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل
ومعناها الانهاء والتبليغ والقايم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور
والفساد خروج الشيء عن الحالة اللايقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن المستتبعة
لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من
افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك
ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة
فلا محل له من الاعراب ولا باس بتخلل البيان والاستيناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك
ليس توسيطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم
عليه من الافساد في الارض قالوا اراءة للناهين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار
كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سياتي توضيحه انما نحن مصلحون اي مقصورون على
الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا
ينبغي ان يرتاب فيه واما كلام مستانف سيق لتعديد شنايعهم واما عطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب

اي بالذي يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف م

اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيا باه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف
ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا
كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكى عنهم من قولهم امنا بالله وباليوم الاخر او لذكر ما
يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان جانب الاخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن
كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الاية وقوله تعالى ذلك بان الله
نزل الكتاب بالحق الاية الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطيه وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها
ليس مضمون شي منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام في
سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان يكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل
واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا لا كيف لا وقوله عز وجل الا انهم هم المفسدون ينادى
بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكيه ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك
الاستيناف المودى الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما
بعدها فان الهمزة الانكاريه الداخله على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك
لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من طلايع القسم وقيل هما حرفان
موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصر انفسهم
على الاصلاح من التعريض بالمومنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون للايذان بان كونهم مفسدين
من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الاتيتين وما بعدهما من ردهما
ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خباثهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب
والله اعلم بالصواب واذا قيل لهم من قبل المومنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما
للنصح واكمالا للارشاد امنوا حذف المومن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان كما امن الناس الكاف
في محل النصب على انه نعت لمصدر موكد محذوف اي امنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما
فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة ويكون للتشبيه بين مضموني الجملتين اي حققوا ايمانكم
كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانيه العاملون بقضيه العقل فان اسم الجنس
كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصه به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس
كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول
صلى الله عليه وسلم ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا
بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم قالوا مقابلين للامر بالمعروف بالانكار
المنكر واصفين المراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان انومن كما امن السفهاء مشيرين
باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون فيه
على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة راي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه
مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية
وكونهم ممن زين له سوء عمله فراه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شانهم
فان كثيرا من المومنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم على

تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله وايا ما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه
الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المومنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه
اولئك المشاهير الاعلام والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق
والسياق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المومنين قال الامام الواحدي انهم كانوا
يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المومنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام والمومنين بذلك عنهم وانت
خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاوره مما لا عهد به في
الكلام فضلا عما هو في منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين
لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير
مسمع فكما انه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير
بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين
ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام
محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انومن
كما امن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو امنوا ولا نومن كايمان الناس حتى تامرونا بذلك قد خاطبوا
به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قايلا
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التاكيد
حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغ الى حيث لا يدرون انهم سفهاء
وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو راي الجمهور
مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا كما مر اظهار
منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم
للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المومنين وان
معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المومنين لاشعارها
باعطاء الدنية وانباء هلكهم عن ضعفهم الملجي الى توسيط من يتصدى لاصلاح ذات البين فضلا عن
كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه
يقتضي ان يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح وياتيهم الافساد من حيث
لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا يباعثهم الا المضارة للدين والخيانة للمومنين
فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار صدور الافساد
المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين
استهزاء بهم وارادة لارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم
المفسدون الاية والله سبحانه اعلم بما اودعه في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نساله العصمة والتوفيق
والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الاية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن
من فنون الجهل ولان الوقوف على ان المومنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق و
الباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والافساد وما يترتب
عليه من كون من يتصف به مفسدا فامر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الاية الكريمة

السابقة بلا يشعرون ﴿واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء
المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم
ولذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير روي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا
ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء
السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ
بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضي الله عنه يا عبد الله
اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن أ لي تقول هذا والله ان ايماننا
كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل
ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته وقرئ اذا لاقوا
﴿واذا خلوا﴾ من خلوت الى فلان اي انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون
الخالية وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان
تعديته بالى في قوله تعالى ﴿الى شياطينهم﴾ لتضمنه معنى الانهاء اليهم السخرية الخ وانت خبير بان تقييد
قولهم المحكي بذلك مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون
لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة
اصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة فوزنه
فعلان على انه من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق ﴿قالوا انا معكم﴾ اي
في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم عندهم
تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشياطين
بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال
فيه او الثبات عليه ﴿انما نحن﴾ اي في اظهار الايمان عند المؤمنين ﴿مستهزؤن﴾ بهم من غير ان يخطر
ببالنا الايمان حقيقة وهو استئناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كأنه قيل لهم انا معكم فما بالكم توافقون
المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزؤن بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده و
قد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تأكيد لما قبله فان المستهزئ
بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزئت
واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع
به وتخف ﴿الله يستهزئ بهم﴾ اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة
اما للمشاكلة في اللفظ او للمقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل
بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام
المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبما يروى

ان يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا
من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت
شناعته عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا اما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم
وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي
ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف
وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائلا او لا يرون انهم يفتنون في كل عام
مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار
حذر من ذلك كما انبأ عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا
ان الله مخرج ما تحذرون ﴿ويمدهم﴾ اي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه
مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت وايثاره على يزيدهم للرمز الى ان ذلك منوط بسوء
اختيارهم لما انه يتحقق عند الاستمداد وما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كما في الامثلة المذكورة وقرئ
يمدهم من الامداد وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في العمر على انه يستعمل باللام كالاملاء
قال تعالى ونمد له من العذاب مدا وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل
﴿في طغيانهم﴾ متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ
بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان ولقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه من ترتب
المد على سوء اختيارهم ﴿يعمهون﴾ حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما
والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا المد الى الله تعالى
مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي محقق لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشياء مستندة من
حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم
الكريم على مسلكهم نكبوا الى شعاب التأويل فاجابوا اولا بانهم لما اصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه
فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان فاسند ايلاؤه اليه تعالى ففي المسند مجاز لغوي وفي الاسناد
عقلي لانه اسناد للفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء
الى الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي
وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه تعالى واقداره ﴿اولئك﴾ اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون
على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره
قوله تعالى ﴿الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جناياتهم فيما حكي
عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا
عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين
والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان
مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير
لاخذ شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى لا للاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه كما
مر ومنه قوله • اخذت بالجمة رأسا ازعرا • وبالثنايا الواضحات الدردرا • وبالطويل العمر عمرا جيذرا • كما

اشترى المسلم اذ تنصر فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض
عنه ولما اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ
ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى
مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف
الكفرة حتى يكون حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهولاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون
بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي عنهم من القبايح وذلك انما يحصل لهم عند الياس عن اهتدائهم والختم على
قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتاخذ المقدمات
المستتبعة له بطريق الاستعارة كان نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة
من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الايات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله
عليه وسلم وبما سمعوه من نصايح المومنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان
الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهايلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على
الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يا باه ان اضاعتها غير مختصة بهولاء ولين حملت على الاضاعة التامة الواصلة
الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يويدها من المويدات
العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى ههنا ضايعا وابعد منه حمل
اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار
احد الشيين الكاينين في شرف الوقوع على الاخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح
الاتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف
النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة
نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه في التورية من نعوته عليه السلام وقد كانوا
على تعين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي
نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به كما سياتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المومنين فانها ضلالة مضاعفة

فما ربحت تجارتهم ◦ عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار
وهو التصدي للبيع والشرا لتحصيل الربح وهو الفضل على راس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف فيها و
اصاب الربح واسناده الى الذين هم عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما
من الملابسة وفايدة المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم
وايرادهما اثر الاشترا المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوايد الهدى
بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك ان التجارة في
نفسها استعارة لانهمكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك
صنعة لهم راسخة اذ ليس من ضروريات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا
تقويتها كما في قولك رايت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد
بلفظ البراثن معنى اخر بل قد يكون مستعارا من ملايم المستعار منه لملايم المستعار له ومع ذلك يكون
ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله فلما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري فان لفظ

الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطاير للتفريخ للراس واللحية او للفودين اعني جانبي
الراس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش
مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم
وتعددها لتعدد المضاف اليهم ◦ وما كانوا مهتدين ◦ اي الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال
مع حصول الربح ولين فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة
فليس من باب التجارة قطعا فهولاء الذين كان راس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين
فبقوا خايبين خاسرين نايين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة
في الترتب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا الخ ◦ مثلهم ◦ الخ زيادة كشف لحالهم وتصوير
لها غب تصويرها بصورة ما يودي الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا
لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه و
اقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية
وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابراء للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المالوف
والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي
يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول
فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين
شيء اخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى
مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشان ◦ كمثل الذي ◦ اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي
خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى ◦ استوقد نارا ◦ نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز
وضع القايم مقام القايمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة لوصف
المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياوه ثم كسرته ثم اقتصر على
اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزء منه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما
هو شان اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا
على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق
واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا واستيقادها طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها
وتنكيرها للتفخيم ◦ فلما اضاءت ما حوله ◦ الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول
المستوقد او فلما استضاء ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشيا او اضاءت النار نفسها
فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول
للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ◦ ذهب الله بنورهم ◦ النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير
للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفاء الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار
لان المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها
او نحو ذلك وهو جواب لما او استئناف اجيب به عن سوال سايل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد
انطفات ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله

تعالى فلما ذهبوا به للايجاز والامن من الالباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين
متحيرين خاسبين بعد الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء
حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يوذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى
الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده
ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم
استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا
يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على
بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر
واما لان المراد بالنار ما لا يرضي به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفأها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة
ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث والفساد فاطفاها الله تعالى وخيب امالهم وترك في
الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع
ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد
البصر وتمنعه من الروية وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح
كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق
المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المويد بما شاهدوه من دلائل الحق او بالهدى
الذي كانوا حصلوه من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفاها الله تعالى
وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار صم بكم عمي اخبار لمبتداء محذوف هو ضمير المنافقين
او خبر واحد بالتاويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم افة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء
ومنه الحجر الاصم والقناة الصما وصمام القارورة سدادها سمي به فاقد حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن
الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما
من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا اسماعهم عن الاصاخة لما
يتلى عليهم من الايات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من
المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى ايات التوحيد المنصوبة في الافاق و
الانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية
وهذا عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ويصعد حتى يظن
الجهول بان له حاجة في السماء لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار
له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد
اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون الفا للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات
المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والاية نتيجة للتمثيل مفيدة لما
فيه من التهويل والتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لشعري السمع والنطق ولا اختلال
مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضماير المتقدمة فالاية الكريمة تتمة للتمثيل

ح

ويكمل له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت
مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكاناتهم لا يرجعون
ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدؤا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على
استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون
او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم
فالضميران للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفي حقها من
التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلالة وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانه الامثال
ويرخى في حلبته اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ
من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لابد ان يوفي فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة
الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعي عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف
لما سياتي من الضماير المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال
بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع
وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا اية نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق الرعد صيب و
لعل الاول هو المراد هاهنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الاول
وامد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة
ومادته الثانية اعني الصوب المنبي عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب
من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من
سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان
انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من افاقها اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد
ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال تعالى واوحى في كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق
اخذ بالافاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية فيه ظلمات اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه
وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الاخذ بالافاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع
ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من
الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقي
مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب الخ لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة
على غيرها ورعد وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها
ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من
السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما
في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات
شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق
وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن
في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضماير في قوله عز وجل يجعلون اصابعهم في اذانهم للمضاف
الذي اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وكم من قرية

اهلكاها اجاءها باسنا بياتا او هم قايلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان
رضى الله عنه يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل فان تذكير الضمير المستكن في
يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانث حتما وايثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة واستمرارها
على الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما ان ايراد الاصابع
بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانامله فحسب كما هو المعتاد ويجوز
ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج
المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتاد اعنى السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استيناف لا محل
لها من الاعراب مبنى على سوال نشاء من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهايلة فماذا يصنعون في تضاعيف ملك
الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله تعالى • من الصواعق • متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق المقارنة للرعد
من قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها شقة نار لا تمر بشئ الا اتت عليه من الصعق
وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدرا
كالعافية وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت
وسد الاذان انما يفيد على التقدير الثاني دون الاول وقرئ من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستوا
كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اى مجهر بخطبته • حذر الموت • منصوب
بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما ولا ضير
في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اى يحذرون حذرا مثل حذر الموت
والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تع
خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة • والله محيط بالكافرين • اى لا يفوتونه
كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة
الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة
المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على
الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعنى الاحاطة والباقي
منوى بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية
منبهة على ان ما صنعوا من سد الاذان بالاصابع لا يغنى عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله
عز وجل وفايدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة
المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشئ
من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على انه لا مدفع
لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه او تأخيره لاظهار
كمال العناية وفرط الاهتمام بشأن المشبه • يكاد البرق • استيناف اخر وقع جوابا عن سوال مقدر كانه قيل فكيف
حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك • يخطف ابصارهم • اى يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة
وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاخذ اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا
يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله فابت الى فهم وما كدت ايبا وكذا مجيئه
مع ان حملا لها على عسى كما في مثل قول رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا كما تحمل هي عليها بالحذف لما بينهما من المقارنة
في اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويختطف ويخطف بفتح الياء والخاء
بنقل حركة التاء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويتخطف من
قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم • كلما اضاء لهم • كلما ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اى كل زمان
اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعايد محذوف اى كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها وهو
هو استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك الهول أيفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل
كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده
قراءة كلما ضاء • مشوا فيه • اى في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان
يخطف ابصارهم وايثار المشى على ما فوقه من السعى والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما • واذا اظلم عليهم •
اى خفى البرق واستتر والمظلم وان كان غيره لكن لما كان الاظلام دايرا على استتاره اسند اليه مجازا تحقيقا
لما اريد من المبالغة في موجبات تحيرهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جاء في قول
ابى تمام هما اظلما حالى ثمت اجليا • ظلاميهما عن وجه امرد اشيب • ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول
• قاموا • اى وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى
المقصد او الالتجاء الى ملجأ يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشى مترقبون لما
يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف
• ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم • كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض
فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضيته مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع
فيه مكابر واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذى لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا
او جزئيا قد بنى الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء المعلول
اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود
المشية علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجئ علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما
حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشايع لكلمة
لو ولذلك قيل هى لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء
الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا
اليه فان فسادهما لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا
لاريب في انتفاء اللازمين فيتعين انتفاء الملزومين حقيقة في الاول وادعاء باطلا في الثاني ضرورة استلزام
انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية
الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني و
اما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذى هو طلوعها ليس
وجود اى ضوء كان كضوء القمر المجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا
ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بنى الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بنى على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق
مدار اخر له اولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة
كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب
اخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو هو ليس مدارا لوجود الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه

كاشاعر بحق مدار اخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب اخر كالقمر مثلا ولا ريب في ان هذا الجزاء منتف
عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما
في قوله صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة فان المدار
المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته عم
بل مجامع له ومن ضرورته مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشية من كونها ربيبته عليه السلام والحرمة الناشية
من كونها ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك بحق مدار اخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك
اصلا كيف لا ومساق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه
بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان
في الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة مما
بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في نفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب
انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وبها
تفاصيل وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى اولو كنا كارهين وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار اخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما
يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والاية
الكريمة واردة على الاستعمال الشايع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت
من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية الله بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها
لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشية محذوف
جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا
كما في قوله • فلو شئت ان ابكي دما لبكيته • عليه ولكن ساحة الصبر اوسع • اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم
لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة الاية والافراد في المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاخر
وقيل على كلما اضاء الخ وقوله عز وجل • ان الله على كل شيء قدير • تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته
تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما
كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار
عنه فقط وقد خص هنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن
التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم
يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى
على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاءه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير
قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده
وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه
واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان
مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل
ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله • كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي •

ابقاءه على الوجود

بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين وهداهم الفطري بالنار وتاييدهم اياه بما شاهدوه من الدلائل
باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وازالته باذهاب النور الناري واخذ الضلالة
بمقابلته بملابستهم الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقران وما فيه من العلوم
والمعارف التي هي مدار الحيوة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحيوة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم
والاحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم
من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما
يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم
حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد
من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الاخر على وجه التفصيل بل ينتزع
فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه
به بان ينتزع من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين
واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة بحيالها فتشبه كل واحدة من الاوليين بما يضاهيها من الاخريين هو الذي
تقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زائد عليه هو تشبيه
الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع هيئة عجيبة حقيقة بان تكون مثلا في الغرابة • يا ايها
الناس اعبدوا ربكم • اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شانه الى ثلث فرق مؤمنة به
محافظة على ما فيه من الشرائع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهورها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما
بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم
بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة
الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا
له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد او استقصارا لنفسه واستبعادا
لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر
خطير يعتنى بشانه واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة
له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه
تاكيدا لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من اسباب
المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرائع و
غير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية • ويتلقوها باذان
واعية • واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين
الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما
يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملئكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بعمومها
شايعا ذايعا واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر
من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد
منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس
فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاص

بالكفار اذ لم يكن كل اهل الحاج كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر لما ان المامور
به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا
في انتفاء شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها مستظم للامر بما لا يتم الا به وقد علم من الدين ضرورة
اشتراطها به فان امر المحدث بالصلوة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب
ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان كل ما ورد في القران من
العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا ينافي كون بعض من الفريقين الاخيرين ممن لا يجدي
فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من
الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم
بسوء اختيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلا ونعم لتخصيص الخطاب بالمشركين
وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير
المخاطبين لتاكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة • الذي خلقكم • صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل
والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما
هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشي على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف • والذين من قبلكم • عطف
على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم
ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم
الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه
تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة
التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا
بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا
يتاتى لاحد انكاره وقرئ وخلق من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كاقحام اللام بين المضاف
في لا ابالك وبجعله موصوفا بالظرف خبر المبتدا محذوف اي الذين هم اناس كائنون قبلكم • لعلكم تتقون •
المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا
او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل
الشايع في الاستعمال لان معاني الانشاءات قايمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام
بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب
من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع
بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الاية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من
علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد
اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان
الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى
التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها
ينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى

الذي والذين من قبلكم

ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها
اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما جعل المشبه ارادته تعالى في
الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم
اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المامورون بالعبادة اي خلقكم
واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحالة في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا
اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية
على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير
ان تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال والعلة لتكميل علية
المامور به وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر
العابد ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها
الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح
على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى
غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين انشائه والثبات عليه ليتجه ادراج
هذه المراتب وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير
المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول
معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار
تحقق التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة
اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما براهم مستعدين للتقوى
جامعين لمباديها الافاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة
لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الاية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم
عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقضي
بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الايات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى
شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل • الذي جعل لكم الارض فراشا • وهو في محل النصب على انه
صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدا
قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى وحذف المبتدا في المرفوع
اجراء للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة
فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمنصوبان
بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول
الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه مما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا
سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه
من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء
طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من

ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا والسماء بناء عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماوة او سماءة والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنهم قولهم بنى على امراته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امراة ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روى ذلك عنه عليه الصلوة والسلام او المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبدؤه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اي بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المخالفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشيا بلا مبادي ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكنه عز وجل في انشائها متقلبة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السما بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلثة قروء او لانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة والكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شركا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي او لان مال النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوها به والاظهار في موضع الاضمار لما مر انفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر ويابا ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل الخ على تقدير رفعه على المدح اي هو الذي حفظكم بهذه

الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر الموصول بتاويل مقول في حقه ومع ما عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى راي الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المناوي من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل • اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور • تركت اللات والعزى جميعا • كذلك يفعل الرجل البصير • وقوله تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الراي او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله شي او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شي او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات عليه كما هو شان المؤمنين حسبما مر مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا محيد في اية التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من ربا محل المؤمنين ورفع شانهم عن الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما من في صدد السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتامل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الايتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم كما ان ما ذكر فيهما من الايات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شانه واما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته

العاليه واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لاينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم
به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدايه متعلقه بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببيه ربما يوهم كونه محلا
للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين
ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا
منزلا من عند الله عز وعلا وايثار التنزيل المنبي على التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي
عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيله الى انكاره فجعل ذلك من مبادي
الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من
نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت وازاحة العلل
وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على
اختصاصه به عز وجل وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام وامته او جميع
الانبيا عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه
والامر في قوله تعالى فاتوا بسورة من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجواب
وسببية الارتياب للامر او الايتان بالمامور لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول
مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون
على ما يقدر عليه ساير بني نوعكم والسورة الطايفة من القران العظيم المترجمة واقلها ثلاث ايات وواوها اصليه
منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلوم
احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها
بمطار فان سور القران مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من
حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيا فشيا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها
البقيه من الشي ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى من مثله بيانيه متعلقه بمحذوف وقع صفة لسورة و
الضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبه وسمو الطبقه والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة ساير
نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضيه يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض
ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار العجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراه
معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم ياباه ما سبق من تنزيله
منزلة الريب فان مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير جد وقيل هي زايدة على ما هو راي الاخفش
بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدايية فالضمير للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى
المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشي منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى
المنزل عليه فان مثله عليه السلام في البشريه والعربيه والاميه يهون الخطب في الجملة خلا ان تخصيص
التحدي بفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافيه للاتيان بالمامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك
من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من
النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم
ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير
مماثل في صفات الكمال لما اتى به واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة

او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من شي يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال
والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبه ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم
من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الاخر فجرى مجرى اداة الاستثنا وكلمة من اما متعلقه بادعوا فهي لابتدا الغايه
والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم كائنا من كان او الحاضرين في مشاهدكم
ومحاضركم من رؤساكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات والقايمين بشهادات
الجاريه فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة والقايمين بنصركم حقيقة
او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعا في الاول مع اندراجه في الحضور لتاكيد تناوله
لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه
واما في ساير الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين
استظهارهم على ما سواه والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله شهداءكم
الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله ايذانا بانهم يابون ان يرضوا
لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدي لاولئك الرؤسا
وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصححوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حق فان
ذلك ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما يدعون حقية ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي و
ان اريد مثلية ما اتوا به للمتحدى به فمع عدم ملايمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشي
مشتبه الحال متردد بين المثليه وعدمها وانهم ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك
تمس الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى وانى لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا
نبسوا ببنت شفه واما متعلقه بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على ان الظرف مستقر
وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم الهة متجاوزين
الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدايية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء
لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من انها بمكان من الله تعالى وانها تنفعهم بشهادتها لهم انهم
على الحق فان ما هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امر مهم وملجا ياوون اليه في كل خطب ملم كانه قيل
اولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهيه التي دهتكم وفي وجه الالتفات ايذان بكمال سخافة عقولهم حيث اثروا على عبادة
من له الالوهيه الجامعه لجميع صفات الكمال عبادة ما لا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي
الذي هو ادنى مكان من شي لقدامه كما في قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها
وهي قدام القذى فتكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم لكفاية رايحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير
يشهدون اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضه وايرادها بهذا العنوان
لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان ما يقوم بهذا الامر
في ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان به في كل مرام وفي امرهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضة القران الكريم
اخرس كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من هاهنا تبعيضيه لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه
بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل
تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في ساير الظروف التي لا تنصرف
وكونه منصوبة على الظرفيه ابدا ولا تجر الا بمن خاصه وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر

ودون ظرف مستقر ومن ابتدائيه اى ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اوتيتم به مثله متجاوزين فى ذلك اولياء
الله ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون بذلك وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة
فان اولياء الله تعالى تقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله تقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان و
الاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهداء
المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذرا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا
وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء التحدى و
عدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشىء احتاجوا فى اثبات مثليته للمتحدى به الى الشهادة
وشتان بينهم وبين ذلك • ان كنتم صادقين • اى فى زعمكم انه من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه
لدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم للتالى من حيث ان صدقهم فى ذلك
الزعم يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول
الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقايع والايام لا سيما عند
المظاهرة والتعاون ولا ريب فى ان القدرة على الشىء من موجبات الاتيان به ودواعى الامر به • فان لم تفعلوا •
اى ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم فى السعى غاية المجهود وجاوزتم فى الجد كل حد معهود متشبثين
بالذيول راكبين كل صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك
وانما اورد فى حيز الشرط مطلق الفعل المامور به مفعولا له للايجاز البديع المغنى عن التطويل والتكرير مع سر سرى
استقل به المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل
المفعول اى المأتى به ضرورة استحالته وان مناط الجواب فى الشرطية اعنى الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه
لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقها
بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل
واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك
تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا
معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الاعطاء والمنع يرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون
بعد قوله تعالى ائتونى باخ لكم من ابيكم فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر ومرمى غرضه بالتكليف منه استحضار
بنيامين لم يكتف فى الشرطية الداعية لهم الى الجد فى الامتثال والسعى فى تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية الى
الفعل الذى ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا للمطلوب واعرابا عن مقصوده هذا
وقد قيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضماير الراجعة اليها
حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قراين الحال فتدبر
وايثار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكم
بهم • ولن تفعلوا • كلمة لن لنفى المستقبل كلا خلا ان فى لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان
وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب لمعنى المذكور وهى احدى الروايتين عن الخليل والجملة
اعتراض بين جزئى الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب
الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشىء يدانيه فى الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف
• فاتقوا النار • جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه

عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب
للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة
بها للمبالغة فى تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد فى
تحقيق المكنى عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك
كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار • التى و
قودها الناس والحجارة • صفة للنار موضحة لها زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله تعالى من ذلك والوقود ما يوقد
به النار ويرفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمى به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ومعنى
انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته لا كنيران الدنيا تفتقر فى الالتهاب الى وقود من حطب
او حشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية لكون انتسابها الى ما نسبت هى اليه معلوما للمخاطب
بناء على انهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى
نارا وقودها الناس والحجارة فاشير ههنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع
آياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب
فالخطب فيه هين لما ان المخاطب هناك المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم حسبما ورد فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية
• اعدت للكافرين • اى هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون
داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ
اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استيناف لا محل لها من
الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال العموم و
قيل حال باضمار قد من النار لا من ضميرها فى وقودها لما فى ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف
على الصلة بترك العاطف • وبشر الذين آمنوا • اى بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة
السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين
بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد
بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حالى الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا
على اعدت فيكون استينافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما فى حيز الصلة من الايمان والعمل
الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافيان النعم السابقة فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى
وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان
وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتاتى منه التبشير كما فى قوله عليه السلام
بشر المشائين الى المساجد فى ظلم الليالى بالنور التام يوم القيامة فانه عليه السلام لم يامر بذلك واحدا بعينه بل
كل احد ممن يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر
عليه والبشارة الخبر السار الذى يظهر به اثر السرور فى البشرة وتباشير الصبح اوايل ضوئه • وعملوا الصالحات •
الصالحة كالحسنة فى الجريان مجرى الاسم وهى كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لافادة
ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التى اشير الى امهاتها فى مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب
تفاوت حال المكلفين فى مواجب التكليف وفى عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق

البشارة بمجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء له ان لهم جنات منصوب
بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او بحروف باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على
النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي
نخلا طوالا كانها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس الستر وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة
ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها
مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على
ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلم
وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها تجري من
تحتها الانهار في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد
بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار
التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام
في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله
تعالى واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وعلا انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بفتح الهاء
وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار
او على المجاز اللغوي او المجاري انفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من
ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها
وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها المتمتعين بها او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه حين
وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب
على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا
مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدا من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدا
من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم
على المبين كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى
نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان اشرت الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر
فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما
جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غير معروف
وليتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه
من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رضي الله عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم
يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه صلى الله
عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله
تعالى مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا
المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما
في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح
فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت

بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد
النوعي قطعا هذا وقد فسرت الاية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف و
الطاعات متفاوتة الحال فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص
ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب واتوا به متشابها اعتراض مقرر لما
قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق ولهم فيها ازواج مطهرة اي مما في
نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام
والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال
واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة
وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما التطهر فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر
والانثى وهو في الاصل اسم لماله قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع
حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدار به لبقاء الفرد ليست
بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة وهم فيها خالدون اي دائمون والخلود
في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على
حاله الخلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتابيد في قوله عز وعلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه
لكن المراد ههنا الدوام قطعا لما يقضي به من الايات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة
في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مداره قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد
في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا
بان يجعل اجزاءها متقاومة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الاخر متعانقة
متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب و
الحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما
يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف
الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة و
السرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من العقد والعمل ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال
وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنبيههما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والقام الحجر والافحام كان البلغاء من
اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات
والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه رضي الله عنه ان هذا الطعن كان
من المشركين وروى عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء الاية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما المثل و
جعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد
فضلا عن النكير بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان

التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصويرا وابد المعاني
بهيئة المانوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في ادراك الحقايق الخفية وفهم الدقايق
الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما لا يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت
في عبارات البلغا واشارات الحكما ومن قضيته وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم
والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفها باثارة الزنابير وجا في عبارات البلغا اجمع من
ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى والحيا تغير النفس وانقباضها عما
يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حيي واشتقاقه من الحيوة اشتقاق نسي وحشي من النسا والحشا
الحشا يقال نسي الفرس وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضا كان من يعتريه الحيا يعتل قوته الحيوانية وينتقص
واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد
يحذف منه احدى اليائين ومنه قوله الا يستحي منا الملوك ويتقى محارمنا لا يبوء الدم بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يعرض
نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد فكما انه اذا اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا يراد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة
وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك كهما حيا كذلك اذا نفي عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الاية الشريفة وفي
قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي عنه لا سلب وصف الحياء عنه
تعالى راسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحيا لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شانه تعالى في الجملة
فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعي الى ضربه وتاخذ الدواعي
اليه اذ الاستحيا انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم
كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من مبلغ افناء يعرب كلها اني
بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاوه في نفسه والا لكان انشاء
الامثال السايرة في موارد ها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الانشا هناك والامثال الواردة
في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشايها في انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل باعتبار
الاول قطعا وهو ماخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضا
ربها تطبيقها كان المضارب قوالب يضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشا بحسبها بعد ان لم يكن كذلك بل
بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان انشاوها كعامة الامثال التنزيلية فان مضاربها قوالبها او قبل ذلك كسائر
الامثال السايرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند
الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها
ضربة لازب لا تنفك عنها الشرح تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعديته بنفسه النصب على المفعولية واما
على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا
مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيدما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشيوعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه
قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما
رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت
عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو بعوضة

والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها بحذف الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراة الرفع وعلى تقدير
كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها
ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة
واي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله صلى الله عليه
وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع
كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش فما فوقها عطف على بعوضة
على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو
عطف على ما الاولى على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها
اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشي فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على
تقدير كونها صفة للنكرة او زايدة وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق
دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع بل يقرره ويوكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في
المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب
والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شي فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال
الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عايشة رضي الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها
خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المومن من مكروه فهو
كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كالخرور المحكي فاما الذين امنوا شروع في
تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقية صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها
على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين الخ وتقديم بيان حال المومنين على ما حكي من الكفرة مما لا يفتقر
الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد امر المومنين وذم الكفرة ما لا يخفى واما حرف متضمن لمعنى اسم
الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شي ولذلك يجاب بالفاء وفايدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم
من الاقسام فقد يذكر جميعا وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله عز من قايل فاما الذين في قلوبهم زيغ الى اخره قال
سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شي فهو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء
على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدا عن الشرط لفظا والمراد بالموصول
فريق المومنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الاتي فريق الكفرة لا من يومن بضرب المثل ومن يكفر به لاخلاله
المعنى اي فالمومنون فيعلمون انه الحق من ربهم كساير ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته
لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح
ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العايد الى المثل
او الى ضربه اي كاينا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان
ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللايق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور
ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن
حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة مابينهما

من التلازم وظهوره للمعنى عن الذكر • واما الذين كفروا • ممن حكيت اقوالهم واحوالهم • فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا • اوثر يقولون على لا يعلمون حسبما تقتضيه ظاهر قرينه دلالة على كمال غلوهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة انكارها والاستهزاء به صريحا وتمهيد لتعداد ما نعى عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنايعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلم بها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتامل وكن على الحق المبين • وماذا اما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتداء خبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعايد محذوف فالاحسن ان يجئ جوابه مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى اي شي فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه او القوة التي هي مبدأوه والاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير المشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى ناقة الله لكم اية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفايدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء انه من الدناة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل من عنده سبحانه فقوله عز من قايل • يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا • جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامه تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظايره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم وايثار صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوؤهم ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفايدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك قلة اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فايدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال • ان الكرام كثير في البلاد وان • قلوا كما غيرهم قل وان كثروا • واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشيا مخلوقة له تعالى وان كان افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكريره

مع جواز الاكتفا بالاول لزيادة تقرير السببية وتاكيدها • وما يضل به • اي بالمثل او بضربه • الا الفاسقين • عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها اي خرجت قال رؤبة • يذهبن في نجد وغورا غايرا • فواسقا عن قصدها جوايرا • وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المومن لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين ههنا العاتون المارقون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم ما حكي من انكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبايح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا • الذين ينقضون عهد الله • صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد كلامي المتعاهدين بالآخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القايمة على عباده الدالة على وجوده تعالى ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او المعنى الظاهر منه او الماخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظايره وقيل عهود الله تعالى ثلثة الاول ما اخذه على جميع ذرية ادم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته والثاني ما اخذه على الانبيا عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه • من بعد ميثاقه • الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به اياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل • ويقطعون ما امر الله به ان يوصل • يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المومنين والتفرقة بين الانبيا عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول

الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما
يؤمر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب لما انه اثر للشان وكذا يقال له شي وهو مصدر شاء لما انه اثر للمشية
ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى ٭ ويفسدون في الارض
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه ٭ اولئك
اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز منتظمون
بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد ٭ هم الخاسرون
الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات
بالايمان بها والتامل في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة
بالصلة والعقاب بالثواب ٭ كيف تكفرون بالله ٭ التفات الى خطاب المذكورين مبني على ايراث ما عدد
من قبايحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع
كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الخ بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه
وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على
حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل ٭ وكنتم
امواتا ٭ الى اخر الاية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤن العظيمة
الداعية الى الايمان الرادعة من الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد
خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال وعلى اي
حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة
والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى
بلدة ميتة وقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة ٭ فاحياكم ٭ بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء
حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه انفا
٭ ثم يميتكم ٭ اي عند انقضاء اجالكم وكون الاماتة من دلايل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى
الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة
فان زمان الاماتة غير متراخ عنه ٭ ثم يحييكم ٭ بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور وايا ما كان فهو
متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر ٭ ثم اليه ترجعون ٭ بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم
باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها
مستقبلا لا يستدعي مقارنة شي منها لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف
تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه وما آله التعجيب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه
من الاحياء الاخير والرجع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلايل
القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها
وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها من طلايعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان
من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال الله تعالى قل الله يحييكم
ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي في الناس
واذا وصف به تعالى يراد به صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته تعالى مقتض

لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام ٭ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ٭ تقرير للانكار وتاكيد له من الحيثيتين
المذكورتين غير مسبوك عن سبك ما قبله مع اتحادهما في المقصود لما انه لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة
والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدا والموصول خبرا من
الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما
سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم
بالاستدلال بها على شؤن الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة والامها وما
يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة
ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في
الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللايق الذي عليه يدور انتظام مصالح
الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شي مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو
دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل ٭ ثم استوى
الى السماء ٭ اي قصد اليها بارادته ومشيته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شي
اخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه
في خلق السفليات لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله عنه خلق الله تعالى
الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك
الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات
وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات
لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتاخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك
دحاها ولما روي عن الحسن رضي الله عنه والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي
سابقة الوجود واما جهات العلو ٭ فسواهن ٭ اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور
لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان
لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل هي جمع سماة
او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى ٭ سبع سموات ٭ كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول
بدل من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة
كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات
ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى هذا ما قالوا وسياتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله
تعالى ٭ وهو بكل شي عليم ٭ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع
المنطوي على الحكم الفايقة والمصالح اللايقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما
يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرايق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد ٭ واذ
قال ربك ٭ بيان لامر اخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق ادم عليه السلام وما خصه
به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير
لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب
بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدي اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة

التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن
التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان
نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب
اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب
ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة
بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على انه ظرف لذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة
الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على مضمر اخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام غب ما اوحي اليه ما
خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة
ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اشكر النعم في خلق السموات والارض او تذكر
ذلك فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخلين بمواجب الشكر وتنبيههم على ما تقتضيه واين ذاك من مقامه
الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا واباه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة
وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين امنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم
اذ قال الى اخره ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل خلقكم او احياكم مضمرا وفيه ما فيه
وقيل اذ زائد ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز قائلا **للملائكة** للتبليغ وتقديم
الجار والمجرور في هذا الباب مطردا لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر
كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء
لتاكيد تانيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مالك من الالوكة
وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس
فهم رسله عليهم السلام واختلفت العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها
فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم
كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة
واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه
عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم
يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية
وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كتبهم انه عليه السلام
قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني ادم عشر الجن
وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين
وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل
ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه و
سمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار
شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون
حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل

عز وجل او بمنزلة رسله

الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء

عليه السلام لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم
جنود ربك الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء راى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه
بعض فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا
اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رايته قبل ذلك ثم سالا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري
غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم
قدرته وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنهما انهم المحاربون مع ابليس حين بعثه الله عز وعلا لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا
الدماء فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله
تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة في الارض
وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم
انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى **اني جاعل في الارض خليفة** في حيز النصب على انه
مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل
ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو
مقتضى الصناعة فان مفعول التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والاصل
في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مصير في الارض خليفة فمعناه بعد الليا والتي اني جاعل خليفة من الخلائف
او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس
مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل ادم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم
السلام فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من المفعول الصريح
لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة
الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير
الاموال للدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف
فيه المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا اما
ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثناء ذكره عليه السلام على ما ستفصله كانه قيل اني
خالق بشرا من طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة
في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال الزمخشري في تفسير
قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر
ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم
انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه
ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف
في التعلق والتقديم كما مر خلا انه لا يكون ما سياتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه
تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في
الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب
منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به اما ادم عليه السلام وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم

كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم وبنه الخلافة فى قريش واما من يخلف او خلق يخلف فيهم عليه السلام
وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه فى اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس
وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم بقبول الفيض بالذات
يختص الخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان فى الارض قبل ذلك فتعم حينئذ الجميع **قالوا** استيناف وقع جوابا
عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل قالوا **اتجعل فيها من يفسد فيها** وهو ايضا من الجعل
المتعدى الى اثنين قيل مفعوله الاول ما قبل فى الاول والظاهر ان الاول كلمة من والثانى محذوف ثقة بما ذكر فى الكلام السابق
كما حذف الاول ثمه تعويلا على ما ذكرها هنا قال قائلهم لا تخلنا على غرائك انا طالما قد وشى بنا الاعداء بحذف المفعول
الثانى اى لا تخلنا جازعين على غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه
لما مر مرارا والثانى بيفسد وفائدته تاكيد الاستبعاد لما ان فى استخلاف المفسد فى محل افساده من البعد ما ليس
فى استخلافه فى غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدى الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار
تعجبهم ليس خلق من يفسد فى الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقضى
ببطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من من شأن بنى نوعه الافساد وسفك
الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التى لا تخلو عنه
غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفى عليهم من الحكم التى بذت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا
عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التى جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم
عما ينقدح فى ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا فى اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه
عليه السلام ولا فى ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل
او بتلق من اللوح او باستنباط عما ارتكز فى عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الاخر
ويسفك الدماء السفك والسفح والسكب والسبك انواع من الصب والاولان مختصان بالدم بل لا
يستعمل اولهما الا فى الدم المحرم اى بقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل
وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفّك من اسفك وسفّك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف
الراجع الى من موصولة او موصوفة اى يسفك الدماء فيهم **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** جملة حالية مقررة للتعجب
السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد فى خدمة مولاه وهو يأمر بها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد فيها كانه قيل
اتستخلف من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة
واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر وكانهم شعروا بما فيهم من القوة
الشهوية التى رذيلتها الافراطية الفساد فى الارض والقوة الغضبية التى رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا
وذهلوا عما اذا تحريتهما القوة العقلية ومرنتهما على الخير يحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ
رتبته القوة العقلية عند انفرادها فى افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده
اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح فى الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح
اى واسع الجرى وكذلك تقديسه تعالى من قدس فى الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اى طهره فان

مطهر الشئ مبعد عن الاقذار والباء فى بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اى ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك
ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم التى من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال
والحمد لتذكير صفات الانعام واللام فى لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما فى سجدت لله واما للبيان كما
فى سقيا لك فيكون متعلقة بمحذوف اى تقديسا لك اى نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك
وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذى اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو
تلويث النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع **قال** استيناف
كما سبق **انى اعلم ما لا تعلمون** ليس المراد به بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة
لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معانى مستدعية لاستخلافه اذ هو الذى
خفى عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعانى والمعنى انى
اعلم ما لا تعلمونه من دواعى الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من
غير تعرض لاحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخيما لشأنه وايذانا بابتناء امره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور
قولهم عن الغفلة وقيل معناه انى اعلم من المصالح فى استخلافه ما هو خفى عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى
كلها حسنة وحكمة وان خفى عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل وبكون
تعجبهم مبنيا على تردد فى اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشأنهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما
ولكنهم مترددون فى انها ما ذا اهل هو امر راجع الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه و
تعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة و
يظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية **وعلم آدم الاسماء كلها** شروع فى تفصيل ما جرى بعد
الجواب الاجمالى تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر
من المقاولة المحكية انما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليه السلام
بان قيل اثر نفخ الروح فيه انى جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل كما اشير اليه وايراده عليه السلام باسمه العلمى لزيادة تعيين
المراد بالخليفة ولانه لم يذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم اعجمى والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ
وعاذر وعابر وفالغ لا افعل والتصدى لاشتقاقه من الادمة والادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما
روى عنه صلى الله عليه وسلم من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك
اختلفت الوان ذريته او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب
وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات و
الافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد
الدال على معنى فى نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا اما الاول او الثانى وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من
حيث الدلالة على المعنى مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك
بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما مر فى تفسير الهدى وهو السر فى ايثاره
على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذى يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة منهم عليهم
السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه تعالى اياه ان يخلق فيه
ادراكا بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او
يلقى فى روعه تفصيلا ان هذا فرس وشأنه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات

فيتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبايع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير رضي الله عنهم علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة والجفنة والمحلب والمحلب وانحى منفعة كل شيء الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيمة وقيل معنى قوله تعالى وعلم ادم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشيا واسمائها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا مطوية عطف عليها المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلم الخ **ثم عرضهم على الملئكة** الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها في الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يعرف منه احوال البقية واحكامها **فقال انبؤني باسماء هؤلاء** تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد هاهنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم **ان كنتم صادقين** اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اول بان يقال في زعمكم اني استخلف من غالب امره الافساد وسفك الدما من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بامرهم بالانباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه **قالوا** استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه اولا فقيل قالوا **سبحانك** قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ غير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما في قوله سبحانه ثم سبحانا يعود له فقيل صرف للضرورة وقيل الا انه مصدر منكر كغفران لا علم ومعناه على الاول التسبيح عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك عن الحكم والمصالح وعلى الثاني ننزهك عن ذلك تنزيها وانا شيئا عن ذلك اطمانينة النفس والايقان باشتمال استخلاف ادم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثاني نزهت عن ذلك تنزيها ما شيئا عن ذلك واردوا به انهم قالوه عن اذعان للعلو اجمالا بانه عليه السلام يكلف ما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وعلا **لا علم لنا الا ما علمتنا** اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتناه بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دايرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية وقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان **انك انت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون **الحكيم** اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء او لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى وما فهم من ذلك من علم ادم عليه السلام بما خفي عليهم

فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد ادم عليه السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم ادم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة عليها **قال** استيناف كما سلف **يا ادم انبئهم** اي اعلمهم اوثر على انبئني كما وقع في امر الملئكة عليهم السلام مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل ادم عليهم عليهم السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما **باسمائهم** التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها **فلما انباهم باسمائهم** الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انباهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانباهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عليه السلام لم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القراين الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما انباهم بذلك **قال** عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له **الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض** لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظايره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في ادم عليه السلام لظهور مصداقه وايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم ادم عليهم السلام من الامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيها هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى **واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عايدها اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الى اخره وبما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق ادم عليه السلام رات الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم قالوا في الاية الكريمة بيان على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملئكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان ادم افضل من هؤلاء الملئكة عليهم السلام لانه اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشيا قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة** عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما في امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج

ماقبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان بان مافي حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها
والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع مافيه من تاكيد الاستقلال وكذا اظهار الملئكة في موقع
الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملئكة اتباعا لضم الجيم في قوله
تعالى اسجدوا لادم كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة
الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليهم السلام على وجه
التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شانه وقيل امروا بالسجود
له تعالى وانما كان ادم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة
منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم
قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن او في
قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل فسجدوا عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم
الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملئكة
عليهم السلام وقوله تعالى الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملئكة متصفا بصفاتهم
فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او
منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو الياس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم
به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملئكة
اسجدوا لادم فسجدوا الاية والتي في سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملئكة
اسجدوا لادم فسجدوا الاية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه
البتة وكما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي ورد به الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من
قوله عز وعلا واذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى
اخر الاية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غيرهما يفصح عنه الفاء الفصيحة
من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روي عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تاخير وتاويل الاية
السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه حينئذ يكون في حكم التنجيز يأباه ما في
سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخر ورود الامر عن التصوير المتاخر عن الخلق المتاخر عن الامر التعليقي والاعتذار
بحمل التراخي على الرتبي او التراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم الايجاب للمامور به
بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينه وبينهم عليه السلام
في اوائل الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج ابليس
من البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم في ذلك كله عيانا او هل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي
عنه الى تاويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حيوة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف ينبئ عن ضيق المجال
فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون
ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله عليه السلام المبني على المحاورة المسبوقة
بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته وجوب

السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير
تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الاية وبعدم وجوب
اقامة الصلوة عقيب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطماننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة
الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي اثر ذي اثير انما هي حمل الملئكة عليهم السلام على التامل في شانه عليه السلام ليتبينوا
في احواله طرا ويحيطوا بما لديه خبرا ويستفهموا ما عسى يستبهم عليهم في امره عليه السلام لابتنائه على حكم ابية واسرار
خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي وتحتم الامتثال وقد قالوا عقب ذلك ما قالوا
وعاينوا ما عاينوا وعدم نظم الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه
فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم
مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة
في الكتاب العزيز وناهيك في توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك حتى صير اليه مع انه
لم يرد به نقل فاطمئن بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القي اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي
اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم
شانه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا والقي اليهم حين الخلافة بعد تحقق الشرائط
المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده
الله عز وجل بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي اعتناء بشان المامور به وتعيينا
لوقته وقد حكى بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن اخر والذي
يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملئكة الخ بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله عز
ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملا الاعلى الملائكة وادم عليه السلام و
ابليس حسبما اطبق عليه جمهور الامة وباختصامهم ما جرى بينهم في شان خلافة ادم عليه السلام من التقاول الذي من
جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا
من الامر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد
ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود
الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة
الانباء بالاسماء حينئذ فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر ابى
واستكبر استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد او للتامل والاباء الامتناع
بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من ان
يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر
في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين و
كان من الكافرين اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن ولذلك ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى
كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباح امره
تعالى اياه بالسجود لادم عليه السلام زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح
عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب
وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها واثار الواو على الفاء للدلالة على ان مجرد الاباء والاستكبار كفر لا انهما سببان له كما

يفيده الفاء وقلنا شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة
وابليس من الاقوال والافعال وقد ترك حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل في سائر
السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة
اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر
وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به و
تخصيص اصل الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في مباشرة المامور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة و
الاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق
زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم
ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسألها ما انت قالت
امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقال الملائكة تجربة لعلمه من هذه قال امرأة قالوا ولم سميت امرأة قال لانها من المرء اخذت قالوا
ما اسمها قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال بعث الله تعالى جندا
من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها
قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى
امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه عليه السلام
كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم
النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها

الى السماء الدنيا والثاني منها

الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع وكلا منها اي من ثمارها وانما وجه
الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء
اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه رغدا صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها حيث
شئتما اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل
ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى ولا
تقربا بفتح الراء من قرب الشيء بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنا
وقربته بالكسر قربانا دنوت منه هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة
من الشجر اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنب
او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتاء تقربا
وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء فتكونا من الظالمين مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي
وايا ما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم
بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى فازلهما الشيطان عنها اي اصدر زلتهما اي اذهبهما وحملهما
على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل
عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه
البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الايات مشعرة بانه عليه السلام لم يومر بسكنى الجنة على وجه الخلود

بل على وجه التكرمة والتشريف لما قلد من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف في كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له
اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول
للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية
فدخلت معها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه فاخرجهما مما كانا فيه اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة
والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة
والنعيم ان كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا الخطاب لآدم وحواء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما
اصل الجنس فكانهم الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها
مسارقة او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم
على بعض بتضليله او استئناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر
كالقبول ولكم في الارض التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار مستقر
اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش وانتفاع به الى حين هو حين الموت على ان المغيا تمتع كل
فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار
والتمتع واستئنافا فتلقى آدم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها وقرئ
بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله
قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى
قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت
عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام للتشريف والايذان بعلية
لالقاء الكلمات المدلول عليه بتلقيها فتاب عليه اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي
الكلمات المتضمنة لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر
شان آدم عليه السلام لما ان حواء تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب
اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن
المعصية واذا وصف بها الباري عز وعلا اريد بها الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع
بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه قلنا استئناف
مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط
ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك و
اظهار النوع رأفة به عليه السلام لما بين الامرين من الفرق النير كيف لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم
دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد العقاب
فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان الخائف يكفيه في الردع
عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى
السماء الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول وعود ضمير الجنة في الثاني وجميعا
حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في
قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك جاؤوا معا فاما ياتينكم مني هدى الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر

بروا ما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد وقيل
معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفعل لما
مر غير مرة والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة
للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة
الافاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال والجري على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم
والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب
ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور
والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة
حقوق العبودية من خصايص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في
الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار
الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتاكيد وجوب اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر
من افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا
وكذبوا باياتنا عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا
لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما
ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الايات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اي و
الذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبياء او
اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور و
الاية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة توهمت ايات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع ويقال للمصنوعات من حيث
دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طايفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها
مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بايتهم اي بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا
باياتنا نزجي اللقاح المطافلا واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه اي رجع واصلها اوية او اية فابدلت
عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت او اية كقايلة فحذفت الهمزة تخفيفا اولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة
الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدا وقوله عز وجل اصحاب النار اي ملازموها
وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول واسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب
النار خبر له وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار
خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على
انه خبر اخر لاولئك على راي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد
انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طايفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي
صلى الله عليه وسلم لتذكيرهم بفنون النعم الفايضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكير كلهم
بالنعم العامة لبني ادم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك الخ واذ قلنا للملايكة الخ لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر
لهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض وسجود الملايكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء

لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرايل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسراين بقلب الهمزة ياء واسرال بهمزة مفتوحة واسرايل
بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطايفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم
اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان
الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضا والشكر قيل اريد بها ما انعم به على ابايهم من النعم
التي سيجي تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي
باسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة
اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني
الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب
على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدماء والاموال واخرها منا
الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدايم واما ما روي عن
ابن عباس رضي الله عنه اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا
باداء الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم
فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم
من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل الى قوله ولادخلنكم جنات الى اخره وقرئ
اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد واياي فارهبون فيما تاتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة
التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل
ان كنتم راهبين شيا فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد
وان المومن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى وامنوا بما انزلت افرد الايمان بالقران بالامر به لما انه العمدة القصوى في شان
الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر
المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المودي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما
نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي و
الفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة
في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك
التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من
غير تعرض لبقايها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القران الناسخ لها نطق بنسخها فاذن
مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق الناسخ ولو تقدم نزول
الناسخ لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا
لما معهم لتاكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به
اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من امن به لما انكم تعرفون شانه وحقيته بطريق التلقي مما معكم من الكتب
الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجي فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا
يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتاويل اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن

كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل اولان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اليه اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسي او اوءل من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي اي لا تاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا هي الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الايات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا وإياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امر فيها بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امر فيها بالتقوى الذي هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالاخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كأنهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اي صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي

لا تهين الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه

أتأمرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيها لتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم اي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه وانتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الامرة بالايمان به

او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون اي أتتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف او ألا تتأملون فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت

لتهدي الانام ولا تهتدي ... الا ان ذلك لا ينفع

فيا حجر الشحذ حتى متى ... تسن الحديد ولا تقطع

فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي ومات الى رحمة الله سبحانه واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا لما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما اعد لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلوة والسلام وقرة عيني في الصلوة والجملة حالية او اعتراض تذييلي الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر

فارسلته مستيقن الظن انه ... مخالط ما بين الشراسيف جائف

وجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتأكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد واني فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت اباءكم على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا واتقوا يوما

اي حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعول به
او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اي لا تغني عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع
تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع
فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال فما ادري اغيرهم تناء وطول
العهد ام مال اصابوا اي اصابوه ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او
من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية
سمي به الفدية لانها تساوي المفدي وتجزي مجراه ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما
دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي
والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل
وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثاني اما ان
يكون باداء عين ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية
على نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده
ان الخطاب معهم ولردهم عما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من ال فرعون
تفصيل لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء اي واذكروا وقت تنجيتنا
اباكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار
كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك
الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه
وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام
به فدخل مصر فراى في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم وفي نفسه بطيخا بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون
فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذ واحد منه بطيخا
فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى لوجهه وراى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم
وكان قد وقع به وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنوه
حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لاخر واخر حتى جمع في مقدار ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد
قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب
فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى
مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون
فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال
الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان
وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم اي يبغونكم من سامه
خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء
مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من ال فرعون او منهما
جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما
وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لان فرعون راى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب

بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود وتسعين الفا وقد اعطى
الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت
معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين
فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن على الحيوة محنة مع انه عفو
وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك
في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان
يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث
موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الاية الكريمة تنبيه
على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار واذ فرقنا
بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة
جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي واذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب
انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر
بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد
التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا ال فرعون اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم
للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه واستغنى
بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او
جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل
فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر
فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها
كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فراه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم
ان هذه الوقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها
على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية
موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تاثرت اوائلهم بمشاهدتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها
ورواتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد
هلاك فرعون وعد الله موسى عليه السلام ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل
وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما ياتون وما
يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة
وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها بتنزيل قبول موسى عليه السلام
منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا ثم اتخذتم
العجل بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على
حذف المضاف وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض
تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازما
قال عفت المنزل الخالي عفا من بعد احوال عفاه كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اي من

بعد الاتخاذ الذي هو منتهى في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة
العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان اي التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة
تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع
الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم
تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور
يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودا فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى بارئكم اي الى من
خلقكم بريا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء
عن الغير اما بطريق التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله ادم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار
بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغواية منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريا
من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان يسترد
هي منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل
امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده يروى ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر
على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى
دعا موسى وهرون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى
للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه
طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه
على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون
ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة
التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان
الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا
بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل
من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حكاية لوعد موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا
لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الاية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك
النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام
عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي
اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التوراة او تكليمه اياه او انه
نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت
بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات
ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع
كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا
على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى عليه السلام ان يجمع سبعين رجلا ويحضر
معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى
عليه السلام يامره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه

الخامس

فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة الاف من قومه
فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام ويتعلق به
الرؤية تعلقها على طريقة المقابلة في الجهات والاحيان ولا ريب في استحالته انما الممكن في شانه تعالى الرؤية المنزهة عن
الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الاخرة وللافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم
وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء
فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل
لما راوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك
فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم
ولم يكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي ما اصابكم بنفسه او
باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم
كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم الخ لعلكم تشكرون اي نعمة البعث وما كفرتموه بما رايتم من باس الله تعالى وظللنا
عليكم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم
من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اي
الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني
فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من
مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به على نهج الخطاب
السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف
على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما
ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي
يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم
على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا لابائكم اثر ما
انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي
بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين
وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا
هذه القرية وادخلوا الباب اي باب القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عليه السلام سجدا
اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة وهي
فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا
هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون
من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع وعند سيبويه ابدلت
الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفاء وكانت الهمزة بين
الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل
الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن
بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار

بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا اخر مما لاخير فيه روى انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية
حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة
تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين
ظلموا بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العايد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم و
التقريع وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السماء اي عذابا مقدرا
منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في
وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبايح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل
ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرى بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به في ساعة واحدة اربعة
وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم
العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة في معرض امر مستقل
واجب التذكير والتذكر ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل امر واحد امر بذكره واللام متعلقة بالفعل
اي استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت ينبع من
كل وجه منه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنى عشر ميلا
او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع ادم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه موسى عم
مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبراه الله تعالى به عما رموه به من الادرة فاشار
اليه جبريل ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يومر عليه السلام بضرب حجر بعينه
ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر و
يضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه
يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصاة عشرة اذرع على طوله عليه السلم
من اس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف
للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا واما تعلق الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على
احد وقرى عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة
بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء
وحده لانه يوكل مما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه ان المامور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته
اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا
كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الخ ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلم
ولا تعثوا في الارض العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل انما
قيد به لان العثي في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم
المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلا
انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم
الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد

يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها
وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روى انهم كانوا
فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقا فادع لنا ربك اي سله لاجلنا
بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة يخرج لنا
اي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية
والتي في قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها الخ
وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما ينبت الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي توكل كالنعناع والكرفس والكراث
واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرى قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى انكارا
عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سوال مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل اتستبدلون اي اتاخذون
لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا
فيه وكونه تافها مرذولا قليل القيمة واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة
فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرى ادنا من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة بالذي هو
خير اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهل الزايل دون الاتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز
وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على
انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما مر من صورة المناوبة
اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة مطلبهم او اسعافا لمرامهم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي
وقرى بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او
لتاويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرايم
فعرب فان لكم ما سألتم تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشيا المسئولة
بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل يناله كل احد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة
اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة
لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحايط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين
اما على الحقيقة واما لخوف ان يضاعف جزيتهم وباءوا اي رجعوا بغضب عظيم وقوله من الله
متعلق بمحذوف هو صفة لغضب موكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب
كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول
من قال بوء بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة
والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون على الاستمرار بايات الله
الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد ويقتلون النبيين
بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان
بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا بحقيته احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب
الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبيا عليهم السلام فان صغار الذنوب
اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مودية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة

فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجتمعوا ماكانوا

للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى و
قيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتاويل ما ذكر او تقدم كما فى قول رؤبه
ابن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق اى كان ما ذكر والذى حسن ذلك فى المضمرات
والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الذين ان الذين امنوا اى بالسنتهم فقط
وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة
وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اى تهودوا من
هاد اذا دخل فى اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما
كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى
جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك
لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا اليها و
الياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصرى كمهرى ومهارى والصابئين هم قوم بين النصارى و
المجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا
فمن صبا اذا خرج من دين الى اخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا من
ساير الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر اى من احدث من هذه الطوايف
ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللايق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم
بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اى مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللايق ومن اما
فى محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما فى قوله تعالى ان الذين
فتنوا المومنين الاية وجمع الضماير الثلثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما فى الصلة باعتبار لفظه والجملة
كما هى خبر ان والعايد الى اسمها محذوف اى من امن منهم الخ واما فى محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه
وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفى اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم
مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت مامون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على
جملة فلهم اجرهم اى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون
على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون
الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام هذا وقد قيل المراد بالذين امنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فح لابد من تفسير
من امن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبداء والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام
عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وساير الطوايف وفى التعميم
للمخلصين مزيد ترغيب الباقين فى الايمان ببيان ان تاخرهم فى الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاوليك
الاقدمين فى استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدايم واما ما قيل فى تفسيره من كان منهم فى دينه قبل ان
ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب
فى دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين اخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل
بمقتضاه من حيث دلالته على حقية دينهم فى الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى فى حقهم ما
ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا

بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته فى وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوى ثم خرجوا
عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان
وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوايف من حيث هو مجموع لا الى كل واحد منها قصدا الى درج
الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوايف بحكم اشتماله على
اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم
فى حيز اسم ان ليس لهم فى حيز خبرها عين ولا اثر فتامل وكن على الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى
لاسلافهم اى واذكروا وقت اخذنا الميثاق منكم بالمحافظة على ما فى التورية ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا
او حال اى وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روى ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة
القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اى احفظوه ولا تنسوه او تفكروا
فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكى تتقوا المعاصى او لتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان
تنتظموا فى سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم اى اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد
ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه
وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اى المغبونين بالانهماك فى المعاصى والخبط فى مهاوى الضلال
عند الفترة وقيل لولا فضل الله عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما
بسيطة او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفى ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره و
الاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدا خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا
فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اى لولا ثبت فضل الله تعالى عليكم ولقد علمتم اى عرفتم
الذين اعتدوا منكم فى السبت روى انهم امروا بان يمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد
فاعتدى فيه اناس منهم فى زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها
ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق فى البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها
الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا
من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اى
جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند
من يجوز عمل كان فى الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن فى قردة لانه فى معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت
صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة
التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها
اى المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها
لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم فى زبر الاولين واشتهرت قصصهم فى الاخرين او لمعاصريهم
ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من
ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ
لاخلاف بنى اسرايل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اى واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان فى بنى اسرايل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا فى ميراثه فطرحوه

على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى ويخبرهم بقاتله
قالوا استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا اهل سارعوا الى الامتثال ولا فقيل قالوا
اتتخذنا هزوا بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزؤ واهل هزؤ او
مهزوا بنا او الهزؤ نفسه استبعاد لما قاله واستخفافا به قال استيناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من
الجاهلين لان الهزؤ في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه
واكده باخراجه مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة
التي شافهوه عليه السلام بها قالوا استيناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا
ادع لنا اي لاجلنا ربك يبين لنا ما هي ما مبتدأ وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين اي يبين لنا جواب
هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى
فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال
تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم باي لكنهم لما راوا ما امروا به على حالة مغايرة لما عليه
الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حاله قال اي موسى عليه السلام بعدما دعا ربه عز وجل بالبيان
واتاه الوحي انه تعالى يقول انها اي البقرة المامور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا
فتية يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت اخرها وتركيب البكر
للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان اي نصف لا بكر ولا ضرع قال طوال مثل اعناق الهوادي نواعم بين ابكار
وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الى
المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المامور به ما تؤمرون
اي ما تؤمرونه كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال
المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا
وقوله تعالى قالوا استيناف كما مر كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي والامر المكرر فقيل قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يبين لنا البقرة المامور بها قال اي موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله
تعالى ومجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كل مرة الى الله عز وجل لاظهار
كمال المساعدة في اجابة مسؤلهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة
وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانئ وفي اسناده الى اللون مع كونه من
احوال الملون لما لابسته به ما لا يخفى من فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن
رضي الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها
من مقدماته واما الان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها
بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا
صفراء قل همه قالوا استيناف كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كانهم
سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها في الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة في
اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير
من البقر ولا نهتدي بها الى تشخيص ما هو المامور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان
النعوت المعدودة ليست بمشخصة للمامور بها بل صادقة على سائر افراد الجنس وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة

يعني تؤمرونه

البقر كالباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث مخففا ومشددا
وتشبه تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومشتبهة وفيه دلالة على انهم ميزوها عن
بعض ما عداها في الجملة وانما بقي اشتباه بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه
من التوكيد اي لمهتدون بما سألنا من البيان الى المامور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي بل مذللة للكراب وسقي الحرث ولا ذلول
صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى
مسلمة اي سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا خلص له ويؤيده
قوله تعالى لا شية فيها اي لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه
وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا عندما سمعوا هذه النعوت الان جئت بالحق اي بحقيقة
وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شانها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين
فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد ردوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل
من الاوصاف المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص
النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها
الفاء فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر
من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلي ومآله
استثقال استقصائهم واستبطائهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط اسهابهم فيها قيل مضى
من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح
له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة وكانت
من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت وحيدة بالصفات
المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة
وان الامتثال في اخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف
في ان المامور به اثر ذي اثير هل هو المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة
بسبب تاملهم في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضماير
في الاجوبة يعني انها بقرة الى اخره للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال
انما هو عن البقرة المامور بذبحها فتكون هي المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت
فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسالوا عنها فرجعت الضماير الى المعينة في زعمهم
واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر هي المعينة والحق انها كانت في اول
الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان
اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروي مثله
عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم رجع الحكم الى الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا
عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا
كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان الامتثال بالامر

بدون الوقوف على المامور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سوالا تهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم
نفسا منصوب بمضمر كامرت نظايره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد
القتل والتدارؤ اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصهما بالاسناد
دون ما مر من هنا تهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اى اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة فادارأتم
فيها اى تخاصمتم في شانها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الاخر او تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى الاخر واصله
تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر لما تكتمو
لا محالة والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما اعمل مخرج لانه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار
انها عبارة عن الرجل او بتاويل الشخص او القتيل ببعضها اى ببعض البقرة اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل
بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذى يلي الغضروف وهذا اول القصة كما
ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما
غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله
صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بحيالها
ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخصها من التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن
موسى عليه السلام مع انه من الله عز وجل كالامر بالضرب لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام
والافتيات على رايه كذلك يحيي الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر يستدعيه الكلام اى فضربوه
فحيي وقلنا كذلك الخ فحذفت الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على
ذلك فالخطاب في كذلك الخ للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الاية الكريمة
فلا حاجة الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اى مثل
ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم اياته ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شئ
قدير ويجوز ان يراد بالايات هذه الاحيا والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحيوة
على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات لعلكم تعقلون اى لكي تكمل
عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة
في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب
الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين
وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله
عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تاثير لها وان
من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي قوة
الشهوة حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رايقة المنظر غير مذللة في طلب
الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبايحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيي بها حيوة طيبة ويعرب عما به
ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب لمعاصرى النبي
صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التاثر
بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم

لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما الان الاستمرار على شئ
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله
تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من
الايات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اى من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته
عليه السلم وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتاويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب
لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهي كالحجارة في القساوة او اشد منها قسوة اى هي في القسوة مثل الحجارة
او زايدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه و
يعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء
اما للتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد
واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل اقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة
ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من
عرف حالها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس وان
من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التاثير واستحالة صدور
صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتاثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان منها لما يشقق اى
يتشقق فيخرج منه الماء اى العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اى يتردى من الاعلى الى الاسفل
بمقتضى ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة
ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا اتيا بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون
اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من
الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة و
العايد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال
السيئة وقرئ بالياء على الالتفات قوله تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود الى ما حدث
هنا تهم وبغت عليهم جناياتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده
كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام و
يستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون على تقدير المعطوف
عليه منفيا اى الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب
عليه نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اى اتنظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان
يترتب عليه نقيضه اى اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومال المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم
المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متمادون في شرة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتاتى من اخلافهم
الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل
النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فامن له لوط اى
في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اى في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد
به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد
له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اى فريق كاين منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله

خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية موكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج
قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس
رضي الله عنهم هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور
وما امر به ونهي عنه • ثم يحرفونه • عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء
الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل • من بعد ما عقلوه • اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق
لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلا
قالوا سمعنا الله تعالى يقول في اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا
باس فثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تاويلا
فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية بعدما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا
نعت النبي عليه السلام في عصره وبدلوا اية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع
والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الاية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه
وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر
واثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما رؤساؤهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة
دون السماع فكان الانسب ح ان يقال يتلون كتاب الله تعالى والمعنى افتطمعون في ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم و
يستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد
ما عقلوه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن ههنا ظهر ما في ايثار لكم على بالله من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل
وهم يعلمون • جملة حالية من فاعل يحرفونه مقيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على
نسيان ما عقلوه او على الخطا في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له او وهم يعلمون
انهم كاذبون ومفترون • واذا لقوا • جملة مستانفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر
عنهم بالذات من الشنايع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب اخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من
الجملة الحالية والضمير لليهود كما ستقف على سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل تحرزا لاتحاد الفاعل في فعلي الشرط
والجزا حقيقة • الذين امنوا • من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم • قالوا • اي اللاقون لكن لا بطريق تصدي
الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم
وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض
ارائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم • امنا • لم يقتصروا على
ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به
تعويلا على شهادة التوبيخ الاتي • واذا خلا بعضهم • اي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اذا فرغوا
عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين • الى بعض • اخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم
غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه انفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال
ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط
ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب • قالوا • اي الساكتون موبخين لمنافقيهم
على ما صنعوا • اتحدثونهم • يعنون المؤمنين • بما فتح الله عليكم • ما موصولة والعائد محذوف اي بينه
لكم خاصة في التورية من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق

عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما
لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل • ليحاجوكم به • متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تاكيد
النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد
يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض
لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة
ارائهم • عند ربكم • اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم
القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا و
الاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية
ديننا وصدق نبينا افحش فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون
المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفا لا يساعده الاية الكريمة الاتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل
• افلا تعقلون • من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون
فلا تعقلون هذا الخطا الفاحش او شيئا من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او
اتعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجوا الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد
التعقل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون
حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى • اولا يعلمون • فانه الى اخره تجهيل لهم من جهته تعالى
فيما حكي عنهم فيكون توسيط خطاب المؤمنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب
بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه للنبي ايضا صلى الله عليه وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا
يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي
ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون • ان الله يعلم ما يسرون • اي يسرونه فيما بينهم
من المؤمنين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى • وما يعلنون • اي يظهرونه
للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق فيظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي
صلى الله عليه وسلم فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في اية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة
في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين
حدثوا به ام لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او لابائهم
المحرفين اي ايفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم
الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما
قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول
علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان
علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا
المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما في انفسكم او
تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفا على الابدا لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون الخافية و
يجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه

قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية ومنهم
اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام
بمعنى انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤن النساء بل من خلال الرجال وبمعنى انه على
الحالة التي ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن معرفة الاشياء
كقولهم عامي اي على عادة العامة روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم
من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا
محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستانفة مسوقة لبيان قبايحهم اثر بيان شنايع الطوايف السالفة وقيل هي معطوفة
على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيها ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما هو مضمون
الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم
بمعانيه كما وقع من الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في التورية كما وقع من الفريقين الاخيرين اي ومنهم
طايفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة لا يعلمون الكتاب اي لا يعرفون التورية ليطالعوها و
يتحققوا ما في تضاعيفها من دلايل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سباق النظم وسياقه الا
اماني بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا
كتمنى في قوله تمنى كتاب الله اول ليله فاعلت اعلال سيد وميت ومعناها على الاول ما يقدره الانسان
في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس
علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان
اباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او
لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني على
الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم وان هم الا
يظنون ماهم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فانى يرجى منهم الايمان
المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقب ببيان حال الذين
اوقعوهم في تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم لهم وبتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل على وجه الدعاء
عليهم فويل هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال
من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع
نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل
لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك
المعنى او بينه وبينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضي
الله عنه الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال
سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح ودم
وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وعلا للذين
يكتبون الكتاب اي المحرف او ما كتبوه من التاويلات الزايغة بايديهم تاكيد لدفع توهم المجاز كقولك
كتبته بيميني ثم يقولون هذا اي جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني من عند الله روي

ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق
اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وكانت هي فيها حسن الوجه حسن
الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا
عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتاويل الزايغ
الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من نفس التحريف والتاويل ليشتروا به اي ياخذوا لانفسهم بمقابلته
ثمنا هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتاويل وانما عبر عن المشترى الذي هو المقصود
بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة
مقصودا بالذات قليلا لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عندما استوجبوا به من العذاب
الخالد فويل لهم تكرير لما سبق للتاكيد وتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد
بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل مما كتبت
ايديهم تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اي كتبته او مصدرية
والاول ادخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف وويل لهم مما يكسبون الكلام
فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التاكيد والتشديد والقصد الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم
هذا من عند الله لما انه من مبادي ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل في التعليل وقالوا بيان لبعض اخر
من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب لن تمسنا النار
في الاخرة الا اياما معدودة قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى ع م
عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم العجل سبعة وروي عن ابن عباس ومجاهد ان اليهود قالوا
عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم
ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التورية ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم و
انهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها قل تبكيتا لهم وتوبيخا اتخذتم باسقاط الهمزة المجتلبة
لوقوعها في الدرج وباظهار الذال وقرئ بادغامها في التاء عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما
تدعون لا يكون الا بناء على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن
شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا اي ان كان
الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم الاخلاف من قضية
الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه
العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة
الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد ام تقولون مفترين على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم
اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ
والتبكيت فان التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى وقولهم المحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء
عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا بالاسناد سببه اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام
للتقرير المودي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كانه قيل ام لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى واما منقطعة و
الاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما
تفيدهم همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وعلا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون بلى

الى اخره جواب عن قولهم المحكى وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا فى ضمن تشريع كلى شامل
لهم ولساير الكفرة بعد ما اظهر كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظايفه
عليه السلم مع ما فيه من الاشعار بانه امر هين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفى خبرا او استفهاما
من كسب سيئة فاحشة من السيئات اى كبيرة من الكباير كدأب هولاء الكفرة والكسب استجلاب النفع و
تعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه
ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته التى كسبها وصارت خاصة من خواصه كما
ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق فى الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابى حاتم عن ابن عباس
رضى الله عنهما وابى هريرة رضى الله عنه وابن جرير عن ابى وائل ومجاهد وقتادة والربيع وقيل السيئة الكفر و
الخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما
يقصد بالعرض لانها من الخطاء وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفى ذلك
ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدا اصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدا والفاء لتضمنه معنى الشرط
وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه
من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم فى الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى فى كلمة
من بعد مراعاة جانب اللفظ فى الضماير الثلثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم فى تينك الحالتين فان
كسب السيئة واحاطة خطيئته به فى حالة الانفراد وصاحبية النار فى حالة الاجتماع اى اولئك الموصوفون
بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اى ملازموها فى الاخرة حسب ملازمتهم فى
الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التى من جملتها ما هم عليه من تكذيب ايات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء
عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب النار الخ لما فى التعميم من التهويل
وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فانى لهم التفصى
عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة فى الاية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها
بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب فى مقام التهويل والذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما
تقتضيه الحكمة فى ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا
ميثاق بنى اسرائيل شروع فى تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف اليهود مما ينادى بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب
باضمار فعل خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التامل فى احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم او اليهود
الموجودون فى عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا
الله على ارادة القول اى وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار فى معنى النهى كقوله تعالى ولا يضار كاتب
ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول له كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى حقه ان
يسارع الى الانتهاء عما نهى عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهى ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره
ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما فى قوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل
انت مخلدى ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل
عليه المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر
اى وتحسنون او احسنوا وذى القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى

جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب وقولوا للناس حسنا
اى قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهى لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما
فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة هما ما فرض عليهم فى شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصب
الظرف خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بنى اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على
اسلافهم لجريان ذكرهم كلهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة لاسلافهم محكية داخلة فى حيز القول المقدر
قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هى عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولى بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد
فى التوبيخ اى اعرضتم عن المضى على مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية
على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اى وانتم
قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب
العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعى عليهم
اخلالهم بمواجب الميثاق الماخوذ منهم فى حقوق العباد على طريقة النهى اثر بيان ما فعلوا بالميثاق الماخوذ منهم فى حقوق
الله سبحانه وما يجرى مجراه على سبيل الامر فان المقصود الاصلى من النهى عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص
العبادة به تعالى اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم فى التورية وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون
انفسكم من دياركم كما قبله اخبار فى معنى النهى غير السبك اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهى الشديد عن
تعرض بعض بنى اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على
جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوى نسبا ودينا للمبالغة فى الحمل على مراعاة حقوق الميثاق
بتصوير المنهى عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل
المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث
انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سياتى من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة
ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فيحتمل الوجهين
مفاد الاول كون المسفوك دماء ادعائية للمخاطبين حقيقة ومفاد الثانى كونه دماء حقيقية للمخاطبين ادعاء وهما
متقاربان فى افادة المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدى الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح
سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا
ما تحرمون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى فمما لا يساعده سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما
ستقف عليه ثم اقررتم اى بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون توكيد للاقرار كقولك
اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم
هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ وتشديد واستبعاد قوى لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق
والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدا وهؤلاء خبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف
الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الاتية فان قوله
عز وجل تقتلون انفسكم الخ بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل
تقتلون انفسكم اى الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير
اما للمخاطبين والمضاف محذوف اى من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين والا

فلا يحقق التكافؤ بين المتوسلين والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه يدور فلك المبالغة في تأكيد الميثاق حسبما
نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم في نقضه من ديارهم الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز الخطاب
ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق الاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث
هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم تظاهرون
عليهم بحذف احدى التائين وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التائين من تظهرون ومعنى
الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص
الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال من فاعله اي
ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب و
العدوان وهو التجاوز في الظلم وان يأتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الاسر
اي الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقرئ اسرى ومحله النصب على الحالية تفادوهم اي تخرجوهم
من الاسر باعطاء الفدا وقرئ تفدوهم قال السدي ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا
من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء
الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا اخربوا ديارهم و
اخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم
تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة
وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدأ ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم و
الجملة خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم تفسيره
اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تأكيد او بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من
فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل
عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم
على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء من دية او
قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر فيما سبق واما تأخيره عن الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدي
فلان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها افتؤمنون ببعض الكتاب اي
التورية التي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اي
أتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والاخراج مع
ان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم
بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم
وتقدمه بوجه من الوجوه حتما واذ ليس ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم
بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا مجرد كفرهم بالبعض و
ايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس فما جزاء من يفعل
ذلك ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها
وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى
منكم حال من فاعل يفعل الا خزي استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة

والتكثير للتفخيم وهو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية في الحيوة الدنيا في
حيز الرفع على انه صفة خزي اي خزي كائن في الحيوة الدنيا او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم
بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض
ويوم القيمة يردون وقرئ بالتاء او بصيغة الجمع نظرا الى معنى من بعدما اوثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد
انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا
من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافي بين
جزائي النشأتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر وما الله بغافل
عما تعملون من القبائح التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تأكيد للوعيد اولئك الموصوفون
بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين اشتروا اي آثروا الحيوة الدنيا واستبدلوها
بالآخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم
لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنية الدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا كان او اخرويا ولاهم
ينصرون بدفعه عنهم بشفاعة او جبر والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر
لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها ولقد آتينا موسى الكتاب شروع في بيان بعض آخر من
جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا
فلم يطيقوا بحملها فخفف الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي
ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا
وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم
البينات المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى
بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة
قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اي قويناه وقرئ
آيدناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عليه السلام كقولك
حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث
وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن وروحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى
بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليه السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس
لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها واما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها ولحسم
مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام افكلما
جاءكم رسول من اولئك الرسل بما لا تهوى انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوى
كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم
والموافقة لها لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم
ذلك بهذا او للتعجيب من شأنهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم
رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا
منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب وفريقا آخر

منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام
وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة او
للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام وسحروه وسمموا له الشاة حتى قال
صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا بيان لفن اخر من قبائحهم على
طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم و
حكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي عليه السلام
قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها
ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف
ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن
غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليه حديث الا وعته ولو كان
في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول
بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم
بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا تنفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق
وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فانى لهم ادعاء العلم الذي هو اجل اثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته
فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم
ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا
اخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان ولما جاءهم كتاب
هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اي كائن من عنده للتشريف مصدق
لما معهم من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم
بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا من قبل اي من قبل مجيئه
يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا
بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا
يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم
ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسالون من انفسهم الفتح
عليهم او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله
عز وعلا فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف
من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء
بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة
على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى
هو راي المبرد او جوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى
وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد
بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه

ذلك

ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر
موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم
داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما
اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم
وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب وبناؤه انه للايذان بكون المذموم
ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب
المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به بغيا
حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا حتما دون اشتروا للفاصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه
وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل بما سيأتي
من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به
انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء اي يشاؤه ويصطفيه
من عباده المستاهلين لتحمل اعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل
ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره حسب تكثره فباءوا بغضب على غضب اي رجعوا
ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل
كفروا بمحمد عليه السلام بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير بن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم
وللكافرين اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به
اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس
والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلوة والسلام واذا قيل لهم من جانب المؤمنين لهم اي اليهود وتقديم الجار والمجرور
قد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ امنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن
سلك به مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما امنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون
وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان بما انزل
علينا يعنون به التوراة وما انزل على انبياء بني اسرائيل عليهم السلام لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل
عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل عليهم
السلام وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من
ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التوراة وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني
على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من
مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم
عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عما حذف به تعسف لا يخفى
والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه
وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد به مجرد بيان
ان افرادهم ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم
حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اي المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل
يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء

صفقتها

واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اى احقه مصدقا لما معهم من التورية والمعنى قالوا نومن بما انزل
علينا وهم يكفرون بالقران والحال انه حق مصدق لما امنوا به فيلزمهم الكفر بما امنوا به ومال الرد انهم ادعوا الايمان بالتورية
والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيت لهم من جهة الله عز من قائل ببيان التناقض بين اقوالهم
وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية
تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في
العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب
شرط محذوف اى قل لهم ان كنتم مومنين بالتورية كما تزعمون فلاى شئ كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها
حرام وقرئ انبياء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مومنين تكرير للاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد
اى ان كنتم مومنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل
لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا ياتى الا على راى الكوفيين وابى زيد وقيل ان نافية اى ما
كنتم مومنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا
تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التى من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اى والله لقد جاءكم موسى
ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التى هى العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع
وفلق البحر وقد عد منها التورية وليس بواضح فان المجئ بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اى الها من بعده اى
من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التورية من جملة البينات وثم للتراخى في الرتبة والدلالة
على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في
غير موضعها او بالاخلال بحقوق ايات الله تعالى او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من
جهة الله سبحانه وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير بعض جناياتهم الناطقة بكذبهم اى واذكروا
حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى خذوا بما امرتم به في
التورية واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبنى على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك
المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها
واشربوا في قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اى تداخلهم حبه ورسخ في
قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم
بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم
بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما
سول لهم السامرى قل توبيخا لحاضرى اليهود اثر ما بين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما ياتون
ويذرون بئسما يأمركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اى ما ذكر من
قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه
ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مومنين فانه قدح في دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التورية
وابطال لها وتقريره ان كنتم مومنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به ايمانكم بها واذ لا
يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمومنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه
قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما ان المامور به تبكيتهم واظهار كذبهم في فن اخر من اباطيلهم لكنه

السادس



لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار الاخرة اى
الجنة او نعيم الدار الاخرة عند الله خالصة اى سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها
على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر اعنى لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال
خلص لى كذا من كذا واللام للجنس اى الناس كافة او للعهد اى المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق
الى التخلص اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال على كرم الله وجهه لا ابالى اسقطت
على الموت او سقط الموت على وقال عمار بن ياسر بصفين الان الاقى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين
احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنى وقوله تعالى ان كنتم صادقين
تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا
وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن
يتمنوه ابدا كلام مستانف غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا
اليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصى الموجبة لدخول النار كالكفر
بالنبى عليه السلام والقران وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنايعه ومدار
اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اى بهم وايثار الاظهار على الاضمار
لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التى من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل
لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون
منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبى
صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى يهودى على وجه الارض ولتجدنهم
احرص الناس من الوجدان العقلى وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص
والتنكير في قوله تعالى على حيوة للايذان بان مرادهم نوع خاص منها وهى الحيوة المتطاولة وقرئ بالتعريف و
من الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم
في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما
كان اشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف
ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اى واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريق
الاستيناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف خبره الظرف المقدم على ان يكون المراد بالمشركين
اليهود لقولهم عزير ابن الله اى ومنهم طائفة يود احدهم ايهم كان اى كل واحد منهم لو يعمر الف سنة و
هو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتنى اعمر وانما اجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب
على انه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبى وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد
الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه اى يبعده
وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وان يعمر مفسره
والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد المعنى او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم
سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير
بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشئ الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اى عليم بخفيات اعمالهم
فهو مجازيهم لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن

صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه بالوحي فقال عليه السلام جبرائيل فقال هو عدونا ولو كان غيره لامنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فباي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لشك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلم فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه ان كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل كسلسبيل وجبرئيل كجحمرش وجبرئل وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله **فانه نزله** تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الاول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شانه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء من صفاته **على قلبك** زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة **باذن الله** بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى **مصدقا لما بين يديه** اي من الكتب الالهية التي معظمها التورية حال من مفعوله وكذا قوله تعالى **وهدى وبشرى للمؤمنين** والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب محذوف تقديره فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو له **من كان عدوا لله** اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا او الخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشانهم وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل **وملائكته ورسله وجبريل وميكال** وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشمله عنوان الملائكة والرسالة لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع وقوله تعالى **فان الله عدو للكافرين** اي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان

بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل **ولقد انزلنا اليك آيات بينات** واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل **وما يكفر بها الا الفاسقون** اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا **اوكلما عاهدوا عهدا** الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو على تقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد **نبذه فريق منهم** اي رموا بالذمام ورفضوه وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه **بل اكثرهم لا يؤمنون** اي بالتورية وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون بها سرا **ولما جاءهم رسول** هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم **من عند الله** متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتاكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية **مصدق لما معهم** من التورية من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية نبوة موسى عليه السلام بما انزل عليه او من حيث انه عليه السلام جاء على وفق ما نعت فيها **نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب** اي التورية وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلوا الشياطين وايثارهم له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ **كتاب الله** اي الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتورية فاتفقت التورية والفرقان فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل ذلك حسبما ذكر وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه بناء على كون كتاب الله الذي جاء به فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب **وراء ظهورهم** مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه **كانهم لا يعلمون** جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشتبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الاتقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم عما في التورية من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن

فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله فيه مافي الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمومني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يومنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على جواب لما اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقراوها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجي الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا على ملك سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين تسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان ع م كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشيا المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه السلام وانه بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشيا وما كفر سليمان تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهيته بذلك ولكن الشياطين وقرى بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان رائحة الفعل كافية في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة هذا على تقدير رجوعه الى ضمير كفروا واما استينافا فحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابرهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابية وفرقة يقولون بالالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان تبلغ روحه بالتصفيه في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزايم وتسخير الجن ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفيه وقراءة العزايم والرقى الى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبيا والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما ياتي ويذر وكان من يستعين بهم من الارواح الخيرة وكانت عزايمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من

الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين بهم من الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه او من السحر عن الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع اقوى منه او على ما تتلوا وما بينهما اعتراض اي واتبعوا ما انزل الخ وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس او لان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملئكة عليهم السلام لما راوا ما يصعد من ذنوب بني ادم عيروهم وقالوا لله سبحانه هولاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهما نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل الناس تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد اللتيا والتي ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد ادريس عليه السلام فالتجا اليه لتشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر ببابل الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية هاروت وماروت عطفا بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا واما من قرا الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرى بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد من مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرى يعلمان من الاعلام حتى يقولا انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف الناس عن

الخوارق

تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله
عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على
الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النهي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب
بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشان النصح والارشاد والجملة في محل النصب
على الحالية من ضمير يعلمان لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم
على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله
تعالى وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على
الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون
باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر مكون مثلنا فيأباه ان مقام وصف الشياطين
بالكفر واضلال الناس بما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان
الابدال في حكم تنحية المبدل منه فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد
قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى وما منكم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اي
بسببه وباستعماله بين المرء وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة وزوجه بان يحدث
الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عند ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات
عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيراه الناس ويعتقدون
انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم وما هم بضارين به اي بما تعلموه واستعملوه من السحر من احد اي احدا و
من مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حملت الاسمية
في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التأثير بالذات
وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدث والاستثناء مفرغ والباء
متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتماده على النفي والضمير المجرور في به
اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور والفصل ما بين
المضافين بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم صرح
بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار
باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن
غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف
الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا اي اليهود الذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين
بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز
الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى ما له في الاخرة من خلاق اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة
في المبتدأ وفي الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الاخرة وهذه
الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله
الوحدان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب
سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في
الاخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب

ما فعلوا

سابقهما غالبا فيكون الجملتان مقسما عليهما ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها واللام جواب قسم محذوف
والمخصوص بالذم محذوف اي والله لبئس ما باعوا انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله
وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون الشري بمعنى الاشتراء مما لا سبيل
اليه لان المشتري متعين وهو ما تتلو الشياطين ولان متعلق الذم هو المأخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله
تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم
او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمي
العقلي الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب عليه من غير تحقيق وجواب لو محذوف اي لما فعلوا ما
ما فعلوا ولو انهم امنوا اي بالرسول المومى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ او بما انزل اليه
من الايات المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتورية التي
اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول عليه
السلام كفر بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة
من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة
لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة لتشريفها لمثوبة اي لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اي لاثيبوا و
ما بعده جملة مستأنفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انهم
من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان
المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين
امنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض اخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة
في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا من العلم اي راقبنا وانظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية
يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة
الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه الصلوة والسلام
الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله
والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها
فنزلت الاية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس
فقيل وقولوا انظرنا اي انظر الينا بالحذف والايصال وانظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من
النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن كدارع و
لابن لانه لما اشبه قول راعينا وكان سببا للسب بالرعن اتصف به واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة
وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع
طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اي اليهود الذين تولوا
بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب اليم
لما اجترؤا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود

الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكأنه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى من اهل الكتاب ولا المشركين للتبيين كما في قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما ستعرفه ان ينزل عليكم في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الآتي وقوله تعالى من خير هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعريضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما في اثناء ذكر ابتلائهم بدئ بهم ولم يلزم من نفي ودادتهم لما ذكر نفي ودادة المشركين زيدت كلمة لا لتأكيد النفي والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي كرم الله وجهه بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسباق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصود اي يؤتي رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا تفضلا لا تتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونيهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها فان الاضمار في الثانية مبني عن توقفها على الاولى ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقية الوحي ورد كلام الكارهين له رأسا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه السلام يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النساء اي نؤخرها وننسها بالتشديد

وتُنسها وتَنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل والى غير بدل نأت بخير منها اي نوع آخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل بحسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام ألم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه أليس الله بكاف عبده وقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عليه السلام وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لأن وايثاره على ان يقال ان لله ملك السموات والارض للقصد الى تقوي الحكم بتكرر الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف ان مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها دوما لزيادة التأكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء اي ألم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة خبرا لأن داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطاب السابق للامة ايضا وانما افراده عليه السلام بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى أم تريدون تجريد للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وأم منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور

تقتضي في حال

بعض محافل المشاهدة منهم في ذلك وامارات المآثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع
الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة
في انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدور نفسه والمعنى بل اتريدون ان تسألوا
وانتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم
بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل
الحكم الداعية الى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة
كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد
محذوف وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى
الظاهر ان يقال كما سألوا موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني مسؤولية
الرسول عليه السلام حتى تشبه بمسؤولية موسى عليه السلام فلعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم
فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية واكتفي بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر
كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز ان يكون ما
موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سئله موسى عليه السلام وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل
جيء به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره ويأخذه
لنفسه بالايمان بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك
اي السؤال المذكور او ارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة
التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق
المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم
الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل
ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية روما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل
من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء على منهاج حصول
الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على القولين باعتبار انهم من امة
الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم
للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا
من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا
الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان
لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا
وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما
في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا
لود والتقدير يود ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك من بعد
ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله

رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا وقيل هو حال
من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة
كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوا
وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه
من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لود او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد الاسف على من له
خير بخيره من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق
لو على زعمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة
وبما عاينوا في التورية من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة
والعقوبة والصفح ترك التثريب والتانيب حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم
بضرب الجزية عليهم والاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ باية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب
الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ان الله
على كل شيء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف
على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة
او صدقة او غير ذلك اي اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا
من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا
عطف على ود والضمير لاهل الكتابين جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل
الجنة الا من كان هودا والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله
ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم باولئك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على
وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ
وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا تلك
امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبنية لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه
والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى
ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم
على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا ما تقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه
اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي تضمنه دعوى الاختصاص به فان قوله تعالى بلى
الى آخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي ما اثبتوه واذ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي
مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي
اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل
عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات
مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول
وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته
اعجز وانما الفائز به من انتظمه قوله سبحانه من اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه

لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذى هو من اخص خصايص الاخلاص او توجهه وقصده
بحيث لا يلوى عزيمته الى شى غيره **وهو محسن** حال من ضمير اسلم اى والحال انه محسن فى جميع اعماله التى من جملتها الاسلام
المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللايق وهو حسنه الوصفى التابع لحسنه الذاتى وقد فسره صلى الله
عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **فله اجره** الذى وعده على عمله وهو عبارة عن دخول
الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا وايا ما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه
وقوله تعالى **عند ربه** حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار فى الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب
مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اى فله اجره عند مالكه ومدبر
اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطيه وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون
الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اى بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف
على ذلك المقدر وايا ما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان اولئك
المدعين من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل **ولا خوف عليهم** فى الدارين من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
والجمع فى الضماير الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضماير الاول باعتبار اللفظ **وقالت اليهود ليست النصارى
على شى** بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد
نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على
شى اى امر يعتد به من الدين او على شى ما منه اصلا مبالغة فى ذلك كما قالوا اقل من لا شى وكفروا بعيسى والانجيل
وقالت النصارى ليست اليهود على شى على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتورية لا انهم قالوا ذلك بناء لا انكم
على منسوخية التورية **وهم يتلون الكتاب** الواو للحال واللام للجنس اى قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم من
اهل العلم والكتاب اى كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما نطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك اى
مثل ذلك الذى سمعت به والكاف فى محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اى قولا
مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له **قال الذين لا يعلمون** من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اى قالوا
لاهل كل دين ليسوا على شى واما على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اى قال القول الذين لا يعلمون
حال كونه مثل ذلك القول الذى سمعت به **مثل قولهم** اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفى قبله اى مثل
ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك
من لا يعلم اصلا **فالله يحكم بينهم** اى بين اليهود والنصارى فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة
غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم **يوم القيمة** متعلق بيحكم وكذا
ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى **فيما كانوا فيه يختلفون** بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل
حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤس الآى لا
بكانوا **ومن اظلم ممن منع مساجد الله** انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم
يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من
فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك فى اى
مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طايفة معينة فى مسجد مخصوص روى ان النصارى كانوا يطرحون فى بيت
المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقد

بما ذكره

نقل عن ابن عباس رضى الله عنه ان طيطوس الرومى ملك النصارى واصحابه غزوا بنى اسرايل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا
ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه
المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى
والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى
النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
فتعلقها بما قبلها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة القايلين لكل من عداهم ليسوا على شى **ان يذكر فيها اسمه** ثانى
مفعولى منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يومنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون
ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك مفعولا له اى كراهة ان يذكر فيها اسمه **وسعى فى خرابها**
بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر **اولئك** المانعون الظالمون الساعون فى خرابها **ما كان لهم ان يدخلوها الا
خائفين** اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان
يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرايص من جهة المومنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم
منها او ما كان لهم فى علم الله تعالى وقضايه بالاخرة الا ذلك فيكون وعدا للمومنين بالنصر واستخلاص ما استولوا عليه
منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روى انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهى
عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الايمة فى ذلك فجوزه ابو حنيفة رضى الله عنه مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق
الشافعى بين المسجد الحرام وغيره **لهم** اى لاولئك المذكورين **فى الدنيا خزى** اى خزى فظيع لا يوصف بالقتل
والسبى والاذلال بضرب الجزية عليهم **ولهم فى الاخرة عذاب عظيم** وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو
ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وتقديم الظرف فى الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزى والعذاب لما مر من
ان تاخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما فى قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك **ولله المشرق والمغرب** اى له كل الارض التى هى عبارة
عن ناحيتى المشرق لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من
اقامة العبادة فى المسجد الاقصى او المسجد الحرام **فاينما تولوا** اى ففى اى مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة
فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبنى على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه
الله مبتدأ والجملة فى محل الجزم على انها جواب الشرط اى هناك جهته التى امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون
مسجد او مكان دون اخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمى اى فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرى بفتح التاء
واللام اى فاينما توجهوا القبلة **ان الله واسع** باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده **عليم** بمصالحهم
واعمالهم فى الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطيه وعن ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلوة المسافر على الراحلة
اينما توجهوا وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد
ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هى توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون فى جهة **وقالوا اتخذ الله
ولدا** حكاية لطرف اخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت لا على
صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرى
بغير واو على الاستيناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملايكة
بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اى صير
بعض مخلوقاته ولدا **سبحانه** تنزيه وتبرية له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدر

والمغرب

ولا يكاد يذكر ناصبه اى انزه سبحانه اى انزهه تنزيها لايق به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو
الذهاب والابعاد فى الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما
العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى
التنزه اى تنزه بذاته تنزها حقيقا به وفيه مبالغة من حيث اسناد البراة الى الذات المقدسه وان كان التنزيه اعتقاد
نزاهته تعالى عما لا يليق به لا اثباتها له تعالى وقوله تعالى بل له ما فى السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على
بطلانه وكلمة بل للاضراب عما تقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشى من المخلوقات ومن سرعة فنا
الموجد الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكيه مع امكانها
وفنائها بالاخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجرى مجرى الولد من الحيوان اى ليس الامر كما زعموا بل هو خالق
جميع الموجودات التى من جملتها عزير والمسيح والملكه كل التنوين عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما كائنا ما
كان من اولى العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصى شى منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن
كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشى ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جئ بما المختصه بغير اولى العلم
تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا الى بعض منهم وصيغة جمع العقلاء فى قانتون للتغليب او كل من جعلوه
لله ولدا له قانتون اى مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيله بديع السموات والارض اى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع
كما يطلق على المبدع يطلق على المبدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر
فى القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع فى قوله امن ريحانة الداعى السميع وقيل هو من اضافه الصفة المشبهه
الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فايق
وحسن رايق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه
والله سبحانه مبدع الاشيا كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدا محذوف
اى هو بديع الخ وقرى بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير فى له على راى من يجوز الابدال من الضمير المجرور
كما فى قوله على جوده لضن بالماء حاتم واذا قضى امرا اى اراد شيا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيا واصل
القضا الاحكام اطلق على الارادة الالهيه المتعلقه بوجود الشى لايجابها اياه البته وقيل الامر ومنه قوله تعالى
وقضى ربك الخ فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر
والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتى المقدورات بحسب تعلق مشيته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها
بما هو علم فى الباب من طاعة المامور المطيع للامر القوى المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح بحجة اخرى
لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شان من يفتقر فى تحصيل مراده الى مباد يستدعى ترتبها مرور زمان
وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع اخر من قبائحهم وهو قدحهم
فى امر النبوة بعد حكاية قدحهم فى شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف فى هولاء القائلين
فقال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد
والنبوة كما ينبغى او لعدم عملهم بموجب علمهم او لما ان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال
قتاده واكثر اهل التفسير هم مشركو العرب لقوله تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملئكة
او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اى هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا على
نبوتك او تاتينا اية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة

الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما اتاهم من البينات الباهرة التى تخر لها صم
الجبال من قبيل الايات قاتلهم الله انى يوفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد قال
الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد
الخ وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ تشابهت قلوبهم اى قلوب هولاء واولئك فى العمى و
العناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الايات اى نزلناها بينة بان جعلناها كذلك فى انفسها كما فى قولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين ويوقنون الحقايق
لا يعتريهم شبهة ولا ريبه وهذا رد لطلبهم الاية وفى تعريف الايات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال
التوضيح مكان الاتيان الذى طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا اية فذة ونحن قد بينا الايات العظام لقوم يطلبون
الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب
انا ارسلناك بالحق اى ملتبسا بالقران كما فى قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما فى قوله تعالى احق
هو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اى ارسلناك ملتبسا بالقران حال
كونك بشيرا لمن امن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب
ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا وما عليك الا ان تبلغ الا ان تجبرهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا
تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرى لن تسال وما تسال وقرى لا تسال على صيغة
النهى ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع
السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن السوال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم
المتاجج من النار وفى التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع
عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة
شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافيه بين
لتاكيد النفى لما مر من ان تصلب اليهود فى امثال هذه العظايم اشد من النصارى وللاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى
الاخرى اى لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم
فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة فى اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا
عنه عليه السلام من اسلامهم ما لا غاية ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل
تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالتهم فى انفسهم ومقالتهم
فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبى صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت فى طلب
رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله
هو الهدى صريح فى ان ما وقع هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من الدعوة
الى اليهوديه والنصرانيه وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اى
قل ردا عليهم ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه
هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اى ارائهم الزائغة الصادرة
عنهم بقضية شهوات انفسهم وهى التى عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هى التى ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة
على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقى للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذى جاءك من العلم اى الوحى او الدين المعلوم
صحته ما لك من الله من جهته العزيزة من ولى يلى امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم

يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتاكيد لا بين المعطوفين لتاكيد النفي وهذا من باب التهييج والالهاب
والا فاني توهم امكان اتباعه عليه السلام لملتهم وهو جواب القسم الذي وطاه اللام واكتفي به عن جواب الشرط • الذين
آتيناهم الكتاب • هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه • يتلونه حق تلاوته • بمراعاة لفظه عن التحريف و
بالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له • اولئك • اشارة الى الموصوفين
بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل • يؤمنون به • اي بكتابهم دون
المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه • ومن يكفر به • بالتحريف والكفر بما يصدقه • فاولئك
هم الخاسرون • حيث اشتروا الكفر بالايمان • يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • ومن جملتها التورية وذكر النعمة
انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان
به عليه السلام • واني فضلتكم على العالمين • افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها
فيما بين فنون النعم • واتقوا • ان لم تؤمنوا • يوما لا تجزي • في ذلك اليوم • نفس • من النفوس • عن نفس
اخرى • شيئا • من الاشياء او شيئا من الجزاء • ولا يقبل منها عدل • اي فدية • ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة
لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح • واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات • شروع في تحقيق ان
هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابرهيم عليه السلام وان ما عليه اهل
الكتابين اهواء زائغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم وابنائه الا
عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه
وسلم وبكونه ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي استدعاه اسمعيل وابراهيم عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم الاية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين اي واذكر لهم وقت
ابتلائه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم
فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه
في اثناء تفسير قوله تعالى عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اي واذ
ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر
معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائه عليهم السلام من
الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه
لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا
يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مبادي العادية كمن يختبر عبده
ليتعرف حاله من الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق او
التقارب بين السرياني والعربي الا يرى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال
المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى
في الروضة ابراهيم عليه السلام وحوله اولاد الناس وهو مفعول قدم للاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية
تشريف له عليه السلام وايذانا بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر
حيث كلفه اوامر ونواهي يظهر بها حسن قيامه بحقوقها وقدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة
وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي

صلى الله عليه وسلم ايضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه للنبوة العامة كيف لا وهي التي
اجيب بها دعوة ابراهيم عليه السلام كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه يأباه
الفاء في فاتمهن ثم الاستيناف وقال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهن سنة
في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الختان وحلق
العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من
اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم
ابتلاه الله تعالى بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين
والمسلمات الخ وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله
سبحانه بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هن محاجة
قومه والصلوة والزكوة والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك كالطواف والسعي والرمي والاحرام
والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الايات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة
وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم
ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا • فاتمهن • اي قام بهن حق القيام واداهن احسن
التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير
نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الايات وقوله عز وجل • قال
على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور
فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه فبعد حكايتهما ترتقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل
قال • اني جاعلك للناس اماما • او بيان لقوله تعالى ابتلى على راي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة و
تطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة
والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال اذ ابتلى الى اخره والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم
الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك
اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تاخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته
وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباع ملته • قال • استيناف
مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام عنده فقيل قال • ومن ذريتي • عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة
بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن يقول ساكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض
بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة
من ذروت او ذريت والاصل ذرووة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء
فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية
او فعلية منهما والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احداهما بالسكون فصارت ذريية
كالثانية فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعيلة من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها
ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعيلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة
ياء لتوالي الامثال كما في تسري وتقضي وتظني فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء
الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها • قال • استيناف

مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق لا ينال عهدى الظالمين ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام بل اجابة
خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع فى استدعائه عليه السلام
من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس
معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين
لمبادى الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين لئلا ينتظم المعدودون بالائمة من الامة فى سلك المحرومين
وفى تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما فى هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم
الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عليه السلام كاسمعيل واسحق ويعقوب
ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هى حاصلة فى ضمن امامة ابراهيم عليه السلام تنال كلا منهم فى وقت قدره
الله عز وجل وقرى الظالمون على ان عهدى مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبيا
عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اى
الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل
معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة اى مرجعا يثوب اليه الزوار بعدما
تفرقوا عنه او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثانى واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله
واللام فى قوله تعالى للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اى مثابة كائنة للناس او بجعلنا اى جعلناه
لاجل الناس وقرى مثابات باعتبار تعدد التائبين وامنا اى آمنا كما فى قوله تعالى حرما امنا على ايقاع المصدر
موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اى ذا امن او على الاسناد المجازى اى امنا من حجه من عذاب
الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو راى ابى حنيفة
رضى الله عنه ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شئ كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه
امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعله اى وقلنا او قائلين لهم
اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذى تضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ
وقيل على المضمر العامل فى اذ وقيل هى جملة مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه السلام ولامته والاول هو
الاليق بجزالة النظم الكريم والامر مصرحا كان او مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان و
هو الحجر الذى عليه اثر قدمه عليه السلام والموضع الذى كان عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد
البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء روى انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر
رضى الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضى الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر رضى الله عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام
ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعى فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم
الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرى و
اتخذوا على صيغة الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته
عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اى امرناهما امرا مؤكدا ان طهرا بيتى بان طهراه
على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا والجواز كون صلتها امرا ونهيا كما فى قوله عز وجل وان اقم وجهك

للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهى متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية فى صلة الموصول
الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفى فليس كذلك
ولما كان الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهى صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك
عن معنى الامر والنهى نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال اوای تفسيرية على ان مفسرة لتضمن
العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ههنا اليهما عليهما السلام
لا ينافى ما فى سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت وكان اسمعيل عليه السلام حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهى وتمام البناء
بمباشرته كما ينبى عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض
وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين فى الصلوة
كما فى قوله عز وعلا للطائفين والقائمين والركع السجود جمع راكع وساجد اى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع
والسجود من هيئات المصلى ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او اخلصه لهؤلاء لئلا يغشاه
غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم به وان كانت مع مقارنة امر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه واذ قال ابراهيم
عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا امنا ذا امن كعيشة
راضية او امنا اهله كليله نائم اى اجعل هذا الوادى من البلاد الامنة وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما
روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام
تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم قالت
اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى فقال ربنا انى اسكنت الاية وتعريف البلد
مع جعله صفة لهذا فى سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال لما انه عليه السلام سال اولا كلا الامرين البلدية والامن
فاستجيب له فى احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر له لما يقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد فى الدعاء
والابتهال وكان المسؤول اولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما فى سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن
المعهود او كان هو المسؤول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثانى لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد
صفة لهذا لانه المقصد الاصلى ولان المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال
وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكى ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن
حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوى اليه كما سياتى تفصيله هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله من
الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه
يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الطائف كانت من
ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهرى
انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل
من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشان اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه
ترغيب لقومه فى الايمان وزجر عن الكفر كما ان فى حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال استيناف
مبنى على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من امن ومن كفر
وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك الفعل او فى محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فامتعه خبره اى فانا امتعه وانما دخلته الفاء
تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف

على من امن عطف بالعين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا مجاب كانه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبه تع
على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه قليلا
تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من
النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابرهيم
عليه السلام وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطراره
الى عذاب النار واما رزق من امن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف
المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس و
بئس المصير المخصوص بالذم محذوف اى بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت عطف
على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة
من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه نقلها من هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما صارا شيا واحدا فكانها نمت وارتفعت
وقيل المراد بها سافات البنا فان كل ساف قاعدة لما يبنى عليه وبرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع
مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شانها ما لا يخفى وقيل
المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني يجعل هيئة القاعدة المستوطاة مرتفعة عالية بالبناء روي
ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك
ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد
حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على
ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم
عليه السلام فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم عليه السلام
حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت وسار ابراهيم في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة
فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا
ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاء جبريل بالحجر الاسود من السما وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد
خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضا من يواقيت الجنة فلما مسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي
في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي تحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها
بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الاسما واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل
خلق ادم عليه السلام ومنها بناء ادم عليه السلام ذكره البيهقي في دلايل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى ادم عليهما السلام فقال له ولحوا ابنيا
لي بيتا فخط جبريل وجعل ادم عليه السلام يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا ادم
فلما بنياه اوحى اليه ان يطوف به وقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكر الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق
في مصنفه ومنها بناء ادم عندما نعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها ادم عليه السلام وكانت ضربت في موضع البيت
فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان نسفه الغرق في عهد نوح عم
ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القران مشهور في ما

السابع

بين قاص ودان ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ومنها
بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي
الله عنهما ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناها
لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على
ابراهيم ولعل تاخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها
وقيل كان يبنيان من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول اى يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام
وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعان اى وقت رفعهما
وقيل واسمعيل مبتدا خبره قول محذوف هو العامل في ربنا تقبل منا فيكون ابراهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة
في محل النصب على الحالية اى واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية
المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول
تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعا وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده
من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا
العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تع
سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما
مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتاكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر نعتي السمع والعلم عليه تعالى
لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من الامور المحكية
هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس
والامن بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشئون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك
مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك اخر واما قوله
تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك
بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال سبحانه لذلك ربنا واجعلنا
مسلمين لك مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد واياما كان فالمطلوب الزيادة والثبات
على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية
من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق
بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق
الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا
وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من مبينة قدمت على المبين وفصل بها بين
العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا وارنا من الرؤية
بمعنى الابصار او بمعنى التعريف اى بصرنا او عرفنا مناسكنا اى متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل
غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان
الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما وحكايتها
عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا
لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان

يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم اى فى الامة المسلمة رسولا منهم
اى من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبى صلى الله عليه وسلم فهو الذى اجيب
به دعوتهما عليهما السلام روى انه قيل له قد استجيب لك وهو فى اخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امى وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة له لما انه الاصل فى الدعاء واسمعيل تبع له عليهما السلام
يتلوا عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما توحى اليه من البينات ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية الكتاب
اى القران والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم العملية
اى يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصى انك انت العزيز الذى لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم
الذى لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسئول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة
ما اقتضته الحكمة من الامور التى من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة
ومن يرغب عن ملة ابراهيم انكار واستبعاد لان يكون فى العقلاء من يرغب عن ملته التى هى الحق الصريح والدين
الصحيح اى لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء الا من سفه نفسه اى اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر
نفسه وقيل اوبق او اهلك او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد فى الخبر الكبر
ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه
والم راسه ونحو قوله ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قومى بثعلبة بن سعد ولا بفزارة
الشعر الرقابا وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ فى اذلال نفسه واذلالها واهانتها حيث خالف
بها كل نفس عاقلة روى ان عبد الله بن سلام دعى ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى
قال فى التورية انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون
فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه فى الدنيا اى اخترناه بالنبوة والحكمة من بين ساير الخلق واصله
اتخاذ صفوة الشى كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون
ما قبلها اى وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى وانه فى الاخرة لمن الصالحين اى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة
والخير والصلاح معطوف عليها داخل فى حيز القسم موكد لمضمونها مقرر لما قرر ولا حاجة الى جعله اعتراضا اخر
وحالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد فى الدنيا مشهودا له بالصلاح فى الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن
ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتامل وايثار الاسمية لما ان انتظامه فى زمرة
صالحى اهل الاخرة امر مستمر فى الدارين لا انه يحدث فى الاخرة والتاكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية
خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور التى تشاهد اثارها وكلمة فى متعلقة بالصالحين على ان
اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر فى الظرف ما لا يغتفر فى غيره
كما فى قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائى بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظه اى وانه لصالح فى الاخرة
لمن الصالحين او من غير لفظه اى اعنى فى الاخرة نحو لك بعد رعيا وقيل هى متعلقة باصطفيناه على ان فى النظم
الكريم تقديما وتاخيرا تقديره ولقد اصطفيناه فى الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف
لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبى بل هو مقرر له لان اصطفاه فى الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الاخرة
او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة و
التقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال
له ربه اسلم اى لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى

اخطر بباله دلايل التوحيد المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكوكب والقمر والشمس وقيل اسلم اى اذعن واطع
وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته و
الالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة
الرب فى جوابه عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته
للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المامور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع فى بيان تكميله عليه السلام
لغيره اثر بيان كماله فى نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة فى ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه
خير وصلاح للمسلمين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصى يصل
فعله بفعل الوصى والضمير فى بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين تاويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى اننى براء مما تعبدون
الا الذى فطرنى فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم
اى وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه يا بنى على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين
لانه فى معنى القول كما فى قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الاخرين
متعلق بالاخبار الذى هو فى معنى القول وقرئ ان يا بنى وبنو ابراهيم عليه السلام كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين
ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثنى عشر روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخر
وزبولون وذوانا ونفتونا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام ان الله اصطفى لكم الدين
دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهى عن
الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اى فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا
كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا
يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وشهداء جمع شهيد
او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام لان
المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم
عن ملة ابراهيم عليه السلام الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكى عنهم واما
تعميم الافتراء هنالك لساير الانبياء عليهم السلام كما قيل فيا باه تخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر وما سياتى من قوله
عز وجل ام يقولون ان ابراهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله
تعالى اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اى ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون
من بعدى اى اى شى تعبدونه بعد موتى فمن اين لكم ان تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجما بالغيب وعنده
هذا اتم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله
ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا
وانتم مسلمون وما يسال به كل شى ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن شى بعينه وان سئل عن وصفه
قيل ما زيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا عن حكاية سؤال يعقوب عليه
السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراد
ابيهم عليه السلام بالسؤال اى نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا

للاب والجد لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع
بالواو والنون كما في قوله فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم
عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص
ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق
تلك امة مبتداء وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق
الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت
الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة
او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة
لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على
نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتداة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في
الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه
كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم
الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما
الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء
الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا ياتيني
الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ان اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة
لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما
كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات
الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل اي
لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا يثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف لا وهم منزهون
من كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفاعه وقالوا شروع في بيان فن
اخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات
المؤذن باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين
كونوا هودا او نصارى ليس هذا القول مقولا لكلهم اي ولا لاي طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما
على وجه خاص تقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى
فنقل بالنظم الكريم ما فعل بقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا
جواب للامر اي تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل لهم على سبيل الرد عليهم
وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عليه السلام
وقيل بل نتبع ملته عليه السلام وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرئ
بالرفع اي بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته اي اهل ملته حنيفا اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من
المضاف اليه كما في رأيت وجه هند قائمة في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الخ وما كان من
المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم عزير بن الله والمسيح بن الله

قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشادهم الى طريق التوحيد
والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وارشادا ضمنيا لهم اليه آمنا بالله وما انزل
الينا يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تأخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها وما انزل
الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده
عليه السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا
والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام او ابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة
ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما
فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى
وما اوتي النبيون اي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات
لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم
بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بينهما او توه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي
فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله
صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو
بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم و
بين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا
على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال
من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اي مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على آمنا فان
آمنوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتابين لما
انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما آمنتم به اي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به ويجوز ان
يكون الباء للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بوروده آنفا او على ان الفعل مجرى مجرى اللازم اي فان آمنوا ايمانا
مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان يكون الاولى زائدة والثانية صلة لآمنتم وما مصدرية اي
فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان تكونا للملابسة اي فان آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به او فان
آمنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما آمنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان
ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن به فانه لا يتصور
فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى
فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطريق فيأباه ان المقام
تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائم تجويز ان يكون له طريق آخر وراءه وان تولوا اي اعرضوا عن
الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كان آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودينهم فانما هم
في شقاق المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداء من العدوة اي الجانب
فان احد المخالفين يعرض عن الآخر صورة او معنى ويوليه خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين
للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم
ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي على ان المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان

بجواب الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم فى ذلك واما تاويل
فاعلموا انما هم فى شقاق هذا هو الذى يستدعيه فخامة شان التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فان امنوا الخ من
باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مماثلا له فى
الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب فى انه مما لا يليق بجلالة النظم الكريم عليه
ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدى الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التاييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق
الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله اى سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال
وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبى صلى
الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة فى ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب
وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد فى مناهضة الاعداء من وظايف الرؤسا فنعمته تعالى فى الكفاية
والنصر فى حقه عليه السلام اتم واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتاكيد له والمعنى انه
تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما فى نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة
اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه فى قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد
الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهى الحالة
التى يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذى فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر
وحلية تزينهم باثاره الجميلة ومتداخلا فى قلوبهم كما ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة
التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه
تحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع استنادها فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان
بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهى انه مصدر مؤكد لقوله تعالى امنا داخل معه فى حيز قولوا
منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغته وقيل هى منصوبة بفعل الاغراء
اى الزموا صبغة الله وانما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان ان الايمان الحق وبه الاهتداء وتسارعا
الى تسليته عليه السلام ومن احسن من الله مبتداء وخبر والاستفهام للانكار والنفى وقوله تعالى صبغة
نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين
الصبغتين لا بين فاعليهما اى لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه كما فى
قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن للحقيقى والفرضى المبنى على زعم الكفرة لم
يلزم منه ان يكون فى صبغة غيره تعالى حسن فى الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما فى صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج
ونحن له اى لله الذى اولانا تلك النعم الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام
ورعاية الفواصل وهو عطف على امنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل
الاغراء بتقدير القول اى الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة حينئذ يجرى
مجرى التعليل للاغراء قل اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت
الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المامور به من الوظايف الخاصة به عليه السلام وقرئ بادغام النون والهمزة
للانكار والتوبيخ اى اتجادلوننا فى الله اى فى دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة
والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية

وكذلك ما عطف عليها اى اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اى مالك امرنا وامركم ولنا
اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له مخلصون فى تلك الاعمال لا نبتغى بها
الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع فى دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام فى قوله
تعالى ام تقولون اما معادلة للهمزة فى قوله تعالى اتحاجوننا داخلة فى حيز الامر على معنى اى الامرين تاتون اقامة الحجة
وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ
عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء
عليهم الصلوة والسلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهى منقطعة لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى
توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا فى
شان الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت
ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء
من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة
اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص
فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى فى اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اى لا انتم فمع عدم ملايمته لسباق
النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح فى نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين
ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب فى ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبنى على
البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال فى استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب
قل ءانتم اعلم ام الله اعادة الامر ليست لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس
متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم
بما وبخوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما فى قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم
ايها المرسلون وقوله عز وعلا قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذى كرمت على لئن اخرتن قال فى الموضعين
وتوسيطه بين قولى قل بل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثانى بالتبعية والاستتباع كما
حرر فى محله اى كذبهم فى ذلك وبكتهم قائلا ءانتم اعلم ام الله وقد نفى عن ابراهيم عليه السلام كلا الامرين
حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء
المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه فى الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما تصفون ومن اظلم
انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهى شهادته تعالى له عليه السلام
بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلى انفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جئ بهما للتعليل الانكار وتاكيده
فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعى الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم
الاول مع انه متاخر فى الوجود لمراعاة طريقة الترقى من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا
هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد
بخلافها فى الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم اقامتها فى مقام المحاجة وفيه تعريض
بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفى اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم
شهادة الله عز وجل للنبى صلى الله عليه وسلم فى التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل

فيها كما انهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا اى هو محيط بجميع ما تأتون وتذرون فيعاقبكم
بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم
الآية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد • تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسألون عما كانوا يعملون • تكرير للمبالغة فى الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم
وهذا لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود • سيقول
السفهاء • اى الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف
النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روى عن ابن
عباس رضى الله عنهما ومجاهد رضى الله عنه قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته عليه السلام لهم
فى القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقاد
حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل الى مكة بل طعنا فى
الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم القادحون فى التحويل منهم جميعا
فيكون قوله تعالى • من الناس • اى الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكى لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلاث
بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض فى فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم
من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضى تسليم الباقين للتحويل وارتضاءهم اياه بل عدم التفوه بالقدح
مطلقا او بالعبارة المحكية • ما ولاهم • اى اى شئ صرفهم والاستفهام للانكار والنفى • عن قبلتهم • القبلة فعلة من المقابلة
كالوجهة من المواجهة وهى الحالة التى يقابل الشئ غيره عليها كالجلسة للحالة التى يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة
اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجهة التى يستقبلها الانسان فى الصلوة والمراد بها ههنا بيت المقدس واضافتها الى
ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى • التى كانوا عليها • اى ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها
لتأكيد الانكار فان الاختصاص بالشئ والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافى الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود
فمدار الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن فى الدين
والقدح فى احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم الانصراف عنها
او التوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما فى الوجود لما ان ترك الدين القديم
ابعد عند العقول وانكار سببه ادخل فى الايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية
بيت المقدس الذى هو القبلة الحقة عندهم لا التوجيه الى خصوصية قبلة اخرى اوهم المشركون بناء على ان المنكر عندهم
ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون
من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما
يبكتهم فان مفاجاة المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد اردّ وقوله عز وجل • قل لله المشرق
والمغرب • استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل الخ اى لله تعالى ناحيتا الارض اى الجهات
كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيته
• يهدى من يشاء • ان يهديه مشية تابعة للحكم الخفية التى لا يعلمها الا هو • الى صراط مستقيم • موصل الى سعادة الدارين
وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشية المقارنة للحكم البالغة
ومصالح خفية • وكذلك جعلناكم • توجيه للخطاب الى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم
لتأييد ما فى مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف

مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه فى سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا
جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد
لا نعتا له اى ذلك الجعل البديع جعلناكم • امة وسطا • لا جعلا آخر ادنى منه والوسط فى الاصل اسم لما يستوى نسبة
الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط
محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائى كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت
طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار فى هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التى جعلت غاية للجعل
المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفى الافراط والتفريط كالعفة التى طرفاها
الفجور والخمود وكالشجاعة التى طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التى طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التى هى كيفية
متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوى فيه
بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التى يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة
رائقة هى ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذى عبر عنه بالصراط المستقيم الذى هو
الطريق السوى الواقع فى وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين
فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع فى وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية
اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اى متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل
• لتكونوا شهداء على الناس • بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مدكر وهو غاية
للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هى الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة التى هى فضيلة
القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التى هى فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التى هى فضيلة القوة العقلية الملكية
المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة فى الكتاب
المبين المنطوى على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا لشرائط الشهادة عليهم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون
تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم
من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخباره تعالى
فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم
وذلك قوله عز قائلا • ويكون الرسول عليكم شهيدا • وكلمة الاستعلاء لما فى الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن و
قيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص
شهادته عليه السلام بهم • وما جعلنا القبلة التى كنت عليها • جرد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون
الكلام من الاسرار الحقيقة بان يخص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل
من ان الجعل تحويل الشئ من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثانى كما فى قولك جعلت الطين خزفا فينبغى ان يكون
المفعول الاول هو الموصول والثانى هو القبلة فكلام صلحى ينساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدى
الى العكس فان المقصود افادة تبدل جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون
غيرها والمراد بالموصول هى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود
او هى الصخرة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من ان قبلته عليه السلام بمكة كان بيت المقدس الا انه كان يجعل

الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فيتاتى ارادتها على الروايتين و المعنى
على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اثر ذي اثير وهي الكعبة وعلى الثاني وما جعلناها التي كنت عليها قبل هذا
الوقت وهي الصخرة • الا لنعلم • استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اي نعاملهم
معاملة من يمتحنهم ونعلم حـ • من يتبع الرسول • في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده
عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع • ممن ينقلب على عقبيه • يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة
الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول او على الاول ما رددناك الى ما كنت عليه
الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي
اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه
او لتمييز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له
قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني
ممن ينقلب الخ اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه • وان كانت لكبيرة • اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة
من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدا والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا و
زعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان زائدة
كما في قوله واخوان لنا كانوا كرام واصله وان هي لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق • الا على الذين هدى الله • اي الى سر الاحكام
الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع
الرسول عليه السلام • وما كان الله ليضيع ايمانكم • اي ما صح وما استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم
واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا
كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما
هو راي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الخ ففي توجيه النفي الى ارادة
الفعل تاكيد ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفية ولا يقدح في
ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى • ان الله بالناس لرؤف رحيم • تحقيق وتقرير للحكم
وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وقدم
على رحيم مع كونه ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى منها
في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الآلام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتآكل
وقرئ لرؤف بغير مد كندس • قد نرى تقلب وجهك في السماء • اي تردد وجهك وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي و
ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم
وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام
بالوحي بالتحويل • فلنولينك قبلة • الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف
يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك
تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين • ترضاها • تحبها وتشتاق
اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته • فول وجهك • الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص
التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اي فاصرفه • شطر المسجد الحرام • اي نحوه وهو نصب

على الظرفية من ولّ او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا
كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا
له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي
عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل
كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى
باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد
مسجد القبلتين • وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره • خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف
مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع العرض لا لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد
وحثا للامة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم
نحو قوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى • وان الذين اوتوا الكتاب • من فريقي اليهود والنصارى • ليعلمون انه • اي
التحويل اي التوجه المفهوم من التولية • الحق • لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة
ومعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول
بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى
• من ربهم • متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض
صلته اي الكائن من ربهم • وما الله بغافل عما يعملون • وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة
فهو وعيد لاهل الكتاب • ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب • وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من
العناد مع تحقق ما يرغمهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قوله • بكل آية • اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل
واللام موطئة للقسم وقوله تعالى • ما تبعوا قبلتك • جواب القسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك
لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا او تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة
والاتيان بالآية من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى • وما انت بتابع قبلتهم • جملة معطوفة على الجملة الشرطية
لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظر
تغريرا له عليه السلام وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها
باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة • وما
بعضهم بتابع قبلة بعض • فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم
لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه • ولئن اتبعت اهواءهم • الزائغة المخالفة • من بعد ما جاءك من العلم • ببطلانها
وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم
فرضا • انك اذا لمن الظالمين • وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه
ورتب على فرضه وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك واذن حرف جواب و
جزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حقها ان تقدم او تتاخر فلم تقدم لئلا يتوهم
انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتاخر لرعاية الفواصل وقد بولغ في
التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من
الانبياء عليهم السلام • الذين آتيناهم الكتاب • اي علماؤهم اذ هم العمدة في اتيانه ووضع الموصول موضع المضمر
مع قرب العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى • يعرفونه • للرسول صلى الله عليه

وسلم والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث
كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين اتيناهم الكتاب
يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه السلام وانه
علم معلوم بغير اعلام فتامل وقيل الضمير للعلم او سببه الذي هو الوحي او القران او التحويل وتوحيد الاول قوله عز وجل كما
يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم
وتخصيصهم بالذكر دون البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سال
عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك
انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه رضي الله عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين
كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين امنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة
بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد الحق بالرفع على انه
مبتدا وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي
يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا غيره كالذي عليه اهل الكتاب او على انه خبر
مبتدا محذوف اي هو الحق وقوله تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقري بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول
ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى
فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه من ربك وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام
عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر
او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض من
المضاف اليه وجهة اي قبلة وقد قري كذلك او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها
احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه او الله موليها اياه وقري ولكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها
اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر ضعف العامل وقري مولاها اي مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات
اي تسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله ثنائي عليكم آل حرب ومن يمل سواكم فاني مهتد غير مائل وهو ابلغ من الامر بالمسارعة
لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او
الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق او
مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض
ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كانها صلوة الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت
الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول او بمحذوف عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت اليه
للسفر فول وجهك عند صلوتك شطر المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اي مكان خرجت اليه فول الخ وانه
اي هذا الامر للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء
فهو وعد للمؤمنين وقري يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه في اسفارك و
مغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر انفا وحيثما كنتم
من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين
في الافاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم

فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يؤكد
امرها مرة غب اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف
يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية من
اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل
مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده
او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها اخس الاباطيل من
قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء
للمبالغة في نفي الحجة راسا كالذي في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان
لا حجة للظالم وقري الا الذين بحرف التنبيه على انه استئناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني
فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما امرتكم لاتمام
النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتي اهتداءكم لما انه صراط مستقيم يؤدي الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله
عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة
التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم
الى اخره او على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ بينهما للمسارعة الى التسلية والتثبيت وفي الخبر
تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما
قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا
مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة اتماما كائنا كاتمامي لها بارسال رسول كائن منكم فان
ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافؤها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني الخ
وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلوا عليكم اياتنا صفة ثانية
لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو اي يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة
صفة اخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها
المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على
حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن
القران تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف
الاحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة
عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم في مقام تقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم
من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه
بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما
قبله من موجباته اي فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لي
ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امرتكم به يا ايها الذين امنوا وصفهم بالايمان اثر
تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تأتون وتذرون
بالصبر على الامور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلوة التي هي ام

العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما
انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني
في الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول
مع على الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ
سوق لبيان ان لا غائلة للمامور به وان الشهادة التي ربما يؤدي اليها الصبر حيوة ابدية لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة
من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رضي الله عنه ان الشهداء احياء عند الله تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت
رايت في المنام سنة تسع وثلثين وتسعمائة اني ازور قبور شهداء احد رضي الله تعالى عنهم وانا اتلو هذه الاية وما في
سورة آل عمران واردّدهما متفكرا في امرهم وفي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رأيت
شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا
منه ما فوق السرة والباقي في القبر خلا اني اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه
فرأيته ينظر الي متبسما كانه ينبهني على ان الامر بخلاف ما رأي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الاية نزلت في
شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت
دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص
الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا
ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع
اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم وانما اخبر به قبل
الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة
ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف
الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم
ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي بيتا في الجنة
وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل من تتاتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي
المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر
نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل
عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم
عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع
بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرافة الفائضة
من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة اليهم اما باعتبار ما سبق والتكرير لاظهار

كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء
في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام
خاصة لما انه متقدم عليهما فلا بد لتاخيره عما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما
قبله كانه قيل واولئك هم المخصوصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى
وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رافة
الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في
الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريده
عن التعلق به فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت الطاء
في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف
واجب عندنا وعن مالك والشافعي رضي الله عنهما انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد
الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة اخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جاء الاسلام
وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه
ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف
وخيرا نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى
فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن تطوع بخير فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عبر عن
ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد عليم مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص
من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله او اثابه فان الله شاكر عليم
ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التوراة من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير
ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من
اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم
لا يابى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره
وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء اخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا
من البينات من الايات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اي والايات الهادية الى
كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا
والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية ويأباه
الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه
وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه
والاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد
منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة
موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته
عليه الصلوة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون الكتاب الخ اولئك
اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعلية ما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بتمادي امرهم وبعد

للصفات

منزلتهم في الفساد • يلعنهم الله • اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع
لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان مبدا صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبداء الانزال
والتبيين من وصف الجمال والرحمة • ويلعنهم اللاعنون • اي الذين تاتي منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملئكة
ومومني الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى • الا الذين تابوا
اي عن الكتمان • واصلحوا • اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف • وبينوا
للناس معاينه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا واخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق
وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا وقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم اضرابهم
وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان و
قوله تعالى • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتاكيد
ذلك • اتوب عليهم • اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله • وانا التواب الرحيم • اي المبالغ في قبول التوب
ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح و
الرمز الى ما مر من اختلاف المبدا في فعليه تعالى السابق واللاحق • ان الذين كفروا • جملة مستانفة سيقت
لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار
على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه فكما ان وجود تلك الامور الثلثة
مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين استمروا على الكفر المستتبع
للكتمان وعدم التوبة • وماتوا وهم كفار • لا يرعوون عن حالتهم الاولى • اولئك • الكلام فيه كما في قبله • عليهم
اي مستقر عليهم • لعنة الله والملئكة والناس اجمعين • ممن يعتد بلعنتهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها
التجددي وقيل الاول لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملئكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه
فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو وتريد من ان ضرب زيد وعمرو وكانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملئكة
الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملئكة • خالدين فيها • اي في اللعنة او في النار على انها اضمرت من غير ذكر
تفخيما لشانها وتهويلا لامرها • لا يخفف عنهم العذاب • اما مستانف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان
كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف • ولا هم
ينظرون • عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا
يوجلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة • والهكم • خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة
واحد • اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا • لا اله الا هو • خبر ثان للمبتداء او صفة اخرى للخبر او اعتراض
وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة • الرحمن الرحيم
خبران اخران للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو قريب للتوحيد فانه تعالى حيث كان مولياً لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها
ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر
استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا
وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت • ان في خلق السموات والارض • اي في ابداعهما
على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدايع صنايع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور
من انها طبقات متخالفة الحقايق دون الارض • واختلاف الليل والنهار • اي تعاقبهما وكون كل منهما خلفا للاخر
كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او اختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى

والفلك التي تجري في البحر • عطف على ما قبله وتانيثه اما بتاويل السفينة او بانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد
في التقدير اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام • بما ينفع الناس • اي ملتبسة بالذي ينفعهم
مما يحمل فيها من انواع المنافع او بنفعهم • وما انزل الله من السماء من ماء • عطف على الفلك وتاخيره عن ذكرها مع
كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه
سبب الخوض فيه والاطلاع على عجايبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر ومن
الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية وايا ما كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او
السحاب او جهة العلو • فاحيا به الارض • بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار • بعد موتها • باستيلاء
اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يوذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء • وبث فيها • اي فرق ونشر • من كل
دابة • من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا الخ متصل بالمعطوف
عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها الخ او على احيا بحذف الجار والمجرور العايد
الى الموصول وان لم يتحقق الشرايط المعهودة كما في قوله • وان لساني شهدة يشتفى بها • ولكن على من صبه الله علقم
وقوله • لعل الذي اصعدتني ان يردني • الى الارض ان لم يقدر الخير قادره • اي اصعدتني به على معنى فاحيا بالماء الارض
وبث به فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا • وتصريف الرياح • عطف على ما انزل اي تقليبها من
مهب الى اخر او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد • والسحاب • عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده
سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو • المسخر بين السماء والارض • صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف
بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشية الله تعالى ولعل
تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في قصة
البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها اية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع
المترتب بعضه على بعض اية واحدة • لايات • اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي
ايات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به
سبحانه • لقوم يعقلون • اي يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا
على النبي صلى الله عليه وسلم اية تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تامل
في تلك الايات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وساير صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة
به تعالى واستغنى بها عن سايرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة
دون ما عداه مستتبعا لاثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان يقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبع
لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيته متعال عن معارضة
الغير اذ لو كان معه اخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم
ومن الناس من يتخذ من دون الله • بيان لكمال ركاكة اراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الايات الباهرة
الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشارك شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة
في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر الخ ومن دون الله متعلق
بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون ذلك الاله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة المقتضية تعالى بالذات غب تعينه
بالصفات • اندادا • اي امثالا وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما ياتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي
كما يفصح عنه ما سياتي من وصفهم بالتبري من المتبعين وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وجل يحبونهم

مبنى على آرائهم الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة
ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منها حب على حد مد لكن الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو
محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء
بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب اما صفة لاندادا او حال من فاعل يتخذ وجمع
الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر موكد للفعل السابق
ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعليهما فانهم كانوا يقرون به تعالى ايضا ويتقربون اليه فالمعنى
يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون
فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلابد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل الحب لا في وصفه كما او كيفا لما سيأتي من التفاوت
البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت خبير
بان لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير ما اسلفناه في تفسير قوله عز وعلا كما سئل موسى
من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا
اشد حبا لله جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف
اي المؤمنون اشد حبا لله تعالى منهم لاندادهم ومآله ان حب اولئك له تعالى اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفيه من الدلالة
على كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه
بغضا وذلك انما يتصور في حبهم لاندادهم لكونه منوطا بمبان فاسدة ومباد موهومة يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا
يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما اياما فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة
الهها عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه
في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سيأتي بل اعتباره مخل بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال
قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه وايثار الاظهار في موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته ولو يرى الذين
ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيامة اي لو علموا اذ عاينوه
وانما اوثر صيغة المستقبل اجراء لها مجرى الماضي في الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب ان القوة لله جميعا
ساد مسد مفعولي يرى وان الله شديد العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر
فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان
بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر او
المستمع من الضجر والتفجع عليه اي لو علموا اذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه احد من اندادهم ان القوة لله تعالى
جميعا ولا دخل لاحد في شيء اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على ان الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب حينئذ لرأيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ
اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العذاب على الاستئناف واضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل
من اذ يرون اي اذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم
اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس اني كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ
بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على
تبرأ والضمير في رأوا للموصولين جميعا وتقطعت بهم الاسباب والوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية و
الاتفاق على الملة الزائغة والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على

تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري ويجوز عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا
تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو ان لنا كرة اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ
منهم هناك كما تبرؤوا منا اليوم كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء آخر مفهوم مما سبق وما
فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الامور المشاهدة
والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية اي ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها
من قولهم بعير حسير اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم
تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستأنف لبيان حالهم
بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة امرهم
فيما اسند اليهم كما في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباق يبذ المغاليا يا ايها الناس كلوا مما في الارض
اي بعض ما فيها من اصناف المأكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر
والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى حلالا حال من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان
من ابتدائية ويجوز كونه صفة لمصدر موكد اي اكلا حلالا ويؤيد الاولين قوله تعالى طيبا فانه صفة له ووصف
الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل ولا
تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على
نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى وانما الذي نزل فيهم
ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء
وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو وبفتحتين على انها
جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الولاية
لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية
عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا
ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها
والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على
الله تعالى بانه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون
وتوعده منه تعالى لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدمه وتوعده منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير
من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وللايذان بان العاقل يجب عليه
ان لا يقول على الله ما لا يعلم وتوعده منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدمه وتوعده منه قالوا وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم
لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم لهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة
والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اي وجدناهم عليه اما
على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من آباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول

ذلك في المشركين امروا باتباع القران وساير ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا الى التقليد والموصول
اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا
وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا
لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون استيناف سيق من جهته تعالى رد المقالتهم الحمقاء واظهار البطلان رائهم
والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كالتي في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال
هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما
قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض
من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه
مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر
معه شيء من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة
لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر
والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك
ولا تهنه ولو اهانك لبقاء على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد
الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وانما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس
مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن
فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وانما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول
المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي
انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد
استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم
لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة ابائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلد النمر فيركبوا متن العناد ومبالغة في الانكار من جهة
ان اتباعهم لابائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون ابائهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند
تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن اباؤهم لا يعقلون شيا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كان
كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من اباءهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون
دين ابائهم حال كونهم عاقلين وجاهلين ضالين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من الحالتين
غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء جليا
فان اتباعهم الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع كون ابائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى
ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة
الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء
لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون ابائهم عاقلين ومهتدين
انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه ايتبعون الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي
اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو
نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج

الثامن

عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة
لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة تصريح النفي كما سياتي تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية و
لكن التحقيق ان المعنى يعتمد على معنى العطف في ساير اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير
ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع
اليه الضماير السابقة لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحالته
الحقيقة لغرابتها بان تسمى مثلا وتسير في الافاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسا
لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الا الدعاء من غير
ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها لا تسمع
الا صوت الراعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه كانه
عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر
فيما القي اليهم من الايات كمثل الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في
اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم
الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا اغنى عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء فان
الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما اذا تشابه افراد الطرفين صم بكم عمي بالرفع على الذم اي
صم الخ فهم لا يعقلون شيا لان طريق العقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك انما
يحصل باستماع ايات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يوخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد
انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من مستلذاته
واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا
بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق و
يشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكوة والسمك والجراد خارجان
عنها بالعرف او استثناء الشرع خروج الطحال من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص لحمه مع ان ساير اجزائه ايضا
في حكمه لانه معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزائه بمنزلة التابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه
للصنم والاهلال اصله روية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت
وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي
ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رضي الله عنهما فلا اثم عليه
في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا
المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشيا
ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام
المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في روساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى
الله عليه وسلم ويشترون به اي ياخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن
الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم
عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتداء خبره قوله تعالى ما ياكلون في

بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدأ ثان او بدل من الاول والخبر ما ياكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم
ياكلون فى الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله اكلها كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى
القرط طيبة النشر او ياكلون فى المآل يوم القيمة عين النار عقوبة على اكلهم الرشى فى الدنيا وفى بطونهم متعلق بياكلون
وفائدته تاكيد الاكل وتقريره ببيان مقر الماكول وقيل معناه ملأ بطونهم كما فى قولهم اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه ومنه كلوا
فى بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف الاستثناء ولا
تعليقه بياكلون يؤدى الى قصر ما ياكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما ياكلونه مطلقا عليها ولا يكلمهم
الله يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى
ولا يزكيهم لا يثنى عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى ما اشير اليه بنظيره
بالاعتبار المذكور خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها فى الحكم الذى يراد اثباته ههنا فان المقصود تصوير
ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه
ما اخذوه وابراز فظاعة تبعاته وهو مبتدأ خبره الموصول اى اولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا
بمشترين للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة التى ليست مما يمكن ان يشترى قطعا
بالهدى الذى ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شئ وان جل والعذاب اى اشتروا بالنظر الى الاخرة العذاب
الذى لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة التى يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم
الهائلة التى هى ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوع
بالابتداء وتخصصها كتخصص شر فى شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اى شئ ما عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء
استفهامية وما بعدها خبرها اى اى شئ صبرهم على النار وقيل هى موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف
اى الذى صبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق
اى ملتبسا به فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب
وان الذين اختلفوا فى الكتاب اى فى جنس الكتاب الالهى بان امنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او فى
التورية بان امنوا ببعض اياتها وكفروا ببعض كالايات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة
فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق او الاختلاف فى تاويلها او فى القران بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر
وبعضهم اساطير كما حكى عن المفسرين لفى شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس
البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضى الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا
الخوض فى امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعى خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم
المشرق على المغرب مع تاخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق
والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا فى جانب
الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدم على اسمها كما فى قوله سلى ان
جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله اليس عظيما ان تلم ملمة وليس علينا فى الخطوب معول
وانما اخير ذلك لما ان المصدر المؤول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به
والاعرف احق بالاسمية ولان فى الاسم طولا فلو روعى الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ
برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعى ان البر هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم وما
ذلك الا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا عنه فى الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من امن بالله وهو تحقيق

للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر بعد ما الا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اى ولكن البر المعهود
الذى يحق ان يهتم بشانه ويجد فى تحصيله بر من امن بالله وحده ايمانا بريا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى
المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الاخر اى على ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لا
تمسهم الا اياما معدودة وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما
ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفى تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من لطف الله
ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين هو المشرق والمغرب فى الحقيقة والملئكة اى وامن بهم
وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحى وانزال الكتب والكتاب اى بجنس الكتاب
الذى من افراده الفرقان الذى نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبى صلى الله عليه وسلم واشترائهم
بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب
بين حملة الوحى وبين النبيين واضح وسيأتى فى قوله تعالى كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله واتى المال على
حبه حال من الضمير فى اتى والضمير المجرور للمال اى اعطاه كائنا على حب المال كما فى قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل
اى الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضى الله عنهما ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش
وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اى اعطاه كائنا على حبه تعالى
لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض لباذلى الرشى واخذيها لتغيير التورية وقيل للمصدر اى كائنا على حب الايتاء
ذوى القربى مفعول اول لاتى قدم عليه مفعوله الثانى اعنى المال للاهتمام به ولان فى الثانى مع ما عطف عليه طولا
لو روعى الترتيب لفات تجاوب الاطراف فى الكلام وهو الذى اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثانى و
اليتامى اى المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوى القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين
جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس وابن السبيل اى
المسافر سمى به لملازمته اياه كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين الجأتهم الحاجة والضرورة
الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفى الرقاب اى وضعه فى فك الرقاب بمعاونة
المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى فك الاسارى وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وايا ما كان فالعدول عن فكهم
بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اوتوا كما فى الوجهين الاولين او بعدمه
ثبوتا راسا كما فى الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم فى الاستحقاق والحاجة لما ان فى للظرفية المنبئة عن تمكنهم
فيما يؤتى واقام الصلوة اى المفروضة منها واتى الزكوة اى المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال
التنفل بالصدقات قدم على الفريضة مبالغة فى الحث عليه والمراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف و
الثانى لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من امن فانه فى قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم
وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحل حراما من العهود الجارية
فيما بين الناس وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب
على الاختصاص غير معطوف على ما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو فى الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو على
اذا ذكرت صفات المدح او الذم وخولف فى بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المالوف
يدل على زيادة ترغيب فى استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه كما مر فى صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ
والموفين فى البأساء اى فى الفقر والشدة والضراء اى المرض والزمانة وحين البأس اى وقت
مجاهدة العدو فى مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة

الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم
وسمو رتبتهم الذين صدقوا اى فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال
واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى
انحصار التقوى فيهم والاية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثرها
وتشعب فنونها منحصرة فى خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى
الاولى بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحائزون لها
بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير
قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا شروع فى بيان بعض الاحكام
الشرعية على وجه التلافى لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التى عليها بنى اساس المعاش والمعاد كتب
عليكم اى فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولى على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى
الحكام او القاتلين القصاص فى القتلى اى بسبب قتلهم كما فى قوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة
ربطتها اى بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب
دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعى ايضا لان اعتبار المفهوم
حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رايت الوجه ههنا وانما تمسك فى ذلك هو
ومالك رحمهما الله بما روى عن على كرم الله وجهه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة و
لم يقده وبما روى عنه رضى الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضى
الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى
ان النفس بالنفس فانه شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص
يعتمد المساواة فى العصمة وهى بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرى كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن
عفى له من اخيه شئ اى شئ من العفو لان عفا لازم وفايدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص و
هو الواقع ايضا فى العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شئ من العفو وقيل معنى عفى ترك وشئ مفعول به وهو
ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما فى قول من قال ديار عفاها جور كل معاند وقوله
عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محى له من اخيه شئ صرف للعبارة المتداولة فى الكتاب والسنة عن معناها
المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفى استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو فى باب الجنايات الا فيما ذكر من
قبل وعفا يعدى بعن الى الجانى والذنب قال تعالى عفى الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت
لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعنى ولى الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما
من بنى ادم عليه السلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية
العافى بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على
ان يؤديها باحسان من غير مماطلة وبخس ذلك اى ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل و
النفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص
والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان
قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو او اخذ الدية فله باعتدائه عذاب اليم اما فى الدنيا

فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما فى الاخرة فبالنار ولكم فى القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا
تنال غايته حيث جعل الشئ محلا لضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه
الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد
فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص
وقيل المراد بالحيوة هى الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الاخرة والظرفان اما خبران لحيوة او احدهما
خبر والاخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرى فى القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او فى القران حيوة للقلوب
يا اولى الالباب اى ذوى العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعدما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا
لهم الى التامل فى حكمة القصاص لعلكم تتقون اى تقون انفسكم من المساهلة فى امره والاهمال فى المحافظة عليه والحكم
به والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدى اليه كتب عليكم بيان لحكم اخر من الاحكام المذكورة اذا حضر
احدكم الموت اى حضر اسبابه وظهر اماراته او دنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند
النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له اراد
ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة
رضى الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصى فسالته كم مالك
فقال ثلثة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه
لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا وايثار تذكير الفعل مع جواز تانيثه
ايضا للفصل او على تاويل ان يوصى او الايصاء ولذلك ذكر الضمير فى قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه واذا ظرف محض
والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه تعالى بل من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء
كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدا خبره للوالدين
والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى
كتب فرض وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول اية المواريث بقوله عليه السلام ان الله قد اعطى كل ذى
حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الاحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم فى سلك المتواتر
فى صلاحيته للنسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هى اية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه
تعالى كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم
ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى ارائكم حيث قال بالمعروف اى بالعدل فالان قد رفع ذلك الحكم عنكم
وتولى تبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذى حق منهم حقه
الذى يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لارائكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية
بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما قيل من ان اية المواريث لا تعارضه بل تحققه
وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقى الامة اياها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر
ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او
بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية للوارث كانت واجبة
بهذه الاية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت اية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها بتنبيه
النبى صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية التى كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك
الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم

فان مدلول آية الوصية حيث كان تفويضا للامر الى آراء المكلفين على الاطلاق وتسني الخروج عن عهدة التكليف
باداء ما ادى اليه آراؤهم بالمعروف فكون آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق
القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا اشتباه على احد وقوله تعالى
حقا على المتقين مصدر موكد اى حق ذلك حقا فمن بدله اى غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه
اى بعد ما وصل اليه وتحقق لديه فانما اثمه اى اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا
وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول في موضع الضمير الراجع الى من لتاكيد الايذان بعليه ما في حيز الصلة الاولى
وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا وكثرتهم افرادا وللايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع
عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرئ من موص
جنفا اى ميلا بالخطاء في الوصية او اثما اى تعمد للحيف فاصلح بينهم اى بين الموصى لهم واجرا
على منهاج الشريعة الشريفة فلا اثم عليه اى في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله
غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب
عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في
اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الآية وقيل هو الامساك عن الشيء
مطلقا ومنه صامت الريح اى امسكت عن الهبوب والفرس اى امسكت عن العدو قال خيل صيام وخيل
غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة
التي هي معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب في حيز النصب على انه نعت للمصدر الموكد اى كتابا كائنا كما كتب او
على انه حال من المصدر المعرفة اى كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت
لمصدر من لفظ الصيام اى صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اى حال
كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تاكيد
للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل
الوجوب واما في الوقت والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد
تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى
فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء
فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا
عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون اى المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام
فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال باداء لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما
معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان
او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع
الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر دل هو عليه اعني صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على
الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا للكتب للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرع عليها الاتساع فمن كان منكم
مريضا اى مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمر عليه وفيه تلويح بان من
سافر في اثناء اليوم لم يفطر فعدة اى فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف
الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم به وقرئ بالنصب اى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه

الظاهر وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه اى وعلى المطيقين الصيام ان افطروا فدية اى اعطاء
فدية وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في
بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه
اى يكلفونه او يقلدونه ويتطوقونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه
ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه
وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء
الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ
وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اى التطوع او الخير الذي تطوعه خير له وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين
خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للهز
والتنشيط ان كنتم تعلمون اى ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره
اى اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبير علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر
رمضان مبتدا وما يليه خبره او خبر لمبتدا محذوف اى ذلك شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف
اى صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول تصوموا او بدل من اياما معدودات و
رمضان مصدر رمض اى احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف و
النون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس
وانما سمي بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض
الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن خبر للمبتدا على الوجه وصفة للشهر
على الوجوه الباقية ومعنى انزل فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض
حسبما تقتضيه المشيئة الربانية او انزل في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع
وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اى انزل حال كونه هداية للناس بما
فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن
شهد منكم الشهر اى حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع
والترتيب او لتضمن المبتدا معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدا والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له
وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اى فليصم فيه بحذف الجار وايصال
الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقوله شهدت الجمعة اى صلوتها
فيكون ما بعده مخصصا كانه قيل ومن كان مريضا وان كان حاضرا فيه او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام
اخر اى فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ
قرينه يريد الله بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اى وشرع هذه الامور شرع ما شرع
من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا
علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علمه من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعليله

فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان يكون معطوفه على علة مقدرة
مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون
ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدرية
والموصولة اي على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد وإذا سألك عبادي عني
في تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى من تشريفه ورفع محله فاني قريب اي
فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان
تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا
دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات على ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد اي الحق و
قرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر
عقبه بهذه الاية الكريمة الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا
عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا
امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخيرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد
العشا فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشا فنزلت وليلة
الصيام الليلة التي تصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى
عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره هنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة
وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر
بقي النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف مبين لسبب
الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمراة لباسا للاخر لاعتناقهما
واشتمال كل منهما على الاخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت وكانت عليه لباسا او لان كلا
منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استيناف اخر مبين لما ذكر من السبب
والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها
من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم اي محا اثره عنكم
فالان لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع الذي يستلزمها
وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما قدره الله لكم وقرره في اللوح من الولد وفيه ان
المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فان الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وفيه نهي عن العزل وقيل
عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان
الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل و
يجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود
ولم يزالوا يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز
او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تاخير
الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لاخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد

اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه
دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطي فيه حرام ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب
الفساد تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى للعبادة فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى
ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه
فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه كذلك اي مثل ذلك التبيين
البليغ يبين الله اياته الدالة على الاحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل نهي عن اكل بعضهم لاموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان
اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الى
الحكام عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم اليهم
فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون
انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم
يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه عليه السلام ان الذين يشترون بعهد
الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام
انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق
اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما
صاحبه يسئلونك عن الاهلة ساله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج كانوا قد سالوه عليه السلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر
وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت
مراعى فيه اداء وقضاء وكذا معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين
المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال
والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا
لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه
ليس ببر فقيل ولكن البر من اتقى ولكن البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه
لما ذكر انها مواقيت الحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه
عليه السلام مبعوث لبيان الشرائع لا حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب
ما سالوا عنه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على تعكيسهم في
السؤال وكونه من قبيل دخول البيت من وراءه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجتري
على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول برا وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه
او في جميع اموركم امر بذلك صريحا بعد بيان ان البر من اتقى اظهارا لزيادة اعتناء بشان التقوى وتمهيدا لقوله تعالى
لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم
الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشان المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين
كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان
والرهابنة والنساء او الكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله

عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلثة ايام فرجع لعمرة القضا فخاف المسلمون
ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا
بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم
ان الله لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل النهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم
من حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشي علما او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني
فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم
يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام
تعبها وبقاء تالم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
اي لا تفاتحوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم ثمه فاقتلوهم فيه ولا
تبالوا بقتالهم ثمه لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي
والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا
بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما قاتلوكم
فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا
للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا عليهم
اذ لا يحسن الظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي
القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذلك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص
اي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم
عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة لما
قبلها واتقوا الله في شان الانتصار واحذروا ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم
ويصلح شانهم بالنصر والتمكين وانفقوا في سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس لئلا تمسكوا كل
الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك
مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام
وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يودي الى الهلاك المؤبد ولذلك
سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشي في الفساد والالقاء طرح الشي وعدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء
مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلك والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم
في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اي اعمالكم
واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم الخير وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله
بيان لوجوب اتمام افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك
من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحكمهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه
بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الاية كما ان وجوب
الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الاية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا

فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة واقيموا
الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض
حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما
في انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وساير افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشي منها هذا
وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وقيل
ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة
ولا تشوبوهما بشي من الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض في الاية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روي من
ان ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل
وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا فمع اعراض عن افادة الوجوب مع كونه
معارضا بما روي عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام
الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه
من المضي لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رضي الله عنه لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله
في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة
رحمه الله لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او
فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه
من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم
وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى
الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصرهم
في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره عليه السلام طرف الحديبية
الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية
هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من
الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة
او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى
الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على
ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصع فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع
بالعمرة الى الحج اي فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد
التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر
عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد
اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج اي في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام
وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم
اي نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة
ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان
يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد

بها ايضا كاملة صفة موكدة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة كمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ
به ينتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور
عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه
وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما
في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتربية المهابة وادخال الروعة الحج اي وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة
وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه
او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة
وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع
على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجيء بالالف والتاء فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه
بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث ولا فسوق اي لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج
من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا جدال اي لا مراء مع الخدم
والرفقة في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة
البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة
على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي اشهر الحج افحش كلبس الحرير في الصلوة والتطريب
بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكون رفث ولا
فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف ساير العرب فتقف
بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله يجزيكم به خير جزاء
وهو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير
زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان
يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار خشية
الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرؤوا من كل شيء سواه وهو مقتضى
العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص هذا الخطاب باولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي
في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم
في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات
اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة
وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه علمية وتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن و
لذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث
اما بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في
سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تأبى تقديرها لانها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي
الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما
اراه قال عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان
يجعل جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله تعالى

ثم افيضوا او مقدمة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر
غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام هو جبل يقف
عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام
لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم
اي كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله
من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين غير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية
واللام بمعنى الا كما في قوله عز وعلا وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة
والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما
بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب
عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي يريد به آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع
قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم
عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله
كذكركم آباءكم اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا
مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على
الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى
او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم
او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله
الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الآخرين من يقول اي في ذكره
ربنا آتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من حظ ونصيب
لاقتصار همه على الدنيا فهو بيان لحاله في الآخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب
الدنيوية ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة هي
الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وروي عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة
وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب
النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما
ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل
اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نوع نصيب
من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لما انه
من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة [illegible]
من هذا شأنه قدرته او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب [illegible] واذ
كروا الله اي كبروه في اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات هي ايام
التشريق فمن تعجل اي استعجل في النفر او النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر
واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتأخر كما في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل

الرمل في يومين اى في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمى
الجمار فلا اثم عليه بتعجله ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال وبعده وعند الشافعي بعده
فقط فلا اثم عليه بما صنع من التأخر والمراد التخيير بين التعجل والتأخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم
تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتأخر لمن اتقى خبر لمبتدأ محذوف
اى الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله
حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم و
تنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والرخص او احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله
عز وجل واعلموا انكم اليه تحشرون اى للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع وضم المفرق وهو تأكيد
للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى
ومن الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه له اليه عليه السلام وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب
الناس في شأن التقوى الى حزبين وتعيين مآل كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما بين في قوله تعالى ومن
الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اى ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من
ملاءمة الفحوى ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما تعجب منه في الحيوة
الدنيا متعلق بقوله اى ما يقوله في حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريد بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول
صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له قولا آخر ليس بهذه الصفة او بيعجبك اى يعجبك قوله في الدنيا بحلاوته وفصاحته
لا في الآخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا مساغ للقدح في حسن حاله فان
مآله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا اى لا يصدر منه فيها الا
القول الحسن ويشهد الله على ما في قلبه اى بحسب ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني
وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما والله
يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام
اى شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او
اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر
حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور
في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولى اى عن مجلسك وقيل
اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق
زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه القطر فيهلك
الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك
والله لا يحب الفساد اى لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من تعاطاه وهو اعتراض تذييلي واذا قيل له على
نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما باشرته من الفساد والنفاق واحذر سوء مغبته اخذته العزة بالاثم
اى حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته
اياه فحسبه جهنم مبتدأ وخبر اى كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل
وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اى كفته جهنم ولبئس المهاد جواب
قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن

الناس من يشري نفسه مبتدأ وخبر كما مر اى يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب او يأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضاة الله اى طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده
فيما لا اول من حيث ان ذلك يأنف من الامر بالتقوى وهذا يأمر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن
سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما
انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فيشري ح بمعنى يشتري لجريان الحال على صورة الشرى والله رءوف
بالعباد ولذلك كلفهم التقوى وعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم
اى الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من
الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله خرجت بها تمشي تجر وراءنا على اثرينا ذيل مرط مرحل وهي
في الاصل اسم للجماعة تكف مخالفيها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتأنيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل
الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع
وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او
ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد
اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان
اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب
للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الآن ايذانا بان ما يدعونه لا يتم
بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او
مظهر لها وهو تعليل للنهي او الانتهاء فان زللتم اى عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد
ما جاءتكم البينات والحجج القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا
يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون
استفهام انكاري في معنى النفي اى ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا
عنه الا ان يأتيهم الله اى امره وبأسه او يأتيهم الله بامره وبأسه فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه و
الالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف
على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون
لها مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل في جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة
من الغمام اى السحاب الابيض وانما اتاهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع
واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على
الاسم الجليل اى ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الآتون به على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما
للايذان بان الآتي اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن
ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اى اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وقيل
هو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة مستأنفة
جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور
بالتأنيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتأنيث من الرجوع سل بني اسرائيل
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم

لمجى البينات كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة على ايدى الانبيا عليهم السلام واية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول
فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العايد من الخبر واية مميزها
ومن يبدل نعمة الله التى هى اياته الباهرة فانها سبب الهدى الذى هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة و
ازدياد الرجس او تحريفها وتاويلها الزايغ من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع
ان التبديل لا يتصور قبل المجى للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما فى قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد
العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اى حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى
تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يعرب
عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شىء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من الامور
البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المومنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم
على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدءة منهم والذين اتقوا هم الذين
امنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب
القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيمة لانهم فى اعلى عليين وهم فى اسفل سافلين او لانهم فى اوج الكرامة
وهم فى حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم فى الاخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا والجملة معطوفة
على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اى فى الدارين بغير حساب
بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين
الاسلام وكان ذلك بين ادم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اى فاختلفوا
فبعث الخ وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وانما حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب
الذى علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور فى
القران ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال فى فترة ادريس او نوح فبعث الله
النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اى جنس الكتاب او مع كل واحد
منهم ممن له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا ياخذون بكتب
من قبلهم وعموم النبيين لا ينافى خصوص الضمير العايد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق
او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اى الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين
بين الناس اى المذكورين والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اى فى الحق الذى
اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اى فى الحق او فى الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا
الذين اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول
على كمال تمكنهم من الوقوف على ما فى تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفايدة اى عكسوا الامر حيث جعلوا ما
انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اى رسخت فى عقولهم ومن متعلقة
بمحذوف يدل عليه الكلام اى فاختلفوا وما اختلف فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما فى قولك ما قام الا
زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلق به من اى اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين امنوا

بالكتاب لما اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما وفى ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى
من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض
مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المومنين حثا لهم على
الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم السلام وتبيين فيه مال اختلافهم
وما لقى الانبيا عليهم السلام ~~وتبيين فيه مال اختلافهم~~ وما لقى الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدايد ومقاساة
الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن معهم من المومنين اى والحال انه لم ياتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من
الاحوال الهايلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استيناف وقع جوابا عما ينساق الى
الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اى الشدة من الخوف والفاقة والضراء اى الالام والامراض
وزلزلوا اى ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين امنوا معه
انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤن الله تعالى واوثقهم بنصره و
المومنين المقتدون باثاره المستضيؤن بانواره متى اى متى ياتى نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة
الشدة والعناء وقرى حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم فى الثبات والاصطبار حيث صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان
الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اى فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد
بالقرب القرب الزمانى وفى ايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتاكيد من الدلالة
على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما انها فى حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون
هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكى وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس
لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسئلونك ماذا ينفقون اى من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف العايد
اليها اى ما انفقتموه من خير اى خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما فى السؤال الا انه جعل من جملة
ما فى حيز الشرط والصلة وابرز فى معرض البيان المصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف
المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه فى موقعه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ
هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها واليتامى اى المحتاجين منهم والمساكين
وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر فى المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله
تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع فى اى مصرف كان فان الله به عليم فيوفى ثوابه وليس فى الاية ما
ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدى كتب عليكم القتال ببناء الفعل للمفعول ورفع القتال اى قتال الكفرة و
قرى ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرى كتب عليكم القتل اى قتل الكفرة والواو فى قوله تعالى وهو كره
لكم حالية اى والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز و
قرى بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له و مشقته
عليهم وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التى من جملتها القتال فان النفوس تكرهه و
تنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان فى القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من

الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لهما من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به وانتم
لا تعلمون اى لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا فى ذلك رأيكم وامتثلوا
بامره تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى
الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصدوا عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير
بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر
الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على
اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى
الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال فى الشهر الحرام
على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع فى الشهر الحرام
لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما فى قوله تعالى
للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه قل فى جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدا وخبر محلها النصب بقل
وانما جاز وقوع قتال مبتدا مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اى قتال كائن فيه
واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اى قتال كان
عن عطاء انه سئل عن القتال فى الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه
وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا
قد تخصص بالعمل فيما بعده اى ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله
اى وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور فى حسن
عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبى محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف
اى وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهو النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اى من المسجد الحرام وهو عطف
على وكفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة اى كبائر السائلين اكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعله السرية
خطاء وبناء على الظن وافعل يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك
وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل اى افظع من قتل الحضرمى ولا يزالون يقاتلونكم بيان
لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة فى الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم
لتذكير تأكد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم فى الدين وثبات
قدمهم فيه كانه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد اى ومن يفعل ذلك باضلالهم
واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب فى الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
فى الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اى اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة
التى كانوا عملوها فى حالة الاسلام حبوطا لا تلافى له قطعا فى الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية
والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار اى ملابسوها وملازموها
هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت فى اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من
الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شان الهجرة والجهاد
فكانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادى

الفوز رحمت الله اى ثوابه اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو
على طريق التفضل منه سبحانه لا لان فى فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ فى مغفرة ما فرط من عباده خطاء رحيم
يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها يسئلونك عن الخمر والميسر نعم تواردت فى شان الخمر
آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضى
الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه
الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ قل يا ايها
الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن وقاص
فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه موضحة فشكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر رضى الله عنه انتهينا يا رب وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة منها فى بئر فبنيت فى مكانها منارة لم
اوذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضى الله عنه لو ادخلت اصبعى فيها لم
تتبعنى وهذا هو الايمان والتقى رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اى ستره سمى به من عصير العنب ما غلى
واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما اى تحجزهما والميسر
مصدر ميمى من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب
واما من اليسار لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هى الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب و
الحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة
اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلثة هى المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة
وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها فى الربابة وهى خريطة ويضعونها على يدى عدل ثم يجلجلها ويدخل
يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك
الثلثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون
من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفى حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه
قال اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما ميسر العجم وعن على كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن
سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما فى تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اى فى تعاطيهما
ذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التى هى قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع للناس
من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفى تقديم بيان
اثمهما ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعهما مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى
واثمهما اكبر من نفعهما اى المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما
ويسئلونك ماذا ينفقون عطف على يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اى اى شئ ينفقون
قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سأل اولا عن اى جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس
سأل ثانيا من اى اصنافها ينفق امن خيارها ام من غيرها او سأل عن مقدار ما ينفقه فقيل قل العفو بالنصب
اى ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اى الذى
ينفقونه العفو قال الواحدى اصل العفو فى اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو
قول قتادة وعطاء والسدى وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة

ص

ويتصدقون بالفضل وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها فخذفها عليه خذفا لو اصابته لشجته ثم قال ياتى احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه فى الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك فى سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى مثل ذلك البيان الواضح الذى هو عبارة عما مضى فى اجوبة الاسولة المارة يبين الله لكم الايات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الايات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا انه تعالى بينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون لكى تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما فى تضاعيفها وقوله تعالى فى الدنيا والاخرة متعلق اما بيبين اى يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والاخرة الايات واما بمحذوف وقع حالا من الايات اى يبينها لكم كائنة فيهما اى مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل لمزيد الاعتناء بشان التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون اى تتفكرون فى الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة فى الاحكام الواردة فى اجوبة الاسولة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة فذلك اشارة الى ما مر من البيانات كلا او بعضا الا الى مصدر ما بعده فانه فعل مستقبل ليس بعبارة عن تلك البيانات والمراد بالايات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد فى الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الايات والدلائل لعلكم تتفكرون فى امور كم المتعلقة بالدنيا والاخرة وتاخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الايات المبينة ويسئلونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روى انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اى التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم اى فهم اخوانكم اى فى الدين الذى هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز اى يعلم فى امورهم عند المخالطة او من يقصد بمخالطته الخيانة والافساد مميزا له ممن يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازى كلا منهما بحسب نيته وعمله وعيد ووعد خلا ان فى جانب المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اى لو شاء اعناتكم اى تكليفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التى من جملتها اعناتكم فهو تعليل للمضمون الشرطية وقوله عز وجل حكيم اى فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات اى لا تتزوجوهن [illegible] من الانكاح اى لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا [illegible] عموم التعليلين الاتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فالاية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهى ثابتة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان يهوى امراة فى الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك

ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة تعليل للنهى عن مواصلتهن وترغيب فى مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم فى افادة التاكيد مبالغة فى الحمل على الانزجار واصل امة اموة حذفت لامها على غير قياس وعوض منها تاء التانيث ودليل كون لامها واوا رجوعها فى الجمع قال الكلابى اما الاماء فلا يدعوننى ولدا اذا تداعى بنو الاموات بالعار وظهورها فى المصدر يقال هى امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتداء لما فيها من لام الابتداء والوصف اى ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين والدنيا من مشركة اى امراة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم قد مر ان كلمة لو فى امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشئ فى الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انصباب المعنى على تقديره بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة فى حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المعنى ولامة مؤمنة خير من امراة مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادى الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اى على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اى لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حراير او اماء حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر ولعبد مؤمن مع ما به من ذل المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعى الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته اولئك استيناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اى اولئك المذكورون من المشركات والمشركين يدعون من يقارنهم ويعاشرهم الى النار اى الى ما يؤدى اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم والله يدعو بواسطة عبادة المؤمنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة اى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء باذنه متعلق بيدعو اى يدعو ملتبسا بتوفيقه الذى من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنتهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة ويبين اياته المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اى لكى يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو اولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير فى المعطوف على الخبر اعنى قوله تعالى ويبين لله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين فى الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدا لكن يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما فى الاحكام السابقة ويسئلونك عن المحيض عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسولة الثلثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك فى وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجئ والمبيت وروى ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يواكلونهن كداب اليهود والمجوس واستمر

الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضي الله عنهم فنزلت قل هو اذى اي شي يستقذر منه
ويوذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة الحيض قيل اخذ المسلمون
بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك ساير اهل البيت
وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من
البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون
بالاقتصاد بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب
منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رحمه الله فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلا بد من
الاغتسال او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي رضي الله عنه ان يغتسل بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد
ويني عنه قوله عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فاتوهن من حيث امركم الله من الماتي الذي حلله
لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن ساير الذنوب ويحب
المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه
وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث لكم اي مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن
وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه فاتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن
بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون
ان من اتى امراته في قبلها من دبرها ياتي ولده احول فذكر ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم
اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة واتقوا الله بالاجتناب من معاصيه التي
من جملتها ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا لتحصيل ما تنتفعون به واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به
وبشر المومنين الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة
والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل
المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المومنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل
نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في ابي بكر رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة
والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشي فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة
للوايم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها بها
كما في قوله عليه السلام لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله
تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف
عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين
الناس عرضة اي برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيا يعترض الامور المذكورة
ويحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها وقد يجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الخ بالفعل او بعرضة فيكون
الايمان بمعناها وانت خبير بانه يودي الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا
لايمانكم مبتذلا بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها
وان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل
من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه

قوله تعالى ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا
هو ان يحلف على شي يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي قول العرب لا والله وبلى والله
مما يوكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يواخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه
احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني
لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط
والله غفور حيث لم يواخذكم باللغو مع كونه ناشيا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمواخذة والجملة
اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يواخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمواخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي التي تتعلق بها
المغفرة والحلم دونه للذين يولون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اي
للذين يبتعدون من نسائهم ويحتمل ان يراد بهم نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم
وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك
على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها في المدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفي وحنث القادر
ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى
الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفي او طلاق فان فاءوا اي رجعوا من اليمين بالحنث والفاء
للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الخ والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله غفور رحيم
يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبة اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المراة وان عزموا الطلاق وجمعوا
عليه فان الله سميع بما جرى فيهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التي لا تخلو عنها الحال عادة عليم
بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحراير المدخول بهن لما
قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرءان
او شهران يتربصن خبر في معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المامور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان
به فكانهن امتثلن بالامر بالتربص فهو يخبر به موجودا محققا وبناوه على المبتدا يفيد الزيادة تاكيد بانفسهن الباء للتعدية
اي يحملنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل تشق عليها من التربص وفيه من مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الاباء على الاقتصار
بما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلثة قروء نصب على
الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلثة قروء او يتربصن مضي ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض
بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى
واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض
دون الطهر ويقال اقرات المراة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلث
وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الاخر شايع ذايع وقرئ ثلثة قرو بغير
همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل
على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يومن بالله واليوم الاخر جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة
واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الاخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا
وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة او مصدر
بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة والضمير لبعض
افراد المطلقات احق بردهن الى ملكهم بالرجعة اليهن في ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة

ان الرجل اذا اراد الرجعة والمراة تاباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اي
الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح
لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف
من الحقوق التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن و
حقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية في الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركون
فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف احكامه حكيم
يطوي شرايعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق الاقرب
حكمه ولما روي انه عليه السلام سئل عن الثالثة قال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما
بعده اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين انفا مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم
الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما
امساك لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه
صلى الله عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية
بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون
الجمع بين الطلقتين او الثلث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدا او تخيير مستانف والفاء فيه
للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق
مما اتيتموهن اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم ساير اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه
على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا مما اتوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق له
بالبضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام
واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما
يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن
الا يقيما حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان
بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اي الزوجان
حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على
الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها في اعطاء اياه روي ان جميلة بنت عبد الله ابن ابي ابن سلول كانت تبغض
زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شي والله ما
اعيب عليه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في
عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها
تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك
المعتدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم
الجليل في المواقع الثلثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد
فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا
غيره اي حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط
الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن

ابن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه
السلام لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق من عسيلتك ومثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطي والعقد
مستفاد من لفظ الزوج والحكمة في هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح
بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين لقوله صلى الله عليه وسلم لعن
الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا
ان يرجع كل منهما الى الاخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه
لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم
زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير
والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب
والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة
لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان او
لان ما سيلحق بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي
اخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشي وقد يقال للدنو اتساعا
هو المراد ههنا لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق البلوغ
الاجل اي فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة الحكم في بعض
صورة اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف و
توضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا
شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهي عنه بعد ما امر بضده لما ذكر وضرارا نصب على
العلية او الحالية اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن
بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على
بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله المنطوية
على الاحكام المذكورة او جميع اياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا
في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء بها
واريد ما يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اخذتموها
هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب ايات الله بحسب
الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم
حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع
حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان
يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عمله تاء التانيث لانه مبني كما في قوله
فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة
حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية من القران والسنة او القران الجامع
للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم

ما لا يخفى وفى افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل فى النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة فى البعث على مراعاة ما ذكر قبله
من الاحكام يعظكم به اى بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله فى شان المحافظة عليه والقيام
بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شىء عليم فلا يخفى عليه شىء مما تاتون وما تذرون فيواخذكم بافانين العقاب واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه
عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما
للاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت فى
جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ
الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها
والا لما احتيج الى نهى الاولياء عن العضل لما ان النهى لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن
ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية
واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شايع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم
عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان
وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل فى استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن
اى من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير
المنصوب فى تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما
باعتبار ما يكون واما باعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف لان لا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على
النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضى وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضى
مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع
حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اى تراضوا بما يحسن فى الدين و
المروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفو او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من
الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم و
اما بتاويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى
الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ
به من كان يؤمن منكم بالله واليوم الاخر فانه المسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم
اما متعلق بكان عند من يجوز عملها فى الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اى كائنا منكم ذلكم
اى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اى انمى وانفع واطهر من ادناس الاثام واوضار الذنوب والله
يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرائع التى
من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها فدعوا اراءكم وامتثلوا بامره تعالى ونهيه فى كل ما تاتون وتذرون والوالدات
يرضعن اولادهن شروع فى بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا واشتراكا وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة فى
الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بما اذا لم يقبل الصبى ثدى الغير او فقدت الظئر او عجز الوالد
عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص
بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التاكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقى لا تقريبى مبنى على المسامحة المعتادة
لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن توجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل

اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود
له اى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى الموجب للارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن
وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار الام وهو غير جائز عندنا ما دامت فى النكاح او العدة جائز عند الشافعى
رحمه الله بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او
تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافى امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له
بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اى لا يكلف كل واحد منهما الاخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار
بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول
يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا تضر الوالدة بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه والتنبيه
على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله
وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبى ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصبته
وقال الشافعى رحمه الله هو وارث الاب وهو الصبى اى تمان المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام
فيما اذا لم يكن للصبى مال وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب
من الرزق والكسوة فان ارادا اى الوالدان فصالا اى فطاما عن الارضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال
غير معتاد عن تراض متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اى صادرا عن تراض منهما اى من الوالدين لا من احدهما
فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور فى شان الولد وتفحص
عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهى استخراج الراى من شرت العسل اذا استخرجته
وتنكيرهما للتفخيم فلا جناح عليهما فى ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رايهما واجتهادهما على ان صلاح الولد
فى الفطام وقلما يتفقان على الخطا وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الاباء لهزهم
الى الامتثال بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه اى ان تسترضعوا المراضع
اولادكم يقال ارضعت المراة الصبى واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثانى بحرف الجر ايضا كما فى قوله تعالى واذا
كالوهم اى كالوا لهم فلا جناح عليكم اى فى الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع للولد ويمنع الام
من الارضاع اذا سلمتم اى الى المراضع ما اتيتم اى ما اردتم ايتاءه كما فى قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ
بالله وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اى من جهة الله عز وجل كما فى قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه وفيه من يبعثهم الى التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا
وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى
فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل فى استصلاح شؤون الاطفال واتقوا الله فى
شان مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار
لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اى وازواج الذين يتوفون
منكم اى تقبض ارواحهم بالموت فان التوفى هو القبض يقال توفيت مالى من فلان واستوفيته منه اى اخذته
وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى على
حذف العائد الى المبتدا فى الخبر اى يتربصن بعدهم كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه وقرئ يتوفون
بفتح الياء اى يستوفون اجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون

يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا
يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كانت انثى تتحرك لاربعة فاعتبر اقصى
الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة
والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس
رضي الله عنهما تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الحكام و
المسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذي
لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون
خبير فلا تعملوا خلاف ما امرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ايهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية
هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة
بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل ماخوذة من الخطب اي الشان
الذي له خطر لما انها شان من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب
المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج
ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم
اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار
الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذي هو الوطء
مما يسر به واشارة على اسم للايذان بانه مما ينبغي ان يسر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح
بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه الا
ان تقولوا قولا معروفا استثناء مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا
وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف او لا تواعدوهن بشيء من الاشياء الا بان تقولوا قولا
معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة
النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من
الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح ولا تعزموا عقدة النكاح حتى
يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة المفروضة اخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تلزموها ولا
تقدموا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من
جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان
الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان
ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وقيل كان النبي
صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن
وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع اي مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء
انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تاتني ان تحسن
الي اكرمك اي ان تاتني محسنا الي والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى اوضح من الاول لما ان ما الظرفية انما

يحسن

يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات
والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان
بعد الطلاق فالوجه ان يحمل الحال مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند
العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان يكون
مصدرا صيغة ولغرابة والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال التسمية
المهر فان عليه ح نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المساس فعليه في صورة التسمية
تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم
مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر
ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي اللايق
بحال كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا
واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط على الموسع منكم الخ او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه
اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص
من خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة حقا
صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او
الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن قبل ذلك فريضة اي وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق اي عند النكاح
مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبني
للفاعل والمفعول وان لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال
في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم
ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير
حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الاية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امراة من بني حنيفة و
كانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عند اظهاره ان لا شي له متعها بقلنسوتك
الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك
ح بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاولى ضمير
والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ناصبة وتاثيره فيما عطف على محله من قوله
تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود
اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم
السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فمرجع الاستثناء ح الى منع الزيادة في المستثنى منه كما ان في الصورة
الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا زيادة ولا نقصان في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه ح لا يكون لهن
القدر المذكور بل ينتفي ذلك او يحط وفي حال عفو الزوج فانه ح يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول و
اما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا
عندنا وفي قول القديم للشافعي رضي الله عنه ان المراد عفو الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر الماخذ خلا ان
الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى الخ فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جابر بن

عبد الله رضي الله عنه انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا
الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا
بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا
على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام
الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان
انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة
الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه
وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل
عنها سليمان بن داود عليه السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة
النهار وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوة عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها
بالهاجرة وكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هي صلوة الفجر لانها بين صلوتي الليل والنهار و
الواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث
الوقوع بين صلوتي النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هي صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي
الليل وعن عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنه انه عليه السلام يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون ح
الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ وعلى الصلوات الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى
وقوموا لله اي في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها
بعدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد
ايضا وقرئ فرجلا اي راجلا او ركبانا جمع راكب اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن
الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي رحمه الله اداها حال المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي
فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا
كما علمكم اي كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه
الله تعالى وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعم او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من الشرايع
والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المنبئة عن المشكوكية
وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى
والاطناب في جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المامور فيهما منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا لاجراء
مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينها لما اشير اليه
من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيده قراءة من قرأ
كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدأ او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل الوصية
متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمر والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر
مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا
قبل الاحتضار لازواجهم بان يتمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة

اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند
الشافعي هي باقية فان خرجن عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف
لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة
مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها
والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا
بهن او لا متاع اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل وقيل
المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتاكيد بالمعروف شرعا وعادة
حقا على المتقين اي مما لا ينبغي كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم اياته الدالة على احكامه
التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ
من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشياع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويعجب
بها وان لم يكن ممن راهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجيب لما انه شبه حال غير الرائي لشيء
عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه
كما يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة في شهرته وغرابته في التعجيب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا
من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء
على معنى الم ينته علمك اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا والجملة حال
من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا
منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد
زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى من امرهم فاوحي اليه ناد فيهم
ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل
دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله
موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت
وادناه واسرع زمان واوحاه بامر امر مطاع لمامور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون
ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره
لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال لما انه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض
لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو
فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين
سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في
سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم ان
الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب
واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا او شرا فسارعوا
الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول
صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد هنا اما الجهاد الذي هو عبارة

عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا
اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على
المعنى فانه في معنى ايقرضه وقرئ بالرفع اي يضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية
والمسببية ظاهرا وصيغة المغالبة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير
المنصوب او مفعول ثان لتضمن المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم
قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد سبعمائة والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى
حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض في الذكر
للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من
الاعمال خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجيب مع انه من مدار تناط بما وسط
بينهما من الامر بالقتال الى الملأ من بني اسرائيل الملأ من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه
كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملؤن العيون مهابة والمجالس بهاء او لانهم مليون بما يبتغي منهم ومن تبعيضية وما في قوله
تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من الملأ اي كائنين بعض بني اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام
ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظا عند اختلافهما معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملأ او
حالهم حين قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن علقمة من ولد لاوي بن
يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بالي بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام وقال مجاهد
اشمويل بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير امر الحرب عن رايه وقرئ
نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا
على الجواب للامر والوصف لملكا قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي صلى الله
عليه وسلم حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم
ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه بان قيل هل عسيتم ان بعثت لكم ملكا
الخ مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا تقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولان ايراده ماذكروه
ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استيناف
كما سبق وما لنا ان لا نقاتل اي اي سبب لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال
انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب من الاهل والاولاد وافراد الاولاد
بالذكر لمن يدعو الى اسباب القتال وذلك ان جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن
معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم
واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال
النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا الكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو
وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر ههنا مال امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا منهم
وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم
على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع
في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعدما
اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا

حال منه روي انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا
استيناف كما مر انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه
ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل و
هو سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من
احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا
تملكه لسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح
منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر
على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وجل وزاده بسطة في
العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبئ والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول
من غيره براسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء
لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم
بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه
عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالاخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم
طلبوا منه عليه السلام اية تدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما اية ملكه فقال ان اية ملكه
ان ياتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه
مزيدة لغير التانيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد
به صندوق التورية وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما
طلب القوم من نبيهم اية تدل على ملك طالوت قال لهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف
والقوم ينظرون اليه حتى نزلت عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل
على ادم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فكان عند
ادم عليه السلام الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي بني اسرائيل
الى ان وصل موسى عليه السلام فكان عليه السلام يضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل
وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته انبياء بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا
حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا
سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط الله تعالى عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه
وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير
وهلكت من بلادهم خمس مداين فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل
الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت قال لهم النبي ان اية ملكه انكم
تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة كائنة
من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودعة فيه بناء على ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن
اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان
فتان فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها

وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء
من التورية وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاته عليه السلام والهما وابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل
تحمله الملائكة حال من التابوت اي ان ياتيكم حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملئكة على الرواية
الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شان التابوت فهو من تمام كلام النبي
عليه السلام لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية
به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين بتاويل الفريق او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة
على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع البشر ان كنتم
مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما
فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس واصله فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف
المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا براسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا
ووقفه وقفا وصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت
اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة
لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا
ان يجري الله تعالى لهم نهرا فعندما ظهر لهم ما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبي عليه السلام او بطريق الوحي عند من يقول
بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتداء شربه من النهر بان كرع لانه الشرب
منه حقيقة فليس مني اي من جملتي واشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لكمال
اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء
سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن
منه فليس مني وانما اخر من الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع و
الغرفة ما يغترف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة بيده
يروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش
فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء
من التولي وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن عروق اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال فلم
يطيعوه فحق ان يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف
فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير
المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول
كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان
قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا
عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح قال استئناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل اي الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء
الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا ينافي ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع
متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير
في قالوا للمنخذلين عنهم كانهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فاءت

راسه اذا شققته او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت
او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة
باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله
وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل اطاقت بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم
مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك
لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث الياس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى ولا ريب
في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدارا للحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقاء
الله تعالى لقاء نصره وتاييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل والله مع
الصابرين فان المراد به معية نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل اباه انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتاييدا له بطريق
الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال
اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من
جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فنحن ايضا نغلب جالوت
وجنوده وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اي ظهر طالوت ومن معه
من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد و
العدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا عند تقوي قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني
متضرعين الى الله تعالى مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدائد الحراب واقتحام موارده الصعبة
الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح
عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة
والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حين واحد وانصرنا على القوم الكافرين
بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا
في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه
ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم اي كسروهم بلا مكث باذن الله بنصره وتاييده اجابة
لدعائهم وايثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة
كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود عليه السلام
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه
بثلاثة احجار وقال له كل منها احملنا فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته قيل لما ابطأ على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل
داود اليهم لياتيه بخبرهم وهم في المصاف وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان ظله ميلا فقال
داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فجاء ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو
يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتي واعطيه شطر مملكتي فبرز
له داود فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصابه في صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انما كلمته
الاحجار عند بروزه لجالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه
في مشارق الارض فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل وآتاه الله
الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها والحكمة اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك

والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط اخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط • وعلمه مما يشاء • اي مما شاء الله تع
عليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه تعالى اياه مما لا يكاد يخطر بالبال ولا يقع في امنيه بشر ليتمكن من طلبه
وتشيته كالسرد اي كاتخاذ الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفيه • ولولا دفع الله الناس بعضهم
الذين يباشرون الشر والفساد • ببعض اخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصه المحكيه او غيره و
قرئ دفاع الله على ان صيغه المغالبه للمبالغه • لفسدت الارض • وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل
وساير ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيثهم وقتلهم المسلمين او لو لم يدفعهم
بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض قاطبه • ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره • على العالمين
كافه وهذا اشاره الى قياس استثنائي مولف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضعه ما يستتبعه و
يستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله تعالى
غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا يفسد الارض وينتظم به مصالح
العالم وتصلح احوال الامم • تلك • اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه • ايات الله • المنزله من عنده تعالى والجمله مستانفه وقوله تعالى • نتلوها عليك •
اي بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الايات والعامل معنى الاشاره واما جملة مستقله لا محل لها من الاعراب • بالحق •
في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسه باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ
لما يجدونها موافقه لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق
والصدق • وانك لمن المرسلين • اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان
هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتاكيد
من مقتضيات مقام الجاحدين بها • تلك الرسل • استيناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام
عليه السلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي عليه السلام فاللام في الرسل للاستغراق وما
فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين ثبت علمه
عليه السلام بهم • فضلنا بعضهم على بعض • في مراتب الكمال بان خصصناه حسبما اقتضته مشيئتنا بماثر جليله خلا عنها
غيره • منهم من كلم الله • تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اي فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه
تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمه فانه كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه ويؤيده كليم الله
بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل
وما يلحق من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس من التفاوت • ورفع بعضهم درجات • اي ومنهم من رفعه على غيره من
الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصيه ومراتب نائيه وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في
درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم فان ذلك في قوة بعضهم
فانه قد خص بالدعوة العامه والحجج الجمه والمعجزات المستمره والايات المتعاقبه بتعاقب الدهور والفضايل العلميه والعمليه الفائتة
للحصر والابهام لتفخيم شانه والاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه تعالى بكرامة
الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل عليه السلام • واتينا عيسى بن مريم البينات •
الايات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل • وايدناه • اي قويناه
بروح القدس • بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى وانما وصفت بالقدس
للكرامه او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما مر وافراده عم

بما ذكر لرد ما بين اهل الكتاب بين في شانه عليه السلام من التفريط والافراط والايه ناطقه بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدام
يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع • ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم • اي جاؤوا من بعد الرسل من الامم المختلفه
اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقه على كلمة الحق فمفعول المشية محذوف
لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفه وقيل تقديره لو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الخ وليس بذاك • من بعد ما جاءتهم
من جهة اولئك الرسل • البينات • المعجزات الواضحه والايات الظاهره الداله على حقيه الحق الموجبه لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض
عن سننهم المودي الى الاقتتال فمن متعلقه باقتتل • ولكن اختلفوا • استدراك من الشرطيه اشير به الى قياس استثنائي مولف
من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال
ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا • فمنهم من امن
بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به • ومنهم من كفر • بذلك كفرا لا ارعواء عنه فاقتضى الحكمه عدم مشيته تع
لعدم قتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم • ولو شاء الله • عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبه ايضا من الاختلاف والشقاق
المستتبعين للاقتتال بحسب العاده • ما اقتتلوا • وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما ان الكل تحت ملكوته تعالى
فالتكرير ليس للتاكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه
في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك
بقوله عز وجل • ولكن الله يفعل ما يريد • اي من الامور الوجوديه والعدميه التي من جملتها عدم مشيته عدم اقتتالهم فان
الترك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه مانع وفيه دليل بين على ان
الحوادث تابعه لمشيته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا • يا ايها الذين امنوا انفقوا • في سبيل الله • مما رزقناكم
اي شيئا مما رزقناكموه على ان ما موصوله حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما في قوله تعالى وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه المراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد • من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة • كلمة من متعلقه بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما فان الاولى تبعيضيه وهذه لابتداء الغاية
اي انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به من
العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتوسلوا بشفعاء
يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وانما رفعت الثلثه مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة
وقرئ بفتح الكل • والكافرون • اي والتاركون للزكوة واثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان و
من لم يحج وللايذان بان ترك الزكوة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة • هم الظالمون
اي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه • الله لا اله الا هو •
مبتدا وخبر اي هو المستحق للعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف • الحي
الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء وهو اما خبر ثان او خبر مبتدا محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة
له ويعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت • القيوم • فيعول من قام بالامر اذا حفظه اي دائم القيام بتدبير
الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره • لا تاخذه سنة ولا نوم • السنه ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي
ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء
اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعده بحيث تقف الحواس الظاهره عن الاحساس راسا والمراد بيان انتفاء اعتراء
شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شانه تعالى لا لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه
فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع السنه قد لا يقدر على دفع النوم القوي

كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تأخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط كلمة لا للتنصيص
على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية وانما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم
الاخذ فلمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة
تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون موصوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل استيناف
موكد لما سبق وقيل حال موكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته تعالى
واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة
فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده
شفاعة وضراعة فضلا من ان يدافعه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس
لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه
وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة و
الانبياء عليهم السلام ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما شاء ان يعلموه وعطفه على ما قبله لما انهما
جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض الكرسي ما يجلس
عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل
لعظمة شانه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره و
الارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسي العالم وقيل
عن ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع
لقوله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي
كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصري انه العرش ولا يؤده اي لا يثقله ولا
يشق عليه حفظهما اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه
وهو العلي المتعالي بذاته عن الاشياء والانداد العظيم الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما ترى من
انطواء هذه الآية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى
موجود متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه
عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح
مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده
بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق
عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما تناله الاوهام عظيم لا يحيط به الافهام تفردت بفضائل رائقة وخواص
فائقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب
من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين
يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وقال صلى
الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق
او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه السلام
سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال
وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية

الكرسي وتخصيص سيادته صلى الله عليه وسلم بالعرب بالذكر في اثناء تعداد السيادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الاحاديث
المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام لجميع افراد البشر لا اكراه في الدين جملة مستانفة جي بها
اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤن الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام
بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف
ابنان قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة
تقرير كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء
منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر
بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب
الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتانيث لارادة الآلهة وهو راي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد
وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يعمل بعدما تميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة
ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى لما بين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة
ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم
الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية مقدمة على التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى اي
بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة
كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استيناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة
واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز الخبر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على
تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية
بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان تكون العروة الوثقى
مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك
بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى والله سميع بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد والجملة
اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع من الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد الله ولي الذين آمنوا اي معينهم
او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مآلا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان
عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه
بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها
بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته
وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد
فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين وسائر المضلين
عن طريق الحق فالموصول مبتدا واولياؤهم مبتدا ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على
ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء
الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال
والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه

وبتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا
عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في
استناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما تبعه من
القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي
حاج ابراهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم تر انهم في كل واد
يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا رعاية للاقتران بينه وبين مدلوله و
لاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية
بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هداية الله تعالى
ايضا بواسطة ابراهيم عليه السلام فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من اثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام
لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر والرؤية علمية اي الم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور
الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان
الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتأييده في المحاجة
ان آتاه الله الملك اي لان آتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر
موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لان احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله
الملك للكافرين اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ياء ربي وقرئ
بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعو اليه قال ربي الذي يحيي ويميت اي
يخلق الحيوة والموت في الاجساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال
انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الاخر فقال ذلك قال ابراهيم استئناف كما سلف كانه
قيل فماذا قال ابراهيم لمن في هذه المرتبة من المحاجة وبماذا الخمه فقيل قال فان الله يأتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته
فأت بها من المغرب ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها
من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين
فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اي غلب
ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم
الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهدى
الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته
تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد
عليه في اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في
قولك الفعل الماضي مثل نصر واما زائدة كما ارتضاه اخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية كيف هداه
الله تعالى واخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رايت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب في ان الله
ولي الذين امنوا الخ هذا واما جعل الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج الخ اي انظر
اليه وتعجب من امره وفي الثاني او ارايت مثل الذي مر الخ ايذانا بان حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما
استقر عليه راي الجمهور فغير خليق بجلالة شأن التنزيل وفخامة شأنه الجليل فتدبر والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية
بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي رحمهم الله وقيل هو ارميا بن حلقيا من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبدالله

ابن عمر وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة
والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر اباد وقال السدي هي دير سلما باد والاول هو الاظهر والاشهر
روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله تعالى عليهم بخت نصر
البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث
منهم اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب
كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فراه على افظع
واوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان
من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض اي تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا
قال اي تلهفا عليها وشوقا الى عمارتها مع استشعار الياس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة
المباينة للحيوة وتقديم المفعول على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب على
الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي واياما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء
والسكان من بقايا اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا او من غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة
تهويلا للخطب وتاكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير
معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه واكده اراه الله عز وجل اولا ذلك الامر في نفسه ثم في غيره
ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما حمل احيائها على احياء اهلها فيأباه التعرض لحال القرية
دون حالهم وغاية بعده عن قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به خبرا
فاماته الله والبثه على الموت مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت
اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب وامات حماره
وبقيت تينه او عنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة وفق
الله عز وعلا ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة
الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل وردهم
الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة
من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه وايثاره على احياه للدلالة على سرعته وسهولة تأتيه على البارئ
تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال استئناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤونه تعالى وان احياءه
ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه
على امر اخر من بدائع اثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير
وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي كم وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل
نودي من السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم [illegible] على التقريب والتخمين او استقصار
المدة لبثه واما ما يقال من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال [illegible] الى الشمس يوما فالتفت اليها فرأى منها
بقية فقال او بعض يوم على وجه الاضراب فبمعزل من التحقيق اذ لا وجه لجزمه بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق
النقصان من اوله قال استئناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر بل هذا
المقدار فانظر لتعاين امرا اخر من دلائل قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة

مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه او عنبه كما جني وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء
اما من الطعام والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء واما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده
قراءة من قرا وهذا شرابك لم يتسنه والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل اصله لم يتسنن
من الحماء المسنون نقلت نونه حرف علة كما في تقضى البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت عليه حقيقة
بل تشبيها اي هو على حاله كانه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف نخرت عظامه
وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس
عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستيناف مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا ما فعلنا من اماتتك بعد ما ذكرنا لتعاين
ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون
الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب من علم التورية كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على
الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك فرق بينه وبين الامر بالنظر الى حماره و
تكرير الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان الامر به اولا هو النظر اليها من حيث تعريها
الحيوة ومباديها اي وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك كيف ننشزها
بالزاء المعجمة اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها
ولعل من فسره بها اراد بالاحياء هذا المعنى وكذا من قرا ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اي احياها لا معناه الحقيقي
لقوله تعالى ثم نكسوها لحما اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرا ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله
اراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام وانظر اليها مركبة مكسوة لحما او بدل اشتمال اي
وانظر الى العظام كيفية انشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه
نودي ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمع فاجتمع كل جزء من اجزائها التي ذهب بها الطير والسباع وطارت بها
الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمحلها والراس بموضعها
ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين
له اي ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء بمباديه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما
حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد
قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشزها الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح
اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الاثار قدير
لا يستعصي عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل
بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للامر وقيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول
اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ اعلم
وقيل اعلم على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى
منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير وقد
فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فاني عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت
ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بين عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها
قومي باذن الله فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في
انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير فكذبوها فقالت انظروا فاني

بدعاء رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك
وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التورية اربعين الف رجل ولم يكن فيهم يومئذ نسخة من التورية ولا احد يعرف التورية فقراها
عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي
عن جدي انه دفن التورية يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فوجدوها
فعارضوها بما املى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذ
قال ابراهيم دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد كما قبله
بان يقال او كالذي قال رب ارني الخ لجريان ذكره عليه السلام في اثناء المحاجة ولانه لا دخل لنفسه عليه السلام في اصل الدليل كدأب
عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من احيائه بعد تمام مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر
صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء اي واذكر وقت قوله عليه السلام وما وقع فيه من تعاجيب صنع الله عز وجل
لتقف على ما مر من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها
المقصودة بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني
ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية او لم يذكر كانها
مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة ارني من الرؤية البصرية
المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا اخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما يعلق النظر البصري اي
اجعلني مبصرا كيف تحيي الموتى بان تحييها وانا انظر اليه وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند
الاخفش والعامل فيها تحيي اي في اي حال او على اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند
السائل والمسؤول فالاستفهام ههنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما ساله عليه السلام
ليتايد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على اطمئنان واما ما قيل من ان نمروذ لما قال انا احيي واميت قال ابراهيم عليه السلام
ان احياء الله تعالى برد الارواح الى الاجساد فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم فانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه
ذلك فياباه تعليل السؤال بالاطمئنان قال استيناف كما مر غير مرة اولم تؤمن عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تؤمن
باني قادر على الاحياء كيف اشاء حتى تسألني اياه قاله وهو عالم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما
اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين قال بلى علمت وآمنت بانك قادر على الاحياء على اي كيفية شئت ولكن سالت
ما سالت ليطمئن قلبي بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بمشاهدة على كيفية معينة قال فخذ
الفاء لجواب شرط محذوف اي ان اردت ذلك فخذ اربعة من الطير قيل هو اسم جمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر
وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اي
اربعة كائنة من الطير قيل هي طاوس وديك وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع
لخواص الحيوان ولسهولة تاتي ما يفعل به من التجزية والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اي اماله وقرئ بكسر
الصاد من صاره يصيره اي املهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه
وقرئ فصرهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن اليك لتتاملها وتعرف شياتها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان
جزءا من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط
ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن
جزءا اي جزئهن وفرق اجزاءهن على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا
من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف ثم اجراء الوصل مجرى الوقف

ثم ادعهن يأتينك في حيز الجزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله بنون الجمع المؤنث سعيا اي ساعيات مسرعات او
ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه السلام ولا لما ترتب عليه من عجايب آثار
قدرته تعالى كما روي انه عليه السلام نادى تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا
ثم اقبلن الى رؤوسهن فانضمت كل جثة الى راسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك
الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا
على فضل الخليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال حيث اراه الله تعالى ما ساله في الحال على ايسر ما يكون من الوجوه
وارى عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليه السلام واعلم ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه شيء عما يريده حكيم ذو حكمة
بالغة في افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق اخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم و
المصالح مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة لا بد من تقدير
مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم مثل باذر حبة انبتت سبع سنابل اي اخرجت ساقا تشعب
منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل
اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة
بين يدي الناظر والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله لمن يشاء ان يضاعف له بفضله على حسب
حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل
به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
جملة مبتداة جيء بها لبيان كيفية الانفاق الذي بين فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اي ما انفقوه او
انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول
عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم
لاظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها و
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شيء
من المن والاذى لهم اجرهم اي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا من الموصول
وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التاكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية
ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية
واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه ولا خوف
عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب قل او جل اي لا يعتريهم ما يوجبه
لا انه يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال
الله تعالى وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد
الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف اي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء
شيء ومغفرة اي ستر لما وقع من السائل من الالحاف في المسألة وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه وانما صح
الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسؤول
خير اي للسائل من صدقة يتبعها اذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة
مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل او بعفو السائل

الى

ذلك لكنهم لا يخافون و لا يحزنون
و لا انهم لا يعتريهم

بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤول يؤدي الى ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرة
والله غني لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا
انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا يا ايها
الذين آمنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
اي لا تحبطوا اجرها بواحد منهما كالذي في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها ابطالا كابطال الذي
ينفق ماله رئاء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق اي الذي يبطل انفاقه بالرياء وقيل من
ضمير المصدر المقدر على ما هو راي سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اي لاجل رئائهم او على انه حال من فاعله اي ينفق ماله
مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها
بما قبلها اي فمثل المرائي في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب اي شيء يسير منه
فاصابه وابل اي مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس ليس عليه شيء من الغبار اصلا لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا
ينتفعون بما فعلوا رياء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم اصحاب المن والاذى كذلك
والضميران الاخيران للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان
الضماير الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله و
فيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى من خصايص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء
مرضاة الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اي ولتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز
من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
فقد ثبتها كلها او وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم على الايمان فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم
ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه
تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات
الثلث وقد قرئ بها المكان المرتفع اي ومثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد للطافة
هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد
لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف
تخفيفا ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في ساير الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثاله
ونصبه على الحال من اكلها اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل
فيصيبها طل هو المطر الصغير القطر وقرئ فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت
تتفاوت باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين
الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد
ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء منه
وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمال
الهمزة لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به
الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب اي كائنة
منهما على ان يكون الاصل والركن في هذا الجنس الشريفين الجامعين لفنون المنافع والباقي من المستتبعات لا على ان لا يكون

فيما غيرها كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا
وعلى الارض المشتملة عليها والاول انسب بقوله تعالى تجري من تحتها الانهار اذ على الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها
وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سياتي مجازيا والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك
او في محل النصب على انه حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدا اي صفة للمبتدا
قائمة مقامه اي له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا الخ وليس المراد بالثمرات
العموم بل انما هو التكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء واصابه الكبر اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة
كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير في اصابه اي اصابه الكبر
والحال انه له ذرية صغار لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اي ريح عاصفة
تستدير في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا
كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيمة عند كمال حاجته الى ثوابها
هباء منثورا في التحسر والتاسف عليها كذلك توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اي مثل ذلك البيان الواضح
الجاري في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كي تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا
بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي انفقوا من جياد
ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اي من طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب
والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تأمموا والكل
بمعنى القصد اي لا تقصدوا الخبيث اي الرديء الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون
الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق
عليه او من الخبيث اي مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه
مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من
الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريق قوله كأنه في الجلد توليع البهق او للثاني وتخصيصه بذلك لما
ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون فيه حال من الفاعل المذكور اي ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم ومما اخرجنا لكم او مما
اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل حال من واو تنفقون والحال انكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت من
الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اي الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية
او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيها او توجدوا
مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استونف فقيل على طريق
التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكاري كأنه قيل أمنه تنفقون
الخ واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون
من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشانه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطي ان الآخذ محتاج
الى ما يعطيه بل مضطر اليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر
الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان او غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها
الله الذين كفروا اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يضف
مجيء الفقر الى جهته للايذان بمبالغته في الاخبار بتحقق مجيئه كأنه نزله في تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته او لوقوعه
في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء اي الخصلة

صح

اي تنفقون

الفحشاء اي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمأمور على فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد ارى الموت
يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل المعاصي والسيئات والله يعدكم اي في الانفاق مغفرة لذنوبكم
والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي افادها تنكيرها اي مغفرة اي مغفرة كائنة منه
عز وجل وفضلا صفة محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اي وفضلا كائنا منه تعالى
اي خلفا مما انفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم
به من المغفرة والخلاف مما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل
فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتي الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي
عن ابن نجيح انها الاصابة في القول والعمل وعن ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الاشياء وقيل
هي الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسر في القرآن باربعة اوجه تارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من
عجائب الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبثوثة في تضاعيف الآيات الكريمة
من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اي يبينها ويوفق للعلم والعمل بها من يشاء من عباده ان
يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها
وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن
يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اي ومن يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بها
وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر اي وما يتعظ بما اوتي
من الحكمة او وما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه من
الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلي وما انفقتم من نفقة
بيان لحكم كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف
عائدها من الصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي اي نفقة كانت في حق او باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم
من نذر اي نذر كان في طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما فان الله يعلمه
الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيدا او عمرا اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا
صير الى التاويل في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية كما في قوله عز وعلا واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا
وحمل النظم على تاويلهما بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو
الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة
لتحقق الجزاء اي فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين
بالانفاق والنذر في المعاصي او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك
مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه من انصار اي اعوان ينصرونهم
من بأس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار
والجملة استئناف مقرر لما فيما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ودعاية الخلان
ان تبدوا الصدقات فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اي ان تظهروا

الصدقات فنعم شيئا ابداؤها وما نكرة لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين وهذا في الصدقات المفروضة واما في صدقات التطوع فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها خفية وتؤتوها الفقراء وتعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغني ربما يدعي الفقر او يقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اي الاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع يفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اي والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اي شيئا من سيئاتكم كما سترتموها وقيل مزيدة على رأي الاخفش وقرئ بالياء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انها جملة مبتداة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الآيات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة مخصصة له اي اي شيء تنفقوا كائنا من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتائج دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضي الله عنهم كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية

بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السائل المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا اضاءة ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شأن الصديق رضي الله عنه حيث تصدق باربعين الف دينار عشرة الاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر الموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين يأكلون الربوا اي يأخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال القياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم اخذه قبل التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من شرطية على رأي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم

من موعظة وبالاية آوان جعلت

سنهك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما على ساير الاعمال الصالحة على طريقه ذكر جبريل وميكايل عقيب الملئكة عم
لهم اجرهم جمله من مبتداء وخبر واقعة خبر الان اى اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي
التعرض لعنوان الربوبيه مع الاضافه الى ضميرهم من يد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه ات ولا هم يحزنون
من محبوب فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اى قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربوا اى واتركوا بقايا ما شرط
منه على الناس تركا كليا ان كنتم مومنين على الحقيقه فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البته وهو شرط حذف جوابه
ثقة بما قبله اى ان كنتم مومنين فاتقوه وذروا الخ روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا
فنزلت فان لم تفعلوا اى ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب
من الله ورسوله اى فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ
فاذنوا اى فاعلموا غيركم قيل هو من الاذان وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مويد لقراءة العامة وتنكير حرب
للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها اى بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى
ورسوله روى انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتياب مع الايمان بحرمتها بعد ما سمعتموه
من الوعيد فلكم رءوس اموالكم تاخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب
او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اى لا تظلمون انتم من قبلهم
بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون
ومالهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند ابي حنيفه رحمه الله وكذا ساير اموالهم عند الشافعي وعندنا هو لورثتهم ولا شيء
لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رءوسهم فكيف برءوس اموالهم والا
فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنهما فانه يقول من عامل الربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون الى ان
يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم وان كان ذو
عسرة اى ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامه وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة اى فالحكم نظرة
او فليكن نظرة وهي الانظار والامهال وقرئ فناظرة اى فالمستحق ناظرة اى منظرة او فصاحب نظرة على طريق النسب و
قرئ فناظره امرا من المفاعلة اى فسامحه بالنظرة الى ميسرة اى الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقه
وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافه كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بحذف احد التائين
وقرئ بتشديد الصاد اى وان تتصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم اى اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة
ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان يتصدقوا برءوس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل
المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف
اى ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيمه وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير
عما فيه من الشدايد والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول
ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالهم ثم توفى
كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اى تعطى كملا ما كسبت اى جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا
يظلمون حال من كل نفس بتنزيل العاقبين وان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير
لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما انها اخر اية نزل بها جبريل وقال ضعها في
راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل

شقيف م

اوفعلكم

سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية
فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربوا اى اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او اخذا وفايدة ذكر الدين دفع
توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والموجل وانه الباعث على الكتابه وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل
بالامر الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة للدين مسمى بالايام او الاشهر ونظايرهما مما يفيد العلم ويرفع
الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اى الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه و
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله تعالى الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان
لكيفيه الكتابه وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله
تعالى بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اى كاتب كائن بالعدل اى وليكن المتصدى للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية
من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجىء كتابه موثوقا به معدلا بالشرع و
يجوز ان يكون حالا منه اى ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اى فليكتب بالحق ولا ياب كاتب اى ولا يمتنع احد من الكتاب
ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقه ما علمه من كتبة الوثايق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او لا ياب ان ينفع
الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد
النهي عن ابائها تاكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقه ثم الامر بها مقيدة وليملل
الذي عليه الحق الاملال هو الاملاء اى وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه
جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير اى وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اى من
الحق الذي يمليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص
فلو اريد نهيه لنهي عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء و النهي
عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان
الذي عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل
مبذرا مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي او
جهل او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اى الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل
اى من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا
شهيدين اى اطلبوهما ليتحملوا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينه وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن
من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائيه او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اى شهيدين كائنين
من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه
واما اذا كانت المداينه بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اى الشهيدان جميعا
على طريقه نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب اخر من الاسباب فرجل وامراتان اى فليشهد
رجل وامراتان او فرجل وامراتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي رحمه
الله ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامراتان اى كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف
المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اى كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم
الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم
الفصل بين اشتراط المرايتين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع
الى الموصول اى ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق

المامور بها وتعريض لمن يتولى اما تركا لامر بها اجلالا وحذف المفعول اما لتعينه او للقصد الى ابقاء نفس الفعل اى ليفعل الكتابة

العقيب ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان
سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان
نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتاكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم
اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع
كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر
من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم فنزلت
ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كني به عن الكسل الذي هو صفة
المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا
او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا
من الهاء في تكتبوه اي مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين
اقسط اي اعدل عند الله اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط
واقام فانه قياسي عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا
واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا بيد
فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اي فلا باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم كان و
حاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة
في الاية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن المضارة
يحتمل البناءين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف في الكتبة والشهادة
او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه
نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة ملتبس
بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله
بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلث لادخال الروعة وتربية المهابة والتنبيه
على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم
على سفر اي مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي
يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه
مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثق
بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على وجوب
القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن
بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اي امنه
الناس ووصفوه بالامانة فيكون انتصاب بعضا على نزع الخافض اي على متاع بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون
وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء امانته اي دينه وانما سمي امانة لايتمانه عليه بترك الارتهان
به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق
الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا

بالارتهان مقام التوثق

الشهادة

الشهادة ايها الشهود او المديونون اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه مرتفع به
على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة
الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق
سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اي جعله آثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر
لله ما في السموات وما في الارض من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها
له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس
بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث
النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على منكري الحساب من
المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في
صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها
كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصور بل وجود كل شيء في نفسه في اي طور
كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة
الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية
وقد مر في تفسير قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر بفضله
لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله من يشاء ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم
المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انهما
بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط في قوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا
ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء
موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة
الكريمة ان ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة
التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم
ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما ذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين
ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف الامم وغير ذلك ما تقتضي الحكمة شرحه عين
في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله
عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم
يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الاتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما
بعدما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد
تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل اليه ومزيد توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليه
ما يعم كله وكل جزء من اجزائه فيه تحقيق لكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين لعنوانه اي آمن عليه السلام بكل ما انزل
اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب و
غير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية
المذكورة وفي هذا الاجمال اجلال لمحله صلى الله عليه وسلم واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل واحاطته بجميع ما انطوى عليه

من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلاً وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وتنبيه
على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها
الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل كل مبتدأ ثان وقوله تعالى آمن خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط
بينهما الضمير الذي ناب مناب التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من
غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل أتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه
السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كأنهما مختلفان
من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء محوج
الى التقوية والتأكيد اي كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته اي من حيث
انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات
ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث مجيئهما
من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل
منه تعالى الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية ولا على ان مناط الايمان خصوصية
ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند
اليه لما تلي من الآية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها
بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرايع والاحكام ثابتة
من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب
كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في افراد الجنس والجمع
في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذاناً بكفايته
في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور
المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتاً فاحشاً فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف وقد اجمل في حكاية ايمانه
عليه السلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقاً بتفاصيل ما فيه من الجلايل والدقايق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت
من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقاً لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان
بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن
التنزيل والحقيق بمقدار الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفاً على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي
عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معاً كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد
من الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وايذاناً باصالته عليه السلام في الايمان
به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال اجلال شأنه عليه السلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل
من الايمانين على ما يليق بشأنه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادها الى غيره عم
وضاع التكرير وان حملا على ما يليق بشأن آحاد الامة كان ذلك حطاً لرتبته العلية عليه السلام وان حملها على ما يليق بكل واحد
من نسبا اليه من الآحاد ذاتاً وتعلقاً بان يحمل بالنسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل
وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين غني

عن ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب
على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اي يقولون لا نفرق منهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة
كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم تحقيقاً للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقلت اليهود
بالكفر بعيسى عليه السلام ايضاً على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا اظهار موافقتهم لهم
فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القايلين آحاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا نفرق بين
احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام
المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم
بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملاً على المعنى كما في قوله تعالى وكل أتوه داخرين فالجملة نفسها حال من
الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول
والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحاً على تحقق
عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداهم كائناً من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرسل على
الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة
في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون ساير الحيثيات الخاصة
وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي
فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك
غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك او نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة
حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار واليك المصير اي الرجوع بالموت والبعث
لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفساً الا
وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهاراً لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن
آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول
الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصوم والجهاد والحج وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
فقرأها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فسئلوا الغفران
المعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفساً الا وسعها تهويناً للخطب عليهم ببيان ان
المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة
ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف نفساً من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر
عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلاً منه تعالى ورحمته لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير
يتضمن مراعاة منفعة زايدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة
الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واختصاص مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت

من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استبدادا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها باحد
الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال ناشي من اعتناء
النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف
اي لا تواخذنا بما صدر عنا من الامور المودية الى النسيان او الخطا من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما
من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المواخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم وكما ان تناولها ولو سهوا او
خطا مود الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب
استحالة وقوعه فان ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطا والنسيان وقد روي
ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك
كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز
مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي
لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في حيز
النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته
على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في يوم وليلة وصرف ربع
المال للزكوة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك
وانزل في شانهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن
العقوبات التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف على ما قبله واستعفاء من العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يودي اليها التفريط
فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في
المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يودي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة
ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا
لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا اي امح ذنوبنا واغفر لنا واستر
عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة
لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك وناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله والجهاد
في سبيله تعالى حسبما امر من تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات
قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام ان الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام
من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرا ايتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من
استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة
فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مائتا آية

الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين
الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز
على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه
الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدا بما بعدها كما فعله ابو بكر رضي الله عنه رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما
هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة حركتها في حكم الثابت المبتدا
به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء
السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها واتخير ان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان
سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها الا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان
حقها الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل ويحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على
نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدا محذوف واما النصب
على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكروا واقرا او نحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء
منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدا وما بعده خبره والجملة مستانفة اي هو المستحق
للمعبودية لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم خبر اخر له او لمبتدا محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدا او
بدل منه او من الخبر الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدا والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه وايا ما كان فهو كالدليل
على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم
الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة
تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلث سور في سورة البقرة الله لا اله
الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل
سالوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم قال الحي القيوم ويروى ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو
يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام
كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم
ثلثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم
السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك
الروم شرفوه وموّلوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له الكنايس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة
بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت
تعلم هذا قال لان هولاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا به لاخذوا منا كله فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى
ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات
جبب واردية فاخرة يقول بعض من راهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا
ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة
عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى
هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا فقالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا

ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا
يموت وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال
عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما
علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال
عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى عليه السلام حملته امه كما تحمل المراة ووضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي
ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا
جحودا فانزل الله عز وجل في اول السورة الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبهتهم وتحقيقا
للحق الذي فيه يمترون نزل عليك الكتاب اى القران عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات
الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسم التورية والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة
على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستانفة او خبر اخر من الاسم
الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو الحي اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب
بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر ان يكون مستانفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده بالحق
حال من الفاعل او المفعول اي نزله محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره التي من جملتها
خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله تعالى من الحجج البينة مصدقا حال من الكتاب بالاتفاق
على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدل
حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لانه ح
يحمل ضمير القيمة مقام عامله المحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين
على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما لما بين يديه مفعول لمصدقا
واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد اي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكمال ظهور امرها
بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل والاحسان
وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في نزوله على النعت المذكور فيها وكذا في الشرايع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار
ظاهر لا ريب فيه واما في الشرايع المختلفة باختلافهما فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية
بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشانهم وانزل التورية والانجيل تعيين لما بين يديه
وتبيين لرفعة محلهما تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شان ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في القلوب قبولا
ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سنذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما جملة على
موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكر لان الكلام في الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان عجميان الاول عبري والثاني
سرياني وبعض القراء بفتح همزة الانجيل فانه افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف
من قبل متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان هدى للناس
الجمهور النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر
جعلا نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي ذوي هدى ثم ان [illegible] بهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس
الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه
لما ان هدايتهما بما عدا الشرايع المنسوخة من الامور التي يصدقهما القران فيها ومن جملتها البشارة بنزوله ومبعث النبي صلى
الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة وانزل الفرقان الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به

عيسى ع

فيهما اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها
بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر
فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا
والذين معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى
الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تاخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتورية في الاشتمال على الاحكام
والشرايع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القران نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وقد
بين اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى سماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج
وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والباطل ان الذين كفروا بايات الله وضع موضع الضمير
العايد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات الايات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم و
تاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها
والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو المناسب بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي
ان الذين كفروا بما ذكر من ايات الله الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها
من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقران اصالة وبساير الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب
ما يصدقه حتما او اصالة ايضا بان كذبوا باياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه واياتها المبشرة بنزول القران ومبعث النبي صلى
الله عليه وسلم وغيروها لهم بسبب كفرهم بها عذاب مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر
ان والتنوين للتفخيم اي اي عذاب شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي
والاشارة الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ذو انتقام عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم
منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء استيناف
كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا
اثر بيان كمال قدرته وعزته وبيان لما قبله من الوعيد وتنبيه على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام
بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر من عدم خفاء شيء عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من
شيء في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه
يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان و
تكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي
اي لا يخفى عليه شيء ما كاين في الارض ولا في السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة
بيخفى وانما عبر بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشان احوال اهلها وتوسيط حرف
النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا
وقوله عز وجل هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان
احوال الخلق في اطوار الوجود حسب [illegible] السنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء
قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على المشية قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة
بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب
على الحالية اما من فاعل يصوركم اي يصوركم كاينا على مشيته تعالى اي مريدا او من مفعوله اي يصوركم كاينين على مشيته تع

تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من
الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو
من جملة ابناء المتقلبين في هذه الاطوار على مشية البارى عز وجل وكال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصور كم على صيغة
الماضي من التفعل اى صوركم لنفسه وعبادته **لا اله الا هو** اذ لا يتصف بشئ مما ذكر من الشؤن العظيمة الخاصة بالالوهية
احد ليتوهم الوهيته **العزيز الحكيم** المتناهى في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع **هو الذى**
انزل عليك الكتاب شروع في ابطال شبههم الناشية عما نطق به القران في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستيناف
اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيته
قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا رسول الله ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام
بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها
ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج و
عدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشان بشارته عليه السلام بتشريف
الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شانه او بمنفعته
تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسمين **منه آيات** الظرف خبر وآيات
مبتدا او بالعكس بتاويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثانى ادخل في
جزالة المعنى اذ المقصود الاصلى انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستانفة او في
حيز النصب على الحالية من الكتاب اى هو الذى انزل الكتاب كائنا على هذه الحال اى منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال
وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية **محكمات** صفة آيات اى قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال
والاشتباه **هن ام الكتاب** اى اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة
لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدى الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى
وجعلناها آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها
فصليب اى واما جلودها **واخر** نعت لمحذوف معطوف على آيات اى وآيات اخر وهى جمع اخرى وانما لم ينصرف
لانه وصف معدول من الاخر او من آخر من **متشابهات** صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اى محتملات لمعان
متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتامل الانيق فالتشابه
في الحقيقة وصف لتلك المعانى وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شان الامور
المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمى كل ما لا يهتدى اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك بسبب التشابه
كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك
الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التى نيط
بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها
اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمينان الى معارج القاصية واما قوله
عز وجل الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او
جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثانى معناه متشابه الاجزاء اى يشبه
بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول **فاما الذين في قلوبهم زيغ** اى ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة
قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد

الحادي عشر

واصرارهم على الشر والفساد **فيتبعون ما تشابه منه** معرضين عن المحكمات اى يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل
باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل **ابتغاء الفتنة** اى طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد **وابتغاء تاويله** اى وطلب ان يأولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزائغة
والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل **وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم** فانه حال من ضمير يتبعون
باعتبار العلة الاخيرة اى يتبعون المتشابه لابتغاء تاويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اى
الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل
عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التاويل في شئ وان ما يبتغونه ليس بتاويل اصلا لانه تاويل غير صحيح
قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة
وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به **يقولون آمنا به** اى
بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم و
على الثانى خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى **كل من عند ربنا** من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اى كل واحد
منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او امنا به وبحقيته على مراده تعالى **وما**
يذكر حق التذكير **الا اولوا الالباب** اى العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته
تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تاويله من تجرد العقل عن غواشى
الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح
منه على وجه الاجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون **ربنا**
لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه
وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ
فيه قلوبنا **بعد اذ هديتنا** اى الى الحق والتاويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرفية واذ في محل
الجر باضافته اليه خارج عن الظرفية اى بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان **وهب لنا من لدنك** كلا الجارين متعلق
بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثانى بمحذوف هو حال من المفعول اى كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية
ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول الغاية زمانا او مكانا او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد يكون فضلة
وكذا لدى وبعضهم خصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله تنفض الرعد في ظهيرى من لدن الظهر الى
العصيرى ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفرد وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله ولا تقطع اصلا من لدن
ان وليتنا قرابة ذى رحم ولا حق مسلم اى من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعماه
لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم فلا يك منكم للخلاف جنوح وقلما تخلو عن
من كما في البيتين الاخيرين **رحمة** واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق وتاخير المفعول الصريح
عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا
سيما عند الاشعار بكونه من المنافع باللام فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن **انك انت الوهاب** تعليل للسؤال او لاعطاء
المسؤول وانت اما مبتدا او فصل او تاكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى
والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شئ **ربنا انك جامع الناس ليوم** اى لحساب
يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا وتفظيعا لما يقع فيه **لا ريب فيه** اى في وقوعه ووقوع
ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم والتاكيد لاظهار

عطاء

ماهم عليه من كمال الطمانينه وقوة اليقين باحوال الاخره ان الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء
الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشي من ذكر اليوم المهيب الهائل
بخلاف ما مر في اخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سياتي وللاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد
جوز ان يكون الجملة مسوقه من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب
بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلايل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا اثر ما بين الدين
الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شان القران العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال
من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركوا العرب
لن تغني عنهم اي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين واموالهم التي يبذلونها
في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم الذين بهم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتاخير
الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها عند
نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل
طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدل الحق ومنه قوله عليه السلام ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه
جده بدلك اي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم
واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل
امرهم والانسب لما بعده من قوله تعالى واولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فاخذهم الله اي اولئك المتصفون
بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فان اريد بيان حالهم عند التسعير فايثار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره
والا فهو للايذان بان حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم
وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستانفة مقررة لعدم الاغناء
او معطوفة على خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود
النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها كداب ال فرعون الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب
استعماله في معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود
اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الداب انما هو التكذيب والاخذ من غير
تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو راي المجوز ولا لايقاد النار فيحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر
على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى واولئك هم وقود النار الا ان
يجعل استينافا لا معطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اي داب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كداب
ال فرعون والذين من قبلهم اي من قبل ال فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تعالى
كذبوا باياتنا بيان وتفسير لدابهم الذي فعلوا على طريقة الاستيناف المبني على السؤال كانه قيل كيف كان دابهم فقيل كذبوا
باياتنا وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدابهم الذي فعل بهم اي فاخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من باس الله تعالى محيصا فداب
هؤلاء الكفرة ايضا كدابهم وقيل كذبوا الخ حال من ال فرعون والذين من قبلهم على اضمار قد اي داب هؤلاء كداب اولئك
وقد كذبوا الخ واما كونه خبرا من الموصول كما قيل فمما يذهب برونق النظم الكريم والالتفات الى التكلم اولا على سنن الكبرياء والى
الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم اي بسبب تكذيبهم بالايات فالباء للسببية جيء بها
تاكيدا لما تفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها ساير ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على انهم اخذوا
اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو

والتابع

والتابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي تتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة
له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى وفي التورية نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى
تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق
كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير
وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني
قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا
لعلمت انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة و
اجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل
بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة وان المعنى قل لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد
فيؤدي الى انقطاع الاية الكريمة عما بعدها في النزول لعدم وقعة بدر وتحشرون الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على ان الام
امر بان يحكي لهم ما اخبر الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كانه قيل اد اليهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام ما يقال لهم
او استيناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان
لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المامور به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف
خبر كان على انها ناقصة ولتوسطه بينها وبين اسمها ترك التانيث كما في قوله ان امرا غره منكن واحدة بعدي وبعدك
في الدنيا المغرور على ان التانيث ههنا غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء
بما قدم والتشويق الى ما اخر اي والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم اية عظيمة دالة على صدق ما اقول
لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها
ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لاية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق
بمحذوف وقع حالا من اية التقتا في حيز الجر على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدا
محذوف اي احديهما فئة كما في قوله اذا مت كان الناس حزبين شامت واخر مثن بالذي كنت اصنع اي احدهما
شامت والاخر مثن وقوله حتى اذا ما استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستانفة
لتقرير ما في الفئتين من الاية وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر
مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الاية وهي روية القليل
كثيرا وقرئ يقاتل على تاويل الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت لمبتدا محذوف معطوف على ما حذف من
الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم
الحاجة الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر المبتدا المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى
اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يقصدوا بالقتال ما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين
بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عايد الى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية
عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدا وما بعدهما خبرا اي فئة منهما تقاتل
وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدا محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من
فئتين بدل بعض من كل وقد مر انه لا بد من ضمير عايد الى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة وكنت
كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح او الذم او على الحالية

و



من ضمير الفئتين كأنه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة وأخرى توطئة لما هو الحال حقيقة إذ المقصود بالذكر وصفاهما كما في جاءني زيد رجلا صالحا يرونهم أي يرى الفئة الأخيرة الفئة الأولى وإيثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع على أنها صفة للفئة الأخيرة أو مستأنفة مبينة لكيفية الآية مثليهم أي مثلي عدد الرائين قريبا من ألفين إذ كانوا قريبا من ألف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم أبو سفيان وأبو جهل وكان فيهم من الخيل والإبل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن أصناف الأسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن أبي الفرات عن سعد بن أوس أنه قال أسر المشركون رجلا من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلاثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا أو مثلي عدد المسلمين أي ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان أحدهما للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد بن أبي مرثد وست أدرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار رضي الله عنهم أراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما أمدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد أن قللهم في أعينهم عند ترائيهما ليجترئوا عليهم ولا يهربوا من أول الأمر حين يخصهم الرهب وقيل يرى الفئة الأولى الفئة الأخيرة مثلي أنفسهم مع كونهم ثلاثة أمثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والأول هو الأولى لأن رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل وقعت رؤية المثل بل أقل منه أيضا فإنه روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى أيضا في أعينهم حتى رأيتهم عددا يسيرا أقل من أنفسهم قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال كنا ألفا فلو أريد رؤية المؤمنين المشركين أقل من عددهم في نفس الأمر كما في سورة الأنفال لكانت رؤيتهم إياهم أقل من أنفسهم أحق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم على أن إبانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة بإراءتهم القليل كثيرا والضعيف قويا وإلقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك أدخل في كونها آية لهم وحجة عليهم وأقرب إلى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل أشد من تعلقه بالمفعول فجعل أقرب المذكورين السابقين فاعلا وأبعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة أو مستأنفة أولى من العكس هذا ما تقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا مساغ لجعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل أما إن جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما هو جوابه فظاهر لاستحالته وأما إن جعل عبارة عن هزيمة أخرى فلأن الفئة التي شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة أخرى ثم إسناد المشاهدة إليها مع كون إسنادها إلى المخاطبين أوقع في إلزام الحجة وأدخل في التبكيت مما لا داعي إليه وبهذا تبين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين وأما قراءة ترونهم بالتاء فظاهرها وإن اقتضى توجيه الخطاب الثاني إلى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لجواز أن يدفع به المحذور الأخير والأول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعدما وقع بينهم بواسطة كعب بن الأشرف من العهد والميثاق فأسندت الرؤية إليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الإراءة أي يريهم أو يريكم الله تعالى ذلك رأي العين مصدر مؤكد ليرونهم إن كانت الرؤية بصرية أو مصدر تشبيهي إن كانت قلبية أي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد أي يقوي بنصره من يشاء أن يؤيده

مي

من غير توسيط الأسباب العادية كما أيد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به إن في ذلك إشارة إلى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فإنه نوع من العبور أي لعبرة عظيمة كائنة لأولي الأبصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن أبصرهم وهو أيضا من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل وإما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى إثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات نزوع النفس إلى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات أو إيذانا بانهماكهم في حبها بحيث أحبوا شهواتها كما في قوله تعالى إني أحببت حب الخير أو استرذالا لها فإن الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه إذ هو الخالق لجميع الأفعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم الآية فإنها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة إلى بقاء النوع وإيثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما أن مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات وأسند تزيينها إليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها إلى الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على أنه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء لعراقتهن في معنى الشهوة فإنهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون ألفا وقيل أربعون ألف مثقال وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة رطل وقيل ألف ومائتا مثقال وقيل ألف دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في أن وزنه فعلال أو فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض أو المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير أو حال والخيل عطف على القناطير قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من الخيلاء المسومة أي المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها إذا أرسلها وسيبها في المرعى أو المطهمة التامة الخلق والأنعام أي الإبل والبقر والغنم والحرث أي الزرع مصدر بمعنى المزروع ذلك أي ما ذكر من الأشياء المعهودة متاع الحياة الدنيا أي ما يتمتع به في الحياة الدنيا أياما قلائل فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على أن ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكرير الإسناد بجعل الجلالة مبتدأ وإسناد الجملة الظرفية إليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم إثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا ذكر ما عنده تعالى من حسن المآب إجمالا أمر النبي عليه السلام بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير أي أخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وإبهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق إليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات استئناف مبين لذلك المبهم على أن جنات مبتدأ والجار والمجرور خبر أو على أن جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل إلى الله تعالى والإعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات أو متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المتقين لإظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات

الشهوة

على البنين

خبر لمبتداء محذوف والجملة مبينة لخيرٍ ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو
خير لطائفة بعينها يوهم ان هناك خيرا آخر لآخرين تجري في محل الرفع او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها
الانهار متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو
باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار
وازواج مطهرة عطف على جنات اي مبرأت مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان
التنوين للتفخيم من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان واي رضوان لا يقادر
قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين
اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا اننا آمنا في محل الرفع
على انه خبر مبتداء محذوف كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ او النصب على
المدح او الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد كذلك وقوله تعالى والله بصير بالعباد حينئذ معترضة وتاكيد الجملة لاظهار
ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد
الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع
منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق
الطاعات وعلى الباساء والضراء وحين الباس والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين
على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم في سبيل الله والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد و
قتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر
ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم
يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص
الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما للمجتهدين و
توسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها شهد الله انه
بفتح الهمزة اي بانه او على انه لا اله الا هو اي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس وانزال الآيات
التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر و
قرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الخ على قراءة ان بفتح
الهمزة كما سيأتي وقرئ شهداء لله وهو اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملئكة
عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك واولوا العلم
اي آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار
وقيل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل
القاطعة وارتفاعهما في القراءتين الاخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك
على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملئكة واولي العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه حينئذ
ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملئكة واولو العلم شهداء بذلك ولك ان تحمل القراءتين على المدح
نصبا ورفعا فيحسن العطف على المستتر على كل حال قائما بالقسط اي مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى
في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز
جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ولعل تاخيره عن المعطوفين للدلالة على علو

بالنصب على انه حال من المذكورين او على
المدح وبالرفع على انه خبر مبتداء محذوف
وبالرفع على المدح اي هم شهداء لله

بينهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء بشانه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمه على المعطوفين
مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه
والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله قائما الخ او الفصل بينهما
قيل توسيعا لهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على
البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة او على انه خبر لمبتداء محذوف وقرئ قيما بالقسط لا اله الا هو
تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انه
المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او
الخبرية لمبتداء مضمر وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي
عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه
كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على
النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج
في آخر الزمان فلما دخلا عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام
انا محمد واحمد قالا فانا نسألك عن شيء فان اخبرتنا آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب
الله عز وجل فنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى
اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله
والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين الخ على انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان
او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته
والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شافته
في غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء مفرغ من اعم الاحوال واعم الاوقات اي
وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة
الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فان
الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا
لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع ومن يكفر بآيات الله اي آياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله تعالى
هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او باية آية كانت من آياته تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا فان الله سريع
الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بآياته تعالى فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب
اي يأتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق
الكفر باياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك
للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم فان حاجوك اي في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعدما اقمت عليهم
الحجج فقل اسلمت وجهي اي اخلصت نفسي وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والمشاعر ومجمع ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء لله لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم
الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم السلام ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك لكون
الفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى

وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين والاميين اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم
متبعين لي كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقول
من لخص لصاحبه المسالة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون
اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة
وكلة القريحة ما لا يخفى فان اسلموا اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به حسما لباب
اطلاق اسم الاسلام على شيء آخر بالكلية فقد اهتدوا اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوي الضلال وان تولوا
اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام فانما عليك البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما قرا هذه الاية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده
ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله فقالوا
معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله تعالى وان تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد
ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله اي اية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالايات الناطقة بحقية الاسلام
على الوجه الذي مر تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبيا عليهم السلام
وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصم الله تع
ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم
ايضا بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من
التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال
رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من
اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا
جميعا من اخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فان النسخ
لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله
وكذا النسخ بلكن كما في قوله فوالله ما فارقتكم عن ملالة ولكن ما يقضى فسوف يكون وانما يغير معنى الابتداء في النسخ بليت
ولعل ومذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة كما في قولك الشيطان فاحذر عدو مبين وعلى الاول هو استيناف واسم الاشارة مبتداء
وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره
اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلين باسوء الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات
ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الاخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من
باس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى
وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من تتاتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب و
سوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اي الم تنظر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقريب
ح بكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى
التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم
وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها

وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا
منه وهو التورية والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه
والجملة استيناف مبين لمحل التعجب مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب
الله تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال صلى
الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القران فانهم
قد علموا انه كتاب الله تعالى لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه
وعاداهم الاخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من
فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار
على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا
لن تمسنا النار باقتراف الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على
ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان اباءنا الانبيا
يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح
فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون
حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيمة
من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء
ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد
وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن
هي بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كل
منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل لدخولها عليه
مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء و
متعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيف ما تشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية
تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي تستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية
غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء
اي ايتاءه اياه وتنزع الملك ممن تشاء اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكية حقيقية والاخران مجازيان خاصان
ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والاخران بعضان منه فتامل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم
الى اخرين وتعز من تشاء ان تعزه في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله في احديهما
او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله
لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي بالذات والشر
مقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله واما
الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب قطع
لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره فجاء عليه السلام واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما
بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر في ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور
صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم
انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت
انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة
الثاني وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفه
وقيل تخرج المومن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفه من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المومن وترزق
من تشاء بغير حساب قال ابو العباس المقرى ورد لفظ الحساب في القران على ثلثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من
تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك
بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك
الافاعيل العظام المحيرة للعقول والاوهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم اهون من
كل هين عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب واية الكرسي وايتين من آل عمران شهد
الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله
تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقراكن احد دبر كل صلوة الا جعلت
الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة
ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي
اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة
او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء و
قوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى وعن الاستعانة بهم في الغزو وساير
الامور الدينية من دون المومنين في موضع الحال اي متجاوزين المومنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى
انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل
للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية
فان موالاة المتعادين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب و
الجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل
النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا او باطنا في حال من الاحوال الا اتقاكم منهم اي من جهتهم تقاة
اي اتقاء او شيا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء
وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم
ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسه فان جواز اطلاق
لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتاخرين بعدم الجواز
وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يوبه دونه بما
يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم من

الحال

الضماير

الضماير التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيواخذكم بذلك عند مصيركم اليه وقدم الاخفا
على الابدا عكس ما في تفسيره قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في
السموات وما في الارض كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا
والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسه المتميزه عن ساير
الذوات المتصفه بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفه بالقدرة الذاتيه الشاملة
لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس اي من النفوس المكلفه ما عملت من خير محضرا
عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا
الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل
في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحايف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم
امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد الوداده الى كل نفس سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت متمحضه في الخير من الدلالة على
كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية
باضمار اذكروا او تود حالا من كل نفس او استيناف مبني على السؤال اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا
وادة بينها وبينه امدا بعيدا او كان سائلا قال حين امروا بذكره ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الخ او
تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا يكون ما شرطيه لارتفاع تود وقرئ ودت فح يجوز كونها
شرطيه لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهوره ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق
واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رءوف بالعباد من ان تحذيره تعالى من رافته بهم
ورحمته الواسعه او ان رافته بهم لا تمنع تحقق ما حذرهموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرافة بل
هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل
لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد
اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي
الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرض عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب
عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة
والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة
وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي انها نزلت لما قالت
اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده عم
انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسمعيل عليه السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى
ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني
اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع الاوامر
والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية

الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة المامور بها اطاعته عليه السلام من حيث انه رسول الله لا من ذاته ولا ريب في ان
عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف
احدى التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة
كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم
وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان
سخطه تعالى بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمومنين ان الله اصطفى
ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف
اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم و
طاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة فبدا ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم السلام كافة واتبعه
ذكر مبدا امر عيسى وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شانهما
من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابراهيم عليه السلام وادعاءهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم
عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون
عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملكة والنبيين وان اممهم قاطبة مامورون بالايمان بمن جاءهم من
رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية
والانجيل وحتم الطاعة لحكمهما كما سياتي تفصيله وتخصيص ادم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشاء النبوة وكذا
حال نوح عليه السلام فانه ادم الثاني واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى
الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر من التنبيه على كونه عليه السلام
عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق
امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو الداعي
الى اضافة الآل الى ابراهيم دون نوح وادم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل به اختياره
تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس
المصطفى كما في كافة الرسل عليهم السلام او فيمن يلابسه وينشا منه كما في مريم وقيل اصطفى ادم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن
تقويم وتعليم الاسما واسجاد الملكة اياه واسكان الجنة واصطفى نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرايع اذ لم يكن قبل ذلك
تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمومنين وحمله على متن الماء والمراد
بآل ابراهيم اسمعيل واسحق والانبيا من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه عليه السلام
فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبيا وقدوة
الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة
ابي ابراهيم وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازار بن ابي هود بن زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشا
ابن امون بن منشا بن حازقان بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجيم بن داود عليه السلام ابن ايشا بن
عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياداب بن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون
عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء
عيسى عليه السلام لاندراجه في آل ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون
عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابراهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى

كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي
وقوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض
من البعض في النسب كما ينبي عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستمالة على الوجه الاول قرينة وعلى
الثاني برهانية والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي من بينهم لخدمته من يظهر استقامته
قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امرات عمران في حيز النصب
على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر سر
توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها
المحكي عليهم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت
الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامراة
عمران هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون
عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فان كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان
لانه عليه السلام معاصر له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله صلى الله عليه وسلم في شان
يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فقيل تاويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلهما
ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت له ايشاع
ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها
اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رات طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد
وتمنته وقالت اللهم لك علي نذر ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر
مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل فقولها رب اني نذرت لك ما في بطني لا بد من حمله على التكرير
لتاكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب
مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من
اسمائه وصفاته وتاكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد بما
لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شان اخر او مخلصا
للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في
قوة ما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من استقرار ما
في بطنها فتقبل مني اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور
القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي
ودعائي العليم بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى
سميعا للدعاء عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا
واحسانا وتاكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع
حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال فلما وضعتها اي ما في بطنها وتانيث الضمير العائد اليه لما ان
المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها
انثى لا على وضع ولد ما كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل انث لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول
بالحبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء مما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدار الترتب الجواب عليه وقوله تعالى

أي حال مؤكدة من الضمير أو بدل منه وتأنيثه للمسارعة إلى عرض ما دهمه من خيبة الرجاء أو لما مر من التأويل بالجبلة أو النسمة
فالحال مبنية وإنما قالته تحسرا وتحزنا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو أن تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة
والتأكيد للرد على اعتقادها الباطل والله أعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى للموضوع عنها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره أي
والله أعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الأمور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية
وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها أي أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما أودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار
وقرئ وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إظهارا لغاية الإجلال فيكون ذلك منها اعتذارا إلى الله
تعالى حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة أو تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى
خير من الذكر فوجه الالتفات ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالأنثى اعتراض آخر مبين لما في الأول من تعظيم الموضوع
ورفع منزلته واللام في الذكر والأنثى للعهد أي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه أن يكون كواحد من
السدنة كالأنثى التي وهبت لها فإن دائرة علمها وأمنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الأمور هذا على القراءتين الأوليين و
أما على التفسير الأخير للقراءة الأخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الأنثى في الفضيلة بل أدنى منها وأما على التفسير الأول لها
فمعناه تأكيد الاعتذار ببيان أن الذكر ليس كالأنثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فإنهن بمعزل
من ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى وإني سميتها مريم عطف على إني وضعتها أنثى وغرضها من عرضها على علام
الغيوب التقرب إليه تعالى واستدعاء العصمة لها فإن مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب و
إظهار أنها غير راجعة عن نيتها وإن كان ما وضعته أنثى وأنها إن لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه
وإني أعيذها بك عطف على إني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار أي أجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء
المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة إلا في موضعين بعهدي أوف آتوني أفرغ وذريتها عطف على الضمير
وتقديم الجار والمجرور عليه لإبراز كمال العناية به من الشيطان الرجيم أي المطرود وأصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه إلا مريم وابنها ومعناه
أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها
أي أخذها ورضي بها في النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها إلى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى
بقبول حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد أي تقبلها قبولا حسنا وإنما
عدل عن الظاهر للإيذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فإن صيغة التفعل مشعرة بحسب أصل
الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وإن كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل و
كثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى إياها بإقامتها مقام الذكر
في النذر ولم يقبل قبلها أنثى أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روي أن حنة حين ولدتها
لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم
دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فإن بني ماثان كانت رؤوس بني إسرائيل
وملوكهم وقيل لأنهم وجدوا أمرها وأمر عيسى عليه السلام في الكتب الإلهية فقال زكريا عليه السلام أنا أحق بها عندي
خالتها فأبوا إلا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا عليه السلام ورسب
أقلامهم فكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر أي فتقبلها بذي قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى
استقضى وتعجل بمعنى استعجل أي استقبلها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن وأنبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها
في جميع أحوالها نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل لفعل مضمر موافق تقديره فنبتت نباتا

حسنا وكفلها زكريا أي جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير أمورها لا على طريقة الوحي بل على ما
ذكر من التفصيل فإن رغبته عليه السلام في كفالتها وطفو قلمه ورسوب أقلامهم وغير ذلك من الأمور الجارية بينهم
كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ أكفلها وقرئ زكرياء بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء ممدودا وقرئ
وتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على صيغة الأمر في الكل ونصب ربها على الدعاء أي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل
زكريا كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد أي غرفة تصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف
المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روي أنه كان لا يدخل
عليها إلا هو وحده وإذا خرج غلق عليها سبعة أبواب كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل لإظهار
كمال العناية بأمرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على أن ما مصدرية والزمان محذوف أو نكرة موصوفة معناها
الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها أي كل زمان دخوله عليها أو كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا أي نوعا
منه غير معتاد إذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع
ثديا قط قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال يا
مريم أنى لك هذا أي من أين يجيء لك هذا الذي لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز
الكرامة للأولياء ومن أنكرها جعل هذا إرهاصا وتأسيسا لرسالة عيسى عليه السلام وأما جعله معجزة لزكريا عليه السلام
فيأباه اشتباه الأمر عليه عليه السلام وإنما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده
أنها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استئناف كما قبله كأنه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة
لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد إن الله يرزق من يشاء أن
يرزقه بغير حساب أي بغير تقدير لكثرته أو بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله إما من
تمام كلامها فيكون في محل النصب وإما من كلامه عز وجل مستأنف وروي أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أهدت إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها إليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزا
ولحما فقال لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة
سيدة بني إسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجميع أهل بيته فأكلوا وشبعوا وبقي الطعام
كما هو فأوسعت على جيرانها هنالك كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكايته من بيان اصطفاء
آل عمران فإن فضائل بعض الأقرباء أدلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب أي
في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت إذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان دعا زكريا
ربه لما رأى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها منه تعالى رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولدها في النجابة
والكرامة على الله تعالى وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير أوانها تنبه لجواز ولادة
العجوز العاقر من الشيخ الفاني فأقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى أن ذلك كان هو
الموجب للإقبال على الدعاء فقط بل كان جزءا أخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف
مواليه حسبما فصل في سورة مريم قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الإعراب رب هب لي من لدنك
كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا أي أعطني من محض قدرتك من غير
وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز أن يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية أي كائنة من لدنك والذرية
النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى والمراد هاهنا ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف كما في
قول من قال أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال وهذا إذا لم يقصد به واحد معين أما إذا قصد

بالمعنى اتسع لعبارة اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعا اى مجيبه
وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملئكة كان المنادى جبريل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة من قرا فناداه
جبريل والجمع كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج اى اتاه النداء من هذا الجنس الذين
هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل
مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة
عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلى اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى
حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن فى قائم وقوله تعالى فى المحراب
اى فى المسجد او فى غرفة مريم متعلق بيصلى او بقائم على تقدير كون يصلى حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفى الحال شئ واحد
فلا يلزم الفصل بالاجنبى كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول
او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثى واياما كان ينبغى ان يكون هذا الكلام الى آخره
محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به مراجعته
عليه السلام فى الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول من اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع فى سورة مريم
للجرى على سنن الكبرياء كما فى قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا للايذان بان ما حكى هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه
من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى فى السورتين
الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انما سمى يحيى
لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان وقال القرطبى كان اسمه فى الكتاب الاول حيا ولا بد من مضاف
يقود اليه الحال اى بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اى بعيسى عم
وانما سمى كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلق بمحذوف وقع
صفة لكلمة اى بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدى لقيت ام يحيى
ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك
قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر وقيل بثلث سنين
وقيل قتل قبل رفع عيسى عليه السلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان مريم
ولدت وهى بنت ثلث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اى بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
وسيدا عطف على مصدقا اى رئيسا يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم
بمعصية فيالها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة
روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله مرتب على ما عدد من
الخصال الحميدة من الصالحين اى ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهودين بالصلاح
كما فى قوله تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذى لا بد منه فى منصب النبوة البتة من اقاصى
مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين قال استئناف مبنى على السؤال
كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام حينئذ فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادى له مع انه المباشر للخطاب وان كان
ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل اجرى على نهج دعائه السابق مبالغة فى التضرع والمناجاة وجدا فى التبتل اليه تعالى واحترازا
عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على
ما يصدر عنه سبحانه على توسطه فى عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه فى بعضها انى يكون لى غلام فيه دلالة على انه

قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما فى قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف او من اين وكان تامة وانى واللام متعلقة
بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى كيف او من اين يحدث لى غلام ويجوز ان تعلق
اللام بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية وقد بلغنى الكبر حال من ياء المتكلم اى ادركنى كبر السن واثر فى وهو
ادركته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون
سنة وقيل خمس وثمانون ولامراته ثمان وتسعون وامراتى عاقر اى ذات عقر وهو ايضا حال من ياء لى عند من يجوز تعدد الحال
او من ياء بلغنى اى كيف يكون لى ذلك والحال انى وامراتى على حالة منافية له كل المنافاة وانما قال عليه السلام مع سبق دعائه
بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله تعالى
وتعجبا منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه فى ذلك لا استبعادا له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء
والبشارة ستون سنة وكان قد نسى دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه قال استئناف كما سلف
كذلك اشارة الى مصدر يفعل وقوله عز وجل الله يفعل ما يشاء اى ما يشاء ان يفعله من تفاعيل الاعاجيب الخارقة
للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل ما يشاء ان
يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر قدم على العامل لافادة القصر
بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه ولعبرت الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه فى تفسير
قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اى يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او فى محل الرفع
على انها خبر والجلالة مبتدأ اى على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشان المبهم او كذلك خبر
لمبتدا محذوف اى الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لى آية اى علامة تدلنى على تحقق
المسئول ووقوع الحبل وانما سالها لان العلوق امر خفى لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة
من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر
ما ذكر من كون التفاوت بين سنى يحيى وعيسى عليه السلام بستة اشهر او بثلث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب
تعيينها لقوله تعالى فى سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان يكون التحاور بين زكريا ومريم
فى حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم فى الصغر بموجب قولها المحكى والجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم لما مر
مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين
اولهما آية وثانيهما لى والتقديم لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما
بعد دخول الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اى ان لا تقدر على تكليمهم ثلثة ايام اى متواليه لقوله تعالى فى سورة
مريم ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق
النعمة كانه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال
الا رمزا اى اشارة بيد او راس او نحوها واصله التحرك يقال ارتمز اى تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع
لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب فى كون الرمز من ذلك القبيل
وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين
كقوله متى ما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك اى فى ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل
والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا وسبح اى سبحه تعالى او افعل
التسبيح بالعشى اى من الزوال الى المغرب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى
قيل المراد بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما فى قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللسانى

وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف

كان المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة شروع في شرح بقية
احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام اياها حسبما
اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على
المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى واذ قالت امرأة عمران منصوب
بناصبه فقد برئ واذكر ايضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام يا مريم وتكرير التذكير للاشعار بمزيد
الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية
اللائقة بحال الصغر من مريم وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة
لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل الهموها ان الله اصطفيك
اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يقبل غيرك انثى وربّاك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك
بالكرامات السنية وطهرك اي مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قرفك به اليهود بانطاق الطفل واصطفيك
آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية للعالمين
فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا
منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفائين
واحد والتكرير للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فلا اشكال في ترتيب النظم الكريم اذ يحمل حينئذ الاصطفاء على ما ذكر
اولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما
امرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها
يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان لتمهيد الذكر و
ترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك اي قومي في الصلوة او اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تع
لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها
مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك
واما لكون السجود افضل اركان الصلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق
به الترقي من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع في صلواتهم ليسوا بمصلين واما ما
قيل من ان الواو لا يوجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين عما قيد به الاول لما ان
المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما
في قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع
والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف
من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شأن المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى من انباء الغيب اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى
نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال
من ضميره اي نوحي من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم
ينقطع بعد وما كنت لديهم اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا
على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الاية وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فان طريق معرفة
امثال هاتيك الحوادث والواقعات اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة صورة

مست تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها وقيل اقلامهم
التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ينظرون او
ليعلموا ايهم يكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون اي في شانها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت
لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك
واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام
مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب في الذكر
موكد له اذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عليه السلام وهو بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه
وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك
العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وايذانا بتقارن الخطابين او تقاربهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر
معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان المديد الذي وقع في طرف منه
الاختصام وفي طرف آخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عليه السلام بتفاصيل احوال مريم من اولها الى آخرها
والقائل جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا
متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة
عن مذكر وهو مبتدأ خبره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدأ
محذوف وقيل منصوب باضمار اعني مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما يتميز به المسمى
عمن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلثة اذ هو المميز له عليه السلام تمييزا عن جميع من عداه والمسيح لقبه عليه السلام
وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدي لاشتقاقهما
من المسح والعيس وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليه السلام او مسح الارض
ولم يقم في موضع او كان عليه السلام يمسح ذا العاهة فيبرأ او بانه كان في لونه عيس اي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم
على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت
على نساء العالمين وجيها في الدنيا والآخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة
فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على
الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين اي من الله عز وجل قيل هو اشارة الى رفعه الى السماء
وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم
حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه وقيل
انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية ومن الصالحين
حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السالفة او من الضمير في يكلم قالت استيناف مبني على السؤال كانه قيل فما
ذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها رب انى يكون اي كيف يكون او من
اين يكون لي ولد على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام
والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتأخير الفاعل على الجار والمجرور
لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تأخر لكان
صفة له واما ناقصة واسمها ولد وخبرها اما انى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر او خبر وانى نصب على
الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية للولادة

قال استيناف كما سلف والقايل هو الله تعالى او جبريل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا
بعينه خلا ان ايراد يخلق ههنا مكان يفعل هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من
شيخ فان وكان الخلق المنبي عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من
الامور اي اراد شيا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيا واصل القضا الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود
الشي لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول له كن لا غير فيكون من غير ريث وهو كما مر
تمثيل لقدرته تعالى وسهولة تاتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المامور
المطيع للامر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشيا مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من
غير حاجة الى شي من الاسباب والمواد ويعلمه الكتاب اي الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اي العلوم وتهذيب
الاخلاق والتورية والانجيل افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما على
غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف
الملامة لما علمت انها تلد من غير زوج وقري ونعلمه بالنون ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر يقود اليه المعنى معطوف على
يعلمه اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبا
وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف واخرهم عيسى عليهما السلام وقيل اولهم موسى واخرهم عيسى عليهما السلام
وقوله تعالى اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اي رسولا ناطقا باني الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول
مضمر معطوف على يعلمه اي ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها
في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الخ وقري
ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى باية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين
للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقري بايات او بجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية
مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لاية اي قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كائنة من ربكم او اتيتكم اية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال بما سياتي من الاوامر وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الخافض عند سيبويه والفراء والجر على راي الخليل والكسائي او
بدل من اية وقيل منصوب بفعل مقدر اي اعني اني الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اي هي اني اخلق لكم وقري بكسر الهمزة
على الاستيناف اي اقدر لكم اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف
اي في ذلك الشي المماثل لهيئة الطير وقري فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فانفخ
فيها فيكون طيرا حيا طيارا كساير الطيور باذن الله بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم
يخلق غير الخفاش روي انه عليه السلم لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير
بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل انما
طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كساير الحيوان ويضحك كما
يضحك الانسان ويطير بغير ريش ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة
بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص
لم تكن العرب تنفر من شي نفرتها منه وقيل الوضح ايضا وتخصيص هذين الداءين لانهما مما اعيى الاطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه
عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم
اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع وهم من توهم

الثاني عشر

فيه الالوهية قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيي عاذر وكان صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله
تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وعاش وولد له وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب
العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحيي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فخرج وخرجوا معه حتى انتهى الى قبره فدعا الله عز
وجل فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتني سمعت
صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فساله عن النزع فقال روح الله ان مرارته لم تذهب
من حنجرتي وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فامن بعضهم وكذبه اخرون فقالوا هذا
سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبي لك كذا وذلك قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم
اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها وقري تدخرون بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام
لاية عظيمة وقري لايات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة ان كنتم مومنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها او ان كنتم ممن تاتى منهم الايمان دلتكم على صحة رسالتي والايمان بها
ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على المضمر الذي تعلق به قوله تعالى باية اي قد جئتكم ملتبسا باية الخ ومصدقا لما بين
الخ او على رسولا على الاوجه الثلثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا اي ويجعله مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او ويقول
ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ ومصدقا الخ او حال كونه مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او منصوب باضمار فعل دل عليه قد
جئتكم اي وجئتكم مصدقا الخ وقوله من التورية اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضميره المستتر في الظرف
الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه
ما قبله اي وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جيته معتذرا ولاجتلب رضاه كانه قيل جئتكم لاصدق و
لاحل الخ وقيل عطف على باية من ربكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم و
الثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقري
وحرم على التسمية الفاعل وهو ما بين يدي او الله عز وجل وقري حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام
التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وتاخير المفعول عن الجار والمجرور لما
مر مرارا من المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى ما اخر وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وقري
بايات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الاية هي قولي
ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فان الحق الصريح الذي اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون اية بينة على انه
عليه السلام من جملتهم وقري ان الله بالفتح بدلا من اية او وجئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون
اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم باية بعد اية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحيا والانبا بالخفيات
وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب
عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم
اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش الخ ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل
فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال
القوة العملية فانه يلازم الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين
هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع
في بيان مال احواله عليه السلام اثر ما اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته
الملائكة عليهم السلام وخروجه من القوة الى الفعل حسبما شرحته كما في قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا اتيك

واطيعون

به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملكية وايذانا
بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله عليه السلام في سلك النقل فاما للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها
لمقام البشارة لما فيهما من ذكر مقاساته عليه السلام للشدائد ومعاناته للمكايد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى
المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل في
امثال هذه المواضع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة
باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء
به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر قال اي لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال
عيسى بن مريم للحواريين الاية وقوله تعالى فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجيه الخطاب الى الكل بل
يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم من انصاري الانصار جمع نصير كاشراف جمع شريف الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من
الياء اي من انصاري متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل
ينصرونني كما ينصرني وقيل الى بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه
الذهن كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال الحواريون جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمي اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص
نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك
صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة لا يزال ياكل منها ولا ينقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه ع م
فقال له من انت قال عيسى بن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك
يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني
صرتم بحيث تصيدون الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان
شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامر عيسى عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة
من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى عليه السلام و
قيل كانوا اثني عشر رجلا امنوا به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض
فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل
منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان
امه سلمته الى الصباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له عليه السلام ههنا ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد
منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه السلام كلها في حب واحد وقال كوني باذن الله تعالى كما اريد
فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر
الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وامنوا به عليه السلام وهم الحواريون قال
القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين
وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته
نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله امنا بالله استئناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب
لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون لما تريد
منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا
بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية ربنا امنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها

على الرسول مبالغة في اظهار امرهم واتبعنا الرسول اي في كل ما ياتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة
دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع
امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا ومكروا اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم
من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر
من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امره جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل
من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج
يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي
احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون
لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام ورفعه
الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه
بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى عليه السلام فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب
المصلوب جاءت مريم ومعها امراة ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل
الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شبه
لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم و
كان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم
وسالهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل
وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك اخر يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد
رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك
قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى وهي بنت ثلث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض
اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على راس ثلثين سنة ورفعه
اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين
والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في
موقع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك
يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت
مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء وقابضك الان او مميتك
من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت
النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري و
هو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم
اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبر بهم ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة الاف رجل
فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى
عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه والقى عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه

تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة والحكمة ليشاركه في الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعدما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي ابن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اي قل لهم انت والمومنون اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما توارد عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوة الناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الى ما اتفق عليه عيسى عليه السلام والانجيل وساير الانبيا عليهم السلام والكتب ثم لما ظهر عدم اجداء ذلك ايضا امر بان يقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون في ابراهيم اي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم وما انزلت التورية على موسى عليه السلام والانجيل على عيسى عليه السلام الا من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليه السلام الف سنة فكيف يمكن ان يتفوه به عاقل افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او اتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتموه في التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم في احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شيء فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اي محل النزاع او شيئا من الاشيا التي من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اي مائلا عن العقايد الزائغة كلها مسلما اي منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم على ملته عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المومنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم وتخصيص المومنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم وياباه قوله وما يشعرون اي اختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي بما نطقت

به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها ايات الله او القران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابرازكم الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون اي حقيته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم امنوا بالذي انزل على الذين امنوا اي اظهروا الايمان بالقران المنزل عليهم وجه النهار اي اوله على المومنين واكفروا اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر به اخره مرائين لهم انكم امنتم به بادي الراي من غير تامل ثم تاملتم فيه فوقفتم على خلل رايكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اي المومنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا اي لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اي لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ ان يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي لان يؤتى احد الخ دبرتم وقرئ على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة يختص برحمته اي يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الابتدا حسبما مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ خبره قوله تعالى من ان تامنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تامنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومايتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا في حال دوام قيامك او في وقت دوام قيامك على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد بانهم بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي في شان من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عتاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التورية في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء

وصلبوه واما عيسى عليه السلام فكساه الله الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تع
اني متوفيك فطار مع الملئكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم
اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم
كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم
فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر
ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا اي من جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك
قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم
دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم
من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم على فوقية
المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة و
الا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على
معنى ان الجعل او الفوقية ينتهي ح ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما
بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد ثم الي مرجعكم اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكد
الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فانه
ابلغ في التبشير والانذار فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون
وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته و
البداءة ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والاخرة
متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الاخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما يو
وقيل ان المرجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود
لا عن الفوقية المحدودة على نهج قولك سلطانك يكفي هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزم تاخر الخلع عن الكفاية لا عن الشهر
وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله تعالى في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد
واما الذين امنوا بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو ديدن المؤمنين فيوفيهم اجورهم اي يعطيهم اياها كاملة
ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا
على سنن العظمة والكبرياء والله لا يحب الظالمين اي يبغضهم فان هذه الكناية فاشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد
الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود واضعون للكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر
لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف من نبا عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شان المشار اليه
وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشان بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدا وقوله عز وجل نتلوه خبره
وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من الايات حال من الضمير المنصوب وخبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما
حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدا مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او
على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القران فمن
تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى اي شانه البديع المنتظم لغرابته
في سلك الامثال عند الله اي في تقديره وحكمه كمثل ادم اي كحاله العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع
خلقه من تراب تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبهة الخصوم

فان انكار خلق عيسى عليه السلام بلا اب ممن اعترف بخلق ادم عليه السلام بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب
ثم قال له كن اي انشاه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لتراخي
الاخبار لا لتراخي المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا
قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا
من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام ان ادم عليه السلام ما كان له اب
ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو
الحق اي ما قصصنا عليك من نبا عيسى عليه السلام وامه والظرف اما حال اي كائنا من ربك او خبر ثان اي كائن منه تعالى وقيل الحق
مبتدا وخبره الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان
بان تنزيل هذه الايات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك والخطاب اما
للنبي صلى الله عليه وسلم على طريق الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى
عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اي من النصارى
اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اي في شان عيسى وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكي من بعد ما جاءك من العلم اي ما
يوجبه ايجابا قطعيا من الايات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل تعالوا اي هلموا بالراي
والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها
وتقديمهم على النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم
للايذان بكمال امنه صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر
في تقديم جانبه عليه السلام على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر في رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في
الاسناد ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة
اي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع
وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل
ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم
الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا
الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله تعالى عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال
اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا
يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا فقال
صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا
بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في
صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران
ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما
حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا ان هذا اي ما قص من نبا عيسى وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من
اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وقرئ لهو بسكون الهاء و
القصص خبر ان والحق صفته او هو مبتدا والقصص خبره والجملة خبر لان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية

الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم
فيهم سبيل وقوله تعالى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن
او لله تعالى وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من ومشعر بان التقوى ملاك الامر عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات
والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان
بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا
هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الآخرة من نعيمها
ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة عليهم
السلام او لا يسمعون بكلمات الله تعالى وآياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله
تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر
لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة
نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر لمجرد المعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق
بالفعلين وفيه تهويل الوعيد ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم
على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل
نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالي
فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم اي من اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب اي يفتلونها بقراءته فيميلونها من المنزل الى المحرف او يعطفونها
بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها
من الساكن لتحسبوه اي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الخ وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اي
من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اي والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا
ويقولون مع ما ذكر من اللي والتحريف على طريق التصريح لا بالتورية والتعريض هو اي المحرف من عند الله اي
منزل من عند الله وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدأ في الخبر اي والحال انه ليس من عنده تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه
من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جراءتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا
عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على
الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا
فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم
على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه السلام وابطاله اي ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا
بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسنده الكفرة اليهم ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهي
عن الاشراك والحكم الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعدما شرفه الله عز وجل بما ذكر من
التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لي الجار متعلق بمحذوف هو صفة عبادا اي عبادا
كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية ويحتمل الحالية لتخصص النكرة بالوصف
اي متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي والسيد

النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله تعالى وان نأمر بعبادة
غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا
نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا
ربانيين الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك
بطاعة الله ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته
فان جعل خبر كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة
بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على المدارسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم
وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا بهذا
المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطفا على ثم يقول ولا مزيدة
لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ
الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من
العبادة وقرئ بالرفع على الاستئناف ويحتمل الحال ايأمركم بالكفر انكار لما نفي عن البشر والضمير له وقيل لله سبحانه بعد
اذ انتم مسلمون وهذا دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له عليه السلام واذ اخذ الله ميثاق
النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى
واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى
الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو
اسرائيل وسماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب و
النبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب
القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ
الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم
او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قال اي الله تعالى بعد ما اخذ
الميثاق أأقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة
فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا
اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار
وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين اي وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين
لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التأكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اي اعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق
والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد في معنى اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى
كما ان الافراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اي
فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق
من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اي أيتولون فيبغون غير دين الله وتقديم
المفعول لانه المقصود انكاره او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير
وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طوعا وكرها اي طائعين بالنظر

وابتاء الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة
والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم واليه ترجعون اي من فيهما والجمع باعتبار المعنى
وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد والوعيد قل آمنا
بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى وما
انزل علينا وهو القران لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل
او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن
الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عليه السلام اصل في ذلك كما في قوله
تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول
كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى
لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف الا ترى الى قوله تعالى بما انزل اليك الخ وقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا الخ وانما
قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على ما انزل على ساير الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والعيار
عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم
عليه السلام وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وساير المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على
الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عم
اي وبما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود
والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق
بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو
اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب به يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل
المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف
محذوف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير اذ جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين
الخير وبيني ونحن له مسلمون اي منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب
فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد
مع اشراكهم كاهل الكتاب دينا يدين به وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه كان صفة له فلما قدم
عليه انتصب حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل منه ذلك
ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو في الاخرة لمن الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او استيناف لا محل له من
الاعراب اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة
السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير دين الاسلام و
اطمان بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا
قبول كل ما يغايره كيف يهدي الله الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعدما امنوا ولحقوا بمكة
وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال
بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله
الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال بعد ان امنوا او حال من

ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين اي
الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او
حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدا
وقوله تعالى جزاؤهم مبتدا ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خبره والجملة خبر لاولئك وهذا
يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون
عن الهدى آيسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه و
لكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة والعقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون اي يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا
في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث
بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان يسألوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الاية فرجع الى المدينة فتاب
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل بعد الايمان بموسى عليه
السلام والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا به عليه السلام بعدما امنوا به قبل مبعثه ثم
ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا
بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند
اشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة الآيسين من الرحمة
او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون
الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان
الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا تمييز وقرئ
بالرفع على انه بدل من ملء او خبر محذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء
الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به
من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف
ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة
لهم عذاب اليم مؤلم اسم الاشارة مبتدا والظرف خبره ولاعتماده على المبتدا ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية
وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير
اي ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من ناله نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستانف سيق
لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون
ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اي في
سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل
بيانية وما موصولة او موصوفة اي مما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات
ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا
يخفى وكان السلف رضي الله عنهم اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان
احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رائح فاني ارى
ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله

صلى الله عليه وسلم اما ان الله قد قبلها منك قيل وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر
رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مداين كسرى فلما جاءت
اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز كانت له زوجة جارية
بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد
وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها
فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء
المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد اخرجت عن
امرها كل شبهة قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى ﴿وما تنفقوا من شيء﴾ ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة
به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائنا من الاشياء فان المفرد في مثل
هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه
﴿فان الله به عليم﴾ تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فان الله تعالى عليم بكل شيء تنفقونه
علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق
الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى ﴿كل الطعام﴾ اي كل افراد المطعوم او كل انواعه ﴿كان حلا لبني اسرائيل﴾ اي
حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم ﴿الا
ما حرم اسرائيل على نفسه﴾ استثناء متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي
يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع النساء فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه
وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد والمانع ان يقول كان ذلك
باذن من الله تعالى فيه وهو كتحريمه ابتداء ﴿من قبل ان تنزل التورية﴾ متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء
بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التورية ليس فيه مزيد فائدة اي كان ما عدا المستثنى
حلالا لهم قبل ان تنزل التورية مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم
البراءة عما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا
فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم
عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها ﴿قل فاتوا بالتورية فاتلوها﴾ امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان
تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع
من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم واظهار اسم التورية لكون الجملة كلاما
مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى ﴿ان كنتم صادقين﴾ اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة
المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بالتورية فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة روي انهم لم يجسروا على اخراج
التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا
يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها ﴿فمن افترى على الله الكذب﴾ اي اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول
التورية على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التورية وتلاوتها
وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح ﴿فاولئك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في

الضلال والطغيان ﴿هم الظالمون﴾ المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال
المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل
هي في محل النصب داخلة تحت القول عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتورية ﴿قل صدق الله﴾ اي ظهر وثبت صدقه تعالى في ما انزل
في شان التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا الخ او في صدقه في كل شان من الشؤون وهو داخل في ذلك دخولا اوليا وفيه
تعريض بكذبهم الصريح ﴿فاتبعوا ملة ابراهيم﴾ اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين
لملته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى تخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض
الدينية الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب
للاتباع وترك ما كانوا عليه ﴿حنيفا﴾ اي مائلا عن الاديان الزائغة كلها ﴿وما كان من المشركين﴾ اي في امر من امور
دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض
بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه السلام في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة من كل معبود سواه
سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها ﴿ان اول بيت وضع للناس﴾ شروع في بيان كفرهم ببعض اخر من شعائر ملته عليه السلام
اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا له عليه السلام روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء عليهم السلام
وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اي ان اول بيت وضع
للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى ﴿للذي ببكة﴾ خبر لان وانما اخبر
بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بسببين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي البيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك
الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط و
النبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد راسه وسمدها واغبطت الحمى واغمطت وهي علم للبلد الحرام
من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا او لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها
جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله ويؤيده ان التباك
وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة روي انه عليه السلام
سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم عليه السلام
وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان ﴿مباركا﴾ كثير الخير والنفع لما يحصل
لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة
هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار ﴿وهدى للعالمين﴾ لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة دالة على
عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال ﴿فيه ايات بينات﴾ واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار
ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى
او حال اخرى ﴿مقام ابراهيم﴾ اي اثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء
الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه على ما روي انه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل عليه السلام
انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه وهو اما مبتدا حذف خبره اي منها مقام
ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته
على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عليه السلام كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على ايات كثيرة فان كل
واحد من اثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون سائر ايات الانبياء
عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة اية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما بما فهم من قوله عز وجل

ومن دخله كان آمنا فانه وان كان جملة مستانفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله فيكون بحسب
المعنى والمآل معطوفا على مقام ابرهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنان وطوى
ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من
حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب
وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل
في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل
امنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع
يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدا هو حج
البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل
فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال
من الضمير المستكن في الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له بخلاف الظرف وحرف الجر
فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد وحجه قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد
وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه
فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة
الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدا مضمر اي هم من استطاع الخ وقيل في حيز النصب بتقدير اعني وقيل كلمة من شرطية
والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اي من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح
هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشانه كما في
قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة
من مال وغيره فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل الزاد والراحله وروى ابن عمر
رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روى انه عليه السلام فسر الاستطاعه
بالزاد والراحله وهكذا روى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رضي الله عنه اخذ بظاهره
فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور الامر
كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر
القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحله من لا يقدر على
السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع
كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او
نصرانيا وروى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه عليه السلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من
استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فان الله غني عن العالمين وعن
عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت
الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثر صيغة

الخبر الدال على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله
سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين
والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبح وراءه وجعل جزاؤه استغناؤه تعالى
المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره
بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وعطاء ومن كفر
اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب و
روي انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال
ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل
ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا
قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنهما حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا
نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا
بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بهما وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات
الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم
الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شان الحج وغيره وما في التورية والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية
المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها
وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها
ولا ريب في ان ذلك ليسد جميع انحاء ما تاتونه ويقطع اسبابه بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم
بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما
كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة
في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان
كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة
لكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من اصد
عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام من آمن مفعول لتصدون
قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم
ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم
ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على اسقاط الجار وايصال الفعل
الى الضمير كما في قوله فتولى غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي
اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى
الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون
باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها او الحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج
وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما اي شهداء ان في التوريه ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام
او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل عما تعملون

اعتراض يسيل منه تهديد ووعيد شديد قيل ولما كان صدهم للمومنين بطريق الخفية ختمت الاية الكريمة بما يحسم مادة
حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بايات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الاية السابقة بشهادة
تعالى على ما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
تلوين للخطاب وتوجيه له الى المومنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال
ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم
بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر وللمحافظة على سبب النزول فانه
روى ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد
للمسلمين فغاظه ما راى منهم من تالف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الراى بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنان
فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه
للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من
القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم
الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال
فنزلت الاية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقراهن ورفع صوته فلما سمعوا
صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا
وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل
سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله و
الاول ادخل في تنزيه المومنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف
مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المومنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه
بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او للممانعة
الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المومنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري
بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الخ لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل
موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على
الطريق البرهاني وقوله عز وجل وانتم تتلى عليكم ايات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون موكدة
للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله
معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة ايات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب و
الحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناده التلاوة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه
باياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدي
جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم
بالله تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم
والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه

هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث
والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يا ايها الذين امنوا تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف
اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ
الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنهما هو ان يطاع
ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا اليه عليه السلام وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم
بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق
في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد اصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة
وتخمة وياؤها المفتوحة الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا
كما في قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم
عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر
النظم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت
المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام ح وحيث كان الخطاب للمومنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام
الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له من
اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلوة
ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلوة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد
لكون الخشوع هو العمدة في الصلوة وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا و
اعتصموا بحبل الله اي بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة
الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم
به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مامون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في
المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه
جميعا حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في الاعتصام ولا تفرقوا اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم
كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا ولا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم
عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه
وقوله تعالى اذ كنتم ظرف له او للاستقرار في عليكم اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت
كونكم اعداء في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب
وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة فالف بين قلوبكم
بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التاليف اخوانا خبر اصبحتم اي اخوانا
متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح
فالباء ح متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها اي
كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فانقذكم بان هداكم للاسلام
منها الضمير للحفرة او للنار او للشفا والتانيث للمضاف اليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه
بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المونث
كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته

في الفضل وكمال تميزه بها عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من
الفخامة ومحلها النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم اياته اي دلائله لعلكم
تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده
اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم
بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويردعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر
وقد قرئ بكسرها على الاصل ومن من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة و
يدعون صفتها اي لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها
او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن منكم امة داعين الى الخير واياما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد
الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها
الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية ولانها من عظائم
الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك
ان يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي والاصرار
وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم الاية والامر من كان الناقصة والمعنى كونوا امة
يدعون الاية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الاية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع
ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر عليه بقوله تعالى ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار
فضلهما وانافتهما على ساير الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلثة
اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع
اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر
من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير
مقصود اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اي هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل
بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف
المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس
فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر
فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي كرم الله وجهه افضل الجهاد الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمأمور به واما
النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه النهي عن ارتكابه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب شيء منهما والتوبيخ في قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على
امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى
فرقا باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الايات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم
البينات اي الايات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة

اختلفوا

والى عقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه
من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في
الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلام
من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة
وهو مبتدا وقوله تعالى لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او مبتدا
والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول وفيه من التأكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم
ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه
بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار في لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم
عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده
كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي
النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة
اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء
الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم
ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد
يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والايات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع
والاهواء والفاء في قوله عز وعلا فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان
الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس
الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا واما الذين
ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اعني الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة
الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون استيناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من السياق كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف
للمحافظة على رؤوس الاي تلك اشارة الى الايات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد
للايذان بعلو شانها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى ايات الله خبره وقوله تعالى نتلوها جملة حالية
من الايات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وايات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون
التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى
عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق
والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب
استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ
وجه واكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات
الى الاسم الجليل اشعار بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد العالمين في وقت من
الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل
بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع ايماء الى

التعريض لان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون ولله ما في السموات وما في الارض اي له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا
احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام
بيان عظمته تعالى والى الله اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا ترجع الامور اي امورهم فيجازي كلا
منهم بما وعد له واوعد من غير دخل في ذلك لاحد قط والجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على
ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة كلام
مستانف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق
شي بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم
الله تعالى او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة باخرجت
اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي
اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تاتون بهم في السلاسل فتدخلونهم
في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام
فهم خير امة للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس
ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان
خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم ساير امته وروى الترمذي عن بهز بن
حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين
امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب
هذه الامة داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين مرا بنفر من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضي الله تعالى عنهم فقالا لهم نحن افضل
منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروي عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة
الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وتؤمنون بالله اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب و
حساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور ان الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بان الايمان بالله تعالى حقيقة
وان ما خلا عن شي من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى في شي قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى ولو
آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اي لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام
ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من
الكفر فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه الذي
يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا او فيما قبل لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا
في الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك منهم المؤمنون جملة مستانفة سيقت جوابا عما
نشا من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم

المؤمنون المعهودون الفايزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون
عن الحدود لن يضروكم الا اذى استثناء مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن
وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اي ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل او اسر ثم لا ينصرون
عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم
فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى
بالقول الى ضرر يعبا به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف
نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار
وكم بين الوعدين كانه قيل ثم شانهم الذي اخبركم عنه وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك
بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا ضربت
عليهم الذلة اي هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله وحبل من
الناس استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين
بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله اي رجعوا
به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول
اي كائن من الله عز وجل وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين
تحت ايدي المسلمين او النصارى ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وتحريفهم لها وبساير الآيات القرآنية ويقتلون الانبياء بغير حق اي في اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع
انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم ذلك اشارة الى
ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار
فان الاصرار على الصغاير يفضي الى مباشرة الكباير والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة
في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم
مخاطبون بالفروع من حيث المؤاخذة ليسوا سواء جملة مستانفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل
الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم
ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة
لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين
في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة
استيناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تامرون بالمعروف الآية مبين
لقوله تعالى كنتم خير امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان
بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى
استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا
من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثلثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليهما السلام وكان من
الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس
صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه

وسلم صدقوه ونصروه وقوله تعالى يتلون آيات الله في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها
بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي تضمنه الجار او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لامة والمراد بآيات
الله القرآن وقوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع اني بزنة عصا او اني بزنة معا او اني بزنة ظبي او اني
بزنة نحي او انو بزنة جرو وهم يسجدون اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا
وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله في
الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها
وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة
فانها في المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها
باسم الجنس المتبادر منه الصلوة المكتوبة والتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها
لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد
يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتأكيده
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى
يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات والارض يؤمنون بالله واليوم الآخر صفة اخرى
لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن
التقييد لظهور انه الذي يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير
ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر
لربما توهم ان المنفي عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وهيهات ويأمرون بالمعروف و
ينهون عن المنكر صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم
لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل
الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف ويسارعون في الخيرات صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس
وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي اي يبادرون
مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار
كلمة في على الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونها المترتبة
في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها واولئك اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت
الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح
اي اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين اي من جملة من صلحت احوالهم
عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن يكفروه اي لن
يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصوير
ذلك بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول
للجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه
تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا
لهم وتعيينا للعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين

عموما

عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين كفروا اي بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركو قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه
فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا
واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من
الله اي من عذابه تعالى شيئا اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اي مصاحبوها
على الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم
التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار يعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها
اي حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في
الغرابة كمثل ريح فيها صر اي برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر
وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي فباؤوا بغضب من الله تعالى وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخطه اشد وافظع فاهلكته
عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع
ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي
مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث
ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله
بما بين من ضياع ما انفقوا ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية
الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه و
لكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه انه قد مر التعرض له صريحا واشعارا وقرئ ولكن بالتشديد
على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة اي ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير الشأن فلا سبيل
اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة
بطانة الرجل ووليجته من يعرفه اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار
والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف
فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده
قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل وهي صفة المنافق وايا ما كان فالحكم عام للكفرة كافة
من دونكم اي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اي كائنة من دونكم مجاوزة
لكم لا يألونكم خبالا جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقال ألا في الامر
اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال
الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما عنتم اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استئناف
مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه قد بدت البغضاء من افواههم استئناف آخر موجب لمزيد
الاجتناب عن المنهي عنه اي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم
عليها ان تنفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم اصله فوه فلامه هاء
يدل على ذلك جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس

ليس

عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المومنين ومعاداة
الكافرين ان كنتم تعقلون اى ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الايات والجواب محذوف لدلالة
المذكور عليه ها انتم اولاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اى انتم
اولاء الخاطئون في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر
لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء
بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتومنون بالكتاب كله اى بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول
في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تومنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يومنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم
اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اى من اجله تاسفا
وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعيف قوة
الاسلام واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم
من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض
الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل
هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا
باعزاز الاسلام واذلالهم من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من
ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة
الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اى على عداوتهم
او على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التي دبروها
لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضم الراء في
القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اى لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه
الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريا على الخصم ان الله بما تعملون
في عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية اى بما تعملون من الصبر والتقوى
فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت كلام مستانف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى
للضرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمومنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام
اى واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى
لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة
في ايجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الخ والمراد به خروجه
عليه السلام الى احد وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اى من عند اهلك
تبوئ المومنين اى تنزلهم او تهيئ وتسوي لهم مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوي للمومنين والجملة حال
من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اى ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع
لابتداء الخروج والتبوئة وما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه
عليه السلام بعد صلوة الجمعة كما ستعرفه اذ ذاك وقعت التبوئة التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت

تذكير مخالفتهم لامر النبي صلى الله عليه وسلم وتزلزلهم عن اخبارهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا تبين
خلل راي من احتج به على جواز اداء صلوة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى للقتال اما متعلقة بتبوئ اى لاجل
القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اى كائنة ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان
اتساع شائع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين نزلوا باحد
يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره
فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها
علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد
جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة
ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فدعهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم
الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني الجنة
فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة ثم قال بقولي اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل
فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما
رايت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد
يوم السبت النصف من شوال السنة ثلث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح
ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم
عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره عنهم اذ
همت بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع
الاقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك
ضربت واكرمت زيدا ان زيدا منصوب بهما وانهما تسلطا عليه معا طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت
والباء محذوف اى بان تفشلا اى تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما
الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين ووعدهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلثة الاف انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل
انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله تعالى في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم
فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اضمروا ان يرجعوا فعزم الله تعالى لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس كما لا تخلو النفس
عنه عند الشدائد والله وليهما اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان تكون حالا من همت
او من ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم
كما في قوله تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه استقلالا واشتراكا فليتوكل
المومنون في جميع امورهم فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه
سبحانه واللام في المومنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل
وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستانفة سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر

اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة
وكان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع او الوادي وكانت
وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة «وانتم اذلة» حال من مفعول نصركم واذلة جمع ذليل
وانما جمع جمع قلة للايذان باتصافهم بوصفي القلة والذلة اذ كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية
خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان المقداد ومرثد
وتسعون بعيرا وست ادرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة
«فاتقوا الله» اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه
اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان بان نصرهم المذكور كان
بسبب تقواهم اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ «لعلكم تشكرون» اي راجين ان تشكروا
ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع
سببه الذي هو الانعام «اذ تقول» تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه والايذان بان وقوع
النصر كان ببشارته عليه السلام واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد
الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا على شهادة الحال مما لا يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية
الحال الماضية لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك «للمؤمنين» حين اظهروا العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين
ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزلت ثم حكي ههنا «الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلاثة آلاف» الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه
بطريق التقوية والاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده من
بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب
مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سياتي مع
الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة الامداد والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك
المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم «من
الملائكة» بيان او صفة لالاف اولما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة «منزلين» صفة لثلاثة آلاف وقيل حال
من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم
خمسة آلاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين اي منزلين النصر «بلى» ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى
يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال «ان تصبروا» على لقاء العدو ومناهضتهم
«وتتقوا» معصية الله تعالى ومخالفة نبيه عليه السلام «ويأتوكم» اي المشركون «من فورهم هذا» اي من ساعتهم
هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم اطلق على كل حالة لا ريث فيها اصلا ووصفه
بهذا لتأكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعني
الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطأوا لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه على اي
حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة
من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلأن يتحقق بدونه اولى و
احرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء وضربوك بابر شداد وسيوف حداد
لم تتأثر منها قطعا «يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين» من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء اي معلمين انفسهم

او خيلهم فقد روي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم
وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه
وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة «وما جعله الله» كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان
ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه
واماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته
وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى وتعيين وقته فيما مضى تقتضي بوقوعه قضاء
قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على تقتضيه الدلائل وتاخذه الامارات والمخايل ايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة
التكرير او عن ايهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
فامدكم بهم وما جعله الله الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى ما دل عليه الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور اعني
قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير [illegible] لان الحلية البسيطة مقدمة
على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب
في ان المصدرين المذكورين غير معتبر من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجودهما
بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلاثة آلاف والواقع هو الامداد بخمسة
آلاف وقوله تعالى «الا بشرى» استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون
الى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التأييد الروحاني
وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا لبشرى لكم بانكم تنصرون «ولتطمئن قلوبكم به» اي بالامداد وتسكن
اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان
وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه
كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا
القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد ونحوه كما هو راي بعض السلف رحمهم الله وقيل الجعل
متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم
فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك «وما النصر» اي حقيقة النصر على الاطلاق
فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا «الا من عند الله» الا كائنا من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب
والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل
من التاثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب «العزيز» اي الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء
هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله «الحكيم» اي الذي يفعل كل ما يفعل
حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة
«ليقطع» متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم الله وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصود على التعليل بما
ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف
عليه او بما تعلق به الخبر في قوله عز وعلا وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان
المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا ما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس
النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل

بطل معنه على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ
او وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة الا ثابت من عند الله ليقطع اى يهلك وينقص طرفا من الذين كفروا اى طائفة منهم
بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او يكبتهم اى يخزيهم ويغيظهم
بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع فى القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة
بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء حرف غير مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اى فينهزموا منقطعى الآمال
غير فائزين من مبتغاهم بشئ كما فى قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شئ اعتراض وسط
بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير للمنصور اثر بيان ان لا تأثير للناصرين وتخصيص
النفى برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض
بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشرى القتال مدخل
فى الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم
ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شئ انما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم
والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروى المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروى متحقق فى الفريقين
الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور فى سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه فى الوجود من حيث ان قبول
توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب
المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابى وقاص شج رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابى حذيفة يغسل عن وجهه
الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شئ الآية كأنه
نوع معاتبة على ما كان عليه السلام من استبعاد فلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تع
او يتوب عليهم حينئذ معطوف على الامر او على شئ باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شئ او ليس
لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانبارى ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم
شئ الا ان يتوب الله عليهم فتفرح به او يعذبهم فتتشفى منهم وايا ما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة
بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبنى على اختصاص الامر كله بالله
تعالى ومبنى على سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم
يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الآف لا بثلاثة
الآف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولم بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغى حينئذ ان ينعى عليهم جناياتهم وحرمانهم بسببها تلك
النعم الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه
لا سبيل الى جعل الضمير فى قوله تعالى وما جعله الله الخ الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائية ولا الى الوعد به
على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم ولطمأنينة قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود
لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح فى انه قد وقع الامداد الموعود لكن اثره انما هو مجرد البشارة و
الاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقى فليس ذلك الا من عنده تعالى وجعله استثناء مفرغا العدم وقوع الامداد على
معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا يبعد من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف يتبرأ منه ساحة التنزيل على
ان ما دل على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الآية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه

بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار
وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شئ يقصد بيان انتفائه مما لم يعهد فى كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد
فالحق الذى لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكى فى اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا
وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك
من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما فى السموات وما فى الارض كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات
به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا
تغليبا اى له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئة مبنية
على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء اى يعذبه بعدله مشيئة كذلك وايثار كلمة من فى الموضعين لاختصاص المغفرة و
التعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة
وهذا صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون
قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة فى تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر فى كل باب لا سيما فى باب الجهاد من التقوى
والطاعة وما بعدهما من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جئ به فى تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد
المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا
للفوز فى الدارين على الاطلاق عمدة فى امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى
وطاعة الرسول عليه السلام لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهى عن الربا فى اثنائها لما ان الترغيب فى الانفاق فى السراء
والضراء الذى عمدته الانفاق فى سبيل الجهاد متضمن للترغيب فى تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب
ومن جملتها الربا فنهوا عن ذلك والمراد بأكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه فى
المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهى بل لمراعاة ما كانوا عليه
من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربى الى اجل فاذا حل قال للمدين زدنى فى المال حتى ازيدك فى الاجل فيستغرق
بالشئ الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور
التى من جملتها الربا لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار التى اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى
ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هى اخوف آية فى القرآن حيث اوعد الله تعالى المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم
يتقوه فى اجتناب محارمه واطيعوا الله فى كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذى يبلغكم اوامره ونواهيه
لعلكم ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة وايراد لعل فى الموضعين
للاشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم
بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف اى بادروا واقبلوا وقرئ
وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اى الى ما يؤدى اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل
الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما مر من الامور المأمور بها والمنهى عنها
دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية مقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اى كائنة
من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات
والارض اى كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة فى وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض
فى العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت

في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة
الآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز
النصب والرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع
في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون
في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل
للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم
غيظه اي حبسه قال المبرد تاويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا املاته وشددت عليه اي
الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ
الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحق مواخذته روي انه ينادي مناد يوم القيمة
اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هولاء في امتي قليل الا من
عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة
وترك مواخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه السلام وندب له عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين
بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك والله يحب المحسنين اللام اما للجنس
وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان
بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من
صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من
التقوى اعلى من درجة هولاء وحظهم اوفى من حظهم او على نعت المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر واذا فعلوا فاحشة
اي فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس
الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المومنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم
على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الآية
وقيل ان نبهان التمار اتته امراة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه
فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري وامراة رجل ثقفي كان بينهما مواخاة فندم الانصاري و
حثا على راسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
وايا ما كان فاطلاق اللفظ منتظم ما فعله الرجل انتظاما اوليا ذكروا الله تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب
للخشية والحياء او وعيده او حكمه وعقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على ان
ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها
كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها
عن غيره تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله جل وعلا وان دلالة
الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى الجواب
والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين او من الحال وصاحبها لتقرير
الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف على فاستغفروا وتاخيره عنه مع تقدم

مم

عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشأن الاستغفار واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب ذكره تعالى او
حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا
صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد
عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به اولئك اشارة الى المذكو
رين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل
وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له او جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة
خبره والجملة خبر لاولئك هذه الجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول و
الاظهر الانسب نظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء اذ على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك
الخ جملة مستانفة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه
شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخرين مع اشتراكهما في حكم
اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة موكدة لما افادها التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري
من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين
فيها حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون
حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف
اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما باجر المشعر بانهما تستحقان بمقابلة العمل و
ان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل
السابق بالاولين ولا هيك بتغاير مضمونيهما دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت النير والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين
بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرتهم وعمالتهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد
تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما
متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم
المكذبة كما في قوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا الخ والفاء في قوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي وان شككتم فسيروا الخ وكيف
خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما
سلف من قوله تعالى قد خلت الخ بيان للناس اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة
بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان
الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمومنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان
ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل الكتاب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى
وموعظة اي وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم
انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان لمآل امر الناس و
سوء مغبته وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد بها بيعتهم وغيرهم من المتقين بالفعل
ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى

وموعظة للمتقين مع ان المقصود بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم
واما زيادة الهدى او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري
عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد الاصلي ويجوز ان يكون تعريف
الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين
والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين وانت
خبير بان الاعتراض لا بد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الا
الثلثة للمومنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن لا يخفى بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا
تشجيع للمومنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين
حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش
ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رضي الله عنهم ومن الانصار سبعون رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية
من فاعل الفعلين اي والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم
فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار فيما سبق او انتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله
عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل انتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم
منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مومنين متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق
به عليه اي ان كنتم مومنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم
المبالاة باعدائه او ان كنتم مومنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو لا محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى
فانتم الاعلون وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري
ولذلك قيل معناه اذ كنتم مومنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله
القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين
وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك
قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل ان المشركين
كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم
صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم
الماضية والآتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها

الجزاء الا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا
يطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور
كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار منشا معين من صفاته تعالى مغاير لمنشا الآخر والجملة علة لما هو
فرد من افراد مطلق المداولة التي نطق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة التي نطق بها قوله تعالى المعهودة الجارية بين
فريقي المومنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل
المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكور
عليها لكونها من مباديها كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور اعمالهم وخروجها من القوة
الى الفعل من مبادي تميزهم من غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل فتامل
واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عدد من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب
ولا يشعر بان الله تعالى في ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت
وكيت وليعلم الخ وفيه من تاكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة
دون ساير افرادها الجارية فيما بين بقية الامم تعينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك ان تجعل المحذوف
المبهم عبارة عن علل ساير افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين الناس
كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تعدده
بتلك الافراد والثانية باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف موخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا
فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية
متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات
على الحق والصبر على الشدايد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيمة فمن بيانية لان تلك الشهادة
وظيفة الكل نحو المستشهدين فقط وايا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبي عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم
شانهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي
ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتقرير من حيث ان بعضه
تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث ان ذلك
ليس بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المومنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين
آمنوا اي ليصفيهم ويطهرهم عن الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتاكيد التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان التمحيص وهذه الامور الثلثة علل للمداولة المعهودة باعتبار

جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول
وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون
علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد بانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب
الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع ان
المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف
وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تاكيد الانكار وقرئ يعلم
بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم
حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن
اي لا يكون منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي
الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر والمحافظة على الفواصل وقيل
مجزوم معطوف على المجزوم قبله متحرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو
الاصل في تحريك الساكن وقرئ ويعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدا محذوف اي وهو يعلم الصابرين
كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تمنون الحرب فانها من مبادي الموت
او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف
ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله
وشدته وقرئ تلاقوه فقد رايتموه اي ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله
وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم
له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رايتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم
وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة
بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من تمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب
من تلك الجهة وما محمد الا رسول مبتدا وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى قد خلت
من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه لا محالة
كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه
السلام رسول لا كساير الرسل في انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد
عليهم بانه ليس الا رسولا كساير الرسل سيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو
قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون فيه
عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك
وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وايا ما كان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظاهر افان مات او
قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم
متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في
الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من
استعظامهم اياه وهكذا الحال في ساير الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى

بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر اخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي
ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك اهم
ولان الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة في نفر
من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي
وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم وراوا انهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي
اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا ثمانية نفر فلما راهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم من قبل المسلمين
ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كل منهم
يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية
حتى قتله ابن قمئة وهو يزعم انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفا الناس
وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين
فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه
المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا
الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك
مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله
يعصمك من الناس لما ان كل اية ليس يسمعها كل احد ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل
عمر رضي الله عنه عن هذه الاية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه
اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولاقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول الاية قال الراوي والله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الاية نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر رضي الله عنه وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر رضي الله عنه
تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ومن ينقلب على عقبيه بادباره عما كان يقبل عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان من
المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب
وسيجزي الله الشاكرين اي الثابتين على دين الاسلام الذي هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له
وعرفان لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين
والانصار وعن علي رضي الله عنه ابو بكر واصحابه رضي الله عنهم وعنه رضي الله عنه قال ابو بكر من الشاكرين ومن احباء الله تعالى
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان جزائهم وما كان لنفس ان تموت كلام مستانف
سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط
باذن الله عز وجل لا يكاد يقع بدونه اصلا وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل هائل مخوف وقد اشير بذلك الى ان القتال
لم يكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه ولذلك لم يقتلوا حين لا الا جامهم عن مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها

ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى الا باذن الله استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت
حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشية الله تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت
في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا يتسنى للفاعل
ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى او بتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام
فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها عليه وعلى مباديه وسعيها في ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر
وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر موكد لمضمون ما قبله اي كتبه الله كتابا مؤجلا موقتا بوقت معلوم
لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة محض
مشية الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دايرة على اراداتهم ليصرفوها عن
الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل ومن يرد اي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة على طريق الالتفات
منها اي من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض
بمن شغلتهم الغنايم يوميذ وقد مر تفصيله ومن يرد اي بعمله ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها ما نشاء
من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما اتاهم الله تع
من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المجاهدون
المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التاكيد والدلالة على فخامة شان الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه
البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلثة بالياء وكاين كلام مبتدأ مع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدهم عن
سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف التشبيه واي حدث
فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي
احديهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كاين مثل كعين والرابعة كين بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب
ما قبلها والخامسة كان مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من نبي تمييز لها لانها
مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله اطرد الياس بالرجا فكاين املا حم يسره بعد عسر وقوله تعالى قاتل
معه ربيون كثير خبر لها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول
مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها ايضا على
الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او عابدون
او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القرائتين الاخيرتين اذ لا احتمال فيهما لتعلقه
بالفعل اي قتلوا او قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال
الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق
بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا اوضح على القراءة المشهورة بلا خلاف اي كم من نبي قاتل
معه في القتال ربيون كثير واما على القرائتين الاخيرتين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد رجح بعضهم وايده بان
مدار التوبيخ انخذالهم للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل او في القتال ربيون الخ وقوله تعالى
فما وهنوا عطف على قاتل على ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر
فان الاتيان بالشي بعد وجود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد
مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله اي فما فتروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم في اثناء القتال وهو علة للمنفي دون

النفي نعم يشعر بعلته قوله تعالى في سبيل الله فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او
موصوفة فان جعل الضمير ان لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وساير المكاره المعترية للكل وان جعلا للبعض الباقين بعد
قتل الاخرين كما هو الانسب بمقام توبيخ المنخزلين بعد ما استشهد الشهداء واما على القرائتين الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين
فالضميران للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخزال بسبب الارجاف بقتله
صلى الله عليه وسلم فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال وما
ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا
تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبضعفهم
عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان
والله يحب الصابرين اي على مقاساة الشدايد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما
المعهودون والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والجملة تذييل لما قبلها وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم العقلية
وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله تعالى الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان
قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحراب واصابة ما اصابهم من فنون الشدايد والاهوال شي من الاشياء الا ان
قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغائرنا واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد في ركوب الكباير اضافوا الذنوب و
الاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم
الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم وثبت اقدامنا اي في مواطن الحرب
بالتقوية والتاييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع
الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة
الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم
في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما في حيزها اي ما كان قولهم شيا من الاشياء الا هذا القول المنبي عن
احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم
المحكي عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة
وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة
بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما تفيده الاضافة
من النسبة المطلقة الاجمالية بحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا
للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان
فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفيته ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من
حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم فتامل فاتاهم الله بسبب دعائهم ذلك
ثواب الدنيا اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الاخرة اي وثواب الاخرة الحسن وهو الجنة والنعيم
المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر
لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه وارادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع
المظهر موضع ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون

فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة يا ايها الذين امنوا
شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران الدنيا والاخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عم
ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه للاعتناء بالاظهار بما في حيزه ووصفهم
بالايمان لتذكير حالهم وتنبيههم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى ان
تطيعوا الذين كفروا لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فموقع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع
كونه في موقع ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه
تمهيدا لقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين اي للدنيا والاخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان
الارتداد على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم
ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا ما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله
كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استماعهم والاستكانة لهم وقيل
الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه
التقادير الى ما مر من البيان بل الله مولاكم اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم
بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم نصب
على انه صفة له وهو خير الناصرين فخصوه بالطاعة والاستعانة سنلقي بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا
على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتاكيد الالقاء في قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين
وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم
القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون
ارجعوا فاستاصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الاية في تضاعيف
الحراب او عقيب انفصاله وقيل هو ما القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب بما اشركوا بالله متعلق بنلقي
دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما
من دواعي الرعب ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها
او لحدتها او نفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب
ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الاراء والاهواء الباطلة وماواهم بيان لاحوالهم
في الاخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما ياوون اليه في الاخرة النار لا ملجا لهم غيرها وبئس مثوى
الظالمين اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون
للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها ماواهم نوع رمز
الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما الماوى فهو المكان الذي ياوي اليه الانسان
ولقد صدقكم الله وعده نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس
من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه عليه السلام
من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان وقد كان
كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم
يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو

ظرف لصدقكم وقوله تعالى باذنه اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو
ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الاية وقد مر تحقيق ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر امداده
عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح في ان الموعود هو النصر المعنوي
والتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقي الخ وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال
ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين وايا ما كان فلا سبيل الى كونه معا بقوله
تعالى حتى اذا فشلتم اي جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب وتنازعتم في
الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا
ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه
في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون
اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومعه من اصحابه
حسبما فصل في تفسير قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو
امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى
منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الاخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم
حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في
قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر
كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك
وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين اي كفكم عنهم
حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اي يعاملكم معاملة من يمتحنكم
بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل
على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب
عليه اي شانه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا
رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار في موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم
واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر
كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من الثلاثي اي في الجبل وقرئ تصعدون من
التفعل بطرح احدى التائين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون الى ما
وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ
يلوون كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي عباد الله الي عباد الله انا رسول
الله من يكر فله الجنة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته
سبحانه اشباعا في توبيخ المنهزمين في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم عطف على صرفكم اي
فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف
بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات او
ضر ات وقيل لا زائدة والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم

وقيل الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم
على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما تعملون
اي عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمومنين حقا من بعد الغم اي الغم
المذكور والتصريح بتاخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم
ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية امنة اي امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاسا بدل منها او عطف بيان او
هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع امن
كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشان
المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا
كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يامنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم
النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما امنهم يومئذ بنعاس تغشاهم بعد خوف وانما ينعس من امن والخائف لا ينام وقال
الزبير رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول
معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رحمه الله
رفعت راسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي
عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فاخذه ثم يسقط السوط من يدي فاخذه وفيه دلالة على
ان من المومنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله تعالى يغشى طائفة منكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما
هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاسا
وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل بينهما
وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم
اي اوقعتهم في الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمني الشيء اي كان من همتي
وقصدي والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدا وما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها
على واو الحال كما في قوله سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا محياك اخفى ضوءه كل شارق او لوقوعها في موقع التفصيل
كما في قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول واما صفتها والخبر محذوف اي ومعكم
طائفة او وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بانزال الامنة
واياما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول موكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى اولم يروا انا
جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون
بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استيناف مبين
لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر اي يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه
وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق
وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسالتهم كانت صادرة عن الظن اي يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اي من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شيء
اي من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اي الغلبة بالاخرة لله تعالى
ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فقد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له و
قرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يخفون في انفسهم اي يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية

ما لا يبدون لك استيناف او حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل ان الامر الخ اعتراض بين الحال وصاحبها اي
يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب وقوله تعالى يقولون استيناف
وقع جوابا عن سوال نشا مما قبله كانه قيل اي شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان
لنا من الامر شيء كما وعد محمد عليه السلام من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر كله لله او لو كان لنا من التدبير والراي
شيء ما قتلنا ههنا اي ما غلبنا او ما قتل منا في هذه المعركة على ان النفي راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط ولما برحنا
من منازلنا كما رواه ابن ابي ويويده تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم اي لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم
بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل اي في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى
مضاجعهم الى مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها فقتلوا هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان
قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله عز
وجل اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب في تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون روي ان ملك الموت حضر مجلس سليمان النبي عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما قام الرجل من
هذا قال سليمان عليه السلام ملك الموت قال ارسلني مع الريح الى عالم اخر فاني رايت منه مرى هائلا فامرها عليه السلام
فالقته في قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل
في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك
فقضى امر الله عز وجل في زمانه ومكانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ لبرز بالتشديد
على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق و
يظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح
جمة وليبتلي الخ وجعلها علة لبرز ياباه الذوق السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان
حكمة البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المومنين ونحو ذلك وتقدير
الفعل مقدما خال عن هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله
عليم بذات الصدور اي السرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض
للتنبيه على ان الله تعالى غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غني عنهما محيط بخفيات الامور
وفيه وعد ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد حسبما مر من حكايتهم انما
استزلهم الشيطان اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي
التي هي مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فحرموا التاييد وقوة القلب وقيل
استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذنوب
سبقت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله
غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية
للمهابة وتاكيد للتعليل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا
وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المومنين وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذي اثير وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم
تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في
الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة للمضي لحكاية الحال الماضية
اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان

وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف له
لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا الخ او كانوا اي اخوانهم غزى جمع غاز كعفى جمع عاف
قال ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى لها قلب عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة وافراد
كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له و
تقديمه لكثرة وقوعه وعلى انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا للايذان باستمرار
اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا
وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس
المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر على قائليه الا يرى الى
قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه
اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم و
الاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل
المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا امثالهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل
الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما مر اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة
الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا امثالهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم
ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر في الحيوة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة
او السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب
السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول
لقولهم المذكور ولمنشائه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل
الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر
بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة
لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلقه بمحذوف وقع صفة للمبتدا وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور
عليها والجملة جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك
بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها
مدة اعمارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على
بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولهما لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخييب منه تعالى بعد الاطماع
وقد قيل لا بد من حذف اخر اي لمغفرة لكم من الله الخ وح ايضا يكون اخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر لنحو ما ذكر من ادعاء
الظهور والغنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب
في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر ان المقصود بالنهي
انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به واضلال الناس به ولئن متم او قتلتم
اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى الله اي الى المعبود
بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويعظم ثوابكم والكلام في لامي الجملة
كما مر في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون

الكلام على ما ينبئ عنه السباق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى
ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد او نكرة ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اي فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق
كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك
للعدو ولو لم تكن كذلك بل كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي
هو الغليظ الجانب السيء الخلق غليظ القلب قاسيه وقال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من
حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا في مهاوي الردى والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب
العفو والامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق
بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله
مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا بارائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض
الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد
لك واصلح فان علمه مختص به سبحانه وتعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه
فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل والامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات
الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خيرهم وصلاحهم والجملة
تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا
للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على الالتجاء اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر
فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط
ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم
منه فهما قطعيا هو نفي المساواة واثبات الغالبية للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان ولا افضل منه فالمفهوم منه
حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما
ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل ومما هو نص
قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعد في حقهم لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل
خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا
فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي من بعد
خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل
لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او ترتيب الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم
على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون
داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات واياما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشراكا او استقلالا
وتعليل لحكم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا وما كان لنبي اي ما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام
ولا استقام له ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه
خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة
وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا

نفل ولا هشم بينكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلايع فغنم النبي صلى الله عليه
وسلم بعدهم غنايم فقسمها بين الحاضرين ولم يترك للطلايع شيا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع آخرين
بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام عما
تفوه به بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم
القيمة يات بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف روي انه عليه السلام قال الا لا اعرفن
احدكم ياتي ببعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيا فقد بلغتك
او يات بما احتمل من اثمه ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب
موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كانهما شي واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب و
تعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيمة من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه
والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين وفي كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص عنه شي وان كان جرمه في غاية القلة و
الحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شي وجرمه من اعظم الجرايم اظهر واجلى وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس
لا يظلمون بزيادة عقاب او بنقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات
او ترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يقادر قدره كاين من الله تعالى بسبب
معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفي الغلول عن النبي عليه السلام وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين
الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الاخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء
لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى
عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم
اما كلام مستانف مسوق لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية
على الفعلية وايا ما كان فلا محل له من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير
جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصولين
باعتبار المعنى درجات عند الله اي طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة
وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذووا درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها
لقد من الله جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله اي انعم على المؤمنين اي من قومه عليه السلم اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في
الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه عم
كان من اشرف قبايل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث الخ على انه خبر لمبتدا محذوف اي منه اذ بعث
الخ او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة
للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كاينا من انفسهم
وقوله تعالى يتلو عليهم اياته صفة اخرى له اي يتلو عليهم القران بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شي من الوحي
ويزكيهم عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس الطبايع وسوء العقايد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة
اي القران والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل
النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان

بان

بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن
القران بالايات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في
مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرايع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا من قبل اي من قبل بعثته عليه السلم وتزكيته وتعليمه
لفي ضلال مبين اي بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من ان المثقلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين
النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية
واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى التقديرين
فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مبتدا مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم
من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشية منها اثر ابطال بعض اخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على
محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل
سبعين منهم وبمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما
يتعلق به بينه وبين الهمزة مع ان المقصود انكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتاكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته
اقبح والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد
تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعيا
اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة اذ اصلتم ما فعلتم
ولما اصابتكم غايلته قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة في انى هذا
مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا ما شاهدوه في المعركة من حيث هو
هو من غير ان يخطر بالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار والتقريع وتبكيتهم ببيان ان ما نالهم
انما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك
كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الاية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الخطر عنه وخفف جنايتهم
فيه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ واين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم
الفدا يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى ومما يعضده توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين
الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه عليه السلام فان توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد
تاثيرا ان الله على كل شي قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم
منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر وما اصابكم رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عم
لستر مصيبته وارشادهم الى حقيقة الحق فيما سالوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى
هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تع
يوم التقى الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اي فهو كاين بقضائه وتخليته الكفار سمى ذلك اذنا لكونها من لوازمه
وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف على السبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس
الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان
باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر
في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والاخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم

يومئذ فهو كاين لتميز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتداء
قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو
ابن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي
ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى و
ترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيب فيما فيه من الدلالة على التظاهر
والتعاون قالوا استيناف وقع جوابا عن سوال نشأ عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين
فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نحسن قتالا او نقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما لم ينفوا القدرة على القتال
بنفي العلم بها لان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده
ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم الثاني مجرد الابلاغ دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل
على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا للمقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب للايمان الضمير مبتدا
واقرب خبره واللام في للكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد
بلا عطف او بدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادته
جرى مجرى عاملين كانه قيل قربهم للكفر زايد على قربهم للايمان وقيل يتعلق الجارين بالشبههما بالظرفين اي هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا
اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة موذنة بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المسلمين
وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان
تقليل سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستانفة مقررة
لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به
اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ
فقط فالمنفي حينئذ منشاه الذي لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول
لا وجود له ولمنشاه في قلوبهم اصلا من الاباطيل التي من جملتها ما حكى عنهم انفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم
شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والاخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير
ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخزال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل والله اعلم بما يكتمون زيادة
تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة
التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المومنين وتخطئة ارائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المومنون
على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الالهي الذين قالوا مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او
خبر لمبتدا محذوف وقيل مبتدا خبره قل فادرءوا بحذف العايد تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم او على انه نعت للذين
نافقوا او بدل منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم
عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهدا
وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخزال لو اطاعونا اي فيما امرناهم به
ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخزال حين انخزلوا واغووهم كما غووا وجعل القعود
علما استصوبه ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه والعمل به يرده كون
الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم
الطاعة باخوانهم يناديء باختصاص الامر ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة

قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم فادرءوا عن انفسكم الموت جواب لشرط قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين
كما ان شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب
عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان
المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم
يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود
موديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل اريد ان كنتم صادقين في مضمون الشرطية و المعنى
انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت حينئذ استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين
لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتا كلام مستانف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب
التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا
سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم
من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب و
قرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه السلام او ضمير من يحسب وقيل الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل
مبتدا جائز الحذف عند القرينة ولا تحسبنهم الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين
على انهم احياء بان يسلوا بذلك ويبشروا بالحيوة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتدا
القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ وقتلوا
بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما
في قوله حسبت التقى والجود خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل
الرفع على انه خبر ثان للمبتداء المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل
بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم
مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة وفيه تاكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حيوتهم قال الامام الواحدي الاصح في حيوة
الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم يرزقون وياكلون ويتنعمون
وروي عنه عليه السلام انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وترد
في انهار الجنة الخ وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه
دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس
البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب
فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى
من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم الذين
لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف
وقع حالا من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف
وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون
بحياة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحيوة التي يجب

والتقدير

ان يرغبوا عنها اصلا وعن ان يخاف ويحذر اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان
دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهم كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا فان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد
الدوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما
يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهى ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا
لبعض ما اجمل فى قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افادها التنكير
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة منه تعالى وفضل اى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بفتح ان عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء
والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم
ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة فى الدين وقرئ بكسرها على انه استيناف
معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب فى
الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا
اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون و
متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان وقال لا يخرجن معنا
الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه
القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله تعالى الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم
الناس يعنى الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه
وكلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا
كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روى ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا بدر موسم بدر
لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله
تعالى فى قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا
المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم
ووجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال
عليه السلام والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هى
الكلمة التى قالها ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او للمصدر او لفاعله ان اريد
به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام و
اخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر
الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنه قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه
الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقالوا حسبنا الله اى محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه
بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اى نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح
محذوف اى الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روى انه عليه السلام
وافى بجيشه بدرا واقام بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا والباء فى قوله تعالى بنعمة متعلقة

بمحذوف وقع حالا من الضمير فى فانقلبوا والتنوين للتفخيم اى فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله
عز وجل من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التى يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اى كائنة من الله
تعالى وهى العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل اى ربح فى التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم
لم يمسسهم سوء حال اخرى من الضمير فى فانقلبوا او من المستكن فى الحال كانه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال
اذا كانت مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذى الحال جاز فيه دخول الواو كما فى قوله تعالى او قال اوحى الى ولم يوح اليه شىء وعدمه كما فى
هذه الاية الكريمة وفى قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا واتبعوا فى كل ما اتوا من قول وفعل رضوان الله
الذى هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى
الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجرأة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار
لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضى عنهم
انما ذلكم اشارة الى المثبط او الى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى الشيطان اما خبره وقوله
تعالى يخوف اولياءه جملة مستأنفة مبينة لشيطنته او حال كما فى قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الخ واما صفته والجملة
خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انما ذلكم قول الشيطان اى ابليس والمستكن فى يخوف اما للمقدر واما
للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اى يخوف به والمراد باوليائه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول محذوف اى يخوفكم اولياءه كما هو
قراءة ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم اى اولياءه وخافون فى مخالفة امرى واما
القاعدون فالمفعول الثانى محذوف اى يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز فى فلا تخافوهم للناس
اى الثانى فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافونى فجاهدوا مع رسولى وسارعوا الى ما يأمركم به والخطاب لفريقى
الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهى او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهى
عنه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعى الامن من شر الشيطان واوليائه
ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للتشريف بتخصيصه بالتسلية والايذان باصالته
فى تدبير امور الدين والاهتمام بشؤونه الذين يسارعون فى الكفر اى يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم
فيه وايثار كلمة فى على ما وقع فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الاية للاشعار باستقرارهم فى الكفر ودوام ملابستهم له فى مبدأ
المسارعة ومنتهاها كما فى قوله تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات فان ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم فى فنونها
فقط فى المسارعة وتصحيحها واما ايثار كلمة الى فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلان المغفرة والجنة منتهى
المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين فى قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام
والتعبير عنهم بذلك للاشارة بما فى حيز الصلة الى مظنة وجود المنهى عنه واعتراء الرسول الله صلى الله عليه وسلم اى لا يحزنوك
بمسارعتهم فى الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهى الى مسارعتهم مع ان المقصود نهيه عليه
السلام عن التأثر منهم للمبالغة فى ذلك لما ان النهى عن التأثير نهى عن التأثر باصله ونفى له بالمرة وقد يوجه النهى الى اللازم و
المراد هو النهى عن الملزوم كما فى قولك لا ارينك ههنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاى والمعنى واحد وقيل
معنى حزنه جعل فيه حزنا كما فى دهنه اى جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه
عرضه للحزن انهم لن يضروا الله تعليل للنهى وتكميل للتسلية بتحقيق نفى ضررهم ابدا اى لن يضروا بذلك اولياء الله
البتة وتعليق نفى الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة فى التسلية وقوله
تعالى شيئا فى حيز النصب على المصدرية اى شيئا من الضرر والتنكير لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار

اى بشئ ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملك الله شيئا ولو ان اولكم وآخركم وانسكم و
جنكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية والتعليل يريد الله
ان لا يجعل لهم حظا فى الآخرة استيناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك فى الكفر وفى ذكر الارادة من الايذان
بكمال خلوص الداعى الى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على
دوام الارادة واستمرارها اى يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم فى الآخرة حظا من الثواب ولذلك تركهم فى طغيانهم يعمهون
الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلى عذاب عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة فى الشئ على عظم
شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته فى
نفسه والجملة اما ابتداءة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا شئ لهم من الثواب واما حال من الضمير فى لهم اى يريد
الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اى اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه
واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول فى هذه الاستعارة فى تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
لن يضروا الله شيئا تفسيره كما مر غير ان فيه تعريضا ظاهرا باقتصار الضرر عليهم كانه قيل وانما يضرون
انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذه بدلا
من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله فى التورية كما هو شأن
اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر فى حيز الصلة من اشترا
المذكور صريح فى لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم فى الخسران الكلى والحرمان الابدى
دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الراى ورصانة التدبير
من مضارة حزب الله تعالى وهى اعز من الابلق الفرد وامنع من عقاب الجو وان اجرى الموصول على عمومه بان يراد
بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا من الايمان الحاصل بالفعل الايمان من الاستعداد
القريب له الحاصل بمشاهدة الوحى الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة فى الآفاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة
فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول
عاما للكفار والثانى خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة شأن التنزيل لما ان
صدور المسارعة فى الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه النهى
عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين فى الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة
اليهم واعتبار كونها من مبادى حزنه عليه السلام مما لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتداة مبينة لكمال
فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشترى بما اشتراه وسروره بتحصيله
عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملى لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند الى الموصول وان بما فى حيزها سادة
مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبى بالنسبة بين المبتدا والخبر ومسد احدهما والآخر محذوف
عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عائدها ووصلها فى الكتابة لاتباع الامام اى لا يحسبن الكافرون ان املاءنا
لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة وماله النهى
عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض كما ان مآل المعطوف
عليه نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلم ببيان

عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلى احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون
خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الاملاء الذى هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم
دهرا طويلا فان المقارن له دائما انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة
المنقضية فى تضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام
التسلية او لكل من يأتى منه الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملى لهم اما بدل منه وحيث كان
التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما فى قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما فى قوله
جعلت متاع بعضه فوق بعض واما مفعول ثان بتقدير مضاف اما فيه اى لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او فى المفعول
الاول اى لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما استيناف
مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه و
كسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده على معنى لا تحسبن الكافرون
ان املاءنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شأنهم بل انما هو لتلافى ما فرط منهم بالتوبة والدخول فى الايمان ولهم فى الآخرة
عذاب مهين لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعى التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة
ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا فالجملة اما ابتداءة مبينة لحالهم فى الآخرة اثر بيان حالهم فى الدنيا واما حال من الواو اى
ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة وما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام
مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التى هى الفضيحة والخزى اثر بيان عقوبتهم الاخروية
والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات فى
ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم بعضا واستواؤهم فى اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك
بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبى رضى الله عنهم واكثر المفسرين
ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيرى للكفار والامر مشترك بين المؤمنين والمجاهرين فى امر من الامور والمراد بما هم
عليه ما مر من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فان
المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم فى ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعانى ففيه تلوين و
التفات كما مر والتعرض لايمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب و
اليه جنح المحققون من اهل التفسير لكونه صريحا فى كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث
هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق
ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب الى
احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام فى ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر
لكان كما هو راى البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اى ما كان الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الخ ففى
توجيه النفى الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست فى توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راى
الكوفية ولا يقدح فى ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر فى عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب
غاية لما يفيده النفى المذكور كانه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل
المنافق من المؤمن وفى التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث
والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وكثرته لا سيما بعد ذكر ما اريد باحدهما اعنى المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراز
احد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد آحادهما كما فى مثل قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا

وبطيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من
العقلاء اوغيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المومنين على الاختلاط تعليقه بهم
وافرازهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع
بقاء المومنين على ماكانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع
بقاء المنافقين على ماهم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد تاكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح
وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتناء بشان من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملايمة
كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى وماكان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان الميز الموعود
على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اشارة الى كيفية وقوعه
على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ماكان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين
بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه يوحي الى
رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤس
الاشهاد ويخلصكم من صحبة الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية لايتاتى
الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لساير الرسل عليهم
السلام للدلالة على ان شانه عليه السلام في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية
عليهم السلام وتعميم الامر في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسله مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي عليه السلام لايجاب الايمان
بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه السلام
والمامور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوليا هذا هو
الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لايترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف
الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى
فيجعل ذلك عيارا على عقايدهم وشاهدا بضمايركم حتى يعلم بعضكم بما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على
ذات الصدور فان ذلك مما استاثر الله تعالى به وانت خبير بان الاستدراك باجتباء الرسل المنبي عن مزيد مزيتهم وفضل
معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر بطريق الوحي
لابطريق التكليف بما يودي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفا واقرب من ذلك حمل الاية الكريمة على ان يكون مسوقة لبيان
الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ماكان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك الى الآن
لسر تقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعل يوم احد حيث خلى الكفرة وشانهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من في
قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يومن منا ومن يكفر
فنزلت وان تومنوا اي بما ذكر حق الايمان وتتقوا اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان
والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل وخامة
عاقبته وتخطية لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة
في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند
الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من
فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى
ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا يحسبن بخل

الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة
في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق
على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما من رجل
لا يودي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه
تنقر راسه وتقول انا مالك ولله ميراث السموات والارض اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات
التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله
تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشي من ذكر قبايحهم وقرئ بالياء
على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالت اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة
وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي
بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع ح مع كون القايل
واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة
والسماجة بحيث لا يرضى قايله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد سنكتب
ما قالوا من العظيمة الشنعاء في صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين
للتاكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم
والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبياء ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس
باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترا على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظايم والمراد بقتلهم الانبيا
رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كاينا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو
في نفس الامر وقرئ سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق
اي وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى و
قرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم
شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما قدمت ايديكم اي بسبب ما اقترفتموه من قتل
الانبيا والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن الانفس [illegible] واول بهن وعمل
ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والجملة [illegible]
ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم
ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة
صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من
تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل
هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف
على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده
ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القايل في
سورة الانفال وقيل سببيته ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم

لمضمون بغير ذنب يستحيل

وانت خبير بان مكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدم
معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعى ان جميع تعذيباته بسبب ذنوب المعذبين • الذين قالوا • نصب او رفع على الذم وهم كعب
ابن الاشرف ومالك بن صيفي وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازورا ووهب بن يهودا • ان الله عهد الينا • اي امرنا في التورية
واوصانا • ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار • كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي
فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان
الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه
بما قالوا ولو تحقق الاتيان لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى • قل • اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم • قد جاءكم رسل • كثيرة
العدد كبيرة المقدار • من قبلي بالبينات • اي المعجزات الواضحة • وبالذي قلتم • بعينه من القربان الذي تاكله النار • فلم قتلتموهم
ان كنتم صادقين • اي فيما يدل عليه كلامكم من انكم تومنون لرسول ياتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء
عليهم السلام قد جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تومنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم • فان كذبوك • شروع في تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحي اليه ما يحزنه عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى • فقد
كذب رسل من قبلك • تعليل لجواب الشرط اي فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنة
من قبلك • جاؤا بالبينات • اي المعجزات الواضحات صفة لرسل • والزبر • هو جمع زبور وهو الكتاب المقصور
على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته • والكتاب المنير • قيل اي التورية و
الانجيل والزبور والكتاب في عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع
وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات • كل نفس ذائقة الموت • وعد ووعيد للمصدق
والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا • وانما توفون اجوركم • اي تعطون
اجزية اعمالكم على التمام والكمال • يوم القيمة • اي يوم قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم
قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران • فمن زحزح عن النار • اي بعد عنها
يومئذ ونجي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة • وادخل الجنة فقد فاز • بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر
بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يومن بالله واليوم
الاخر ويوتي الى الناس ما يحب ان يوتى اليه • وما الحيوة الدنيا • اي لذاتها وزخارفها • الا متاع الغرور • شبهت
بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور
اما مصدر او جمع غار • لتبلون • شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المومنين عما سيلقونه من جهة
الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر
والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار
اي تطلب الخبر بحال المختبر بتعريضه لامر يتشوش عليه فالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على
عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه
شيا هو من مبادي العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون اي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من
الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفايدة التاكيد اما بتحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة
في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد • في اموالكم • بما يقع فيها من ضروب الافات المودية الى هلاكها واما
انفاقها في سبيل الخير مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف • وانفسكم •
بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدايد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع

الهلاك فيها • ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم • اي من قبل ايتائكم القران وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك
للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا
الخ والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به • ومن الذين اشركوا اذى كثيرا •
من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يومن وتخطئة من امن وما كان من كعب بن
الاشرف واضرابه من هجاء المومنين وتحريض المشركين على مضارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه
• وان تصبروا • اي على تلك الشدايد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل • وتتقوا • اي تبتلوا الى الله
تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه • فان ذلك • اشارة الى
الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من
المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين • من عزم الامور • من
معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تع
عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه
كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى
صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف
بالعباد ما لا يخفى • واذ اخذ الله • كلام مستانف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم من شواهد نبوته صلى الله عليه
وسلم وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب اثر الخطاب الشامل
له عليه السلام وللمومنين لكون مضمونه من الوظايف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما
وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما مر بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك
للملائكة اني جاعل الخ اي اذكر وقت اخذه تعالى • ميثاق الذين اوتوا الكتاب • وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء
الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم • لتبيننه • حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه
• للناس • ولتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ
بالياء لانهم غيب • ولا تكتمونه • عطف على الجواب وانما لم يوكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل
اكتفى بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتداء بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على راي
من جوز دخول الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة
في ايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الايات الناطقة بنبوته عليه السلام وبالكتمان المنهي عنه القاء التاويلات
الزايغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله • فنبذوه • النبذ الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التاكيد
والقوة • وراء ظهورهم • ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية
كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على حتم بيان الحق على علماء الدين واظهار ما يعلمون من العلم للناس
اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من الاعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال
والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل
لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا • و
اشتروا به • اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل
مع ان المراد كتم بعضه كدلايل نبوته عليه السلام ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلوة رفض

لكلها او بمنزلة كم الكل من حيث انهما سيان فى الشناعة واستجرار العقاب كما فى قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء
مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اى تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اى شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها
وفى تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة فى الماخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى
الذى هو العمدة فى العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذى شانه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذى حقه ان يتنافس فيه المتنافسون
مصحوبا بالباء الداخلة على الالات والوسايل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنى الحقير على الشريف
الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلى وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون
ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن لا تحسبن
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون بما اتوا اى بما فعلوا كما فى قوله تعالى انه كان وعده
ماتيا ويدل عليه قراءة ابى يفرحون بما فعلوا وقرئ بما اتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اى اوتوه من علم
التورية قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود حرفوا التورية وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شىء مما فى التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا
بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته عليه السلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه السلام فالموصول
عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروى
اثر بيان قباحتها وقد ادمج فيها بيان بعض اخر من شنايعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبايح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان
يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك فى سلك الصلة التى حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند
المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة فى ذلك واستحمدوا به وقيل
هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا لشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار
الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم فى
الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طايفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل
الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من ياتى بشىء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يمدحه الناس
بما هو عار منه من الفضايل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واياما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله فلا تحسبنهم
تاكيد له والفاء زايدة والمفعول الثانى قوله تعالى بمفازة من العذاب اى ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر
ميمى ولا يضر تانيثها لما انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما فى قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك
قد كانوا لنا الموارد ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اى بمفازة كاينة من العذاب لانها
ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى اى بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه
وقرئ بضم الباء فى الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام
او لكل احد مما ياتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء فى الثانى فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه
عين الفاعل والثانى بمفازة اى لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فايزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم تاكيد للاول والفاء زايدة
كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين اختصارا لدلالة مفعولى الثانى عليهما على عكس ما فى قوله باى كتاب او باية
سنة ترى حبهم عارا على وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثانى لدلالة مفعولى الاول عليهما او على ان الفعل الاول
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثانى محذوف لدلالة مفعول الفعل الثانى عليه والفعل
الثانى مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه السلام ومفعولاه الضمير
المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرايهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة

حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الاخرة كما نجوا به من المواخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلى الله
عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم ولهم عذاب اليم بعدما اشير
الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له فى المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمى
والوصف ولله اى خاصة ملك السموات والارض اى السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما
كيف يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل فى شىء من ذلك بوجه من الوجوه
فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى والله على كل شىء قدير تقرير لاختصاص ملك العالم الجسمانى المعبر عنه بقطريه به سبحانه
وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شىء من الاشياء يستدعى كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له
ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شىء من الاشياء فى القدرة على شىء من الاشياء فضلا عن المشاركة
فى ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل فى
موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار
باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ان فى خلق السموات جملة مستانفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى
بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اى فى انشائها على ما هى عليه فى ذواتها
وصفاتها من الامور التى يحار فى فهم اجلاها العقول والارض على ما هى عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار
اى فى تعاقبهما فى وجه الارض وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات و
سكون الارض او فى تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا
قربا وبعدا بحسب الازمنة او فى اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما فى الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب
الشمالى ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البعيدة منه ولياليها واما فى انفسهما فان كرية الارض تقتضى
ان يكون بعض الاوقات فى بعض الاماكن ليلا وفى مقابله نهارا وفى بعضها صباحا وفى بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك
والليل قيل اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالى جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالى جمع
ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما فى كيكة وكياكى كانها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس
قال الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر فى الليالى واما
لتقدمه فى الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار اى نزيله عنه مخلفة لايات اسم ان دخلته
اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اى لايات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤنه التى من جملتها ما مر
من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر فى سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح
والسحاب لما ان المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك
واما هنالك فقد قصد فى ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلايل الفضل و
الرحمة فى سلك دلايل التوحيد فان ما فصل هنالك من ايات رحمته تعالى كما انه من ايات الوهيته ووحدته لاولى الالباب
اى لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوايب الحس والوهم المتجردين عن العلايق النفسانية المتخلصين عن العوايق الظلمانية
المتاملين فى احوال الجهاليم واحكام النعوت المراقبين فى اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين فى بدايع صنايع الملك
الخلاق المتدبرين فى روايع حكمه المودعة فى الانفس والافاق الناظرين الى العالم بعين الشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق
فى كل موجود مما رين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين الى شىء مما سواه الا من حيث انه مراة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة
صفات كماله فان كل ما ظهر فى مظاهر الابداع وحضر محاضر التكوين والاختراع سبيل سوى الى عالم التوحيد ودليل قوى
على الصانع المجيد ناطق بايات قدرته فهل من سامع واع ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل من داع يكلم الناس على قدر عقولهم

الاعتبار

ويدرجوا بهم بحسب عقولهم يحاور تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا في الحوار ايهامهم وتصحيحهم وان
من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم فتامل في هذه الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عايشة رضي
الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا عايشة ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب
قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القران
وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه
قد بلت الارض فاتاه بلال يوذنه بصلاة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله ابكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات
والارض الخ ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتاملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الخ الذين يذكرون
الله الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة واما مفصول عنه مرفوع او منصوب
على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه تفكيك
النظم الجليل ما لا يخفى وايا ما كان فقد اشير بما في حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة اوقاتهم لاطمئنان
قلوبهم بذكره واستغراق سرايرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فايض منه وعايد اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال
في انفسهم واليه اشير بقوله عز وجل قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولا في الافاق واليه اشير بما بعده الا وهم يعاينون
في ذلك شانا من شؤونه تعالى فالمراد بذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال
وسواء قارنه الذكر اللساني اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد
الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم
فليس مرادهم به تفسير الاية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من
افراد مدلولها واما حمل الذكر على الصلوة في هذه الاحوال حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين صل قايما
فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يلايمه سباق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع
قائم وقاعد كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قايمين وقاعدين وقوله تعالى
وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات
كامر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا
ويتفكرون في خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل
محله النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على
الاطلاق واشارة الى نتيجته التي يودي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وايات الكتب فكما انها ايات
تشريعية هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات ايات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات
لهم على الثانية وداعية الى الاستشهاد بها كهذه الاية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية موكدة
للاولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها فان من تامل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى بان صانعه
خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم
الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه او قانون ينتحيه فهو على اعادته
بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم
التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلايل والامارات والمخايل وساير اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح

بل يتناول العمل القلبي بل هو اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضيته كون الاول اشرف من الثاني كون
عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل اشرف من معرفته تعالى التي هي اول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق
به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف
فخلقت الخلق لاعرف وانما طريقها النظر والتفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس
ابن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا عبادة
مثل التفكر وقد عرفت انه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة والا ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع
عن محارم الله تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة مع تصادق الايات
الكونية وتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشريعة
في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهم
والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف
اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم
الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الايات من غير حاجة الى بعض اخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اي
يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون فيما
خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية ربنا ما خلقت هذا باطلا كلمة هذا
اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما
باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر موكد محذوف او
حال من المفعول به اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين
عن ذكر المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدار المعايش العباد ومنارا يرشدهم
الى معرفة احوال المبدا والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول
مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب استيناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الايات ناشئ مما سبق فان
النفس عند سماع تخصيص الايات المنصوبة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك
الايات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من اثارها واحكامها كانه قيل فما يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل
كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المودي الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية
على التفصيل الذي وقفت عليه هذا واما جعله حالا من المستكن في يتفكرون كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم
لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد لها حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل
في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يودي الى اجتلاء تلك الايات والاستدلال بها على المطلوب
ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتايجه المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة
مما لا يليق بشان التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر
لمبتدا محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال
دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى سبحانك اي تنزيها لك عما لا يليق بك
من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض موكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى فقنا عذاب النار
فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى

عن البعث من دواعي الاستعاذه مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين احدهما الوقوف على حقوق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء
على ما ذكروا والاستعداد لقبول الدعا فالفاء لترتيب المدعو اعني الوقاية على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا سرك واطعنا امرك ونزهناك
عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته مبالغة في استدعاء
الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالندا للمبالغة في التضرع والجوار وتاكيدها لاظهار كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة
الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته
قال الواحدي للاخزا معان متقاربة يقول اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن الانباري الخزي
لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان
فقد ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين
من انصار تذييل لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيدا
للاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشيا في غير
مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اي ما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر
فليس في الاية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان حكاية
لدعاء اخر لهم مبني على تاملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة
الدعا بالندا لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتاكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالندا
الدعا وتعديتها بالى لتضمنها معنى الانتهاء وباللام لاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم
وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشان الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت
وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت
زيدا يقول الخ ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان
بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم
بمزيد مزية على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالندا للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة
لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القران العظيم ان امنوا
اي امنوا على ان ان تفسيرية او بان امنوا على انها مصدرية بربكم بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق
الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه فامنا فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف
بربوبيته مع الايمان به والفاء في قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب المغفرة او الدعا بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان
ذلك من دواعي المغفرة والدعا بها ذنوبنا اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله وكفر عنا سياتنا اي صغائرنا فانها
مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار اي مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار
بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب ربنا واتنا ما
وعدتنا على رسلك حكاية لدعاء اخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتاخر التحلية عن التخلية وتكرير الندا لما مر مكررا والمراد
بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف
وقع صفة لمصدر موكد محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل المقدر منزلا على رسلك او محمولا على رسلك
ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو الرسول عليه السلام وحده
لما ان دعوته عليه السلام لا سيما في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم
عليه السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب

الاية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود
ولا تخزنا يوم القيمة فقصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه مظهرين انهم ممن امن معه
رجاء للانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات
وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال
وسوء الخاتمة والمال فمرجعها الى الدعا بالتثبيت او للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث
بعد الموت وفي الاثار من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية فاستجاب
لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤول ويتعدى باللام وبنفسها
كما في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف على الاستيناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية
كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل الان اي قيل لهم الان امنتم به ثم قيل الاية وكما ان قوله تعالى في
سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد لهم كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير في
اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الا
وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سياتي ويجوز
ان يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الخ واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على
يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم
وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالاخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم
واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة ان يكون من
مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فان الاستجابة المتاخرة عنها وفي التعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع عمل عامل
منكم اي باني وهكذا قرا ابي رضي الله عنه والباء للسببية كانه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم
اي سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشان الاستجابة وتشريف الداعين
بشرف الخطاب والمراد تاكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد
لساير العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتاكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة
مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها اضاعتها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة
القول اي قائلا اني الخ فلا التفات وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم و
قوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتاكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام
النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الاخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما
في الدين والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا ضرب تفصيل لما اجمل في العمل
وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى
واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في
سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو سبيل الله والكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار في سبيل الله
تعالى وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا يستدعي الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقتال الاخرين

عن جعفر الصادق

اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان
ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض
الموصولات من البين كما هو رأي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان مواضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ
قتلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدا الذي هو الموصول
وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير
السيئات في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه اي لاثيبنهم اثابة كائنة او تثويبا
كائنا من عنده تعالى بالغا الى [illegible] والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله و
الاسم الجليل مبتدا خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او هو مبتدا ثان والظرف خبره والجملة
خبر للمبتدا الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون
بحضرة احد لا يد لاحد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وفي تصدير الوعد
الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شان المحسن ما لا
يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شانها وسوء
مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله
تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مداره القوم ورؤساهم والمراد افناؤهم او لكل
احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب مبالغة اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور
الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين
في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك
بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدا محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام
ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاذن لا يجدي وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه
ثم مأواهم اي مصيرهم الذي يأوون اليه لا يبرحونه جهنم التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى وبئس المهاد
ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان وتكرير له
اثر تكرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تحسرهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى في
حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدا والظرف خبره
وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال
مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون
الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات
له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه
قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى وما عند الله خير مبتدا وخبر وقوله تعالى للابرار متعلق بمحذوف هو صفة
لخير اي وما عند الله تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اي مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير
عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل
الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستانفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف

الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من
الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه
واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم
ان لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين وتأخير
ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر
بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما
والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله
حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال
كما قبله ونظمها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته
صلى الله عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة
على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدا خبره قوله تعالى لهم وقوله اجرهم اي المختص
بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية
او على الابتدا والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كما في الصفة
ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تامل والمراد بيان
سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما
يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد وصابروا اي غالبوا
اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر
لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن
رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر
رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر
في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين
عن المكروه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله
عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تحجب الشمس الحمد لله رب العالمين

سورة النساء مائة وست وسبعون

يا ايها الناس اتقوا خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد
ذلك الى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف
الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخيرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد
على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيامة والحرام ما جرى
على لساني الى يوم القيامة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر
والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما لا دخل له في تاكيد التكليف وتقوية الايجاب ففي تعسف

حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل اتقوا ربكم فواردة على طريقة
التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في التقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة
جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمامور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من
فعل او ترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه تعالى في اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه
الواردة ههنا وايا ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاييد الامر وتاكيد
ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة فان
خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن
نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله
تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس ادم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم
من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبل بالمامورين بناء على ان تذكير
شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء
عنه لان خلقه تعالى للمامورين من نفس ادم عليه السلام حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الاباء والامهات
كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى
لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله تعالى وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف
اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم
من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدا وبيان كيفية خلقهم منه
وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل
مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
الخ لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق
حوا من ضلع ادم عليه السلام روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم و
اليقظان خلق حوا من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتاخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم
ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان
مبدئيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل
وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد
لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء
اي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتاكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل
فرد من الافراد المبثوثة لمبدئيته غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدا اي وهو خالق وباث واتقوا الله الذي
تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض اخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسالك
بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد
التاكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته
وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس
وقرئ تسالون من الثلاثي اي تسالون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار
الجمع كما في قولك رايت الهلال وتراءيناه وبه فسر تساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين

والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او بنصبه قراءة تساءلون به والارحام فانهم كانوا يقرنونها
في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسالك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها ولا
تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على
الاغراء اي والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك
اي مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى الا تعبدوا الا
اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان
الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا
مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب
الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل واتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد
الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم
ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما تفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الافات
جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف
واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد
بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى
تاتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد
على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الاية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها
اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول
حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الاية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون
كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها
مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد مما سياتي من الامر وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان
المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول ما
بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل وياباهما ما سياتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فان
ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين
واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مالا وتعميم الخطاب لاولياء كلا الفريقين
على ان من بلغ منهم فوليه مامور بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا مع ما سبق
فتكلف لا يخفى ولا يناسب ما تقدم من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء كالموجب للتعبير عن الاعطاء
بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر انفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه
مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي عن اخذ مال اليتيم
على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا
له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان الخ وقوله
تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ

واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه
بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال
مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتاكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله
مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه واياما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه
وتصوير المعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم
واعطاء الردي من انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج
العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديله به او تبدل الطيب بالخبيث فللايذان
بان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه مشتريا كان او
ثمنا لا لسلب المسلوب عنه ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم نهي عن منكر اخر كانوا يتعاطونه اي لا تاكلوها مضمومة الى اموالكم و
تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا انه اي الاكل المفهوم من النهي
كان حوبا اي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقال كبيرا
مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاقساط
العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط
يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا
لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصر على الجور ولا
يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر اخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق باموالهم
خاصة وتاخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون
من تحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا رغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثو هن
وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن
الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة واما اعتبار
اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال ويكون وليها فيتزوجها ضنا
بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اي وان
خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة
او موصوفة ما بعدها صلتها او صفتها اوثرت على من ذهابا الى الوصف وايذانا بان المقصود بالذات والغالب في الاعتبار
لا بناء على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن ابي عبلة من طاب ومن في قوله
من النساء بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات
وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة
على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن
وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح
المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث
كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحلال اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه
شامل للمحرمات ولا مخصص لها بمن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد
بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولئن حمل قوله

تعالى حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل لمجمل دالا على التخصيص مثنى وثلاث ورباع معدولة
عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات و
ان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده
وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين
ثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان
بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض اخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو
افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد
قيل في تفسير الاية الكريمة لما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من
لحوق الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل
لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من
ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل
ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى ان يساعدهما جزالة النظم
الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الاية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء
الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا فان خفتم ان لا تعدلوا اي فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى
او كما لم تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد فواحدة اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية
وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد
وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود
ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما سياتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا
ان ينكح المحصنات فمما ملكت ايمانكم فان المامور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوى في السهولة واليسر بين
الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ او من
ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء ذلك اشارة الى اختيار الواحدة
والتسري ادنى ان لا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال في الحكم اي جار والمراد ههنا الميل المحظور
المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا
بانتفاء محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهاير فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر
ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم
اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون
التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهاير والجملة مستانفة
جارية مما قبلها مجرى التعليل واتوا النساء اي اللاتي امر بنكاحهن صدقاتهن جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ
بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة
نحلة قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله تعالى في النحلة اي الملة والشرعة
والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها
على انها مفعول له اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابه على
الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير

عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية
لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية
من ضمير اتوا اى اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء او من الصدقات اى منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج و
قيل للاوليا لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك
اى تعظمه **فان طبن لكم عن شئ منه** الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما فى قوله عز
وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روى عن روبة انه حين قيل له فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق
كانه فى الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغى ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق ينبغى ان تقول كانهما قال لكنى اردت
كان ذلك او للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كانه قيل واتوا النساء صداقهن كما فى قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على
ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافى والتجاوز ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ اى كائن من الصداق وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب **نفسا** تمييز والتوحيد لما ان
المقصود بيان الجنس اى ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم
وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة فى الامر انما هو طيب النفس وتجافيها
عن الموهوب بالمرة **فكلوه** اى فخذوا ذلك الشئ الذى طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الامر بالذكر لانه
معظم وجوه التصرفات المالية **هنيئا مريئا** صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنئ الذى
يلذه الاكل والمرئ ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ فى مجراه الذى هو المرئ وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمى بذلك لمروء الطعام
فيه اى انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا او على انهما حال من الضمير المنصوب اى كلوه وهو هنئ
مرئ وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هناء ومراء وهذه عبارة
عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها
ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعنى نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات
من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها
وانما اضيفت اليهم وهى لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الاتى بل تنزيلا لاختصاصها
باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكان اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسى والنسبى مبالغة فى حملهم
على المحافظة عليها كما فى قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بنى نوعهم بانفسهم مبالغة فى زجرهم
عن قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل **التى جعل
الله لكم قياما** اى جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد فى المبالغة حتى
جعل ما به القيام قياما فكانها فى انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس معايشهم
حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التى هى معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج
وهى بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية
المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هى متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها
اصلا وقرئ اللاتى واللواتى وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشئ او مصدر
قاوم وقرئ بفتحها **وارزقوهم فيها واكسوهم** اى واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقاتهم
من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه

واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم **وقولوا لهم قولا معروفا** اى كلاما لينا تطيب به
نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما
سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر **وابتلوا اليتامى**
شروع فى تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهى عنه عند كون اصحابها
سفهاء اى واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف
فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع
واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى تتبين لكم كيفية احوالهم
حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح **فان انستم** اى شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى
احسستم كما فى قول من قال خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس **منهم رشدا** اى اهتداء الى وجوه التصرفات
من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وللاعتداد بمبدئيته له وتنوين
للدلالة على كفاية رشد فى الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمها **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تاخير عن حد
البلوغ وفى ايثار الدفع على الايتاء الوارد فى اول الامر ايذانا بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الاية
الكريمة ان حتى هى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها
جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجواب الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الاية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه
اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زادت
عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه
رشد او لم يونس **ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا** اى مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون
فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع وتقرير لها وتمهيد لما بعدها
من قوله تعالى **ومن كان غنيا فليستعفف** الخ اى من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من اكلها وليقنع بما اتاه
الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله **ومن كان** من الاولياء والاوصياء **فقيرا فليأكل بالمعروف**
بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفى لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصى حقا لقيامه عليها
عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له عليه السلام ان فى حجرى يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق
مالك بماله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ولى اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها
وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب وعن محمد بن كعب كما يتقرم البهيمة وينزل نفسه
منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبى يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى وعن مجاهد
يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ
القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو فى حل وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى انزلت نفسى من مال الله عز وجل
منزلة ولى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف
كانه يطلب زيادة العفة **فاذا دفعتم اليهم اموالهم** بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح للاهتمام به **فاشهدوا عليهم** بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة
وادخل فى الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصى مصدق فى الدفع مع اليمين خلافا لمالك
والشافعى رحمهما الله **وكفى بالله حسيبا** اى محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب**

مما ترك الوالدان والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين
المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك ويجوز تعلقها بنصيب و
للنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال
والنساء الخ للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين
والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من حارب وذب عن الحوزة روي
ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على
سنة الجاهلية فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت
فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزل يوصيكم الله في اولادكم الخ
فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل
او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة الجار اليها بعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على
المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا
من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على
الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا
مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة
وانما قدمت مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاذب اطراف الكلام
اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من
المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف
المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا
ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر
للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن
حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم ويخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا
يتركوا ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين
متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للمومنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا
في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا
عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب
لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى
اذ لا نفع للاول بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض
ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا
او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث ان الذين ياكلون اموال اليتامى استيناف جيء به لتقرير مضمون
ما فصل من الاوامر والنواهي ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين انما ياكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا
اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي برزة انه قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تاجج افواههم نارا فقيل
من هم فقال عليه السلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون

سعيرا اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلي النار قاسى حرها
وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان آكل مال اليتيم
يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت
هذه الاية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الاية
يوصيكم الله شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط
بحال وهم الآباء والاولاد والازواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اي يامركم ويعهد اليكم في اولادكم اي اولاد كل واحد
منكم اي في شان ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين
جملة مستانفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا
قريب مما راه الفراء فانه يجري ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة الاية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن
منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اي للذكر منهم
حظ مثل حظ الانثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر
والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل
للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اي الاولاد
والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء
زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة
اي امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة
على كان التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما و
قال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك
ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد
ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى
وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي
لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدا
الذي هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتاكيدا
له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع
حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا
او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة فان لم يكن
له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه
لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب
على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس بان يقال ولابيه الثلثان ايضا لما ان حظها اهم واستحقاقه بطريق العصوبة دون
الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن
عباس رضي الله عنهما فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن
احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من

غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنهما انه لهم على كل حال خلا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدا محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصبا للورثة من بعد اخراج وصية يوصي بها اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او مفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فاباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدا واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية موكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الاخر كما في قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشا خطاهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الاجل بصورة العاجل لما ان الطبع مجبول على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الاخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا فتحروا في شانهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته وقيل فالجملة الاعتراضية ح موكدة لامر القسمة وانت خبير بانه يشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع ان العلاقة النسبية فريضة من الله نصب نصب مصدر موكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث اخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا

تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور انفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث اخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمراة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امراة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امراة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل وفيه تاكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في اخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقق جريان الحكم المذكور وان كان مع ذكور ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد ولا ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء فبمعزل من السداد اما اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه ولا نصيب شريكه ما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا اولاد الام فقد اعترف ببطلان رايه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والاية الاتية في اخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما نصت عليه باقية

على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا لاقتضى البيان على حكم صورة اجتماع
الورثة منهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع
على ان يورث من ورث كلا من وارث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور
اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا
فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت بحيح غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند
الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا
فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره بتعاله فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى الموت مما لا عهد به من بعد
وصية يوصى بها او دين الكلام فيه كالذي مر في نظايره خلا ان الدين هاهنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة
تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضاده فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما
يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين يوصى به غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف
من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل
لفعل ينبئ عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية
والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او يكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان
يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم وصية
من الله مصدر موكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له موكدة لفخامته الذاتية بالفخامة
الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله
الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت
الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي
الحال او منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شان الاولاد
فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شان الورثة المذكورة هاهنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله
تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث
والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة
كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضادته وجعل
الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك
يودي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا تخصيص به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين
على اطلاقه والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية
الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في شؤون اليتامى والمواريث
وغير ذلك حدود الله اي شرايعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله في جميع الاوامر
والنواهي التي من جملتها ما فصل هاهنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا يدخله جنات نصب على الظرفية عند
الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش تجري من تحتها الانهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين
فيها حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعيه من حسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده
لفظا وذلك اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان
بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه

او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي قال
مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله تعالى و
قال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل
الامر وتربية المهابة ويتعد حدوده شرايعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيه ما نحن فيه دخولا اوليا يدخله
وقرئ بنون العظمة في الموضعين نارا اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدين فيها حال كما سبق ولعل ايثار الافراد
هاهنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب
للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة وله عذاب مهين اي وله مع عذاب
الحريق الجسماني عذاب اخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يوذن به وصفه والجملة حالية واللاتي ياتين الفاحشة
من نسائكم شروع في بيان بعض اخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى
دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال
اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة
بمحذوف وقع حالا من فاعل ياتين اي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اي من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون
من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وقال السدي فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر الموصول والفاء للدلالة
على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المومنين واحرارهم فان شهدوا عليهن بذلك
فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الى ان يستوفي ارواحهن الموت
وفيه تهويل للموت وابراز له في صورة من يتولى قبض الارواح وتوفيها او يتوفاهن ملائكة الموت او يجعل الله لهن
سبيلا اي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف
من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان ياتيانها منكم هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران
منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزاني المحصن مبهما لاختصاص
العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحد الحكمين دلالة لخفاء الشركة في المناط فآذوهما اي بالتوبيخ والتقريع
وقيل بالضرب بالنعال ايضا وظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا
فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء واصلحا اي عملهما
فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز ان يكون
الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض
عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في اوائل الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالجلد
لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل لهن سبيلا الثيب يرجم والبكر يجلد وقيل هذه الاية
سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزنا مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس
غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن
عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم و
قد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور في الزناة والزواني متمسكا بان المذكور
في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب على انه لا امكان له في الاولى
ويأباه الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا ان الله كان توابا مبالغا في قبول التوبة رحيما
واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة على الله استيناف مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله تعالى ليس

على الطلاق كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتداء وقوله تعالى
للذين يعملون السوء خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله
المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدا المستكن فيما تعلق به الخبر على راى من جوز
تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت واياما
كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جرى العادة وسبق الوعد
حتى كانه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي
يقبلها الله تعالى وقيل اى التوبة التي اوجبها الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله صفة
للتوبة بتقدير متعلقه معرفة راى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى انما التوبة الكائنة على الله تعالى بالسوء المعصية
صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن
في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه
النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين
وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا الا يرى الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه
ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اى يعملون السوء ملتبسين
بها اى جاهلين سفهاء او يعملون على ان الباء سببية اى يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل
وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجمع اصحاب الرسول صلى الله عليه
وسلم فراوا ان كل شئ عصى به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطاء وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته
وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اى زمان قريب
وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى حتى اذا حضر الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار
هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان
الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى
ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطا ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن
ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه
باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اى يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت
زمانا قريبا ففي اى جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب فاولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم
بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدا خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم
وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله عليما حكيما مبالغا في
العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال وليست التوبة للذين يعملون
السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم
بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لان المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء
نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اى ليس
قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت وذكر الان لمزيد تعيين الوقت وايثار قال

على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على الموصول
الذي قبله اى ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم راسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة
المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع
الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة
الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما من يعم الفريقين جميعا فالتسمية للتغليب و
يجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى
البعد للايذان بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتداء خبره اعتدنا لهم اى هيأنا لهم
عذابا اليما تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون
العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امرأته او على خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق
بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه
شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثته من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها
فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او
مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكوهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم
وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف والضعف و
كان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن له حاجة حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها و
تختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطف على ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اى ولا ان تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض
ما اتيتموهن اى من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه
بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه
ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به الا ان
يأتين بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من ابان
بمعنى تبين اى بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي
الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنى وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اى ولا يحل لكم
عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت
اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان السبب يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع وعاشروهن
بالمعروف خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت
والنفقة والاجمال في المقال ونحو ذلك فان كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن
ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى ان تكرهوا شيئا و
يجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا
عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير
الخبر اى فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى
الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء

عنه والاعضاد العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه
بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة
وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر موضع المضمر
والجملة حالية تقديره وهو اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية
والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة وان اردتم استبدال زوج اي تزوج امراة ترغبون فيها مكان
زوج ترغبون عنها بان تطلقوها وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار
قد لا معطوفة على الشرط اي وقد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها قنطارا اي مالا كثيرا فلا تاخذوا منه اي من ذلك
القنطار شيئا يسيرا فضلا عن الكثير اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استيناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي
عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتاخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امراة بهت
التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب
الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل وكيف
تاخذونه انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه
مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن
لشيء حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل وقد افضى بعضكم الى بعض حال من فاعل تاخذونه مفيدة
لتاكيد النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية
له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك واخذن منكم ميثاقا غليظا عطف على ما قبله داخل
في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق الله تعالى عليهم في شانهن بقوله تعالى فامساك
بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم شروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في
سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور
المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا فتثبت حرمة
ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من
الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل واللمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى ان وقع شيء من ذلك بحكم ملك
اليمين او بالوجه المحرم ثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وايثار ما على من للذهاب
الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان لما نكح على الوجهين الا ما قد سلف
استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره
قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا
تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا
مؤاخذة عليه لانه مقرر ويأباهما قوله تعالى انه كان فاحشة ومقتا فانه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية
القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم
ان يوسط بينهما ما يهون امره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه وساء سبيلا وفي كلمة ساء قولان احدهما انها
جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح

كقوله تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا
تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره
ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار قيل مراتب القبح ثلث
القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله
تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ
اقصى مراتب القبح حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس
المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء
محليتهن له راسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على
تقدير رقهن فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك لا بعبارته بشهادة سباق
النظم الكريم وسياقه وانما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة سببه الذي
هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس
هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته له كملك النكاح فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات
محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في المواد التي
حرمتها بمحض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما
حل الوطء فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات
تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات تنتظم الاخوات من الجهات الثلث وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها
من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع و
المراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده
فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه و
منه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام
وام ام ابنه وام عمته وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى يخل بعمومه ضرورة حلهن في صورة الرضاع
بل من جهة المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة
جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد وامهات نسائكم شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة
اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا
بهن او لا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان
يدخل بها انه لا باس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس
العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وعن
علي وزيد وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد
ابن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء
فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه
المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر وربائبكم
اللاتي في حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المراة من آخر

سوى به لانه يربيه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى بكونهن في الحجور فان شانهن الغالب
المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة
وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقليب
في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم
لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلما ما ذكر اولا
بخلاف ما في قوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانه لتقييدها به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من
ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من
نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لاستتاره بلا مع ما ذكر ولا ضرورة
الى جعله حالا من ربائبكم او من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات ونسائكم تستدعي كونها بيانية وادعاء
كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة للنسائين مع اختلاف عامليهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل
عن امثاله مع انه سعي في اسكان ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة
ضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن
الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن
اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما
قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج
او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجرين مجراهن من الممسوسات ونظائرهن و
قوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم
الابناء الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في
ملك اليمين واما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه السلام من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى
الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه وطء
الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه الاخرى
لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما وطيا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم
للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية
ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المراة وعمتها ونظائرها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله به ان يوصل
وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على
خالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب
الا ما قد سلف الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه قد جمع بين ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف عليه السلام
ولا يساعده التعليل لما ان ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية
يحرمون ما حرم الله تعالى الا امراة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام ابن عبيد الله عن محمد بن الحسن رضي الله عنهما
انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امراة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد عقب النهي
عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد ويأباه اختلاف التعليلين
والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اي اعففهن عن الوقوع

في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل
على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيره ملقح ومسهب من القح واسهب قيل قد ورد الاحصان
في القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الآية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا
ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة
وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النساء وفائدته تاكيد عمومها لا دفع توهم
شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع
من الجنس اي ملكتموه واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في
الارقاء لا سيما في اناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما
لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء ليس لاخراج
جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات
على الاطلاق لا بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرأيين و
اما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن
واما حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان
حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص
وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا
بالتباين او بالسبي على اختلاف الرأيين فمبني على اعتقاد الناس حيث كانوا غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روي
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي
صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات
من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا
توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة
ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له بوجه من وجوه الدلالات على افادتها بطريق العبارة
او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن
مهاجرات تحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتعرف
حال المتوقع والا فاعداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية
وزوجها مع اتحادهما في الدين فلان ينقطع ما بين المهاجرة وزوجها احق واولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء
كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف و
قع حالا منه وقيل اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب
في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض
الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما
للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت
الخ فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر

لاسيما بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ﴿ماوراء ذلكم﴾ اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اى
احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض
للذات فقط للتذكير بما في كل واحدة منهن من العنوان الذى عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن
لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة
كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اى على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المراة وعمتها
وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اى على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد و لا
يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح
الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة
وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك
بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا به ايضا ﴿ان تبتغوا﴾ متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما
بل باعتبار بيانهما واظهارهما اى بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول
محذوف اى تبتغوا النساء او متروك اى تفعلوا الابتغاء ﴿باموالكم﴾ بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما
وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول ﴿محصنين﴾ حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع في ما يوجب
اللوم والعقاب ﴿غير مسافحين﴾ حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذى
هو صب المنى سمى به لان الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اى محصنين فروجكم غير مسافحين الزوانى وهى في
الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ اما عبارة عن النساء
او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهى اما شرطية بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها وايا ما كان
فهى مبتداء خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها
موصولة قوله تعالى ﴿فاتوهن اجورهن﴾ والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد
الى المبتدا هو الضمير المنصوب في فاتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على
الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاى فرد استمتعتم به او فالفرد الذى استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او
بعضهن فاتوهن اجورهن وقد روعى تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما
على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد الى المبتدا محذوف والمعنى اى فعل
استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فاتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن
﴿فريضة﴾ حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اى فرض
ذلك فريضة اى فرض عليكم ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به﴾ اى لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر والابراء
منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى واتوا النساء صدقاتهن وقوله الا ان
يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما
تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى ﴿من بعد الفريضة﴾ اذ لا تعلق لهما بالفريضة
الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التى هى النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك
لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمراة واستمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم
نسخت لما روى انه صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء
الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه رجع عن القول

بجوازه عند موته وقال اللهم انى اتوب اليك من قولى بالمتعة وقولى في الصرف ﴿ان الله كان عليما﴾ بمصالح العباد
﴿حكيما﴾ فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللايقة بحالكم ﴿ومن لم يستطع منكم﴾ من اما شرطية ما
بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع اى حال كونه منكم وقوله تعالى
﴿طولا﴾ اى غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول ليستطع وقوله عز وجل ﴿ان ينكح المحصنات
المومنات﴾ اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شايع ذايع كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذى مسغبة يتيما
ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اى ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن
فالجار في محل النصب صفة لطولا اى طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول
والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائى
والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة
هو الطول او تمييز اى ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنى اى لا من جهة الطبيعة والمزاج فان
عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحراير بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن
عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا ﴿فمما ملكت ايمانكم﴾ اما جواب الشرط
او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة اى فلينكح امراة او امة
من النوع الذى ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اى فلينكح
امراة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اى فلينكح ما ملكته ايمانكم وقوله تعالى ﴿من فتياتكم
المومنات﴾ في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من
ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اى فلينكح فتياتكم كائنات
بعض ما ملكت ايمانكم والمومنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم انفا ومن فتياتكم
حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما هو راى اهل الحجاز وقد جوزه
ابو حنيفة رحمه الله متمسكا بالعمومات فحمل الشرط والوصف على الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد روى عن ابن عباس
انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى ﴿والله اعلم بايمانكم﴾
جملة معترضة جيء بها لتانيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار
التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز قائلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم في الايمان الذى به ينتظم احوال العباد وعليه
يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحراير وقوله تعالى
﴿بعضكم من بعض﴾ ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك
وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض اخر مؤكد للتانيس من جهة اخرى والخطاب في الموضعين اما لمن كما في
الخطاب الذى عقبه قد روعى فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتانيس و
اما لغيرهم من المسلمين كالخطاب بالسابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا وايا ما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه
الخطاب في قوله تعالى ﴿فانكحوهن﴾ مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن و
تقييده بقوله تعالى ﴿باذن اهلهن﴾ وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اى واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن
باذن مواليهن ولا ترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالى دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له ﴿واتوهن
اجورهن﴾ اى مهورهن ﴿بالمعروف﴾ متعلق باتوهن اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء

والتزحسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء
اليهن لا لكون المهور لهن وقيل اصله اتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال
من مفعول فانكحوهن اي حال كونهن عفايف عن الزنا غير مسافحات حال موكدة اي غير مجاهرات به ولا متخذات
اخدان عطف على مسافحات ولا لتاكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقا
على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان
لا يكون لها اخدان اي غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن
اي بالتزويج وقرى على البنا للفاعل اي احصن فروجهن او ازواجهن فان اتين بفاحشة اي فعلن فاحشة وهي
الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اي الحراير الابكار من العذاب من الحد الذي
هو جلد ماية فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرا
فالفاء في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا
اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم اي لمن خاف وقوعه في الاثم
الذي يودي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد
صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم بارتكاب افحش القبايح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها
فيحد والاول هو اللايق بحال المومن دون الثاني لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اي عن
نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه
من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة
من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحراير ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد
في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة
مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللايقة بالمومنين ولان مهرها لمولاها
فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحراير صلاح البيت والاما
هلاك البيت والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية لحال
المومنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استيناف مسوق لتقرير
ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبيا والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان
يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق
اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد
محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه
وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد يقام مقام
ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون
ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي اخر وامرت
لاعدل بينكم اي ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا
باضمار ان اي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا او قيل يؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتدا
ويجعل ما بعده خبرا كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع به ويعزى هذا الرأي الى بعض البصريين ويهديكم
سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير

والتفريط

والتفريط في مراعاة ما كلفتموه من الشرايع فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم
الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يختلف مراده تعالى
عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطايفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشياء التي من
جملتها ما شرع لكم من الاحكام حكيم مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتداة
مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب
التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى ويريد
الذين يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى الله
ولي الذين امنوا الاية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات
دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب و
بنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام
فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات و
تكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اي بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة
على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص وفي عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة
مستانفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه
وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رحمه الله ان المراد ضعف
الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس
لضعف البنية مدخل في ذلك وانما الذي تعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر
النسا خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النسا فقد اتى
علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرأ ابن عباس
رضي الله عنهما وخلق الانسان على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضي الله عنه ثماني ايات في سورة النسا
هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف
عنكم ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم يا ايها الذين
امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات
المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع
كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربوا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير
طريق شرعي الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اي
الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما الخ
او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اي
وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين ساير اسباب الملك لكونها معظمها
واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروات والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت
الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي رحمه الله حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من كان من
جنسكم من المومنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رحمه الله لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في

الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه
القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما
يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة وايد بما روي عن عمرو بن
العاص انه تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ لا تقتّلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع
في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء
فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه **ان الله كان بكم رحيما** تعليل للنهي بطريق الاستئناف اي
مبالغا في الرحمة والرأفة ولذلك نهاكم عما نهى فان ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وللذين هم في معرض التعرض
لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة
لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة **ومن يفعل ذلك** اشارة الى القتل خاصة او بما قبله
من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهما في الفساد **عدوانا وظلما** اي افراطا في التجاوز عن
الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب و
محلهما النصب على الحالية او على العلية اي متعديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عِدوانا بكسر العين **فسوف
نصليه** جواب الشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلّى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية و
يصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي **نارا** اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب
وكان ذلك اي اصلاؤه النار **على الله يسيرا** لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية
المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما
ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس **نكفر عنكم** بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه
تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم **سيئاتكم** صغائركم ونمحها عنكم قال
المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر
واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته
بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال
اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله تعالى عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين
وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب
منها الى سبع وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها
بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الامران
فمن عنّ له امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب
وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة **كريما** اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة و
قرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا
او دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال
القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها
وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى

لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من
الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى
بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا
لانه لو كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتي من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نصيب
الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن
احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب
بتعليل النهي بقوله تعالى **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** فانه صريح في جريان التمني بين فريقي
الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما
اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه
باكتسابه اياه تأكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب
الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى **واسألوا الله من فضله** عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء
مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى من
خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسألوه ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من
السياق اي واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوا فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن
ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من
فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته
بحمل سبب النزول على ما روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا
من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم
من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمن النساء
خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده سباق النظم الكريم المتعلق بالاموال
وفضائل الرجال **ان الله كان بكل شيء عليما** ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب
استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون**
جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون
البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحوزون
منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه
كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف
اليه اعني غير او ولكل قوم جعلناهم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلناهم موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا
من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه
في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل
من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم
وبعد الانتظار كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون
كما لا يتناول الوالدين **والذين عقدت ايمانكم** هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ

تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابى حنيفة رحمه الله اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه
عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعاقد هو المماسحة بها عند العقد الى الايمان لان العاقد
هو المماسحة والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد و
عاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وما بعده هو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعنى قوله تعالى فآتوهم نصيبهم
بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم
الخ جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالى ان الله كان على كل شئ من الاشياء التى من جملتها الايتاء والمنع شهيدا
ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة فى الميراث
تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم فى الاتصاف بما اسند
اليهم ورسوخهم فيه اى شأنهم القيام عليهن بالامر والنهى قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى فقيل
بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير
البارز لكلا الفريقين تغليبا اى قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او متلبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع
البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل ذلك
لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التى هى كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأى ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات
ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو
ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها من الصلة
ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اى وبسبب انفاقهم من اموالهم
او بسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع احد نقباء
الانصار رضى الله عنه نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله
خير فالصالحات شروع فى تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اى فالصالحات منهن
قانتات اى مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اى لمواجب الغيب اى لما يجب عليهن
حفظه فى حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك و
ان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار
بان ماله فى حق التصرف فى حكم مالها كما فى قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية بما حفظ الله ما مصدرية اى
بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اى بالذى حفظ الله لهن عليهم
من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اى بالامر الذى حفظ
حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتى تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم
الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل فى القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما
اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب
واهجروهن بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة فى المضاجع اى فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن
فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتات اى لا تبايتوهن وقرئ فى المضجع وفى المضطجع واضربوهن ان لم ينجع ما
فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا
عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب

له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم
ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم
التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذى يتوقع منهن ويليق بشأنهن
لا سيما بعد ما كان من الزواجر هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها
وان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعنى عدم
الاطاعة المؤدى الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان كلا منهما
فى شق اى جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضى الله عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافى بعث
الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجرى ما
يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما فى قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما فى
قولك نهارك صائم اى ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اى الى الزوجين لاصلاح
ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اهل الزوج وحكما آخر على صفة الاول
من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من
الاجانب جاز واختلف فى انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رأيا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروى عن على رضى الله عنه و
به قال الشعبى وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه ان يريدا اى الحكمان
اصلاحا اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق الله
بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة ويلقى فى نفوسهما المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح
لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يفرض صدوره عنهما وان الذى يليق بشأنهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة
الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين فى الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما
فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين
للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اى ان ارادا اصلاح
ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه
ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق
الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التى هى آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها
فى سلكها كما فى سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اى لا تشركوا به شيئا من الاشياء [illegible] او على انه مصدر اى
لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اى احسنوا بهما احسانا وبذى القربى اى بصاحب
القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذى القربى اى الذى قرب
جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذى القربى
والجار الجنب اى البعيد او الذى لا قرابة له [illegible] الله عليه وسلم الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق
القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد هو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب
وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اى الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل
بجانبك ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه وقيل هى المرأة وابن
السبيل هو المسافر المنقطع به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اى

متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرى بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان او
نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتداء خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء
بكل ملامة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اى من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم التى بينها لهم فى التورية
وهو انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويامرون اعقابهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمة تعالى فله عذاب يهينه
كما اهان النعمة بالبخل والاخفا والاية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم
فانا نخشى عليكم من الفقر وقيل فى الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلى مقرر
لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رياء الناس اى للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تع
وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما شاركوهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق
فيما لا ينبغى من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستتباع الامة والذم ويجوز ان يكون العطف
بناء على اجراء التغاير الوصفى مجرى التغاير الذاتى كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم او
مبتداء خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون اموالهم رياء الناس ولا يومنون بالله
ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركوا مكة المنفقون اموالهم فى عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اى فقرينهم الشيطان وانما حذف
للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم
كما فى قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم فى النار
وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اى على من ذكر من الطوايف ابتغاء لوجه الله
وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الاخر فانه يقتضى ان يكون الانفاق
لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذى عليهم او واى تبعة ووبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق
فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب
الجواب لعله يودى بهم الى العلم بما فيه من الفوايد الجليلة والعوايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه
ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان بهما لاهميته فى نفسه ولعدم الاعتداد
بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رياء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون الموخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين
انفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد
لهم بالعقاب او باعمالهم المفروضه فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا قد امنوا وانفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى
ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول قائم مقامه
سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشئ فى غير موضعه اى لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب شيا مقدار
ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه اى لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء
فى الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلته فى الثقل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه ادخل يده فى
التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هولاء ذرة وان تك حسنة اى وان تك مثقال ذرة حسنة انث الضمير لتانيث
الخبر او لاضافته الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرى حسنة
بالرفع على ان كان تامة يضاعفها اى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال

بينهما كانهما واحد وقرى يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرى نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدى
انه قال لابى هريرة رضى الله عنهما بلغنى عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطى
عبده المومن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه الفى الفى حسنة ثم
تلا هذه الاية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويوت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زايدا على ما
وعده فى مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف محلها اما
الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو راى سيبويه او على التشبيه
بالظرف كما هو مذهب الاخفش اى فكيف حال هولاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون اذا
جئنا يوم القيمة من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقايد وقبايح
الاعمال وهو نبيهم كما فى قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل فى الظرف مضمون المبتداء والخبر من
هول الامر وعظم الشان او الفعل المقدر وبمن متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد على هولاء اشارة الى
الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقايدهم لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم وقيل
الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد ساير الانبياء على اممهم وقيل الى المومنين كما فى
قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول استيناف
لبيان حالهم التى اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير
عنهم بالموصول لا سيما بعد الاشارة اليهم بهولاء لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والا
الهايل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يومن به ويطاع لا ان
يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم للنبى
صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا وايا ما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا
عطف على كفروا داخل معه فى الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع
فى حق المواخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول اخر اى يود فى ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان
الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو فى قوله تعالى لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة
مفعول ليود اى يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانهم والارض
سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على ما بها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اى يودون
تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره اى لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا
عطف على يود اى ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان يدفنوا فى الارض وهم
لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم
فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرى تسوى على ان اصله تتسوى فادغم
التاء فى السين وقرى تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الاشراك به تعالى نهوا ههنا عما يودى اليه من حيث لا يحتسبون فانه روى
ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا حين كان الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فاكلوا وشربوا
حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فقدم احدهم ليصلى بهم فقرا اعبد ما تعبدون مرات وتصدير الكلام بحرف النداء
والتنبيه للمبالغة فى حملهم على العمل بموجب النهى الى قربان الصلوة مع ان المراد هو النهى عن اقامتها للمبالغة فى ذلك وقيل
المراد النهى عن قربان المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وياباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون

فالمعنى لا تقيموها في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم ما سيقرؤنه في الصلوة وحمل ما
تقولون على ما في الصلوة تستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما
ستقرؤنه في الصلوة تطويل بلا طائل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان ايثار ما تقولونه يكون عاريا عن
الداعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وايا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله
بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين امنوا لا تسكروا
في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعد ما نزلت الاية لا يشربون الخمر في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها
فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون «ولا جنبا» عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب
كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمونث والواحد والجمع لجريانه
مجرى المصدر «الا عابري سبيل» استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار
تقيده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه معنى النهي اي لا تقربوا الصلوة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم
مسافرين على معنى انه في حالة السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة
من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المنفي ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا
كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة ثم يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى
بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك الامر في ذلك انما هو الدليل وقد ورد عقيبه
على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي الا جنبا غير عابري سبيل ومن حمل الصلوة على مواضعها
فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء
او الطريق فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص
لهم ذلك «حتى تغتسلوا» غاية للنهي عن قربان الصلوة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر
بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقرره في الاذهان وفي
الاية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادنى مراتب
التزكية عند امكان اعاليها «وان كنتم مرضى» شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من
الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المبني
عن الضرورة التي عليها يدور امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا مضطرين واليه يرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل
كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر
استعماله «او على سفر» عطف على مرضى اي او كنتم على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق
الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن
الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال
الماء ونحوه «او جاء احد منكم من الغائط» هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده
يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس واسناد المجيء منه الى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح
بنسبتهم الى ما يستحيي منه او يستهجن التصريح به وكذلك ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله تعالى «او لامستم
النساء» على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها
ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى «فلم تجدوا ماء» بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا
له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل او لم تكونوا مرضى او مسافرين

علوما تقرؤونه

بل كنتم فاقدين الماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في
صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعه فيها واستغنائهما عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم منه حكمها حكم
الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك او كنتم مرضى
الخ واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن
ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكني عنه بالمجيء من الغائط والملامسة معتبر في
الكل مما لا يساعده النظم الكريم «فتيمموا صعيدا طيبا» فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه
الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله
وعند الشافعي لا بد من ان تعلق باليد شيء من التراب «فامسحوا بوجوهكم وايديكم» اي الى المرفقين لما روي انه صلى الله
عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره «ان الله كان عفوا غفورا» تعليل للترخيص
والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخطائين ويغفر للمذنبين ولا بد من ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل
هو كناية عنهما فان الترفيه والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران «الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب»
كلام مستانف مسوق لتعجيب المومنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتاتى منه الرؤية من المومنين
وتوجيهه اليه ههنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى
حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز
كونها قلبية على ان الى لتضمنها معنى الانتهاء كما في قوله يأباه مقام تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد
بهم احبار اليهود روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد
الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه رضي الله عنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التورية وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما اوليا
تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية
الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم
حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة
على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة
اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيبا كائنا من الكتاب
وقوله تعالى «يشترون الضلالة» قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور
في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم الخ وانت خبير بانه حال عن افادة ان مادة
التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم انه استيناف مبين لمناط التشنيع
ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سوال نشا منه كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر
اليهم فقيل ياخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور
والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما
اي اخذها بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها
كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم
ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم
من قبل حتى يتعلق بمعنى الاشتراء المبني عن تاخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا بشان

النبي صلى الله عليه وسلم وستروا حقية دينه وانه هو النبي صلى الله عليه وسلم العربي المبشر به في التورية ولا ريب في ان هذه المزية
لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوائل سورة البقره ويريدون عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع و
التعجب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد
نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم ان تضلوا انتم ايضا
ايها المومنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق والله اعلم اي منكم باعدائكم جميعا ومن جملتهم هولاء وقد
اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير
ارادتهم المذكورة وكفى بالله وليا في جميع اموركم ومصالحكم وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا
بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد
والباء مزيدة في فاعل كفى لتاكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في
مقام الاضمار لا سيما في الثاني لتقوية استقلالهما المناسب للاعراض وتاكيد كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة
والاشعار بعليتهما فان الالوهية من موجباتهما لا محالة من الذين هادوا قيل هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض
وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق و
انتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله
تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء
لان ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدا محذوف وقع قوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه
صفة له اي من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق
لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشان التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتاب
فقد توسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجب والمسارعة الى تنفير المومنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم
والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم
المذكور وتفصيل لفنون ضلالهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما
لزيادة تقرير حصلت به الحال والكلم اسم جنس واحده الكلمة ككلم وتمره وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعية مواضعه
باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا اما
ما في التوراة خاصة واما ما هو اعم منه ومما يحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان يجعل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا
الخ على ما قبله عطفا تفسيريا لما ستقف على سره فان اريد به الاول كما هو راى الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي
وضعه الله تعالى فيها من التورية كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بان
وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزله الله تعالى فيه الى ما لا صحة له
بالتاويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد من ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا
سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التورية او بتعيين العقل والدين كمواضع غيره واياما كان فقولهم
سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وان يحمل على
ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف
التوراة فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية والاقتصار على حمله على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم من القبائح خاصة ليستدعي اختصاص حكم الشرطية الاتية وما بعدها بهن من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع انه معظم

جناياتهم

جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك الموعود فتامل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان
بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا للمخالفة وقوله تعالى و
اسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبته صلى الله عليه
وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت او بدعاء
عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه ثم يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير
مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له عليه السلام ارادة المعنى الاخير
وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم
له صلى الله عليه وسلم هذا ايضا يوردون كلا من العظائم الثلث في مواقعها وهو ايضا كلمة ذات جهتين محتملة للخير
بحملها على معنى ارقبنا وانظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها
من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبونه عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة
والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان
في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل
كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يومنوا به جعلوا كانهم نطقوا به ليا
بالسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا
راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب و
التحقير وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين
الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين
في الدين ولو انهم عندما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه قالوا بلسان المقال او بلسان الحال مكان
قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا
مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام
ان عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع القبول مقامه واسمع اي لو
قالوه عند مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي ولو قالوا ذلك بدل
قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان
قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا واقوم اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل
الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حاله بالنسبة
اليهم على حاله في نفسه لان همهم مقصورة على ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا
على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يومنون بعد ذلك الا قليلا
قيل اي الا ايمانا قليلا لا يعبا به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل والا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم
يومنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد
جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان
المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل يأباه ما يعقبه من الامر
بالايمان بالقرآن الناطق بهذا لافضائه الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر اما على الوجه
الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم

بعض الكتب والرسل وبعد ما ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى
منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لامضاء وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القراء الى الاتفاق
على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب
الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي يا ايها الذين اوتوا
الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء
الكتاب اي التورية واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة
وازالتها او توهم بمقابلتها بالتحريف وليس ما اريد بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه
واما ههنا فالمقصود تاكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق
موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر
بالتورية بنفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القران مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة
ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما اليهم والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر وايا ما كان فتفصيل ما فصل
لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهدى
مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا من القران عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة
وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل مصدقا لما معكم من التورية عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة
الحال فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرر المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي
الى العلم بكون القران مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد
والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات
الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق
بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم
نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي من قبل ان نطمس
وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد
على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق
غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها
لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي آمنوا من قبل ان نمحو
تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها
كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها
واقفائها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها
وقد اكتفي بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير
احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاؤا منه وهي اذرعات
الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من
الوجوه وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي
ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم
وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفائي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ويده

على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب
اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان
انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة
في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوها وفي التورية فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة
بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد مئات من السنين من اعقابهم الضالين باضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانين الغواية
بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم المذكوران واضرابهما
فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتاكد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق
وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع
احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني
كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت خبير بان المتبادر من اللعن المشبه
بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة
ان تغيير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم ليكون زاجرا
عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما تداولته الالسنة من اللعن المستمر
الذي الفوه وهو بمعزل من صلاحية ان يكون حكما لهذا الوعيد او مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر
في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام
وكعب رضي الله عنهما فمبني على الاحتياط اللائق بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر
منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل في الزجر وعليه مبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يقع علم ان المراد
هو الثاني والله تعالى اعلم وايا ما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها
وبين ما اوجبها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير وكان امر الله اي ما امر به كائنا
ما كان او امره بايقاع شيء ما من الاشياء مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا
فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل
الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله
من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون
من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى
اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع
قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل
هو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا
لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة
التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما
يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر
ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب
القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها
لكن لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتهما لمن اتصف

بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة باهل
الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب
والثاني عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن
ساير المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على
مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان ومن
يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد
افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا
الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود
الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
هل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل
كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم
ومن ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله
بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان
اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستاهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي
عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل
او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر
اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي
في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده
مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف
المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه تعالى
الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بهما
وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف
بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم
قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من
نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وساير معاصيه وجه
النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتاكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح
حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم
وساير آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار
اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء
فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب
لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت استيناف مبين لمادة
التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام
وكل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة

والطاغوت الشيطان وقيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم و
ينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا
نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا
للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم
فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم
قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا و
ذلك قوله تعالى ويقولون للذين كفروا اي لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين
آمنوا سبيلا اي اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى
تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه
من معنى البعد مع قربهم في الذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين
لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم
ومن يلعن الله اي يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة
ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد يتاتى
له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسندا الى
المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك شروع في
تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم
وغيرها مما حكي عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة لانكار ان
يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذن لا يؤتون الناس نقيرا
بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك
لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط
محذوف اي ان جعل لهم نصيب منه فاذن لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به
المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم ملوك فما
ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ عليه اي
لعده منكرا غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى الهم
نصيب وافر من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع
ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه الك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذن تاكيد الانكار و
التوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه قيل فلا يؤتون
الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة ايضا مفيدة للانتقال
عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام
في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس ايذانا بحيازتهم
للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير يلائمه ذكر حديث آل ابراهيم فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين
من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون

ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم الموعود منهم فلما خص الله تعالى تلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل يحسدونهم
على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب في ازدياد العز والنصر يوماً فيوماً وقوله تعالى فقد آتينا تعليل
للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم
استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابراً عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء
بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل
هذا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اي النبوة وآتيناهم
مع ذلك ملكاً عظيماً لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما
يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد بالايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياؤهم
عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يوت
كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما يعمه
وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم
كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من انواره وفي
تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تاكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا
هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم
من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام
اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من
حديث آل ابراهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولاً كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم
عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله وكذا
جعلهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده
الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد
آتينا الآية تعليلاً له بدلالة على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه قيل بل يحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتينا فمنهم اي من جنسهم
من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وكفى بجهنم سعيراً ناراً مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين
كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضاً وان اريد
بهم الجنس المتناول لهم تناولاً اولياً فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم الصلوة
والسلام سوف نصليهم ناراً قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في
الوعد فيفيدان التاكيد اي ندخلهم ناراً عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل
فيه بدلناهم جلوداً غيرها من قبيل بدله بخوفه امناً لا من قبيل بدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد
محترق عند احتراقه جلداً جديداً مغايراً للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب
والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لناراً على حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم
فمعنى قوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلداً آخر والعذاب
للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلوداً بيضاء كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية

التاسع عشر

قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقاري اعدها فاعاده وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها
يبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم
النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب
بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله
نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة تأثيره من حيث ان القوة الذائقة
اشد الحواس تأثراً او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه
بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق
ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق ان الله كان عزيزاً
لا يمتنع عليه ما يريد ولا يمانعه احد حكيماً يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل
واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات
كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلاً لمساءة
الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضياتها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء رداً على الاسم الجليل وفي السين تاكيد للوعد خالدين فيها ابداً
حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا لهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال
المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او
على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلاً ظليلاً اي فيناناً لا جوب
فيه دائماً لا تنسخه الشمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل
للتاكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سندخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات
بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله
يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار
من الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين
قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية او
اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت
انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم
وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر علياً ان يرده الى عثمان
ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآناً وقرأ
عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابداً وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة
باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المامور به هاهنا مختصاً بوقت المرافعة قيد

قوله او

بخلاف المامور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل
بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما
قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل
والانصاف ان الله نعما يعظكم به ما اما منصوبة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم
الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات
وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الامتثال
بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا باقوالكم بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار
الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تاكيد الكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعدما امر الولاة بطريق العموم
او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة
الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء
الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف
على الله تعالى والرسول عليه السلام في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه ويأباه قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس للمقلد
ان ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتبها
على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي
بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله و
الرسول اي الى سنته وقد استدل به منكروا القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه
الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده الامر به بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب
الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فردوه الخ فان
الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الاخر فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك
اي الرد المامور به خير لكم واصلح واحسن في نفسه تأويلا اي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على احسنيته
في نفسه لما ان من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من
غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعجيبه من حال الذين
يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله
اعني التوراة لتاكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ
الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف سيق لبيان محل التعجيب
مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي
قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى

اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله
فنزلت فهبط جبريل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق
فالطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه
بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان
وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه
وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل من بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم
وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار في معرض التعجيب والاستقباح
على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت
الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه كما يقتضي كونهم من منافقي
اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتوراة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف
بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا به كونهم مامورين بكفره في الكتاب
وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم لان من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ
ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة
لتاكيد التعجيب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وعلا ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجيب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم
اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فانبته الله نباتا حسنا
اي اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا وايا ما كان فوصفه بالبعد
الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجيب
ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت
وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت به اصلها باليه كعافية وكما قالوا في آية
ان اصلها آيية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمراة تعالي
بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الهمداني ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي رأيت
المنافقين اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية
بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول
هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي اعراض
وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر المتعدي يقال صد عنه
اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي منعه منه وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية
ووخامة عاقبتها اي كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور
نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك
ثم جاؤك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب
واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤك ان اردنا
الا احسانا وتوفيقا اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة
لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم

يخاطب حمامة تغرد فوق الاغصان
وهو مسجون وقبله
ايضحك ماسور وتبكي طليقة
ويسكت محزون ويندب سالي

الذم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا اي ما اراد
صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة
الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدا خبره الذين يعلم
الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور والفسادات المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب فاعرض عنهم
جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في
استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم اي
ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي
يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر انجع قولا بليغا مؤثرا
واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا
على راي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم
يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال والايذان بان
ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانما
هذه المكافة والتاخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا باشخاصهم
من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
كلام مبتدا جيء به تمهيدا لبيان خطائهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعذار الاباطيل وعدم تلافيها
بالتوبة اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل
اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله او بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها
لعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاءوك من غير تاخير كما يفصح عنه تقديم الظرف
متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعذار
الباطلة والايمان الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا
لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول لوجدوا الله توابا رحيما
لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا
ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه وايا ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار
ومزيد تنديم لاولئك المنافقين على ما صنعوا لما ان ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم
لاثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها فلا وربك اي فوربك ولا
مزيدة لتاكيد معنى القسم لا لتاكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى لا يؤمنون لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في
قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظايره حتى يحكموك اي يتحاكموا اليك ويرافعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم
مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان
قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق فيما شجر بينهم اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر
لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
ضيقا مما قضيت اي مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا من اجله اذ الشاك في ضيق من امره ويسلموا

اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر
الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اي ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه
بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل
الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي
فيه سعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على
المقداد فقال لمن القضاء فقال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء
يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة
منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما
والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن
ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال
الرواسي فنزل في شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل
ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية
او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا ما فعلوه اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين الا قليل
منهم اي الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا
والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على
الاستثناء والا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عليه السلام وطاعته والانقياد
لما يراه ويحكم به ظاهرا او باطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اي فعلهم
ذلك خيرا لهم عاجلا واجلا واشد تثبيتا لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب
اعمالهم واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل
واذا لو ثبتوا لاتيناهم فان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح
لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول
كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم
وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب
الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي
فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى
البعد مع قرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره مع الذين انعم
الله عليهم والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين
بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم
لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته
على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي و
ولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت
الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في
وجهه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت
اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع
مع النبيين وان دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يومن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين
وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى اجمعين وروي ان انسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما
ولما يلحق بهم قال عليه السلام المرء مع من احب والصديقين اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق
والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق
والشهداء الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين الصارفين اعمارهم في طاعته
واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث
يتمكن كل واحد منهم من روية الاخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة وحسن اولئك رفيقا الرفيق
الصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين و
من بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة
كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد
والمتعدد او لان المراد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن
الرفق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما
قبله موكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ
وحسن بسكون السين ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هولاء المنعم عليهم
او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى
الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره و
من الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا ان اعمال
المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا
حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من
انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر الته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح
والحزم اي استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد وعند خروجكم ثبات
جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض منها تاء التانيث
وهل هي واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثاب يثوب كحلا يحلو اي اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت
عليه كانك جمعت محاسنه وتجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات
متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان
منكم لمن ليبطئن اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطا بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله

عليه وسلم كلهم المومنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيرهم وثبطنه
من بطا منقولا من بطوء كثقل من ثقل كما بطا ابن ابي ناسا يوم احد واللام الاولى للابتداء دخلت
على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والبعد
وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه
قد انعم الله علي اي بالقعود اذ لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية
لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية لشي منتظر
المبطئ وقوعه ولئن اصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اي فضل كائن من الله تعالى
ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه و
تعالى واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر ليقولن
ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى
معنى من وقوله تعالى كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو يا ليتني كنت
معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يفهم من مطلع كلامه ان تمنيه لمعية المومنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما
يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به اخره وليس اثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل
بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن اي مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول
اي ليقولن المثبط لمن ثبطه من المنافقين وضعفة المومنين كان لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة
حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه صلى الله عليه و
سلم وتاكيدها وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف
اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمني فليقاتل في سبيل الله
قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي يبيعونها بها وهم المومنون فالفاء
جواب شرط مقدر اي ان بطا هولاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين
يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق
وليعقبوه بالقتال في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه بنون العظمة التفاتا اجرا
عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين
ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر روى ابو هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيله وتصديق
كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم خطاب للمومنين
بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتاكيدا لوجوبه وهو مبتدا وخبر وقوله عز وجل لا
تقاتلون في سبيل الله حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي اي شي لكم
غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك المقاتلة والمستضعفين عطف على اسم الله اي في سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه
على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المومنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها من
الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او لضعفهم

عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب المرحمة وتنبيها على تناهي ظلم
المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام ابائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الاتي واقتراب زمان
الخلاص ببيان شركتهم في التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء
اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا الذين ❊ محله الجر
على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها ❊ بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم
الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك
وليا ❊ كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما و
ابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق
السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى
ابراز كون المسئول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت
عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله واجعل لنا من لدنك نصيرا ❊ قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ول علينا
واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله عز
وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه
صلى الله عليه وسلم فتولاهم اي تول ونصرهم اي نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى
صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه
للمبالغة في التضرع والابتهال الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله ❊ كلام مبتدا سيق لترغيب المؤمنين في
القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون
في دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت ❊ اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا اولياء
الشيطان ❊ لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة قتالهم في سبيل
الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين في القتال
وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كانه
قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان
ضعيفا ❊ اي في حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها
قالوا فائدة ادخال كان في امثال هذه المواقع التاكيد ببيان انه كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان
كان موصوفا بالضعف الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم ❊ تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم
عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي
فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون
الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله تعالى عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون
ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ❊ فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم

للايذان بان يكون ذلك بامر الله سبحانه ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال
وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية
فلا يتعلق ببيان خصوصية الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين
ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى
فلما كتب عليهم القتال ❊ الخ وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ هو المحقق للتباين بين
مدلولي المعطوفين وعليه يدور امر التعجيب كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه
بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس ❊ جواب لما على ان فريق مبتدا ومنهم متعلق بمحذوف
وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجاة لبيان مسارعتهم الى الخشية اثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد
اي فاجا فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم
للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احدهم ما ينافي حالتهم الاولى وقوله تعالى كخشية الله ❊ مصدر مضاف
الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم مشبهين لاهل خشية الله تعالى وقوله تعالى
او اشد خشية ❊ عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه مصدر موكد على جعل الخشية
ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله واما
كان فكلمة او اما للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام على السامع
وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يبصرهم يقول انهم مائة الف او يزيدون
وقالوا ❊ عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجا فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم
كتبت علينا القتال ❊ في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمني التخفيف
لولا اخرتنا الى اجل قريب ❊ استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت اخر حذرا عن الموت وقد جوز
ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا قل ❊ اي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من
المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي متاع الدنيا ❊ اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل
سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل والاخرة ❊ اي ثوابها الذي من جملته الثواب
المنوط بالقتال خير ❊ اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل
لمن اتقى ❊ حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال بمواجب التكليف ولا تظلمون فتيلا ❊ عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مساعيكم في شان القتال
فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة
للضمير الى الظاهر من ايما تكونوا يدرككم الموت ❊ كلام مبتدا مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب و
صرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الاخرة
بواسطته عليه السلام فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المامور به اي اينما تكونوا في
الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم
انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف
الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار وقوع ايما كنتم في موقع ايما تكونوا او على انه كلام
مبتدا واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك

الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة او قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء
يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة
ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله
عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة
ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق
عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية ولو الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه
في تفسير قوله تعالى او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند
الله كلام مبتدا جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على اسناد ما يكرهونه الى بعض
الامور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف
النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من
عندك اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك
كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر النبي صلى الله عليه وسلم بان يرد
زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترئون على
معارضة امر الله عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله اي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا
وايجادا من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى
بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سيأتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى
ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة
التي هي ذنوبهم عند الله لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به قوله تعالى فما لهؤلاء القوم الخ كلام معترض
بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار
اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استئناف مبني على سؤال
نشا من الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسال عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا
من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه وما هو اوضح
منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق التفضل و
الاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم
الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا جنايات انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة
الخ بيان للجواب المجمل المامور به واجراؤه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ثم سوق البيان من جهته عز وجل
بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم
الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه
الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في
التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الاخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله
اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله المرء من الطاعات

التي يفرض كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة الحياة المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى
فضلا عن استيجابها النعمة الاخرى ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة
لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفوا عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع
شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان
حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار
بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس
رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه
عليه السلام بناء على جهلهم بشانه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص
الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما
بالفعل فرسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا
ارسلتهم برسول اي بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها
هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من
يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك
لان الامر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو عليه السلام مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها
هو الله سبحانه روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا
تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام
طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب
الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا يأباه تخصيص الخطاب
به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل
له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم
عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى
من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم
بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشاننا طاعة او منا طاعة والاصل
النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من مجلسك بيت
طائفة منهم اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي زورت طائفة منهم وسوت
خلاف ما قلت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على
وجه النفاق او خلاف ما قالت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت
بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بادغام
التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات والباقون اتباع لهم في ذلك
لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم

فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او تثبيته في صحائفهم فيجازيهم عليه واياما كان فالجملة
اعتراضية **فاعرض عنهم** اى لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما
قبلها لما بعدها **وتوكل على الله** في كل ما تأتي وما تذر لا سيما في شانهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار
بعلة الحكم **وكفى بالله وكيلا** فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال
الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه **افلا يتدبرون القرآن** انكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم
عن التأمل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء تأمله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه
ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر اى ايعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من
عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على
ما هو عليه **ولو كان** اى القرآن **من عند غير الله** كما يزعمون **لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** بان يكون بعض
اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان كلها
مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره
المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء
المنافقين كانوا يتواطؤن في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه السلام
على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه
الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف
على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بان يكون بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى
فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده
السباق ولا السياق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام
ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل **واذا جاءهم
امر من الامن او الخوف اذاعوا به** يقال اذاع السر واذاع به اى اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به
الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على
عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من
ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر
او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل
وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم
الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل **ولو ردوه** اى ذلك الامر الذي جاءهم **الى الرسول** اى عرضوه
على رأيه عليه السلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات
الرد والمراجعة الى رأيه صلى الله عليه وسلم **والى اولي الامر منهم** وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله
عنهم **لعلمه** اى لعلم الرادون معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل **الذين يستنبطونه
منهم** للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اى لعلمه اولئك
الرادون الذين يستنبطونه اى يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اى من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
واولي الامر من صحابته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ولما فعلوا في حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه
وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكا يدها

فكلمة من في منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة
او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي
الامر لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اى يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب
ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض
الاعداء فيذيعونه فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا
لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه
المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو
ردوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع
لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اى يتلقونه
ويستخرجون علمه من جهتهم فسياق النظم الكريم ح لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرها اثر بيان جناية المنافقين و
مكرهم والخطاب في قوله تعالى **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اى
لولا فضله عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم
واولي الامر **لاتبعتم الشيطان** وعملتم باراء المنافقين فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب
الا قليلا وهم اولو الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل
ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة
الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن
ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل
المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء اى ولولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان
وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولو البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين
على حقية الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا
اتباعا قليلا **فقاتل في سبيل الله** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات
وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اى اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم
وتقصير الآخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل **لا تكلف
الا نفسك** اى الا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات
مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال
من فاعل قاتل اى فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الامر وقرئ
بنون العظمة اى لا نكلف الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك **وحرض المؤمنين** عطف على
الامر السابق داخل في حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين
والتحريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا
يعتد به اى رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى **عسى الله ان يكف
بأس الذين كفروا** عدة منه سبحانه محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروههم فان ما صدر بلعل
وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد
ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه

بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا واوفوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب
فرجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت
معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله اشد باسا اي من قريش واشد
تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة يكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار
الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتاكيد التشديد وقوله تعالى من
يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اي من ثوابها جملة مستانفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما
امر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة من المنافع
الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا و
الحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض
الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية
واي مضرة اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى
وعليه مساق آية التحية الآتية روي انه عليه السلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك
ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف
الحسنة يكن له كفل منها اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء وكان الله على
كل شيء مقيتا اي مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي
البدن ويحفظ والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شايع من افراد
الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية
حق الشفيع وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من المسلمين شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر
حيى اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحيي بثلث يا آت فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التانيث
وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت
في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام
قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا
في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحيوة
وليس في الدعاء بطول الحيوة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته
اي اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين فحيوا باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة
الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب
التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها او ردوها اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك
ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال عليه السلام وعليك فقال الرجل نقصتني
فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم
واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت
عليه الملائكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة

ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم
الرجل على امرأته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على
راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رضي الله عنه لا يجهر بالرد يعني
الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كان يقول
بعضهم السام عليكم وروي لا تبدأ اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر
وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند كونه كافرا ان
الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها
حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتداء وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف
اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستانفة لا محل لها
من الاعراب او خبر ثان للمبتدا او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيمة
او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا انكار لان يكون
احد اصدق منه تعالى في وعده وساير اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون
غيره فما لكم مبتداء وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه
الى بعضهم وقوله تعالى في المنافقين متعلق اما بما تعلق به الخبر اي اي شيء كاين لكم فيهم اي في امرهم وشانهم
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم
تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنتين في المنافقين لانه في الاصل صفة
فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شان صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون وانتصاب
فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لهم عن
التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان
يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم
مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم
من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما
خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا
من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا
اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا ويابا ما سياتي من جعل الهجرة غاية للنهي عن توليتهم
وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سياتي
من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة
والقتل ولم ينقل في امرهم اختلاف للمسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيد لتاكيد الانكار السابق
واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اي
اي شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم
في الكفر كما كانوا بما كسبوا بسبب ما كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى
الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم

للنار واصل الركس رد الشي مقلوبا وقرى ركسهم مشددا وركسهم ايضا مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يودى الى محاولة المحال الذى هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعى فى هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتاكيد استحالة الهداية بما ذكر فى حيز الصلة وتوجيه الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الخ للمبالغة فى انكارها ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما ياباه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس فى قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو او اعتراض تذييلى مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية ويجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستانف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم فى الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم فى انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهى مع ما بعدها نصب على المفعولية اى ودوا ان تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نصب على انه نعت لمصدر محذوف اى كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو راى سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على تكفرون داخل فى حكمه اى ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين فى الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهى ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اى اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم حتى يهاجروا فى سبيل الله اى حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اى عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم عليهم واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم ساير المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة او جاؤكم عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والاخر من اتى المومنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سياتى من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه صريح فى ان كفهم عن القتال احد سببى استحقاقهم لنفى التعرض لهم وقرى جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قرى حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وحصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤا اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم

وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الخ ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتداة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم فى سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الاولى اى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرى فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشية الله عز وجل والقوا اليكم السلم اى الانقياد والاستسلام وقرى بسكون اللام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية فى استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليامنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اى دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير فان لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اى لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اى لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى تمكنتم منهم واولئكم الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة فى الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى اخذهم وقتلهم وما كان لمومن اى وما صح له ولا لاق بحاله ان يقتل مومنا بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطا فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اى ما كان له ان يقتل مومنا فى حال من الاحوال الا فى حال الخطا او على انه مفعول له اى ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطاء او على انه صفة للمصدر اى الا قتلا خطا وقيل الا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمومن ان يقتل مومنا عمدا ولا خطا وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطاء فجزاؤه ما يذكر والخطا ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه وقرى خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روى ان عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابى انيسة فاتياه وهو فى اطم ففتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن انت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مومنا خطا فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة اى اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالراس مومنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى

اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كساير المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها الا ان يصدقوا اي يتصدقوا اهله عليه سمي
العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا
وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي يجب الدية او يسلمها الى اهله الى وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب
على الظرفية او الاحال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل فان كان اي المقتول من قوم
عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او
بان اتاهم بعدما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اي فعلى قاتله الكفارة دون الدية
اذ لا وراثة بينه وبين اهله لانهم محاربون وان كان اي المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم
ميثاق اي عهد موقت او مؤبد فدية اي فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا
ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تاخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض
الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم ساير المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله
تعالى ومن قتل مؤمنا خطا الخ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين
وقيل المراد بالمقتول الذمي والمعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت
عدم لزومهما فمن لم يجد اي رقبة ليحررها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها من الثمن فصيام
اي فعليه صيام شهرين متتابعين لم يتخلل بين يومين من ايامهما افطار توبة نصب على انه مفعول
له اي شرع لكم ذلك توبة اي قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف اي
تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا
توبة وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اي كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع
الاشيا التي من جملتها حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرايع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شانه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطا وفصل اقسامه الثلثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا
خلا ان حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروي روي ان مقيس بن ضبابة
الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار
يامرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى
ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة
حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون سبة عليك اقتل
الذي معك فيكون نفسا بنفس وفضل الدية معقل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل و
استاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار اصحاب فارع و
ادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي
عن الكسائي بسكون التاء كانه فر من توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى خالدا
فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال
من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى

ان ما يقدر للحال او للعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا او يدل عليه الكلام دلالة بينة
وظاهر ان كون جزائه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها او جازاه بطريق
الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله عليه فمعطوف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة
كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه ولعنه
اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي على معنى
المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظايره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ واعد له
في جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره ولما ترى في الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد
وفنون الابراق والارعاد وقد تايدت بما روي من الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي
بالمغرب لاشرك في دمه وقوله صلى الله عليه وسلم من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب
بين عينيه ايس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل
المؤمن عمدا في النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل من انها في حق المستحل كما هو راي عكرمة واضرابه بدليل
انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم
عذابهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان ان
اهل العلم كانوا اذا سالوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتدا بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه
يحمل ما روي عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا
وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا ساله القاتل المؤمن توبة قال لا وساله اخر القاتل المؤمن
توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان
هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا يياس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تعالى
فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه ان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قالوا انه كقول الانسان لمن
يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي
والاصل في ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثوابا
فهو منجزه له ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل
المذكور لانه اخبار منه تعالى بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة
سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفوا عن كثير يا
ايها الذين امنوا اثر ما بين حكم القتل بقسميه وانما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطا شرع في التحذير
عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم للغزو ولما في اذا من معنى الشرط
صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تاتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير
تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا اثباته وقوله عز وجل ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام نهي عما هو نتيجة
لترك المامور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين

وسكون اللام اى لا تقولوا بغير تامل لمن حياكم بتحية الاسلام او لمن القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد
لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا
بالفتح اى مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقرائتين الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية الاسلام فى القراءة
الاولى مع كونها مقرونة بكلمتى الشهادة كما سياتى فى سبب النزول للمبالغة فى النهى والزجر عنه والتنبيه على
كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية فى المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهى
مقرونة بهما وقوله تعالى يبتغون عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك
التانى لكن لا على ان يكون النهى راجعا الى القيد فقط كما فى قولك لا تطلب العلم تبتغى به الجاه بل اليهما جميعا اى لا
تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذى هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل
للنهى عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمنى كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن
ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهى عن القول المذكور ولعل
تاخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين
التعليل السابق وبين ما علل به كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم
الخ وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتاكيد المشابهة بين طرفى التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما فى حيز الصلة والفاء فى فمن للعطف على كنتم اى مثل ذلك الذى القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا فى مبادى
اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة
وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يامر بالتفحص عن سرائركم والفاء فى قوله تعالى فتبينوا فصيحة اى اذا كان
الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم فى اوائل اموركم من
قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن هذا هو الذى يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه
فخامة شانه الجليل ومن حسب ان المعنى اول ما دخلتم فى الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت
دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار
بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا
ظاهر الاسلام فى المكافة ولا تقولوا الخ فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال
حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه فى حقهم
يقتضى ترتبه عليه فى حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتاتى بتفسير منه تعالى
عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه
وماله ايضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسر بما فسر به لم يبق فى النظم الكريم ما يدل
على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن اين له ان يقول فحصنت دماءكم واموالكم حتى يتاتى البيان
وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر فى تفسير المن اياه بناء على اساس واه كيف لا وان ما ذكره بصدد
التفسير وان كان امرا مترتبا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه فى حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته فى حقه بناء على
ثبوته فى حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا بامر له دخل فى وجوب اعتبار ظاهر الاسلام
من الداخلين فيه حتى يصح نظمه فى سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى انكم فى اول
الامر كنتم مثله فى قصور الرتبة فى الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حاله
نظرا الى حالكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستقصار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الاية

الكريمة نزلت فى شان مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثى فهربوا وبقى مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى
عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة
ابن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه
فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفى رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن
قلبه وفى رواية افلا شققت عن قلبه ثم قرأ الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لى فقال فكيف بلا اله
الا الله قال اسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى
وقال اعتق رقبة وقيل نزلت فى رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما
احس بالسيف قال انى مسلم فقتلته فقال له رسول الله قتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام افلا
شققت عن قلبه ان الله كان بما تعملون من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها خبيرا فيجازيكم بحسبها
ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستيناف وقرئ
بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل لا يستوى القاعدون بيان لتفاوت طبقات
المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم فى الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليانف
القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة فى ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن
لهم فى القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضى الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها
وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روى عن مقاتل من انهم الخارجون الى تبوك فانه مما لا يوافقه النظم
ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى من المؤمنين متعلق بمحذوف
وقع حالا من القاعدين اى كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف
القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سياتى من الحسنى غير اولى الضرر بالرفع صفة للقاعدون
لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر على
انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفى معناه العجز عن الاهبة عن زيد
ابن ثابت انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت
ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى
يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى
القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون ايرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف
عليه كما وقع فى عبارة ابن عباس رضى الله عنهما وكذا تقييد المجاهدة بكونها فى سبيل الله باموالهم وانفسهم لمدحهم
بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل فى مقابلة القعود وتقديم القاعدين
فى الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم
عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر
اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور
الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة
لصلة المفضول وقوله عز وجل فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة استيناف مسوق
لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهم اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبنى على سؤال

ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ واما قد يرما الهم لا يستوون فانما يليق بجعل الا تعليلا لعدم الاستواء مسوقا الاثباته وفيه تعكيس ظاهر فان الذي يحق ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما فقصارى امره ان يكون توطئة لذكره ولا مر المجاهدين والقاعدين المعهد قيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقه برسولا والجملة اعتراض جي به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الاخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل وفضل الله المجاهدين على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنيه لهما عن ذكر القيود التي ركب على سبيل التدبج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر موكد لفضل على انه بمعنى اجر وايثاره على ماهو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له بتضمينه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى درجات بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة للدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهد في سبيله بين الدرجتين كما بين السموات والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربته اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها ساير الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتى تعد من خصايصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه اللام وتستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيد السلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به في الاخرة من الدرجات العالية التي لا تحصى كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الاخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر

واما اولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين عن القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخرى ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاولهم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين واصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة عليهم السلام للتوفي تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امور دينكم قالوا استيناف مبني على سؤال الملئكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة ماواهم اي في الاخرة جهنم كما ان ماواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فماواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه او هو الخبر والعايد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما في حيزه وساءت مصيرا اي مصيرهم

او جهنم وفي الاية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باى سبب
كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة
وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلوة والسلام الا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم
في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلقة بمحذوف وقع
حالا من المستضعفين اى كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك والمراهقون ظاهر واما ان اريد
بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه
لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب
عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين
فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه
الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع
المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز عسى
الله ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد
تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا
غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة
وتانيس لها اى يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيد للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك
المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل
والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم
على رغم انوفهم وسعة اى من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اى قبل ان يصل
الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني
لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله اى ثبت ذلك عنده
تعالى ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالايات المتقدمة الى مسلمي مكة قال
جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا
ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال
اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او
نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة
فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه
باكمال ثواب هجرته واذا ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر ولقاء
العدو والمطر والمرض وفيه تاكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اى
اذا سافرتم اى مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة فليس عليكم جناح اى حرج ومأثم ان
تقصروا اى في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء اى جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه
فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى من الصلوة

ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا وعلى زيادة من حسبما راه الاخفش واما على تقدير ان يكون تبعيضية ويكون المفعول
محذوفا كما هو راي سيبويه اى شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى
الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات اى
فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير
والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام ولياليها بسير
الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رحمه الله مسيرة يومين وظاهر الاية الكريمة التخيير وافضلية
الاتمام وبه تعلق الشافعي رحمه الله مسيرة يومين وظاهر الاية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعي
رحمه الله وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها انها اتمت تارة
وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا
سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف
والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر
ابن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير
قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين
ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر الا
ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله عنهما صلى
بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر رضي الله عنه بمنى
ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان و
قد اعتذر عثمان عن اتمامه بانه تاهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة
رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي
صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة
السفر وزيد في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذر عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث
حللت فهي داري وانما ورد ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم
نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم لتطيب نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت
او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي رحمه الله وقوله تع
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه
من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف المؤداة
بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها
وقد ذكر الطحاوي في شرح الاثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر
رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد
كما حقق في موضعه ولا يتوهمن انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند
وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فساكت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى على حاله لعدم

بحق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك ما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل
على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا
تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الاية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما
يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات
على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما
بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روى عن ابي ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه انه قال نزل
قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلوة ان
يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار
الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين
من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية
القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما
عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر
لك ان امور الحين الشريف هي المقصود وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بطريق التجريد وبظاهره يتعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده
نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى خذ من اموالهم
صدقة وقد روى ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك
بحضرة الصحابة رضي الله تعالى عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروى في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن
ابن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة
منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به
لظهوره وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك
بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القائمون معك واتموا
الركعة فليكونوا من ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا
بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك الركعة
الباقية ولم يبين في الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روى
عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى
ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الاية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت
الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار
لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر في هذه
المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها
فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح

قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من القصر

والاعراض

والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم و
امتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات
اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب
لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا
اسلحتكم حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامر مع ذلك بالتيقظ
والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليهم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه عليه السلام
وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك
ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه عليه
السلام وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز
وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليضربه فاكب لوجهه من زلجة زلجها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه فقال
يا غورث من يمنعك مني الان قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع
غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للامر باخذ الحذر اي اعد
لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه
بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفي ذلك الايهام بان الله ينصرهم
ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة صلوة الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم
منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته
ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله
كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمانتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعدما وضعت الحرب اوزارها
فاقيموا الصلوة اي الصلوة التي دخل وقتها اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد
بالذكر في الاحوال الثلثة الصلوة فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين
على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمانتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك
الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو راي الشافعي رحمه الله وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا
على الوجه المشروح وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في
كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض
لهم بالحراب وقوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي
وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم

لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الاخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعه فانه قد لجأ اليك فتركه واخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ والقي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك واوحى به اليك ولا تكن للخائنين خصيما اي لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبرآء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فاحكم به ولا تكن الخ واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاء له في الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه به بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة

عهم

يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كامنة ومن يكسب اثما من الآثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا واجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا اي مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البريء بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارتان عن امر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه قد عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي البريء بجناية ما خطيئة كانت او اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البريء منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي تتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمي البريء والا لكان الرمي بغير جنايته مثله في العظم ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير جنايته مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء واجراء عقوبتها عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر فهم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى رمي البريء يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر اصنامنا ولا نعشر فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي انما هو تأثيره فقط ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة اي لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم لانصار وباله عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اي وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة

السنه وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام
الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة
والرياسة التامه لا خير في كثير من نجواهم اي في كثير من تناجي الناس الا من امر الا في نجوى من امر بصدقة
او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني وايا ما كان فالا استثنا
متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة الخ ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع
ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة
التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبه او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة
بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت
بين القوم او بمحذوف هو صفة له اي كائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين
الناس اذا تفاسدوا او تقرب بينهم اذا تباعدوا او قالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلثه بالذكر ان عمل الخير
المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعه اما جسمانيه كاعطاء المال واليه الاشارة
بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانيه واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه
بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف و
الاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها
وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية
الامر به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه بحيث تثبت خيرية الامر بالامور
المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفيه تعريض للآمر بها لو لم يفعلها واشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يأمر بها
والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية فان استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو لكونه
ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضات الله علة للفعل والتقييد به لان الاعمال
بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات
وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة لاظهار
كمال شناعة ما اجترؤا اليه من المشاقة والمخالفه وتعليل الحكم الاتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى
ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المومنين اي غير ما هم مستمرون
عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخله بان
نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا
اي جهنم وفيه دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة طعمة وقد مر موته كافرا وروي عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في
الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جرأة
على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى
فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها
عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطيه فقد ضل الخ وفيما سبق

فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه تع
الا اناثا هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من احياء العرب حي الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه
انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها
على هيئات النسوان وقيل المراد الملئكة لقولهم الملئكة بنات الله وقيل سميت اناثا لتانيث اسمائها او لانها في الاصل
جماد والجماد تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها
وتناهي جهلهم والاناث جمع الانثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وانثا ايضا على انه جمع انيث كقليب و
قلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد
على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو
الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب
للملامسه ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا
القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما
يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة
للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلثة الاول انه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون
طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث
انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض
المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة كطول
الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اي فليقطعنها بموجب امري
وليشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب ولامرنهم فليغيرن
ممتثلين به خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم
والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه
الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمامور به في الموضعين
محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعوا اليه على ما امر
الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع راس ماله
بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار يعدهم اي ما لا يكاد ينجز ويمنيهم اي الاماني الفارغه
او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في
يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما
بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر
محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض و
عدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد
للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتداء وقوله تعالى ماواهم مبتداء ثان وقوله تعالى جهنم
خبر للثاني والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل
خلص ونجا وقيل الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ

نعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله والذين امنوا وعملوا
الصالحات مبتداء خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن
وعيد الكفرة بوعد المومنين زيادة لمسرة هولاء ومساءة اولئك وعد الله حقا اى وعده وعدا وحق ذلك
حقا فالاول موكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني موكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر
يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وجعله على انه
حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة موكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة مواعيد الشيطان
الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر
كالقول والقال وقال بن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التميز وقرئ باشمام
الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس باماتيكم ولا اماني اهل الكتاب اى ليس ما وعد الله من
الثواب يحصل باماتيكم ايها المسلمون ولا اماني اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم
اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما في
قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب و
صدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله و
كذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا
قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي
على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اى ليس الامر باماني المشركين و
هو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هولاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين
مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا
النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا او اجلا لما روي انه لما نزلت قال
ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن او تمرض
اما تصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا اى مجاوزا موالاة
الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات اى بعضها
وشيا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن
للبيان او من الصالحات فمن للابتداء اى كائنة من ذكر الخ وهو مومن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب
المذكور وتنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح و
الجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار
بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من
الادخال ولا يظلمون نقيرا اى لا ينقصون شيا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة و
اذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزداد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر
في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اى اخلص نفسه له تعالى لا يعرف
لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره اليه وهذا انكار واستبعاد
لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة
ونفيها يشهد له العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد

به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظايره ودينا نصب على
التميز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين
لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما ينتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اى ات بالحسنات تارك
للسيئات او ات بالاعمال الصالحة على الوجه اللايق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره
صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم واتبع ملة
ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الاديان الزايغة وهو حال من
فاعل اتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله
والاظهار عليه السلام في موقع الاضمار لتفخيم شانه عليه السلام والتنصيص على انه الممدوح وتاكيد استقلال
الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد
خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما
متوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى
عند الله عز وجل مبلغا مصححا للتسمية خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم و
اشرف ما يرنو اليه احداق الامم قيل انه عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار
منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس
من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منه الغرائر حياء من الناس وجاؤوا بها الى منزل
ابراهيم عليه السلام والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما
لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى
واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس فاستنبه ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة
من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في
الارض جملة مبتداة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما
من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شي منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا او شرا وقيل
لبيان ان اتخاذه تعالى لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شان من شؤونه كما هو داب الادميين
فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه
عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفائه عليه السلام للخلة بمحض مشيته تعالى اى له تعالى ما فيهما جميعا
يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله تعالى وكان الله بكل شي محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة
فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اتم تقرير
في النساء اى في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الاتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه عليه السلام
قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب
وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد
الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما يتلى من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة
على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدا او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار
والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او
بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اى يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره

اكلم

ويستفتونك

على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل في الحقوق
المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها ومما يتلى ح متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز
ان يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب
فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى و
قوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اى ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الاخيرين
بدل من فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة
على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتاويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء
بذلك فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن ان تنكحوهن اى في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل
لاكل مالهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها من انها اليتيمة
تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان
يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك ما روي عنها رضي الله عنها انها اليتيمة يرغب وليها
عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها رضي الله عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو
وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته
فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول والاخير ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى واتوا اليتامى
اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن
وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الاية والمستضعفين من الولدان عطف
على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون
النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روي ان عيينة بن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال
ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما
قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك
مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه
عطفا على موضع فيهن اى يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اى ويامركم وهو خطاب للولاة او للاولياء
والاوصياء وما تفعلوا في حقوق المذكورين من خير حسبما امرتم به او ما تفعلونه من خير على الاطلاق ويندرج
فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما فيجازيكم بحسبه وان امراة خافت شروع في
بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اى ان توقعت امراة من بعلها نشوزا اى تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب
فلا جناح عليهما ح ان يصلحا بينهما صلحا اى في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم
كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة
رضي الله عنها او بان تهب له شيئا تستميله وقرئ يصالحا من يتصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من
المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر
عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا او تصالحا او اصطلاحا حسب ما قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور

اى يصلح حالهما صلحا او بينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الا الاخذ
الذي هو مظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والاخذ والصلح خير اى من الفرقة
او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله
وكذا قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اى جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المراة
تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل
منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى صاحبه
فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المراة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته
وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك
الصلح وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما
وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون
اى من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم
على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية
حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم
عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة
وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة واثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امراة قد كبرت وله منها
اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت
وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك
فنزلت ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اى محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما
الى جانب احداهن في شان من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل
ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك
يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها ولو حرصتم اى على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل
الميل اى فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح
عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اى التي ملتم عنها كالمعلقة
التي ليست ذات بعل وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كان له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحد
شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله كان غفورا
يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما وتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اى وان يفارق كل
واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما اى يجعله مستغنيا
عن الاخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا
حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اى من الموجودات
كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستانفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام
في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اى وصينا كلا

منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدريه حذف عنها الجار ويجوز ان يكون مفسرة لان التوصية في معنى
القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض ح من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا
الله وان تكفروا الخ وعلى تقدير كون ان مصدرية مبنى الكلام ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا
لهم ولكم ان تكفروا الاية وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها هذه الامة واياما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون
قوله تعالى فان لله الاية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض من الخلايق قاطبة
مفتقرون اليه في الوجود وساير النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فضله طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى و
يتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى وكان الله غنيا اي عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا
في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصيهم بالتقوى لرحمته
لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الارض كلام مبتدا مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير
داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه ما فيهما من الخلايق ملكا يتصرف فيه كيف ما يشاء اي ايجادا واعداما
واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه
ان يشا يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستاصلكم بالمرة ويات باخرين اي ويوجد دفعة مكانكم قوما اخرين
من البشر او خلقا اخرين مكان الانس ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشا افناكم وايجاد
اخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيته
المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك اي افنائكم
بالمرة وايجاد اخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما
عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العرب اي ان يشا يمتكم ويات بناس اخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى فان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم
قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا
والاخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي
في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه
الاية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال و
الاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة
القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو
خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن
الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود
عليه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى
في العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب
الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير
فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ
اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي

حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي السنتكم عن
شهادة الحق او حكومة العدل بان تاتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلوا بمعنى الولاية والتصدي اي وان وليتم اقامة
الشهادة او تعرضوا اي عن اقامتها راسا فان الله كان بما تعملون من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من
جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى
القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين امنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى امنوا بالله ورسوله
والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او ازدادوا
فيه طمانينة ويقينا وامنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم
لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على
رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد
من تلك الكتب خصوصيه ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان
الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام
كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الان من الشرايع والاحكام ثابتة من حيث
انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وانزل
على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة
واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول
الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل امنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم
فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتورية مع انهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم انشاءه
والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل امنوا بالكل ولا تخصوا بالبعض بل لان
المامور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقران على الوجه الذي اشير اليه انفا لا ايمانهم السابق ولان
فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين ساير الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند
الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى امنوا بالكل لا ببعض دون بعض وامر كل طائفة بالايمان بكتابه في ضمن
الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى امنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط ومن يكفر بالله و
ملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد
يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الاخر في جانب الكفر لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا و
جمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه
منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسايط بين الله عز وجل وبين الرسل في انزال الكتب ان
الذين امنوا قال قتادة هم اليهود امنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم امنوا عند عوده اليهم
ثم كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم قوم
تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضريت بالكفر وتمرنت على الردة
وكان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف
اي مريدا ليغفر لهم وقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان المراد بالمذكورين الذين امنوا

في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشرهم موضع انذرهم تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين
وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا
يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار
لرأيهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي ايطلبون
بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة عزاز
وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم
فان انحصار جميع افراد العزة في جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العز والغلبة وقال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف
كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله وجميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدا
وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعداد جناياتهم
وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة
حالهم ونهاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم
عن ذلك وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه واكده اثر بيان
انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة
في الكتاب اي القرآن الكريم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى
يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا
يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من ان
وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله
وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة
خطرها وتهويل امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ
بها الخ وفيه دلالة على ان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة منزل على الامة وان مدار
الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد
بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول
عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة
تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدا والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه
كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع و
قرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية
اي في مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان
ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر
تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق واما الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على
الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب
وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض اخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون

او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اي ينتظرون امركم وما
يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية
تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا اي لكم
الم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا
اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان
ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة
للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين
وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيامة حكما يليق بشان كل منكم من
الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم
بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء و
الاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدا
سيق لبيان طرف اخر من قبائح اعمالهم اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله
فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الاخرة
الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدد سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون
فيمضون بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراءون الناس ليحسبوهم مؤمنين و
المراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استئناف
مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراءون الخ او حال من ضمير قاموا
ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراءون اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه
بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك
قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراءون
او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي مرددين بينهما متحيرين
قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال
اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او رأيهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود
رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة واخرى في اخرى لا
الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى
الاخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له ومن يضلل الله
لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب
لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهوا عن موالاة الكفرة
صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا اي اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق
او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في انكاره و
تهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا

رسولكم الخ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم
اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب
التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض
وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب
كما سبق الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما
افسدوا من احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم اي جعلوه
خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين اي المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر
عنهم نفاق اصلا منذ امنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله
تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم استيناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم لا شيء اخر فيقرر ما قبله
من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه واكده اي اي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم
ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شان الملوك وهو الغني المتعالي
عن امثال ذلك وانما هو امر تقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر
على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والافاقية فيشكر شكرا
مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا
الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع
المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا يحب الله
تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول الا من ظلم اي الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره
بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه
الاية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل
فالاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء وكان الله سميعا بجميع المسموعات
فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر
لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اي خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ
لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان وانما ذكر ابداء الخير
واخفاؤه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده في معرض جواب
الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اي كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو
عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم
على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله
اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله اي بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل

التاسع عشر

بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما
قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين
الله تعالى ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية
دين نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب
ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا
واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة
هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا حقا مصدر مؤكد لمضمون
الجملة اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا
ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم
او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله
والذين امنوا بالله ورسله على الوجه الذي بين في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله
الاية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا باخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد
قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة سوف
يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى
وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف
حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا
بخط سماوي على اللوح كما نزلت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله وما كان
مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية
فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى
شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت
عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك
عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه نره جهرة اي عيانا او
مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اي النار التي جاءت من السماء فاهلكتهم وقرئ
الصعقة بظلمهم اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك
لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات التي اظهرها لفرعون
من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم
وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا
انتم ايضا حتى نعفو عنكم واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة
عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي انهم امتنعوا عن
قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي انهم هموا بنقضه
فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى واخذنا منهم ميثاقا
غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نحدث

انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون
اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين خاضعين وقلنا لهم
لا تعدوا اي لا تظلموا باصطياد الحيتان في السبت وقرئ لا تعدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد
الدال على اصله تعتدوا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم
على الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذي اخذ الله عليهم في التورية قيل انهم اعطوا
الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باي انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم
ما مزيدة للتاكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اي فبسبب نقضهم ميثاقهم
ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم روي انهم
اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا او مسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى
فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم
على مريم بهتانا متاخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد
لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بايات
الله اي بالقران او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا
غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام او هو تخفيف
غلف جمع غلاف اي هي اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطا
وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك
خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة
الى رد زعمهم الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس
حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وبكفرهم اي بعيسى عليه السلام
وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد يجوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف
عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم
حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث
نسبوها الى ما هي عنه بالف منزل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله نظم قولهم هذا في سلك
ساير جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به فان وصفهم له
عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر الخ ولانبائه
عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم
القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية جرائتهم
في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن
شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي
فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل
ينافق عيسى صلى الله عليه وسلم فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عليه السلام

والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان طيطيانوس اليهودي
دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق
لا تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى الى السماء خاف رؤساء
اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو
المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم الا قليلا وشبه مسند الى الجار و
المجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن
ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا
فيه اي في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان
كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه
عيسى عليه السلام والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء
وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح
احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع
الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي
يسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا كما زعموا
بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كما في قول من قال كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت
بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا بالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في
الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا
لا يغالب فيما يريده حكيما في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في امر عيسى عليه السلام دخولا
اوليا وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى وقوله تعالى الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية
وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام اي وما من اهل الكتاب احد
الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع التكليف
ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان
خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن
حوشب قال لي الحجاج اية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير
من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهود اذا حضره الموت ضربت الملائكة
دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك
عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا
فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم
قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان
يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى عليه السلام والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين
عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه عليه السلام ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى
احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال

ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث
فى الارض اربعين سنة ثم توفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد
صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة يكون اى عيسى عليه السلام عليهم على اهل الكتاب شهيدا فيشهد
على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا
لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اى تابوا من عبادة العجل مثل تلك
التوبة الهايلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه فى حد ذاته بالتنوين التفخيمى اى بسبب ظلم عظيم خارج عن
حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ولمن قبلهم لا لشىء غيره كما زعموا فانهم
كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصى التى اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التى كانت محللة لهم ولمن
تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت
عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله تعالى فى مواقع كثيرة
وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل
فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اى فى ادعائكم انه تحريم قديم روى انه عليه السلام لما كلفهم اخراج
اخراج التورية لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اى ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فان الربوا كان
محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهى يدل على حرمة المنهى عنه واكلهم اموال الناس بالباطل
بالرشوة وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اى للمصرين على الكفر لا لمن تاب وامن من بينهم
عذابا اليما سيذوقونه فى الاخرة كما ذاقوا فى الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون فى العلم منهم استدراك
من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا واجلا اى لكن الثابتون فى العلم منهم المتقنون
المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه والمومنون اى
منهم وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ فى العلم بطريق العطف المبنى على المغايرة بين
المعطوفين بتنزيل الاختلاف العنوانى منزلة الاختلاف الذاتى وقوله تعالى يومنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك حال من المومنون مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله تعالى والمقيمين
الصلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعنى المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدا والخبر
وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء عليهم السلام اى يومنون بالكتب وبالانبيا او
الملئكة قال مكى اى ويومنون بالملئكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وقيل عطف على الكاف فى اليك اى يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبيا وقيل على الضمير المجرور
فى منهم اى ومن المقيمين الصلوة وقرى بالرفع على انه معطوف على المومنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنوانى
منزلة التغاير الذاتى وكذا الحال فيما سياتى من المعطوفين فان قوله تعالى والموتون الزكوة عطف على المومنون
مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام فى قوله تعالى والمومنون بالله واليوم الاخر فان المراد بالكل مومنوا اهل
الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين فى علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا
مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مومنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم ثم بكونهم عاملين
بما فيها من الشرايع والاحكام واكتفى من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لساير العبادات البدنية
والمالية ثم بكونهم مومنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا

بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه
وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الاخر وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم باعتبار
اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو
مبتداء وقوله تعالى سنوتيهم اجرا عظيما خبره والجملة خبر للمبتداء الذى هو الراسخون وما عطف عليه والسين
لتاكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا انسب بتجاوب طرفى الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم و
وعد الاخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المومنون منهم سنوتيهم
اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يومنون بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدا ففى كمال السداد
خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين وقرى سيوتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمومنون بالله انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شانه فى حقيقة الارسال واصل الوحى كشان
ساير مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد فى نبوتهم والكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى
ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راى سيبويه اى اوحينا الايحاء حال
كونه مشبها بايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بنوح لانه ابو البشر واول نبى شرع الله تعالى
على لسانه الشرايع والاحكام واول نبى عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله تعالى بدعائه اهل الارض
واوحينا الى ابراهيم عطف على اوحينا الى نوح داخل معه فى حكم التشبيه اى وكما اوحينا الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى وايوب ويونس و
هارون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم فى سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما فى قوله
تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال وتصريحا بمن ينتمى اليهم اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد
تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طايفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحى واتينا داود زبورا
قال القرطبى كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هى حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد و
الثناء على الله عز وجل وقرى بضم الزاء وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل فى حكمه لان ايتاء الزبور
من باب الايحاء اى وكما اتينا داود زبورا وايثاره على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة فى امر خاص هو ايتاء
الكتاب بعد تحقيقها فى مطلق الايحاء ثم اشير الى تحقيقها فى امر لازم لهما لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى
ورسلا نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه فى حكم التشبيه كما قبله اى وكما ارسلنا
رسلا لا بما يفسره قوله تعالى قد قصصناهم عليك اى وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان
قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثانى لا محل له من الاعراب
فانه مما لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرى برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا اى قصصنا
من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما
منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فان
فيه تحقيقا للمماثلة بين شانه صلى الله عليه وسلم وبين شئون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام
فى مطلق الايحاء ثم ايتاء الكتاب ثم فى الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى اتيناك وارسلناك
حتما كانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابراهيم ومن بعده واتيناك الفرقان
ايتاء مثل ما اتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا

اخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسألونك
شيا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب
ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في
ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه
وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تعديه في رسلا الاول يقتضي تقدير نفيه في الثاني وذلك اشد
استحالة واظهر بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى تكليما
مصدر موكد رافع لاحتمال المجاز قال الفرا العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يوكد بالمصدر
فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة
لا على اتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير
واسطة منتهى مراتب الوحي وقد خص به من بينهم موسى فلم يكن ذلك قادحا في نبوة ساير الانبيا فكيف يتوهم
كون نزول التورية عليه عليه السلام جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها
كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرايل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك
لما امنوا بها ومع ذلك ما امنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه
مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او
باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطيا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل
الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله حجة اي معذرة يعتذرون بها قايلين لو
لا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرايعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك
جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك الاية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في
فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته
لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما احد اغير من الله تعالى لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله
تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام
متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف
وقع حالا من حجة اي كائنة على الله او هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به
الاخر الذي هو الخبر ولا يجوز تعلقه بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم
وتبليغ الشرايع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف يوصف بها الاحداث
كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن
الاجابة الى مسئلة المتعنتين حكيما في جميع افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل
والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرايع والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال
التي عليها يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى براهم على انحاء شتى واطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة
التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشانهم ويقتضيه احوالهم المختلفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرايع
والاحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور

المتعلقة

المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد اذ ح يتعاظم التكاليف فيثقل على
المكلف قبولها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر قبولا واسهل
امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك
عما يفهم مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الخ
قيل انهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على بناء المفعول والباء
صلة للشهادة اي يشهد بحقية ما انزل اليك من القران المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك
قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو
تاليفه على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزل عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه
الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول
والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملئكة يشهدون اي بذلك مبتدأ وخبر
والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملئكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا
اي على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا
اي بما انزل الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا
به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا
مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال
والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر انفا
وظلموا اي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس
بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد
بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المودية بهم الى جهنم عند
صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيمة بواسطة الملئكة والطريق على عمومه و
الاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب
والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله ابدا نصب
على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم على الله
يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعدما حكى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته
ببيان ان شانه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشان من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبيا عليهم
السلام واكد ذلك بشهادته تعالى وشهادة الملئكة امر المكلفين كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك
امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر
في عدم القبول وقوله عز وجل قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد
لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتاكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القران
الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن ابتدائية
متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده

تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم
اللايق بهم ترغيباً لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله عز وعلا فامنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها
لما بعدها اي فامنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيراً لكم منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار
كما هو راي الخليل وسيبويه اي اقصدوا او ائتوا امراً خيراً لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما
هو راي الفراء اي امنوا ايماناً خيراً لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جواباً للامر لا جزاء للشرط الصناعي وهو راي
الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيراً لكم وان تكفروا اي ان تصروا او تستمروا على الكفر به فان لله ما في
السموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه و
اكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولاً اولياً اي كلها له تعالى
خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شانه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او
فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه
وينقادون لامره وكان الله عليماً مبالغاً في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولاً
اولياً حكيماً مراعياً للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب
وتخصيص له بالنصارى زجراً لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شان
عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة
فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول و
الاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره في سورة ال
عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدا وقوله تعالى عيسى
بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من
بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدا والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل
المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله
اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم اي اوصلها اليها و
حصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اليها واخبرها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى
المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع
مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحاً لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازاً لا تبعيضية كما
زعمت النصارى يحكى ان طبيباً حاذقاً نصرانياً للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم
فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الاية فقرا الواقدي وسخر لكم ما
في السموات وما في الارض جميعاً منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءاً منه سبحانه وتعالى
علواً كبيراً فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحاً شديداً ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف
وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره
سبحانه وقيل سمي روحاً لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي بها القران لذلك في قوله تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحاً من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة
بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكوناً من النفخ

لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى
وروحاً منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين مال ما يحتمله وسد باب التاويل
الزايغ فامنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن
سلكهم بوصفه بالالوهية ولا تقولوا ثلثة اي الالهة ثلثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة
اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود و
بالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اي عن التثليث خيراً لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد
اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدا واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الوهيته سبحانه
ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحاً من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحاً من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله
شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى
له ما في السموات وما في الارض جملة مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات
خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يخرج من ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولداً
له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكل الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فانى يتصور في حقه تعالى اتخاذ
الولد الذي هو شان العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف
المسيح استيناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن
وجهك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع ان يكون عبداً لله اي عن ان يكون عبداً له تعالى مستمراً على عبادته
وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه
عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه احواله ويفصح عنه اقواله الا يرى ان اول مقالة قالها للناس قوله
اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبياً لوقوعه في موقع الجواب عما قالته الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد
الله قال انه ليس بعار ان يكون عبداً لله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام
عبداً لله تعالى دون ان يقال عبادة الله ونحو ذلك مع افادة فايدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن
الاستنكاف بالكلية فان كونه عبداً لله تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعاً فعدم الاستنكاف
عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة
غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم
عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون
ان يكونوا عبيداً لله وقيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالاية من زعم فضل الملائكة
على الانبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي
ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزماً لعدم استنكافه
عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه
عليه السلام وامتيازه عن ساير افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف
على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون
من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد

عنه ع ان يتانف عليه السلام

فی علو درجتهم من هذه الحیثیة وانما النزاع فی علوها من حیث کثرة الثواب علی الطاعات وبان الایة
لیست للرد علی النصاری فقط بل علی عبدة الملئکة ایضا فلا اتجاه لما قالوا حینئذ وان سلم اختصاصها بالرد علی
النصاری فلعله ارید بالعطف المبالغة باعتبار التکثیر والتفصیل لا باعتبار التکبیر والتفضیل کما فی قولک
اصبح الامیر لا یخالفه رئیس ولا مرؤس ولئن سلم ارادة التفضیل فغایة الامر الدلالة علی افضلیة المقربین منهم وهم
الکروبیون الذین حول العرش او من هو اعلی منهم رتبة من الملئکة علیهم السلام ولیس یلزم من ذلک فضل
احد الجنسین علی الاخر مطلقا وهل التشاجر الا فیه • ومن یستنکف عن عبادته • ای عن طاعته فیشمل جمیع
الکفرة لعدم طاعتهم له تعالی وانما جعل المستنکف عنه ههنا عبادته تعالی لا ما سبق لتعلیق الوعید
بوصف ظاهر الثبوت للکفرة فان عدم طاعتهم له تعالی مما لا سبیل لهم الی انکار اتصافهم به ان قیل لم عبر
عن عدم طاعتهم له تعالی بالاستنکاف عنها مع ان ذلک منهم کان بطریق الاستنکاف قلنا لانهم
یستنکفون عن طاعة رسول الله صلی الله علیه وسلم وهل هو الا استنکاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر
له علیه السلام سوی امره تعالی من یطع الرسول فقد اطاع الله • ویستکبر • الاستکبار الانفة عما لا ینبغی ان
یونف عنه واصله طلب الکبر لنفسه بغیر استحقاق له لا بمعنی طلب تحصیله مع اعتقاد عدم حصوله فیه
بل بمعنی عد نفسه کبیرا واعتقاده کذلک وانما عبر عنه بما یدل علی الطلب للایذان بان ماله محض الطلب
بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلک بنفس الطلب فی قوله تعالی یصدون عن سبیل الله ویبغونها
عوجا فانهم ما کانوا یطلبون ثبوت العوج لسبیل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل کانوا یعدونها ویعتقدونها
معوجة ویحکمون بذلک ولکن عبر عن ذلک بالطلب لما ذکر من الاشعار بان لیس هناک شیء سوی الطلب
والاستکبار دون الاستنکاف المبنی عن توهم لحوق العار والنقص من المستنکف عنه • فسیحشرهم
الیه جمیعا • ای المستنکفین ومقابلیهم المدلول علیهم بذکر عدم استنکاف المسیح والملئکة علیهم السلام
وقد ترک ذکر احد الفریقین فی المفصل تعویلا علی انباء التفصیل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر احدهما
لحشر الاخر ضرورة عموم الحشر للخلائق کافة کما ذکر احد الفریقین فی التفصیل عند قوله تعالی فاما الذین
امنوا بالله الایة مع عموم الخطاب لهما اعتمادا علی ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب الاخر ضرورة شمول
الجزاء للکل وقیل الضمیر للمستنکفین وهناک مقدر معطوف علیه والتقدیر فسیحشرهم وغیرهم وقیل
المعنی فسیحشرهم الیه یوم یحشر العباد لمجازاتهم وفیه ان الانسب بالتفصیل الاتی اعتبار حشر الکل فی
الاجمال علی نهج واحد وقری فسیحشرهم بکسر الشین وهی لغة وقری فسنحشرهم بنون العظمة بطریق الالتفات
• فاما الذین امنوا وعملوا الصالحات • بیان لحال الفریق المطوی ذکره فی الاجمال قدم علی بیان حال ما یقابله
ابانة لفضله ومسارعة الی بیان کون حشره ایضا معتبرا فی الاجمال وایراده بعنوان الایمان والعمل الصالح
لا بوصف عدم الاستنکاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبیه علی انه المستتبع لما یعقبه من الثمرات
• فیوفیهم اجورهم • من غیر ان ینقص منها شیئا اصلا • ویزیدهم من فضله • بتضعیفها اضعافا مضاعفة
وباعطاء ما لا عین رأت ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر • واما الذین استنکفوا • ای عن عبادته
تعالی • واستکبروا فیعذبهم • بسبب استنکافهم واستکبارهم • عذابا الیما • لا یحیط به الوصف
• ولا یجدون لهم من دون الله ولیا • یلی امورهم ویدبر مصالحهم • ولا نصیرا • ینصرهم من بأسه تعالی و
ینجیهم من عذابه • یا ایها الناس • تلوین للخطاب وتوجیه له الی کافة المکلفین اثر بیان بطلان ما علیه الکفرة
من فنون الکفر والضلال والزامهم بالبراهین القاطعة التی تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهیة

وفیها

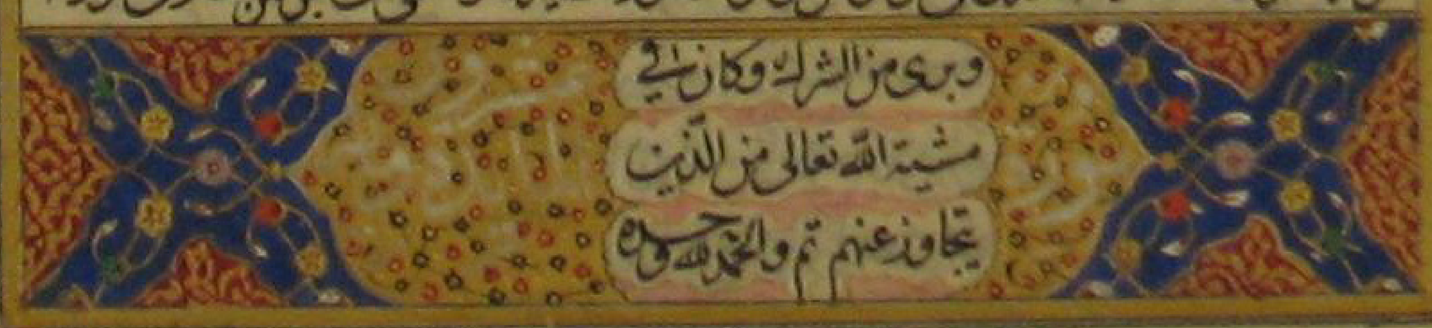
بالبینات الواضحة وتنبیه لهم علی ان الحجة قد تمت فلم یبق بعد ذلک علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر • قد جاءکم • ای وصل
الیکم وتقرر فی قلوبکم بحیث لا سبیل لکم الی الانکار • برهان • البرهان ما یبرهن به علی المطلوب والمراد به القران
الدال علی صحة نبوة النبی صلی الله علیه وسلم المثبت لما فیه من الاحکام التی من جملتها ما اشیر الیه مما اثبته الایات
الکریمة من حقیة الحق وبطلان الباطل وروی عن ابن عباس رضی الله عنهما ان النبی صلی الله علیه وسلم عبر عنه به
لما معه من المعجزات التی تشهد بصدقه وقیل هی المعجزات التی اظهرها وقیل هو دین الحق الذی اتی به وقوله تعالی
• من ربکم • اما متعلق بجاءکم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان موکدة لما افاده التنوین من الفخامة الذاتیة
بالفخامة الاضافیة ای کائن منه تعالی علی ان من لابتداء الغایة مجازا او قد جوز علی الثانی کونها تبعیضیة بحذف
المضاف ای کائن من براهین ربکم والتعرض لعنوان الربوبیة مع الاضافة الی ضمیر المخاطبین لاظهار اللطف بهم
والایذان بان مجیئه لهم لتربیتهم وتکمیلهم • وانزلنا الیکم نورا مبینا • ارید به ایضا القران الکریم عبر عنه
تارة بالبرهان لما اشیر الیه انفا واخری بالنور المنیر بنفسه المنور لغیره ایذانا بانه بین بنفسه مستغن
فی ثبوت حقیته وکونه من عند الله تعالی باعجازه غیر محتاج الی غیره مبین لغیره من الامور المذکورة
واشعارا بهدایته للخلق باخراجهم من ظلمات الکفر الی نور الایمان وقد سلک به مسلک العطف المبنی علی
تغایر الطرفین تنزیلا للمغایرة العنوانیة منزلة المغایرة الذاتیة وعبر عن ملابسته للمخاطبین تارة بالمجیء المسند
الیه المنبی عن کمال قوته فی البرهانیة کانه یجیء بنفسه فیثبت احکامه من غیر ان یجیء به احد ویجیء علی شبه الکفرة
بالابطال واخری بالانزال الموقع علیه الملائم لحیثیة کونه نورا توقیرا له باعتبار کل واحد من عنوانیه حظه
اللائق به واسناد انزاله الیه تعالی بطریق الالتفات لکمال تشریفه هذا علی تقدیر کون البرهان عبارة
عن القران العظیم واما علی تقدیر کونه عبارة عن الرسول صلی الله علیه وسلم او عن المعجزات الظاهرة علی یدیه
او عن الدین الحق فالامر هین وقوله تعالی الیکم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان کان الی النبی صلی الله
علیه وسلم لکنه منزل الیهم ایضا بواسطته علیه السلام وانما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات کما فی
قوله تعالی انا انزلنا الیک الکتاب لتحکم بین الناس ونظائره لاظهار کمال اللطف بهم والتصریح بوصوله الیهم
مبالغة فی الاعذار وتقدیمه علی المفعول الصریح مع ان حقه التاخر عنه لما مر من الاهتمام بما قدم والتشویق
الی ما اخر وللمحافظة علی فواصل الای الکریمة • فاما الذین امنوا بالله • حسبما یوجبه البرهان الذی اتاهم
• واعتصموا به • ای عصموا به انفسهم مما یردیها من زیغ الشیطان وغیره • فسیدخلهم فی رحمة منه و
فضل • قال ابن عباس رضی الله عنهما هی الجنة وما یتفضل علیهم مما لا عین رات ولا اذن سمعت ولا خطر علی
قلب بشر وعبر عن افاضة الفضل بالادخال علی طریقة قوله • وعلفتها تبنا وماء باردا • وتنوین رحمة وفضل
تفخیمی ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة • ویهدیهم الیه • ای الی الله عز وجل وقیل الی الموعود
وقیل الی عبادته • صراطا مستقیما • هو الاسلام والطاعة فی الدنیا وطریق الجنة فی الاخرة وتقدیم ذکر الوعد
بادخال الجنة علی الوعد بالهدایة الیها علی خلاف الترتیب فی الوجود بین الموعودین للمسارعة الی التبشیر
بما هو المقصد الاصلی قیل انتصاب صراطا علی انه مفعول الفعل محذوف ینبیء عنه یهدیهم ای یعرفهم صراطا
مستقیما • یستفتونک • ای فی الکلالة استغنی عن ذکره بوروده فی قوله تعالی • قل الله یفتیکم فی الکلالة •
وقد مر تفسیرها فی مطلع السورة الکریمة والمستفتی جابر بن عبد الله رحمه الله یروی انه اتی رسول الله صلی
الله علیه وسلم فی طریق مکة عام حجة الوداع فقال ان لی اختا فکم اخذ من میراثها ان ماتت وقیل کان مریضا فعاده
رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال انی کلالة فکیف اصنع فی مالی وروی عنه رضی الله عنه انه قال دعانی رسول

کونه

غیر مرة

تامه
حیث علمت مما قدمنا

الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضأ وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث
وانما يرثني كلالة فنزلت وقوله تعالى ان امرؤ هلك استيناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور و
قوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل او حال من الضمير في هلك ورد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام
اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر في الكلالة
ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى وله اخت عطف على قوله ليس له ولد او
حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة فلها نصف
ما ترك اي بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة وهو اي المرء المفروض يرثها
اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز
جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها في الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الاية
ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وانما دلت على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة
فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن
يرث بالاخوة والتانيث والتثنية باعتبار المعنى قيل وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف التثنية
على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان
كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كانوا
اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر اي فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة
على طريقة التعصيب وهذا اخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله عنه قال
في خطبته ان الاية التي انزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج
والزوجة والاخوة من الام والاية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لابوين ولاب
والاية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام يبين الله لكم اي حكم الكلالة او احكامه
وشرائعه التي من جملتها حكمها ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا في ذلك وهذا راي البصريين صرح به
المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا
وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال ابو
عبيد رويت الكسائي حديث ابن عمر رضي الله عنه وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من
الله اجابة اي لئلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الاية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي
واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الخ وقيل ليس هناك حذف
ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه
وتتحروا خلافه وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطاء والضلال
من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها احوالكم
المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا



يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه
بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقد عليهم من التكاليف والاحكام الدينية
وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى
يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدئ بما
يتعلق بضروريات معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب
الخز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام
والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة
والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المضافين كانه قيل احلت لكم
البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين احلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام
الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام
اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه غير محلي
الصيد اي الاصطياد في البر او اكل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير
حرمته عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله تعالى وانتم حرم اي محرمون حال من الضمير
في محلي وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد
بها الظباء ونظائرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند
احرامكم واما على التقدير الاول فغايته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان
حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا
حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال
اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم من مزيد تربية
للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه
باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من
الاحكام حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا
ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة
ونظائرها التي سياتي بيانها يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو
من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل
الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي
الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق
والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدث في اشهر الحج ما يصد به الناس عن
الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها
لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل
بالنسيء والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس
ولا الهدي بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاة

جمع هدية كجدى وجدية ولا القلايد هى جمع قلادة وهى ما يقلد به الهدى من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدى
فلا يتعرض له والمراد النهى عن التعرض لذوات القلايد من الهدى وهى البدن وعطفها على الهدى مع دخولها فيه
لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كعطف جبريل وميكائيل على الملئكة عليهم السلام كانه قيل والقلايد منه خصوصا
او النهى عن التعرض لنفس القلايد مبالغة فى النهى عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلايدها فضلا عن ان تحلوها
كما نهى عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها ولا امين البيت الحرام
اى لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باى وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اى قتال
قوم او اذى قوم امين الخ وقرى ولا امى البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم و
رضوانا حال من المستكن فى امين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اى قاصدين زيارته
حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس
الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اى فضلا كاينا من ربهم ورضوانا
كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول ابتغائهم وقرى تبتغون
على الخطاب فالجملة حال من ضمير المخاطبين فى لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهى عنه لا تقييد
بها واضافة الرب الى ضمير الامين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفى
ذلك من تعليل النهى وتاكيده والمبالغة فى استنكار المنهى عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالامين هم
المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الاية محكمة وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سورة المايدة من
اخر القران نزولا فاحلوا احلالها وحرموا حرامها وقال الحسن رحمه الله ليس فيها منسوخ وعن ابى ميسرة فيها ثمانى
عشر فريضة وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهى المومنين عن احلالهم دون
المومنين على ان حرمة احلالهم تثبت بطريق دلالة النص ويويده ان الاية نزلت فى الحطم بن ضبيعة البكرى وقد
كان اتى المدينة وخلف خيله خارجها فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وحده وعد ان ياتى باصحابه فيسلموا ثم
خرج من عنده عليه السلام فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان فى العام القابل خرج من اليمامة حاجا فى حجاج
بكر بن وايل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فسال المسلمون النبى صلى الله عليه وسلم ان يخلى بينهم وبينه فاباه
النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله الاية وفسر ابتغاء الفضل بطلب
الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى
فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد فى كونه
مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما فى ضمن مراعاة حقوق الله تعالى
وتعظيم شعايره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم فى الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون
لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا
عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الاية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبى لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
ولا ريب فى تناول الامين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سياتى من قوله تعالى ولا يجرمنكم
شنان قوم الخ فتعين النسخ كلا او بعضا ولا بد فى الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين
فقيل ابتغاء الفضل اى الرزق للمومنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمومنين خاصة ويجوز ان يكون
الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروى ايضا ويختص ابتغاوه بالمومنين واذا حللتم فاصطادوا

تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كانه
قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم فى الاصطياد وقرى احللتم وهو لغة فى حل وقرى بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل
عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهى عن احلال قوم من الامين خصوا به مع اندراجهم فى النهى عن احلال
الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى كسب فى المعنى وفى
التعدى الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل
غالبا فى كسب ما لا خير فيه وهو السبب فى ايثاره ههنا على الثانى وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثانى
فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرا يجرمنكم بضم الياء شنان قوم بفتح النون وقرى
بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم
متعلق بالشنان باضمار لام العلة اى لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام عن زيارته والطواف به للعمرة
وهذه اية بينة فى عموم امين للمشركين قطعا وقرى ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم
وقد ابرز الصد المحقق فيما سبق فى معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون ووقوعه الا على
سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا اى عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلى
من النهى منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعاير لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم
وهو ثانى مفعولى يجرمنكم اى لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم
منهم للتشفى وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنان عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه فى الحقيقة نهى
لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهى عن اسباب الشى ومباديه الموديه اليه نهى عنه بالطريق البرهانى
وابطال للسببية وقد يوجه النهى الى المسبب ويراد النهى عن السبب كما فى قوله لا ارينك ههنا يريد
به نهى مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تاخير هذا النهى عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه
بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهى بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هى باقية ما لم
تنقطع علاقتهم عن الشعاير بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لساير الامين بالطريق الاولى وتعاونوا
على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على
كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على
العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون فى كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصى بقوله تعالى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهى عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهانى
واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التائين تخفيفا وانما اخر النهى عن الامر مع تقدم التخلية
على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان
انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء فى جميع مخالفة ما ذكر
من الاوامر والنواهى فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهانى ثم علل ذلك بقوله تعالى ان الله شديد
العقاب اى لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة
وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة حرمت عليكم الميتة شروع فى بيان المحرمات التى اشير اليها
بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح والدم اى المسفوح منه لقوله تعالى او
دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اى من فصد له
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى

والمنخنقه اي التي مات بالخنق والموقوذة اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه وقذته اذا ضربته
والمتردية اي التي تردت من علو والى بير فماتت والنطيحه اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء
للنقل وقرئ والمنطوحه وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل
السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته
وفيه بقيه حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاه في الشرع
بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد
وايا ما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك
قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام
بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثه اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني
ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل
اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح
على الانصباء المعهوده ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته
في الشر فسق تمرد وخروج عن الحدود ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله
سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات
المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به
من الازمنة الماضية والاتيه وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفه حجة الوداع والنبي
صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقه تندق لثقلها فبركت وايا ما كان
فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم يظهروا [?]
عليكم واخشون اي واخلصوا الى الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها
او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور
للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في
قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله و
تقديمه على المفعول الصريح لما مر مرات اي اتممتها بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية
ومناسكها والنهي عن حج الشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرايع او بالهداية والتوفيق قيل معنى
اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته
لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال
له يا امير المومنين اية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية
قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي
انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قايم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا
وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال
ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شي الا نقص فقال عليه السلم صدقت فكانت هذه الاية
نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر
المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان تجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل

والنعمة التامه والاسلام المرضي له فمن اضطر الى تناول شي من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف
معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم قيل غير مايل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة
او ينتزعها من مضطر اخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه بذلك يسالونك
ماذا احل لهم شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سالوا عنها
عند بيان اضدادها ولتضمن السوال معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتداء واحل لهم خبره وضمير الغيبة فانه
كما يعتبر حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لافعلن يعتبر حال الحاكي فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسئول ما احل
لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه كما في قوله تعالى و
يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف
على ان ما موصولة والعايد محذوف اي وصيد ما علمتموه او مبتدا على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز
كونها مبتداء على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط
ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهايم والطير وقيل سميت
بها لانها تجرح الصيد غالبا مكلبين اي معلمين لها الصيد والمكلب مودب الجوارح ومضريها بالصيد
مشتق من الكلب لان التاديب كثيرا ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام في حق عتبة بن
ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظ النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه
وقرئ مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانيه منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتاديب كان العلم بالهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي
هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك
الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن عليكم مر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب
الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبر لها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات
فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق
الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر فالفاء فيها كما في قوله امرتك الخير
فافعل ما امرت به ومن تبعيضيته لما ان البعض لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك
وما موصولة مرفوعة على الابتدا خبرها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جمله متفرعه على
بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبنية المضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقه
او موصوفه حذف عايدها وعلى متعلقه بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم ياكلن منه واما
ما اكلن منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك
على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لما ان تاديبها
الى هذه الدرجه متعذر وقال اخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص
وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل
واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن اي سموا عليه اذا
ادركتم ذكاته واتقوا الله في شان محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع
تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه يواخذكم سريعا في كل ما

جل ودق واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتعليم الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام
الثلثه وقت واحد وانما كرر للتاكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر
وطعام الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه والمراد بطعامهم ما يتناول
ذبايحهم وغيرها حل لكم اي حلال وعن ابن عباس انه سئل عن ذبايح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول
عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفه رحمه الله واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هما
صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل
الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبايحهم ونكاح نسائهم لقوله
صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبايحهم وطعامكم حل لهم فلا
عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المومنات رفع على انه
مبتداء حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحراير او العفايف وتخصيصهن
بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير
العفايف منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفه رحمه الله خلافا للشافعي رحمه الله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله
عنهما لا تحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل بايتايها لتاكيد وجوبها والحث على
الاولى وقيل المراد بايتايها التزامها واذا ظرفيه عاملها حل المحذوف وقيل شرطيه حذف جوابها اي اذا
اتيتموهن اجورهن حللن لكم محصنين حال من فاعل اتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى
غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي
اخدان اي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطفا على مسافحين و
زيدت لا لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجه الثلثه
ومن يكفر بالايمان اي من ينكر شرايع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة
بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك وهو في الاخرة من الخاسرين
هو مبتداء من الخاسرين خبره وفي متعلقه بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه
المذكور اي خاسر في الاخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصوله لان ما بعدها
لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا
ان اجلدا يا ايها الذين امنوا شروع في بيان الشرايع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم
الى الصلوة اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل
بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها
او اذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها على الاخر وظاهر الاية الكريمة يوجب الوضوء على
كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيا لم تكن تصنعه
فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا
مسلم له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينه دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو

بدله

بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه
بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات
صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المائدة من
اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك
خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم
قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة له عليه وانما هو امر
يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القران من اوله الى اخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول
والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الاية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم
بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب
ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فان الفارق بين قولك مسحت المنديل و مسحت
بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل فالصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي
الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب
فاوجب الشافعي اقل ما يطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفه ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
مسح على ناصيته وقدرها بربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين بالنصب
عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا
وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القران كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم ونظايره وللنحاة في ذلك باب
مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه
وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا
وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر
بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او
على سفر اي مستقرين عليه او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فامموا صعيدا
وقد مر تفسير الاية الكريمة مشبعا في سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ما
يريد الله اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلاة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الامتثال به
ولكن يريد ما يريد بذلك ليطهركم اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او
ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما
يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم
التطهير بالماء وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه
انعامه عليكم بعزايمه لعلكم تشكرون نعمته ومن لطايف الاية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها
مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل و
مسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان التهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول
الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام
لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اي عهده الموكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى

واذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم المحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام واتقوا الله اي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها الذين امنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط اي بالعدل ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنآن قوم اي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء بشأنه وتنبيها على انه ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة واجر عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الايات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان كون المخلوق من مناضهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد

ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج اللازمين للكف بعد المد اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم وذلك ما روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا اقدموا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلاة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليهما السلام وقيل هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله تعالى فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستأنف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم ليتجسسوا لقيهم عوج بن عنق وكان



طوله ثلثه الاف وثلثمائه وثلثه وثلثين ذراعا وقد عاش ثلثه الاف سنة وكان على راسه حزمة حطب
فاخذهم وجعلهم فى الحزمة وانطلق بهم الى امرائه وقال انظرى الى هولاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا
فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلى فقالت لا خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل فجعلوا يتعرفون
احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بنى
اسرايل بخبر القوم ارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان هما يريان رايهما
فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقد رجل
فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى
فرسخا فى فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها
على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذى لراسه فانثقبت فوقعت
فى عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فنزا فى
السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى
حزوا راسه **وقال الله** اى لبنى اسرايل خطابا لهم الحاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما
ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما تضمنه الكلام من الوعد **انى معكم**
اى بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون وما يذرون و
على كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد فى الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه
قيل انى معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو
الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بنى اسرايل الذين يتقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر
والنهى واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى **لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلى**
اى بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما
من الفروع المترتبة عليه لما انهم معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة
المقارنة بينه وبين قوله تعالى **وعزرتموهم** اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم
والتوقير والثناء بخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف **واقرضتم الله** بالانفاق فى سبيل الخير او بالتصدق
بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا **قرضا حسنا** اما مصدر موكد وارد على غير صيغة المصدر كما
فى قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض
وقوله تعالى **لاكفرن عنكم سيئاتكم** جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط **ولادخلنكم
جنات تجرى من تحتها الانهار** عطف على ما قبله داخل معه فى حكم الجواب متاخر عنه فى الحصول ايضا ضرورة
تقدم التخلية على التحلية **فمن كفر** اى برسلى او بشىء مما عدد فى حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر
على بيان حكم من امن تقوية للترغيب بالترهيب **بعد ذلك** الشرط الموكد المعلق به الوعد العظيم الموجب
للايمان قطعا **منكم** متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا
على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث
الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل
على الحدوث بيان ترقيهم فى مراتب الكفر فان الاتصاف بشىء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان
استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث **فقد ضل سواء السبيل** اى وسط الطريق

الواضح ضلالا بينا واخطأه خطا فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون
له شبهة ويتوهم له معذرة **فبما نقضهم ميثاقهم** الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه فى
النفس اى بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشىء اخر استقلالا او انضماما **لعناهم** طردناهم وابعدناهم من رحمتنا
او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد
بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية الشىء البسيطة
على هليته المركبة للايذان بان تحققهما امر جلى غنى عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية
والمسببية **وجعلنا قلوبهم قاسية** بحيث لا تتاثر عن الايات والنذر وقيل امليناهم ولم نعاجلهم
بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهى اما مبالغة قاسية
واما بمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اى ردى اذا كان مغشوشا اليبس وخشونة وقرئ بكسر القاف
اتباعا لها بالسين **يحرفون الكلم عن مواضعه** استيناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم
مما يصحح الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار
وقيل حال من مفعول لعناهم **ونسوا حظا** اى تركوا نصيبا وافرا **مما ذكروا به** من التورية او من اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه
قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية **ولا تزال تطلع على خائنة منهم** اى خيانة على انها مصدر
كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اى ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء للمبالغة او نفس
خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اى على خيانة او على
فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة
لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم **الا قليلا منهم** استثناء
من الضمير المجرور فى منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين
امنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثانى فالمراد بالقليل الفعل القليل و
من ابتدائية كما مر اى الا فعلا قليلا كائنا منهم **فاعف عنهم واصفح** اى ان تابوا وامنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف **ان الله يحب المحسنين** تعليل للامر وحث على الامتثال
وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم**
بيان لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا والتقدير و
اخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال احدى
الطائفتين مما يوقع فى ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا اخذنا
ميثاقهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدا محذوف قامت صفته او جملته مقامه اى ومنهم
قوم اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما فى الوجه الاول فراجع الى الموصول
وقيل راجع الى بنى اسرايل اى اخذنا من هولاء ميثاق اولئك اى مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وبما
يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى
ايذانا بانهم فى قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى
فى شىء او اظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعى
ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه **فنسوا** عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم **حظا وافرا مما ذكروا**



به في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مرّ انفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من
ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية
ويعقوبية وملكانية انصار الشيطان فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غرى بالشي اذا لزمه ولصق
به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله
اي اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله
تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون الى يوم القيمة
حسبما يقتضيه اهواؤهم المختلفة واراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلث فضمير بينهم
لهم خاصة وقيل لهم وللبهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم
الله بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت اي
اجازيهم به محمول على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكّروا به وسوف لتاكيد
الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن
العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما
يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في افادة العلم بحقيقة حالها
بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية
والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله
عليه وسلم والقران وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدّر به على ما يتعلق بالكتاب
وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد
فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب
اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان
اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب اي التورية والانجيل كبعثة محمد عليه السلام واية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد
عليهما السلام في الانجيل وتاخير كثيرا من الجار والمجرور لما مرّ مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من
تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب
تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن في الموجز بتفصيل ربما يخل تقديمه
بتجاذب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها
صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي و
المستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار حال كونه من
الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به ويعفو عن كثير اي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية
دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على
عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم
ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستانفة مسوقة لبيان ان فائدة مجيء الرسول ليست
منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا
او بمحذوف وقع حالا من نور واياما كان فهو تصريح بما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل

وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق الى الجائي ولان فيه نوع
طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين و
تنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله وكتاب مبين القران لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي
على الناس من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول
هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني القران يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات
او لكونهما في حكم الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار
كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب والنصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة
من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اي طرق السلامة
من العذاب والنجاة من العقاب او سبيل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان
ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يعدّى الى الثاني بالى
او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما
ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان
باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة
وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما
في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل
في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة
وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود لزمهم القول بان المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله
الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اي تبكيتا
لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا
فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على
حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع
ان يمسك شيئا منهما ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون
الها ان لا يتعلق به ولا بشان من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان
يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه و
المراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي
نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل
تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد مع تحقق الالزام و
التبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الله ان اراد الخ لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل
ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة
الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكده فيظهر استحالة الوهيته
قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من الله شيئا
ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد

على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لساير المخلوقات فى كونه عرضة للهلاك
كما انه اسوة لها فى ما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها فى ضمن من
فى الارض لزيادة تاكيد عجز المسيح ولعل نظمها فى سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك
لتاكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل
فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن فى الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد
فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله ولله ملك السموات والارض وما بينهما اى ما بين قطرى
العالم الجسمانى لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما فى السموات من الملكة وما فى اعماق
الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض
اى من فى الارض كذلك اى له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما
واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان
انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك
والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة فى امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص اى يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها
النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اى خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات
والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق ادم وكثير من الحيوانات ومن
اصل مجانسه اما من ذكر وحده كخلق حوا او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق ساير
الناس ويخلق بلا توسط شىء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق اخر كخلق الطير
على يد عيسى عليه السلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب
كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شىء قدير اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما
قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان
بطلانه اى قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع
ابى خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقال اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال
ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب
الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون فى الانجيل ان المسيح قال
لهم انى ذاهب الى ابى وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا فى الحنو والعطف ونحن كالابناء له فى
القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على ساير الخلق فرد عليهم
ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اى الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اى ان صح
ما زعمتم فلاى شىء يعذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم فى الاخرة بالنار
اياما بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله
تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اى
من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم
الذين امنوا به تعالى وبرسله ويعذب من يشاء ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم

ولله ملك السموات والارض وما بينهما من الموجودات لا ينتمى اليه سبحانه شىء منها الا بالمملوكية و
العبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا
فانى لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير فى الاخرة خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازى كلا
من المحسن والمسىء بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب
بطريق الالتفات ولطف فى الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وايثاره على مبينا لما مر
فيما سبق اى يبين لكم الشرايع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين فى الايات
السابقة من بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سياتى من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور
ان مجىء الرسل انما هو لبيانها او يفعل لكم البيان ويبذله لكم فى كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين و
اما تقدير مثل ما سبق فى قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فائدة
يرده قوله عز وجل على فترة من الرسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحى انما يحوج الى بيان الشرايع
والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى ومزيد احتياج الى بيان الشرايع
والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اى يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة
من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اى كائنة
من الرسل مبتدئة من جهتهم وقوله تعالى ان تقولوا تعليل لمجىء الرسول بالبيان على حذف المضاف
اى كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم فى مراعاة احكام الدين ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد
انطمست اثار الشرايع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من فى الفاعل للمبالغة فى نفى المجىء وتنكير بشير
ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضى بان المقدر او المنوى فيما سبق هو الشرايع والاحكام لا كيفما كانت
بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف
ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اى لا تعتذروا بذلك
فقد جاءكم بشير ونذير اى بشير ونذير والله على كل شىء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعله
بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبى وعلى الارسال بعد الفترة
كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة او
خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبى ثلثة من بنى اسرائيل وواحد من
العرب خالد بن سنان العبسى وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله عليهما السلام وهو الانسب بما فى تنوين
فترة من التفخيم اللايق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضى دهر
طويل بعد انقطاع الوحى ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم
الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه جملة مستانفة
مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من
حيث ان ما ذكر فيه من الامور التى وصف النبى صلى الله عليه وسلم ببيانها ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة
الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب
وصرف عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اى واذكر لهم وقت قول موسى لقومه
ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت

دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر
الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان
ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف وقع
حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى
اذ جعل فيكم انبياء اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله
فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شان خطير حيث لم يبعث من امة من الامم ما بعث من بني
اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه
قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر وجعل الكل في مقام الامتنان
عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله
لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب اليه ولو مجازا
من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل
الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال
وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن
والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل
من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان الامر
ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبيا
ومسكن المومنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام التي
كتب الله لكم اي كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة
عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتب الخيبة والخسران على الارتداد
يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة
فالجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم
من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا من دينكم
بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على
جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استئناف مبني على
سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بمقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين
بذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتي
الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اي اجبره
عليه وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها فان
يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون حينئذ اتوا بهذه الشرطية
مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على
ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق
دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر
قال رجلان استئناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان

من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قراءة ابن مسعود
رضي الله عنهما وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو
اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقبا وقيل هما رجلان من الجبابرة
اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فالواو حينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة واليهم يعود العائد
المحذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول
اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم
الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان
وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اي
قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام
به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم
من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحراب مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون
من غير حاجة الى القتال فانا قد رايناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة
فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة
لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى في نصرة
رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة
بالدخول وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل
من التاثير وانما التاثير من عند الله العزيز القدير ان كنتم مومنين اي مومنين به تعالى مصدقين
لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استئناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما
وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام
يا موسى انا لن ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم ابدا اي دهرا
طويلا ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف بيان فاذهب
الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم انما قالوا ذلك
استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ
عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني
كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده
قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هارون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤوا بقتالهم وقوله
تعالى انا ها هنا قاعدون يؤيد الوجه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التاخر قال عليه السلام
لما راى منهم ما راى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي
بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب اني لا املك الا نفسي واخي عطف على نفسي وقيل
على الضمير في اني على معنى اني لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا
املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله وبين
القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما
يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اي الارض المقدسة والفاء

لترتب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها
لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين
وقوله تعالى اربعين سنة ان جعل ظرفا للحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله
تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها
بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان
يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه عليه السلام وقيل لم يدخلها احد
ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى عليه السلام النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالاربعين
في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد و
قوله تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون في البرية استيناف لبيان كيفية حرمانهم او حال من
ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة الف مقاتل
وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل في ستة
فراسخ في اثني عشر فرسخا روي انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا
وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا
يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع
انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق العرك والتاديب قيل كان موسى وهرون معهم ولكن كان ذلك
لهما روحا وسلامة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هرون مات في التيه ومات
موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم
فانه تعالى بعدما قبل دعوته على بني اسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد ان ينجي بعض المدعو عليهم او ذراريهم
ويعيد وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقد قيل انهما لم يكونا
معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق
بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تاس فلا تحزن على القوم الفاسقين روي انه عليه السلام
ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على
مقدر تعلق به قوله تعالى واذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سياتي من جنايات
بني اسرائيل بعدما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات نبا ابني ادم هما
قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة اخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز
وجل الى ادم ان يزوج كلا منهما توامة الاخر وكانت توامة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليه اخاه وسخط
وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة ادم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما
قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا و
فعل ما فعل بالحق متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حالا من
فاعل اتل او من مفعوله اي ملتبسا انت او نباهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين اذ قربا
قربانا منصوب بالنبا ظرف له اي اتل قصتهما ونباهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف
اي اتل عليهم نباهما نبا ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم
لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل

تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت
نار فاكلته ولم يتقبل من الاخر هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب اردا ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار
اصلا قال استيناف مبني على سؤال نشا من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه
لتضاعف سخطه وحسده بما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اي والله لاقتلنك بالنون المشددة
وقرئ المخففة قال استيناف كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه لما راى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول
قربان نفسه انما يتقبل الله اي القربان من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا
من التقوى وعدمه اي انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك
التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل
لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد
لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم
وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب
القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتاكيد
النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى
وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام
الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار
بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني
به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله اني اخاف الله رب
العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده ما لا يخفى كانه قال اني اخافه تعالى ان
بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عدوانك عني فما ظنك بحالك وانت البادي
العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم
خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وياباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة
المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل اخر لامتناعه عن
المعارضة على انه غرض متاخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما
في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت
يدي اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد
المظلوم اي على البادي عين اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى
باثمك اثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل
مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة
عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلا وياباه قوله عز وعلا فتكون من اصحاب النار فان كونه
منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع اخر يترتب عليها العقوبة
النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة

والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه
اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها
ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرارا
عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ او لان هذه
المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما
حصلت بعد الوقوف على استسلام هابيل وعدم معاوضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه
وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم
تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل له ابليس
واخذ طائرا ووضع راسه على حجر ثم شدخها بحجر اخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم
لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنه واختلف في موضع قتله
فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل نود ولما قتله تركه بالعراء لا يدري
ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنه حتى اروح وعكفت
عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتاكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا
يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر
فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في ليريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقه
ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي
يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت قال استيناف مبني على سؤال نشا من سوق الكلام كانه
قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء
المتكلم والمعنى يا ويلتى احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون
مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله
فاواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري فاصبح من النادمين اي على قتله لما كابد
فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله
ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث ادم بعده مائة سنة
لا يضحك وقيل ان قابيل لما قتل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان
هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من
عبد النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض اخر من جنايات بني
اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شان القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة
من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه له
تحرجا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين
دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في
الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته
وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف
الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل وتقديمها

عليه للقصر اي من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء اخر اي قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفسا واحدة من
النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها
وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته
لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي
على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين
اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما
معا ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده مفيدا نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد
على النفي مفيدا نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط
بتحقق احد شيئين فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء
احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول
هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فيثبت اشتراط نقيض
الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت
صلوته مشروطا بتحقق احدهما مبهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا
بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين
الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا
انه اذا قيل جالس العلماء والزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم اثما او كفورا اذ
المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما في قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته فحيث كان الحكم
فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا
بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما لا بعينه الا ان
القتل مشروط باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا ففي ورود
النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه
او بغير فساد فقد بعد عن توجيه النظم الكريم حقه وما في كانما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا
حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله
تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم ومن
احياها اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي
قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيا الناس جميعا ووجه
التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب
الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان
عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم
له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال
العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل
على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالايات الواضحة الناطقة

بتقريره ما كتبنا عليهم تاكيد الوجوب مراعاته وتأييد التحتم المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر
من الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير
للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو
درجته وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى
لمسرفون وكذا الظرف المقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها
الدخول على المبتداء وانما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد
عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان الاحياء وجودا
وذكرا وكان هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
كلام مستانف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه
العاجل والآجل اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح
للقتل قيل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل
شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة
دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج
في تعميمه لغيرهم الى دليل اخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ولرسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون
اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر
ويسعون في الارض عطف على يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع
الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له اي للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على
انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو امن لا يهاج ومن مر
بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من
قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين
وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله عليه السلام عهد فنقضوا العهد وقطعوا
السبيل وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون
اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرع لكل مرتبة من تلك المراتب
عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا
يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة اولا او يصلبوا اي مع القتل
ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء ويبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام
مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل
في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي ايديهم اليمنى
وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا
منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمته اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق
بتفويت امنه او ينفوا من الارض ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو
الحبس فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الا

وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط و
كانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك اي ما فصل
من الاحكام والاجزية قيل هو مبتداء وقوله لهم خزي جملة من خبر مقدم على المبتداء وقوله تعالى
في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على انها خبر
لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا
اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة ولهم في الآخرة غير هذا عذاب عظيم
لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتداء مؤخر وفي الآخرة متعلق
بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كائنا في الآخرة الا الذين
تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى
فاعلموا ان الله غفور رحيم اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاءوا
عفوا وان شاءوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه ان
الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شان القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته
تعالى لمن تاب من جنايته امر المؤمنون بان يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه
من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في احياء
النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار وابتغوا اي اطلبوا لانفسكم اليه
اي الى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل
الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به
وليست بمصدر حتى لا يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المامور به فانه ملاك الامر كله كما
اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة ح جارية مما قبلها مجرى البيان والتاكيد
او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل
الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة
عقب الامر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة لعلكم تفلحون
بنيل مرضاته والفوز بكراماته ان الذين كفروا كلام مبتداء مسوق لتاكيد وجوب الامتثال بالاوامر
السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة
توسل الكفار يوم القيمة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم
اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الخ لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من
تهويل الامر وتفظيع الحال ما في الارض اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو
اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بالاخلاف خلا انه عند سيبويه رفع على الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر
لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل
الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كون ما في
الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اي لو ثبت
ان لهم ما في الارض وقوله تعالى جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله بالنصب عطف عليه



وقوله تعالى معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدة التصريح بفرض كينونتهما
لهم بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لافراد
الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر
في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا او بالفعل المقدر بعد لو على راى المبرد ومن نحا
نحوه ولا ريب في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به
متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى
اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول
والعايد الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله فاني وقيار بها لغريب اي وقيار بها
غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو بناء على مذهب
المبرد ومن راى رايه وانت خبير بانه يؤدي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لان المعنى
على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ
لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار
لا يعملان في المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر
وقوله تعالى من عذاب يوم القيمة متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم
ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على
كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب
عليه لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الفرض تملكهم على ما
ذكروا وللمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى انا اتيك به قبل ان
يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فراه فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت
اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن ورؤيتهن له والجملة الامتناعية
بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة
والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارايت لو كان لك ملؤ الارض ذهبا اكنت تفتدي
به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب اليم
تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقرير وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على
الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف على ان الذين الخ لا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان
يخرجوا من النار استيناف مسوق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشاء مما قبله
كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيفه ان عذابهم
عذاب النار قيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهنالك
يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل كادوا يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل
يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل وما هم بخارجين منها اما حال من فاعل يريدون او
اعتراض واياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على
تاكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة
المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى ما انا بباسط

الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه انفا من عدم تناهي مدته
بعد بيان شدته والسارق والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت
اقتضاء الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة
ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد
الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتداء خبره عند سيبويه محذوف تقديره فيما يتلى عليكم او وفيما
فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتداء
معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء
لا يقع خبرا الا باويل واضمار والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ
يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موضعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن
مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في
قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج
الى ان القطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء
نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر موكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء
وقوله تعالى بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة
اي بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية من جزاء
لانهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة
الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب
معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وقد اجازوا في قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل
الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل
الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف
وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند
ينازعه ولا ضد يمانعه حكيم في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه
الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب من السراق الى الله تعالى من بعد ظلمه الذي هو
سرقة والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته واصلح اي
امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته
فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا يسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ويسقطه عند الشافعي في
احد قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار
الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة وكذا في قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات
والارض مبتداء والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من
تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب
والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سياتي من
التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان

للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه
مشيئته يعذب من يشاء ان يعذبه ويغفر لمن يشاء ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم
التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض
له سبحانه او خبر اخر لان والله على كل شئ قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار فى موضع
الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبله يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر خوطب صلى
الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة فى الشئ الوقوع فيه بسرعة
ورغبة وايثار كلمة فى على كلمة الى الواقعة فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الى انهم
مستقرون فى الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض اخر منها كاظهار
موالاة المشركين وابراز اثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما فى قوله تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات
فانهم مستمرون على الخير مسارعون فى انواعه وافراده والتعبير عنه بالموصول للاشارة بما فى حيز صلته الى مدار
الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم فى الكفر لكنه فى الحقيقة
نهى له عليه السلام عن التأثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده فان النهى عن اسباب الشئ ومباديه المؤدية
اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وقلع له من اصله وقد يوجه النهى الى المسبب ويراد به النهى كما فى قوله لا ارينك ههنا
يريد نهى مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاء وقرئ يسرعون
يقال اسرع فيه الشيب اى وقع فيه سريعا اى لا تحزن ولا تبال بتهافتهم الى الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين
قالوا امنا بافواههم بيان للمسارعين فى الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من
الموصول اى كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بامنا وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية
من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم
بيان المسارعين فى الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ
محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الاتى ومباديه
للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبرا الى ان قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف اى ومنهم
قوم سماعون الخ لادائه الى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم
فالوجه ما ذكر اولا اى هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كى و
المفعول محذوف والمعنى هم مبالغون فى سماع الكذب او فى قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله
سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل
والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم
ونحو ذلك فيما فيه ضرر بهم وايا ما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهى فان كونهم سماعين للكذب
على الوجوه المذكورة وابتناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضى عدم المبالاة بهم
وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الاقاويل
الفاسدة المؤدية الى الخزى والعذاب كما سيأتى وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى
سماعون لقوم اخرين خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين
الاولين واللام مثلها فى سمع الله لمن حمده فى الرجوع الى معنى من اى قبل منه حمده والمعنى مبالغون فى قبول
كلام قوم اخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم اخرين وجهوا عيونا

ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثانى مكرر للتأكيد بمعنى
سماعون ليكذبوا لقوم اخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى لم يأتوك صفة اخرى
لقوم اى لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا فى البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة
وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على
استقلالهم واصالتهم فى الرأى والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال
طغيانهم فى الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم فى العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء
على الله عز وجل وتعيين للكذب الذى سمعه السماعون اى يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه
الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده وقيل الجملة
مستأنفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله
تعالى يقولون كالجملة السابقة فى الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونهما
صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وان مقول القول ناطق بان قائله
لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون
اليه عليه السلام لمن لا يحوم حوله قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخالطين للمسلمين بعسف ظاهر
وخلل بجزالة النظم الكريم والحق الذى لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الاخرون اى يقولون لاتباعهم
السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول
صلى الله عليه وسلم هذا المحرف فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا
اى فاحذروا قبوله واياكم واياه وفى ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة فى التحذير
ما لا يخفى روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فى التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما
فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد و
التحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال
جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض اعور
يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم فهو اعلم يهودى على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران
فى التورية قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام
وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر وانجاكم واغرق ال فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن
والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التورية فيها حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن
قال نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان تحرقنى التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف
هى فى كتابك يا محمد قال عليه السلام اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل فى المكحلة
وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذى انزل التورية على موسى هكذا انزل الله فى التورية على موسى فوثب
عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبى الامى العربى الذى بشر به
المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته
اى ضلالته او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك

للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها والجملة مستانفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن قبائح المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عنهما بالكلية عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر وشرح فنون ضلالاتهم اخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدا ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى ولهم في الاخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكريرهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتاكيد والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الاية سماعون للكذب خبر اخر للمبتدا المقدر كرر تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر اخر للمقدر وارد على طريقة الذم او بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الاكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استاصله سمي به لانه مسحوت البركة و المراد به ههنا اما الرشى التي كان ياخذها المحرفون على تحريفهم وساير احكامهم الزائغة وهو المشهور او ما كان ياخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل ولما اطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ للسحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فان جاؤك لما بين تفصيل امورهم الواهية و احوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة بهم وباباطيلهم حسبما امر به عليه السلام خوطب عليه السلام ببعض ما يبتني عليه الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الامرين فقيل هو في امر خاص وما ذكر من زنا المحصنين وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة اخوان بني النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سوا وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد و عكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا ايتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان

ان لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام الا لطلب الايسر و الاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فيشتد عداوتهم ومضادتهم له عليه السلام فامنه الله عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه ومحذور وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التورية ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدا فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتاكيد الاستبعاد والتعجيب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا انزلنا التورية كلام مستانف سيق لبيان علو شان التورية ووجوب اتباع احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التورية فان ما فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التوراة فتكون حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنوير شان الصفة فان ابراز وصف في معرض مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي

يحكمون فيما بينهم واللام اما للبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا
واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كانه امر
نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر
عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع
صفة لهما اى هدى ونور كائنان للذين هادوا والربانيون والاحبار اى الزهاد والعلماء من ولد هارون
الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضى الله عنهما الربانيون الذين يسوسون
الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحدهم حبر بالفتح والكسر والثانى افصح
وهو راى الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون
اى هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل فى الحكم بها وحمل الناس
على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم فى ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما
استحفظوا اى بالذى استحفظوه من جهة النبيين وهو التورية حيث سالوهم ان يحفظوها من التغيير
والتبديل على الاطلاق ولا ريب فى ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم فى اجراء احكامها من غير
اخلال بشئ منها وفى ابهامها اولا ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة
وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير
من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتى فى قوله تعالى بها لئلا يلزم
تعلق حرفى جر متحدى المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اى ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما
حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسالوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم
ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالصواب مشعر بسببية
الحفظ المترتب لا محالة على ما فى حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله
تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اى ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذى سالهم
انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء اى رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير
والتبديل بوجه من الوجوه وتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها
لاعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير فى استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على
ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اى كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا
تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهى
بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهى على ما فصل من حال التورية وكونها معتنى بشانها فيما بين
الانبياء ومن يقتدى بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب
عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها باى وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار جرائتهم
على ذلك خشية ذى سلطان او رغبة فى الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اى اذا كان شانها كما ذكر
فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا فى مراعات احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم
واخشون فى الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا باياتى الاشتراء
استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شئ بدلا
مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى ونبذ كما فصل فى تفسير قوله

تعالى واولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا باياتى التى فيها بان تخرجوها منها او تتركوا
العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وساير الحظوظ الدنيوية فانها وان
جلت قليلة مسترذلة فى نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى الذى
هو العمدة فى عقود المفاوضة والمقصد الاصلى بالثمن الذى شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت
الايات التى حقها ان يتنافس فيها المتنافسون فى معرض الالات والوسائط حيث قرنت بالباء التى
تصحب الوسائل ايذانا بمبالغتهم فى التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى
مقصدا ومن لم يحكم بما انزل الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا
اوليا اى من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف ايات الله تعالى اقتضاء
بينا فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون
لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتداء ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله فى
مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير
حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة
ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا
عطف على انزلنا التورية عليهم اى على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بنى اسرائيل فيها
اى فى التورية ان النفس بالنفس اى تقاد بها اذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين
اذا فقئت بغير حق والانف يجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن
المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن المقلوعة بغير حق والجروح قصاص اى ذات قصاص
اذا كانت بحيث يعرف المساواة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت
وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الخ بالرفع عطفا على ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس
اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التى هى قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع
عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقراءة سورة انزلناها فمن تصدق اى من المستحقين به اى
بالقصاص اى فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة فى الترغيب فيه فهو اى التصدق كفارة
له اى للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجانى اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه
وقرئ فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ وهو تعظيم
لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمراة من اليهود
تناولا بينا بما انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا
فاولئك هم الظالمون المبالغون فى الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشئ فى غير موضعه
والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على اثارهم شروع فى بيان احكام الانجيل
اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية اى اثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان
اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اى قفيناهم بعيسى ابن مريم اى ارسلناه
عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى عليه السلام واتيناه الانجيل عطف على
قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما فى التورية وهو فى محل النصب على انه حال من الانجيل
اى كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج فى ذلك

شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف على داخل في حكم الحالية وتكرير
ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في
سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظه
بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدا له
لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلايل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته
وما قررته الشريعه الشريفه من احكامه واما احكامه المنسوخه فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل
هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعه
شهادة بنسخها وبان احكامه قررته تلك الشريعة التي تشهد بصحتها كما سياتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم
على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل الاية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على اتيناه
اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرى وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كانه
قيل واتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرى على صيغه المضارع ولام التعليل على انها
متعلقه بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه اتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظه
على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة اتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل
الله منكرا له مستهينا به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل
مقرر لمضمون الجمله السابقه وموكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلاله على ان الانجيل مشتمل
على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مامورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او
كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية
خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته
جميع الاوصاف الكماليه لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقيه افراده وهو القران الكريم فاللام للعهد
والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا موكدة
من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله تعالى
مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل
حسبما نعت فيه او من حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس
والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب
تغير الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقه بل هي موافقه لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام
حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور امر الشريعه وليس في المتقدم دلاله على ابدية
احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتاخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها
وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى
من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان جنس براسه
وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد الا ان ذلك
لا بالنسبة الى الخصوصية الفردية بل الى خصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر
ومن الكتاب السماوي ايضا حيث خص بما عدا القران ومهيمنا عليه اي رقيبا على ساير الكتب
المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرايعها وما يتابد من فروعها

وتعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها
ولا ريب في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعيه ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من
احكام كونه مهيمنا عليه وقرى ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هو من عليه وحفظ من التغيير والتبديل
كقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من جهته تعالى كما في قوله تعالى انا
نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ في الاعصار والامصار والفا في قوله فاحكم بينهم لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان كون القران العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزله على الامم مهيمنا عليه
من موجبات الحكم المامور به اي اذا كان شان القران كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم
اليك بما انزل الله اي بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقيه في الكتب الالهيه
وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز
الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم
الزايغه عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقه بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه
كانه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم
عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول
الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجي الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستانف جي به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام
على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل اليه من القران الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من
الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفه والخطاب بطريق التلوين
والالتفات كافة لكن لا للموجودين خاصه بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقه بجعلنا
المتعدي لواحد وهو اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة
لما عوض عنه تنوين ولا ضير في توسيط جعلنا بين الصفه والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ
وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امه كاينة منكم ايها الامم الباقيه والخاليه جعلنا اي عينا ووضعنا
شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامه لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من
مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث عيسى الى
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم الفرقان ليس الا فامنوا
به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعه هي الطريقه الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما
هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانيه والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر
اذا اوضح وقرى شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرايع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون
باحكامها الباقيه من حيث انها احكام شرعنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في
شيء من الاحكام الدينيه ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيه محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء
الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم
متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اي ولكن لم يشاء ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة
الالهيه الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما اتاكم من الشرايع المختلفة المناسبة

لاعصارها وقرونها هل تعلمون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على
اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون
المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الابتلاء
بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله
عز وعلا فاستبقوا الخيرات اى اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد
الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القران الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل
والتقدم ففيه من تاكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى
الى الله مرجعكم استيناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد
وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل
مبني للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اى
فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في
الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان
احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض
لعنوان انزاله تعالى اياه لتاكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية
انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تاكيد له وتمهيد لما بعده من قوله تعالى
واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير
الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتاكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم
اى احذر فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتاكيد التحذير بتهويل الخطب
روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة
فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فان تولوا اى اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم اى بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا
مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها
يريد نفسه اى نفسا كبيرة ونفسا اى نفس وان كثيرا من الناس لفاسقون اى متمردون في الكفر
مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية
يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايتولون عن حكمك
فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتاكيد الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه
وسلم وطلب حكم اخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي
متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون
حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا
عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية

من التفاضل فقال عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم
على انه مبتدا ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف
ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اى قل لهم افحكم
الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اى افحاكما كحكام الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما انكار لان
يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساويا له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها
وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون اى عندهم
واللام كما في هيت لك اى هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا
ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين امنوا خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين والمخلصين
وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على
الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فان تذكير اتصافهم بضد
صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اى لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم
ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه
لا يتعلق به النهي بعضهم اولياء بعض اى بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض اخر من ذلك
الفريق لا من الفريق الاخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة
بين فريقي اليهود والنصارى راسا والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهي وتاكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي
عنه اى بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما ياتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل
على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله
تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم مستنتج منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من
يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم
من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة
لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين تعليل لكون من يتولاهم
منهم اى لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشانهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم
تنبيها على ان توليهم ظلم لما انهم تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء في غير موضعه وقوله تعالى
فترى الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان
بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل احد ممن له
اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اى لا يهديهم بل يذرهم وشانهم فتراهم الخ وانما وضع موضع
الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته الى انما ارتكبوا من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة
العقد في الدين وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان و
الرؤية قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اى تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة
في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة و
انما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض اخر منها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون
عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على ان الضمير
لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية

قلبية اي وترى القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما
في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغا والمراد بهم عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون
في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المومنين بانهم لا يومنون ان تصيبهم صروف الزمان
وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة
التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا دائرة من دواير الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر ويكون الدولة
للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطون الميرة والقرض روي
ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم
واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر
لا ابراء من ولاية مواليّ وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمومنين انه يريد بالدواير المعنى الاخير ويضمر
في نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان ياتي بالفتح رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع
لاطماعهم الفارغة وتبشير للمومنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع
اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان ياتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو راي الاخفش او على
انه مفعول به وهو راي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث في مثل عسى زيد ان يقوم والمراد
بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل
هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده بقطع شافة اليهود
من القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على ياتي داخل معه
في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل
الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك في
امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على
الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها ويقول الذين امنوا كلام مبتدا
مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل
فماذا يقول المومنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على يصبحوا وقيل على ياتي باعتبار المعنى كانه
قيل عسى ان ياتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن المومنين عند ظهور
ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين امنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين
الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء
عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به
تعجبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اي
بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتداء وما بعده خبره والمعنى
انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطيهم في ذلك او يقول بعض المومنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا
اهولاء الذين اقسموا للكفرة انهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقديرين الا انه على الاول من جهة
المومنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية
لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه
على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه

لفظا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى
حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء
الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان
للمبتدا عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما في حيز صلته
صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم
والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شان موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا
بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما
لا يخفى وقيل قاله بعض المومنين مخاطبا للبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى على
انفسهم من التوفيق للاخلاص اهولاء الذين اقسموا لكم بمغلظات الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم
على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في راي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المومنين
انما يليق بما لو اظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المومنين ومعاضدتهم
على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في راي اعين
المومنين ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلاف
ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس في ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم
في ادعائهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما اظهروه من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة
يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم
لما نهي فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل
مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي
اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على
بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل والى سادات
اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر
به المسلمون وقبض عليه السلام من الغد واتى خبره في اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة
الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله عليه السلام من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان
الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد
فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل
على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس
وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام
فاسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم
قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم
قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في
كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم
الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر وفرقة واحدة

فی عهد عمر رضی الله عنه غسان قوم جبلة بن الایهم نصرته اللطمة وسیرته الی بلاد الروم وقصته مشهورة
وقوله عز وجل فسوف یاتی الله جواب الشرط والعاید الی اسم الشرط محذوف ای فسوف یاتی الله مکا
بعد اهلاکهم بقوم یحبهم ای یرید بهم خیری الدنیا والاخرة ومحل الجملة الجر علی انها صفة لقوم وکذا
قوله تعالی ویحبونه ای یریدون طاعته ویتحرزون عن معاصیه معطوف علیها داخل فی حکمها قیل
هم اهل الیمن لما روی ان النبی صلی الله علیه وسلم اشار الی ابی موسی الاشعری وقال قوم هذا وقیل هم
الانصار رضی الله عنهم وقیل هم الفرس لما روی انه علیه السلام سئل فضرب بیده الکریمة علی عاتق سلمان
وقال هذا وذووه ثم قال لو کان الایمان معلقا بالثریا لناله رجال من ابناء فارس وقیل هم الفان من النخع
وخمسة الاف من کندة وثلثة الاف من افناء الناس جاهدوا یوم القادسیة اذلة علی المومنین جمع
ذلیل لا ذلول فان جمعه ذلل ای ارقاء ورحماء متذللین ومتواضعین لهم واستعماله بعلی اما لتضمین
معنی العطف والحنو او للتنبیه علی انهم مع علو طبقتهم وفضلهم علی المومنین خافضون لهم اجنحتهم او لرعا
المقابلة بینه وبین ما فی قوله تعالی اعزة علی الکافرین ای اشداء متغلبین علیهم من عزه اذا غلبه
کما فی قوله عز وعلا اشداء علی الکفار رحماء بینهم وهم صفتان اخریان لقوم ترک بینهما العاطف للدلالة
علی استقلالهم بالاتصاف بکل منهما وفیه دلیل علی صحة تاخیر الصفة الصریحة عن غیر الصریحة من الجملة والظرف
کما فی قوله تعالی وهذا کتاب انزلناه مبارک وقوله تعالی ما یاتیهم من ذکر من ربهم محدث وقوله تعالی ما یاتیهم
من ذکر من الرحمن محدث وما ذهب الیه من لا یجوزه من ان قوله تعالی یحبهم ویحبونه کلام معترض وان
مبارک خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمیر محدث تکلف
لا یخفی وقری اذلة اعزة بالنصب علی الحالیة من قوم لتخصصه بالصفة یجاهدون فی سبیل الله
صفة اخری لقوم مترتبة علی ما قبلها مبینة مع ما بعدها لکیفیة عزتهم او حال من الضمیر فی اعزة ولا
یخافون لومة لائم عطف علی یجاهدون بمعنی انهم جامعون بین المجاهدة فی سبیل الله وبین التصلب
فی الدین وفیه تعریض بالمنافقین فانهم اذا خرجوا فی جیش المسلمین خافوا اولیاءهم الیهود فلا یکادون
یعملون شیا یلحقهم لوم من جهتهم وقیل هو حال من فاعل یجاهدون بمعنی انهم یجاهدون وحالهم
خلاف حال المنافقین واعترض علیه بانهم نصوا علی ان المضارع المنفی بلا او ما کالمثبت فی عدم جواز
مباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفیها وفی تنکیر لائم مبالغة لا تخفی ذلک اشارة الی
ما تقدم من الاوصاف الجلیلة وما فیه من معنی البعد للایذان ببعد منزلتها فی الفضل فضل الله ای
لطفه واحسانه لا انهم مستقلون فی الاتصاف بها یوتیه من یشاء ایتاء ایاه وبوفقه لکسبه و
تحصیله حسبما تقتضیه الحکمة والمصلحة والله واسع کثیر الفواضل والالطاف علیم مبالغ فی العلم بجمیع
الاشیاء التی من جملتها من هو اهل للفضل والتوفیق والجملة اعتراض تذییلی مقرر لما قبله واظهار الاسم الجلیل
للاشعار بالعلة وتاکید استقلال الجملة الاعتراضیة انما ولیکم الله ورسوله والذین امنوا لما نهاهم
الله عز وجل عن موالاة الکفرة وعلله بان بعضهم اولیاء بعض لا یتصور ولایتهم للمومنین وبین ان من یتولاهم
یکون من جملتهم بین ههنا من هو ولیهم بطریق قصر الولایة علیه کانه قیل لا تتخذوهم اولیاء لان بعضهم اولیاء
بعض ولیسوا باولیائکم انما اولیاؤکم الله ورسوله والمومنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الی الغیر وانما
افرد الولی مع تعدده للایذان بان الولایة اصالة لله تعالی وولایته علیه السلام وکذا ولایة المومنین بطریق
التبعیة لولایته عز وعلا الذین یقیمون الصلوة ویوتون الزکوة صفة للذین امنوا لجریانه مجری الاسم

او بدل منه او نصب علی المدح او رفع علیه وهم راکعون حال من فاعل الفعلین ای یعملون ما ذکر من اقامة
الصلوة وایتاء الزکوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالی وقیل هو حال مخصوصة بایتاء الزکوة والرکوع رکوع
الصلوة والمراد بیان کمال رغبتهم فی الاحسان ومسارعتهم الیه وروی انها نزلت فی علی رضی الله عنه حین
ساله سائل وهو راکع فطرح الیه خاتمه کانه کان مرجا فی خنصره غیر محتاج فی اخراجه الی کثیر عمل یودی الی
فساد الصلوة ولفظ الجمع حینئذ لترغیب الناس فی مثل فعله رضی الله عنه وفیه دلالة علی ان صدقة التطوع
تسمی زکوة ومن یتول الله ورسوله والذین امنوا اوثر الاظهار علی ان یقال ومن یتولهم رعایة لما مر
من نکتة بیان اصالته تعالی فی الولایة کما ینبی عنه قوله تعالی فان حزب الله هم الغالبون حیث اضیف
الحزب الیه تعالی خاصة وهو ایضا من باب وضع الظاهر موضع الضمیر العاید الی من ای فانهم الغالبون
لکنهم جعلوا حزب الله تعالی تعظیما لهم واثباتا لغلبتهم بالطریق البرهانی کانه قیل ومن یتول هولاء فانهم حزب الله
وحزب الله هم الغالبون یا ایها الذین امنوا لا تتخذوا الذین اتخذوا دینکم هزوا ولعبا روی ان رفاعة بن
زید وسوید بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وکان رجال من المومنین یوادونهما فنهوا عن موالاتهما
ورتب النهی علی وصف یعمهما وغیرهما تعمیما للحکم وتنبیها علی العلة وایذانا بان من هذا شانه جدیر بالمعاداة
فکیف بالموالاة من الذین اوتوا الکتاب من قبلکم بیان للمستهزئین والتعرض لعنوان ایتاء الکتاب لبیان
کمال شناعتهم وغایة ضلالتهم لما ان ایتاء الکتاب وازع لهم عن استهزاء الدین المؤسس علی الکتاب المصدق
لکتابهم والکفار ای المشرکین خصوا به لتضاعف کفرهم وهو عطف علی الموصول الاول وفیه اشعار
بانهم لیسوا مستهزئین کما ینبی عنه تخصیص الخطاب باهل الکتاب فی قوله تعالی یا اهل الکتاب هل تنقمون
منا الایة وقری بالجر عطفا علی الموصول الاخیر ویعضده قراءة ابی ومن الکفار وقراءة عبد الله ومن الذین
اشرکوا فهم ایضا من جملة المستهزئین اولیاء وجانبوهم کل المجانبة واتقوا الله فی ذلک بترک موالاتهم
او بترک المناهی علی الاطلاق فیدخل فیه ترک موالاتهم دخولا اولیا ان کنتم مومنین ای حقا فان
قضیة الایمان توجب الاتقاء لا محالة واذا نادیتم الی الصلوة اتخذوها ای الصلوة او المناداة وفیه دلالة
علی شرعیة الاذان هزوا ولعبا بیان لاستهزائهم بحکم خاص من احکام الدین بعد بیان استهزائهم
بالدین علی الاطلاق واظهار لکمال شقاوتهم روی ان نصرانیا بالمدینة کان اذا سمع المؤذن یقول اشهد
ان محمدا رسول الله یقول احرق الله الکاذب فدخل خادمه ذات لیلة بنار واهله نیام فتطایرت منها
شرارة فی البیت فاحرقته واهله جمیعا ذلک ای الاستهزاء المذکور بانهم بسبب انهم قوم
لا یعقلون فان السفه یودی الی الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو کان لهم عقل فی الجملة لما اجترؤا علی تلک
العظیمة قل امر رسول الله صلی الله علیه وسلم بطریق تلوین الخطاب بعد نهی المومنین عن تولی
المستهزئین بان یخاطبهم ویبین ان الدین منزه عما یصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ویظهر لهم سبب
ما ارتکبوه ویلقمهم الحجر ای قل لاولئک الفجرة یا اهل الکتاب وصفوا باهلیة الکتاب تمهیدا لما سیاتی
من تبکیتهم والزامهم بکفرهم بکتابهم هل تنقمون منا من نقم منه کذا اذا عابه وانکره وکرهه ینقم من
حد ضرب وقری بفتح القاف من حد علم وهی ایضا لغة ای ما تعیبون وما تنکرون منا الا ان امنا بالله
وما انزل الینا من القران المجید وما انزل من قبل ای من قبل انزاله من التوریة والانجیل المنزلین علیکم
وسایر الکتب الالهیة وان اکثرکم فاسقون ای متمردون خارجون عن الایمان بما ذکر فان الکفر بالقران
مستلزم للکفر بما یصدقه لا محالة وهو عطف علی ان امنا علی انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذی هو الدین

مجزوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الذين هزؤا ولعبا عين نقمتهم وانكار
والايمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض علة نقمتهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة
والعكس حيث جعلوه موجبا للنقمه مع كونه في نفسه موجبا القبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اي
ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل الا لان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون
غير مومنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مومنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لامنتم به واسناد الفسوق الى
اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون لكن لا على
ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفه كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا
الايمان وانتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما
اي ما تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وبانكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اي لقلة
انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع اي ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل
هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على
الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقرئ بان المكسورة
والجملة مستانفة مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين قل هل انبئكم بشر من ذلك لما امر صلى الله
عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمتهم للدين انما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم ايضا
وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عليه السلام عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم
عليه من الدين المحرف وينعي عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهج
التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم
شان المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة الى المخبر به والتنبيه المشعرة
بكونه امرا خطيرا لما ان النبأ هو الخبر الذي له شان وخطر وحيث كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة او
اعتقادا وكان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بانقم من ذلك تحقيقا للشرية
وما سيذكر وزيادة تقريرها وقيل انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال عليه السلام او من بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له
مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين
وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت
ان دينهم شر من كل شر اي هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان في نفسه خيرا محضا
مثوبة عند الله اي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير
كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها
على التمييز من بشر وقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدا محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب
لما اشير اليه بكلمة ذلك اي دين من لعنه الخ او بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن اي بشر من اهل ذلك
والجملة على التقديرين استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من الجملة الاستفهامية اما على حالها وهو
الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم واما باعتبار التقدير فيها فكانه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من
لعنه الله الخ او قيل في السوال من ذا الذي هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع
الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم

الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات وسنوح البينات
وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة
عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع
الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع ضمير
الخطاب المناسب لانبئكم للقصد الى اثبات الشرية بما في حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة
البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وافراد الضمير
لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار
معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اي عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة
بصددا اثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع انه الاصل المستتبع لها في الوجود وان دلالته على
شريته بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية
الاثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل
لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم به واما للايذان باستقلال كل من المقدم والموخر
بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب
عليه الخ لربما فهم ان علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة
على انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة حذفت
تاؤه للاضافة بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء
على انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل ان من مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير
المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا
ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كما مر مقدمة سيقت امام المقصود
لهز المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسوال الناشئ
منها وهو المقصود افادته وعليه يدور فلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول بما في
حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذي يلقى اليهم عقبها جوابا عما نشا منها من السوال المحصل
به الالزام والتبكيت واما الجملة الاتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولابد من موافقته في الكيفية
للسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السوال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تتمة
المخبر عنه لا خبرا كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيد اتضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل
وقيل هو الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تاخير
ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما
كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت انما هو شر مما نقموه دينهم او ان من هو شر من اهل ما نقموه انفسهم
بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة الاثبات
لدينهم او لانفسهم عقب ذلك باثباتها لهم على وجه يشعر بعليه ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة
مستانفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال وداخلة تحت الامر تاكيدا
للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل اولئك شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح

شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اى منصرفا واضل عن سواء
السبيل عطف على شر مقرر له اى اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن
الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل
فى الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم فى اصل الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا
نزلت فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اى اذا جاؤكم اظهروا الاسلام وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا
منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب
الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل والله اعلم بما كانوا
يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد شديد لهم وترى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم من اليهود والمنافقين وقوله تعالى يسارعون
فى الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة
المبادرة والمباشرة للشئ بسرعة وايثار كلمة فى على كلمة الى الواقعة فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة
الخ لما ذكر فى قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام
وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الاثام والعدوان اى الظلم
المتعدى الى الغير او مجاوزة الحد فى المعاصى واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر مع اندراجه فى الاثم
للمبالغة فى التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اى لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة
على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية
وقيل كلهم فى اليهود وهو تخصيص للذين يقتدى بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته
على نهى اسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم
لمباشرتهم لهما لبئس ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل فى حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم
يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة
المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى
على العلماء توانيهم فى النهى عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها اشد آية فى القرآن
وعن الضحاك ما فى القرآن آية اخوف عندى منها وقالت اليهود قال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة
والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله
تعالى بان كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن
عازوراء يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما
يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه ممسك يقتر
بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد فى ذلك الى اثبات يد وغل او
بسط الا يرى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما فى قوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت
نداه تلاعه ووهاده ولقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال وغداة ريح قد شهدت وقرة

اذا اصبحت بيد الشمال زمامها فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف فى القرة كيفما
تشاء على طريقة المجاز من غير ان يخطر بالبال ان تثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة
المعنى الحقيقى كما مر فى قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فى سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكى عنهم
بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل المذموم
والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدى حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين فى الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها
فى الآخرة فيكون المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلى كما فى سبنى سب الله دابره
ولعنوا عطف على الدعاء الاول اى ابعدوا من رحمة الله تعالى بما قالوا اى بسبب ما قالوا من الكلمة
الشنعاء وقيل كلاهما خبر بل يداه مبسوطتان عطف على مقدر يقتضيه المقام اى كلا ليس كذلك
بل هو فى غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهى اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما
يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتى الدنيا والآخرة وقيل على اعطاء اكراما
وعلى اعطاء استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستانفة واردة لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على
سر ما ابتلوا به من الضيق الذى اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة
والمعنى ان ذلك ليس لقصور فى فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيته المبنية على الحكم التى عليها يدور امر المعاش والمعاد
وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصى ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سياتى من قوله عز وعلا
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة فى محل النصب على الحالية من ضمير ينفق
اى ينفق كائنا على اى حال يشاء اى كائنا على مشيته اى مريدا وترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم و
ليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك من القرآن المشتمل على هذه الآيات
وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك من ربك متعلق
بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام
ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما فى قوله تعالى وانزل لكم من السماء ماء والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام طغيانا وكفرا مفعول ثان
للزيادة اى ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما
من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح
للاصحاء يزيد المرضى مرضا والقينا بينهم اى بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم
مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والجملة
مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدى الى الاضرار
بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلى الى يوم القيمة متعلق بالقينا
وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما
هم فيه الى المسلمين اى كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا فى ذلك
متن كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم
التورية سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين
وللحرب اما صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اى كائنة للحرب ويسعون فى الارض
فسادا اى يجتهدون فى الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد

نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد والله لا يحب
المفسدين ولذلك اطفأ نائرة افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع
المظهر مقام الضمير للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد ولو ان اهل الكتاب اي اليهود والنصارى على
ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان تأكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب
توجب ايمانهم به واقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع فمفعول قوله تعالى امنوا
محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من
قبل وان اكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الخ اي لو انهم مع ما صدر
عنهم من فنون الجنايات قولا وفعلا امنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه فرض ايمانهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه السلام خاصة فيأباها المقام لان ما ذكر فيما سبق وما
لحق من كفرهم به عليه السلام انما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان
ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الايمان ههنا على الايمان به عليه السلام خاصة مخل
بتجاوب اطراف النظم الكريم واتقوا ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا
عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
مع ذلك جنات النعيم وتكرير اللام لتأكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم
وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت كل حد معهود ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته
فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القران فليست
مراعاة الكل من اقامتهما في شيء وما انزل اليهم من ربهم من القران المجيد المصدق لكتبهم وايراده
بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم
نزوله الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة
الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال
فانها مملوة بالبشارة ببعثه صلى الله عليه وسلم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي لوسع
عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او
بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على
الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول
اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية
وفي هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم
عن الاخلال به ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من
شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى منهم امة مقتصدة جملة مستأنفة مبنية على سؤال
نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب
المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان الخ فقيل منهم امة مقتصدة اما
على ان منهم مبتدأ باعتبار مضمونه اي بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اي بعض كائن منهم كما مر
في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام

واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير
منهم مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره ساء ما يعملون اي مقول في حقهم هذا القول اي بئسما يعملون وفيه
معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم
الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه والروم يا ايها الرسول نودي عليه الصلوة
والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه
بلغ ما انزل اليك اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى
من ربك اي مالك امورك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلاءته
اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ابدا وان لم تفعل اي ما امرت به من
تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما لا يتعلق به الاحكام اصلا من
الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته وانسلخت مما شرفت
به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها
جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها لذلك في
حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولان كتمان بعضها
اضاعة لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا
منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب
وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانك كما ترى عدة كريمة بعصمته
من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له عليه السلام على الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث
بعداوتهم وكيدهم وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه
من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم
الكافرين تعليل لعصمته تعالى له عليه السلام اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الاية
الكريمة في تضاعيف الايات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على
الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك
اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم على شيء اي دين يعتد به ويليق بان يسمى
شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه
حتى تقيموا التورية والانجيل اي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة
الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة
فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت
العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من احكامهما وان احكامهما
ما قرره النبي الذي بشرا فيهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما بيان شواهد النبوة و
العمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى وما انزل اليكم من ربكم اي القران
المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا يتأتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع انها المقصودة

للذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح
بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم
ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل الكتب
الالهية فانها باسرها امرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التورية حق من عند
الله فقال عليه السلام بلى فقالوا فانا مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستانفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في
المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد
بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته
فيما مر اليهم للانباء عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تاس على القوم الكافرين اي لا تاسف
ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حاقة
بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ
في الكفر ان الذين امنوا كلام مستانف مسوق لترغيب من عدا المذكورين في الايمان والعمل
الصالح اي الذين امنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطيها قلوبهم اولا والذين
هادوا اي دخلوا في اليهودية والصابئون والنصارى جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة
وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار
بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها دلالة
على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان
والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الاتية خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله نحن
بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء كقوله تعالى والصابئون
عطفا عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها
لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر والا لارتفع الخبر بان والابتداء معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان
المذكور خبرا لهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد
والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة بتخفيف الهمزة وقرئ
والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصابئين
وقرئ يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
اما في محل الرفع على انه مبتدا خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط
وجمع الضماير الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعايد
الى اسمها محذوف اي من امن منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر
قوله تعالى فلا خوف والفاء كما في قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم
عذاب جهنم الاية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين امنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من
هذه الطوايف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللايق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من

ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب
ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما
لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس
المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين امنوا مطلق المتدينين
بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن امن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد
على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه
كما هو حال من عداهم من المنافقين وساير الطوايف وفايدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين
في الايمان ببيان ان تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل
المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل
اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدا مسوق لبيان
بعض اخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وساير
الشرايع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شان خطير
ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم
بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية مستانفة وقعت
جوابا عن سؤال نشا من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا
فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من
الاحكام الحقة والشرايع عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستانف نشا
عن استفسار كيفية ما اظهروه من اثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه
قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار وفريقا اخر منهم
لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها الهائلة للتعجب منها وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤوس الاي
الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا واما
جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية
اذا جعلت صفة او صلة ينسخ ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر اخر له ولذلك
يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع مع قطع جعله وصفا له ومن ههنا
قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو
بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل والتكذيب حسبما يفيده جعلها استئنافا
على البلغ وجه واكمله لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها
صفة وحسبوا ان لا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما اتوا من
الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من
ان واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله
منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة
على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا باس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد

ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق الذي القوه عليهم
ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التورية
وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية
عظيمة ناشية عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل
الذين جاؤهم بعده عليه السلام باعصار ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من
الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله
عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر
بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة فكثروا و
كانوا كاحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كستاسف القى الله
عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان
فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبيا فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله
تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك
لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كساير احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح
بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله
تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة الآخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا
ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليه السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سر فان فنون الجنايات
الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان انحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتبه على حكاية
ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم
على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك
وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف
اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا
لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب
من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني اسرائيل
والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد العقوبات
والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يواخذهم بها ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في
المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل
سنجاريب من اهل نينوى والاول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا
ممن يقرأ التورية وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان
احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل الى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الآخرة من
الافساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوايف اسمه خودرود وقيل
خردوس ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا
دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا
فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربكم

ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء
هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا
ومعنى هذا ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح
حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه
بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فاني عبد
مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه اي الشأن من يشرك بالله اي شيئا في عبادته او فيما
به من صفات الالوهية فقد حرم الله عليه الجنة فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم فانها
دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة ومأواه النار فانها
هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من انصار
اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة
بالظالمين واللام اما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير الثلثة باعتبار لفظها و
اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا
بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام واما وارد
من جهته تعالى تاكيدا لمقالته عليه السلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل على معنى انهم
ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم
ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى
لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير بان التعبير عما
حكي عنه عليه السلام من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول
النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوي بصورة الضعيف
وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشانه عليه السلام من
توهم المساعدة والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الخ الا ان يحمل الكلام على التهكم
بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فان زجره اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر
من عدم الناصر والمساعد بعد زجره اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتأثير
ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بالتهكم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة شروع في بيان كفر طائفة
اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث
والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وانما ينصب
اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه
وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله ويؤكده قوله تعالى للمسيح ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلثة اي احد ثلثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله
الا اله واحد اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات
الا الله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر
واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل

الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة
التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى ليمسن
الذين كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اى وبالله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضع
ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى منهم بيانية او ليمسن الذين بقوا
منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جى بالفعل المنبي عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه
بعد ورود ما ينعى عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من
اصل الكفر عذاب اليم اى نوع شديد الالم من العذاب وهمزة الاستفهام في قوله تعالى افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اى الا ينتهون عن تلك العقايد الزايغه والاقاويل الباطله فلا يتوبون الى الله الحق
ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب عدم الانتهاء
وعدم التوبه معا او ايسمعون هذه الشهادات المكررة والتأييدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك
فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهايله وقوله عز وجل والله غفور رحيم
جملة حاليه من فاعل يستغفرونه موكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى
الاستغفار اى والحال انه تعالى مبالغ في المغفره فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما
المسيح ابن مريم الا رسول استيناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام
وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس
واخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج
عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اى هو مقصور على الرسالة
لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية
فان خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الوهيته اى ما هو الا رسول كالرسل
الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الايات كما خص كلا منهم ببعض اخر منها فان احيى الموتى على يده
فقد احيى العصا في يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق آدم من
غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشؤونه وافعاله
وامه صديقة اى وما امه ايضا الا كساير النساء اللاتي يلازمن الصدق او التصديق ويبالغن
في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف
به ساير الانبيا وخواصهم كانا ياكلان الطعام استيناف مبين لما اشير اليه من كونهما كساير افراد
البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين
لهم الايات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبيه ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة
حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة في حيز النصب معلقة لانظر اى انظر
كيف نبين لهم الايات الباهرة المناديه ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى
يؤفكون اى كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما في قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة
في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اى ان بياننا للايات امر بديع في بابه بالغ اقصى
الغايات القاصيه من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها

اعجب وابدع قل امر له صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من
دون الله اى متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وايثار ما على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل
من الالوهية راسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه السلام
وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصائب
وما ينفع به من الصحة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان ادنى درجات التاثير
دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون موكد للانكار و
التوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اى اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم
ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامه بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها
ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقايد الزايغه والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات
التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والاخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له
الى فريقي اهل الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم
عما سلكوه من المسلك الباطل وارشادهم الى الامم المستقيم لا تغلوا في دينكم اى لا تجاوزوا الحد وهو نهي
للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عليه السلام
عن رتبته العلية الى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم
بعنوان اهلية الكتاب لتذكير ان الانجيل ايضا نهاهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب على انه
نعت لمصدر محذوف اى لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اى غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل اى لا تغلوا
مجاوزين الحق او من دينكم اى لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل
على المنقطع ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين
او من النصارى على القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا اى قوما
كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف وضلوا عند بعثة النبي صلى
الله عليه وسلم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا
عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين
كفروا اى لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء من بني اسرائيل متعلق
بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم متعلق
بلعن اى لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت دعا عليهم
داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا
قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم
كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك
اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظايره وانتظامه بسببه
في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة و
الهول وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستانفة واقعة موقع الجواب
عما نشأ من الكلام كانه قيل باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم

ولعدّ اسم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبي عنه قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه فانه استيناف مفيد بعبارته لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطي
المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الاخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة
التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا
كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة
حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار
انتفاء النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار
فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه
بالفعل الماضي في تعلق النهي لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما يتعلق به النهي والانتهاء من مطلق
المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المضي المعتبر في الصفة انما هو بالنسبة الى
زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او المثل وجعل
الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهي لا تعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من
الوجهين او الى تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا
يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم وتعجب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس
في تسبيبه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببيته له فيما سبق من قوله تع
لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له لما ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل
على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى
مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى يتولون الذين
كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين
ويصافونهم لبئسما قدمت لهم انفسهم لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله
عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق
والارتباط بينهما كانهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتدا والجملة
قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدا او على انه خبر لمبتدأ
محذوف ينبي عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اي شيء هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص
بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع
على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس شيء قدمت لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله
عليهم بدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه وفي العذاب اي عذاب جهنم هم خالدون
ابد الابدين ولو كانوا اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي اي نبيهم
وما انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا ما اتخذوهم اي
المشركين او اليهود اولياء فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد
الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح

اليهود وعراقتهم في الكفر وساير احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمي
اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم
مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل
بالعكس لانهما في الاصل مبتدا وخبر ومصب الفائدة هو الخبر لا المبتدا ولا ضير في التقديم والتاخير اذا دل على
الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين
لا كون اشدهم عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة
في الصورة الثانية اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتاخير اذ المعنى انك ان قصدت ان تعرف
من اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بما لديهم خبرا وبالغت في تعرف
احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد تينك
الطائفتين لا غير فتامل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة
بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلق بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة
للذين امنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم
الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبيا والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم
وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم
عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح والبيان
الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واودا
اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول
عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا متفاوتا بالشدة والضعف او بالقرب والبعد
بان يقال اخرا ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال ولتجدن ابعد الناس مودة الخ للايذان بكمال
تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والاخر في اقرب
مراتب النقيض الاخر ذلك اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اي بسبب ان منهم
قسيسين وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا
تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي
عالم النصارى قسيس لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقصه بمعنى وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس والقسيس
العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه
فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيسا ورهبانا هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان
وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل لانحدر
الرهبان يعدو ونزل والترهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط
الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى
للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم
مهتدون الا يرى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله

اناء الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود
وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون
ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمومنين واضح
وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر و
اذا سمعوا ما انزل الى الرسول عطف على يستكبرون اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض
من الدمع عند سماع القران وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم اباءهم
اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع اي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء
مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى لابتداء الغاية
والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشاه من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان
يكون الثانية تبعيضية لانه ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرأوا
القران واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون استيناف مبني
على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القران كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون ربنا امنا بهذا
او بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف
جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين اي الذين
شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم
وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نومن بالله وما جاءنا من الحق كلام مستانف قالوه
تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نومن حال من الضمير في
لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مومنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب
والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب
كما في قوله تعالى فما لهم لا يومنون وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب
اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه
فقط كما في الاية الثانية وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا
من عدم الايمان وعدم الرجا امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريا
الى المسبب ايضا كما في الاية الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض
حتما وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير
مبتداء والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء حصل لنا غير مومنين ونحن نطمع في
صحبة الصالحين او من الضمير في لا نومن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون
في صحبة المومنين وقيل معطوف على نومن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور
فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فاتاهم الله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين
اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين
والرهبان فامر جعفرا ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران والذين كفروا

وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لما ان
القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى
على الترهب ترغيب المومنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الباب
اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم
وتقشفا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في
الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا
يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح
ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر
بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر
واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت ولا تعتدوا اي ولا تتعدوا
حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء و
ظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا
تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي ما
حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة
او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة
لمصدر محذوف اي اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال
فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مومنون توكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى
يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في
اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول
مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا فكيف بايماننا فنزلت
وعند الشافعي رحمه الله ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي
الله تعالى عنها وفي ايمانكم صلة يواخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يواخذكم بما عقدتم
الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتموها
اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وعاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته
اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير
قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا فلياتِ الذي
هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في
النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره
ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل
كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلث كالالف وهو ايضا
جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او على
محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار

وقرى بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرى اوكاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع
تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او بقية انواسون بينهم ان لم تطعموهم
الاوسط او تحرير رقبة او اعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعي رحمه الله فيه الايمان قياسا
على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اي
شيئا من الامور المذكورة فصيام اي فكفارته صيام ثلثة ايام والتتابع مشروط عندنا لقراءة ثلثة
ايام متتابعات والشافعي لا يرى الشواذ حجة ذلك اي الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم
اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان
تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا وبان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها
ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي اي تبيين اخر مفهوم مما سبق و
الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت
الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه
وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها
الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها
في اوايل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف
ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اي شان الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان في محل الرفع على
انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او
ما ذكر لعلكم تفلحون اي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير
قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت
الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت
وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم
قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة
والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلوة بالافراد مع دخولها في الذكر
للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة
الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في
الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية
واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه
واحذروا اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا
فان توليتم اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله

تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا البلاغ
المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة
وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة
الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين
بالايات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء
انهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون
انفسهم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم وحرج فيما طعموا اي تناولوا
اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما نزل الله
تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم
بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر
قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال
الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا
الخمر وفعلوا القمار وليست كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء
ما عداها من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة
كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطاري عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه
من الماكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح
في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد
اباحة بعضه باتقاء بعض اخر منه كما هو اللازم من الاول وامنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا
على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا
ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وامنوا اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما
للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان
ثم اتقوا اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة
اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ واحسنوا
اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص
هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا
المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره
ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في
كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات
من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف
الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت
تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ماله دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق
العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سياتي بقضية كلمة اذا ما لكنه قد
اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني

بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموا اذا كانوا
فى طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا
يتعاطون الخمر والميسر فى حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما فى عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد
قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى بينه وبين
نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جيء بالاحسان فى الكرة الثالثة بدل
الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبداء والوسط والمنتهى
او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع فى الحرام
وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما فى
قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظايره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثانى اتقاء
الكباير وبالثالث اتقاء الصغاير ولا ريب فى انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل
والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله
جواب قسم محذوف اى والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم بشيء من الصيد
اى من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث كانوا متمكنين من
صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها
فنزلت وروى انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته
وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية فالتاكيد القسمى
فى ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع
المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهايلة
التى تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلى به
اهل ايلة من صيد البحر وفايدته التنبيه على ان من لم يتثبت فى مثل هذا كيف يتثبت عند شدايد
المحن فمن فى قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اى بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضى اعتبار
قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظايم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور
ليعلم الله من يخافه بالغيب اى ليتميز الخائف من عقابه الاخروى وهو غايب مترقب لقوة ايمانه فلا
يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم
له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل فى حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بانه يخافه
بالفعل فان علمه تعالى بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خايف بالفعل وهو
الذى يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف و
التقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اى ليعلم الله عباده الخ والعلم
على القراءتين متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن
اعتدى بعد ذلك اى بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لا ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهى
عنه كما قاله بعضهم اذ النهى والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء
كما اختاره الاخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا للتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا

مسوغا لتخفيفه وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة
وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اى فمن
تعرض للصيد بعد ما بينا ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع
من العاصى فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعى
حكم الله تعالى فى امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه فى عظايم المداحض والمراد بالعذاب
الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضى الله عنه يوسع ظهره وبطنه جلدا وينزع ثيابه يا ايها
الذين امنوا شروع فى بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح
بالنهى فى قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم مع كونه معلوما لا سيما من قوله تعالى غير محلى الصيد
وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام فى الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام
وهو المحرم وان كان فى الحل وحكمه من فى الحرم وان كان حلالا كرداح جمع رداح والجملة حال من فاعل
لا تقتلوا اى لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اى الصيد المعهود وذكر القتل فى الموضعين دون
الذبح للايذان بكونه فى حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعله اى كاينا منكم متعمدا
حال منه ايضا اى ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام
يستوى فيها العمد والخطا لما ان الاية نزلت فى المتعمد ولان الاصل فعل المتعمد والخطا لاحق به للتغليظ وعن الزهرى
نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن سعيد بن جبير رحمه الله لا ارى فى الخطا شيئا
اخذا باشتراط التعمد فى الاية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان
الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون
له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اى فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب
الثانى على اعمال المصدر وقرئ بجر الثانى على اضافته الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على
الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزى جزاء مثل ما قتل والمراد
به عند ابى حنيفة وابى يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او فى اقرب الاماكن
اليه فان بلغت قيمته قيمة هدى تخير الجانى بين ان يشترى بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى
الحرم وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم
عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا اذ لم يعهد
فى الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة على احد
وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعى
رضى الله عنهما ومن يرى رايهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيأة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول
مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضى الله عنهم انهم اوجبوا فى
النعامة بدنة وفى الظبى شاة وفى حمار الوحش بقرة وفى الارنب عناقا وعن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق فى الكتاب
والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل صورة
بلا معنى فلا اعتبار له فى الشرع اصلا واذ لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثانى لكونه معهودا
فى الشرع كما فى حقوق العباد الا يرى ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها فى غاية القوة والظهور

لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد اخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف
بل مضمونا بقيمته مع ان المنصوص عليه في امثاله انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
فحيث لم يعتبر تلك المماثله القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا يعتبر ما بين
افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفيه مع صعوبة ماخذها وتعسر المحافظة عليها اولى
واحرى ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواقع
الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلي للجناية
والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته لكن لا باعتبار ان يعمد الجاني اليها فيصرفها الى المصارف ابتداء بل
باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى الخصال الثلث فقيمتها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف
لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال بناء على وصفه
الاول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف المفارق لا
على الوصف اللازم فضلا عن العطف على الموصول كما سياتي باذن الله تعالى ومما يرشدك الى ان
المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل يحكم به اي بمثل ما قتل ذوا عدل منكم اي حكمان عادلان
من المسلمين لكن لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشيا
المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك ناشئ من الغفلة عما ارادوا
بما به المماثلة بل لان ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة
في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدي اليه من اساطين
ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية والارشاد الا المويدون بالقوة القدسية الا يرى ان الامام الشافعي
اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع
ان النسبة بينهما من ساير الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة امثال هذه الدقايق
العويصة الى راي عدلين من احاد الناس على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعد
ما عين بمقابلة كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات
الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقري يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة وقيل بل
على ارادة الامام والجملة صفة لجزا او حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى هديا حال مقدرة
من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفه او بدل من مثل فيمن نصبه او من محله فيمن جره او نصب
على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية
او كفارة عطف على محل من النعم على انه خبر مبتداء محذوف والجملة صفة ثانية لجزا كما اشير
اليه وقوله تعالى طعام مساكين عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل
منه او خبر مبتداء محذوف اي هي طعام مساكين وقوله تعالى او عدل ذلك صياما عطف على
طعام الخ كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ
يكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدى والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما
الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها بدلا من الاخرين هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة
عطف على جزا فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام ولا الالتجاء الى القياس على الهدي
تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزا بالرفع وعلى ساير القراءات فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدا محذوف

والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقري او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين نوع الكفارة
وقري طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقري او عدل بكسر العين والفرق
بينهما ان عدل الشي ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كان المفتوح
تسميه بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك
للجاني عند ابي حنيفه وابي يوسف وللحكمين عند محمد رحمهم الله ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار
في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق
وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة
من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرء
المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما
سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد
الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتداء محذوف تقديره فهو ينتقم
الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي ومن ذلك لا يخاف
الخ وقوله تعالى ومن كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الاخرة واما الكفارة فعن
عطا وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة على العايد وعن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح
انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن اصر
على المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان
او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء ماكولا او غير ماكول وطعامه اي وما يطعم من صيده
وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يوكل منه
وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية عنده احل لكم صيد حيوان البحر
وان تطعموه وقري وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه متاعا
لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
حال مختصة بيعقوب عليه السلام اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم ياكلونه طريا وللسيارة
منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر موكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا وقيل موكد
لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقري
على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات
كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين وقري بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما
صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما وعن ابي هريرة
وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم
يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفه لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم
عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله تعالى
لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك الذي
اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة قال
مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها

وقوله تعالى البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما يجي الصفه كذلك وقيل
مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول
كما سيجي بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما
لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ
به الخايف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرى قيما على انه
مصدر على وزن شبع اعل عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام اى الذي يودى فيه الحج وهو ذو الحجه
وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبه فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اى
وجعل الشهر الحرام والهدى والقلايد ايضا قياما لهم والمراد بالقلايد ذوات القلايد وهي
البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور
خاصه او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السباق
وهو العامل في اللام بعده اى شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
فان تشريع هذه الشرايع المستتبعة لدفع المضار الدينيه والدنيويه قبل وقوعها وجلب المنافع
الاولويه والاخرويه من اوضح الدلايل على حكمة الشارع وعدم خروج شي من علمه المحيط وقوله تع
وان الله بكل شي عليم تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان
الموجودة فيهما وبكل شي الامور المتعلقه بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي من
قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على ذلك وقوله
تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على مراعات حرماته تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد
تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر
به اى الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة
فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيواخذكم بذلك نقيرا او قطميرا
قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من الاشخاص
والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان سبب
النزول شريح بن ضبعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعاير
الله الخ وقيل نزل في رجل سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت
من ثمنها مالا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وقال عطا والحسن
رحمهما الله الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان
القصور الذي ينبي عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين
المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزايد لكن المتبادر اعتباره بحسب
قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفضول ولو اعجبك كثرة
الخبيث اى وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو
لعطف الشرطيه على مثلها المقدر وقيل للحال وعلم اى لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما

في موقع الحال من فاعل لا يستوي اى لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك احسن الى
فلان وان اساء اليك اى احسن اليه ان لم يسي اليك وان اساء اليك اى كائنا على كل حال مفروض وقد
حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانيه عليها دلالة واضحة فان الشي اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق
بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغه والتاكيد وجواب لو محذوف في
الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسياتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولى
الالباب اى في تحري الخبيث وان كثر واثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة
لا الكثرة والقله فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين
ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياء هو اسم جمع على راى الخليل وسيبويه وجمهور
البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها
فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شي على انه مخفف من شيي
كهين مخفف من هين والاصل اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي
للتانيث اذ الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت
اشيياء فاجتمعت ياآن اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشيا ووزنها افلاء ومنعت
الصرف لالف التانيث وقيل انما حذفت من اشيياء الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت
الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشيا داعية
الى الانتهاء عن السوال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطيه معلقه بابدايها لا بالسوال عنها عقبت
بشرطيه اخرى ناطقه باستلزام السوال عنها لابدايها الموجب للمحذور قطعا فقيل وان تسالوا عنها
حين ينزل القران تبد لكم اى تلك الاشيا الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبي عنه تقييد السوال بحين
التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبه التي لا يطيقون بها والاسرار الخفيه
التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السوال عن الامور الواقعه مستتبع لابدايها كذلك
السوال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم
على المسالة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشانهم من الاستسلام لامر الله تعالى من غير بحث فيه ولا
تعرض لكيفيته وكميته اى لا تكثروا مساءلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة
عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوا بها ونحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها
وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله عليه السلام فحمد الله واثنى عليه
ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد فقال له عكاشه بن محصن وقيل هو سراقة بن
مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسئلته ثلث مرات فقال رسول الله عم
ويحك وما يومنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم
فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيايهم فاذا امرتكم بامر فخذوا
منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة رضي الله عنهما
انه سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسالة فقام عليه السلام مغضبا
خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسئلوني عن شي ما دمت في مقامي هذا الا
بينته لكم فاشفق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس رضي الله عنه

فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف راسه في ثوبه يبكي فقام رجل من بني قريش
من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه وقال يا نبي الله من ابي
فقال عليه السلام ابوك حذافة بن قيس الزهري وقام اخر وقال اين ابي قال عليه السلام في النار ثم قام
عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا ونبيا نعوذ بالله تعالى من
الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا
الله عنها استيناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في
نفسها معصية مستتبعة للمواخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى
وضمير عنها للمسالة المدلول عليها بلا تسالوا اي عفا الله تعالى عن مسائلكم السالفة حيث لم يفرض
عليكم الحج في كل عام جزاء بمسائلتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها
واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسالوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم
اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان
يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند
المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاء قطعا على انه يستدعي النهي بمسالة الحج ونحوها
ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السوال عن الاشياء التي يسوءهم
ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمسائتهم بانشائها وايجابها بسبب السوال
عقوبة وتشديدا كمسئلة الحج لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السوال الموجبة
للمساءة بالاخبار بها كمسئلة من قال اين ابي ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل
هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها للاولى ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها
موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل وانما غرضه من السوال ظهورها كيف
كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلم عبر عنها بحيثية ايجابها للمساءة قلت لتحقيق المنهي عنه كما
ستعرفه مع ما فيه من تاكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية
ايجابها المسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السوال عن تلك
الاشيا الموجبة للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن السوال في مسئلة الحج
حيث لم يفرض في كل عام قلنا لوقوع السوال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو السوال
الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشى
فيما اذا كان السوال عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان
عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لان ما يتعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس الامر ولا مرد
له سواء كان السوال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسالة عبد الله بن حذافة
فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين
فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السوال عن الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل
السوال كسوال من قال اين ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى
يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي
عن السوال عن الاشياء التي يوجب ابداؤها المساءة البتة اما بان يكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع

فبدى

فبدى عند السوال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما
بان يكون واقعة في نفس الامر قبل السوال فبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا
ومنشا توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتيازما هو موجود او بعرضية
الوجود من تلك الاشياء في نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال
الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء عن السوال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذارا
بداء المكروه والله غفور حليم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء
عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يواخذكم بعقوبة ما فرط منكم قد سالها قوم اي سال امثال هذه المسئلة
لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير
من قبلكم متعلق بسالها ثم اصبحوا بها اي بسببها او بمرجوعها كافرين فان بني اسرائيل
كانوا يستفتون انبياءهم في اشيا فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن
اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان يقول
الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع
بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة
انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا
الذكر لالهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا
يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما
عطف عليها ومن مزيدة لتاكيد النفي فان الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين واخرى
الى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت
الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما في الاية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه
الافاعيل الباطلة وهذا شان روسائهم وكبارهم واكثرهم وهم اراذلهم الذين يتبعونهم
من معاصري رسول الله عليه السلام كما يشهد به سياق النظم الكريم لا يعقلون انه افتراء
باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصور
عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل واذا قيل لهم اي للذين عبر عنهم
باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد تعالوا الى ما انزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام
والى الرسول الذي انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال
قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي الى الحق و
انقيادهم للداعي الى الضلال اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون قيل الواو
للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجب اي احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة ضالين
وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او ايقولون
هذا القول لو لم يكن اباؤهم لا يعلمون شيا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا الا
يعلمون الخ وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم كائنين على كل حال مفروض

وقد حذفت الاولى في الباء حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشي اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اى احسن اليه ان لم يسى اليك وان اساء اى احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يومر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اى لو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفايدته المبالغة في الانكار والتعجب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجب اذا كان كون اباءهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مال الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون فتذكر يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اى الزموا امر انفسكم واصلاحها وقرى بالرفع على الابتداء اى واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي موكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويويده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرا لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع على انه كلام مستانف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرا لا يضيركم اى لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روى ان الصديق رضى الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروا عمهم الله بعقاب فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين الخ فيقول احدكم على نفسي والله لتامرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعن خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تعالى ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والاية نزلت لما كان المومنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت اباءك وضللتهم اى نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان ضلال اباءه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يواخذ بعمل غيره يا ايها الذين امنوا استيناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل

شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجرى بينهم من الخصومات مبتداء وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اى شارفه وظهرت علامه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهوين امر الموت وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتداء بتقدير المضاف اى شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اى فيما نزل عليكم ان يشهد منكم اثنان وقرى شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرى شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اى ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اى من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحرى ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او اخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اى او شهادة اخرين او ان يشهد بينكم اخران او ليقم شهادة بينكم اخران وقوله تعالى من غيركم صفة لاخران اى كائنان من غيركم اى من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا راى جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتداء بناء على جواز وقوع المبتدا بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا فقوله تعالى ضربتم في الارض اى سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا او مرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من تتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد اخران او فاستشهدوا اخرين او فالشاهدان اخران كذا قيل والانسب ان يقدر عين ما سبق اى فاخران على معنى شهادة بينكم شهادة اخرين اى فان يشهد اخران على الوجوه المذكورة ثمه وقوله تعالى تحبسونهما استيناف وقع جوابا عما نشاء من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اى تقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة وقيل هو صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فايدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب او اهل الاسلام واما اشهاد الاخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس بالاخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك بابا مقام الامر باشهادهما اذ ماله فاخران شانهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض الاتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملئكة الليل وملئكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قد حلف من حلف كما سياتي وقيل بعد اى صلوة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من

جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اى ان ارتاب
بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شى من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشترى
به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفى بذكر جواب سابقهما
عن جواب الاخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق
لاتحاد مضمونيهما كما فى قولك والله ان اتيتنى لاكرمنك ولا ريب فى استحالة ذلك ههنا لان القسم
وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن اى
اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر فى عقد الشرى ومفهومه
هو الجلب دون السلب المعتبر فى عقد البيع ثم استعير لاخذ شى بازالة ما عنده عينا كان او معنى على
وجه الرغبة فى المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر فى المستعار منه حسبما مر تفصيله فى تفسير
قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير فى به لله والمعنى لا ناخذ لانفسنا بدلا
من الله اى من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اى لا نحلف بالله كاذبين
لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اى لا نستبدل بصحة القسم بالله اى لا ناخذ
بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اى لا نحلف كاذبين كما
ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه
يفوت ح ما هو المعتبر فى الاستعارة من كون الزائل شيا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله تع
ووصف الصحة والصدق فى القسم ولا ريب فى ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به
الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما
التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له ههنا حتى يصح التبرؤ منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم
الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور
جعل ما اخذ باستعماله ماخوذا بترك استعمال الصادق كما فى صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف
الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتامل وقوله تعالى
ولو كان اى المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اى قريبا منا تاكيد لتبريهم من الحلف
كاذبا ومبالغة فى التنزه عنه كانهما قالا لا ناخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه
رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها
ليست ضميمة للمال بل هى راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى لا نشترى
به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل فى تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخ وقوله عز وجل ولا
نكتم شهادة الله اى الشهادة التى امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشترى به داخل معه فى
حكم القسم وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتداء الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف
الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اى ان كتمناها وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر اى اطلع بعد
التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الاثمين اى فعلا ما اوجب
اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شى من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما
وقع فى سبب النزول حسبما سياتى فآخران اى رجلان آخران وهو مبتداء خبره يقومان

يقومان مقامهما ولا محذور فى الفصل بالخبر بين المبتداء وبين وصفه الذى هو الجار والمجرور بعده اى
يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التى تولياها ولم يؤدياها
كما هى بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاق
لما فى ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل قراءة على وابن عباس وابى رضى الله عنهم اى من
اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم اى الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان
بالشهادة اى اليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اى استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانهما
ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما فى الحقيقة الاخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام
المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اى من الذين استحق عليهم الاثم اى جنى عليهم وهم اهل الميت
وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير فى
يقومان او من اخران وقد جوز ان يرتفع باستحق على حذف المضاف اى استحق عليهم انتداب الاوليين
منهم للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم
على الاجانب فى الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان
فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما فى قوله تعالى فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله اى ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة فى
نفسها احق بالقبول من شهادتهما اى من يمينهما مع كونها كاذبة فى نفسها لما انه قد ظهر للناس
استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع انه لا حقية فى يمينهما راسا
انما هى لامكان قبولها فى الجملة باعتبار احتمال صدقهما فى ادعاء تملكهما لما ظهر فى ايديهما وما
اعتدينا عطف على جواب القسم اى ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما انا اذا
لمن الظالمين استيناف مقرر لما قبله اى انا ان اعتدينا فى يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى
وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق فى غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر
ينبغى ان يشهد على وصيته عدلين من ذوى نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان فى سفر فاخرين من غيرهم
ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيا بالتغليظ فى الوقت فان اطلع
بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شى من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم
ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن يزيد خرجا الى
الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابى مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما
قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما ان
يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه
ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندرى انما اوصى الينا بشى وامرنا
ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها
الذين امنوا الاية فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انهما لم يختانا شيا مما دفع
ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من
تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بنى سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل
فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى

فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآيه فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة
السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي روايه والى اولياء الميت واعلم
انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو
منسوخ ذلك كلام مستانف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة و
المصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي اقرب الى ان يؤدي
الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي
وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم
بيان لحكمة شرعيه رد اليمين على الورثه معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى ان ياتوا
بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الاخره بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد
بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثه فينزجروا عن الخيانة المؤديه اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصد
الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على ياتوا على معنى ان ذلك اقرب الى ان ياتوا
بالشهادة على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم واما ما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين
اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه
المقام اذ لا تعلق له بالحادثه اصلا ضروره ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب فالامتناع عن الشهادة
الكاذبه مستلزم للاتيان بالصادقه قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط
بينهما كلمة او وانما ياتي ذلك في شهود لم يتهموا بخيانة على ان اضافه الامتناع عن الشهادة الكاذبة
الى خوف رد اليمين على الورثه ونسبة الاتيان بالصادقه الى غيره مع ان ما يقتضي الاخر لا محالة تحكم
بحت فتامل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون
به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة
اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الى طريق الجنة او الى
ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة
فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفيه والمظروفيه ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لانتقال الذهن
من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم
الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقى اي
شان من شؤنه واي فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب
الله يومئذ يجوز انتصابه منه بطريق الظرفيه وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه
اي واحذروا او واذكروا يوم الخ فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وجل وتلقي
امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة
كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم
وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع
فيه من الطامة التامه والدواهي العامه كانه قيل يوم يجمع الله الرسل ويقول الخ يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل و
تخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس و

وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل لابانة شرفهم واصالتهم والايذان
بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم
بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم
بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال
بجواب الامم اعرابا واضحا ولا لصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل ماذا
اجبتم عبارة عن المفعول فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد
وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين
ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤده بمحضر من الوائد والعدول عن
اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقير شانهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا
يخفى قالوا استيناف مبني على سؤال نشا من سوق الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك
فقيل يقولون لا علم لنا وصيغه الماضي للدلالة على التقرير والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب الاعراف ونظايرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم
من جهتهم من مقاسات الاهوال ومعانات الهموم والاوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته
انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في
قلوبهم وفيه اظهار للشكاة ورد للامر الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب
والتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم
يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم
على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب
ثم يجيبون بعد ما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلايمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة
في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او للاختصاص بالمدح على ان الكلام قد
تم عند قوله انت اي انك انت المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك اذ قال الله يا عيسى ابن
مريم شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل
اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين
وتخصيص شان عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون ساير الرسل عليهم السلام مع دلالتها
على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شانه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين
من اهل الكتاب الذين نعت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم
وافت في اعضادهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي
لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة
على في قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر
انعامي عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام
يومئذ بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف
مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك
النعم حسبما بينه الله سبحانه اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ

عند النظم الكريم توبيخًا ومزجرة للكفرة المختلفين في شأنه عليه السلام إفراطًا وتفريطًا وإبطالًا لقولهما جميعًا
إذ أيدتك ظرف لنعمتي أي اذكر إنعامي عليكما وقت تأييدي لك أو حال منها أي اذكرها كائنة وقت
تأييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد أي قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة
أو بالكلام الذي يحيى به الدين وإضافته إلى القدس لأنه سبب الطهر عن أوضار الآثام أو يحيى به الموتى أو النفوس
حيوة أبدية وقيل الأرواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة و
منها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وأيًا ما كان فهو
نعمة عليهما تكلم الناس في المهد وكهلًا استئناف مبين لتأييده عليه السلام أو حال من الكاف وذكر
تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان أن كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع
صادرًا عن كمال العقل مقارنًا لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على أنه عليه السلام سينزل من السماء لما أنه
عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما أرسل الله تعالى وهو ابن ثلثين سنة ومكث في رسالته
ثلثين شهرًا ثم رفعه الله تعالى إليه وإذ علمتك الكتاب عطف على قوله تعالى إذ أيدتك منصوب بما
نصبه أي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة أي جنسهما والتورية والإنجيل خصّا
بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة إظهارًا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب وإذ تخلق
من الطين كهيئة الطير أي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير بإذني بتسهيلي وتيسيري لا على أن
يكون الخلق صادرًا عنه عليه السلام حقيقة بل على أن يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الأسباب
مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها أي في الهيئة المصورة فتكون أي
تلك الهيئة طيرًا بإذني فإن إذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسير مع صدور
الفعل حقيقة عمّا أسند إليه لكان هذا تكوينًا من جهة الهيئة وتكرير قوله بإذني في الطير مع كونه شيئًا واحدًا
للتنبيه على أن كلًا من التصوير والنفخ أمر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء إلا بإذنه تعالى وتبرئ
الأكمه والأبرص بإذني عطف على تخلق وإذ تخرج الموتى بإذني عطف على إذ تخلق أعيد فيه إذ لكون
إخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعدما صارت رميمًا معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحًا
قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله بإذني في المواضع الأربعة للاعتناء بتحقيق
الحق ببيان أن تلك الخوارق ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه قد أظهرها على يديه معجزة له ونعمة
خصّه بها وأما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما أن ذلك موضع الإخبار وهذا موضع تعداد النعم وإذ
كففت بني إسرائيل عنك عطف على إذ تخرج أي منعت اليهود الذين أرادوا بك السوء عن التعرض لك
إذ جئتهم بالبينات بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالإخبار بما يأكلون وما يدخرون في
بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال
الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين فإن قولهم ذلك مما يدل على أنهم قصدوا اغتياله عليه السلام
المحوج إلى الكف أي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك إياهم بالبينات وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول
لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا إشارة إلى ما جاء به والتذكير لأن إشارتهم إلى ما رأوه من نفس
المسمى من حيث هو أو من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ إن هذا إلا ساحر مبين فهذا
إشارة إلى عيسى عليه السلام وإذ أوحيت إلى الحواريين عطف على ما قبله من أخواته الواقعة ظروفًا
للنعمة التي أمر بذكرها وهي وإن كانت في الحقيقة عين ما يفيده الجمل التي أضيف إليها تلك الظروف من التأييد

بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان مبني على غاية الإحسان
أمر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقق ما اعتبر
في مدلول كلمة إذ من تعدد النسبة فإنه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه إحداهما معلومة
الوقوع فيه للمخاطب دون الأخرى فيراد إفادة وقوعها أيضًا فيضاف إلى الجملة المفيدة للنسبة الأولى
ويجعل ظرفًا معمولًا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر إحساني
إليك إذ أحسنت إليّ تريد تنبيه المخاطب على وقوع إحسانك إليه وقت وقوع إحسانه إليك وهما
نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر إحساني إليك إذ منعتك من المعصية
تريد تنبيهه على كون منعه منها إحسانًا إليه لا على إحسان آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع
في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا الآية وقوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم إلى غير ذلك
من النظائر ومعنى إيحائه تعالى إليهم أمره تعالى إياهم في الإنجيل على لسانه عليه السلام وقيل إلهامه تعالى إياهم
كما في قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى وأن في قوله تعالى أن آمنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الإيحاء من
معنى القول وقيل مصدرية وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الإيمان به عليه السلام
كأنه قيل آمنوا بوحدانيتي في الألوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطًا ولا رفعًا
وقوله تعالى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حين أوحي إليهم
ذلك فقيل قالوا آمنا أي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد بأننا
مسلمون أي مخلصون في إيماننا من أسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وأمره لهم
بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته أيضًا روي أنه عليه السلام
لما علم أنه سيؤمر بذكر هاتيك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئًا لغد يقول لكل يوم
رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات إذ قال الحواريون كلام مستأنف مسوق
لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الإظهار في موقع الإضمار
وإذ منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق تلوين الخطاب لكن لا لأن الخطاب السابق لعيسى
عليه السلام فإنه ليس بخطاب وإنما هو حكاية خطاب بل لأن الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله
الآية فإنه كأنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم
الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا أريد به التنبيه
على أن ادعاءهم الإيمان والإخلاص لم يكن عن تحقيق وإيقان ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم
هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في أنهم هل كانوا مؤمنين أو لا فقيل كانوا
كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الإيمان
والإخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبيت لا لإزاحة الشك وهل يستطيع
سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرًا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة
لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب بمعنى
أجاب وقرئ هل تستطيع ربك أي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك
عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة

الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعم
وقال ابو عبيد هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضيه قال استيناف مبني على سوال ناشي مما قبله كانه
قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال
ان كنتم مومنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك
مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك
ذريعة لحصول المسئول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تع
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيله قالوا استيناف كما سبق نريد ان ناكل
منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي لسنا نريد بالسوال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه على
تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل منها اي اكل تبرك وقيل
اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مومنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة
الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمانينة وقوة اليقين ونعلم اي علما يقينيا لا يحوم
حوله شايبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان
وضمير الشان محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك
من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد
المومنون منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا ويومن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين
للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه
قيل على اي شئ يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وهو حال من اسم كان
او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى بن مريم لما راى عليه السلام ان لهم غرضا
صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة
بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطاطا راسه وغض بصره ثم قال اللهم
ربنا ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف
الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم
الظرف على قوله تعالى مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى
من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى
تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال
منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا
فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك
الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا
وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك
متواترة وههنا من الشواذ لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا
روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل ياكل منها
اولنا واخرنا وقرئ لاولنا واخرانا بمعنى الامة والطائفه واية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف
هو صفة لاية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا اي المائدة او

الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها
بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المبني عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لم يخطر
ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مومنين وان سؤالهم
كان لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما
ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يوكده ويقربه الى القبول قال الله استيناف كما سلف
اني منزلها عليكم وورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه
عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن
كل كرب الخ بعد قوله تعالى لئن انجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي
تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجزه لا محالة من غير صارف
يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف
وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا
من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الاية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى
التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان
يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير
له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم
او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا
لا نريدها فلم تنزل وبه قال الحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد
نزلت روي انه عليه السلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام
وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضا
وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند
راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون
وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح
الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا مما
سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة
احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا
قردة وخنازير وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون
حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ و
لم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء
والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون
العذرة في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير
عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون
برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى ع م

قال لهم صوموا ثلثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملئكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملئكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شئ وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال الله يا عيسى بن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الاخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره ع م على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدا على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى أانت فعلت هذا بالهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين من دونه تعالى واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتاتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم عليهما السلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من توهم فقال ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كداب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التاويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى ع م قال استئناف مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك واما تقديره من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما

ليس لي بحق استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التاكيد بما في خبره من الباء فان اسمه ضمير عائد الى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى ان كنت قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمامور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمامور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان ودمت صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي فان التوفي اخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الايات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شئ شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من امن منهم قال الله كلام مستانف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته وماله اي يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي

لما مر في نظايره مرارا وقوله تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدا خبره ما بعده اى هذا اليوم
الذى حكى بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين
كما ينبئ عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذى
نحن بصدده والشرايع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك
وبه يحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه
يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق
في اى شئ كان ضرورة ان الجانى المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم
اى صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين
مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء تمالا وجملة وهذه القراءة هي التي اطبق
عليها الجمهور وهي الاليق بسياق النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال
فهذا ح اشارة الى قوله تعالى أأنت قلت الخ واما على انه خبر لهذا فهو ح اشارة الى جواب عيسى ع م
اى هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الخ او الى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بنى
على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف الى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا
يوما لا تجزى الاية لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استيناف مسوق لبيان
النفع المذكور كانه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى رضى الله عنهم
استيناف اخر لبيان انه عز وجل قد افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذى
لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوا عنه اذ لا شئ اعز منه حتى تمتد اليه اعناق همهم ذلك
اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل هو الفوز العظيم لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم
شان المطلوب الذى تعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله تعالى
لله ملك السموات والارض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا
في حق المسيح وامه اى له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها
كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشئ من الاشياء مدخل في ذلك
وفي ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها الكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوى الفريقين في
استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه
على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شئ من الاشياء
قدير مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر
عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس في الدنيا



الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذى عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات
الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء
اختصاص الحقيقة به سبحانه لاختصاص جميع افرادها عليه بالطريق البرهانى ووصفه ثانيا بما ينبئ عن

تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظايم الاثار وجلايل الافعال من قوله عز وجل الذى خلق
السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار افعاله العظام والاثار الجسام التى
وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الاثار العلوية والسفلية وعامة الالاء الجلية والخفية التى اجلها
نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية و
الافاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اى انشاهما على ما هما عليه من النمط الفايق والطراز
الرايق منطويتين على انواع البدايع واصناف الروايع على ما تتحير فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر
والاثار تبصرة وذكرى لاولى الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف اثارها
وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هى وجعل الظلمات والنور
عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشاهما ومحلهما داخل معه في حكم الاشعار بعلة الحمد
فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما
جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل
هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية
وهذا عام له كما في الاية الكريمة وللتشريعى ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الاية وايا ما كان
ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشئ اخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط
بينهما شئ من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله عز
وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسى وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الاية فان
كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه
نكرة وايا ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو
ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة
قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى انى جاعل في الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان
لجاعل وقد اشير هناك الى ان الذى يقتضيه الذوق السليم ويستدعيه جزالة النظم الكريم انه متعلق
بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثانى هو خليفة والاول محذوف على ما مر تفصيله
وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها
على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى
بالحمد المستدعى لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة
واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضى ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص
باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة
عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اى يسوون به غيره في العبادة التى هى
اقصى غايات الشكر الذى راسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشئ من مبادى الحمد و
كلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الايات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه
بالايات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل كفرهم بما
يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك

والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام
والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول لظهوره او لتوجيه الانكار
الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار فى الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول
هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شانه الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون من
العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون
نعمته فيرده ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم
عن حمده عز وجل لحقيقة مع اغفاله ايضا بجعل اهون الشرين عمدة فى الكلام مقصود الافادة واخراج
اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له فى الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلى هذا وقد قيل انه
معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به
سبحانه ما لا يقدر على شى منه لكن لا على قصد انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذى
عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كانه قيل الحمد لله الذى كان منه تلك
النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما انتظم فى سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز
وجل حقه ان يكون له دخل فى ذلك الانباء ولو فى الجملة ولا ريب فى ان كفرهم بمعزل منه وادعاء ان له
دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كانه قيل الحمد لله الذى انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف
لا يساعده النظام وتعكيس يأباه المقام كيف لا وسياق النظم الكريم كما يفصح عنه الايات الاتية تشنيع الكفرة
وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا ببيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية
اساءتهم فى حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف
المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت
ان المعطوف هو الذى سيق له الكلام فتامل وكن على الحق المبين **هو الذى خلقكم من طين** استيناف
مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى
مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر
من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد فى قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم
اعرف والتعامى عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اى ابتداء خلقكم منه فانه المادة
الاولى للكل لانه منشأ ادم الذى هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى ادم عليه السلام
وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذى خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه فى
ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة فى ازاحة الاشتباه و
الالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هى ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه
عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر
احاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا للكل
احد من فروعه منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط السارى الى جميع افراد ذريته ابدع من
ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة
الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل

ولله در شان التنزيل وعلى هذا السداد قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله تعالى وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا كما سياتى وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم
من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض وايا ما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى
على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة
ثم قضى اى كتب لموت كل واحد منكم **اجلا** خاصا به اى حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله
لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير اجالهم حسبما يقتضيه الحكم البالغة و
اجل مسمى اى حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما فى قوله تعالى ولعبد مؤمن ولوقوعه
فى موقع التفصيل كما فى قول من قال اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول و
تنوينه لتفخيم شانه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذى هو عنده مع ان الشائع المستفيض
هو التاخير كما فى قولك عندى كتاب حسن ولى كتاب نفيس كانه قيل واى اجل مسمى مثبت معين فى علمه لا يتغير
ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على
ظهور اماراته او على ما هو المعتاد فى اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هى باعتبار كونه غاية لمدة
لبثهم فى القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية فى الاجل الاول هو كونه اخر مدة
الحياة لما ان الاجل فى اللغة عبارة عن اخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت و
الثانى ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على اخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق
لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا
من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث فى اجل العمر وان كان فاجرا
قاطعا نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من
عمره الا فى كتاب فمعنى عدم تغير الاجل حينئذ عدم تغير اخره والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثانى
المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله المبنى على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه
معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شى من الدواهى كما يستلزمه الحمل على المعنى الثانى مخل بذلك قطعا
ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روى تاخير الاجل الاول وتقديمه **ثم انتم تمترون** استبعاد و
استنكار لامترائهم فى البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اى تمترون فى وقوعه وتحققه
فى نفسه مع مشاهدتكم فى انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة
الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشى منها
اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما
قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثانى هو الموت او ان الاول اجل الماضين والثانى اجل الباقين او
ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثانى مقدار ما بقى منه مما لا وجه له اصلا لما رايت من
ان مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم فى البعث الذى عبر عن وقته بالاجل المسمى فحيث اريد به
احد ما ذكر من الامور الثلثة ففى اى شى يمترون ووصفهم بالامتراء الذى هو الشك وتوجيه
الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور فى اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار
وقوله تعالى **وهو الله** جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الالهية

تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المودية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقق المعاد
في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتدبير احوالهم وقوله تعالى في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى
الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود
فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه
المقام المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف
من تلك الحيثية فصار كانه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في
السماء اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على
معنى المالك او المتصرف او نحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد
في قولك اسد على الخ ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جرى على وبهذا
تبين ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف
المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم
هو نفس الوصف الذي اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين انفا لا الاشتهار به الا يرى ان
كلمة على في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب
الحصري من التوحد والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا
الاسم عليه تعالى خاصة كانه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شئ في هذا الاسم على الوجه
الذي سبق من اعتبار معنى التوحد او القول في مجرى الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل
على معنى المتوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما
عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والاشباح
لكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه
تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى
عليه منه شئ فعلى هذا يكون قوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اي ما اسررتموه وما جهرتم به من
الاقوال وما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيانا وتقريرا للمضمون وتحقيقا
للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما يفيده الجملة السابقة
لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث
المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون
هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الاوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من
انه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيها من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم
اذ ربما يعبد ويخص به من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص
بالاسم الجليل ولا ريب في انهما مما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في
مدلول شئ من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وبهذا تبين انه ليس بيانا على
الوجه الثالث ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهومها العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر
فيما صدق عليه التوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني
جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل منه وبه يتعلق الظرف

المقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كان هو فيه وانت خارجه ولعل
جعل سرهم وجهرهم فيهما لتوسيع الدائرة وتصوير انه لا يعزب عن علمه شئ منهما في اي مكان كان لا لانهما
قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون اي ما تفعلونه
لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها
فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة
يعلم وما تاتيهم من اية من ايات ربهم كلام مستانف وارد لبيان كفرهم بايات الله واعراضهم عنها
بالكلية بعد ما بين في الاية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض ايات التوحيد وفي الاية الثانية
امتراءهم في البعث واعراضهم عن بعض اياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يضرب
عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية او للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع
مجرورها صفة لاية واضافة الايات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل
ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم اية من الايات
القرانية التي من جملتها هاتيك الايات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام
الوهيته على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا
كانوا عنها معرضين اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه واما الايات التكوينية الشاملة
للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم اية من الايات التكوينية
التي من جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر
الصحيح فيها المودي الى الايمان بمكونها وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان
يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الايات و
عن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تاتي او
من فاعله المخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما واياما كان ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض
وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فان الحق عبارة عن
القران الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل اية اية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان
تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شئ مغاير له في
الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب
التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاؤوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين
كفروا ان هذا الا افك افتريه واعانه عليه قوم اخرون فان ما جاؤوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم
المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا
لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين
البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تامل تاكيدا للشناعة وتمهيدا لبيان
ان ما كذبوا به اثر ذي اثير له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الايات
عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله وماله ويقفوا على ما في تضاعيفه
من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كما ينبئ عنه قوله تع

فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره
بابهامه وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت
بها ايات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على
العقوبات الاجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الايات الاتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة
وتقريره اي سيأتيهم البتة وان تأخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا
في عواقبه وانما قيل يستهزؤن ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالايات
الايات القرانية وهو الاظهر واما ان اريد بها الايات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف
والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الايات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو اعظم
منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الايات ولا مساغ لحمل الايات في هذا
الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا بالقران فمما
ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن استيناف مسوق لتعيين ما
هو المراد بالانباء التي سيق بها الوعيد وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي
عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير
سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن
قرن مميز لها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى
الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف
اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف
ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي الم يعرفوا بمعاينة الاثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من
قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد
وثمود واضرابهم وقوله تعالى مكناهم في الارض استيناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه
مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن لما ان
النكرة مفتقرة الى المخصص فاولها ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيته لها وانت خبير بان تنوينه التفخيمي
مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع افضائه الى ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من
الجمل الاربع امرا مفروغا عنه غير مقصود لسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى ح
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد و
تمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في
الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له
في الارض حتى اجري كل منهما مجرى الاخر ومنه قوله تعالى ما لم نمكن لكم بعد قوله تعالى مكناهم في
الارض كانه قيل في الاول مكنا لهم وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية و
العائد محذوف محلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف
الحال من مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي الضميرين وارسلنا
السماء اي المطر او السحاب او المظلة لانها مبدأ المطر عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي مغزارا
حال من السماء وجعلنا الانهار اي صيرناها فقوله تعالى تجري من تحتهم مفعول ثان لجعلنا او انشأناها

فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان
على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام
الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل
بيان حيازتهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك
عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة من الاموال والاستظهار
باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم
بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد
والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى اخر ما به الاستشهاد والاعتبار
واما قوله سبحانه وانشأنا من بعدهم اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن قرنا اخرين بدلا من
الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه
شيئا بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى ولو نزلنا عليك جملة مستأنفة سيقت بطريق
تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم
عن ايات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا
اليه عليه السلام مع نسبة اتيان الايات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام
في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل
ابن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه
اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله تعالى وانك رسوله كتابا ان جعل اسما كالامام فقوله
تعالى في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى
المكتوب فهو متعلق بنفسه فلمسوه اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله تعالى بايديهم مع ظهور
ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا
السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعد ما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا
على الاعتذار بتسكير الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير
للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي
ايضا ان هذا اي ما هذا مشيرا الى ذلك الكتاب الا سحر مبين اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا
للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك
شروع في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحا بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على
جواب لو وليس بذاك لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل
الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل
وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما
روي عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح
على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت
الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء
جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى ولو

انزلنا ملكا لقضي الامر اي انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق
بمشاهدته قوى الاحاد البشرية الا يرى ان الانبيا صلوات الله تعالى عليهم اجمعين كانوا يشاهدون
الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك
وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه
كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء
العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والاخرة من ارسال الرسل وتاسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان
عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال
مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبريا وكلمة ثم في قوله
تعالى ثم لا ينظرون اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود
بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجاة العذاب اشد من نفس العذاب
واشق وقيل في سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته
وهي اية لا شيء ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا راوه يزول الاختيار الذي
هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثاني اشير بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على ان
الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وانما لم يجعل للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب
المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول
في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل
حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدا والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدا
والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث
كانت امتناعية اريد بها انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل
مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك ابانة لكمال التنافي بينهما
الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه
ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الاحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا
على بشرا ايذانا بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى
وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بها
في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب
وقرئ اللام بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حينئذ
بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقران المعجز الناطق بها او بمعجز
اخر غير ملجئ الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولو اظهر لهم صورته الاصلية
لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او
لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تاكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كانه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا
يليق بشاننا من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على
انفسهم الساعة في كفرهم بايات الله البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله

صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين
رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد استهزئ برسل
اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه فحاق عقبه اي احاط او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد
يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي
استهزءوا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى
ما كانوا به يستهزءون للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل اي فاحاط
بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم
الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل
بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم
عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين ولقد
انجز ذلك يوم بدر اي انجاز اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك الامم ثم انظروا اي تفكروا
كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما لان النظر في اثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى
اماكنهم واما للابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا
لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله تعالى عز وجل فانظروا الاية واما ان الامر
الاول لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في اثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح
فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف
اهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الامر وماله ووضع
المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا
عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم ان المدار في ذلك قل لهم بطريق الالجاء والتبكيت
لمن ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا قل لله
تقريرا لهم وتنبيها على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتاتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة
داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه
تعالى رؤف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من
احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة
السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الايات الانفسية والافاقية وارسال الرسل وانزال
الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا
واعرضوا عن الايات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزءوا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا
شمول رحمته لسلك بهؤلاء مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق
التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روي عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق
العرش ان رحمتي سبقت غضبي وعنه في رواية انه عليه السلام قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو

عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه انه قال لكعب ما اول شيء ابتداه
الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت
اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر
وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من
ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات الا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا
بنوعيها وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والجملة استيناف مسوق للوعيد
على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم
على شرككم وساير معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى
اللام اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اي ليجمعنكم
في يوم القيمة لا ريب فيه اي في اليوم او في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم اي
بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة
الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على
الذم اي اعني الذين الخ او هم الذين الخ او هو مبتداء والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدا
معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في
التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته
تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر وله اي لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار
نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في
قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما او تحرك
فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ في سماع كل مسموع العليم المبالغ في العلم بكل معلوم
فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب اغير الله اتخذ وليا
اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا
بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى اغير الله ابغي ربا وقوله تعالى افغير الله
تامروني اعبد الخ فاطر السموات والارض اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى
الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف
او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على
المدح وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها
اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة
اليه او لانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر
لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى على ان الضمير
لغير الله والمعنى أأشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناؤهما للفاعل
على ان الثاني بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل
بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت من جنابه عز وجل
ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا له لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت

وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن اي وقيل لي لا تكونن
من المشركين اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك ويجوز عطفه على
امر قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا
اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصي على الاطلاق وقوله تعالى عذاب يوم عظيم
اي عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه
قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول
اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى
يومئذ ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل
بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تعالى
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستانفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن
وهو عبارة عن غير العاصي وذلك اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجته وبعد مكانه من الفضل وهو مبتداء خبره قوله تعالى الفوز المبين اي
الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام لقصره على ذلك وان يمسسك الله بضر
اي بلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اي فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده
وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر
عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله
على تاكيد الجوابين يأباه الفاء تدبر روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهدي للنبي صلى الله عليه
وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت الي فقال
يا غلام قلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء
يعرفك في الشدة واذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد
الخلايق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما
قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا
كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير
لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في كل ما يفعله ويامر به الخبير باحوال عباده وخفايا
امورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا
من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتداء واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى
قل الله امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان
يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لترددهم في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في هذا الشان
وقوله تعالى شهيد خبر مبتداء محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد
بيني وبينكم هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه السلام
وتكرير البين لتحقيق المقابلة واوحي الي اي من جهته تعالى هذا القرآن الشاهد بصحة رسالتي
لانذركم به بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على

ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين ولانذركم به
ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين يوم نزوله و
من سيوجد بعد الى يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق العبارة فى الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا فى غير الموجودين
وفى غير المكلفين يومئذ كما مر فى اول سورة النسا ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم
مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف قل تكرير للامر للتاكيد
انما الله واحد اى بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا هو وانني برى مما تشركون من الاصنام او
من اشراككم الذين اتيناهم الكتاب جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى
اخر عن تعيين الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الخ والمراد
بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب
للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة
الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون فى ذلك اصلا
روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله
تعالى على نبيه هذه الاية وكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابنى ولانا
اشد معرفة بمحمد منى بابنى لانى لا ادرى ما صنع النساء وانه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم
من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان
بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتدا وخبره الجملة
المصدرة بالفا لشبه الموصول بالشرط وقيل على انه خبر مبتداء محذوف اى هم الذين خسروا الخ وقيل على
انه نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على
جملة الذين اتيناهم الكتاب الخ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبى الموعود فى الكتابين
بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان
سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فانه اذا قيل
من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى الى قوله
عز وجل لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر فى
ذلك ان النسبة بين الشيئين انما يتصور غالبا لا سيما فى باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا
لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة او كذب باياته كان كذبوا بالقران الذى من جملته الاية
الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا
نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب باياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده
بالغ غاية الافراط فى الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم
الله انى يؤفكون انه الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفايدة تصدير
الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه من
اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل
ان الشان الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان

حال الظالمين هذا فما ظنك بمن فى الغاية القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر
موخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة
ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول كان من الاحوال
والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وعبد بصيغة الماضى للدلالة على التحقق ويحسن موقع عطف قوله تعالى
ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اى واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ و
قيل ليتقوا او ليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرى يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء
فيهما للذين اشركوا اى نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رءوس الاشهاد اين شركاؤكم اى الهتكم
التى جعلتموها شركاء لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ
عنه قوله تعالى الذين كنتم تزعمون اى تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ
عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون
الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرى من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب
والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الايات الكريمة اما بعدم حضورها حقيقة
الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها
فى الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف
بالموصول ولا ريب فى ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهى من حيث هى
شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه
يحال بينها وبينهم فى وقت التوبيخ ليفقدوهم فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم
وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت
انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت
والابتلاء بالعذاب فى البرزخ وانما الذى يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلى واليقين القوى المترتب على المحاضرة
والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر الا ان قالوا وقرى
بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتانيث للخبر كما فى قولهم من كانت امك وقرى بالتذكير
مع رفع الفتنة ونصبها والرفع انسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا فى يوم نحشرهم كما
اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اى لم تكن عاقبة
كفرهم الذى لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرى منه بان يقولوا والله
ربنا ما كنا مشركين واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة
فى التبرى من الاشراك وقرى ربنا على النداء فهو لاظهار الضراعة والاجتهاد فى استدعاء قبول المعذرة
وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين
عند انفسنا وما علمنا فى الدنيا انا على خطاء فى معتقدنا مما لا ينبغى ان يتوهم اصلا فانه مما يوهم ان لهم عذرا ما
وان لهم مدة على الاعتذار فى الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه مما يقضى ببطلانه قوله تعالى
انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم فى الدنيا
اى انظر كيف كذبوا على انفسهم فى قولهم ذلك فانه امر عجيب فى الغاية واما حمله على كذبهم فى الدنيا
فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا

داخل معه فی حکم التعجب وما مصدریة او موصولة قد حذف عایدها والمعنی انظر کیف کذبوا بالیمین الفاجرة
المغلظة علی انفسهم بانکار صدور ما صدر عنهم وکیف ضل عنهم ای زال وذهب افتراؤهم او ما کانوا یفترون
من الاشراک حتی نفوا صدوره عنهم بالکلیة وتبرؤا منه بالمرة وقیل ما عبارة عن الشرکاء وایقاع الافتراء علیها
مع انه فی الحقیقة واقع علی احوالها من الالهیة والشرکة والشفاعة ونحوها للمبالغة فی امرها کانها نفس المفترى
وقیل الجملة کلام مستانف غیر داخل فی حیز التعجب ومنهم من یستمع الیک کلام مبتدا مسوق
لحکایة ما صدر فی الدنیا عن بعض المشرکین من احکام الکفر ثم بیان ما سیصدر عنهم یوم الحشر بتقریر ما
قبله وتحقیق المضمون والضمیر للذین اشرکوا ومحل الظرف الرفع علی انه مبتدا وباعتبار مضمونه او بتقدیر
الموصوف کما فی قوله تعالی ومنا دون ذلک ای وجمع منا الخ ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع علی الخبر
والمعنی وبعضهم او وبعض منهم الذی یستمع الیک او فریق یستمع الیک علی ان مناط الافادة اتصافهم بما
فی حیز الصلة او الصفة لا کونهم ذوات اولئک المذکورین وقد مر فی تفسیر قوله تعالی ومن الناس من یقول
الخ روی انه اجتمع ابو سفیان والولید والنضر وعتبة وشیبة وابو جهل واضرابهم یستمعون تلاوة رسول الله
صلی الله علیه وسلم فقالوا للنضر وکان صاحب اخبار یا ابا قتیلة ما یقول محمد فقال والذی جعلها بیته ما
ادری ما یقول الا انه یحرک لسانه ویقول اساطیر الاولین مثل ما حدثتکم من القرون الماضیة فقال ابو سفیان
انی لاراه حقا فقال ابو جهل کلا فنزلت وجعلنا علی قلوبهم اکنة من الجعل بمعنی الانشاء وعلی متعلقة به
وضمیر قلوبهم راجع الی من وجمعیته بالنظر الی معناها کما ان افراد ضمیر یستمع بالنظر الی لفظها وقد روعی جانب
المعنی فی قوله تعالی ومنهم من یستمعون الیک الایة والاکنة جمع کنان وهو ما یستر الشیء وتنوینها للتفخیم و
الجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنه من الختم او حال من فاعل یستمع باضمار قد عند من یقیدها قبل الماضی
الواقع فی حال ای یستمعون الیک وقد القینا علی قلوبهم اغطیة کثیرة لا یقادر قدرها خارجة مما یتعارفه
الناس ان یفقهوه ای کراهة ان یفقهوا ما یستمعونه من القران المدلول علیه بذکر الاستماع ویجوز
ان یکون مفعولا لما ینبیء عنه الکلام ای منعناهم ان یفقهوه وفی اذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا
من سماعه والکلام فیه کما فی قوله تعالی علی قلوبهم اکنة وهذا تمثیل معرب عن کمال جهلهم بشئون النبی
صلی الله علیه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القران الکریم ومج اسماعهم له وقد مر تحقیقه فی اول سورة
البقرة وقیل هو حکایة لما قالوا قلوبنا فی اکنة مما تدعونا الیه وفی اذاننا وقر الایة وانت خبیر بان مرادهم
بذلک الاخبار بما اعتقدوه فی حق القران والنبی صلی الله علیه وسلم جهلا وکفرا من اتصافهما باوصاف
مانعة من التصدیق والایمان ککون القران سحرا او شعرا او اساطیر الاولین وقس علیه ما یقولوه فی حق النبی
صلی الله علیه وسلم لا الاخبار بان هناک امرا وراء ذلک قد حال بینهم وبین ادراکه حایل من قبلهم حتی یمکن
حمل النظم الکریم علی ذلک وان یروا کل ایة من الایات القرانیة ای یشاهدوها بسماعها لا یؤمنوا
بها علی عموم النفی لا علی نفی العموم ای کفروا بکل واحدة منها لعدم اجتلائهم ایاها کما هی لما مر من حالهم
حتی اذا جاؤک یجادلونک هی حتی التی یقع بعدها الجمل والجملة هی قوله تعالی اذا جاؤک یقول الذین
کفروا وما بینهما حال من فاعل جاؤا وانما وضع الموصول موضع الضمیر ذمالهم بما فی حیز الصلة واشعارا بعلة
الحکم ای بلغوا من الکذب والمکابرة الی انهم اذا جاؤک مجادلین لک لا یکتفون بمجرد عدم الایمان بما سمعوا
من الایات الکریمة بل یقولون ان هذا ای ما هذا الا اساطیر الاولین فان جعل احسن الحدیث واصدقه
الذی لا یاتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه من قبیل الاباطیل والخرافات رتبة من الکفر لا غایة وراءها ویجوز

ان یکون حتی جارة واذا ظرفیة بمعنی وقت مجیئهم ویجادلونک حال کما سبق وقوله تعالی یقول الذین کفروا الخ تفسیر
للمجادلة والاساطیر جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار وهو جمع سطر بالتحریک واصل الکل السطر بمعنی الخط
وهم ینهون عنه الضمیر المرفوع للمذکورین والمجرور للقران ای لا یقنعون بما ذکر من تکذیبه وعده من قبیل
الاساطیر بل ینهون الناس عن استماعه لئلا یقفوا علی حقیته فیؤمنوا به وینأون عنه ای یتباعدون عنه
بانفسهم اظهارا لغایة نفورهم عنه وتاکیدا لنهیهم عنه فان اجتناب الناهی عن المنهی عنه من متممات النهی
ولعل ذلک هو السر فی تاخیر النای عن النهی وقیل الضمیر المجرور للنبی علیه الصلوة والسلام وقیل المرفوع لابی طالب
ولعل جمعیته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه کان ینهی قریشا عن التعرض لرسول الله صلی الله علیه وسلم وینای
عنه فلا یؤمن به وروی انهم اجتمعوا الیه وارادوا برسول الله صلی الله علیه وسلم سوءا فقال والله لن یصلوا
الیک بجمعهم حتی اوسد فی التراب دفینا فاصدع بامرک ما علیک غضاضة وابشر بذاک وقر منه عیونا
ودعوتنی وزعمت انک ناصح ولقد صدقت وکنت ثمة امینا وعرضت دینا لا محالة انه من خیر ادیان
البریة دینا لولا الملامة او حذاری سبة لوجدتنی سمحا بذاک مبینا فنزلت وان یهلکون ای ما
یهلکون بما فعلوا من النهی والنای الا انفسهم بتعریضها لاشد العذاب والحطه عاجلا واجلا
وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالی وما یشعرون حال من ضمیر یهلکون ای یقتصرون الاهلاک
علی انفسهم والحال انهم ما یشعرون ای لا باهلاکهم انفسهم ولا باقتصار ذلک علیها من غیر ان یضروا بذلک
شیئا من القران والرسول علیه السلام والمؤمنین وانما عبر عنه بالاهلاک مع ان المنفی من غیرهم مطلق
الضرر اذ غایة ما یؤدی الیه ما فعلوا من القدح فی القران الکریم الممانعة فی تمشی احکامه وظهور امر الدین
للایذان بان ما یحیق بهم هو الهلاک لا الضرر المطلق علی ان مقصدهم لم یکن مطلق الممانعة فیما ذکر بل کانوا
یبغون الغوائل لرسول الله صلی الله علیه وسلم وللمؤمنین ویجوز ان یکون الاهلاک معتبرا بالنسبة الی
الذین یضلونهم بالنهی فقصره علی انفسهم ح مع شموله للفریقین مبنی علی تنزیل عذاب الضلال عند عذاب
الاضلال منزلة العدم ولو تری اذ وقفوا علی النار شروع فی حکایة ما سیصدر عنهم یوم القیمة من
القول المناقض لما صدر عنهم فی الدنیا من القبایح المحکیة مع کونه کاذبا فی نفسه والخطاب اما لرسول الله صلی
الله علیه وسلم او لکل احد من اهل المشاهدة والعیان قصدا الی بیان کمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة
الی حیث لا یختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البدیعة بل کل من تاتی منه الرؤیة
یتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وایذانا بقصور العبارة عن تفصیله وکذا
مفعول تری لدلالة ما فی حیز الظرف علیه ای لو تراهم حین یوقفون علی النار حتی یعاینوها لرایت ما
لا یساعده التعبیر وصیغة الماضی للدلالة علی التحقق او حین یطلعون علیها اطلاعا وهی تحتهم او یدخلونها
فیعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته علی کذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا علی البناء للفاعل من
وقف علیه وقوفا فقالوا یا لیتنا نرد ای الی الدنیا تمنیا للرجوع والخلاص وهیهات ولات حین
مناص ولا نکذب بایات ربنا ای بایاته الناطقة باحوال النار واهوالها الامرة باتقائها اذ هی التی تخطر
حینئذ ببالهم ویتحسرون علی ما فرطوا فی حقها او بجمیع ایاته المنتظمة لتلک الایات انتظاما اولیا ونکون
من المؤمنین بها العاملین بمقتضاها حتی لا نری هذا الموقف الهائل او نکون من فریق المؤمنین الناجین
من العذاب الفائزین بحسن الماب ونصب الفعلین علی جواب التمنی باضمار ان بعد الواو واجراؤها مجری
الفاء ویؤیده قراءة ابن مسعود رضی الله عنه وابن اسحق فلا نکذب والمعنی ان رددنا لم نکذب ونکن من

المومنين وقيل نسبك من ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المومنين وقرئ برفعهما على انه كلام مستانف كقوله دعني ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من ضميره فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب الاتي به لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قيل ليتني رزقت مالا فاكافئك على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الايات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا انهم مواقعوها فلظى فيها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بايات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من البدو وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فظهرت في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليه او شركهم الذي يجحدون به في بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل الكتابين من صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المومنين والضمير المجرور للمومنين والمرفوع للمنافقين فبمعزل الاغضاء عما في كل منها من الاعتساف والاخلال لا سبيل الى شيء من ذلك اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر واسناد الى شيء من الامور المذكورة التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة امر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة فتامل ولو ردوا اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم لكاذبون اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما ياتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا وداخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افادته الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر لاوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هي اي ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعدما فارقنا هذه الحيوة كان لم يروا ما راوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس

للتوبيخ كالسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشا من الكلام السابق كانه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال اليس هذا مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا استيناف كما سبق بلى وربنا اكدوا اعترافهم باليمين لاظهار كمال تيقنهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه قال استيناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليها من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجاة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اي فجاة وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شان الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا لافادة الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المالوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حياة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس وينفرها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على

حذف المضاف او جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار اي وما
اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل الكسب تلك الاعمال الا
لعب شيء تشغل الناس وتلهيهم بما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة
جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح وللدار الاخرة التي هي محل الحيوة
الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالالام
مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على
مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون او الا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي من
الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون في
حقه راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد
الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما
يخرج اليه ربما في مثل قوله وان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود جريا على سنن العرب عند
قصد الافراط في التكثير يقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعندي
مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير
ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما
تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة او
ادعاء كما في البيت وقوله قد اترك القرن مصفرا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى
كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول
فاعل يحزنك وعائده محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو
ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام
السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التسلي عنه وعده هينا والاقبال التام على ما هو اهم منه
من استعظام جحودهم بآيات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى
الله عليه وسلم لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل
والزلفى من الله عز وجل الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لآياته سبحانه
على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه السلام واثبت لآياته تعالى على
طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عليه السلام في شان الله
عز وجل نعم فيه استعظام لجنايتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كانه قيل لا تعتد بهم وكلهم الى الله تعالى فانهم في تكذيبهم
ذلك لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اي ولكنهم بآياته تعالى يكذبون فوضع
المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل
لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود آياته تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان بان آياته
تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار
مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعني بقول من قال انه نفي ما في القلب ثباته
او ثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هي لتضمين

الجحود معنى التكذيب وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون
بالسنتهم ويعضده ما روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك
عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله كما روي ان ابا جهل كان يقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وانك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر
عند الخبيث بمطابقة خبره لاعتقاده والاول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك
من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كاكثر وكثر وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا
ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اي نسبت الكذب اليه واكذبته اي نسبت الكذب
الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك امتنان في تسليته عليه السلام فان عموم
البلية ربما تهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه السلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام
في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير
الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن اما متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة
لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل
كانوا من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا ما مصدرية وقوله تعالى واوذوا عطف على
كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدر ان من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم و
اصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الايذاء لم يصرح به ثقة
باستلزام التكذيب اياه غالبا وايا ما كان ففيه تاكيد للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل
هو استيناف وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له
وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تعالى
ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى و
لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله
لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله ايضا لا نفس الآيات المذكورة ونظايرها فان الاخبار بعدم تبدلها للمواعيد الواردة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته
التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا و
الالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال
ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى ولقد جاءك من نبإ المرسلين جملة قسمية جيء بها
لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من
تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اي
بعض نبإ المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبإ المرسلين كما في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول
آمنا بالله الآية وايا ما كان فالمراد بنبئهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني

جميع ما جرى بينهم عليه السلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل
الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في
جاءك العائد الى ما فيهم من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك
اعراضهم كلام مستأنف مسوق لتأكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي
ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم من
تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل
وانا نصدقك فابى الله ان ياتيهم بما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل فشق ذلك عليه لما انه عليه السلام كان شديد الحرص على
ايمان قومه فكان اذا سألوه اية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم مرتفع
بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل
النصب على انه خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم
وكبر جملة فعلية في محل النصب على انه خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى
التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الخ شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول
والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت
ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا فان استطعت ان تبتغي نفقا اي سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه
الى جوفها او سلما اي مصعدا في السماء تعرج به فيها فتاتيهم منهما باية مما اقترحوه فافعل
وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالآية فالفاء في فتاتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين آية للتفخيم اي
فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف هما نعتان لنفقا وسلما
والاول لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او للتعميم وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من
فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه
عليه السلام على اسلام قومه وترامية الى حيث لو قدر على ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق السماء
لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع
ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه من
الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع
تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لانه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله و
قيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى فلا
تكونن من الجاهلين نهي له صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل
الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى
واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل
الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم
اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز
ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه عليه السلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم

بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم انما
يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي اذانهم وقرا حاجزا
من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة
للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين
هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تعالى
بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم
على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء
الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل
اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهورة اوفى بحق المقام لانبائها عن كون مرجعهم اليه
تعالى بطريق الاضطرار وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه حكاية لبعض اخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا
في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه و
لقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوه من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى
اجترؤوا على ادعاء انها ليست من قبيل الآيات وانما هي ما اقترحوه من الجواز والملجئة او المعقبة للعذاب
كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ
عنه القراءة بالتخفيف فيما سياتي وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه السلام من الاشعار بالعلية
انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الآية في قوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل اية مع
ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا اية ما من الآيات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز
ان يراد بها اية موجبة لهلاكهم كانزال ملائكة العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما اظهر
الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته
تعالى على تنزيلها انها ليست في حيز الانكار للايذان بان عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة
يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا
من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام و
المعنى انه تعالى قادر على ان ينزل اية من ذلك او اية واي اية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها
مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استيصالا لهم بالكلية
فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون
على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة في الارض الخ كلام مستأنف
مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الآية وانما
لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لتاكيد الاستغراق وفي متعلقه بمحذوف هو وصف لدابة مفيد
لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في
قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من
نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما دابة
ولا طائر الا امم اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم
امثالكم اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن

السواد منتظمة في سلك المقدرات الالهيه والتدبيرات الربانية ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط
الشيء اي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جوية معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي
اهمل ما ينبغي ان يكون فيه واغفله فقوله تعالى في الكتاب اي القران على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء
مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القران شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان
انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما
جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر
لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح
غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون بيان
لاحوال الامم المذكورة في الاخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لاجرائها
مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيمة كدابكم لا الى غيره فيجازيهم فينصف
بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها وياباه مقام تهويل الخطب
وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء و
الموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الايات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما
بعده اي اوردنا في القران جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا باياتنا التي هي منه
صم لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الايات
ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى
في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتدا على انه عبارة عن
العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كائنين
في الظلمات او صفة لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان
الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره
بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات فينسد عليه باب
الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشاء الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان
انهم من اهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدا وخبره ما بعده ومفعول المشية محذوف على القاعدة
المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشاء الله اضلاله
اي ان يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند
صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى ومن يشا يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب
اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه قل ارايتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر
بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى التركيب وان
كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني ان
اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي او اتتكم الساعة التي لا محيص
عنها البتة اغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى ان كنتم صادقين
متعلق بارايتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان
كنتم صادقين في ان اصنامكم الهة كما انها دعواكم المعروفة او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله

تدعون ان اتاكم عذاب الله الخ فان صدقهم باي معنى كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه و
اما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم
الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما يأتي لا نفس دعائهم اياه
بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كانه قيل لا غيره
تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون اي
فيكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع
لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف
العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض اخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي
الذي من جملته الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركونه به تعالى من الاصنام
تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار
كمال العناية بشأن الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى ولقد ارسلنا كلام
مستأنف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي و
الضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصدير الجملة بالقسمية
لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم
لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم كثيرة من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك
فاخذناهم اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالباساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الضر والافات
وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل
ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه
ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم
اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة كقولك لم يكرمني
اذ جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم
من الباساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم
والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر ينساق اليه
النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب كل شيء
من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد
للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى
حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الاية
ونظائرها وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل فعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم
وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجاءة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا فاذا هم
مبلسون متحسرون غاية الحسرة ايسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك
الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره ودبورا اي
تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع
الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فان هلاك

اوازدادت قساوة م

الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة
للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام قل ارايتم امر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا
في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ان
اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل
وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان
للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما
تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الايات القرآنية وافراده لما ان اصله مصدر وقوله تعالى من اله
مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى غير الله صفة للخبر وقوله تعالى ياتيكم به اي بذلك على ان
الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار
اي اخبروني ان سلب الله تعالى مشاعركم من اله غيره تعالى ياتيكم بها وقوله تعالى انظر كيف نصرف الايات
تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تاثرهم بما عاينوا من الايات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها
مصروفة عن اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة
بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد
صدوفهم اي اعراضهم عن تلك الايات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل
ارايتكم تبكيت اخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه العاجل
الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجاة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا
معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلائمه وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تعالى
بياتا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر
اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق
الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى
حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه
الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع
الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن
اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كانه
قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون
اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر
باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه و
اشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي وما نرسل المرسلين كلام
مستانف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام
واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان
ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من
المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم ففيهما معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم

بالثواب

بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دنيويا كان او
اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر والالزام ان لا يكون بيان الشرائع
والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى فمن امن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة
والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب
الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل او الاجل وتقديم
نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار لفظها اي لا يعتريهم
ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء
دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس
المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا يرى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار
الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالي
عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا
لا بعد في ذلك فان قولك ما زيدا ضربت مفيد لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز
وجل والذين كذبوا عطف على من امن داخل في حكمه وقوله تعالى باياتنا اشارة الى ان ما ينطق به الرسل
عليهم السلام عند التبشير والانذار ويبلغونه الى الامم ايات تعالى وان من امن به فقد امن باياته تعالى ومن
كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل
المرسلين الا لتبشير وانذارهم من جهتنا بما سيقع منا من الامور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا او من
تلقاء انفسهم او استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن امن بما اخبروا
به من قبلنا تبشيرا او انذارا في ضمن اياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا التي بلغوها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي
انذروه عاجلا او اجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب
فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
استيناف مبني على ما اسس من السنة الالهية في شان ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار تبريه ع م
عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الايات واخرى غير ذلك لا ادعي
ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيفما اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي
تنزيل الايات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشاني وجعل هذا تبرؤا عن دعوى
الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي خزائن الله اي ولا ادعي ايضا
اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسالوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما ولا اقول
لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيقه البشر من الرقي في السماء ونحوه او
تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من اثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي
الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي
الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي
لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول

انزال

اخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات
في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما
يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار
النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة
كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان معناه فعل
النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما
يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير
ان يكون لي مدخل ما في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه اخر من الوجوه اصلا • قل هل
يستوي الاعمى والبصير • مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار
استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقايق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال
والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتاكيد الالزام وقوله تعالى • افلا تتفكرون
تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق
فلا تتفكرون فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم
التفكر مع تحقق ما يوجبه • وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم • بعدما حكى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الايات الباهرة ولا يتاثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة
قد ايفت مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما
يلقمهم الحجر اي القام فابوا الا الاباء والنكير وما نجع فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار
على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على
الوجه الاتي سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في
شفاعة ابائهم الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام كالاخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين
يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر راسا والقايلون
به القاطعون بشفاعة ابائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون في
الاعمال من المومنين ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته كما ستقف عليه
والضمير المجرور لما يوحى او لما دل هو عليه من القران والمفعول الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول
عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى • ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع • في
حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا او من متعلقه المحذوف وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما
قدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاولى لاخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما
نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة
المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي لم
يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى واستلزامه ثبوت ولاية لله تعالى كما في قوله تعالى وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره
سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى

انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم وعن هذا اتضح ان لا سبيل الى كون
المراد بالخائفين المفرطين من المومنين اذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذي يخافونه
الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى • لعلهم يتقون • تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي
او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى • ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي • لما امر عليه السلام بانذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين
نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم روي ان روسا من المشركين قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لو طردت هولاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المومنين قالوا فاقمهم عنا
اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال عليه السلام نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي
الله تعالى عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن
ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد وعمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف
من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا
وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه
بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون وقال
سلمان وخباب فينا نزلت هذه الاية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس
وذووهم من المولفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المومنين فلما
راوهم حوله عليه السلام حقروهم فاتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت
عنا هولاء وارواح جبابهم لجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد المومنين
قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب ياتيك فنستحيي ان
ترانا مع هولاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم
قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام
بالاية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته
وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم
عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد
بذكر الوقتين الدوام وقيل صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى • يريدون وجهه • حال من
ضمير يدعون اي يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتاكيد عليته للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات
الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى • ما عليك من حسابهم من شيء • اعتراض وسط بين النهي وجوابه
تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا
ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي اي ما عليك شيء ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى
تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة اعتبار ظواهرهم
الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان
حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى • وما من حسابك عليهم من شيء • مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة
في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليهم

عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة
جملة واحدة لتأدية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شأن التنزيل
وتقديم عليك فى الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفى على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعى
الى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم
ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى فتطردهم جواب النفى وقوله تعالى فتكون
من الظالمين جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك
فتنا بعضهم ببعض استيناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهى وذلك اشارة الى مصدر ما بعده
من الفعل الذى هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين فى امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه
فى امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته فى
الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها فى الاصل النصب على انه نعت
لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة
القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك
الفتون الكامل البديع فتنا اى ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين فى امر
الدين على الاولين المتقدمين عليهم فى امر الدنيا تقدما كليا واللام فى قوله تعالى ليقولوا للعاقبة اى
ليقول البعض الاولون مشيرين الى الآخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوى
وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق
ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك
انكار وقوع المن راسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف
بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى أليس الله باعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وابطال
له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شأن النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير
علمه البالغ بذلك اى أليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى
ان اولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله تعالى فى تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى
على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
هم الذين نهى عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تع
بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتى العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الاول
لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهى عن الطرد فيما سبق هو المداومة
على العبادة وقوله تعالى فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم
وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بان يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اى قضاها
على ذاته المقدسة بطريق الفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شىء ما اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى و
بنيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبول التوبة منهم وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا
انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا
بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على انه تفسير للرحمة بطريق الاستيناف وقوله تعالى بجهالة حال من

فاعل عمل اى عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر
ما يعلم انه يؤدى الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اى من بعد عمله او من بعد سفهه و
اصلح اى ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اى فامره انه غفور رحيم
وقرئ فانه بالكسر على انه استيناف وقع فى صدد الجملة الواقعة خبرا لمن على انها موصولة او جوابا لها على انها
شرطية وكذلك نفصل الآيات قد مر ما فيه من الكلام اى هذا التفصيل البديع نفصل الآيات فى
صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتأنيث الفعل
بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة
محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او
علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستانفا اى ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل
وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد وتاؤه للخطاب اى ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم
بما يليق بهم قل انى نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة
من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اى قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام
اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا انى صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة
وانزل على من الآيات فى امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اى عن عبادة ما تعبدونه من دون
الله كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به او ايذانا باختلاف المقولين
من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهى والثانى حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر
من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون
لاهواء باطلة وليسوا على شىء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهى والانتهاء وقوله تع
قد ضللت اذا استيناف مؤكد للانتهاء عما نهى عنه مقرر لكونهم فى غاية الضلال والغواية اى ان
اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة
الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اى دوام النفى واستمراره لا نفى الدوام والاستمرار كما مر مرارا
اى ما انا فى شىء من الهدى حتى اكون فى عدادهم وقوله تعالى قل انى على بينة تحقيق للحق الذى عليه
رسول الله عليه السلام وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذى عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له و
البينة الحجة الواضحة التى تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحى وقيل هى الحجج العقلية او ما
يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربى متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة
لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم به اما جملة مستانفة او حالية
بتقدير قد او بدونه جىء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضى عدمه من غاية وضوح
البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى انى على بينة عظيمة كائنة من ربى و
كذبتم بها وبما فيها من الاخبار التى من جملتها الوعيد بمجىء العذاب وقوله تعالى ما عندى ما تستعجلون
به استيناف مبين لخطئهم فى شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجىء ما وعد فيها من العذاب
الذى كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على
زعمهم اى ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود فى القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه فى حكمى

وقد نبى حتى اجى به واظهر لكم صدقه اى ليس امره بمفوض الى ان الحكم اى ما الحكم فى ذلك تعجيلا وتأخيرا او ما الحكم فى جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اى يتبعه بيان لشؤنه تعالى فى الحكم المعهود او فى جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اى لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقيه التاخير وقرئ يقضى فانتصاب الحق على المصدرية اى يقضى القضاء الحق او على المفعولية اى يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدى على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذى يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى انى من معرفة ربى وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب ايات الله تعالى بسبب عدم مجىء العذاب الموعود بها فتكذيبهم به سبحانه فى امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا قل لو ان عندى اى فى قدرتى ومكنتى ما تستعجلون به من العذاب الذى ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الى من جهته تعالى لقضى الامر بينى وبينكم اى بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفى بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذى هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل فى تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى ولتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفيه المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الى فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يغلق عليها ويفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اى عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تاكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلون به من العذاب ليس مقدورا لى حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدى لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما فى البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء فى الجلاء اى يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وكثرة افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى فى ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اى ولا حبة كائنة فى بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان فى حكمها وقوله تعالى الا

الخامس والعشرون

٢٤١

فى كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا فى كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد نقل قراءة الرفع فى ولا حبة ايضا وهو الذى يتوفيكم بالليل اى ينيمكم فيه على استعارة التوفى من الاماتة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة فى زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشىء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اى ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق فى كل فرد من افرادهما اذ بالتوفى والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا فى بعضهما والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اى يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وتخصيص التوفى بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجرى على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اى يوقظكم فى النهار عطف على يتوفيكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما فى بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفى بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخى كانه قيل هو الذى يتوفاكم فى جنس الليالى ثم يبعثكم فى جنس النهر مع علمه بما ستجرحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اى رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الليالى والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لافضائه الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اى هو المتصرف فى امورهم لا غير يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة اى كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اى يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفى ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطى المعاصى والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى فى قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هى التى يبتدأ بها الكلام وهى مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التاءين وهم اى الرسل لا يفرطون اى بالتوانى والتأخير وقرئ مخففا من الافراط اى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر فى مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا

لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في
موقف الحساب مولاهم اي مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين
لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا
لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا
يشغله حساب عن حساب ولا شان عن شان وفي الحديث ان الله تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما
الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم
الشديد يوم مظلم ويوم ذو كوكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد
وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له
او من فاعله اي من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعون
او مصدر مؤكد له اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر
الخاء وقوله تعالى لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اي قائلين لئن انجيتنا من هذه
الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين اي الراسخين في الشكر المداومين عليه
لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم
منها ومن كل كرب امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم
ولبناء قوله تعالى ثم انتم تشركون عليه اي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة
وغيرها من الغموم والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ
ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى
هو القادر على القائهم في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور
على طريقة قوله عز وجل افامنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الاية
وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم
ولتهويل امر المؤخر وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا
كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم اي
من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤساؤكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم
وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح او يلبسكم شيعا اي يخلطكم
فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة
لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض عطف على يبعث وقرئ بنون
العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والاخر المؤمنون ففيه
وعد ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند
قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا
اهون او هذا ايسر وعنه عليه السلام انه قال سالت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الايات من
حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد

وكذب به

وكذب به اي بالعذاب الموعود او القران المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم
بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضي بغاية
عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى
المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق
في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم منبها
على ما يؤول اليه امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل
الى امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم
بما سترونه لكل نبا اي لكل شيء ينبا به من الانباء التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من
جملتها خبر مجيئه مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله
وسوف تعلمون اي حال نبئكم في الدنيا او في الاخرة او فيهما معا وسوف للتاكيد كما في قوله تعالى
ولتعلمن نباه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن
فيها كما هو داب قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى
يخوضوا في حديث غيره غاية للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير اياتنا والتذكير
باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار
كونه قرانا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك
من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع المظهر
موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق
والتعظيم راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين حين
نهوا عن مجالستهم عند خوضهم في الايات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقران لم نستطع ان نجلس في
المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من
حسابهم اي مما يحاسبون عليه من الجرائم من شيء اي شيء ما على انه في محل الرفع على انه مبتدا
وما تميمية او اسم لها وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون
في محل الرفع على انه خبر للمبتدا او لما الحجازية على راي من يجيز اعمالها في الخبر المقدم مطلقا او في محل النصب
على راي من يجوز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من النفي
السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا
لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم
تذكيرا او الرفع على انه مبتدا محذوف الخبر اي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض
حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اي يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوا
وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه وامروا باقامة مواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا
او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب و
اللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية وغرتهم الحيوة الدنيا و
اطمانوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به اي بالقران من يصلح للتذكير ان تبسل نفس

بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الاية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما
في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل
لان فريسته لا تفلت منه او لانه متمنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع
وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشان ويكون الجملة بدلا
منه مفسرا له لما في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم
بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى ليس لها
من دون الله ولي ولا شفيع استيناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير
كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة او نفوس
كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في
تفسير قوله تعالى وانذر به الاية وقيل هو خبر ليس فيكون لها حينئذ متعلقا بمحذوف على البيان وان تعدل
اي ان تفد تلك النفس كل عدل اي كل فداء على انه مصدر موكد لا يوخذ منها على اسناد الفعل
الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يوخذ منها عدل فانه المفدي لا المصدر كما نحن فيه
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم
في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى الذين ابسلوا بما كسبوا والجملة مستانفة سيقت
اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اي اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون
بالحيوة الدنيا هم الذين اسلموا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى لهم شراب من حميم استيناف اخر
مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سوال نشا من الكلام كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا
فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ويقطع به امعاءهم وعذاب اليم بنار تشتعل بابدانهم
بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير
ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله
تعالى بما كسبوا لانه العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن
مستتبعاته من المعاصي والسيئات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس
محله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة
الابسال قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه
عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان بما بينهما
من الاتصال والاتحاد تنويها لشان الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات
الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه
وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على اعقابنا عطف على ندعو داخل في حكم
الانكار والنفي اي ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة
ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر وايثار
نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة
وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى بعد اذ
هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد

وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد اذ هديتنا قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي
لا هادي سواه وقوله تعالى كالذي استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي انرد
على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر
محذوف اي انرد ردا مثل رد الذي استهوته الخ والاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب
فيها كانها طلبت هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله تعالى في الارض اما متعلق
باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا قوله تعالى حيران حال منه على انها
بدل من الاولى وحال ثانية عند من يجوزها او من الذي او من المستكن في الظرف اي تائها ضالا عن الجادة لا يدري
ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة
سيقت لبيان حاله وقوله تعالى يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اي لذلك المستهوى رفقة يهدونه
الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل
من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم و
ان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعي الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعي ومورد النعيق
فقط قل ان هدى الله الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض
وغي بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه تكرير الامر للاعتناء بشان المامور به ولان ما سبق
للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تعالى مما
يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت
القول واللام في لنسلم لرب العالمين لتعليل الامر المحكي وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلثة كما في
قوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الاية كانه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل
ان نسلم وقيل هي بمعنى الباء اي امرنا بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى
وان اقيموا الصلوة واتقوه اي الله تعالى في مخالفة امره عطف على نسلم على الوجوه الثلثة على ان
المصدرية اذا وصلت بالامر يجرد هو عن معنى الامر نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال
فالمعنى على الاول لامرنا اي قيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه
تعالى وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل
الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذي اليه تحشرون جملة مستانفة موجبة
للامتثال بما امر به من الامور الثلثة وهو الذي خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما
ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى بالحق
متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد له اي قائما بالحق او ملتبسة
بالحق او خلقا ملتبسا به وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استيناف لبيان ان خلقه تعالى
لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف
على شيء اخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد فرد من افراد المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان
حق في نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها
للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية وترك ذكر المقول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا
او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى وامره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله

ولا نعدم من افراد الاعيان الحوادث المشهود له بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته
ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق
كائن حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير
في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتداء وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي
لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاجساد
واحياءها فتامل حق التامل وله الملك يوم ينفخ في الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم
مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلايق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة
للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي
هو عالمهما وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال ابراهيم منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد
المعنى اي واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله
تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول ابرهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر
على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون
ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر
وعاذر وفالغ وكذلك تارخ ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه
للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزوم عبادته
فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء و
سليمن التيمي المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر او اريد عابد آزر على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام
أتتخذ متعد الى مفعولين هما اصناما آلهة اي اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ
الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ ازرا بفتح الهمزة وكسرها بعد
همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد آزرا ثم قيل تتخذ اصناما
آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى الاجل القوة و
المظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا لتعززه بها على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك
الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا
والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ
وكذلك نري ابراهيم هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه
وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري
لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله تعالى اني اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه
وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري
ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة
فصار مشارا اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات

والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له
تعالى لا تبصيرا الى اخواذ منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك
العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز سلطانه اولا فقيل وقيل والاول هو الاظهر وبه قال
الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه كشف له عليه السلام عن السموات والارض
حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض
والجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من
الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه السلام
على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه
اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة و
قرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى
وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة الراسخين
في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر
فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في
ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من
مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام اي
ليستدل بها وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدائعهما وآياتهما لان الاستدلال من غاية اراءتها لا من
غايات اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابرهيم
داخل تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وملوح فان تعريفه عليه السلام
ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود
وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين
مما يقضي بان يحكم عليه السلام باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل
لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان
ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى راى كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور
الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس
والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله
تعالى قال هذا ربي استيناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان اراءته عليه
السلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام من
آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين راى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض
هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه
على راي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان
استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في
حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه
النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت

بإيمانهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من
الإراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وأنت خبير بأن كل ذلك مما يخل بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل
عليه السلام فلما أفل أي غرب قال لا أحب الآفلين أي الأرباب المتنقلين من مكان إلى مكان المتغيرين
من حال إلى حال المحتجبين بالأستار فإنهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر بازغا أي
مبتدئا في الطلوع إثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الأسلوب السابق فلما أفل كما أفل النجم قال
لئن لم يهدني ربي إلى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لأكونن من القوم الضالين فإن شيئا مما
رآه لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في إظهار النصفة ولعله عليه السلام كان إذ ذاك
في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار أو بعده بقليل وكان
الكوكب قريبا منه وأفقه الشرقي مكشوفا وإلا فطلوع القمر بعد أفول الكوكب ثم أفوله قبل طلوع الشمس
كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة أي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال أي على
النهج السابق هذا ربي وإنما لم يؤنث لما أن المشار إليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث
هو لا من حيث هو مسمى باسم من الأسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس أو لتذكير الخبر وصيانة الرب عن [illegible]
التأنيث وقوله تعالى هذا أكبر تأكيد لما رامه عليه السلام من إظهار النصفة مع إشارة خفية إلى فساد
دينهم من جهة أخرى ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الأصغر فلما أفلت هي أيضا كما أفل الكوكب والقمر
قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين أظهرهم يا قوم إني بريء مما تشركون أي من الذي تشركونه من
الأجرام المحدثة المتغيرة من حالة إلى أخرى المسخرة لمحدثها أو من إشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيره على الأفول دون
البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فإن كلا منهما وإن كان في نفسه انتقالا منافيا
لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الأول حالة موجبة لظهور الآثار والأحكام ملائمة لتوهم
الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الأول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس
الآثار وبطلان الأحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها
ما رتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم توجه إلى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال إني وجهت
وجهي للذي فطر السموات أي لهذه الأجرام التي تعبدونها من أجزائها والأرض التي [illegible] فيها
حنيفا أي مائلا عن الأديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما أنا من المشركين في شيء من الأفعال
والأقوال وحاجه قومه أي شرعوا في مغالبته في أمر التوحيد قال استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من حكاية محاجتهم كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترءوا عليه من محاجته
عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم أتحاجوني في الله بإدغام نون
الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الأولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للإنكار
فإن كونه عليه السلام مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام أي أتجادلونني
في شأنه تعالى ووحدانيته والحال أنه تعالى هداني إلى الحق بعدما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها
تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا أخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام في أثناء المحاجة
من إصابة مكروه من جهة أصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى إلا
أن يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من أعم الأوقات أي لا أخاف ما تشركونه به سبحانه من معبوداتكم في وقت

من الأوقات إلا في وقت مشيئته تعالى شيئا من إصابة مكروه بي من جهتها وذلك إنما هو من جهته تعالى من غير دخل
لآلهتكم فيه أصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام إظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه
وتعالى واستسلام لأمره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما
كأنه تعليل للاستثناء أي أحاط بكل شيء علما فلا يبعد أن يكون في علمه تعالى أن يحيق بي مكروه من قبلها بسبب
من الأسباب وفي الإظهار في موضع الإضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى أفلا تتذكرون
أي أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون أنها غير قادرة
على إضراري وفي إيراد التذكر دون التفكر ونظائره إشارة إلى أن أمر أصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف
إلا على التذكر وقوله تعالى وكيف أخاف ما أشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب
زعم الكفرة بالطريق الإلزامي كما سيأتي بعد نفيه عنه بحسب الواقع ونفس الأمر والاستفهام لإنكار الوقوع
ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الآية لا لإنكار الواقع واستبعاده مع وقوعه
كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الإنكار إلى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى
نفسه بأن يقال أأخاف لما أن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال وكيفية من الكيفيات
قطعا فإذا انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون أنكم أشركتم
بالله حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة إلى الضمير العائد إلى ذي
الحال وهو مقرر لإنكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فإنهم حيث لم يخافوا
في محل الخوف فلأن لا يخاف عليه السلام في محل الأمن أولى وأحرى أي وكيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف
أصلا وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخوفات وأهولها وهو إشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الأرض و
لا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وإنما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به أي بإشراكه عليكم سلطانا
على طريقة التهكم مع الإيذان بأن الأمور الدينية لا يعول فيها إلا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق
الخوف الثاني بإشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الأدب ما لا يخفى هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى ولا
تخافون إلى آخره معطوف على أخاف داخل معه في حكم الإنكار والتعجب فمما لا سبيل إليه أصلا لإفضائه إلى
فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت أن الإنكار بمعنى النفي بالكلية فيئول المعنى إلى نفي الخوف عنه عليه السلام
ونفي نفيه عنهم وأنه بين الفساد وحمل الإنكار في الأول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما
لا مساغ له على أن قوله تعالى فأي الفريقين أحق بالأمن ناطق ببطلانه حتما فإنه كلام مرتب على إنكار خوفه
عليه السلام في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه
عليه السلام لما هو عليه من الأمن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وإنما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم
له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الإنصاف والمراد بالفريقين الفريق
الآمن في محل الأمن والفريق الآمن في محل الخوف فإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال فأينا أحق بالأمن أنا أم
أنتم لتأكيد الإلجاء إلى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن
تزكية النفس إن كنتم تعلمون المفعول إما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام أي إن كنتم تعلمون من
أحق بذلك أو قصدا إلى التعميم أي إن كنتم تعلمون شيئا وإما متروك بالمرة أي إن كنتم من أولي العلم وجواب
الشرط محذوف أي فأخبروني الذين آمنوا استئناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه
أي الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم ذلك أي لم يخلطوه بظلم أي بشرك كما يفعله الفريق المشركون

حيث يزعمون انهم يومنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل
التقرب والشفاعة كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصو
من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم
وانتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف
وهو مبتداء ثان وقوله لهم الامن جملة من خبر متقدم ومبتداء موخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره
خبر للمبتداء الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبرا
للموصول والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدا ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتداء والجملة خبر
للموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدا ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا له والجملة خبرا للموصول اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين
روي انه لما نزلت الاية شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى
الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به
ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضية الخلط بقاء الاصل بعد الخلط
حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد الجواب عن حال
الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله تعالى اتحاجوني
الى قوله تعالى مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو
منزلته في الفضل وهو مبتداء وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله
تعالى اتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها
معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا
بدل او بيان للمبتداء وابراهيم مفعول اول لاتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه
متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف ان جعل بدلا اي اتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله اتيناها
نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الاتي درجات اي رتبا عظيمة عالية
من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التميز والمفعول
قوله من نشاء وتاخيره على الوجوه الثلثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى الموخر ومفعول
المشية محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام وقرئ
بالاضافة الى من والجملة مستانفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على انها
حال من فاعل اتينا اي حال كوننا رافعين الخ ان ربك حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض عليم بحال
من رفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عم
موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية
به عليه السلام ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة
الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على اتيناها لان له محلا من الاعراب
نصبا او رفعا حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيين للرابط ولا
سبيل اليه هنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما

اي كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون الاخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابراهيم وانهما
مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم عليهما
السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤونه
العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة
كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس
ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الاية والتي بعدها
واما المذكورون في الاية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هولاء الانبياء
كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي
ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم
واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب داود وسليمان منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا
ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشانه مع ما في المفعول
من طول ربما يخل تاخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب
هو ابن اموص بن اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع حالا من المذكورين
اي وهديناهم حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عليه السلم
ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزي المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء
والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة جزائهم لجزائه عليه السلام مطلق المشابهة في
مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير حتم لتماثله من كل وجه ضرورة ان الجزاء
بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به ابراهيم عليه السلام والاقرب ان اللام في المحسنين للعهد وذلك اشارة الى
مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر
واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المشار اليه لا نعتا له اي وذلك الجزاء
البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء اخر ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان
الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي
وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما
قبلها وزكريا وهو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول
اولاد البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من
اسباط هرون اخ موسى عليه السلام كل اي كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين اي من الكاملين
في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح
واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام
ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال
رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس وهو ابن متى ولوطا هو ابن
هاران ابن اخي ابراهيم عليهم السلام وكلا اي كل واحد من هولاء المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم

دون بعض على العالمين على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاختيها وقوله تعالى ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم
اما متعلق بما تعلق به من ذريته والمفعول محذوف اي وهدينا من اباءهم وذرياتهم واخوانهم جماعات
كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض اباءهم الخ واجتبيناهم عطف على
فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه
ذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك
من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله الاضافة للتشريف يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون
للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء المذكورون لحبط
عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم
واعمالهم اعمالهم اولئك الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار
اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من
الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من
الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء
فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق
والصواب والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقين هؤلاء
اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه من القران كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم
الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا
برعايتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون
على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام
لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني ادم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان
بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج
عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد مر تحقيقه
في تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شانهم
في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القران الكريم وقيل هم
الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها واياما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين
قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتاكيد النفي واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر انفا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم
الكريم او الى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء
فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما اجلاء ما ليسوا بها كافرين بل مستمرون على الايمان بها
والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف
المذكورة اذ بايمانهم بالقران والعمل باحكامه يتحقق الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة
عليهم السلام فايمانهم به ليس من قبيل ايمان احاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين

وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج
المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد
بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد
النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف
واقتداء بالامام وقرئ باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسالكم عليه اي على القران او على التبليغ فان
مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يساله من قبلي من الانبياء عليهم السلام وهذا
من جملة ما امر عليه السلام بالاقتداء بهم فيه ان هو اي ما القران الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكير
لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون اخرين وما قدروا الله لما بين شان القران العظيم وانه نعمة
جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان
غمطهم اياها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال
قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره واحواله
واوصافه وقوله تعالى حق قدره نصب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيف الى
موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه اي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة
عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب
كافرين بنعمته الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من شيء فنفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره
الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعمته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض
والسخط والامر في معرفة قدره تعالى بحق حتم مع عدم التعرض لحط بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من استقصى
المعرفة وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوه حق معرفته في السخط
على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القران حين اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء
فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود ومن قالوه مبالغة في انكار انزال القران على النبي صلى الله عليه وسلم
فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل لهم ذلك على طريقة
التبكيت والالقام الحجر وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له صلى الله عليه وسلم انشدك
الله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي
تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنزعوه و
جعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة
ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالوصول اليهم لزيادة التقرير
وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام
اي تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى
للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا مجرد الزامهم الاعتراف
بانزال التوراة فقط بل بانزال القران ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد
الناطقة به وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس اي تضعونه قراطيس
مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس
المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية

عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا معطوف
عليه والعايد الى الموصوف محذوف اى كثيرا منها وقيل كلام مبتداء لا محل لها من الاعراب والمراد بالكثير نعوت
النبي صلى الله عليه وسلم وساير ما كتموه من احكام التورية وقرى الافعال الثلثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا
وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قيل هو حال من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف
الرايين قلت فينبغى ان تجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرايع ليكون التقييد بالحال مفيد
التاكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شنيعة
عظيمة فى نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذ العلومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما تلقوه من جهة النبي صلى الله
عليه وسلم زيادة على ما فى التورية وبيانا لما التبس عليهم وعلى ابائهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى ان
هذا القران يقص على بنى اسرايل اكثر الذى هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم لذلك من القران الكريم ليس
مما يزجرهم عما صنعوا بالتورية اصلا ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له بها نفيا ولا اثباتا واما ما
ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من الالتباس لامر واشتباه
الحال حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه ومكون الجملة حالية عن تاكيد التوبيخ فلا يستحق ان تقع موقع
الحال بل الوجه ان يكون استينافا مقررا لما قبلها من مجى الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما
يعقبه من مجى القران ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام التورية كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح
ومصححا لوقوع الجملة فى موقع الحال لكن ذلك مما يعلم الكاتمون حتما هذا وقد قيل بان الخطاب لمن آمن من
قريش كما فى قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وقوله تعالى قل الله امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب
عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم
فى خوضهم فى باطلهم الذى يخوضون فيه فلا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون حال من
الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر ومتعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول او من فاعل
الثانى او من الضمير الثانى لانه فاعل فى الحقيقة والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه تحقيق لنزول
القران الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التورية وتكذيب لهم فى كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب مبارك اى
كثير الفوايد وجم المنافع مصدق الذى بين يديه من التورية لنزوله حسبما وصف فيها والكتب التى قبلها فانه
مصدق للكل فى اثبات التوحيد والامر به ونفى الشرك والنهى عنه وفى ساير اصول الشرايع التى لا تنتسخ ولتنذر
ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولانذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة
وقرى لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر فى المشارق والمغارب والذين
يؤمنون بالاخرة وبما فيها من افانين العذاب يؤمنون به اى بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال
الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنوا به وهم على صلوتهم يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلوة
بالذكر من بين ساير العبادات التى لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان بانافتها من بين ساير الطاعات وكونها
اشرف العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب و
والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحى ومتابعيه اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك
التركيب على نفى الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفى المساوى وانكاره فان الاستعمال الفاشى فى قولك من لا
افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال

اوحى الى من جهته تعالى ولم يوح اليه اى والحال انه لم يوح اليه شئ اصلا كعبد الله بن سعد بن ابى سرح
كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشاناه خلقا اخر
قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال عليه السلام اكتبها كذلك فشك
عبد الله وقال لئن كان محمدا صادقا فقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن
قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول
ترى لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين اذ هم فى غمرات الموت اى شدايده من غمره اذا
غشيه والملئكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق و
يعنف عليه فى المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اى اخرجوا
ارواحكم الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم اى وقت الاماتة او الوقت الممتد
بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اى العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون
وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء
النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا
للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان و
الاصنام التى كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث وقرى فراد كرخال وفراد كثلث و
فردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية
عند من يجوز تعددها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة
مصدر جئتمونا اى مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم ما تفضلناه عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الاخرة
وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انكم فيهم
شركاء اى شركاء الله فى الربوبية واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم اى وقع التقطع بينكم كما يقال
جمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما وقرى بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم
وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اى تقطع وصلكم وقرى ما بينكم وضل عنكم اى ضاع او غاب
ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع فى تقرير
بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق
بابانة اى شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذى فى الحبوب والنوى اى خالقهما
كذلك كما فى قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدى ذهبوا بفالق مذهب
فاطر يخرج الحى من الميت اى يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة
مستانفة مبنية لما قبلها وقيل خبر ثان لان قوله تعالى ومخرج الميت كالنطفة والحب من الحى
كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحى ليس من قبيل
الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون فكيف
تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر اخر لان او لمبتداء محذوف و
الاصباح مصدر سمى به الصبح وقرى بفتح الهمزة على انه جمع صبح اى خالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره
او فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش الذى يلى الصبح وقرى فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا
يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من

قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل
المستمر في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقال ابو سعيد السيرافي وقيل اسم الفاعل من الفعل
المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر
الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل هما معطوفان على محله
والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر والرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان
حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان
حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما
كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع تقدير
العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص
العليم بجميع المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق
ومعادهم وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين
والجعل متعد الى واحد واللام متعلق به وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشاها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة
العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا
على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد
جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز
او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة
فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة
قد فصلنا الايات اي بينا الايات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الايات التكوينية
الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الايات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون
في الايات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي
انشاكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشاكم
مع كثرتكم من نفس ادم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض
واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب
او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي كما ان التعبير عن كونهم في الارحام او تحت الارض بالاستيداع لما ان
كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر
القاف اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الايات
المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الاية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة و
تدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بني ادم مما يحار في فهمه الالباب وهو السر في
ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد في شان النجوم وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه
تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اي انزل من السحاب او من جانب السماء ماء خاصا هو
المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفات الى التكلم اظهارا لكمال
العناية بشان ما انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشياء

التي من شانها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والاثار اختلافا متفاوتا
في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله
تعالى فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من
النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية
وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار
الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق
بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر
اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه باعادة
العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شيء يخرج من النخل
كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ اي وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز
ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب
كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شيء من طلعها
قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه
اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة
ينالها القاعد تاتي بالثمر لا تنتظر الطول او ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى
سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات
كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او وثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل
وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات هنهنا من غير اكتفاء بذكر
اسم الجنس كما فيما تقدم وما تاخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده و
الزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله
تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفى به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن
خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون مشتبها وغير متشابه
والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه
متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال
قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها انظروا الى ثمره اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار
اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره وينعه اي والى حال نضجه كيف يصير
الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا للمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع
يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه ان في ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في
اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون اي
لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع
المتشعبة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال على نمط بديع يحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث
صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه او ند
يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء اي جعلوا في اعتقادهم

لله الذي شانه ما فصل في تضاعيف هذه الايات الجليلة شركاء الجن اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا
الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم
الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر
وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ
لله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن
بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من قوله
وجعلوا لله شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابي حيوة ويزيد
ابن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذي جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر
على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على اختلاف الرأيين موكدة
لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اي وقد علموا انه تعالى خالقهم خاصة وقيل
الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ خلقهم عطفا على
الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى
وخرقوا له اي افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرقوا بالتشديد
للتكثير وقرئ وحرفوا له اي زوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم اي بحقيقة ما قالوه من خطاء او صواب بل
رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث
لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر موكد له اي خرقوا ملتبسين
بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استيناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم
للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا او قولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا
ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه
اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن
جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير
الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له
فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اي سبح التنزيه التام والتبعيد الكلي ففيه مبالغة من اسناد التنزيه الى ذاته
المقدس اي تنزه تنزها بذاته لا بقائل وهو الانسب بقوله سبحانه وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر
لا محالة ولما في السبحان والتعالي من معنى التباعد قيل عما يصفون اي متعاليا عما يصفونه من ان له شريكا
او ولدا بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع
كما يطلق على المبدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة اللغة كالصريخ بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى
انشاه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع
وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع
سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق او الى الظرف كما في قولهم ثبت
الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي
بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانفصال مادته عنه فكيف يمكن

ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور في جعلوا على
راي من يجوزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتداء محذوف او فاعل تعالى واظهاره في موقع الاضمار
لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتداء خبره قوله تعالى انى يكون له ولد
وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله
تعالى ولم تكن له صاحبة حال موكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم
لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول
مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني اي من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على
زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضمير له تعالى والخبر هو
الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتداء او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتداء موخر و
الجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة حينئذ لان يكون مفسرا لضمير الشان
لا على الوجه الاول كما بين في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تعالى وخلق كل شيء اما
جملة مستانفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اي انى يكون له ولد والحال
انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان
يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار
الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية
مما كان ومما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من
المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان
مقالتهم الشنعاء التي اجترؤا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق
الالتفات وهو مبتداء وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار اربعة مترادفة اي ذلك
الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل
شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة
الماضي وقيل الخبر هو الاول والباقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتداء والباقي اخبار وقيل تقدير لكل من
الاخبار الثلاثة مبتداء وقيل بجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة
فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف
على الجملة المتقدمة اي وهو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا
اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى نجاح ماربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر
وقد يطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اي لا تصل اليه
الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك
فيه لمنكري الرؤية على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل رضي الله عنه لا تدركه الابصار
في الدنيا وهو يرى في الاخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علما اذ لا يخفى عليه خافية وهو اللطيف
الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة

ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استيناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
والبصائر جمع بصيرة وهو النور الذي به تستبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الايات
الواردة ههنا او جميع الايات المنتظمة بها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف
هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم
من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او
قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه اي فلنفسه ابصر او
فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا
بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها عمي او فعماه عليها او وباله
عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف
الايات اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الايات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق
الفائقة لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة
السياق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية
وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الايات لنلزمهم
الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر وينصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الايات
وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم
الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست
العلماء ودرست اي قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة
في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت من عفاه ودارست
وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد
الفعل الى الايات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الايات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل
الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات درس
كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير
للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى لقوم
يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس هم اولياؤه الذين هداهم
الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من
ربك لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الايات عقب ذلك بامره عليه السلام بالثبات على ما
هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع و
الاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف
به ما لا يخفى وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا
سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين
لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض
على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة
من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا

بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي
نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا
اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم
تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية
الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم
كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم
مثل قولكم لهم بغير علم اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا
وعدوا وعداء وعدوانا روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم
فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة عملهم
من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم
الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم
مالك امرهم مرجعهم اي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا
يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل
لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة
من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة
الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به
هذه الاية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة
ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في
هذه النشأة بصورة مزينة تستحسنها الغواة وتستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة
بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية
بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى واقسموا بالله روي ان
قريشا بعض ايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم
واقسموا لئن فعلته ليؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فنزلت وقوله تعالى
جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي اقسموا به تعالى جاهدين عليه السلام في ايمانهم لئن جاءتهم
آية من مقترحاتهم او من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو
والفساد وحيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الآيات ليؤمنن بها
وما كان مرمى غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد
بما شاهدوه منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض وتسير بها الجبال قل انما الآيات اي كلها فيدخل
فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله تعالى اي امرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته
المبنية على الحكم البالغة لا تعلق بها ولا بشأن من شؤونها بقدرة احد ولا بمشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا
بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على البلغ

وجه واحسنه بيان علو شان الايات وصعوبة منالها وتعاليها من ان يكون عرضة للسوال والاقتراح
واما ما قيل من ان المعنى انما الايات عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او اتيكم بها او هو القادر عليها
لا انا حتى اتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيها بغير قدرة الله تعالى وارادته حتى
يجابوا بذلك وقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون كلام مستانف غير داخل تحت الامر
مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجي الايات خوطب به المسلمون
اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عليه السلم بطريق التعميم
لما روي عنه عليه السلام من الهم بالدعا وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود
وان اجيب الى ما سالوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس
الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شي يعلمكم ان الاية التي يقترحونها اذا جاءت لا يومنون
بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيها طمعا في ايمانهم فكانه بسط عذر
من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الايات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اي اي
شي يعلمكم ايمانهم عند مجي الايات حتى تمنوا مجيها طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة لراي المسلمين وقيل ان بمعنى
لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويويده انه قرئ لعلها اذا جاءت
لا يومنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة
استيناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شي يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجي الايات لعلها اذا جاءت
لا يومنون بها فما لكم تتمنون مجيها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم وقرئ لا تومنون بالفوقانية فالخطاب
في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يومنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على
الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجي الايات وبكونها في كما هي الان ونقلب افئدتهم و
ابصارهم عطف على لا يومنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم
عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها
لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في
الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشي من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار كما لم يومنوا به اي بما
جاء من الايات اول مرة اي عند ورود الايات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف منصوب بلا يومنون وما مصدرية اي لا يومنون به كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط
تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على لا يومنون داخل في
حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته
بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها اليه واستعدادهم له بطريق الاجبار
بل بان يخليهم وشانهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تاثير اللطف فيهم اصلا
ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشير اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم
وقوله تعالى يعمهون حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي نذعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم
هداية المومنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذر بالياء على اسنادهما الى ضمير
الجلالة وقرئ تقلب بالتاء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة تصريح بما اشعر
به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الايات

اثر بيان انها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا يدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم
في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه واكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا من اية واحدة من الايات
بل نزلنا اليهم الملائكة كما سالوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تاتينا وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية
الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فاتوا باباينا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شي قبلا
بضمتين وقرئ بسكون الباء اي كفلاء بصحة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل
كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله تعالى او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي لو لم نقتصر
على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شي تاتي منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل
بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شي وشموله للانواع والاصناف
اي حشرنا كل شي نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي
اللازم للكل الافرادي او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه
مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان
حق وان انتصابه على الظرفية ما كانوا ليومنوا اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان
وغلوهم في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه
قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال
والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اي ما كانوا ليومنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور
الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيته تعالى لايمانهم
او من اعم العلل ما كانوا ليومنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيته تعالى وايا ما كان فليس المراد
بالاستثناء بيان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه
بناء على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم بدليل ما سبق من
قوله ونقلب افئدتهم الاية كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية
بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد به المسلمون وهو الظاهر او المقسمون
ليس عدم ايمانهم بلا مشية الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده
الاولون ولا يدل مما يدعيه الاخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم
مشيته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجي الايات لجهلهم عدم
مشيته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ على
القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجي الايات لجهلهم عدم مشيته تعالى لايمانهم
ح فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان لمبدا لمنشا خطا
المقسمين ومناط اقسامهم وتقرير له على قراءة لا تومنوا بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا
جاءتهم لا يومنون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدا مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل
ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبق من الانبياء عليهم السلام ومحل الكاف النصب
على انه نعت لمصدر محذوف اشير اليه بذلك منصوب بفعله المحذوف وما مصدرية والتقديم على الفعل المذكور
لافادة القصر مع ما فيه من تاكيد المبالغة اي مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك ويضادو

لا يومنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في ابطال امرك مكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا اي فعلوا بهم ما
فعل بك اعداؤك لا جعلوا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبيا عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء
شياطين الانس والجن اي مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى البيانية وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف
والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اي الشياطين للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل
متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على التقديرين
متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض كلام مستانف مسوق
لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا
وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله اذا انا لم انفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم
بغضي والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس
او بعض كل من الفريقين الى بعض اخر زخرف القول اي المموه منه المزين الباطل ظاهره وباطنه من زخرفه
اذا زينه غرورا مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او مصدر موكد لفعل مقدر
هو حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشئون الجارية بينه عليه السلم
وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن
كمال اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان
مفعول المشية انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى ما فعلوه اي ما فعلوا
ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض منهم مزخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما
يعم وامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى فذرهم وما يفترون صريح في ان المراد بهم
الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيته
تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب
حميدة لابتناء مشيته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك عقوبات
شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيته تعالى على الحكم البالغة البتة ولتصغى اليه اي الى زخرف
القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد
شرط اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم
به ولتميل اليه افئدة الذين لا يومنون بالاخرة انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالاخرة دون ما عداها من
الامور التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات
الاخرة محفوفة في هذه النشاة بالمكاره والامها مقرونة بالشهوات فالذين لا يومنون بها وباحوال ما فيها
لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات الاما وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا
بادي الراي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل
واما المومنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك
المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام
اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية
الظهور وليرضوه لانفسهم بعدما مالت اليه افئدتهم وليقترفوا اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم
له ما هم مقترفون له من القبائح التي لا يليق ذكرها افغير الله ابتغي حكما كلام مستانف وارد على ارادة

القول

القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم اميل الى زخارف الشياطين
فابتغي حكما غيره يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك
واسناد الابتغا المنكر الى نفسه عليه السلام لا الى المشركين كما في قوله افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون
لاظهار كمال النصفة او لمراعات قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما
بالعكس وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار
هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا والحكم
ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى
وهو الذي انزل اليكم الكتاب جملة حالية موكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة
مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام
قوة نسبته اليهم اي اغيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما
تاتون وما تذرون القران الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب مفصلا اي مبينا
فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام
فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القران الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه
وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق كلام مستانف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقية
الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا
بحكميتهم حسبما نقل انفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير
عن التوراة والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القران من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية
والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم
علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما لا يختلف من الفروع
ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء
هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في
ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مومنو اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا
من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد
منهم امارات العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشان القران او في انه منزل
من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للامة و
ان كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي
لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القران وتمت كلمة ربك
شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق
وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل
وبها تظهر الاثار من الحكم وقرئ كلمات ربك صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز

وقيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل لكلماته اما استيناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال
اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد
وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور
ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السميع العليم بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال
المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتورية
فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها
ينسخها وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال
الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدل احكامه وامتناع وجود من يبدل
شيئا منهما واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة
متصفون بنقايض تلك الكمالات من النقايص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشية
من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بارائهم
والمراد بمن في الارض الناس وباكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم
حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن
وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم على اثارهم يهتدون او جهالاتهم واراؤهم الباطلة على ان المراد
بالظن ما يقابل العلم والجملة استيناف مبني على سؤال نشا من الشرطية كانه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في
امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال المتصدي
للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وان هم الا يخرصون عطف
على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان
ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحاير ونظايرها او يقدرون انهم على شيء وانى لهم ذلك ومدونه
مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من
الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل
هذه الصور بل بفعل دل هو عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر
وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم
يعلم من يضل الناس فيكون تاكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر
اي يعلم من يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته
اذا وجدته ضالا فلا يلائمه السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق
بها او لزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين
الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما
قتله الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره
فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم باياته التي من جملتها الايات الواردة في هذا الشان
مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب

عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحاير والسوايب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الى اخره جملة حالية
موكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب
حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه او واي غرض يحملكم على ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله ويمنعكم من
اكله والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الخ فبقي ما عدا ذلك على
الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ لانها مدنية واما التاخر في التلاوة فلا يوجب التاخر في النزول وقرئ
الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه
ايضا حلال حينئذ وان كثيرا اي من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه
وقرئ يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة الشريفة مستند
الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر
الاثم وباطنه اي ما يعلن من الذنوب وما يستر او ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت
واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم اي يكتسبونه من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون
كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك
التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله
عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة
او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل
المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين
ابليس وجنوده فانهم وسوسوا الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش
بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام
ليجادلوكم اي بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم
في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره
واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى بل اثره عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه
تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي
الالهي والمشركين خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف
الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي انتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من
القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة استيناف
مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما بينهم امنا
من جهتهم او صفة له كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدا وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد
بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسم وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها
خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج
منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه
الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالايات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل واحد
من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الالفاظ
المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي المثلين

هياة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هياة على حدة فشبهت بهما الاوليان
ونزلتا منزلتهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على
قلوبهم الاية الى ان التمثيل مستقل براسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية
من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظايرهما
وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك
اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند ايحاء الشياطين او من جهة
الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية الاخذين بالمزخرفات التي
يوحونها اليهم ما كانوا يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم
من القبايح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الاية نزلت في حمزة رضي الله عنه
وابي جهل وقيل في عمر او عمار رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها
ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية من ساير القرى اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها
على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو او هما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل
اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني
ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لابد ان يكون مشهور التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم
حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظايره باخراجه مخرج المصدر
التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين
ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فاذن الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم
والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص
كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الاية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد
مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم
اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود
الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون
بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم اية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال
غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن ساير المجرمين اي اذا
جاءتهم اية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس
رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا
وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق باتيان ما اوتي الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي
رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تعالى الله اعلم
حيث يجعل رسالته عن ظاهرها ويحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها

الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول لتأتي كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بان يكون معنى الاقتراح
لن نؤمن بكون تلك الاية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى ياتينا جبريل بالذات عيانا كما ياتي الرسل فيخبرنا
بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق
ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى ياتينا وحي كما ياتيه وقال
الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم
ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان
يراد بالايمان المعلق باتيان ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم في الجملة من غير شمول
لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى ياتينا وحي كما ياتيه الخ غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع
فانه مقرر على تقديري اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة
مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت
فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الاية النازلة وحيا
صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم اية نازلة الى الرسول قالوا لن
نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت
النبوة حقا الخ لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذ لم يكن الامر كذلك فليست بحق ومآله
تعليق الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي
حتى نؤتاها ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه السلام وحيث نصب
على المفعولية توسعا لا بنفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي
يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال
بفضائل نفسانية يخصها الله تعالى من يشاء من خلص عباده وقرئ رسالاته سيصيب الذين اجرموا
استئناف اخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم حرمانهم مما املوه والسين للتاكيد ووضع
الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبايح اي يصيبهم
البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة صغار اي ذل وحقارة
بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل من عند الله وعذاب شديد في الاخرة او في الدنيا بما كانوا يمكرون
اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته فمن يرد الله
ان يهديه اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح وهو كناية عن
جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل
فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة
الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه
الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان
وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد
ما هذه مهيئة لدخول كان على الجملة الفعلية في السماء شبه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد

يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه
كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد
يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد كذلك اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا
على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب او الخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج
الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار
بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اي البيان الذي جاء
به القران او الاسلام او سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اي طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته
التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما
لا عوج فيه او عادلا مطردا او هو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد
فصلنا الآيات بيناها مفصلة لقوم يذكرون يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث
خيرا كان او شرا انما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم و
تخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار
السلامة من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى
وهو وليهم اي مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها متولي
ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات
لتهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين قاطبة يا معشر الجن اي ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن
او ويوم نحشرهم ونقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة
والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم
ومن في قوله تعالى من الانس اما للبيان الجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو
حال من اولياؤهم اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على
الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا
مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم
بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وهو يوم القيامة قالوه
اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم
واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا
على التكلم اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ
فقيل قال النار مثواكم اي منزلكم او ذات ثواكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها
حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضي الله
عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبني على
ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد
روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى
الجحيم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى

القولين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا امهالكم ولا
يخفى بعده ان ربك حكيم في افاعيله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اي
مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين من الانس بعضا اخر منهم اي
نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا
عند اقتراف ما يؤدي اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق
بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم الم يأتكم اي في
الدنيا رسل اي من عند الله عز وجل لكن لا على ان يأتي كل رسول كل واحد من الامم بل على ان يأتي كل امة
رسول خاص بها اي الم يأت كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل
اي كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب
اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال
الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القران وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى
يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد
حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم بما في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا يوم
الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ
من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان
الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك العذاب المخلد حسبما
فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
ان انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة
العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في
الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها والجائهم في الآخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذم
لهم بذلك اي واغتروا في الدنيا بالحياة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم
الذي بشرت به الرسل واجترأوا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا
في الآخرة على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين اي بالآيات والنذر التي اتى بها الرسل على التفصيل المذكور
انفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة
الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ان لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان ان مصدرية او مخففة من
ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع
حالا من القرى اي ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرى لها بواسطتهم واما كونه حالا من
ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها ماخوذة في معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده
بقوله تعالى واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك

القرى بسبب اي ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة
العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن
التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولا اعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى و
لو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما
علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان القريب في تعليله بانتفاء مطلق
التعذيب من غير بعث الرسل اليهم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه
وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي التعذيب
الدنيوي عنه تعالى ليعلم نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم
بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب
لانصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا
صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتب التعذيب الدنيوي على الانذار عند
عدم تاثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا
كذلك فينزجرون عن الاخلال بموجب الانذار اشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما
جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وخبر المبتدأ محذوفا كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل
من مقتضى المقام والله سبحانه اعلم • ولكل • اي من المكلفين من الثقلين • درجات • متفاوتة وطبقات
متباينة • مما عملوا • من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان
كل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم • وما ربك بغافل عما يعملون • فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر
ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة • وربك الغني • مبتدأ وخبر
اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض
لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار
اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الاتي لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى • ذو
الرحمة • خبر اخر وهو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه
على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى • ان يشأ يذهبكم • اي
ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى • ويستخلف
من بعدكم • اي من بعد اذهابكم • ما يشاء • من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن
رتبة العقلاء • كما انشأكم من ذرية قوم اخرين • اي من نسل قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل
سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي
على غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كأنه قيل وينشئ انشاء كما انشأكم الخ او نعت لمصدر الفعل المذكور
اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة • ان ما توعدون •
اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي
• لات • لواقع لا محالة كقوله تعالى ان ما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعته وقوعه بتصويره بصورة
طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى • وما انتم بمعجزين • اي بفائتين ذلك وان ركبتم في
الهرب متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان

دوام انتفاء الاعجاز لا لبيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام
اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم •
اثر ما بين لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم
بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره
وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال امكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم
وحالتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم
اني عامل • ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد
بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل بان
المهدد لا يأتي منه الا الشر كالمأمور به بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلا • فسوف تعلمون من تكون له عاقبة
الدار • سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على
الابتداء وتكون باسمها وخبرها خبرها وهي مع خبرها في محل نصب لسدها مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون
اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون
اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره
وقرئ بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي • انه • اي ان الشأن • لا يفلح الظالمون • وضع الظلم موضع الكفر
ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اي فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده
• وجعلوا • شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون
اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منهما لآلهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في
نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكا ما جعلوه لآلهتهم تركوه معتلين بان الله تعالى غني وما ذاك الا
لحب آلهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى • لله مما ذرأ • متعلقان به ومن
في قوله تعالى • من الحرث والانعام • بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا
لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له اي عينوا لله تعالى مما خلقه من الحرث والانعام • نصيبا •
يصرفونه الى الضيفان والمساكين وتأخيره عن المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
واما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا
والثاني لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا تدل على انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا ولم
يذكر اكتفاء بقوله تعالى • فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا • وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وانما قيد به
الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل لله تعالى غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها
وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد
من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم
منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى • فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله •
وما كان لله فهو يصل الى شركائهم • بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف
اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا
يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها
ونحو ذلك • ساء ما يحكمون • فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي

والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتداء وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك
ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم او مثل ذلك التزيين البليغ المعهود
من الشياطين زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوادهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية
لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن
او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل
ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل
وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل
زينه شركاؤهم ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا
عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين
وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين لهم
من القتل والشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة
فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشية الله تعالى فدعهم وافتراءهم او وما
يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة
الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع اخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتانيث
للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى
لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصله
حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النساء والجملة
صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا اي قالوه ملتبسين بزعمهم
الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتداء محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام الخ اي قالوا مشيرين
الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي
وانعام اي وهذه انعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع
في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم
انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا
يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد
كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شانها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا
ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدر اما على ان ما قالوه تقول على الله تعالى واما على
تقدير عامل من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء
لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او على العلة اي للافتراء فالجار على التقديرين متعلق
ب سيجزيهم بما كانوا يفترون اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا
حكاية لفن اخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا
حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة
او بحذف المضاف اي ذو خالصة او للتانيث بناء على انها عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تعالى
ومحرم على ازواجنا اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على

خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا
على قلوبهم الخ ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القران وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا
وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اي ان ولدت ميتة فهم اي الذكور والاناث فيه اي فيما
في بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا
وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي
في ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع
والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتداء ثان سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب
على الله تعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعد
بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين
قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين
كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على
انه علة له اي لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ
سفهاء او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوهما افتراء على الله نصب على
احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد
ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايات او وما كانوا
مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة حينئذ اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا وهو الذي انشاء
جنات معروشات تمهيد لما سياتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشاهن من غير شركة لاحد
في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقاة
على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي و
الجبال والنخل والزرع عطف على جنات اي انشاهما مختلفا اكله وقرئ اكله بسكون الكاف اي ثمره
الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه او
للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء والزيتون
والرمان اي انشاهما وقوله تعالى متشابها وغير متشابه نصب على الحالية اي يتشابه بعض افرادهما
في اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان
لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى واتوا حقه يوم
حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكوة المقدرة
فانها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به
حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو
لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل
منه شيئا الى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الاية انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي اسرافهم
ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى في شانها بالتحريم
والتحليل وهو عطف على مفعول انشاء ومن متعلقة به اي وانشاء من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش
للذبح او ما يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها

فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اى كلوا بعض ما رزقكم
الله تعالى اى حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا فى امر التحليل والتحريم بتقليد
اسلافكم المجازفين فى ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك منهم
باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا
العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما فى بطنها وهو بدل
من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض
بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال
الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلهما الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاولى
الى الابل والبقر وتفصيل الثانى الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك
لتحرير المواد التى تقولوها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم فى كل
مادة مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها مفصلة واثنين فى قوله سبحانه وتعالى من الضان اثنين
بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل فى من اى انشأ من الضان زوجين الكبش والنعجة
وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة
ومن المعز اثنين عطف على مثله شريك له فى حكمه اى وانشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين
وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش
ولعل تقديمها فى التفصيل مع تأخر اصلها فى الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذى هو معظم ما
يتعلق به الحل والحرمة وهو السر فى الاقتصار على الامر به فى قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض
للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه فى السائبة واخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه
له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التى انشأها اى قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم
عن الجواب آلذكرين من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اى الله عز وجل كما تزعمون
انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب
المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اى ام ما حملت
اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى نبئونى بعلم الى آخره تكرير للالزام وتثنية للتبكيت
والافحام اى اخبرونى بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب واخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا
مما ذكر او نبئونى تنبئة ملتبسة بعلم صادرة عنه ان كنتم صادقين اى فى دعوى التحريم عليه سبحانه
وقوله تعالى ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى من الضان اثنين اى وانشأ من الابل اثنين هما الجمل
والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل افحاما لهم فى امر هذين النوعين ايضا آلذكرين
منهما حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه
حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم فى ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث
وما فى بطونها للمبالغة فى الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور
الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وانما
عقب تفصيل كل واحد من نوعى الصغار ونوعى الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول

التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال قل آلذكور حرم ام الاناث اما اشتملت عليه
ارحام الاناث لما فى التثنية والتكرير من المبالغة فى التبكيت والالزام وقوله تعالى ام كنتم شهداء
تكرير للافحام كقوله تعالى نبئونى بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن
التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اى بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا اى حين وصاكم
بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق لكم حسبما يقود اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة
والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه
تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحى بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر
والكل لاشتراكهم فى الافتراء عليه سبحانه وتعالى اى فاى فريق اظلم ممن افترى الخ ولا يقدح فى
اظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم
واظهار كذبهم وافترائهم اى هو اظلم من كل ظالم وان كان النفى صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة
ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى اى افترى عليه تعالى
جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى
ايذانا بخروجهم فى الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال
الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان
يكون حالا من فاعل يضل اى ملتبسا بغير علم بما يؤدى بهم اليه ان الله لا يهدى القوم الظالمين كائنا من
كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم فى الجملة فما ظنك بمن هو فى اقصى
غاياته قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يقولونه فى امر
التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرم عليهم فى قوله لا اجد فيما اوحى الى محرما ايذانا
بان مناط الحل والحرمة هو الوحى وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحى اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد غير
ما فصل وفيه مبالغة فى بيان انحصارها فى ذلك ومحرما صفة لمحذوف اى لا اجد ريثما تصفحت ما اوحى الى
طعاما محرما من المطاعم التى حرموها على طاعم اى طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على
ازواجنا وقوله تعالى يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اى ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون
بالتاء لتأنيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى او دما مسفوحا عطف على ان
مع ما فى حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى دما مصبوبا كالدماء التى فى العروق لا كالطحال و
الكبد او لحم خنزير فانه اى الخنزير رجس اى لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اى ذبح على اسم
الاصنام وانما سمى ذلك فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون
والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن فى يكون فمن اضطر اى اصابه الضرورة الداعية الى اكل الميتة
بوجه من الوجوه المضطره غير باغ فى ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان
ربك غفور رحيم مبالغ فى المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه لو لم يوجد
القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة
من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر واما الحال
الثانية فلتحقق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذى يسد به الرمق حرام من حيث

انه لم يمته وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والاية
محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك
في شيء اخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب
وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين والاخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ماله
اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والسبب عن الظلم
هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا اعم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من
حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من
حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط
الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا
عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن
او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو
كل شحم متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على
انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان لما اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم
وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم
وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم ذلك واكد بقوله تعالى وانا لصادقون
اي في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا
ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام
لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان
فان كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين
فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل
لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تاتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد باسه
بالكلية عن القوم المجرمين فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا
وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم
بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو باس شديد على
المجرمين فاقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد باسه الخ لتضمنه التنبيه على نزول الباس عليهم مع الدلالة على انه
لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن اخر من كفرهم واخبار
قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء صريح في انه من عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء
لما فعلنا الاشراك نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار
من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة الا يرى الى قوله تعالى
كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ما كذبك هؤلاء في انه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب

متعلقه وهو الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف اباؤنا على الضمير للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم
قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون
الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله
عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة الفاء
جواب شرط محذوف اي واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة و
الثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد
اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء هدايتكم جميعا لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشاء هداية الكل
بل هداية البعض الصارفين هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال اخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير
صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اي احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة اهل الحجاز وفعل
يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على راي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعليته وليس بشيء واصله عند البصريين
ها لم من لم اذا قصد حذف الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء
حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا الذين
يشهدون ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر
بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن قلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفوا بما يدل على انهم
شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فان شهدوا بعد ما حضروا بان الله حرم هذا فلا تشهد
معهم اي فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة لهم في
الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على ان من كذب
بايات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون
بالاخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله الى الملك
القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم فان من يكذب باياته تعالى لا يؤمن بالاخرة وبالعكس وهم بربهم
يعدلون اي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب ايات الله
وبين الكفر بالاخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على انهم جامعون لها متصفون
بكلها قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا من اشراكهم واشراك ابائهم وتحريم ما حرموه بامر الله تعالى ومشيئته
بظهور عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في امر التحريم بعد ما كلفوه
مرة بعد اخرى عجزا بينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على
الاسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل
لا اجد الاية وتعالى امر من التعالي والاصل فيه ان يقوله من في مكان عال لمن هو في اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم
كما ان الغنيمة في الاصل اصابة الغنم من العدو ثم استعملت في اصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم في الفوز
بكل مطلب من غير مشقة اتل جواب الامر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة والعائد
محذوف اي اقرأ الذي حرمه ربكم اي الايات المشتملة عليه او مصدرية اي الايات المشتملة على تحريمه او بحرم
على انها استفهامية والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب القول كانه قيل قل اي شيء حرم ربكم وعليكم
متعلق بحرم على كل حال وقيل باتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة و
هو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لامرهم على الاطلاق

من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء وان في قوله تعالى ان لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة
بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون العطف عليه تفسيرا
لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات ايضا كذلك حتى يمتنع انتظام الاوامر في سلك العطف عليه
بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة باضداد ما تعلقت هي به فان الامر بالشيء
مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف الاوامر على
النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم راجع
الى الاضداد على الوجه المذكور فكانه قيل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين خلا انه قد اخرج
مخرج الامر بالاحسان اليهما بين النهيين المكتنفين له للمبالغة في ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة
اليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر
ههنا وفي ساير المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها النصب بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم
وقيل من عايدها المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو ان لا تشركوا والمحرم
ان تشركوا بزيادة لا وقيل وقيل والذي عليه التعويل هو الاول لامور من جملتها ان في اخراج المفسر على صورة
النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئا نصب على المصدرية او المفعولية اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك
او شيئا من الاشياء وبالوالدين اي واحسنوا بهما احسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم تكليف
متعلق بحقوق الاولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين اي لا تقتلوهم بالوأد من املاق اي
من اجل فقر كما في قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم
واياهم استيناف مسوق لتعليل النهي وابطال سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان
منه تعالى لارزاقهم اي نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى
ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الاية الا انه جيء ههنا بصيغة الجمع قصدا
الى النهي عن انواعها ولذلك ابدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت
كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة
في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل
الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في
حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم الاموات وقد قال عليه السلام في حق العزل ذلك الوأد الخفي ومن ههنا
تبين ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف
من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد
فيخرج منها الحربي وقوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقتلوها في حال من الاحوال
الا حال ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس
المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر
اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف
الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى
وصاكم به اي امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة استيناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لايجاب المحافظة
على ما كلفوه ولما كانت الامور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الاية الكريمة بقوله تعالى

السابع والعشرين

لعلكم تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم
توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء اي لا تتعرضوا
له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب
للاولياء والاوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما فهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه
حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد
جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان
بالقسط اي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به
عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو
عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اي المقول له او عليه ذا قربى
اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا
اي ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه
من الايمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر
فيما قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه و
قرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار عن ابن عباس رضي الله عنهما
هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل
الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة
بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات وان هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي
قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي
بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عليه السلام انتسابه اليه عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث
الوضع كما في صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به ع م
ايضا وانه عليه السلام مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل ان مع ما في
حيزها الجر بحذف لام العلة اي ولان هذا صراطي اي مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع انه في نفسه
كذلك من حيث ان سلوكه عليه السلام فيه داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل و
قرئ بكسر الهمزة على الاستيناف وقرئ ان هذا مخففة من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف
وقرئ سراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان
المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى التاءين والباء للتعدية اي فتفرقكم حسب تفرقها
ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من اذهبه
عن سبيله اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع
الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عليه السلام عين سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مر من
اتباع سبيله تعالى وترك اتباع ساير السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم
آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال
القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه

النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستيناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك
ثم آتينا الخ كما ان قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد للذين الخ كأنه قيل يغفلون
عن الهداية ونطبع الخ واما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما اجمع عليه الجمهور
فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس
اعجب او للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى التورية
فان ايتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اي
اتماما لهما على انه مصدر من اتم بحذف الزوايد على الذي احسن اي على من احسن القيام به كائنا من
كان ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا او تماما على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وموسى عليه السلم
او تماما على ما احسنه موسى ص اي اجاده من العلم والشرايع اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع
على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن
ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما
ونصبهما اما على العلية او على المصدرية كما اشير اليه او على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير
لعلهم لبني اسرايل المدلول عليهم بذكر موسى وايتاء الكتاب والباء في قوله تعالى بلقاء ربهم متعلقة بقوله
تعالى يومنون قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يومنوا بالبعث ويصدقوا
بالثواب والعذاب وهذا الذي تليت عليكم اوامره ونواهيه اي القرآن كتاب عظيم الشان لا
يقادر قدره وقوله تعالى انزلناه مبارك اي كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال
مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكريه او خبران آخران لاسم الاشارة اي انزلناه مشتملا على فنون الفوايد
الدينية والدنياوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان عظم شان الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب
لاتباعه اي ايجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة
لانزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل بين العامل والمعمول باجنبي هو مبارك وصفا كان او خبرا
اي انزلناه كذلك كراهة ان تقولوا يوم القيمة لو لم ننزله انما انزل الكتاب الناطق بتلك الاحكام العامة
لكل الامم على طائفتين كائنتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما الذي
اشتهر فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام لا سيما الاحكام المذكوره وان كنا ان هي المخففة من
ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله
عليهما لا ينافي عموم احكامه فلم لم تعملوا باحكامها العامة اي وانه كنا عن دراستهم لغافلين لا ندري ما في
كتابهم اذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الاحكام العامه ونحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين
ان معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين بما في الكتابين لاشتمالهما على الاحكام المذكورة المتناولة لكافة الامم
كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القرآن لاشتماله ايضا عليها لا على ساير الشرايع والاحكام فقط او تقولوا
عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو انا انزل علينا الكتاب
كما انزل عليهم لكنا اهدى منهم الى الحق الذي هو المقصد الاقصى او الى ما في تضاعيفه من جلايل الاحكام
والشرايع ودقايقها لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاخبار
والخطب والاشعار ونحو ذلك طرا فاصلحا ونحن اميون وقوله تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف

تنبئ عنه الفاء الفصيحة اما معلل به اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ واما شرط له اي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من
انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة واي
بينة اي حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اي بينة
كائنة منه تعالى وايا ما كان ففيه دلالة على فضلها الاضافي كما ان في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي
التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف على بينة
وتنوينهما ايضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل
على ما اشتمل عليه التورية من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة فمن اظلم الفاء لترتيب ما
بعدها على ما قبلها فان مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من كذبه اي واذا كان الامر
كذلك فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على
اتصافهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى
تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اي آية كانت من آياته تعالى كاف في الاظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي
على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساو له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة
ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد انه اكرم
من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد مر مرارا وصدف عنها اي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال
سنجزي الذين يصدفون الناس عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا
ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد النكاية بما كانوا
يصدفون اي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجراء
الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له هل ينظرون استيناف مسوق لبيان انه لا يتاتى منهم الايمان بانزال
ما ذكر من البينات والهدى وانهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات
الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اي
ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا و
بقولهم او تاتي بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك والا ان تاتيهم ملائكة العذاب
او ياتي امر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ ياتيهم بالياء لان تانيث الملائكة غير حقيقي
او ياتي بعض آيات ربك اي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك
من عظائم الآيات التي علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الآيات في الموضعين
الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد
بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه سبحانه وتعالى اتيان كل آياته بمعنى آيات القيمة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من
اتيان بعض آياته تعالى على ان المراد به اشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف
بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى
عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيان هذه الامور مما
ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الآيات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهرا حمل الانتظار على التمثيل
المبني على تشبيه حالهم في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى ان تاتيهم تلك الامور الهائلة التي لا بد لهم
من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم بسباقه المنبئ عن تماديهم في المك

ايات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينظرونه يستدعي ان
يحمل ذلك على امور هايلة مخصوصة بهم اما بان يكون عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على جناياتهم
كاتيان ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب وهو الانسب لما سياتي من قوله تعالى قل انتظروا انا
منتظرون واما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل ايات القيمة وظهور اشراط الساعة مع شمول
اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غايلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة
ليس مما ينسد به باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الايات في قوله عز وعلا يوم ياتي بعض ايات ربك
على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف فانه بمنزلة
الكبرى من الشكل الاول فيتم التقريب بدخول ما ينظرونه في ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله تعالى
لا ينفع فان امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو
الجملة والعايد محذوف اي لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها ح لانكشاف الحال وكون الامر عيانا
ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية
لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف اليه تانيثا وقوله تعالى لم تكن امنت من قبل اي من قبل اتيان بعض الايات
صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتماله على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لانه غير اجنبي منه لاشتراكهما في العامل
وقوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت بايراد الترديد على النفي المفيد لكفاية احد النفيين في
عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان ح نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا ومن ضرورة اشتراط
النفع بحقق الامرين اي الايمان المقدم والخير المكسوب فيه معا بمعنى ان النافع هو تحققهما والايمان المؤخر لغو
وتحصيل الحاصل لا انه هو النافع وتحققهما شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع
الصوم والصدقة لمن لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال
على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعمومه المفيد بمنطوقه
لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال
الحقيقي فالمعنى انه لا ينفع الايمان ح نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد او الخير المكسوب فيه
فيتحقق النفع بايهما كان حسبما نطقت به النصوص الكريمة من الايات والاحاديث وما قيل من ان عدم الايمان السابق
مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب للخلود في النار هو العدم الاول
من غير ان يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام مبني على توهم
ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان ايجابهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث في انجائها
عنه وليس كذلك والا لكفى في البيان ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بل المقصود الاصلي من وصفها
بذينك العدمين في اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احدى ملكتيهما اعني الايمان السابق
والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل الى ان
يقال كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في ايجاب
الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا لما انه قياس مع الفارق وكيف لا والخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل واما
الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وانما
لم يقتصر على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه هو المقابل لما لا يوجبه اصلا اعني الايمان الحادث
بل قرن به ما يوجب النفع الزايد ايضا ارشادا الى تحري الاعلى وتنبيها على كفاية الادنى واقناطا للكفرة عما علقوا

به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة
الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو بحت لابتنائه على
غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الاية ونحو ذلك من النصوص
الكريمة وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة ولك ان
تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد
من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالاخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلا
بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المواخذة
كما نبئ عنه قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اذا تحققت هذا وقفت على ان الاية الكريمة احق
بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من باب اللف التقديري اي لا ينفع نفسا ايمانها
ولا كسبها في الايمان لم تكن امنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان مبنى اللف التقديري ان يكون المقدر
من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما
مر في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فانه قد طوى في المفصل
ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعني قوله تعالى فاما الذين امنوا الاية ولا ريب في ان ما قدر
ههنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه ليس مما
وعدوه وعلقوه باتيان ما ذكر من الايات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه اذ ذاك على ان ذلك مشعر
بان لهم بعد ما اصابهم من الدواهي ما اصابهم بقاء على السلامة وزمانا ياتي منهم الكسب والعمل فيه
وفيه من الاخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال بوجوه اخر هي
امورها اسقاط الاية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية
الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من ان الظني يضمحل عن معارضة
القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما تنتظرونه من اتيان احد الامور
الثلثة لتروا اي شيء تنتظرون انا منتظرون لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تاييد لكون المراد
بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين بمعاينتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله
سبحانه اعلم ان الذين فرقوا دينهم استيناف لبيان احوال اهل الكتابين اثر بيان حال المشركين اي بددوه
وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض اخر منه
ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعا اي فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى
وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة
واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في
الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى لست منهم في شيء لست من البحث عن تفرقهم
والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمواخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعار الدين
الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا باية السيف وقوله تعالى انما امرهم الى الله تعليل للنفي المذكور
اي هو يتولى وحده امر اولهم واخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يواخذهم في الدنيا
متى شاء ويامر بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون اهل البدع والاهواء الزايغة من هذه الامة ويرده انه ع م

مامور بمواخذتهم والاعتذار بان معنى لست منهم في شيء انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم براء منك يا باه
التعليل المذكور ثم ينبئهم اي يوم القيمة بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة
في انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين لحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤس
الاشهاد ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله
تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها استيناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية
المحسنين المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة
كتبت له عشر حسنات اي من جاء يوم القيمة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر
حسنات امثالها فضلا من الله عز وجل وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من
الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا
الحصر في العدد الخاص ومن جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين فلا يجزى الا
مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه وقد فارقوه
بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي قل لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والانفس
من الآيات التكوينية الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من الى صراط فان محله
النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر
نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد
وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا
حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض مقرر
لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون لدينه من عقد وعمل اي ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا
صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله
والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله قل ان صلوتي ونسكي اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بفروع
الشرائع وما سبق باصولها اي عبادتي كلها وقيل ذبحي جمع بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك
وانحر وقيل صلوتي وحجي ومحياي ومماتي اي وما انا عليه في حياتي واكون عليه عند موتي من الايمان
والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء
اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة
الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص امرت
لا بشيء غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان
ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مامورون به يقتدي به عليه السلام من اسلم منهم قل اغير
الله ابغي ربا اخر فاشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه
مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون
للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيمة
ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا تكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها

عن شخص وقرارها على شخص اخر حتى يتاتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له بالمعنى الثاني اي
لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتاكيد
الوعد وتشديد الوعيد اي الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان
الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض حيث خلفتم الامم السالفة او يخلف
بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام ورفع بعضكم في الشرف
والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم من المال والجاه اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر
ماذا تعملون من الشكر وضده ان ربك تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم
الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب اي عقابه سريع الاتيان
لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال
المبادي والآلات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية
الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على انه تعالى غفور
رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن
قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما
اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص اي مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تأنيث
المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى السورة وانما صحت الاشارة اليه
مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب
على الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مرادا
به السورة كتاب الخ او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف اي هذا كتاب
الخ وعلى الوجه الثاني بعد خبر اثر بيان كونه مترجما باسم بديع منبئ عن غرابته في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان
كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدأ اي المسمى بالمص
كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب
واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها انزل اليك اي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن
الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الانزال كما
في قوله جل ذكره بلغ ما انزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا على
معنى كتاب عظيم الشأن انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن في صدرك حرج اي شك كما في قوله تعالى فان
كنت في شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن
يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة في تنزيه ساحته عليه السلام عن نسبة الشك اليه ولو في ضمن النهي فالمراد من
الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها اياه عليه السلام وما قد يقع من نسبته اليه في ضمن النهي على طريقة

التهييج والالهاب والمبالغة في التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره
عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج منه
اي ضاق به صدره او بمحذوف وقع صفة له اي حرج كائن منه اي لا يكن فيك شك ما في حقيته او في كونه كتابا
منزلا اليك من عنده تعالى فالفاء على الاول لترتيب النهي او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك
فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما على الثاني فهي لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه
فتدبر وتوجيه النهي الى الحرج مع ان المراد نهيه عليه السلام عنه اما لما مر من المبالغة في تنزيهه عليه
السلام عن الشك فيما ذكر فان النهي عن الشيء مما يوهم امكان صدور المنهي عنه عن المنهي واما للمبالغة في النهي
فان وقوع الشك في صدره عليه السلام سبب لاتصافه عليه السلام به والنهي عن السبب نهي عن
المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن اصله بالمرة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية وليس هذا
من قبيل لا ارينك ههنا فان النهي هناك وارد على المسبب مرادا به النهي عن السبب فيكون المآل نهيه عليه السلم
عن تعاطي ما يورث الحرج فتامل وقيل الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك
او ان تقصر في القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من
الاداء ولا ينبسط له فآمنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء حينئذ للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبا
ر فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول
وقوله تعالى لتنذر به اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله و
تمهيدا لما بعده وحسما لتوهم ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء الشك في كونه
منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب
للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتاتى على التفسير الاول لان تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الانذار
والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلام مشعر بان المنهي عنه ليس بمحذور لذاته بل لافضائه الى
فوات الانذار والتذكير لا امر من الايذان بان ذلك معظم غائلته ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني
فانما يتاتى التعليل بالانذار لا بتذكير المومنين اذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى و
ذكرى للمومنين في حيز النصب باضمار فعله معطوفا على تنذر اي وتذكر المومنين تذكيرا او الجر عطفا على محل
ان تنذر اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفا على كتاب او خبر لمبتدا محذوف وتخصيص التذكير بالمومنين
للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اي لتنذر به المشركين وتذكر المومنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام
اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستانف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي صلى
الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلام اثر ذكر ما
يصححه من الانذار والتذكير لتاكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية
مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى
ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتاكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاما للسنة
القولية والفعلية بعيد نعم يعمها حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزله الله تعالى اتباعا له تعالى
عقب الامر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا من دونه اي من دون ربكم الذي انزل اليكم
ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى اولياء من
الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم

على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كائنة غيره تع
وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في اولياء اي ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا
من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى قليلا ما
تذكرون بحذف احدى التائين وبتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال
المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم
للقصر او لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث
تتاثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم
كما قيل في قوله تعالى قليلا ما يومنون والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة
الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم
لغيرهم بطريق المباثة واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا او ما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه
اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى
المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية اهلكناها شروع
في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع
رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها
راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه
بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اي اردنا اهلاكها فجاءها
اي فجاء اهلها باسنا اي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط او
هم قائلون عطف عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال
المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا
اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالعذاب لما ان نزول المكروه
عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر واردع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف
الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم
فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم
اذ جاءهم باسنا عذابنا وعاينوا اماراته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم
فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسالن
الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال
المكلفين جميعا لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها
عليها وجودا اي لنسالن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسالن المرسلين عما اجيبوا قال
تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسوال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى
ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سوال الاستعلام او الاول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب
فلنقصن عليهم اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى الرسل اليهم
جميعا ما كانوا عليه بعلم اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم
في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها والوزن اي وزن

الاعمال والتميز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه على الابتداء وقوله تعالى يومئذ خبره
وقوله تعالى الحق صفته اى والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه
قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اى العدل السوى وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف
الاعمال هى التى توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن
اعمالهم فيعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما يثبت فى صحائفهم
فيقرؤنها فى موقف الحساب ويؤيده ما روى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا
مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فتطيش السجلات
وتثقل البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روى عنه عليه السلام انه ليأتى العظيم السمين يوم القيمة لا يزن
عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك
واختاره كثير من المتأخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن فى هذا المعنى شايع فى اللغة والعرف بطريق الكناية
قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشئ ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك
لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية
تبرز فى النشأة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصى تتجسم هنالك و
تتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام فى حق من يشرب من اناء الذهب والفضة انما
يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك الا يرى ان العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة
باحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة و
بالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان ان قيل ان المكلف يوم القيمة اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور
فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم ح ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات
راجعة الى ذوات تلك الاعمال على بعض لخصوصيات بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة
فى الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ ويظهر جميع الاشياء بحقايقها على ما هى عليه وباوصافها واحوالها
فى انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وينخلع عن الصور المستعارة التى بها ظهرت فى الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها
شبهة فى انها هى التى كانت فى الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر فى هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة
لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن
والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما
مستلزم لرجحان الاخر اى فمن رجحت موازينه التى توزن بها حسناته او اعماله التى لها قدر ووزن وعن الحسن البصرى
وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف فاولئك اشارة الى
الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما ضمير موازينه فراجع
اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون
بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند
اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون فى
الاخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه اى موازين اعماله
او اعماله التى لا وزن لها ولا اعتداد بها وهى اعماله السيئة فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك

الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر انفا فى نظيره وهو مبتدا خبره الذين خسروا انفسهم اى ضيعوا الفطرة
السليمة التى فطروا عليها وقد ايدت بالايات البينة وقوله تعالى بما كانوا باياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما
مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتى الماضى
والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم فى الدنيا اى فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب
تكذيبهم المستمر باياتنا ظالمين ولقد مكناكم فى الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم
عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك فى الدنيا والعذاب المخلد فى الاخرة ذكرهم ما افاض عليهم
من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا فى الامتثال بالامر والنهى اثر ترهيب اى جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او
ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهى ما يعاش به من
المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه فى قراءته اخلاص الياء وعن ابن عامر انه همزه
تشبيها له بصحايف ومداين والجعل بمعنى الانشاء والابداع اى انشانا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا
تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تاخر لكان صفة له و
وتقديمهما على المفعول مع ان حقهما التاخر عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس
عند تاخيرها حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها
عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام على فى فلما انه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشانه اتم والمسارعة
الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف
الاخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها فى
الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة فى الارض وقوله تعالى قليلا ما تشكرون اى تلك النعم تذييل
مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر فى تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون
ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فايضة على ادم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم
كافة وتاخيره عن تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكين فى الارض اما لانها فايضة على المخاطبين بالذات وهذه
بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعى
ربما يؤدى الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر فى قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق
لاظهار كمال العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد بهما خلق ادم عليه السلام
وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتاكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلقه عليه
السلام وتصويره لما انهما ليسا من الخصايص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل من
الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق فى ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكانهم الذين تعلق
به خلقه وتصويره اى خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم سار اليكم
جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم صريح فى انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امرا
منجزا غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وهو المراد
بما حكى بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم الاية فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل وسورة الكهف
وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا يقتضى تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الامور
وقد بينا فى سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل ادم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه
عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة الى قوله وما كنتم

تكمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند وقوع المحكي كما ان
عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب
مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله قد القى الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف
عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا
او القى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرايط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض
فهنالك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسما فشاهدوا منه عليه السلام ما
شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشان المامور به وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور المذكورة
في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن اخر والذي يرفع غشاوة
الاشتباه عن البصاير السليمة ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الايات بدل من قوله ما كان
لي من علم بالملاء الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملاء الاعلى الملائكة وادم
عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم في شان الخلافة من التقاول
الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور
في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه
من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام
الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق
ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطريقين المذكورين والله تعالى اعلم **فسجدوا** اي الملائكة عليهم
السلام بعد الامر من غير تلعثم **الا ابليس** استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة
متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون
يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى **لم يكن من الساجدين** اي ممن سجد لادم كلام مستانف
مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتامل ثم يقع السجود وبه علم انه لم
يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين **قال** استيناف
مسوق للجواب عن سوال نشا من حكايته عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله تعالى ح وبه يظهر وجه الالتفات
الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السوال على وجه المخاطبة وفيه فايدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين
كما في حكاية الخلق والتصوير **ما منعك ان لا تسجد** اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة موكدة لمعنى الفعل
الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشي مضطر
الى خلافه فالمعنى ما اضطرك الى ان لا تسجد **اذ امرتك** قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفي
سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف
العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج في معصية واحدة ثلث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة و
الاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير ادم عليه السلام وقد وبخ ح على واحدة
منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن اخر واشعارا بان كل واحدة منها
كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة
الكهف وسورة طه **قال** استيناف كما سبق مبني على سوال نشا من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين

عند ذلك فقيل قال **انا خير منه** متجانفا عن تطبيق جوابه على السوال بان يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق
الاستيناف شيا بين الاستلزام للمنع من السجود على زعمه ومشعرا بان من شانه هذا لا يحسن ان يومر به كما ينبي عنه
ما في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون فهو اول من اسس بنيان التكبر
واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى **خلقتني من نار وخلقته من طين** تعليل لما ادعاه من
فضله عليه ولقد اخطا اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبا
عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه
بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين
ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الاية دليل على الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كاينة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب
قال استيناف كما سلف والفاء في قوله تعالى **فاهبط منها** لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة
الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال
ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم
هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السما فيرده ان وسوسته
لادم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول
بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تعالى **فما يكون لك** اي فما يصح ولا يستقيم
لك ولا يليق بشانك **ان تتكبر فيها** اي في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر
فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان
التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى **فاخرج** تاكيد للامر بالهبوط
متفرع على علته وقوله تعالى **انك من الصاغرين** تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل
الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفعه الله حكمته وقال انتعش
نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض **قال** استيناف كما مر مبني على سوال نشا
مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد الموكد فقيل قال **انظرني** اي امهلني ولا تمتني **الى**
يوم يبعثون اي ادم وذريته للجزاء بعد فنايهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة
من اغوايهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث **قال** استيناف كما سلف **انك**
من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله لاخرين على وجه يشعر بان السايل تبع
لهم في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعايه وان استنظاره
كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت اجالهم
ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء غير من استثناه الله تعالى من الخلايق وهو النفخة الاولى
الى وقت البعث الذي هو المسئول وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك
ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب في
ان الكلام المحكي عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة يقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث
لو اخل بشي من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال

ووروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ
الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة
واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج
استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكى عنه في السورتين فما حكى ههنا
يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر
من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب
الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تينك السورتين ووفي كل واحد من مقامي الحكاية
والمحكي جميعا حظه واما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على
نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار ان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا
للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس
مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب
اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها
المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة في القران الكريم انما يحكى بكيفيات
واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما والا لا امكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان
المحكي كلامهم واما عدم مطابقته لمقتضى الحال فمنشاؤه الغفلة عما يجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر
هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية توفي كل واحد من المقامين معا
واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن
لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه
بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر بليغ هو تجريده عن الخواص
رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا
وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته
مع تحلية الكلام بمزايا اخر يرتقي بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين
الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال استيناف كامثاله فبما اغويتني الباء للقسم
كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى
فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون
الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي لاقعدن لهم او للتسبيب على ان الباء متعلقة بفعل
القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم
اقسم بعزتك لاقعدن لادم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم الموصل الى
الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل
على نزع الجار تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه تيسر باتيان
العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم
من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون

ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر
لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدى الفعل
الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم
المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى منهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة
عليهم السلام قال استيناف كما سلف مرارا اخرج منها اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة
مذؤوما اي مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه
ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو
ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج
ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اي وقلنا كما وقع في
سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام
للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المامور به اسكن انت وزوجك الجنة هو من السكنى الذي
هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن
في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله
تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جامعا للترتب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى
منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هنالك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان
بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له
فيه ولتعليق النهي بهما صريحا في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على
ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما
الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت
الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة
ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما
ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا
احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية
مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال
عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكلها الا ان تكونا ملكين الا
كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية
الملائكة لما ان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من الكمالات
الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه و
قاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما وصيغة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله
انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه تنبيه
على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل بغرور

بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما
اى لما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت
لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان
طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشأ وعلق وهب وانبرى اى اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق
ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان
من التخصيف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ ألم انهكما
وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اى وقال او قائلا ألم انهكما عن تلكما الشجرة
وما في اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي نهيا عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اى
ألم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب
على مخالفة النهي قيل فيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال
من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية روي انه
تعالى قال لآدم ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان
احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة
الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اى ضررناها
بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا ذلك وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان
الصغاير يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك حملوا قولهما ذلك
على عادات المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال استيناف
كما مر مرارا اهبطوا خطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا لهما ليعلم انهم قرناء ابدا
واخبر عما قال لهم مفرقا كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر
في ساير المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اى متعادين ولكم في الارض مستقر اى
استقرار او موضع استقرار ومتاع اى تمتع وانتفاع الى حين هو حين انقضاء آجالكم قال اعيد
الاستيناف اما للايذان ببعد اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله
تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى قال أ
أسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
اى للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بني آدم خطاب للناس كافة
وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الخ وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد ابليس ابداءها
من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وروي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم ح للايذان بان انكشاف العورة
اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون به
والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اى تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس
التقوى اى خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره جملة ذلك
خير او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا

ذلك

ذلك اى انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته
او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم
بهذا العنوان مما لا يخفى سببه لا يفتننكم الشيطان اى لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة
كما اخرج ابويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف اى لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد يجوز ان يكون
التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة
متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى
انه يراكم هو وقبيله اى جنوده وذريته استيناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم
من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية لا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم
ايانا من حيث لا نراهم لا يقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين جعل قبيله
من جملته بجمع اولياء للذين لا يؤمنون اى جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم وتمكينهم
من اغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء اى قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد للتحذير
اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة
الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد
بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا
والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان
آباءهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن
الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن
الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب
آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين
مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى
الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور
به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا تعلمون صدوره
عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم
صدوره عنه اليه تعالى اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار قل
امر ربي بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسند امره اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط العدل
وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلوة
او في اي مسجد حضرتكم الصلوة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين
له الدين اى الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة كما بدأكم اى انشأكم ابتداء تعودون اليه باعادته
فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب
تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان
وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة

وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه
او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم
وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اي ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد اي
طواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في
الصلوة وكلوا واشربوا مما طاب لكم روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون
دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال وبالتعدي الى الحرام وبالافراط
في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة
وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين
اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق اي المستلذات من الماكل والمشارب
وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من انكاري قل هي للذين
آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم
وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل
نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل انما حرم ربي الفواحش اي ما تفاحش
قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش اي جهرها وسرها والاثم
اي ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي اي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة
في الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي موكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين
وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء
عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه
قد مر سره ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جاء اجلهم
ان جعل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة
اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم
آجالهم بان يجي كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في
موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز اي اذا جاءها اجلها الخاص بها لا يستاخرون
عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتاخرون اصلا وصيغة
الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون
عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفاء
التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا
قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة وعدمها بالمرة
وقيل المراد بالمجي الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجي اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة منه وليس بذاك و
هكذا بيان انتفاء الاستيخار لما ان المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما في قوله تعالى ما
تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخير اهلاكهم مع

استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان
انتفاء السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشان ما في حيزه اما ياتينكم هي ان
الشرطية ضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على ان
ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف وهو صفة لرسل اي كائنون من
جنسكم وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل اي يبينون لكم احكامي وشرائعي وقوله تعالى فمن
اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى منكم التكذيب و
اصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون اي والذين كذبوا منكم بآياتنا وايراد الاتقاء في الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد
عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اي تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب ما
قاله اي هو اظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد
الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتماديهم في سوء الحال
اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم
من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه واياما كان فمن الابتدائية متعلقة بمحذوف
وقع حالا من نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس
رضي الله عنه كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم اي حال كونهم متوفين
لارواحهم يؤيد الاول فان حتى وان كانت هي التي يبتدا بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم
مما يتمتعون بها الى حين وفاتهم اي ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان ياتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم
قالوا لهم اين ما كنتم تدعون من دون الله اي اين الالهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة
باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية
سوال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا لا ندري مكانهم وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا اي في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله
وضلاله ولعله اريد بوقت مجي الرسل وحال التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجي والتوفي الى انتهاء يوم
الجزاء بناء على تحقق المجي والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية
سرعة وقوع البعث والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات
فقد قامت قيامته والا فهذا السوال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها
من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال اي الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة
الملك ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس
يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السابقة
واللاحقة فيها لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا
في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى
لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا

من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم
وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم اي
مخاطبين لاخراهم حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل
لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود
المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا باياتنا مع وضوحها واستكبروا
عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او لا
تعرج اليها ارواحهم كما هو شان ادعية المومنين واعمالهم وارواحهم والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد
لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات
وبالياء على ان الله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم
فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شانه الولوج في سم الابرة مبالغة في
الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ
من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط به كالحزام والمحزم
وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا
اوليا لهم من جهنم مهاد اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اي اغطية
والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللتصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله تعالى
وله الجوار المنشآت وكذلك ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين
اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان
عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على ان اعظم الجرايم والجرائر والذين امنوا اي باياتنا
او بكل ما يجب ان يومن به فيدخل فيه الايات دخولا اوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال
الصالحة التي شرعت بالايات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط
بين المبتدا الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة للترغيب في اكتساب ما يودي
الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدا واصحاب الجنة
خبره والجملة خبر للمبتدا الاول واسم الاشارة بدل من المبتدا الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة
وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبرا لاولئك
على راي من جوزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب
الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضي للايذان بتحققه وتقرره وعن علي رضي الله
عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم
والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل اما معنى الاضافة واما العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا
وقيل هي مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا وما كنا
لنهتدي اي لهذا المطلب الاعلى او لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها لولا ان هدانا الله ووفقنا له
واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف
لظهور المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي الخ بغير واو

على انها مبينة ومفسرة للاولى لقد جاءت رسل ربنا جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا
بايمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء في قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت او للملابسة
فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل اي والله لقد جاءوا بالحق او لقد جاءوا ملتبسين بالحق ونودوا اي نادتهم
الملائكة عليهم السلام ان تلكم الجنة ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشان محذوف و
معنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما
للاشعار بانها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها
بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر او الجنة
صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا
لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا
المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب
عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة
فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدناه حقا وقرئ بكسر العين
وهي لغة فيه فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
بان المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى
قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا
اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهي ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان
ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالاخرة كافرون غير معترفين وبينهما
حجاب اي بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى
الاخرى وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار
من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا
في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء
والاخيار والعلماء من المومنين او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار
بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة
او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف
اصحاب الجنة حين راوهم ان سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره
لم يدخلوها حال من فاعل نادوا او من مفعوله وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اي نادوهم وهم
لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون و
اذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير
عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا
متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي وصفهم بالظلم
دون ما هم عليه ح من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب
فقط بل مع ما يوجبه ويودي اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة
التقرير رجالا من رؤساء الكفار حين راوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء

حالهم يومئذ على رياستهم فى الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او
نافية جمعكم اى اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اى ما اغنى عنكم جمعكم
واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اى الاموال و
الجنود اهولاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المومنين الذين
كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما فى قوله
تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين
اى ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون او قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا
الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا
يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين فى العمل لان هذه المقالات وما سفرع هى عليه من المعرفة لا يليق بمن
لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او
الملئكة ردا عليهم اهولاء الاية وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا فى حقهم
لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمانت به
الدار ان افيضوا علينا من الماء اى صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر
الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استيناف مبنى على
السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اى منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل
الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت و
اللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة
الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل بهم ما يفعل الناسى بالمنسى من عدم الاعتداد بهم وتركهم
فى النار تركا كليا والفاء فى فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا فى محل النصب على انه نعت
لمصدر محذوف اى ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا
له وقوله تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اى وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى
انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اى بيناه معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ للكفرة فا[...]
والمراد بالكتاب الجنس او للعاصين منهم والكتاب هو القران على علم حال من فاعل فصلناه اى عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اى مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بفضله
هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يومنون لانهم المغتنمون باثاره المقتبسون من انواره هل
ينظرون الا تاويله اى ما ينتظر هولاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر
به من الوعد والوعيد يوم ياتى تاويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل اى تركوه ترك المنسى
من قبل اتيان تاويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اى هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا ولان
او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون
لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثانى وقرئ
بالرفع اى فنحن نعمل غير الذى كنا نعمل اى فى الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التى هى راس مالهم الى
الكفر والمعاصى وضل عنهم ما كانوا يفترون اى ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تعالى

وشفعاوهم يوم القيمة ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام شروع فى بيان مبدا الفطرة
اثر بيان معاد الكفرة اى ان خالقكم ومالككم الذى خلق الاجرام العلوية والسفلية فى ستة اوقات كقوله
تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم
يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على
التانى فى الامور ثم استوى على العرش اى استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش
صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكين
والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل
منه وقيل الملك يغشى الليل النهار اى يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ
بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اى يعقبه سريعا كالطالب له
لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او من
المفعول اى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اى خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه
وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك
الله رب العالمين اى تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله
اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه الذى له الخلق والامر
فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار
اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة
والهيات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال واشار بقوله تعالى وخلق الارض فى يومين
اى ما فى جهة السفل فى يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال
بعد قوله تعالى خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة
ايام اى مع اليومين الاولين لما فصل فى سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على
سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو
فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين
فقال ادعوا ربكم الذى قد عرفتم شؤونه الجليلة تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء
دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اى لا يجيب دعاء المجاوزين لما امروا به فى كل شئ فيدخل فيه الاعتداء
فى الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعى يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى
السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء
وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب
اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث
الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اى ذوى خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم
وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمة الله قريب من المحسنين فى كل شئ ومن الاحسان
فى الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اى
امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق
بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسى التانيث

من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح بشرا تخفيف بشر جمع بشير
اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور
اي ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا
تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من
القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لانه بمعنى السحاب سقناه اي السحاب وافراد
الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت اي لاجله ولمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به
الماء اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير تاويل المذكور وكذلك قوله تعالى فاخرجنا
به ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية في
الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة
الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات
والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى و
الحواس لعلكم تذكرون بطرح احدى التائين اي تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير
شبهة والبلد الطيب اي الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر
به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة
والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا
نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا وقرئ نكدا
على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف
الايات اي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما
ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حيوة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين
من انوارها والمحرومين من مغانم اثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق
الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الخ واطراد
استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد
الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليهما السلام قال ابن عباس
رضي الله عنهما بعث عليه السلام على راس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة
وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو
ابن مائة سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين
سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا
الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من
العبادة في شيء وقوله تعالى ما لكم من اله غيره اي من مستحق للعبادة استيناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة
او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار
لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما
في الدار من احد الا زيدا او غير زيد فمن اله ان جعل مبتدأ فلكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين
اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم اي ان لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم

عظيم هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي
اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملا من قومه استيناف مبني على
سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا له عليه السلام في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤسا من قومه
والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم
انا لنريك في ضلال اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف
مبين بين كونه ضلالا قال استيناف كما سبق يا قوم ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم
نحو الحق ليس بي ضلالة اي شيء ما من الضلال قصد عليه السلام بحق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا
على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله
ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية
فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من
الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي استيناف
مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني امي
حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان المراد بها
ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه السلام بعد بيان عمومها
للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات
امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالته وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام
مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى
واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي
ما لا تعلمونه من الامور الاتية او اعلم من شؤنه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه وان
باسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين
امنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحي اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما
اكتفى عن ذكره بقولهم انا لنريك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله
لانزل ملئكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم
من ان جاءكم ذكر اي وحي او موعظة من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اي على لسان رجل من
جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقلتم لاجل ذلك ما قلتم من ان الله تعالى لو شاء لانزل
ملئكة لينذركم علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة
عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة الثانية مترتبة عليها اي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم
وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى
وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن عذاب الله عز وجل فكذبوه فتموا على تكذيبه في دعوى
النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه
المدة المتطاولة بعد ما كرر عليه السلام عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله

تعالى ربانى دعوتهم ليلا ونهارا الايات هو الذى يعقبه الانجاء والاغراق لا لمجرد التكذيب فانجيناه و
الذين معه من المومنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة ابناوه الثلثه وستة ممن امن به و
قوله تعالى فى الفلك متعلق بالاستقرار فى الظرف اى استقروا معه فى الفلك او صحبوه فيه او بفعل الانجاء
اى انجيناهم فى السفينه ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره فى الظرف واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا اى استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملاء المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب
منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة التى هى
مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذى يظهر اثره بمقتضى جرايمهم انهم كانوا قوما عمين عمى القلوب
غير مستبصرين قال ابن عباس رضى الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرى عامين
والاول ادل على الثبات والقرار والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا فى قصة نوح عم
وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اى وارسلنا الى عاد اخاهم اى واحدا منهم فى النسب لا فى الدين كقولهم
يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى واياما
كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر مع ما فيه من التشويق الى ذلك ما سيأتى
من قوله تعالى ولوطا اذ فان قوما لم يعهدوا باسم معروف يقتضى الحال ذكره عليه السلام مضافا اليهم
كما فى قصة عاد وثمود ومدين خولف فى النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص الثلث و
قوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوض بن ارم بن سام
ابن نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم
افهم لكلامه واعرف بحاله فى صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استيناف مبنى على سوال نشا من
حكاية ارساله عليه السلام اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اى وحده كما يعرب
عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استيناف جار مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل لها او للامر بها
كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرى
بالجر حملا له على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقايهم عذاب الله تعالى بعد ما علموا ما حل
بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى لا تتفكرون او اتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على
المعطوفين معا او اتعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفى سورة هود افلا تعقلون ولعله
عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما فى موطن عن حكايته فى موطن اخر كما لم يذكر
ههنا ما فى قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال
نظايره فى ساير القصص لا سيما فى المحاورات الجارية فى الاوقات المتعددة والله اعلم قال الملاء الذين كفروا من
قومه استيناف كما مر وانما وصف الملاء بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملاء قوم نوح بل كان منهم من امن
له عليه السلام ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا لنراك فى سفاهة اى متمكنا فى خفة
عقل راسخا فيها حيث فارقت دين ابائك لاانهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وانا لنظنك من الكاذبين اى
فيما ادعيت من الرسالة قالوه لعراقتهم فى التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح قال مستعطفا لهم ومستميلا
لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بى
سفاهة اى شىء منها ولا شايبة من شوايبها ولكنى رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار
ما يستلزمه ويقتضيه من كونه فى الغاية القصوى من الرشد والاناة والصدق والامانة فان الرسالة من

مادكرهناك

جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بى شىء مما تنسبونى اليه ولكنى فى غاية ما يكون من الرشد والصدق
ولم يصرح بنفى الكذب اكتفاء بما فى حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول
موكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتيه بالفخامة الاضافية وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربى استيناف
سيق لتقرير رسالته وتفصيل احوالها وقيل صفة اخرى لرسول والكلام فى اضافة الرب الى نفسه عم
بعد اضافته الى العالمين وكذا فى جمع الرسالات كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام وقرى ابلغكم من الابلاغ
وانا لكم ناصح امين معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك والمجى بالجملة الاسمية دلالة
على الثبات والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شايبة السفاهة او الكذب اوعجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم الكلام فيه كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام على رجل منكم اى من جنسكم
لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصى حتى تنسبونى الى السفاهة والكذب وفى اجابة
الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من نسبهم الى الاخير فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكى عنهم من
المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقه والرافة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى
من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم خلفاء شروع فى بيان ترتب احكام النصح و
الامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان
ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت
هى حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا
فى امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء من بعد قوم نوح اى فى مساكنهم او فى الارض بان
جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان وزادكم فى الخلق
اى فى الابداع والتصوير او فى الناس بسطة قامة وقوة فانه لم يكن فى زمانهم مثلهم فى عظم
الاجرام قال الكلبى والسدى كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا فاذكروا الاء
الله التى انعم بها عليكم من فنون النعماء التى هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر
تخصيص لعلكم تفلحون كى يوديكم ذلك الى الشكر المودى الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب
قالوا مجيبين عن تلك النصايح العظيمة اجئتنا لنعبد الله وحده اى لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد
اباونا انكروا عليه عليه السلام مجيه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا
فى التقليد وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجى اما مجيئه عليه السلام من متعبده ومعتزله
واما من السماء على التهكم واما القصد والتصدى مجازا كما يقال فى مقابلة ذهب يشتمنى من غير ارادة معنى
الذهاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون ان كنت من الصادقين
اى فى الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اى فأت به قال قد وقع عليكم
اى وجب وحق او نزل باصراركم هذا ابناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما فى قوله تعالى اتى امر الله من
ربكم اى من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثانى مع ان مبداء الشىء مقدم على منتهاه للمسارعة
الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذى هو قوله تعالى رجس مع ما فيه من التشويق
الى المؤخر ولان فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب فربما يخل تقديمهما بتجاوب
النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس الذى هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنويهما

للتفخيم والتهويل اتجادلونني في اسماء عارية عن المسمى سميتموها اي سميتم بها انتم واباؤكم انكار
واستقباح لانكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام اي
اتجادلونني في اشياء سميتموها الهة ليست هي الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية
شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما
بانزال اية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان واذ ليس
ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا اما
تطلبونه بقولكم فاتنا بما تعدنا الخ اني معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى فانجيناه
فصيحة كما في قوله فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه اي في الدين برحمة اي عظيمة لا
يقادر قدرها وقوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المنفهمة
من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم بالكلية ودمرناهم
عن اخرهم وما كانوا مومنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب
ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان
مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق اياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم
كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام
يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه
وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء
طلبوا الى الله تعالى الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق
ابن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم
قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا
من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتا معاوية
فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري و
هؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا
قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي
ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم
وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان
اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين
هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله تعالى سحابات ثلاثا
بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها
اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها
ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا
عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة
من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد و
هو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوة

صالح عليه السلام لهم من حيث النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حادر
ابن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عليه السلام اليهم مظنة لان يسال ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق
الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظائره قد جاءتكم بينة اي اية
ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفها
حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او للمثوبة
اما الحالة من الرخاء والشدة ولذلك اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو
صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام اول ما خاطبهم اثر دعوتهم
الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما
في سورة هود من قوله تعالى هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها الى اخر الايات روي انه لما اهلكت عاد
عمرت ثمود بلادها وخلفوها في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن
المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا
في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم
الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون
قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك
اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم
ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة
ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه
السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله و
عظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم
ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت
راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون
ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد
تشتو ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان عنيزة ام
غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه
فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب
فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد
غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا
ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا
بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم
اية استئناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا
اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت اية واي اية ولكم بيان لمن هي اية له وانتصاب اية على
الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدا ثانيا

وكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض
لها تأكل في أرض الله جواب للامر اى الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض
ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وقرئ تأكل بالرفع على انه في موقع الحال اى آكلة فيها وعدم التعرض للشرب
اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله
تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل
لانواع الاذية وتنكير السوء مبالغة في النهي اى لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها اصلا ولا تطردوها ولا
تريبوها اكراما لآية الله تعالى فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي ويروى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على
هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله تعالى
عنه يا علي أتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من اشقى الآخرين قال
الله ورسوله اعلم قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اى خلفاء في الارض او خلفاء لهم
كما مر وبوأكم في الارض اى جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها
قصورا استئناف مبين لكيفية التبوئة اى تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة
الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وتنحتون الجبال اى الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون
باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة والنحت نجر الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية
وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال
على اسقاط الجار اى من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما
على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله التي انعم بها
عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التي هذه من جملتها ولا تعثوا في الارض مفسدين فان حق آلائه تعالى ان
تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالافساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه
اى عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام في
قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل
الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن
والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان المحاورة مع المؤمنين
منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اى قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم أتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب
الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان
الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسال
عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير
ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل
به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة اى نحروها اسند العقر الى الكل مع ان
المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم فكأنه فعله كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث
اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اى استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح ع م

من الامر والنهي وقالوا مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والالزام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اى
من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا ان كنت من المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول
من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى
من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله فاصبحوا في دارهم اى صاروا في ارضهم وبلدهم
او في مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اى قعود لا حراك بهم
ولا ينبسون نبسة قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول
العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة
البطش اللهم انا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا
مساغ لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين
قيدا تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت
لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد
ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن
لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية اى شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام
بذلك خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عليه السلام لعلاماته
تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب
يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا
وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف
على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه في قصة هود ع م
وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابراهيم فهاجر الى
الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهو بلد بحمص وقوله
تعالى اذ قال لقومه ظرف للمضمر المذكور اى ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله ع م
بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على انتصابه باذكر اى اذكر
وقت قوله عليه السلام لقومه أتأتون الفاحشة بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اى أتفعلون تلك الفعلة
المتناهية في القبح المتمادية في الشرية والسوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله ع م
سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اى ضربتها قبله ومن في قوله تعالى من احد مزيدة لتأكيد
النفي وافادة معنى الاستغراق وفي قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير
وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم
وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين
لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم
بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال

محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فاذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ
ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم
ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي اول من فعل به ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل
لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل انكم لتاتون الرجال خبر مستانف لبيان
تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تاكيد للانكار السابق و
تشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقريع كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تاكيدا قويا
وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر
في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى
المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا اقضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم
تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال
الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة بل انتم قوم مسرفون اضراب
عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار
عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب
قومه اي المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثناء مفرغ
من اعم الاشياء اي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الاخرين المباشرين للامور معرضين
عن مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اي لوطا ومن معه من اهله المومنين من قريتكم اي الا هذا القول
الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرها
وهو اظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم
بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام
بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة
والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في ساير السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره
الواردة بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء
والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار و
الدعار فانجيناه واهله اي المومنين منهم الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت
من الغابرين اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون
للفاحشة والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها
فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب والصحيح ان
المراد ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة
فامطر عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم و
امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من
الحرم فوقع عليه وروي ان امراة التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
خطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف

على

على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد وعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب
اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب
ابن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعته
قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استيناف مبني على سؤال نشأ عن حكاية ارساله اليهم
كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اي
معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لها مؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة
من تنكيرها بفخامتها الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام
في القران العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلم
التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها
وقوع عصا ادم على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عليهما السلام وقيل البينة
مجيئه عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما
اتاه الله تعالى من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله تعالى والميزان
فان المتبادر منه الاله وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل اي الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر
على مع البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها
بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي تشترونها بها معتمدين على تمامها
اي شيء كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون
شيئا الا مكسوه قال زهير افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا
في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع
او اصلحوا فيها واضافته اليها كاضافة مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان
الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مومنين اي مصدقين لي في قولي
هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان
واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا
يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن وقيل
يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر
بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن
طرق الدين وقوله تعالى من امن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون
لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا اي وتطلبون لسبيل
الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد شيء من شائبة الاعوجاج واذكروا اذ
كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم
نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت
به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يومنوا اي به او لم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين
الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب

لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه استيناف مبني على سوال ينساق اليه المقال كانه قيل
فماذا قالوا بعدما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل قال اشراف قومه المستكبرون متطاولين
عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة بل بالغين من العتو والاستكبار
الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المومنين واجتروا على اكراههم عليه بوعيد النفي
وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا بنسبة الاخراج
اليه عليه اولا والى المومنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عليه السلام في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما
ينبئ عنه قوله تعالى معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين
لزيادة التقرير والتهديد الناشية عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا
بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن في ملتنا عطف على جواب
القسم اي والله لتكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاجلاء لمحض
القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لا ندعكم فيما نحن حتى تدخلوا
في ملتنا وادخالهم له عليه السلام في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو
بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة
الطواعية حذار الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال استينافا
كما سبق اي قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة اولو كنا كارهين على ان
الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين ويجوز
ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء
في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة
قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق
بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها
على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال
بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء
من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال
المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر
في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان
غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقاء على حاله سالما عما يغيره واما فيما نحن
فيه ففيه نوع خفاء لغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة
متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال
من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة
لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول
المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سياتي وان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث
مقارنته للحالة المذكورة واما مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده
في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما

ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم
لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المومنين للعود في ملة الكفرة ابتداء حتى يقال
انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل
في قوله تعالى ولو انا كتبنا الاية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود
خشية الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين
ولو كنا كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ ما
انعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكار لما تفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود على اي حالة كانت
غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها هي الواقعة
في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة
على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق عند عدمها اولى ان قلت النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن
فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق
فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان
يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود
لانه في معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل
حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود
المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام
فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان
بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة
الى نفسه وفي الاخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا يستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية
الا يرى انك لو قلت مكان انعود فيها الخ لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول
الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس
الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد
تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها
بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق
الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة
عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن
عن ذكر ما عداه لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا
لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في
حال عدمها البتة وعند كونها قيدا لنفيه بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال
الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا
استقام الاول لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني
لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان
يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما نفيه

معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الآخر او انهما متلازمان متفقان في جميع الاحكام كيف
لا ومدلول الاول ان العود منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين
صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصحح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار
على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة قد افترينا
على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم
ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق
واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا الخ وما يكون
لنا اي وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا ان يشاء
الله اي الا حال مشيئة الله تعالى او وقت مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله
تعالى ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا
وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها دليل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه
الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود
فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له وسع
ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم
وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما
ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك
بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق اعراض عن مفاوضتهم اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا
واقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ
ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم
حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط
قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام
ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان وتنفيرا لهم عنه على
طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم انكم اذا لخاسرون اي
في الدين لاشتراكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء
معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام فاخذتهم الرجفة
اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام
ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي
في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها كأن لم يغنوا

فيها

فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين
من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف آخر لبيان
ابتلائهم بعقوبة قولهم الآخر واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة
هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين
للدنيا والدين لا المتبعون له عليه السلام وبهذا القصر اكتفي عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع في
سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه الخ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه
ذلك فقال فكيف آسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن
لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ و
الانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين وما
ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا
ومن مزيدة لتاكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ
من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما بقد
مقدرة كما في هذه الآية او مقارنة بقد كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة
نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر
والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة
لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون كي يتضرعوا
ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء
والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة التي اصابتهم للغاية المذكورة
الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة
وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء والسراء كما
مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية
يؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تاخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها فاخذناهم
اثر ذلك بغتة فجاءة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره
كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم
لوط بل ما يعم ذلك وما يمضي بين الاخذ واتمام الاهلاك ايام كعذاب ثمود ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة
المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظم لما ذكر منها انتظاما
اوليا آمنوا بما اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر
والمعاصي او اتقوا ما انذروا به على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى
على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من
السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا

ولم يتقوا وقد اكتفى بذكر الاول لاستلزامه الثاني فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي
التي من جملتها قولهم قد مس اباءنا الخ وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط
كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة افامن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على وضع
المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة ما اتاهم من الباس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم
اصابهم باس خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم كما سياتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع و
نفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم
وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك
الاخذ امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا اي تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في
الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم
البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك
لم يقل افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو على
الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم
يلعبون اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كانهم يلعبون افامنوا مكر الله تكرير
للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد
به اتيان باسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما
متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة الاول فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر
في الايات اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة و
يرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل
اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الخ واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية
اي اولم يبين لهم مآل امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم
او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله ونطبع على قلوبهم عطف على
ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتامل او منقطع عنه
بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق
جواب لو فهم لا يسمعون اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها
من الهدايات تلك القرى جملة مستانفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية
غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعدما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم
المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدا وقوله تعالى نقص عليك من انبائها خبره وصيغة المضارع للايذان
بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدا والقرى
خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى و
تصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما
يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال
بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة اهول وافظع والباء في قوله تعالى

بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات
لكن لا بان ياتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان
مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستانفة مبنية لكمال عتوهم وعنادهم
اي وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم
الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم
في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار
على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان
فعل جديد وصنع حادث اي فما صح وما استقام
لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى الآن لغاية اما القوا
لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم اخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم
المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم
من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول
ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة
التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا
وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد
بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى اخره وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل
الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير
لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن
الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من
قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب
وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل
فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك
العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متواردة في
المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء ولا يخفى ما فيه من
التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل
كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم
عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء
كما هو راي الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير في به كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على
قلوب الكافرين اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار
الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اي اكثر الامم المذكورين
واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اي ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا
من قوله من عهد لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا

لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اى وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه
عند مساس الباساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا الشان باكثرهم
ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يوفون وقيل المراد بالعهد ما عهد
الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الايات وانزال الحجج وقيل ما عهدوا عند خطاب الست
بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهود باى معنى كان
وان وجدنا اكثرهم اى اكثر الامم اى علمناهم كما فى قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا
كذلك وان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اى انه الشان وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة
ناقضين العهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اى ما وجدناهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم
موسى اى ارسلناه من بعد انقضاء وقايع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية
والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخى للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية
من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر بآياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اى بعثناه عليه السلام
ملتبسا بها وهى الايات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات و
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سياتى على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك
مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد
ابن مصعب بن الريان وملائه اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام
لقومه كافة حيث كانوا جميعا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التى كان
يدعيها الطاغية وتقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم فى تدبير الامور واتباع غيرهم لهم فى الورود و
الصدور فظلموا بها اى كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر او التكذيب
اى ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا
موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها
والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا يرى الى قوله تعالى فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر
بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة فى حيز النصب باسقاط الخافض اى فانظر
بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد و
قال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الايات وكيفية عاقبة المفسدين
يا فرعون انى رسول اى اليك من رب العالمين على الوجه الذى مر بيانه حقيق على ان لا اقول على
الله الا الحق جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالايات من تكذيبه اياه عليه السلام فى دعوة الرسالة
وكان اصله حقيق على ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب لامن الالباس كما فى قول من قال وتشقى الرماح
بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق
ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن
كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابى بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله
تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استيناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول
الحق ولم يكن هذا القول منه عليه السلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورات
المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما الايات وقوله تعالى وما رب العالمين الايات وقد طوى ههنا ذكره للايجاز ومن
متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة
لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمى واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين
لتاكيد وجوب الايمان بها فارسل معى بنى اسرائيل اى فخلهم حتى يذهبوا معى الى الارض المقدسة التى هى
وطن ابائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تعالى
بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى عليهما السلام اربعمائة عام والفاء
لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته عليه السلام ومجيئه بالبينة قال استيناف وقع جوابا
عن سوال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال له ما قال فقيل قال ان كنت جئت
باية اى من عند من ارسلك كما تدعيه فات بها اى فاحضرها عندى ليثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين
فى دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضى اظهار الاية لا محالة فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين
اى ظاهر امره لا يشك فى كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب
وثبات وصف الثعبانية فيها كانها فى الاصل كذلك روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه
ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم
من الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا
اومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اى من جيبه او من تحت ابطه فاذا هى بيضاء
للناظرين اى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه
ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا
غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام ادم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لانها كانت بيضاء فى جبلتها
قال الملأ من قوم فرعون اى الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اى مبالغ فى علم السحر
ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزى فى سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم
من ارضكم اى من ارض مصر فماذا تامرون بفتح النون وما فى ماذا فى محل النصب على انه مفعول ثان لتامرون
بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باى شئ تامروننى وهذا من كلام فرعون كما فى قوله تعالى ذلك ليعلم انى لم اخنه
بالغيب اى فاذا كان كذلك فماذا تشيرون على فى امره وقيل قاله الملأ عن قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى
قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثانى لكلام العامة الذين
خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اى اخره واخاه وعدم التعرض لظهور
كونه معه حسبما ينادى به الايات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر شانهما و
قرئ ارجئه وارجه من ارجاه وارجاه وارسل فى المدائن حاشرين قيل هى مدائن صعيد مصر وكان رؤساء
السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين
مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما
جاء بعد موسى عليه السلام ياتوك بكل ساحر عليم اى ماهر فى السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر
وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما فى قوله تعالى فارسل فى المدائن حاشرين
للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استيناف منوط بسوال

نشاء من حكاية مجئ السحرة كانه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم ح او بطريق الاستفهام
التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط
الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى وانكم لمن المقربين عطف
على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب و
روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج عنه قالوا استيناف كما مر كانه قيل فماذا فعلوا بعد
ذلك فقيل قالوا متصدين لشانهم مخاطبين لموسى عليه السلام يا موسى اما ان تلقي ما تلقي اولا واما ان نكون نحن
الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عليه السلام بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا
للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير ولكن لما كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف
الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتاكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اي القوا ما تلقون فلما القوا ما القوا
سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم وجاؤا بسحر عظيم
في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا
الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون الفاء فصيحة اي فالقاها فصارت حية فاذا هي الخ وانما حذف
للاشعار بمسارعة موسى عليه السلام الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كان لقفها لما يافكون قد حصل متصلا بالالقاء
بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة
او موصوفة والعائد محذوف اي ما يافكونه ويزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت
ملأ الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك الاجرام
العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اي فثبت لظهور
امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اي فرعون وقومه هنالك
اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر
لقوله تعالى والقي السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم
كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول
لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف
قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه آمنتم به بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او
على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل
الثانية بين بين اي آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن لكم اي بغير اذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم
لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد
روي ان موسى عليه السلام وامير السحرة التقيا فقال له موسى عليه السلام ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان
ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشا عنه هذا القول
لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى اسماع عوام القبط عند
معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها ليمنعهم
بهما عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام بارائة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم

بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المالوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين
بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة و
قدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل
فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل
هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه تعالى محاربة لله ورسوله قالوا استيناف
مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تاثروا به او تصلبوا
فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت لا محالة فسواء
كان ذلك من قبلك او لا فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه
شغفا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر وتعيب منا
الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم
اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا ربنا
افرغ علينا صبرا اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار
وادناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين
من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من
قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا من امر موسى عليه السلام اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام
بالواو كما في قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء اي ايكون منك ترك موسى ويكون
تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استينافا او حالا وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى
فاصدق واكن والهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها
تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والهتك اي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يده وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت
ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا
بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا
اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر
من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا اي من جهة فرعون من
قبل ان تاتينا بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اي
رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وساير ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون
الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم
بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام قال اي موسى عليه السلام لما راى شدة جزعهم مما شاهدوه
مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله ان الارض لله الخ عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم
باعادته ويستخلفكم في الارض اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر فينظر كيف تعملون احسنا ام قبيحا فيجازيكم
حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام

بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصر انما فتح في زمن داود عليه السلام وسليمان قوله تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون لا استخلاف اولادهم وانما يحصل الطمع الجاري على سنن الكرماء ولقد اخذنا
آل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادئ الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض
ودعة بل رتب اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير الجملة بالقسم
لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر
السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ويحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع
الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني
تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وح لا يحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر دعاني من نجد فان
سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين
يوسف باللغتين ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب ياتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال
ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم
لعلهم يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو
والعناد قال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل في الرجوع اليه تعالى الا يرى الى قوله
تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوايل
سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة و
الخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء
يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشومهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم
ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الايات وقد كانوا
بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها
وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة
بها الا بالعرض وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله استيناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق
الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم وشرهم الا عنده تعالى وهو حكمه
ومشيته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شومهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها
التي ساقت اليهم ما يسوؤهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طاير وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير
والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعلمون بمقتضاه
عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها ايات
بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعدما راوا ما راوا من شان العصا والسنين
ونقص الثمرات مهما تاتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد
كما ضمت الى اين وان في اينما تكونوا واما تذهبن بك خلا ان الف الاولى قلبت هاء حذارا من تكرير المتجانسين هذا
هو الراي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الناهي ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل
يفسره ما بعدها اي اي شيء تظهره لدينا وقوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لمجاراة على راي
موسى عليه السلام واستهزائهم بها والاشعار بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها الى آخره

اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسمية للارشاد الى الحق بالسحر وتسكين الابصار والضميران المجروران راجعان الى
مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه باية كما في قوله
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين
لنبوتك فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم
وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل
اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان
يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال
بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع
لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلاء ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث
الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء
واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل
فاكل ما ابقته الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا
الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها
مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا
فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي
على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم
الرعاف آيات حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى
ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا
وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا اي عن
الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور
على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الايات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا
في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه فيجيبك
كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف
دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع
علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا عنهم الرجز الى
اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا
عنهم فاجؤوا النكث من غير تامل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان
قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية
كما في قوله تعالى فنادى نوح ربه فقال يا رب الخ في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بايات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم
فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل
ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات
الظاهرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد

وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنوا اسرائيل ذكروا بهذا
العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض
ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها الشرقية والغربية
كيف شاءوا وقوله تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه
ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك
الحسنى وهو وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل
بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا ما كان
يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر
مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون
والجملة خبر كان والعائد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل كان زائدة كما ذكر وما مصدرية
اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي يصنعه فرعون الخ اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين
لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ
يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع
في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من
النعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الايات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله عليه السلام وايقاظا للمؤمنين
حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز فعدي بالباء اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى
عليه السلام يوم عاشوراء بعدما اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله عز وجل فاتوا اي مروا على قوم قيل
كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون
على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شأن العجل قالوا
عندما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها
وما موصولة ولهم صلتها والهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر هو لهم قال انكم قوم تجهلون
تعجب عليه السلام من قولهم هذا اثر ما شاهدوا من الاية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم
مما ظهر منهم واكده بقوله ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اي مدمر مكسر ما هم فيه
اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا
وانما جيء بالجملة الاسمية للدلالة على التحقق وباطل اي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم
بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها
وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم
هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا
قال اغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما
لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام للانكار
والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى لما انه لاختصاص الانكار لغيره تعالى

واتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية
من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا
وهو فضلكم على العالمين اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث
قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان عمدوا الى اخس شيء من مخلوقاته تعالى فجعلوه
شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ نجينا
من التنجية وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام اي واذكروا وقت انجائنا اياكم من آل فرعون
من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء
العذاب من سامه خسفا اي اولاه اياه او كلفه اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين
او من آل فرعون او منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من
يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجاء او سوء العذاب بلاء اي نعمة او محنة من ربكم من مالك
امركم فان النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة روي ان
موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما ياتون وما يذرون
فلما اهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه
فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح
فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله
تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل
فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل
ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة
الوعد وثلثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين
ليلة وقال موسى لاخيه هرون حين توجه الى المناجاة حسبما امر به اخلفني اي كن خليفتي في قومي وراقبهم
فيما ياتون وما يذرون واصلح ما يحتاج الى الاصلاح من امور دينهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي
لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص
اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع
ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك
اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لما
ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله تعالى لن تراني
دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد
وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح
شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال
بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على انه لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا
عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال استئناف مبني على سؤال نشأ
من الكلام كانه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني استدراك لبيان انه لا يطيقها وفي تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز

ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل اى ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره
وقيل اعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكا اى
ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتى لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اى قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من
هول ما راه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال
تعظيما لما شاهده سبحانك اى تنزيها لك من ان اسئلك شيئا بغير اذن منك تبت اليك اى من الجرأة و
الاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين اى بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا
وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك قال يا موسى استيناف مسوق لتسليته عليه السلام من عدم الاجابة
الى سؤال الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر
على شكرها انى اصطفيتك اى اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك على الناس اى المعاصرين لك وهرون
وان كان نبيا كان مامورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع برسالاتى اى باسفار التورية وقرئ
برسالتى وبكلامى وبتكليمى اياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك اى اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن
من الشاكرين على ما اعطيت من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا
له فى الالواح من كل شئ اى مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور
اى كتبنا له كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى عدد الالواح وفى جوهرها ومقدارها فقيل انها
كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من
زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها
باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التورية
وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام
وعن مقاتل كتب فى الالواح انى انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين
فخذها على اضمار قول معطوف على كتبنا اى فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك
والضمير للالواح او لكل شئ لانه بمعنى الاشياء او للرسالة او للتورية وأمر قومك يأخذوا باحسنها اى باحسن
ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصاص والانتصار وكالاقتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل
كما فى قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها واحسن
صلة كما قال قطرب اى حسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه
محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب سأريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق
الالتفات حملا لهم على الجد فى الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض
مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهى خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار
عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر
خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما اتيح لبنى اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم
بالثاء المثلثة كما فى قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ساوريكم
ولعله من اوريت الزند اى سابينها لكم وقوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض استيناف
مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر فى الآيات التى هى ما كتب فى الواح التورية من المواعظ والاحكام

او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التى من جملتها ما وعدوا اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم
بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان فى المؤخر
نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اى سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على
الخلق مزية وفضلا فلا ينتفعون بآياتى التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا يسلكوا مسالكهم
لكونوا امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون فى ابطال ما راه من الآيات
فابى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة
المشهورين بالفسق والتكبر فى الارض وباراءتها المخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم فى مساكنهم ومنازلهم حسبما
نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ويكون قوله تعالى سأصرف عن آياتى الخ جوابا عن
سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما تلى آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام
معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار
بعد التيه بمن بقى من بنى اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون فى مقدمته
ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كانه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل سأهلكهم
وانما عدل الى الصرف ليزداد واثقا بالآيات واطمينانا بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اى يتكبرون
بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اى يتكبرون ملتبسين بغير
الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه فى حكم الصلة والمراد بالآية المنزلة
فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع
والابصار اى وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفى لا على نفى العموم اى كفروا بكل
واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هى وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل فى حكمه اى لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء
الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثها لغات كالسقم والسقم
والسقام وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا اى يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه
لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشئ من الآيات
واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اى حاصل بسبب انهم
كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون
فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاشعار بعلية ما فى
حيز الصلة كيف لا وقد مر ان ذلك فى قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اى
سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اى وبلقائهم الدار
الآخرة او لقائهم ما وعده الله تعالى فى الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت
اعمالهم خبره اى ظهر بطلان اعمالهم التى كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعدما
كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون اى لا يجزون الا ما كانوا يعملون اى الا جزاء ما كانوا يعملو
من الكفر والمعاصى واتخذ قوم موسى من بعده اى من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار

الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان والثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده
اذ لو تاخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها
قبل الغرق فبقيت في ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستامنون
فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ
بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد
الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا اي جثة ذا دم ولحم
او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت
لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وقد كان اخذه عند
فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فصوت والاول انسب
بما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به
فكانهم فعلوه واما لان المراد بالاتخاذ اتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه الم يروا انه لا يكلمهم استئناف
مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي الم
يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه
الها وقوله تعالى اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين للاشياء في غير مواضعها فلم يكن هذا
اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم
اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ
سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما
بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل وراوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك
حتى كانهم راوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الروية مع كونه متاخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار
بغاية سرعته كانه سابق على الروية قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا
بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو
المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدا لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام
في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وفي قوله تعالى لنكونن من الخاسرين لجواب القسم وما حكي عنهم من الندم
والروية والقول وان كان بعد ما رجع موسى اليهم كما ينطق به الايات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه
عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما
جرى من موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى غضبان اسفا
حالان من موسى عليه السلام او الثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين
قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رايتم مني من توحيد
الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث
قلتم اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري
واشياعه او بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه
من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن افعصيت امري ويجوز

ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلفية ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن
فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي تركتموه
غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين
وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط
الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة
اسباعها التي كان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه عليهما
السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعله عليه السلام توهما انه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عليهما السلام
بثلث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال اي هرون مخاطبا لموسى عليهما السلام ابن
ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها
كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف
الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا
تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا
في عدادهم بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل او لا تعتقد اني واحد من الظالمين
مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية اعتذار هرون عليه السلام عند ذلك
فقيل قال رب اغفر لي اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي ان فرط منه تقصير ما في كفهم
عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه
للايذان بانه يحتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد
غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والاخرة والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي تموا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه
من الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول
الاول عبارة عن المصرين سينالهم اي في الاخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون
العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرائم واقبح الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف
هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة في الحيوة
الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص
بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس يروى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس
احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال
الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما
اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة
فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسياقه نابيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى
وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه فانهم شهداء تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا
ليس يجزي الله تعالى كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء بافاعيل الاباء مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا

الامر وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى الاية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه **والذين عملوا السيئات** اي سيئة كانت **ثم تابوا** عن تلك السيئات **من بعدها** اي من بعد عملها **وآمنوا** ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى **ان ربك من بعدها** اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان **لغفور** للذنوب وان عظمت وكثرت **رحيم** مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف **ولما سكت عن موسى الغضب** شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى مآل كل منهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكى عنهم من الندم وما تفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه السلام وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه السلام على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى او اخوه او التائبون **اخذ الالواح** التي القاها **وفي نسختها** اي فيما نسخ منها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة **هدى** اي بيان للحق **ورحمة** للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح **للذين هم لربهم يرهبون** اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة **واختار موسى قومه** شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما في قوله اخترتك الناس اذ رثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السول اي اخترتك من الناس **سبعين رجلا** مفعول اول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر **لميقاتنا** الذي وقتناه بعدما وقع الميقات الكلامي الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدي امره الله تعالى بان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال عليه السلام ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه حسبما يشاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة **فلما اخذتهم الرجفة** مما اجترؤوا عليه من طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الآمر بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا رؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فاسدا حين شاهد موسى عليه السلام تلك الحالة الهائلة **قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل** اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها **واياي** ايضا حين طلبت

منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا لاهلكتنا بذنوبنا اهلكنا ح اراد به عليه السلام تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيئتك اياه بحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائر فلا غرو في ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على التمني يأباه قوله تعالى **اتهلكنا بما فعل السفهاء منا** اي الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك ولا يتثبتون في المداحض والهمزة اما لانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري واما للاستعطاف كما قاله المبرد اي لا تهلكنا **ان هي الا فتنتك** استيناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى **تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء** اما استيناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها الخ اي تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه **انت ولينا** اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غير **فاغفر لنا** ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كان قيل فمن شان الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عليه السلام على ان يقول ان هي الا فتنتك الخ جراءة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها **وارحمنا** بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا **وانت خير الغافرين** اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام **واكتب لنا** اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت **في هذه الدنيا حسنة** اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة **وفي الآخرة** اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة **انا هدنا اليك** اي تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد اذا حرك وامال ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل والجملة استيناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا مما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع منها من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم **قال** استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام فقيل قال **عذابي اصيب به من اشاء** لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عليه السلام دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شأنه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم ممن تناولته مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي **ورحمتي وسعت كل شيء** اي شأنها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فبمقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار

بغاية الظهور الايري الى قوله تعالى فسأكتبها اى اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر
كذلك اى كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فسأكتبها كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه
الخ اى سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي للذين يتقون اى الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستها
وفيه تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات اكتفاء منها
بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن آخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض
والذين هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالايات
العظام التي جاء بها موسى عليه السلام وبما سيجيء بعد ذلك من الايات البينات كتظليل الغمام وانزال المن و
السلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون باياتنا
عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اى هم بجميع اياتنا
يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به النبي اى صاحب
المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة نسبة
الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها من امه او الى امة العرب كما قال عليه السلام انا امة امية لا نحسب ولا نكتب
او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اى الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والاخرين
والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اى اعني الذين او هم الذين
واما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرهم او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته
بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا عندهم زيد هذا لزيادة
التقرير وان شأنه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا في التورية والانجيل اللذين تعبد بهما بنو
اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي
عليه السلام والقران الكريم قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستأنف لا محل له من الاعراب
قال الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه الامر بالمعروف و
النهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل
في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اى لما كتب
ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربوا والرشوة
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اى يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل
ما كتب عليهم ح من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد والخطاء من غير شرع الدية وقطع الاعضاء
الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل
اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة
واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه من الحراك
فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة
في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر و
احلال الطيبات وتحريم الخبائث اى فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه اى عظموه
ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه في الدين
واتبعوا النور الذي انزل معه اى مع نبوته وهو القران عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا

لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا لها لمناسبته الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اى واتبعوا القران المنزل
مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القران مصاحبين له في اتباعه اولئك اشارة
الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اى هم
الفائزون بالمطلوب الناجون عن المكروه لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلام دخولا
اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام
وبين الجواب لا بمجرد ما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازة
الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك في قوله تعالى
والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم لما حكي ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من
اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه
كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم وارسال
موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالايات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك
العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل
بأحكام التورية فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من الضمير في اليكم الذي له ملك السموات والارض
منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه
في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى
يحيي ويميت لزيادة تقرير الوهيته والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد و
تقرر من رسالته عليه السلام وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة
في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله تعالى النبي الامي لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير
امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته اى ما انزل اليه والى
سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بالله تعالى
للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القران
تنبيها على ان المأمور به هو الايمان به عليه السلام من حيث انزل عليه القران لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها
عيسى عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه واتبعوه اى في كل ما يأتي وما
يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اى رجاء لاهتدائكم الى المطلوب
او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر
على البغي والضلالة ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتبه الرحمة والتقوى
والايمان بالايات بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عليه السلام من كل
خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم امة يهدون اى الناس بالحق اى ملتبسين به او يهدونهم
بكلمة الحق وبه اى بالحق يعدلون اى في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية
الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل

كونه بينا لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في ساير افراد
الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحيه وان ما ذكر من الاتيان وعدمه
لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتاتيهم اي تاتيهم يوم تعظيمهم لامر
السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعباده وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم
باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرا يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا
دنى واشرف وهو حال من حيتانهم اي تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم
لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما
معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرى لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على
البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يومرون فيه بما امروا به يوم السبت
لا تاتيهم كما كانت تاتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تاتيهم يوم لا يسبتون
لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك
نبلوهم اي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونواخذهم به وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجيب منها بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر
المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل
بسبب فسقهم المستمر في كل ما ياتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل ما تاتيهم يوم سبتهم
فالجملة بعده استيناف مبني على السوال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ
قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات
امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين
لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتاثير مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم
اي مخترمهم بالكليه ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستيصال بالمرة وقيل مهلكهم
مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الاخره لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون
منع الجمع فانهم مهلكون في الدنيا ومعذبون في الاخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب
مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البته كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا
للقوم او سوالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم
وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشيه وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم
وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا اي الوعاظ معذرة الى ربكم اي نعظهم معذرة اليه تعالى
على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرى بالرفع
على انه خبر مبتدا محذوف اي موعظتنا معذرة اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي
اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة اي ورجاء لان
يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما
نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشي واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم
شي من تلك المواعظ اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران واخراجهما مخرج الجواب
الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لاهلاكهم لما ان ما في حيز الشرط شيان النسيان و

التذكير كانه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون انجينا الاولين واخذنا الاخرين واما تصدير الجواب بانجاء
فلما مر مرارا من المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في التاخير من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة الامر بعذاب بئيس اي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرى بئس على وزن
فعل بفتح العين وكسرها وبيس كحذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد وبيس على قلب
الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيس كريس على قلب همزته ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في
هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما
معنى اي اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان
ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعليه ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان
العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان
والا لما اخروا عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستيصال فلم
يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اي تمردوا
وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد
بالامر هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية
الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ
والجملة الثانية تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت
وهو المعني بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت
الحيتان تاتيهم يوم السبت كانها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تاتيهم في ساير الايام فكانوا على ذلك برهة
من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور
ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وياخذونها يوم الاحد واخذ رجل
منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فطلع في تنوره
فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم
استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا
على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال
المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح
الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة
ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسباءهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم
ثيابه ويبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد براسه بلى ثم ماتوا عن ثلث وقيل صار الشبان قردة و
الشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها
خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل
مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا والساعة ادهى وامر واذ تاذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر
معطوف على قوله تعالى واسالهم وتاذن بمعنى اذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر
يحدث به نفسه واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم
الى يوم القيمه اي واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البته من يسومهم سوء

العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عم
بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها
الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر
ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم اي فرقنا
بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من اقطارها بحيث لا تخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم
حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى امما اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما
او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف
اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون
عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به
ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في
عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اي التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها
يأخذون عرض هذا الادنى استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي يأخذون
حطام هذا الشيء الادنى اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الحكومات و
على تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه
والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه
حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم
يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق
او متعلق به اي بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها
افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه
تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا
ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ
والذين يمسكون بالكتاب اي يتمسكون في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين
آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه و
لم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا
واستمسكوا موافقا لقوله تعالى واقاموا الصلوة ولعل التغيير في المشهورة للدلالة على ان التمسك بالكتاب
امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين ساير
العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر
لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط اما الضمير المحذوف
كما هو رأي جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو رأي الكوفيين فانه
في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اي ابوابها واما
العموم في المصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين
يمسكون بالكتاب مأجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل
فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اي تيقنوا

الثلثون

انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع
متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها
والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة
على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبائح
الاعمال ورذايل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر
معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة
وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما
وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا
من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار
الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب
في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عم
للتشريف وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تعالى للذين استضعفوا
لمن آمن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل غب الاجمال وتنبيه
على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم
مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشائيته ولما مر
مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفا
وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم
على انفسهم اي اشهد كل واحد من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور ابائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا
لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست
بربكم على ارادة القول اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل
في شأن من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استيناف مبني على
سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب
لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال
بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد
على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها
بما ركز فيهم من العقول والبصاير ونصب لهم في الآفاق والانفس من الدلايل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا
كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك
من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ان تقولوا بالتاء على الوجه المشهور الخطاب صرف عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا بحسب انهم
مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايا ما كان فهو
مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا

هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه
عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيو التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين
عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او تقولوا انما
اشرك اباؤنا عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل من
قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا
بما فعل المبطلون من اباءنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي
او تواخذنا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد
عند قيام الدلايل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة
كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه لما خلق الله تعالى ادم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة
هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كاين الى يوم القيمة وقد
روى عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الاية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال
ان الله تعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم
مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره
عليه بالذات بل اخرج من ظهره عليه السلام ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى اخر
السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من
غير ان يتعلق بذكر الوسايط غرض علق نسبة اخراج الكل اليه واما الاية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على
الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى اباءهم
اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لادم عليه السلام من ظهره
قطعا وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضي الله عنه ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له واما ما قالوا من ان
اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه
غير دافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمردود لكن لا بما قيل من ان الله عز وجل
قد اوضح الدلايل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة وبنسيانهم
وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى
واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل
مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها
الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور
واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق الماخوذ منهم فيما مضى
لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الاباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية
هو الظاهر فاما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا
لئلا تقولوا يوم القيمة الخ لانا نردكم ونكذبكم وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة موكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على
الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة نفصل الايات
المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الاباء نفعل التفصيل

المذكور

المذكور قالوا او ان ابتداء شان ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الايات
ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمط
في الابناء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا اي خبره الذي له شأن
وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعور او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى
وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجاء ان يكون هو
الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهنات
فانسلخ منها اي من تلك الايات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر
بها ونبذها وراء ظهره واياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ للنبي عن اتصال المحيط بالمحاط خلقه وعن عدم الملاقاة
بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للايمان بعد ان كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اي تبعه حتى لحقه
وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته
فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين وروي ان قومه طلبوا
اليه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده
ان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام كما مر في
سورة المائدة ولو شئنا كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الايات ووقوعه في مهاوي
الغواية ومفعول المشيئة محذوف فلوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه
لرفعناه اي الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الايات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون
له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته
للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اي بسبب تلك الايات بان عمل
بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط
بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان اسند ما يؤدي الى نقيض النتيجة
اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى
كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الايات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأه
لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الاخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان
الرفع مراد له تعالى بالذات وفضل محض عليه لا دخل فيه لفعل حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعم تعالى
وفضلاته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما قيل في وجه ذكر
الارادة مع الخير والمس مع الضر في الاية المذكورة وهو السر في جريان السنة القرانية على اسناد الخير اليه تعالى واضافة
الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظايره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمينان به والمراد بالارض
الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه اثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع
هواه معرضا عن تلك الايات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله
كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها اي فمثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اي فحاله التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل احواله وهي حال دوام اللهث في حالتي التعب والراحة فكانه
قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ

للايذان بدوام اتصافهم بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقرارهم واستمرارهم عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن
له حظ من الخطاب فانه اذا دخل في اشلحة ظلعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب
دائم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المتسخن
وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف ساير الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد
ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل
فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن
فيكون اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم وقيل هي في محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما
من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية حسب تحول الاستفهامين المتناقضين اليه في مثل قوله تعالى ءانذرتهم
ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين واياما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من
سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة مما
ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى
ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب والى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وهم اليهود حيث اوتوا
في التورية ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القران المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب
مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التورية فاقصص القصص القصص
مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل
هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم
عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادون ايقانا بك والجملة في محل النصب على انها
حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم ساء مثلا
استيناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب والمنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر
فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا باياتنا وحيث وجب التصادق بينه
وبين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم الخ او الى
التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير
بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة وللربط قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون
به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب ايات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها
وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها واياما
كان ففي يظلمون لمح الى ان تكذيبهم بالايات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعو
من يهد الله فهو المهتدي لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين
مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية
والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسايط العادية في حصول الاهتداء من غير تاثير لها
فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى اياه كساير افعال العباد
فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة بل لانها
الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية اي ما من شانه الايصال اليها كما سبق تحقيقه

في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر
لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء ويحمل النظم الكريم على تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم
ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من
يهده الله اي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق
فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور
هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الخاسرين نظرا الى معناها
للايذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلالة ولقد ذرانا كلام مستانف مقرر لمضمون ما قبله بطريق
التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اي خلقا كثيرا مع
كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما وتاخيره عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله
تعالى من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرف من الانس
في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية
بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم
نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الايات والنذر فبهذا الاعتبار
جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل
خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب في محل
النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما
يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لساير افراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة
حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الاغراق في القساوة فانها حيث لم
يتات منها الفقه بحال فكانها خلقت غير قابلة له راسا وكذا الحال في اعينهم واذانهم وحذف المفعول للتعميم اي
لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلايله
دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما
عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما
يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج
فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم اذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيتناول
الايات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون
بها واذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها
عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا اذان يسمعون بها من الشهادة بكمال
رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام
اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل
هم اضل فانها تدرك ما من شانها ان تدرك من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها
بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون
النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون

ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن ادم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام
والشرية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا
وانهم لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو
السميع العليم اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته تعالى ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمومنين على كيفية ذكره
تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم
الطامة والحسنى تانيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها
فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال
لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه
تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نخي ونحو
ذلك فالمراد بالترك المامور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا
اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض
اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء
اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها
على غيره تعالى كما سموا اصنامهم الهة واما بان يشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه
تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم
في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا
الالحاد عن المومنين ليومروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب
كما هو المتبادر من قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون فانه استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الامر
بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته
وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه
سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان اجمالي لحال من عدا
المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا اما باعتبار
مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس الخ اي وبعض من خلقنا او وبعض
ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق
يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قراها هذه
لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الاية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل
عيسى وعنه لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم
من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار
على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا باياتنا
شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب
ومحل الموصول الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة
لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق
والعدل سنستدرجهم اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من

درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى
مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ
اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة
لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردٍّ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه
اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان
المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مراتب المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال
واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور
اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب
منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم واملي لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان الاملاء الذي
هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل
يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج اثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما
فيه من الافتنان المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار
بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسط المدبرات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة واني ذلك والا لاحترز عن
ايرادها في قوله تعالى لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم الاية بل انما ايرادها في امثال هذه الموارد بطريق الجريان على
سنن الكبرياء ان كيدي متين تقرير للوعيد وتاكيد له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج
والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك
الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف
ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتما اولم يتفكروا
ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدا مسوق لانكار عدم تفكرهم في شانه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة
للايمان به وبما انزل عليه من الايات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر
يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم
واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها
للتقليل والتحقير والجملة معلقة بفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي
كذبوا بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الامة الهادية بالحق وعليه انزلت تلك
الايات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يودي بهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيومنوا
به وبما انزل عليه من الايات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى اولم يتفكروا اي كذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدي
فقيل اي شيء بصاحبهم من جنة على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت او قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير
عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام
عن شائبة ما ذكر ففيه تاكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته
له عليه السلام لما ان الكلم بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من
غير ان يكون له اصل ومعنى او عمن له تاييد الهي يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس به عليه السلام شائبة الاول
تعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا
يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون

ح للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكوره
وقوله تعالى ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج
قوله ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار
ابرازا لكمال الرافة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض استيناف
اخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتامل في الايات التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون
الايات المنزلة اثر ما نعى عليهم اخلالهم بالتفكر في شانه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجيب والتوبيخ
والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي اكذبوا بها او لم يتفكروا فيما ذكر
ولم ينظروا نظر تامل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله اي وفيما
خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او وفي ملكوت ما خلق على انه
عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى من شيء بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات
دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما يطلق عليه اسم
الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وبسائر شئونه التي ينطق بها تلك الايات فيؤمنوا بها لاتحادهم
في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله
تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان وخبرها عسى
مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان عسى
ان يكون الشان قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون
اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل وهو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمناط الانكار والتو
تاخيرهم للنظر والتامل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في الايات التكوينية الشاهدة بما
كذبوه من الايات القرانية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم
لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فباي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم راسا ونفي له بالكلية مترتب على
ما ذكر من تكذيبهم بالايات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للايات على حذف
المضاف المفهوم من كذبوا او التذكير باعتبار كونها قرانا او بتاويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة و
المعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فباي حديث يؤمنون
بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقران والمعنى فباي حديث بعد القران يؤمنون
اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما ذكر
كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق
وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فباي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون
وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اي فباي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله
تعالى من يضلل الله فلا هادي له استيناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ويذرهم في
طغيانهم بالياء والرفع على الاستيناف اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن
نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد روي
الجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم

وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات
للكل يسالونك عن الساعة استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء
الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في
نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم
مع علمهم انه تعالى قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح الهمزة وقد قرئ
بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتداء او الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى
حيث يليهما كلاهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اويت الى الشيء لان البعض
اوى الى الكل متساند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدا موخر اي متى ارساؤها اي اثباتها و
تقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى
والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع
الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل يسالونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي
تعليق السوال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السوال نفسها باعتبار
حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن ايضا حيث
اضيف العلم المطلوب بالسوال الى ضميرها فاخبر اختصاصه به عز وجل حيث قيل قل انما علمها اي علمها
بالاعتبار المذكور عند ربي ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم
على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام
للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استاثر به
بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار
تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة
التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى
لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسالونني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احدا من المخلوقين
فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها كما هو المسؤول بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا
كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية
بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كانه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من
اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي تسالون عنه وقوله تعالى ثقلت
في السموات والارض استيناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلهما من الملائكة والثقلين
كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها
واهوالها وقيل ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من
قوله تعالى لا تاتيكم الا بغتة فانه ايضا استيناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء
اي لا تاتيكم الا فجاءة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي
ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسالونك كانك حفي عنها استيناف
مسوق لبيان خطائهم في توجيه السوال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه السلام عالم
بالمسؤول عنه او ان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطائهم في اصل السوال باعلام شان المسؤول عنه

والجملة التشبيهة في محل النصب على انها حال من الكاف جي بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعار الخطائهم
في ذلك اي يسئلونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقة كانك
مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشي والبحث عنه استحكم علمه
به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل اي استيصاله والاحفاء
في المسئلة اي الالحاف فيها وقيل عن متعلق بيسالونك وقوله تعالى كانك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي
حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا و
بينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك كانك حفي يتحفي بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي
امرها عن غيرهم ففيه تخطية لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشي بمعنى فرح به والمعنى كانك فرح بالسؤال
عنها تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استاثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله
امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تاكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم
الذات المنبئ عن استتباعها صفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى ولكن
اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها راسا فلا يعلمون شيئا مما
ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسالونك عنه
جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك
والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المومنين واما السايلون عنها من اليهود بطريق الامتحان
فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع
في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه
عليه السلام ممن يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشان الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته
للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلق
باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله
ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع
وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات
المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة لاستكثرت من
الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه
لا سوء ما فان منه ما لا مدفع له ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شاني حيازة
ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع
وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه
الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير
لما ان المقام مقام الانذار وقوله تعالى لقوم يومنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالبشارة
واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يومنون
اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذي
خلقكم استيناف سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراتهم على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية
له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شان المبتدا اي هو ذلك العظيم الشان الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون

لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع
السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته وجعل عطف
على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود منها
اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى انه تعالى خلق حوا من ضلع من اضلاع
آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المودية الى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير
فقوله تعالى زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول
هو الاولى وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستانس بها ويطمئن
اليها اطمينانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى فلما تغشاها اي جامعها
حملت حملا خفيفا في مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد
ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار
الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت و
قعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفمارت من المور
وهو المجي والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خف
عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما تستثقله فمرت به اي
فمضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت اذ معناه فلما صارت
ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما مقابلها الكرب
الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى اخره دون بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها
دعوا الله اي آدم وحوا عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله فاهتما به وتضرعا اليه
عز وجل وقوله تعالى ربهما اي مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعا اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما
كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق الدعا محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه
ان يوتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين لئن آتيتنا صالحا
اي ولدا من جنسنا سويا لنكونن نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين الراسخين في الشكر على نعمائك
التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما انموذج
لساير افراد الجنس ومعيار لها ذاتا وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعا
في حقه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا
ايضا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء اصالة يأباه مقام المبالغة في
الاعتناء بشان ما هما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دايرة الشكر غير مخل بالاعتناء
المذكور بل موكد له وايا ما كان فمعنى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من
الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى
فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص
اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق

النظم الكريم ببيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ
شركا اي شركة او ذوي شرك اي شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار
اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا باسناده اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها
المقام كما في مثل قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود
قد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله الآية
فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا
ريب في انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا
وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على
ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب
الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جناياتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث و
الخلف وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى
الله عما يشركون تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة
عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عليهما السلام عن
ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عما يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم
اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات
وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه
عربية قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد
قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها ابليس
في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من
ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوت ان يجعله خلقا
مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته
عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس
واسمه واتباعه اياه في مثل هذا الشان الخطير امر قريب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استيناف
مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه
وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا اي لا يقدر على
ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون عطف
على لا يخلق وايراد الضمير بجمع العقلاء مع رجوعهما الى المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها
واجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال ساير الضماير الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها
بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على
خلق شيء ما بخالقه وخالق جميع الاشياء مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان
بتعينه والاستغناء عن ذكره ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم نصرا اي
نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون اذا اعتراهم حادثة من الحوادث لا يدفعونها عن
انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى

عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هنالك بالمخلوقية لكونهم
اهلا لها وهاهنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى بيان لعجزهم عما
هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله
للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها المشركون
الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف
وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون استيناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع
اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجماد
وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية لانها في قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء
ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي
الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم
كما في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا
بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم
لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة عباد امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل
وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون
عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم
الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم
اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم صادقين في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله
تعالى الهم ارجل يمشون بها الخ تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان
آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حيوة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من
ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه
الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة
منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف
وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من ساير الارجل
فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلث الباقية وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم
ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن
من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه
والمعنى بل الهم ايد ياخذون بها ما يريدون اخذه وتاخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم
بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها مع ان الكل سواء
في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء المشي والبطش اظهر وفي
التبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا امثالكم بل
ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الخ تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعدما
بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم

النكبت والنام المجازي اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم على ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب
ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم
اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المفهوم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل
الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله الذي
نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى
وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم
والذين تدعون اي تعبدونهم من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به لا يستطيعون
نصركم اي في امر من الامور او في خصوص الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم
الى الهدى الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا اي
دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون
اليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام راي العين يشبهون الناظرين اليك
ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلالية وصوروها بصورة من قلب
حدقته الى الشي ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين لتوجيه
الخطاب الى كل واحد واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة
المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول
على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم
لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب في قوله تعالى وان تدعوا للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله
تعالى ينصرون اي وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد
بانك تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام من شواهد
النبوة ودلايل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعدما عد من اباطيل المشركين وقبائحهم
ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفا لك من
افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل من
صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول
الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سال رسول الله جبريل عم
فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وعن جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت الاية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم
كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت
وسوسته الناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده اي واما يحملنك من جهته
وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب او نحوه فاستعذ بالله فالتجي اليه تعالى من شره انه سميع
يسمع استعاذتك به قولا عليم يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان
يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه
زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل للامر وتنبيه على انه من الغوايل

الامر

الصعبة التي لا تخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه
او يسمع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استيناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به
عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اي ان الذين اتصفوا
بوقاية انفسهم عما يضرها اذا مسهم طائف من الشيطان ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل
من طاف يطوف كانها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم وقرئ
طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الواوي واليائي كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك
جمع ضميره فيما سياتي تذكروا اي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فاذا هم بسبب ذلك التذكر
مبصرون مواقع الخطا ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه واخوانهم اي اخوان الشياطين
وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار يمدونهم في الغي اي يكون الشياطين
مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم يعينونهم
بالتسهيل والاغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم
بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية من القران عند تراخي
الوحي او باية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشي بمعنى جباه لنفسه اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك
تقولا يريدون بذلك ان ساير الايات ايضا كذلك او هلا تلقيتها من ربك استدعاء قل ردا عليهم
انما اتبع ما يوحى الي من ربي من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلاة
والسلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذي
كلفوه اياه عليه السلام لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس
الى مفعول آخر كما هو الشايع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي كانه قيل
ما افعل الا اتباع ما يوحى الي منه تعالى وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال
اللايق مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه عليه السلام والتنبيه على تاييده ما لا يخفى هذا
اشارة الى القران الكريم المدلول عليه بما يوحى الي بصاير من ربكم بمنزلة البصاير للقلوب بها تبصر الحق
وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصاير مفيدة لفخامتها
اي بصاير كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى
وهدى ورحمة عطف على بصاير وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى لقوم يؤمنون للايذان
بان كون القران بمنزلة البصاير للقلوب متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة
فمختص بالمؤمنين به اذ هم المقتبسون من انواره والمغتنمون باثاره والجملة من تمام القول المامور به واذا
قرئ القران فاستمعوا له ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القران
اي واذا قرئ القران الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا استماع تحقيق وقبول وانصتوا اي اسكتوا
في خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون اي تفوزون بالرحمة التي
هي اقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القران في الصلوة وغيرها
وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله تعالى عنهم على انه
في استماع المؤتم وقد روي انهم كانوا يتكلمون في الصلوة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وعن

ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قراه في المكتوبة وقرا اصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت
واما خارج الصلوة فعامة العلماء على استحبابهما والاية اما من تمام القول المامور به او استيناف من جهته تعالى
فقوله تعالى واذكر ربك في نفسك على الاول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد الخطاب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة تضرعا و
خيفة اي متضرعا وخايفا ودون الجهر من القول اي ومتكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر
بالغدو والاصال متعلق باذكر اي اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر
اصل اي ادخل في الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى ان الذين عند ربك
وهم الملئكة عليهم الصلوة والسلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم
على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما امروا به ويسبحونه اي ينزهونه عن كل
ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون اي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض
بساير المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم اية السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار
وعنه عليه السلام من قرا سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له

سورة الانفال مدنية وهي خمس وسبعون اية

يسألونك عن الانفال النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زايدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد
من الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام روي ان المسلمين اختلفوا في غنايم بدر وفي قسمتها
فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان
الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنايم
وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها حتى قال سعد بن معاذ
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاجر ولا جبن من العدو
ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسألوه عليه السلام ما شرط لهم فقال
الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال
استعلام لحكم الانفال تقتضيه كلمة عن لا استعطاء لنفسها كما نطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر
والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق و
عكرمة وعطاء يسألونك الانفال غير منتهض فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب
بقوله عز وجل قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير
ان يدخل فيه راي احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال
بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر
عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم اليها او نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى

ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه
قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متاخر التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ
الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء بهذه الاية فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا
هو المعنى الاول حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الاية على ان الحق انه لا نسخ ايضا حسبما قاله
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله
ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى
الله عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في ساير الانفال المشروطة
يأباه مقام بيان الاحكام كما ينبي عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه
له عليه السلام خاصة مما لا يليق بشانه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم
بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان
الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عليه السلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه
في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه
وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام
ووعده لا بطريق الهبة المبتداة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده
رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة ان يعد عليه السلام بما لا يقدر على
انجازه واعطاؤه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة ان مناط صيرورته له عليه
السلام قوله تعالى الانفال لله والرسول والغرض ان المانع من اعطاء المسؤول وما هو نص في الباب قوله عز
وجل فاتقوا الله اي اذا كان امر الغنايم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة
فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا
اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة و
تعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم جعل ما بينهم من الحال ملابسة التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة
في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم
وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله
تعالى من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله و
طاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنايمكم بالعدل
فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر
باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه
في الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين متعلق بالاوامر الثلثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب
على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم
على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اي ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال
الثلث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون جملة مستانفة

سوق لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلث وفيه مزيد ترغيب لهم
في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت
لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل
هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ
فرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته اي اية كانت زادتهم ايمانا اي يقينا وطمانينة نفس فان تظاهر
الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمينان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة
والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت اية صدق المؤمن بها فزاد ايمانه عددا واما
نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل
القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات ويقين احاد الامة وعليه
مبني ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة
كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة
معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت للموصول الاول
او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبئ عن المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل ثم عقبت باعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة
من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك
الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا
لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف
اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات
من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتداة مبنية على سؤال نشا من تعداد مناقبهم
كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى عند ربهم اما متعلق
بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى او
بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف
لهم وايذان بان ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مامون الفوات ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم
لا ينقطع امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف في
محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رايت
مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى
الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة
او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج
اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها
اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد
رات اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رايت عجبا كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة

من

من الجبل ثم حلق فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم
ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت
فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر
فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب
تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا
فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول
فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك
بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو
اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكم مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس
وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت
الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون
الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال
اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع و
الطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك
ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما
تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله و
ابشروا فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك يجادلونك في الحق
الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استيناف او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك
ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية
اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا
لنستعد ونتاهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت الكاف في محل النصب على الحالية
من الضمير في لكارهون اي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير
يساقون اي والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف و
الجزع الا لقلة عددهم وعدم تاهبهم وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين كلام مستانف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة
وقصور الراي والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات
واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان

المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكر الوقت لايجاب ذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني
ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد
عيانا وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى
انها لكم بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة
بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف [illegible]
الامر بالذكر اي تحبون ان غير ذات الشوكة تكون لكم من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي [illegible]
وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورأسهم ابو سفيان و[illegible] بهذا
العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة
مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا شباها ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك
التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة همهم وقصور آرائهم اي اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى
الطائفتين وودادتكم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله تعالى ان يحق الحق اي يثبته ويعليه
بكلماته اي بآياته المنزلة في هذا الشان او باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب
بدر وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين اي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف الامور
والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى ليحق
الحق ويبطل الباطل جملة مستانفة سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم
لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار اذ الاول
لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا
بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اي المشركون ذلك اي احقاق الحق وابطال
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه تعالى
حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى ح وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل
من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف للماضي ليس بشيء لان كونه مستقبلا
انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت
واحد وانما عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستانف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد
من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى
سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه
سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة اني ممدكم اي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ
بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول بالف من الملائكة
مردفين اي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى
ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين

او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين
من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اي متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ
مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلهما مرتدفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور
ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم
وقد روي اخبار تدل على وقوعها وما جعله الله كلام مستانف سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل
من التاثير وانما التاثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى
مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا اغناء عن التصريح به كانه قيل فامدكم
بهم وما جعل امدادكم بهم الا بشرى لكم وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة
عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به اي بالامداد قلوبكم وتسكن اليه نفوسكم
كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني
على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية
قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى
على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة
بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق
الا من عند الله اي الا كائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي
مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في اقضيته حكيم يفعل كل
ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من
مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشيكم النعاس اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار
نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار
اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقيل يغشيكم من الاغشاء بمعنى
التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى امنة منه
على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من
الله تعالى لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك اي فتأمنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على
احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الامن وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية
بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة وينزل
عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان
ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل
عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال ليطهركم به اي من الحدث الاصغر والاكبر
ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته و
تخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد
غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون

على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش
فإذا قطع أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله عز وجل المطر
فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت
عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى وليربط على
قلوبكم أي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه ويثبت به الأقدام ولا تسوخ في الرمل
فالضمير للماء كالأول ويجوز أن يكون للربط فإن القلب إذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك
الحروب وقوله تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما أن المأمور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فإن الوحي المذكور قبل ظهوره
بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الأمة كسائر النعم السابقة التي أمروا بذكرها
وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الأقدام فلا بد من عود الضمير المجرور في به إلى الربط
على القلوب ليكون المعنى ويثبت أقدامكم بتقوية قلوبكم وقت إيحائه إلى الملائكة وأمره بتثبيتهم إياكم وهو وقت
القتال ولا يخفى أن تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة وأما انتصابه على أنه بدل ثالث
من إذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من أن المأمور به ليس من الوظائف
العامة للكل كسائر أخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف
ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت إيحائه تعالى إلى الملائكة أني معكم أي بالإمداد والتوفيق في أمر التثبيت فهو مفعول يوحي
وقرئ بالكسر على إرادة القول وإجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة عليهم السلام إنما هي من
حيث إنهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الأصالة من تلك الحيثية كما في أمثال قوله تعالى إن الله مع الصابرين والفاء في
قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إمداده تعالى إياهم من أقوى موجبات التثبيت واختلفوا
في كيفية التثبيت فقالت جماعة إنما أمروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم
ونياتهم ويتأكد جدهم في القتال وهو الأنسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن
الحراب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي ويقول إني
سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله ناصركم وقال آخرون
أمروا بمحاربة أعدائهم وجعلوا قوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تعالى أني معكم
وقوله تعالى فاضربوا الخ تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن أبي داود المازني
رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا أنه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه فوقعت رأسه بين يدي قبل
أن يصل إليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك
فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وأنت خبير بأن قتلهم للكفرة مع عدم ملاءمته لمعنى تثبيت المؤمنين
مما لا يتوقف على الإمداد بإلقاء الرعب فلا يتجه ترتيب الأمر به عليه بالفاء وقد اعتذر الأولون بأن قوله تعالى سألقي
الخ ليس نصا فيما ذكر بل يجوز أن يكون ذلك إثر قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا ملقنا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قيل قولوا
لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الخ فالضاربون هم المؤمنون وأما ما قيل من أن ذلك خطاب
منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فمبناه توهم وروده قبل القتال وأنى ذلك والسورة الكريمة إنما نزلت
بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الأعناق أي أعاليها التي هي المذابح أو الهامات واضربوا منهم كل بنان
قيل البنان أطراف الأصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الأصابع من اليدين والرجلين وقال أبو الهيثم البنان المفاصل

وكل مفصل بنانة قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج والضحاك يعني الأطراف أي اضربوهم في جميع الأعضاء من أعاليها
إلى أسافلها وقيل المراد بالبنان الأداني وبفوق الأعناق الأعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الأمر بالضرب
لمزيد التشديد والاعتناء بأمره ومنهم متعلق به أو بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك إشارة إلى ما أصابهم من العقاب
وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد
ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بأنهم شاقوا الله ورسوله أي ذلك العقاب الفظيع واقع
عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل إلى مغالبته أصلا واشتقاق المشاقة من الشق لما أن كلا من المشاقين في
شق خلاف شق الآخر كما أن اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم أي الجانب لأن كلا من المتعادين والمتخاصمين
في عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الإظهار في موضع الإضمار لتربية المهابة و
إظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه والإشعار بعلة الحكم وقوله تعالى فإن الله شديد العقاب إما نفس الجزاء وقد
حذف منه العائد إلى من عند من يلزمه أي شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب
وأياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد
بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسببه عقاب شديد فإذن
لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد وأما أنه وعيد لهم بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما بعده
من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار فإنه مع كونه هو المسوق للوعيد كما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب
المذكور ما أصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم إشارة إلى نفس العقاب أو إلى ما تفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم أما على
الأول فلأن الأظهر أن محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله تعالى وأن للكافرين الخ بمعنى مع
فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي أصابكم فذوقوه عاجلا مع أن لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم
بالكفر وتعليل الحكم به وأما على الثاني فلأن الأقرب أن محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن للكافرين الخ
معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم أي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه
اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الأول لنفس المشار إليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في إعراب الآية
الكريمة وجوه أخر مدار الكل على أن المراد بالعقاب ما أصابهم عاجلا والله تعالى أعلم وقرئ بكسر إن على الاستئناف
يا أيها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهارا
للاعتناء بشأنه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه إذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي
زحفا إذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه إلى العدو لأنه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف و
ذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل فتحس حركته بالقياس إليه في غاية البطء وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال
قائلهم وأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج ونصبه إما على أنه حال من مفعول لقيتم أي زاحفين
نحوكم وإما على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه أي يزحفون زحفا وأما كونه حالا من فاعله أو منه ومن مفعوله
معا كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم الأدبار إذ لا معنى لتقييد النهي عن الإدبار بتوجههم السابق إلى العدو
أو بكثرتهم بل توجه العدو إليهم وكثرتهم هو الداعي إلى الإدبار عادة والمحوج إلى النهي عنه وحمله على الإشعار بما سيكون
منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا بعيد والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير
جم وأنتم قليل فلا تولوهم أدباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن أن تدانوهم في العدد أو
تساووهم ومن يولهم يومئذ أي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء إلا متحرفا لقتال
إما بالتوجه إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء وإما بالفر للكر بأن يخيل عدوه أنه منهزم ليغره ويخرجه من بين أعوانه

على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى وليربط على قلوبكم اي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه ويثبت به الاقدام ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة منصوب بمضمر مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المامور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كساير النعم السابقة التي امروا بذكرها وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملائكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من ان المامور به ليس من الوظائف العامة للكل كساير اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة اني معكم اي بالامداد والتوفيق في امر التثبيت فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول واجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة عليهم السلام انما هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فهم الاصالة من تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى فثبتوا الذين امنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت جماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم وتتاكد جدهم في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحراب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فياتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم وقال اخرون امروا بمحاربة اعدائهم وجعلوا قوله تعالى سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تعالى اني معكم وقوله تعالى فاضربوا الخ تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن ابي داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقعت راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه انه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بان قتلهم للكفرة مع عدم ملاءمته لمعنى تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الامداد بالقاء الرعب فلا يتجه ترتيب الامر به عليه بالفاء وقد اعتذر الاولون بان قوله تعالى سالقي الخ ليس نصا فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك اثر قوله تعالى فثبتوا الذين امنوا ملقنا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الخ فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فيتناه توهم وروده قبل القتال وانى ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الاعناق اي اعاليها التي هي المذابح او الهامات واضربوا منهم كل بنان قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الاصابع من اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل

وكل مفصل بنانة قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج والضحاك يعني الاطراف اي اضربوهم في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الاداني وبفوق الاعناق الاعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بانهم شاقوا الله ورسوله اي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل الى مغالبته اصلا واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المتشاقين في شق خلاف شق الاخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم اي الجانب لان كلا من المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الاخر وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الاظهار في موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه والاشعار بعلة الحكم وقوله تعالى فان الله شديد العقاب اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلزمه اي شديد العقاب له او تعليل الجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد واما انه وعيد لهم بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار فانه مع كونه هو المسوق للوعيد كما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم اشارة الى نفس العقاب او الى ما يفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله تعالى وان للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار اجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثاني فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى وان للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار اجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الاول لنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الاية الكريمة وجوه اخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم وقرئ بكسر ان على الاستيناف يا ايها الذين امنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشانه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس اليه في غاية البطء وان كانت في نفس الامر على غاية السرعة قال قائلهم وارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج ونصبه اما على انه حال من مفعول لقيتم اي زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه اي يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم الادبار اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو او بكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم ومن يولهم يومئذ اي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء الا متحرفا لقتال اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من هؤلاء واما بالفر للكر بان يخيل عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه

ثم يعطف عليه وحده او مع من في الكمين من اصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا الى فئة اى منحازا الى
جماعة اخرى من المومنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو عن ابن عمر رضي الله عنهما ان سرية وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة
استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم
رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المومنين هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله
عنه انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية والا لغو لا
عمل لها واما على الاستثناء من المولين اى ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا فقد باء اى رجع بغضب
عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله تعالى من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب موكدة لما افاده التنوين من الفخامة
والهول بالفخامة الاضافية اى بغضب كائن منه تعالى ومأواه جهنم اى بدل ما اراد بفراره ان ياوي اليه مأوى
ينجيه من القتل وبئس المصير في ايقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير
من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر
من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم
تقتلوهم رجوع الى بيان بقية احكام الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه
ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم
ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير اذا علمتم ذلك فلم
تقتلوهم اى فاعلموا او فاخبركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد التاويلين لما روي
انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم اني اسئلك ما وعدتني فاتاه جبريل عليهما السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال
لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا اشتغل بعينه
فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر
على يده عليه السلام من افعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا
اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشا لتغير المرمي به في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل واحد من اولئك
الامة الجمة شيء من ذلك اى وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها
صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اى خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى
في خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التاثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر
فمدار اثباتها لله تعالى ونفيها عنه عليه السلام كون اثرها من افعاله سبحانه لا من افعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف
والرفع في المحلين واللام في قوله تعالى وليبلي المومنين منه اى ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا اى عطاء
جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقه بمحذوف متاخر فالواو اعتراضية اى وللاحسان اليهم
بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اى ولكن الله رمى ليمحق الكافرين
وليبلي الخ وقوله تعالى ان الله سميع اى لدعائهم واستغاثتهم عليم اى بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة
تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى وان الله موهن كيد
الكافرين بالاضافة معطوف عليه اى المقصد ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه
القتل والرمي والمبتدا الامر اى الامر ذلكم اى القتل فيكون قوله تعالى وان الله الخ من قبيل عطف البيان وقرئ

موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد
جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس
الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلى الله عليه
وسلم فهو اى الانتهاء خير لكم اى من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل
الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا اى الى احرابه عليه السلم نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن
تغني بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تانيث الفئة غير حقيقي وللفصل اى لن تدفع ابدا عنكم
فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستغيثون بهم شيئا اى من الاغناء او من المضار وقوله تعالى ولو كثرت
جملة حالية وقد مر تحقيق وان الله مع المومنين اى ولان الله معين المومنين كان ذلك او والامر ان الله
مع المومنين ويقرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستيناف وقيل الخطاب للمومنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء
لما انه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو وان تغني حين كثرتكم اذا
لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا
بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها عنه اى لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والنهي عن الاعراض
عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته تعالى في طاعة رسوله عليه السلام من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية
واردة لتاكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد
النهي عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اى لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون
القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا تقرير للنهي
السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها موديه الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اى
لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين
يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون
ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه راسا ان شر الدواب استيناف مسوق لبيان كمال سوء
حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقرير للنهي اثر تقرير اى ان شر من يدب على الارض او شر البهائم عند
الله اى في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم
لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كانهم فاقدون
للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم
سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم العقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم
فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه
واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا
ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم
خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم
وتدبر ولو قفوا على حقية الرسول عليه السلام واطاعوه وامنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة

فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اى لو اسمعهم
سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط وارتدوا بعد
ما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اى لتولوا على ادبارهم
والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلى اى وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم احى قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونومن بك فالمعنى ولو اسمعهم
كلام قصى الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون
نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه قاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء
وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن رضى الله عنه انهم اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا تكرير للنداء
مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم
ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اى الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله
تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التى هى مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقى او هى ماء
حيوة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما فى قوله تعالى
ولكم فى القصاص حيوة روى انه عليه السلام مر على ابى بن كعب وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال
عليه السلام ما منعك من اجابتى قال كنت فى الصلوة قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
الخ واختلف فيه فقيل هذا من خصايص دعاء عليه السلام وقيل لان اجابته عليه السلم لا تقطع الصلوة وقيل كان
ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التاخير وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل
لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع من مكنونات
القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية
فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول
بينه وبين الكفر ان ارادت سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة
المفوتة للفرصة وقرى بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف
وانه اى الله عز وجل او الشان اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعته
تعالى وطاعة رسوله وبالغوا فى الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى لا يختص
اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة فى الامر بالمعروف والنهى عن
المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لا تصيبن الخ اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم
لا تصيبن الخ وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفى فى غير القسم او للنهى
على ارادة القول كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط جاوا بمذق هل رايت الذيب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة
من قرأ لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب
الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم
منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه و
اذكروا اذ انتم قليل اى وقت كونكم قليلا فى العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة
وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى فى الارض

اى فى ارض مكة تحت ايدى قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدى فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم
كانوا اذلاء تحت ايدى الطائفتين وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف
بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من المستكن فى مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش
او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثانى فارس والروم اى واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم
على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعدائكم وايدكم بنصره
على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم
الجليلة يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد
الامانة لتضمنه اياه اى لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او فى الغلول
فى الغنائم روى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح بنى النضير على ان
يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فابوا
وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لما ان ماله وعياله كان فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى خنت الله
ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد فقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت
او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك
قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه عليه السلام فحله فقال
ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث
ان تصدق به وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو
وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها
سبب الوقوع فى الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فى ذلك فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابى لبابة
وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها
الذين امنوا تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضى الايمان
مراعاته والمحافظة عليه كما فى الخطابين السابقين ان تتقوا الله اى فى كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم
بسبب ذلك فرقانا هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز
المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم
وينشر صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم اى يسترها ويغفر
لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها
فى اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما
وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على
عمل واذ يمكر بك الذين كفروا منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم معطوف على
قوله تعالى واذكروا اذ انتم الخ مسوق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اى
واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او ليثخنوك بالجرح من قولهم
ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرى ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك
اى بسيوفهم او يخرجوك اى من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عليه السلام

فرقوا واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من
نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت و
تسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه
ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال
وبئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان ناخذ من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا
فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل عليه السلام النبي عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت
عليا رضي الله عنه على مضجعه وخرج هو مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او
يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم
فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة
ولا مساغ له ابتداء لما فيه من ابهام ما لا يليق به سبحانه واذا تتلى عليهم اياتنا التي تخر لها صم الجبال قالوا
قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله اللعين النضر بن الحارث واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاضيهم
الذي يقولون بقوله وياخذون برايه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى
غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشية وقد تحدوا عشر
سنين وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الامرين ثم قودعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع انفتهم وفرط
استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما يسطرونه من القصص واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل ذلك
اللعين روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك
والمعنى ان القران ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه
والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على انه مبتدأ لا فصل
وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق
مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب
لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان
تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه
وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقي
منهم من المومنين او قولهم اللهم اغفر او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك
ليهلك القرى واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع
ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام
اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية
وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم
استحقاقهم لولاية امره في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل
من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذي لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة

العدم

العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء اي
صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على
ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم
العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء
مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب
الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش
يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق
فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد
لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول
اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد
ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه
لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها
مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر
واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر
من المومن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوته
عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد
للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم
فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة
الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث
هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفين
واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر
لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ نغفر لكم ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر
فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وفيه تعميم الخطاب لزيادة ترغيب المومنين في القتال
لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم
شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية
القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم
وقرئ بتاء الخطاب اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم
يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله
مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا
يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع

بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعايدها محذوف
اى الذى اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا
ما كان وقوله تعالى من شئ بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول قصد به الاعتناء بشان
الغنيمة وان لا يشذ عنها شئ اى ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول
للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضى المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه
مبتدا خبره محذوف اى فحق او واجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان ما الخ وقرى بالكسر والاولى
اكد واقوى فى الايجاب لما فيه من تكرر الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرى
فلله خمسه وقرى خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما فى قوله تعالى والله ورسوله
احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل واعادة اللام فى ذى القربى دون غيرهم من الاصناف الثلثة لدفع توهم اشتراكهم فى سهم
النبى صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنوا هاشم وبنوا المطلب دون بنى عبد شمس وبنى
نوفل لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضى الله عنهم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هولاء اخوتك
بنوا هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارايت اخواننا بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما
نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام انما بنوا هاشم وبنوا المطلب
شئ واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة
اسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوى قرباه وثلثة اسهم للاصناف الثلثة الباقية واما بعده
عليه السلام فسهمه ساقط وكذا سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لساير الفقرا ولا يعطى
اغنياوهم فيقسم على الاصناف الثلثة ويؤيده ما روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه منع بنى هاشم الخمس وقال
انما لكم ان يعطى فقيركم وتزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغنى لا يعطى من الصدقة
شيا وعن زيد بن على مثله قال ليس لنا ان نبنى منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول صلى
الله عليه وسلم لولى الامر بعده واما عند الشافعى رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك
وسهم لذوى القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقى للفرق الثلث وعند
مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هولاء وان راه اعطاه بعضا منهم دون
بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العاليه بظاهر الاية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف
سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روى انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما
بقى على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شان
الخمس واما الاخماس الاربعة فيقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابى حنيفة رحمه الله وثلثة
اسهم عندهما قال القرطبى لما بين الله حكم الخمس وسكت عن الباقى دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان
كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اى ان كنتم امنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب
به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع
بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اى ان كنتم امنتم بالله وبما انزلناه على عبدنا
وقرى عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما

ستعرفه

٢٠٦

ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر سمى به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بامنتم يوم التقى الجمعان
اى الفريقان من المومنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان والمراد بما انزل عليه عليه السلم
يومئذ من الوحى والملئكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل
الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحى ناطق
بذلك وان الملائكة والفتح لما كانا من جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفا الى الجهات
التى عينها الله تعالى والله على كل شئ قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم
اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادى وكذا بالفتح والكسر وقد قرى
بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اى البعدى من المدينه وهى تانيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء
كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو لكنها جاءت على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من
القصيا والركب اى العير او قوادها اسفل منكم اى فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو نصب على
الظرفيه واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب
وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين
والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها
الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيهما ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم
فى الميعاد اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر
عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وعلا خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن
نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضى الله امرا كان مفعولا حقيقا بان
يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا فى الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى
عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن والمراد بمن هلك
ومن حى المشارف للهلاك والحيوة او من حاله فى علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرى ليهلك بالفتح وحيى بفك
الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اى بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه ولعل الجمع بين
الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا منصوب باذكر او بدل
اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون
تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اى لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم فى الامر اى
امر القتال وتفرقت اراؤكم فى الثبات والفرار ولكن الله سلم اى انعم بالسلامة من الفشل والتنازع
انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ
يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على
المضمر السابق والضمير ان مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود
رضى الله عنهما لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه
وسلم ويقللكم فى اعينهم حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور قللهم فى اعينهم قبل التحام القتال
ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى راوهم مثليهم ليفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظايم
ايات تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما

عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام

ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشرايط ليقضى الله امرا كان مفعولا كرر
لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد بالامر ثمه الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر
وحزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيفما يريد لاراد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم الحميد يا ايها
الذين امنوا صدر الخطاب بحرفى النداء والتنبيه لاظهار الكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اى
حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المومنين لايحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب فى
القتال فاثبتوا اى للقائهم فى مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اى فى تضاعيف القتال مستمدين منه
مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اى تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم
من النصر والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لايشغله شئ عن ذكر الله تعالى وان يلتجى اليه عند الشدايد و
يقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لاينفك عنه فى حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله فى كل ما تأتون
وماتذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد
فتفشلوا جواب للنهى وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهى وقرئ بالجزم
على تقدير عطف فتفشلوا على النهى اى تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها فى تمشى
امرها ونفاذه مشبهة بها فى هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لاتكون الا بريح يبعثها الله
تعالى وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدايد الحرب ان الله مع الصابرين
بالنصرة والكلاءة وما فيهم من كلمة مع من اصالتهم انما هى من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون
من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هى من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بعد ما امروا بما امروا به من احاسن الاعمال اهواء عماقا بلها من قبايحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير
بطرا اى فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة اتاهم
رسول ابى سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر فى
اوايل السورة الكريمة فنهى المومنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث
ان النهى عن الشئ مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا فى موضع
الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اى واذكر وقت تزيين
الشيطان فى معاداة المومنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم
اى القى فى روعهم وخيل اليهم انهم لايغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم
اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لاغالب
او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لاضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اى تلاقى الفريقان
نكص على عقبيه رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال انى
برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله اى تبرأ منهم وخاف عليهم ويئس من حالهم لما راى امداد الله
تعالى المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك
يثنيهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى مجيركم من كنانة
فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى ما لا
ترون ودفع فى صدر الحارث فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله



ماشعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف
ان يصيبنى بمكروه من الملائكة او يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم يره قبله والاول
ما قاله الحسن رضى الله عنه واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه او مستانفا من جهة
الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب والذين فى قلوبهم مرض اى
الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقى فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون فى المدينة
والعطف لتغاير الوصفين كما فى قوله يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء يعنون
المومنين دينهم حتى تعرضوا لما لاطاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف و
من يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لايذل من توكل عليه و
استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار فى فهمه الباب الفحول وجواب
الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اى ولو رايت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا
كما ان ان ترد الماضى مضارعا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد
مر تحقيقه فى قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة فى قوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف
لترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين تتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام
به وقيل الفاعل ضمير عايد الى الله عز وجل والملائكة مبتداء وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة
حال من الموصول قد استغنى فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله
على ضميريهما وادبارهم اى واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء وذوقوا عذاب
الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اى ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب
الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان
بخروجه عن حدود البيان اى لرايت امرا فظيعا لايكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب
والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونهما فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره
بما قدمت ايديكم اى ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى ومحل ان
فى قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى والامر انه تعالى ليس بمعذب
لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر
من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلى مقرر
لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه
لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه
لاينافى كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم
لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك كداب آل فرعون
فى محل الرفع على انه خبر مبتداء محذوف والجملة استيناف مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب بسبب
كفرهم لابشئ آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح
حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اى شانهم الذى استمروا عليه مما فعلوا و
فعل بهم من الاخذ كداب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم
اى من قبل آل فرعون من الامم التى ضلوا من المعاصى ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم

من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوه لا لدأب آل فرعون ونحوهم
كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى فأخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان
كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى بذنوبهم لتأكيد ما افادته الفاء من السببية
مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم غير ما بين
عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما ان آل فرعون ايقنوا
ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلوة والسلام بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم
عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم عليه لما انه
من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى ان الله قوي شديد
العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفيده
النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب او الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم
لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم ان السبب
ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم
عند تغيير حالهم بناء على تخيل ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل
وابعاد عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفر بآيات الله واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير
منه فالمعنى ذلك اي ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك بأن
الله اي بسبب انه تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان
يكون بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت حتى يغيروا ما بانفسهم
من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية
صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام
مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله
عليه وسلم بالبينات غيروها الى اسوأ منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين
وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال
واصل يك يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله الخ
داخل معه في حيز التعليل اي وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال
والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر
الهمزة فالجملة ح استئناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل
النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اي كتغييرهم
على ان دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير
له بتمامه وقوله تعالى فاهلكناهم اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله
تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما من نظيره في سورة آل عمران حيث جوز انتصاب محل الكاف بلن تغني
مع ما بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها
اعتراضا فلا غبار في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة ح استئناف
آخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الاول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير

المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا
مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين
المذكورين كدأب اولئك حيث غيروا احوالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير
لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم
من نعمته واما دأب قريش فيستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفى في كل من التشبيهين
بتفسير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب
والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في الفاء وفي قوله تعالى
بذنوبهم كالذي مر وعطف قوله تعالى واغرقنا آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان
بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل اي كل من الفرق المذكورين
او كل من هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اي انفسهم بالكفر والمعاصي
حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم
ان شر الدواب بعدما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل
احكامهم وقوله تعالى عند الله اي في حكمه وقضائه الذين كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر
الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع
افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى فهم لا يؤمنون حكم مترتب على
تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف
اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تع
الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اي عاهدتهم ومن للايذان بان
المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم
اذ هو المناط لقباحة ما نعي عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده كأنه قيل الذين اخذت منهم
عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت
داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي
ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم في كل مرة اي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض
ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده
لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق
الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هي المرات الواقعة
اثر المعاهدة يبقى النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من البيان ولئن عد ذلك من المحاربة فلا
محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون
عهدهم في كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون عهدهم في كل مرة
من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروج بدئهم بالنقض من البيان و
هم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون
بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب اي في تضاعيفها

فشرد بهم اى ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب ونكل عنها بان تفعل
بهم من النكاية والتعذيب مايوجب ان نكل من خلفهم اى من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد
الحراب قريب من هولاء وقرئ شرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اى افعل
التشريد من وراءهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد فى الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون
يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعوا عن النقض او عن الكفر وقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة
بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اى واما تعلمن من قوم
من المعاهدين نقض عهد فيما سياتى بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اى فاطرح
اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت
ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة
اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اى فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد
بحيث يستوى فيه اقصاهم وادناهم او يستوى فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثانى
من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهى عن المناجزة التى هى خيانة فيكون
تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه للقتال بالاخرة فيكون حثا له عليه السلام
على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين
وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا اى انفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اى فاتوا
وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ
والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المومنين بل الغلبة عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه
على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذى يمكن ان يدور فى خلدهم حسبان المناص فقط
وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو الفاعل وان محذوفة
من سبقوا وهى مع ما فى حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة
من قرا انهم سبقوا ونظيره فى الحذف قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق خوفا وقوله تعالى افغير الله تامرونى اعبد
الاية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى قراءة واضحة وقرئ ولا يحسب
الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اى لا يفوتون ولا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهى على طريقة الاستيناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل
الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب لازاحة
ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدى المومنين وفيه نفى
لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على ابلغ وجه واكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ
لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المومنين لما ان المامور به
من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما فى حيزه من وظائفه
عليه السلام اى اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب
بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر
سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر
لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله تعالى فعال بمعنى

مفعول او مصدر سميت به يقال ربط ربطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وجمع ربط
ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها
من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اى تخوفون
وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على
الحالية من فاعل اعدوا اى اعدوا الخ مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اى اعدوا ما استطعتموه مرهبا
به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم
الحد فى العداوة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس
لا تعلمونهم اى لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم
اى لا غيره فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شىء لاعداد العتاد قل او جل فى سبيل الله
الذى اوضحه الجهاد يوف اليكم اى جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير
عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه
عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة
عليه تعالى كما مر فى تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل
ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اى ان مالوا للسلم اى الصلح بوقوع الرهبة فى قلوبهم بمشاهدة ما بكم من
الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اى للسلم والتانيث لحمله على نقيضه قال السلم تاخذ منها ما رضيت
به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم
وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون فى خلواتهم من مقالات الخداع
العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم فى نحرهم والاية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها
اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطال الحراب فان حسبك الله اى فاعلم بان
يحسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذى ايدك بنصره تعليل لكفايته تعالى اياه عليه السلام
بطريق الاستيناف فان تاييده تعالى اياه عليه السلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من
دلائل تاييده تعالى فيما سياتى اى هو الذى ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا
من عند الله او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمومنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع
ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف منهم قلبان حتى
صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته عليه السلام لو انفقت ما فى الارض جميعا
اى لتاليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استيناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة الماخذ
اى تناهى التعادى فيما بينهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات البين جميع ما فى الارض من الاموال والذخائر
لم يقدر على التاليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التاليف بينها لا يتسنى وان امكن التاليف
ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصى
عليه شىء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الاية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها
ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم
بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا يا ايها النبى شروع فى بيان كفايته
تعالى اياه عليه السلام فى جميع اموره وامور المومنين او فى الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان

كفايته تعالى اياه عليه السلام في مادة خاصه وتصدير الجملة بحرف النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عليه السلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المومنين في محل النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك عضب مهند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو راى الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمومنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه يا ايها النبي تعديا بين كفايته اياه بالنصر والامداد امر عليه السلام بترتيب مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المامور به حرض المومنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فلا وجه حينئذ لجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهكه المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال لهم اراك في هذا الامر حرضا اي محرضا فيه لتهييجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المومنين على عشرة امثالهم بطريق الاستيناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة باتيد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمينان على انه قد يجري بين الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا تفاوت في الصورتين وقوله تعالى من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا اجتماعا ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الاخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا بامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما المومنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة نائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يومن بالله واليوم الاخر لا يومن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هي الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباتهم لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفر واحد من العشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاهتداء الى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهو لغة فيه كالفقر والفقر والمكث

والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الراي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم تعلقه به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفية وقرئ يكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتاييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المومنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المومنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الاخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم السلام ان يكون له اسرى وقرئ بتانيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استيناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفدا وقرئ يريدون بالياء والله يريد الاخرة اي يريد لكم ثواب الاخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كما في قوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمومنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي ولما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا

صدر
اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا

الفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سباق النظم
الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته الترغيب في اكلها وقوله
تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتاكيد الترغيب واتقوا الله اي في مخالفة امره ونهيه ان الله غفور
رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفدا قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من
الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا وقرئ
اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل
ابن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا فقال عليه السلام فاين الذهب الذي
دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي
حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس
فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته
اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا
من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال
اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي تاول به ما في قوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة
مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا
كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم
ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم حسبما رايت يوم بدر فان اعادوا
الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم
فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان
الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان
صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض
في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال
اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا تتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا هم
الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة
ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدا وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله
تعالى اولياء بعض خبره واما مبتدا ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدا الاول اي بعضهم اولياء بعض
في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا
الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين آمنوا
ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا اقرب من
اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة

فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم اي في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة و
الموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم
به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في
الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ
كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا
كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلى من الايمان مع الموعد الكريم بقوله تعالى
لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم
والذين آمنوا من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي
من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم فضلا منه وترغيبا في الايمان و
الهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض آخر منهم في التوريث من الاجانب في كتاب الله اي في حكمه او في
اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم ومن جملته ما في تعليق
التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الانفال وبراءة فانهما تشفعان له يوم القيمة وتشهدان بانه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته الله تعالى اعلم واحكم



ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية
والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة
من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها
بهذه الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار
بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي
يابى مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة
رحمه الله لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك على ان ذلك ينزع الى القول بان التسمية ليست
من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها
انما هو راي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذهب انها آية فذة من
القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لراي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك
هو الوحي والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع في الاستقلال اشتباه او
اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول والا لبينه صلى الله عليه وسلم

تحقق من يد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الايات وطول المدة فيما بين نزوليهما فحيث لم
يبينه عليه السلام تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم **براءة** خبر
مبتداء محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة ومن في قوله تعالى عز وجل **من الله ورسوله**
ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها ليفيدها زيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتدأة من جهة الله
ورسوله واصلة **الى الذين عاهدتم من المشركين** وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان
الله بريء من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدأ
لتخصصها بالصفة وخبره الى الذين الخ والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث
لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى تخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها
ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا اخر هو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادته
حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها
ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله
بكسر النون على ان الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع
والعهد العقد الموثوق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من اهل مكة و
غيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد
الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا وانما نسبت البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين
واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق
الرسول عليه السلام للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأي المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان
ورفع الحظر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه امر كسائر الاوامر
الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها اثارها من غير توقف على شيء اصلا واشتراك
المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل في اتمامها
او في ترتب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تتحصل في نفسها ولا
تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه
وانما الصادر عنه في شأنها هو الاذن فيها وانما الذي باشرها وتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما
تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها على ان في ذلك تفخيما لشأن البراءة
وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها لساحة السبحان
والكبرياء عما يوهم شائبة النقض والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه السلام في النسبة الاولى
واخراجه عن الثانية لتنويه شأنه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة
الاسمية على الفعلية كان يقال قد برئ الله ورسوله من الذين او نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها
وللتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه **فسيحوا** السياحة والسيح الذهاب **في الارض**
والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة
والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام
وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم من الاستعداد للحرب او تحصين الاهل والمال او تحصيل
المهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول

المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة في الاعلام بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشأفة اعتذارهم
بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر مع تأتي افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار ايضا كان يقال مثلا فلكم ان
تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث بهم وباستعدادهم فكان ذلك امر مطلوب
منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحراب على ان الاول
مترتب على نفسه والثاني بكلا متعلقيه على عنوان كونه من الله العزيز لا لترتيب الاول عليه والثاني
على الاول كما في قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا الخ كانه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل
العدد والاسباب وبالغوا في اعتداد العتاد من كل باب **اربعة اشهر واعلموا انكم** لسياحتكم في اقطار
الارض في العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول **غير معجزي الله** اي لا تفوتونه بالهرب
والتحصن **وان الله** وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه
فضيحة وعار **مخزي الكافرين** اي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الاخرة بالعذاب وايثار الاظهار
على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء هي كفرهم ويجوز ان يكون المراد
جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها
فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وجعلت
حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول
لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله
عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روي انه صلى الله عليه وسلم امر
ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له
عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه السلام لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى
امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر رضي الله عنهما الرغاء فوقف فقال هذا
رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية
خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت
باربع ان لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان
يتم الى كل ذي عهد عهده **واذان من الله ورسوله** اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى
الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل **الى الناس** اي كافة لان الاذان غير مختص
بقوم دون اخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا **يوم الحج الاكبر**
هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم
النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف
الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي
الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين **ان الله**
اي بان الله وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول **بريء من المشركين** اي المعاهدين الناكثين **و**
رسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان
او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم **فان تبتم** من الشرك والغدر

التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذيلة
بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم فهو اى فالتوب خير لكم فى الدارين وان
توليتم عن التوبة او ثبتم على التولى من الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزى الله غيرها بقين ولا فائتين
وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة بعذاب
اليم وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك
من النبذ السابق الذى اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم
ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين فى المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر فى
ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله الخ لانه ليس باجنبى بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة
كانه قيل واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثانى على العموم مع كونهما
عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثانى باباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر فى
فسيحوا اى فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق
ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اى لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم
على عهدهم مع تمادى المدة ولم يظاهروا اى لم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة
عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اى ادوه اليهم كاملا
الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضى الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس
رضى الله عنهما بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال
وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفى والغادر منافية لذلك وان كان
المعاهد مشركا فاذا انسلخ اى انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى
الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة و
انكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اى دخلنا فيه ولبسناه
فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضى نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ
وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخى الشهور واهلالى وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من
الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين
فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين
عن غوائل ايدى المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر
موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما
فيه من مزيد الاعتناء بشانها او هى مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت
لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين فى قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال
الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثانى مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به
من القتال شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة
الدائرة فى كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعى بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعدها ما ينسخها
فلا اعتداد به لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رجم بالغيب لانه ان اريد به
ما فى سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا فى قوله تعالى قل للذين كفروا الخ

ابو سفيان

ابو سفيان واصحابه وقد اوسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت فى شوال سنة تسع و
ان اريد ما فى سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم
اى من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل الاظهر انعقاد الاجماع على انتساخها كان فى
الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر
بقين من محرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اى اسروهم والاخيذ الاسير و
احصروهم اى قيدوهم او امنعوهم من التقلب فى البلاد قال ابن عباس رضى الله عنهما حيلوا بينهم و
المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اى كل ممر ومجاز يجتازون منه فى اسفارهم وانتصابه على الظرفية
اى ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا وابروا فاسست له على التفسير الثانى دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة
المعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان عنما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسى العبادات
البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشانهم ولا تتعرضوا لهم بشىء مما ذكر ان الله غفور رحيم
يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان
احد شروع فى بيان حكم المتصدين لمبادى التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر الدين اثر بيان
حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين
استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اى سالك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اى امنه حتى يسمع
كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شىء اخر فى الفهم
لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجارك
لانه يؤدى الى اعمال حتى فى المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب فى غير ضرورة الشعر كما فى قوله فلا والله لا يلقى
اناس فتى حتاك يا ابن ابى يزيد كذا قيل الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق
الاستجارة ايضا بذلك او بما فى معناه من امور الدين وما روى عن على رضى الله تعالى عنه انه اتاه رجل من
المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله تعالى او لحاجة قتل قال
لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة هى الحاجة المتعلقة
بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان ياتى محمدا فان من ياتيه عليه السلام انما ياتيه
للامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مامنه اى مسكنه الذى يامن فيه وهو دار
قومه ذلك يعنى الامر بالاجارة وابلاغ المامن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته
او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد
شروع فى تحقيق حقية ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين
الناكثون لان البراءة انما هى فى شانهم والاستفهام انكارى لا بمعنى انكار الواقع كما فى قوله تعالى كيف تكفرون
بالله الخ بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف فى محل النصب على التشبيه بالحال والظرف وقيل
من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف
وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون عند من جوز عمل الافعال الناقصة فى الظروف وعند
متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر
او متعلق بالاستقرار الذى تعلق به للمشركين ويجوز ان الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد

واما ستعلق يكون او بالاستقرار الذى تعلق به الخبر ولا يبالى بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر و كيف
على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف او الحال كما فى صورة الكون التام وهو الاولى لان فى انكار ثبوت
العهد فى نفسه من المبالغة ما ليس فى انكار ثبوته للمشركين لان ثبوت الرابطى فرع ثبوته العينى فانتفاء الاصل
يوجب انتفاء الفرع راسا وفى توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس فى توجيهه الى ثبوته
لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده
على الطريق البرهانى اى على اى حال يوجد لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ
عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يامنوا به من عذاب الاخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره
اصلا اذ لا دخل لعهدهم فى ذلك الامن قطعا وان كان مرعيا عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير
كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين استدراك من النفى المفهوم من الاستفهام
المتبادر شموله لجميع المعاهدين اى لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف والتعرض
لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره
قوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة
المحل على الظرفية بتقدير المضاف اى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية
الزمانية اى اى زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء والعايد محذوف اى اى زمان
استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل محله النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين
والمراد بهم الجنس لا المعهود وايا ما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهى بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التى وقت
بوقتها الاستقامة المامور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار
عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح ههنا بما لم يصرح به هناك
مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المامور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء ان الله يحب المتقين
تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر
من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من انه
لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عدم ثباتهم على العهد لا انه شىء يستدعى عدمه
وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا لهما وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما فى البين بالارتباط
والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد
كونه معلوما كما فى قوله وخبرتمانى انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب فانه علة مصححة لا مرجحة اى
كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اى
يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اى لا يراعوا فى شانكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل
فى مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفى نفى الرقوب من المبالغة ما ليس فى نفيها الا ولا ذمة اى حلفا
وقيل قرابة ولا عهدا او حقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق يعنى ان وجوب مراعاة
حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الاخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال
قول من قال علام تقبل منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله عز وعلا اى لا يرعوا
حق الله تعالى وقيل الجوار ومال الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم
رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شئونهم الجلية والخفية بطريق الاستيناف وبين

انهم فى حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء فى شىء وان ما يظهرونه مداهنة لا مهادنة فقيل يرضونكم بافواههم حيث
يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم الايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويعللون عند ظهور خلافه
بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق
فى قلوبهم وتابى قلوبهم ما يفيده كلامهم واكثرهم فاسقون خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد
من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة لا يتسترون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى
عن الغدر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله باياته الامرة بالايفاء بالعهود والاستقامة فى
كل امر او بجميع اياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اى تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اى شيئا حقيرا من حطام الدنيا
وهو اهواؤهم وشهواتهم التى اتبعوها او ما انفقه ابو سفين من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اى عدلوا
ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اى
الدين الحق الذى لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه انهم
ساء ما كانوا يعملون اى بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة ساء على
اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف وقد جوز ان يكون اى ساءهم الذى يعملونه او
عملهم وقوله عز وعلا لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة نعى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين
على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا فى اليهود او فى الاعراب المذكورين ومن عداهم وحده وهو واما ما قيل من انه تفسير
لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم فمشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره
واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من
الظلم والشرارة فان تابوا اى عما هم عليه من الكفر وساير العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعى عليهم
من مساوى اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اى التزموها وعزموا على
اقامتهما فاخوانكم اى فهم اخوانكم وقوله تعالى فى الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اى لهم ما لكم
وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه و
الاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التى مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت
اثر الامر بالقتل ونظايره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء
واشباهه فلا بد من كون جوابها حكما بخلافه البتة ونفصل الايات اى نبينها والمراد بها اما ما مر من
الايات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتى الكفر والايمان واما جميع الايات
فيندرج فيها تلك الايات اندراجا اوليا لقوم يعلمون اى ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض
للحث على التامل فى الاحكام المندرجة فى تضاعيفها والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله تعالى فان تابوا
اى وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا ما فى ضمايرهم من الشر
واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الاية او ثبتوا على ما هم عليه
من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل وطعنوا فى دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوى رياسة
وتقدم فى الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر
اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او للدلالة على استيصالهم فان قتلهم غالبا يكون بعد
قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن

ظاهر عند القراء انهم لا ايمان لهم اى على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها
على السنتهم وانما علق النفى بها كالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة فى المواثيق وجعل الجملة
تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم
بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل
وان نكثوا وطعنوا اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المامور به المستفاد من سباق
الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يتعقد معهم عهد اخر وقرئ بكسر الهمزة على انه
مصدر بمعنى اعطاء الامان اى لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره
بان معاهدتهم معنا على طريقه ان يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام فنفى كونه
تعليلا للامر بالقتال اشكال بل استحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل عن العلية للقتال
او للامر كما قيل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سياتى طويلا بجعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجىء فالوجه ان جعل
تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانهم لا اسلام لهم حتى يرتدعوا
عن نقض جنس ايمانهم وعن الطعن فى دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اى قاتلوهم ارادة ان
ينتهوا اى ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وساير العظايم التى يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم
كما هو ديدن الموذين الا تقاتلون الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على
المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها كانه امر لا يمكن ان يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجاؤن الى ذلك
ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة قوما نكثوا ايمانهم التى حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا
عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر
فى قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جناياتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم بالمعادات والمقاتلة اول مرة لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدؤا
بقتال خزاعة حلفاء النبى صلى الله عليه وسلم لان اعانة بنى بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم اى اتخشون ان
ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة
فيها ويحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق
ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم
المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم
وتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اى
يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن
لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضى الله عنهما هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من
اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب
ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما
يكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف
ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك
حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة فى جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى

المعنى فان القتال كما هو سبب لفل شوكتهم واهانة شكيمتهم فهو سبب للتدبر فى امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصى
وللاختلاف فى وجه السببية غير التشبيك والله تعالى اعلم والله اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة
وادخال الروعة عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم
ام منقطعة جىء بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ السابق الى اخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكارى توبيخ
لهم على الحسبان المذكور اى بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم
والخطاب اما للمخلصين شق عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية
ولما للنفى مع التوقع والمراد من نفى العلم نفى المعلوم بالطريق البرهانى اذ لو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم
لزم عدمه قطعا اى ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما فى لما من
التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبين
من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج
تحت ارادة اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة او حال من فاعله اى جاهدوا
حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اى بطانة وصاحب سر وهو الذى
تطلعه على ما فى ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقى على
حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اى بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة
وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الله الخ او حال من متداخلة فاعلا او من مفعوله والمعنى
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شىء منها ما كان للمشركين اى ما صح وما
استقام لهم على معنى نفى الوجود والتحقق لا نفى الجواز كما فى قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
اى ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله اى المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد
وامامها فعامره كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حاله بخلاف ساير المساجد اذ ليس فى
نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد
الحرام الذى هو صدر الجنس ويأباه انهم لا يتصدون لتعمير ساير المساجد ولا يفتخرون بذلك على انه مبنى على كون
النفى بمعنى نفى الجواز واللياقة دون نفى الوجود شاهدين على انفسهم بالكفر اى باظهار اثار الشرك من نصب
الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما
نقل عن الحسن وهو حال من الضمير فى يعمروا اى محال ان يكونوا ما سموه عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما
ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة فى شىء واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان
يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه المرام فان عدم استقامة
الجمع بين المتنافيين انما يستدعى انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذى هو المقصود روى ان المهاجرين
والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق على عليه يوبخ العباس بقتال النبى صلى الله عليه وسلم وقطيعة
الرحم واغلظ له فى القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر
المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها
من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التى يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا
وفى النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة فى الدلالة على الخلود والظرف متعلق
بالخبر وقدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستانفة لتقرير النفى السابق الاولى من جهة نفى استتباعها

الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما
مر فيما مر خلا ان ارادة جمع المساجد وادراج المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس
كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد ههنا ايضا قصر تحقق العمارة ووجودها على المومنين لا قصر جوازها
ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها من امن بالله وحده واليوم الاخر بما فيه من البعث
والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي واقام الصلوة واتى الزكوة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة
النبي صلى الله عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمة الشهادة علم للكل اي
انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها
وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم
تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش
وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته
ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان
وعن انس من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملئكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه ولم يخش
في امور الدين الا الله فعمل بموجب امره ونهيه غير اخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم
الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف
والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك المنعوتون بتلك
النعوت الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم
مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع
باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المومنين مع ما بهم من هذه
الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف للمومنين وترغيب
لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجا ورفض الاغترار بالله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام اي في الفضيلة وعلو الدرجة كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر
ان لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن امن بالله الخ
ويويده قراءة من قرا سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كايمان من امن الخ وعلى التقديرين فالخطاب
اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المومنين المؤثرين
للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم
عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل
معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لان ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس يشعر بالحرمان ايضا اما على
الاول فهو توبيخ للمشركين ومدار انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما
هم عليه من الشرك بالمومنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين في
حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما لما ذكر كما قيل فيباه المقام كيف لا وقد بين انفا حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة
وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيهها بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل
الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير انكار التشبيه
وتاكيده بشيء اخر اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة

كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية
والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه
اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون
عند الله اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي
بين الوصفين الاولين وبين الاخيرين لان المدار في التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين
لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين
بالسقاية والعمارة من المشركين والمومنين انما هي الافضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فان
نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استيناف لتقرير الانكار المذكور وتاكيده او حال من
مفعولي الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل سويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى والله لا يهدي
القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الحمل
غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الاخر وفيه
زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم و
انفسهم استيناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة
وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لا انه اعتبر بطريق التدارك امر لم يعتبر فيما سلف اي
هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجميلة اعظم درجة عند الله اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم
يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اي
المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة هم
الفائزون المختصون بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني فهو
توبيخ لمن يوثر السقاية والعمارة من المومنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا رضي الله عنه قال للعباس رضي الله عنه
بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال الست في افضل من الهجرة
اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على
سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل
ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال اخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال اخر
الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل
فانزل الله عز وجل هذه الاية والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المومنين في الفضيلة والرفعة كمن امن بالله و
اليوم الاخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا
فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك
ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم
بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني
واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم
بوضع كل منهما موضع الاخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والقصر في قوله تعالى واولئك هم الفائزون
بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق كاملا والله اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة

غظيمة منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها في تلك الجنات نعيم مقيم نعم لانفادلها وفي
التعرض لعنوان الربوبية تاكيد المبشر به وتربية له خالدين فيها اي في الجنات ابدا تاكيد للخلود لزيادة توضيح
المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا وللاعمال التي في مقابلته
والجملة استيناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من
افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الاحاد الى الاحاد كما في قوله
عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طايفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والاية نزلت
في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا
وخربت ديارنا وبقينا ضايعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت
اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن
موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب
في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا
عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما يودي بهم
الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اي واحدا منهم كما اشير اليه وافراد الضمير في الفعل
لمراعاة لفظ الموصول وللايذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لا ان المراد تولي فرد واحد وكلمة من
في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير
موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المومنين
ويقوي عزايمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الاباء والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم
من الابناء والازواج ويقطع علايقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير
معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم اي اقرباؤكم ماخوذ من العشرة اي الصحبة وقيل من العشرة فانهم جماعة ترجع
الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشايركم واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وانما وصفت
بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها للتجارة والربح تخشون
كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم ومساكن ترضونها اي منازل تعجبكم
الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة
الحيوة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان
يوثر حبها على حبه تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم احب اليكم من الله
ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر
فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله
عليه السلام تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما
فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا
اي انتظروا حتى ياتي الله بامره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او اجلة والله
لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين او القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم
هولاء دخولا اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الاية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه

لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمومنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها
ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على
محل في مواطن بحذف المضاف في احدهما اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل
التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله
تعالى عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم
بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس
من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة
والطايف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة الاف منهم من شهد فتح مكة من المهاجرين و
الانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد ساير العرب وكانوا
الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصاري لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري فاكب المسلمون على الغنايم فتنادى
المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضايح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله
عز وعلا فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من
الاغناء وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اي لا تجدون
فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه
بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان
ابن الحرث اخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
روي انه عليه الصلوة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال
العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه عليه الصلوة والسلام
في الشجاعة ورباطة الجاش سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مويدا من عند الله العزيز الحكيم عند
ذلك قال يا رب ايتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا
اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى ثم
انزل الله سكينته على رسوله اي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمينانا كليا مستتبعا للنصر القريب
واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا وعلى المومنين عطف على رسوله وتوسيط
الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اي المومنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار
بعليته للانزال وانزل جنودا لم تروها اي بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض
على خيول بلق فنظر النبي عليه السلام الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به
نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلات به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب
الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ وقيل خمسة الاف وقيل ثمانية الاف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم
ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المومنين بالقاء الخواطر الحسنة و
تاييدهم بذلك والقاء الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال
لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت

الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما
ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه
اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي
ان ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر
الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال عليه السلام ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا
نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري
والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن
قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى
فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس
وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة
النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين
القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد وكانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب
نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة او للمنع
عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب
ابي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه
بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي
الله تعالى عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك
ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وساير المساجد عندنا وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة
وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك
وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب
منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال
عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من فضله بوجه آخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا
اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم
مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم
مشية تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيد ذلك بها لينقطع الآمال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس مطردا
بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله امر لهم بقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين وبمنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج
والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمة من انقطاعهم ونبههم في تضاعيف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود
على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا للوعد والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية
ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة
فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان

به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول
الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي
هو ناسخ لساير الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب من التوراة والانجيل فمن بيانية
لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا اي يقبلوا ان يعطوا الجزية اي ما تقرر عليهم ان
يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير
في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم
ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب
يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية
اي نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم صاغرون
اي اذلاء وذلك بان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له
اد الجزية وان كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي
العرب وعند ابي يوسف رحمه الله لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند
الشافعي رحمه الله تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي
الى انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم
سنة اهل الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع
بهم
من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبيحتهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام في آخر ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم
واكلي ذبيحتهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير
المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية على
فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امراة وعند الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل
واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتداة سيقت لتقرير ما مر من عدم
ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين عزير ابن الله مبتدا وخبر وقرئ بغير تنوين
على انه اسم اعجمي كعازر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا على
ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود
وقيل قول بعض ممن كان بالمدينة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم
سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو
الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى
عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له اين تذهب
فقال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو
غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله
فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون
آية بعدما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم قال لهم اني عزير
فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة ففعل فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل الا لانه
ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم

الله تعالى التورية ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التورية
الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت
النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله
من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه
معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة القول
المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير
ان يكون له مصداق في الخارج يضاهئون اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همزة قول الذين كفروا اي يشابه
قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من
قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا
تعدد في القول حتى يتاتى التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد القول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى
اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص
الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان
من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل
اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم علماء اليهود واختلف
في واحده قال الاصمعي لا ادري اهو حبر ام حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان
حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب
الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم
ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا
تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فريق من النصارى وهو يقراء سورة براة
فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت
يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله ف
تستحلونه فقلت بلى قال تلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال
انهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا ياخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله
والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتاخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام
ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لاختصاص
بالنصارى ونسبته عليه السلام على امه من حيث لا لانها علم من ربوبيته المنافية للربوبية [illegible]
رايهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتبهم الا ليعبدوا
الها واحدا عظيم الشان هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى
فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة واما اطاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة الله عز وجل او وما
امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا

وهم مامورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة ايضا
به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استيناف مقرر
للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة
عن ازالة لهبها الموجب لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح
ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر
في ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه
عن الشركاء والاولاد او القران العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القران ويكذبوه فيما
نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد ومن الشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة
بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق ينطبق عليه او اصل يستند اليه حسبما
حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي عليه السلام هذا او هو قد مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم
منبث في الافاق بنفخة ويابى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام
وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه
من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في
المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز
وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف
لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره
لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة
الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان
ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى
اي القران الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين
كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان
وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون كما في سبق خلا ان وصفهم بالشرك
بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها الذين امنوا شروع في بيان حال
الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر
والنواهي واتباعهم لهم فيما ياتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل
ياخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على
انه معظم الغرض منه وتقبيح لحالهم وتنفير للسامعين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام
او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال
بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه
اخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد
وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب
بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة
على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه

فان تخصيص العبادة به تعالى لا يقتضي تخصيص الطاعة

لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب
بها ما بقي من اموالكم ولقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم
الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها
ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت
له صفايح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى
الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه
ذلك اي يعذبون او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى
بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة
التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها
والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة
وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما
بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم
بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف
الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات
الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين
مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة
الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا
تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام
الشرعية في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثني عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا
في كتاب الله وقوله عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار
او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات والازمنة
منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة
اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان
والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه من محله بالنسي
الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله تعالى عنه قبلها في ذي
القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه
هو الدين القيم المستقيم دين ابرهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة
منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى ان لو لقي رجل قاتل ابيه واخيه لم يهجه وسموا رجبا
الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسي فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم
فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها
في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول

انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين
اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضعه مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين
عليه وايذانا بان المدار في النصر وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو مصدر نساه
اذا اخره نسا ونساء ونسيئا نحو مس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء
الاولى فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر
واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا
اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تاخير حرمة شهر الى شهر
اخر زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما حلله فهو كفر اخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا
ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال
عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون رؤساؤهم والموصول
عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضلل ونضل بنون العظمة يحلونه اي النسيء
المؤخر عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا اخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته
كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى الهتهم كما يجيء
عاما اخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم
ابن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي
لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر
العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا
الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي
باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسي الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اول من سن النسي عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله
ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل
عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على
البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة الطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح
اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة
وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها
الذين امنوا رجوع الى حث المؤمنين وتحريضهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك
ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم
اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه
وسلم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون
فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال لانه
ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف

حـ انما هو الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اى اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها
الفانيه عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعه للراحة الخالده كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع
هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنه عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا
في وقت عسرة وقحط وقيض وقد ادركت ثمار المدينه وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق
عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك
فانه عليه السلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة اى
بدل الاخره ونعيمها الدايم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اى فما التمتع بها
وبلذايذها في الاخرة اى في جنب الاخرة الا قليل اى مستحقر لا يوبه له وفي ترشيح الحيوة الدنيا
بما يودن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الاخره عن مثل ذلك مبالغه في بيان حقارة الدنيا ودناءتها
وعظم شان الاخرة وعلوها الا تنفروا اى ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اى الله عز وجل عذا
اليما اى يهلككم بسبب فظيع هايل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد اهلاككم قوما غيركم وصفهم بالمغايرة
لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستيصال
اى قوما مطيعين موثرين للاخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه
من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيا اى لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغنى
عن كل شي في كل امر وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده
مفعولا لا محالة والله على كل شي قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم اخرين الا تنصروه فقد
نصره الله اى ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف
الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله
في غيره اذ اخرجه الذين كفروا اى تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه السلام في ذلك حين هموا باخراجه
ثاني اثنين حال من ضميره عليه السلام وقرى بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصود في الاعراب
اى احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلثه ورابع اربعه ونحو ذلك احد
هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثه
ورابع اربعه وقد مر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثه من سورة المائدة وجعله عليه
السلام ثانيهما لمشي الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار تمحل
مستغنى عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في
اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه
اى الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها
شائبة شي من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في
الامر المباشر روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا
الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم عنه
وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله تعالى عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا

من

الثالث والثلثين

من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتعالى فانزل الله سكينته امنته
التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او
على صاحبه اذ هو المنزعج واما النبي عليه السلام فكان على طمانينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره
الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه
وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وعلا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر
فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله اى التوحيد او دعوة الاسلام
هي العليا لا يدانيها شي وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير حالها
دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرى بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب
حكيم في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على التساهل فيه وقوله
تعالى خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين اى على اى حال كان من يسر او عسر حاصلين باى سبب كان من
الصحة والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها
بعد الامكان والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من
السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين
المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى ان انفر
قال عليه الصلوة والسلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه نسخت بقوله
عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الايه وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما
ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الاخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس
يغزي مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب القسم الاول فقط ذلكم اى
ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف خير لكم اى خير
عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم
تعلمون اى تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا
اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا للماصدر عنهم من
الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيانا لدناءة هممهم وساير رذائلهم اى لو كان ما دعوا اليه عرضا قريبا
العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اى لو كان ذلك غنما سهل الماخذ قريب المنال وسفرا قاصدا ذا قصد بين
القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدمه عند تحققه
عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرى بكسر العين
والشين وسيحلفون اى المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله اما متعلق بسيحلفون وهو من جملة كلامهم
والقول مراد على الوجهين اى سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله
لو استطعنا الخ اى لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من
الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما على الثاني
فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون بالله وتصديق له
والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرى لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان

الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال
من فاعله اى مهلكين انفسهم او من فاعل خرجنا جئ به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اى لخرجنا
معكم مهلكين انفسنا كما فى قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اى فى مضمون الشرطية
وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين الخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك صريح
فى انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه عند استيذان المتخلفين فى التخلف معتذرين
بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم لخلوها عن المزاحم من ترك الاولى والافضل الذى هو
التانى والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اى لاى سبب اذنت
لهم فى التخلف حين اعتلوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغى ان يكون اموره
عليه السلام منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه فى معرض التعلل والاعتذار مشفوعا
بالايمان كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلتا اللامين متعلق بالاذن لاختلافهما فى المعنى
فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستاذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله
للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه حتى يتبين لك الذين صدقوا
اى فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن
لهم هناك وتعلم الكاذبين فى ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى الافضل و
تخصيص له عليه السلام فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لاستلزامه
ان يكون اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك
بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تانيت حتى ينجلى الامر كما هو قضية الحزم
قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يومر فيهما بشئ اذنه للمنافقين واخذه
الفدا من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذى
صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثانى باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق
حادث فى امر خاص غير مصحح لنظمهم فى سلك الصادقين وان ما صدر من الاخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر
خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم فى الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما
يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلى فظهور صدقه انما هو
تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر
عليه فى الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستانفا واسناده الى ضميره عم
لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه عليه السلام بهم و
مؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق فى
عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق العلم بالاخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا
وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما
المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفى تصدير
فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة
ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولى الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو
ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما

فعلت هب انه كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف فى الخطاب والتخفيف فى العتاب وهب ان العفو مستلزم
للخطا فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء
الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن فى خروجهم مصلحة للدين او
منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الخ وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله
تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الاية نعم كان الاولى تاخير الاذن حتى يظهر كذبهم اثر ذى اثير ويفتضحوا على رؤس الاشهاد
ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السلام وارضوه
بالاكاذيب على انها لم يهنا لهم عيش ولا قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور
امرهم وقد كان لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر تنبيه على انه كان ينبغى ان يستدل بالاستيذان انهم
على حالهم ولا يؤذن لهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك فى ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وان
الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان يستاذنوك فى التخلف وحيث استاذنك
هؤلاء فى التخلف كان ذلك مظنة للتانى فى امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل الاستيذان فيه محذوف ومعنى
قوله تعالى ان يجاهدوا كراهة ان يجاهدوا ثم قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستاذنك المؤمنون فى التخلف
كراهة الجهاد فتوجه النفى الى القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو وان كان فى نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه
بادى الامر لكن عامة احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد اى لا يستاذنك
المؤمنون فى الجهاد كراهة ان يجاهدوا بناء على ان الاستيذان فى الجهاد مما يكون لكراهيته ولا يخفى ان الاستيذان
فى الشئ لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستيذان
لعلة الرغبة ولو سلم فالذى نفى من المؤمنين حينئذ سمة المنافقين وظاهر انهم لم يستاذنوا فى الجهاد لكراهتهم
له بل انما استاذنوا فى التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم باجزل
الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما
يستاذنك اى فى التخلف مطلقا على الاول او لكراهة الجهاد على الثانى الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر
تخصيص الايمان بهما فى الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتسنى
للمؤمن استبدال الحيوة الابدية والنعيم المقيم الخالد بالحيوة الفانية والمال الكاسد وارتابت قلوبهم عطف
على الصلة وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم فى ريبهم وشكهم
المستقر فى قلوبهم يترددون اى يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه
به مما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن
لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اى للخروج فى
وقته عدة اى اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء
والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذى وعدوا اى عدته وقرئ عده بكسر
العين وعدة بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اى نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية
فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج
فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق فى المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفى لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا
فى اللفظ كقولك ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما فى الاقيسة
الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا العدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد

التي ستبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين
تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم
لبعض او هو اذن الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون وغيرهم واياما كان
فغير خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم
اي ما اورثوكم شيا من الاشياء الا خبالا اي فسادا او شرا والاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس
بذلك ولاوضعوا خلالكم اي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا
اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع بالنمائم
لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولاوفضوا من رقصت الناقة اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا
اي اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم
والجملة حال من ضمير اوضعوا او استيناف وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم
قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما
او مستانفة ولعلهم لم يكونوا في كمية العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المومنين بامر الجهاد
اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم كفساد خروج المومنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم
مستتبعا لخلل كلي كره الله انبعاثهم فلم يتيسر اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن في قعودهم
مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام لظهر نفاقهم فيما
بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتيسر لهم التمتع بالعيش
الى ان يظهر حالهم بقوارع الايات النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا
فيما مضى وما يأتي منهم فيما سيأتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد
والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفريق
اصحابك عنك من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن
تبوك ايضا بعدما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه السلام
فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الامور تقليب الامر تصريفه من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبر
والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد
ودوروا الاراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اي النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله
غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والايات لتسلية
الرسول عليه السلام والمومنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بها ليس مما لا
يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة
وهي العصيان والاثم يريد اني متخلف لا محالة اذنت او لم تاذن فاذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة ولا
تفتني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد
علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني وقرئ
ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه الا في الفتنة اي في عينها ونفسها واكمل افرادها الغني عن الوصف بالكمال الحقيق

باختصاص اسم الجنس به سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من
العزيمة على التخلف والجراة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات
الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم
وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان
بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين وقوله
عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه
اي جامعة لهم يوم القيمة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم
الان تنزيلا للشيء سيقع عن قريب منزلة الواقع او وصفا للاسباب الشيء موضعه فان مبادي احاطة النار بهم
من الكفر والمعاصي محيطة بهم الان من جميع الجوانب ومن جملتها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل
تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشاة وانما يظهر
عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشاة الاخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وضع المظهر موضع
المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين
للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة
اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا
متبجحين بما صنعوا حامدين لارائهم قد اخذنا امرنا اي تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال
عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل
اي من قبل اصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة
بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه الصلاة والسلام
والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم دون المصيبة بان يقال وان تصبك مصيبة
تسرهم للايذان باختلاف حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون
قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من
فيعل لا من فعل لانه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب الا ما كتب الله لنا اي اثبته
لمصلحتنا الدنيوية والاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المودية الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي
امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المومنون التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد
ترتيب المبادي العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المومنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة
القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى واياي فارهبون والجملة ان كانت من تمام
الكلام المامور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله
تعالى امرا للمومنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله عز وجل
قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امر الغايب واما على الوجه الاول فهي لابراز
كمال العناية بشان المامور به والاشعار بما بينه وبين ما امر به اولا من الفرق في السياق والتربص التمكث
مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التايين محذوفة اي ما تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين

اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا انواع بيان لما ابهم في الجواب
الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر
والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوءيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من
قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل
على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون
ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا نشاهد الا ما يسرنا ولا تشاهدون الا ما يسوءكم قل انفقوا
اموالكم في سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى
الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك
الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا
هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون
بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اي عاتين متمردين
تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل
وهو الله تعالى ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى اي لا ياتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين
ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى طوعا اي
من غير الزام من جهته عليه السلام لا رغبة او هو فرضي لتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ويقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم
كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل الزهوق
الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم في الدين والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون
يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون
ملجأ استيناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية
اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اي مكانا حصينا يلجؤن اليه من رأس جبل او قلعة او جزيرة
وايثار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي
الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما
تقتضيه من المقام فان معنى قولك لو تحسن الي لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه
بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه او مغارات
اي غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار اذا
دخل الغور اي امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب
ومغار او مدخلا اي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول
ومدخلا من الادخال اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا
اليه اي لصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجأوا اليه اي الى احد ما ذكر وهم يجمحون اي يسرعون
اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ

يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجماز ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا وقرئ
يلمّزك ويلامزك مبالغة في الصدقات اي في شانها وقسمتها فان اعطوا منها بيان لفساد لمزهم وانه لا منشأ
له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها
وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون اي يفاجؤن السخط واذا نائب مناب فاء الجزاء وقيل
نزلت الاية في ابي الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل
وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه السلام ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله اي ما
اعطاهم الرسول عليه السلام من الصدقات طيبي النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله
الرسول عليه السلام كان بامره سبحانه وقالوا حسبنا الله اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله
من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل انا الى الله راغبون في ان يخولنا فضله والاية باسرها في حيز
الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اي لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع في تحقيق حقية ما صنعه
الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة القالة في ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية
على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق لجنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء
والمساكين اي مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا يتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم
فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له ادنى
شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه
والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم اصناف فمنهم اشراف من العرب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف
قلوبهم باجزال العطا كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم
اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله
وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان
لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله عز وعلا واعلى كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب اي وللصرف في
فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها
الرقاب فتعتق واياما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم
او للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير او
للاشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما ان في للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها والغارمين
اي الذين تديّنوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي من غرم
لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله اي فقراء الغزاة والحجيج
المنقطع بهم وابن السبيل اي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما
في الاستحقاق او لما ذكر من ايرادهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق
ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات
الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي لا يجوز الا ان يصرف

الى ثلثة من تلك الاصناف فريضة من الله مصدر موكد لما دل عليه صدر الاية اى فرض لهم الصدقات فريضة ونقل
عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اى فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن فى قوله للفقراء اى
انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اى مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم
لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التى من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون
النبى نزلت فى فرقة من المنافقين قالوا فى حقه عليه السلام ما لا ينبغى فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان
يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما
محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو اذن اى يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين
ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم
بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل
صدق فى الدلالة على المبالغة فى الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد
اذن فى الخير والحق وفيما ينبغى سماعه وقبوله لا فى غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اى هو اذن
خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز
وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اى يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك
خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اى يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام
مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما فى قوله تعالى انؤمن لك الخ وقوله
تعالى فما امن لموسى الخ ورحمة عطف على اذن خير اى وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة
للذين امنوا منكم اى للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم فى ذلك بل رفقا بهم وترحما
عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين
بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب
على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اى ياذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم من قولهم
هو اذن ونحوه وفى صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم
كما افصح عنه قوله تعالى فيما سياتى فان يتوبوا يك خيرا لهم لهم بما يجترون عليه من اذيته عليه السلام
كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير
داخل تحت الخطاب وفى تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى
من المبالغة وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على
ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة
وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم
ويرضوا عنهم اى يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبى صلى الله عليه وسلم واما التخلف
عن الجهاد فليس بداخل فى هذا الاعتذار ليرضوكم بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم
ارضاء الرسول عليه السلام وقد قبل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون
وسيلة الى ارضائه عليه السلام وانه عليه السلام انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما
فعلوا كما اشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اى احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة
وايفاء حقوقه عليه السلام فى باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما

يرضى بها من انحصر طريق علمه فى الاخبار الى ان يجئ الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون اى يحلفون
لكم لارضائكم والحال انه تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم اى يعرضون عما يهمهم ويجب عليهم ويشتغلون بما لا
يعنيهم وافراد الضمير فى يرضوه اما للايذان بان رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاؤه عليه السلام
ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذى يشار به الى الواحد
والمتعدد بتاويل المذكور كما فى قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق اى كان ذلك لا يقال
اى حاجة الى الاستعارة لم لم يتيسر التاويل لما ان الضمير لا يتعرض الا للذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من
اوصافه التى من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف
خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض
والراى مختلف او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو راى المبرد ان كانوا مؤمنين
جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه اى ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق
بالارضاء الم يعلموا اى اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم
بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اى الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فنون القوارع والانذارات انه اى الشان من يحادد الله ورسوله المحادة من الحد كالمشاقة
من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد مباشر لكل من الافعال المذكورة فى حد غير حد صاحبه
ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على ان خبره محذوف اى فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة و
الجملة الشرطية فى محل الرفع على انها خبر لان وهى مع خبرها سادة مسد مفعولى يعلموا وقيل المعنى فله وان تكرير
للاولى تاكيد لطول العهد لا من باب التاكيد اللفظى المانع للاولى من العمل ودخول الفاء كما فى قول من قال
لقد علم الحى اليمانون انني اذا قلت اما بعد انى خطيبها وقد جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب
الشرط محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له الخ ورد بان ذلك انما يجوز عند كون
فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر فى الظرف
ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر ذلك اشير الى ما ذكر من العذاب
الخالد بذلك ايذانا ببعد درجته فى الهول والفظاعة الخزى العظيم الخزى الذل والهوان المقارن للفضيحة
والندامة وهى ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤس الاشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم
والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم فى شانهم فان ما نزل فى حقهم نازل عليهم سورة
تنبئهم بما فى قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق
ومعنى تنبئتها اياهم بما فى قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع
انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال
مذاعة فكانها تخبرهم بها او المراد بالتنبئة المبالغة فى كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من
احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبؤهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضمير
الاول للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكيك عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اى يحذر المنافقون
ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما فى قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم كان اظهارهم
الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شئ ويقول انه
بطريق الوحى يكذبونه ويستهزءون به ولذلك قيل قل استهزءوا اى افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد

ان الله مخرج اى من القوة الى الفعل ومن الكمون الى البروز ما تحذرون اى ما تحذرونه من انزال السورة
ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة فى قلوبكم الفاضحة لكم على ملاء الناس والتاكيد لرد انكارهم بذلك لا لدفع
ترددهم فى وقوع المحذور اذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سالتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
روى انه عليه السلام كان يسير فى غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزؤن بالقران
وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات
هيهات فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله
لا والله ما كنا فى شئ من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض
السفر قل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا
لهم على خطائهم موقع الاستهزاء ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن حيث عقب حرف التقرير
بالمستهزء به ولا يستقيم ذلك الا بتحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة
عن محو اثر الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عليه الصلوة
والسلام والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او تجنبهم
عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف عن اسناد الفعل الى الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى
الظرف بتذكير الفعل وبتانيثه ايضا ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ
بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين
على الاجرام وهم غير التائبين ومباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحق الذى عفى عنه رجل واحد
هو يحيى بن حمير الاشجعى لما نزلت هذه الاية تاب عن نفاقه وقال اللهم انى لا ازال اسمع اية تقشعر منها
الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت
فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال
الاناث للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر والنفاق بعضهم من بعض اى متشابهون فى النفاق والبعد
عن الايمان كابعاض الشئ الواحد بالشخص وقيل اريد به نفى ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى حلفهم
بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يامرون بالمنكر اى بالكفر والمعاصى وينهون
عن المعروف اى عن الايمان والطاعة استيناف مقرر لما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او
خبر ثان ويقبضون ايديهم اى عن المبرات والانفاق فى سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا
الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة
ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون فى التمرد والفسق الذى هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل
خير والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير كما فى قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
اى المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هى حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عقابها وعذابها ولعنهم الله اى ابعدهم من رحمته واهانهم وفى اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة
السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اى نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا او لهم عذاب
مقيم معهم فى الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذى هم منه فى بلية دائمة لا يامنون
ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة
الى الخطاب للتشديد والكاف فى محل الرفع على الخبرية اى انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او فى حيز النصب

بفعل مقدر اى فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبههم
بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفى صيغة الاستفعال ما ليس فى التفعل من الاستزادة و
الاستدامة فى التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر
لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى استمتاعا
كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية
والتهائهم بها عن النظر فى العواقب الحمدة واللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفاء
اثرهم وخضتم اى دخلتم فى الباطل كالذى خاضوا اى كالذين باسقاط النون او كالفوج الذى او كالخوض
الذى خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى
الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضى ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهومين ضمنا لا صريحا
ويؤدى الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر اولئكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او
لكل من يصلح للخطاب اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد بها
اعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان غائلتها غنية عن البيان بل اعمالهم التى كانوا يستحقون
بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اى ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر فى الدنيا والاخرة
بطريق المثوبة والكرامة اما فى الاخرة فظاهر واما فى الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة و
غير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
ليس ترتبه عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك اى الموصوفون بحبوط
الاعمال فى الدارين هم الخاسرون الكاملون فى الخسران فى الدارين الجامعون لمباديه واسبابه طرا فانه
قد ذهبت رؤس اموالهم التى هى اعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم
لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة فى الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران
الم ياتهم اى المنافقين نبأ الذين من قبلهم اى خبرهم الذى له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم و
الاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين وقوم شعيب و
المؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل
وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استيناف
لبيان نبأهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اى فكذبوهم
فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة فى تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اى ما صح
وما استقام له ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل فى قوله عز وجل ولكن كانوا
انفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم
المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راى من لا يرى التقديم
موجبا للقصر فيكون كما فى قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل او المفعول
وسيجئ لهذا مزيد بيان فى قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومالا اثر بيان قبح حال اضدادهم
عاجلا واجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن الاتصالية للايذان
بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للاثار من المعونة والنصرة وغير ذلك

ونسبه اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اى جنس المعروف والمنكر
المستطمين لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو فى مقابلة ما سبق من قوله تع
نسوا الله ويوتون الزكوة بمقابله قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله اى فى كل امر
ونهى وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المومنين والمومنات
باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم فى الفضل اى
اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اى يفيض عليهم اثار رحمته من التأييد والنصرة
البتة فان السين موكدة للوقوع كما فى قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اى قوى قادر على
اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبنى احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعم والنقمة
الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمومنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق
فى شان المنافقين من قوله تعالى فنسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المومنين فان منع لطفه تعالى عنهم لطف
فى حق المومنين وعد الله المومنين والمومنات تفصيل لاثار رحمته الاخروية اثر ذكر رحمته الدنيوية
والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعليه وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم
التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغير ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اى وعدهم وعدا
شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم فى مراتب الفضل كيفا وكما جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بها لا محالة ومساكن طيبة اى وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل
تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش فى الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى
جنات عدن هى ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبى صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين و
لم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك
وعن ابن عمر رضى الله عنه ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة الاف باب حرة لا
يدخله الا نبى او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضى الله عنه هى بطنان الجنة وسرتها فعدن على هذا علم
وقيل هو بمعناه اللغوى اعنى الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه
اولا بانه من جنس ما هو اشرف الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طبائعهم
اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا يكاد
يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار
العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اى
وشىء يسير من رضوانه تعالى اكبر اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة
ولعل عدم نظمه فى سلك الوعد مع عزته فى نفسه لانه متحقق فى ضمن كل موعود ولانه مستمر فى الدارين روى
انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول
انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شىء افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته فى العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من
حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شىء من نعيم الاخرة
بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر
منها شربة ماء ونعما قال من قال انا لله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا ومن يذهبها غدا ما كان من حق

على كل ما يتحسه الانس

ما لم تر الاعين اعنى افضل من ذلك

ان يدل بها فكيف وهى متاع يضمحل غدا يا ايها النبى جاهد الكفار اى المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين
بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم فى ذلك ولا تحابهم قال عطاء نسخت هذه الاية كل شىء من العفو
والصفح وماواهم جهنم جملة مستانفة لبيان اجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير
تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استيناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم
الموجبة لما امر من الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام فى
غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام
فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر
من الحمير فقال عامر بن قيس الانصارى للجلاس اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق
الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت وايثار صيغة الاستقبال فى يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة
على تكرر الحلف وصيغة الجمع فى قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة
القائل ولقد قالوا كلمة الكفر هى ما حكى انفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم
اى واظهروا ما فى قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عليه السلام عن راحلته اذا تسنم
العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر اخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما
كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم
يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابى بن
سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اى وما انكروا وما عابوا او وما وجدوا
ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون
الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر الف درهم
فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اى وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله
تعالى اياهم او وما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر
والنفاق يك خيرا لهم فى الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله
لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اى
استمروا على ما كانوا عليه من التولى والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله
عذابا اليما فى الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات والاخرة بالنار وغيرها
من افانين العقاب وما لهم فى الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان
ما نفى بقوله عز وجل من ولى ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان
لقبائح بعض اخر منهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن لنوتين الزكوة وغيرها من الصدقات
ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضى الله عنه يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت فى
ثعلبة بن حاطب اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام
يا ثعلبة قليل تؤدى حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لاعطين

يو

كل ذي حق حقه من ماله فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع من الجماعة
والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرأه كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي
وذلك قوله عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة
الله عز وجل فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة
بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال عليه السلام هذا
عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض عليه الصلوة والسلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء
بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن
الحارث وجد بن القيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة اي
وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اي
جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه الى يوم موتهم الذي يلقون
الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم و
لا يلايمه قوله عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق
والصلاح وبما كانوا يكذبون اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم
المذكور وتخصيص الكذب بر يودي الى تخلية الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية فان تسبيب
الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضي باسناده الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين لا
عقاب البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع منبئة عن ترتب اعقاب
النفاق البخل على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض ومنها
ما لا دخل له في الترتب المذكور كالمعاهدة ازيح ما في ذلك من الابهام بتعيين ما هو المدار في ذلك والله تعالى
اعلم وقرئ بتشديد الذال الم يعلموا اي المنافقين او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية
خطابا للمومنين فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي الم يعلموا ان الله يعلم سرهم و
نجواهم اي ما اسروا به في انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك
مما لا خير فيه وسر تقديم السر على النجوى سيظهر في قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤا على ما اجترؤا عليه من العظايم
واظهار اسم الجلالة في الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم و
نجواهم الحادثين شيئا فشيئا بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة
الدايمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم
المومنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مواخذهم ومجازيهم بما علم من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع
على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة اي يعيبون
المطوعين اي المتطوعين المتبرعين من المومنين حال من المطوعين وقوله تعالى في الصدقات
متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف
باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة و

وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله
له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر
وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت
بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن
وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكن احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ
بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم
عطف على يلمزون اي يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم
على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم اي ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتهويل
والتفخيم وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين
الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوايهما كانه عليه
الصلوة والسلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر في قوله عز
وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة
المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن عبد الله بن
ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه السلام فنزلت
فقال عليه السلام محافظة على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها
ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن
يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على
جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام
لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد
سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات
والسبعمائة غاية الغايات ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي
ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل بانهم اي بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا
متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق
في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك
للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة
ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر
انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر
النبي عليه السلام في استغفاره لهم وهو عدم ياسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي و
الضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما يستلى من قوله عز وجل ما كان للنبي الاية فرح
المخلفون اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم او خلفهم
الله بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكم الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح
بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال

اى ام خلاف الحى له بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه ظرف
لمقعدهم اذ لا فائدة فى فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم
الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اى فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما مقعدهم
لاجل مخالفته عليه الصلوة والسلام او على انه حال والعامل احد المذكورين اى فرحوا مخالفين له عليه السلم
بالقعود وهو بمعنى مقعدهم او فرحوا بالقعود لاجل مخالفين له عليه الصلوة والسلام وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم فى سبيل الله لايثار الدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما فى قلوبهم من
الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يجوز بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الاخر مرتبة الكراهية وايما
او نهما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد فى سبيل الله مع كونه
من اجل الرغائب واشرف المطالب التى يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا باقبح
القبائح الذى هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اى لاخوانهم تثبيطا لهم على التخلف
والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا
لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح
بالقعود وكراهية الجهاد ونهى الغير عن ذلك لا تنفروا فى الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم و
تجهيلا لهم نار جهنم التى ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون
الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض
تذييلى من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اى
لو كانوا يفقهون كذلك او كيف هى او انّ مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا بهذا الالزام واما غير
منوى على ان لو لمجرد التمنى المبنى عن امتناع تحقق مدخولها اى لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما فى قوله
عز وجل قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا اخبار عن عاجل امرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدى اليه اعمالهم السيئة
التى من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ
لا يتصور السببية فى الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اى ضحكا قليلا وبكاء
كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه فى صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر المطاع مما
لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا ان المقصود افادته فى الاول هو وصف القلة فقط وفى الثانى وصف الكثرة
مع الموصوف يروى ان اهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان
يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا
يكسبون من فنون المعاصى والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددى ما داموا فى الدنيا
وجزاء مفعول له للفعل الثانى اى ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اى يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء
بما كسبوا من المعاصى المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الآتى على ما بين من امرهم والفعل من
الرجع المتعدى دون الرجوع اللازم اى فان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اى الى المنافقين من المتخلفين
فى المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقى من المنافقين المتخلفين بان ذهب
بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستأذن البعض عن قتادة انهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم
ما قيل فاستأذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان

الغزاة وابعادا لمحلهم من محفل صحبتك لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا من الاعداء وهو اخبار
فى معنى النهى للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اى لانكم رضيتم بالقعود اى عن الغزو وفرحتم
بذلك اول مرة هى غزوة تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم
من الرضى بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اى المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف
دائما وقرئ الخلفين على القصر وكان محوا اساميهم عن دفتر المجاهدين ولزهم فى قرن الخالفين عقوبة لهم اى
عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا
يقول هى كبرى امرأة او اولى مرة ولا تصل على احد منهم مات صفة لاحد وانما جئ بصيغة الماضى
بناء على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهى اى لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره
اى لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روى انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين و
يدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابى بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما
دخل عليه قال عليه السلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتؤنبنى
وسأله ان يكفنه فى شعاره الذى يلى جلده ويصلى عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عليه السلام
تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلوة او صلى نزلت وعن عمر رضى الله عنه
انه قال لما هلك عبد الله بن ابى ووضعناه ليصلى عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلى على
عدو الله القائل يوم كذا كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه السلام و
صلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل الخ فما صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه السلام لان
الضنة بالقميص كانت مظنة الاخلال بالكرم على انه كان مكافاة لقميصه الذى كان البسه العباس رضى الله عنه
حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهى على معنى ان الاستغفار للميت و
الوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل فى حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله وبرسوله
مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اى متمردون فى الكفر خارجون عن حدوده كما بين من معنى الفسق
ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا
فى حق فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال فى امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم
مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الاباء
والامهات والاولاد فى كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده فى ضيق ونكال و
اما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع و
اما لانها اقدم فى الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سيأتى فى سورة الكهف
انما يريد الله بما متعهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها فى الدنيا بسبب معاناتهم المشاق
ومكابدتهم الشدائد فى شأنها وتزهق انفسهم وهم كافرون اى فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها
والالتهاء عن النظر والتدبر فى العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان
آمنوا بالله ان مفسرة لما فى الانزال من معنى القول والوحى او مصدرية حذف عنها الجار اى بان آمنوا و
جاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استأذنك اولوا الطول منهم اى ذوو الفضل والسعة
والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيرى لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه يعنى

القعود ذرنا نكن مع القاعدين اى الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استيناف لبيان سوء
صنيعهم وعدم امتثالهم بكلا الامرين وان لم يرد والاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتى
شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم بسبب
ذلك لا يفقهون ما فى الايمان بالله وطاعته فى اوامره ونواهيه واتباع رسوله عليه السلام والجهاد
من السعادة وما فى اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه بالله وبما جاء من عنده تعالى
وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله فى شىء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد باستيذانهم
فى القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء عن الغزو وقد نهد اليه ونهض له من هو
خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا
بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المزبورة
الخيرات اى منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى العقبى وقيل الحور لقوله عز
قائلا فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة بتخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اى الفائزون بالمطلوب
لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشانهم وربا لمكانهم اعد الله لهم
استيناف لبيان كونهم مفلحين اى هيأ لهم فى الآخرة جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات
المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن
لهم شروع فى بيان احوال منافقى الاعراب اثر بيان منافقى اهل المدينة والمعذرون من عذر فى الامر اذا
قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام
التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرى المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد
فى العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا لجهدا فاذن لنا فى التخلف
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طىء على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام
سيغنينى الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا
بالكذب وقرى المعذّرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم
فى العين ادغامها فى الطاء والزاء والصاد فى المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون
بالصحة وبه فسر المعذرون والمعتذرون اى الذين لم يفرطوا فى العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا واظهروا انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان
والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اى من الاعراب او من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله
لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر فى الدنيا والنار فى الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبنى عذرة حرج
اثم فى التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما فى السر والعلن
وتوليهما فى السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه ما على المحسنين
من سبيل استيناف مقرر لمضمون ما سبق اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة
للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله فى سلك المحسنين او
تعليل لنفى الحرج عنهم اى ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل

مؤيد لمضمون ما ذكر مشير الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سياتى انما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤون
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله
ابن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة
والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلوة والسلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل
وسويد ونعمان وقيل ابو موسى الاشعرى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف فى اتوك
باضمار قد وما عامة لما سالوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة وفى ايثار لا اجد على ليس عندى من
تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عليه السلام يطلب ما يسالونه على الاستمرار فلا
يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اى تسيل بشدة من الدمع اى دمعا فان من البيانية
مع مجرورها فى حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادتها ان العين بعينها صارت
دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه
ما قبله اى يحزن حزنا فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا او حزنين او يحزنون حزنا فيكون
هذه الجملة حالا من الضمير فى تفيض الا يجدوا على حذف لام متعلقه بحزنا او بتفيض اى لئلا يجدوا
ما ينفقون فى شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين
يستاذنونك فى التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استيناف
تعليلى لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين
شانهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم اى خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب
ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا كما لم يعلموا بخسة شانه عاجلا
يعتذرون اليكم استيناف لبيان ما يتصدون له عند القفول اليهم روى انهم كانوا بضعة و
ثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام اليهم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط اى
يعتذرون اليكم فى التخلف اذا رجعتم من الغزو منتهين اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا
بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع
اليها قل تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لاصحابه ايضا لما
ان الجواب وظيفته عليه السلام واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين شمول الرجوع اليهم للكل لا
تعتذروا اى لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير
واما التعرض لعنوان كذبها فلا يساعده قوله تعالى لن نؤمن لكم اى لن نصدقكم فى ذلك ابدا فانه
استيناف تعليلى للنهى مبنى على سؤال من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق فى الاعتذار كانهم قالوا لم
لا نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبانا
الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اى اعلمنا بالوحى بعض اخباركم المنافية للتصديق مما اشرتموه
من الشر والفساد واضمرتموه فى ضمائركم وهيأتموه للابراز فى معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع
ضمير المتكلم فى الموضعين للمبالغة فى حسم اطماعهم من التصديق راسا ببيان عدم رواج اعتذارهم عند
احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم فى تصديق الرسول ايضا صلى الله عليه وسلم

بواسطة المصدقين وللايذان بافضاحهم بين المومنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سياتي اتتوبون اليه تعالى
مما انتم فيه من النفاق ام تستمرون وكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على
فاعله من قوله تعالى ورسوله للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار
الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون يوم القيمة الى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم
من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة و
الباطنة واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم اليه ووقوفكم
بين يديه بما كنتم تعملون اى بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة و
اللاحقة على ان ما موصولة والعايد اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة
بذلك المجازاة به واثيارها عليها بالمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبانا الله الخ فان المنبا به الاخبار
المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ سيحلفون
بالله لكم تاكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتقريرا لها والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام
وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون او بيان له اذا انقلبتم اى انصرفتم من الغزو
اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد
حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى لا تعتذروا الخ بل هو امر
مبتدأ لتعرضوا عنهم وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا
عنهم فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض رضا كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله
عز وجل انهم رجس فانه صريح في ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني
واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهولاء ارجاس لا تقبل
التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا ومأواهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار
من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اى و
كفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تكلفوا انتم في ذلك جزاء نصب على انه مصدر موكد لفعل مقدر من لفظه وقع
حالا اى يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل يجزون جزاء بما
كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر
المحلوف به لظهوره اى يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم
فان ترضوا عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان
رضاكم عنهم لا يجدي بهم نفعا لان الله ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللايذان بشمول الحكم لمن
شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه واكده
فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان
رضى المومنين من دواعي رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين
منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمومنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد
الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب هي صيغة جمع وليست جمع العرب قال سيبويه لئلا
يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي ام القرى واما الاعراب

الرابع والثلثون

فلا يطلق الا على من يسكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه فقيل اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي و
جمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي ويجمع
على الاعراب والاعاريب اى اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأ
في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كما في قوله تعالى وكان الانسان
كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا واجدر ان لا يعلموا اى احق واخلق بان لا يعلموا حدود ما انزل
الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من
الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم باحوال كل من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم
ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الاعراب شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى الفريقين وعلم انحصارهم
في الفريق المذكور كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هولاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان
تماديهم فيهما وحمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون من يحكى حاله بعضا منهم وهم الذين بصدد
الانفاق من اهل النفاق دون فقرائهم او اعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى
ومن الاعراب من يؤمن الخ فان اولئك ليسوا من هولاء قطعا وانما هم من الجنس اى ومن جنس الاعراب الذي
نعت بنعت بعض افراده من يتخذ ما ينفقون من المال اى يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة
مغرما اى غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وانما
ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار
غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل الدائرة
ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اى ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب
غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمومنين على نهج الاعتراض
كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه
الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت
في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي
معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتاكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا راسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة
والله سميع بما يقولون عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها
ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الاعراب اى من جنسهم على الاطلاق من
يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ اى يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار ما ينفق اى ما ينفقه في سبيل
الله تعالى قربات اى ذرائع اليها وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع
باعتبار انواع القربات او افرادها وهو ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ و
صلوات الرسول اى وسائل اليها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم
ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم
حين قال اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان
بالله واليوم الاخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شان اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا
وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به
وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم

من سياق النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم
والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة
عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على
بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرايعها وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته
وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب
الدعاء والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج
الاستيناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار
وجهينة وروى ابو هريرة انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله
يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضايل
اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين
اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا
سبعين رجلا والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة ومصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون
والذين اتبعوهم باحسان اي ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين
من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين
والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدا اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم و
رضوا عنه بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا واعد لهم في الاخرة جنات تجري تحتها
الانهار وقرئ من تحتها كما في ساير المواقع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز
وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني
الاعراب وممن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد
بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا
نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق
اما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدا
المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدا خبره من اهل
المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على
النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه غير ان
مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر فالتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير
خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب
المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شانه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم
انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والسوق في مراعاة
التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في
كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه
من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم
بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عليه السلام بعد مجيء هذا البيان على انه عليه السلام يعلم انهم منافقين

لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم
في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا تخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان
الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز شانه
سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتاكيد مرتين عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج
يا فلان فانك منافق فاخرج اناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني عذاب القبر او الاول
هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها
بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه و
يجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى ثم يردون
يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة
حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا فان
الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت
طبقات عذابهم واخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون
اي ومنهم يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم اخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار
الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر
عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير
فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب ديدنهم المالوف وهم رهط من المتخلفين الذين اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى
ركعتين حسب عادته الكريمة فراهم كذلك فسال عن شانهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم
فقال عليه السلام وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من
الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه
المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن بتواردهما
المتخالطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى واخر سيئا كان قولك
خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط
بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والاخر بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة
على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الاخر مرة بعد اخرى والمراد
بالعمل السيء ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا واخرا وعن الكلبي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم
بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم
بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما تفيده كلمة عسى
من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي
انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت
ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مامورا بها ولما روي انه عليه السلام اخذ
منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه

قوله عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ
بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والعايد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم
من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او
في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في
تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا
جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا
وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتدا لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم
بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن
نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم و
الله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم
لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما يقتضيه الحكمة والجملة ح
تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الايتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء
والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين
لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسند الاخذ والتطهير والتزكية
اليه عليه السلام اي الم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين
فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينبئ عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر
للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات
اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا
اوليا اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بهما من التطهير والتزكية وان كانت
المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شان النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة
تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا ان المختص المستاثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة و
الرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشان دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا ليسد كل واحدة منهما مسد
مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا للتائبين على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا
بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا اما للتائبين من الخصال الداعية
الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة
والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللاولين في
الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعد ما بان لهم شان التوبة اعملوا ما تشاؤن من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير
وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا فسيرى الله عملكم اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب
والترهيب والسين للتاكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتاخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين
من التفاوت والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا
ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر
ظاهر وان اريد بها ما لها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل و

الاعزاز

الاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون اي بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة في وضع
الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة
خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة
والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم ح لتحقيق ان
نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه واكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه
كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم
بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما للايذان بان رتبة السر
متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب
فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي
هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء
بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد واخرون عطف على اخرون قبله اي ومن المتخلفين
من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم اخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجؤن من
ارجيته وارجاته اي اخرته ومنه المرجية الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شانهم قال ابن
عباس رحمه الله هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل
ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فهجروهم والناس
في شانهم على اختلاف فمن قايل هلكوا ومن قايل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى اما
يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من
المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي
منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل اخرون مبتدا ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله
عليم باحوالهم حكيم فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا
مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا
اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر موكد لفعل مقدر
منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي
مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ياتيهم فصلى بهم في مسجدهم فلما فعله عليه الصلوة والسلام حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني
مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام
وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ
ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وات
بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه

وسلم انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه عليه السلام
اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا عليه السلام بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى
هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر
الفاسق بالشام بقنسرين وكفرا تقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في
مسجد قباء مجتمعين مغتصا بهم فارادوا ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم وارصادا اعدادا او انتظارا وترقبا
لمن حارب الله ورسوله وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قبل متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او
بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الحسنى
الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى والله يشهد انهم
لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلوة فيه في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه ابدا لمسجد اسس
اي بنى اصله على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ايام مقامه بقباء وهي
يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وعن ابي سعيد رضي الله عنه انه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فأخذ
حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام اما للابتداء او للقسم المحذوف اي
والله لمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتداء وما بعده صفته وقوله تعالى من اول يوم اي من ايام تاسيسه
متعلق باسس وقوله تعالى احق ان تقوم فيه اي للصلوة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى فيه رجال
جملة مستانفة مبينة لاحقيته لقيامه عليه السلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل
او صفة اخرى للمبتداء او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد
بكونه احق كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار اصلا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه
او الافضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني ومن يشايعه في الاعتقاد وهو الانسب بما
سيأتي يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة طلبا لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون
عليها والله يحب المطهرين اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون
انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام
أترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم
قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم
فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون
الماء اثر البول وعن الحسن رضي الله عنه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة
لذنوبهم فحموا عن آخرهم افمن اسس بنيانه على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول
والرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس واساس جمع اس وقرئ اساس بنيانه جمع اس ايضا واس
بنيانه وهي جملة مستانفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء
للعطف على مقدر اي ابعد ما علم حالهم من اسس بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان اي على قاعدة محكمة

هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل او ترك
وقرئ تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التانيث خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف
البنيانين ذاتا اختلافهما وصفا واضافة على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير وجرف الوادي ما جرفه السيل
اي استاصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام والهار الهاير المتصدع المشرف على السقوط من هار يهور
ويهار او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا اي بغير موجب
فجرى وجوه الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس
بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار
ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة
ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين اي لانفسهم او الواضعين
للاشياء في غير مواضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على
ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به
المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعلهم للايذان بكيفية بنائهم له وتاسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس
وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة وشك في
الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه
ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما
سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم
من الشر وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهي اعتقادهم بخفاء
امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا امرهم بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين
وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة
حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع
من التفعل بحذف احدى التائين اي الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية
ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم
ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت سالمة فالريبة
باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او
في القبور او في النار وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى
الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ
الى ان تقطع قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى
قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان
يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر
من احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من جملتها امره الوارد في حقهم ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه وقد بولغ في ذلك
على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى

وأثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذى هو العمدة والمقصد
فى العقد انفس المومنين واموالهم والثمن الذى هو الوسيلة فى الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان
يقال ان الله باع الجنة من المومنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد فى العقد هو الجنة وما بذله المومنون
فى مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل
بان لهم الجنة مبالغة فى تقرير وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة
بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المومنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى
وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف
الوعد بها فليس بشىء لان مناط دلالة ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك
بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التى يستحيل وجودها فى الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة
الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون فى سبيل الله استيناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس
الاشترى لان قتالهم فى سبيل الله تعالى ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهما فى
ذلك بل لبيان البيع الذى يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل
يقاتلون فى سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالى
فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال فى سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل فى سبيله باذل لها وان كانت
سالمة غانمة فان الاسناد فى الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما
البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او واحد منهما منهم او من
بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجد المضاربة ولم يوجد القتل من احد
الجانبين ولم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة
القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما فى كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس و
قرئ بتقديم المبنى للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة فى الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت فى سبيل
الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل فى حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا
اذا نيلوا لا يقطع الطعن الا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل فى يقاتلون الخ معنى الامر كما
فى قوله تعالى تجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر موكد لما يدل عليه كون الثمن
موجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تعالى فى التوراة والانجيل والقران
متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اى وعدا مثبتا فى التوراة والانجيل كما هو مثبت فى القران ومن اوفى
بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة فى كونه سبحانه اوفى بالعهد
من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق
الغنى عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير
تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم
من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات
الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين
فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله فاذا كان كذلك
فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبا

ر ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم فى الجهاد الذى عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لان ذلك
من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذى بايعتم به لزيادة
تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفانى بالباقى ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى
عن الحسن رضى الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روى ان الانصار لما بايعوه عليه السلام على العقبة
قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عليه السلام اشترط لربى ان
تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا فما لنا قال
لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقراها فقال
كلام من قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد و
ذلك اى الجنة التى جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذى لا فوز
اعظم منه وما فى ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته فى الكمال ويجوز ان
يكون ذلك اشارة الى البيع الذى امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا
فى نفسه فالجملة على الاول تذييل للاية الكريمة وعلى الثانى لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه التائبون
رفع على المدح اى هم التائبون يعنى المومنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز
ان يكون مجرورا على انه صفة للمومنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اى التائبون من اهل
الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون
وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اى المخلصون
فى عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام
سياحة امتى الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوسل بها الى العثور على
خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون فى الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون فى الصلوة
الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصى والعطف فيه للدلالة
على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وعينه من
الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه باحد الوجهين وبشر المومنين اى
الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المومنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المومن
الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفى تخصيص الخطاب بالاولين اظهار
زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية ما كان للنبى والذين امنوا بالله وحده اى ما صح لهم فى
حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اى المشركين
اولى قربى اى ذوى قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى
قبلها محذوفة حذفا مطردا كما بين فى قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روى انه عليه السلام قال لعمه
ابو طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك
ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استاذنت
ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستاذنته فى الاستغفار لها فلم ياذن لى وانزل على الايتين من بعد ما
تبين لهم اى للنبى عليه السلام والمومنين انهم اى المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر
او نزل الوحى بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله واغفر لابى بان توفقه

الايمان وتهديه اليه كما لوح به بتعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع
ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن
موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اى لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه ناشيا عن شيء من الاشياء
الا عن موعدة وعدها ابراهيم عليه السلام اياه اى اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله
سأستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل وما كان
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اى لابراهيم
بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه
عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اى تنزه عن الاستغفار له وتجانب
كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره ان ابراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال
الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى
ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابراهيم عليه السلام كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما
صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتسي به في ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد
التبين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر
اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الائتساء به في قوله تعالى الا
قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اى
ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين
لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اى ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه
واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به ففيه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل
ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق
اى انه تعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم
ذلك كما فعل هنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم
رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصرة ولا ولاية الا منه
تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبي قال ابن
عباس رضي الله عنه هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو في حق
ثلاث سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج
اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم
يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره في ساعة العسرة اى في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة
تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر
المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة
ليشربوا الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ
ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه
وسلم في مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها

فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة و
بلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد
ضمير الشأن او ضمير القوم الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ بتأنيث الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق
منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم
من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤوف رحيم استيناف تعليلي
فان صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال
المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا اى وتاب الله على الثلثة
الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شأنهم
بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا اى خلفوا
الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب
لان قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخليف لا يناسبه الا المعنى الاول اى خلفوا واخر
امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن
مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كأنه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم
اذ رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجأ
من الله الا اليه اى علموا ان لا ملجأ من سخطه تعالى الا الى استغفاره ثم تاب عليهم اى وفقهم للتوبة
ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى
ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت
الرحيم المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لافانين العقاب روي ان اناسا من المؤمنين
تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام عن الحسن انه
قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلالك وانتظار
ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك
فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق به عليه السلام
قال الحسن رضي الله عنه كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري
ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال عليه السلام
لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده
ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له
الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح
فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال عليه السلام كن ابا خيثمة
فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه السلام منهم الثلاثة قال
كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف
كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه قال عليه السلام ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن
كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل

لسانا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا
وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست
ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد
الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية
وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه
كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا
وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون وتذرون فيدخل فيه المعاملة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم
او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شأن من الشئون فيدخل ما ذكر وتوبتهم وانابتهم فيكون المراد بهم
هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين
والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح
وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن
رسول الله عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال
والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب
المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ما
ولا مخمصة اي مجاعة ما الا ما يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظماء والنصب اليسيرين حين
لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه اولى فلا حاجة الى تأكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان يراد بها
تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظماء اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر
وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا حينئذ ليس لتأكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد
منها بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار اي لا
يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يداس ولا ينالون من
عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا ينال من قبلهم الا كتب لهم به
اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل
ونيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان
كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين
اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم
من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية المأخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا
ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار
ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتأكيد
النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اي لا يتجاوزون في مسيرهم واديا وهو في الاصل كل منفرج من الجبال
والآكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم

اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن
جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا
جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر
من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة
ليتفقهوا في الدين اي يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا
غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر
لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة و
الاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو دين ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون
ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر
من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم
يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى
النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم
يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذروا
البواقي من قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته
فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل
الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم
غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان
الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص
على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس
وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله
تعالى ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من سور القرآن فمنهم اي من المنافقين من يقول
لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه
السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادت زادته هذه الخ وايراد الزيادة
مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاما الذين آمنوا جواب من جهته سبحانه وتع
وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم
ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بها
بايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية
واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها
مضموما الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك
الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي الا ينظرون

ولا يرون انهم اى المنافقين يفتنون فى كل عام من الاعوام مرة او مرتين والمراد مجرد التكثير لا بيان
الوقوع حسب العدد المزبور اى يبتلون باقانين البليات من المرض والشدة مما يذكر الذنوب والوقوف
بين يدى رب العزة فيؤدى الى الايمان به تعالى او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون
ما ينزل عليه من الايات لا سيما القوارع الزايدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم
لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى وهم لا يذكرون والمعنى
اولا يرون افتنانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك
الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجيب اى الا تنظرون ولا
ترون احوالهم العجيبة التى هى افتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون
وما عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم فى محفل
تبليغ الوحى كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون
انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم هل يراكم من احد اى قائلين هل يراكم احد من المسلمين
لينصرفوا فظهر انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون
فى تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث
المخاطبين على الجد فى انتهاز الفرصة فان المرء بشأنه اكثر اهتماما منه بشأن اصحابه كما فى قوله تعالى وليتلطف
ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة فى عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر
بعضهم والتراخى باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اى انصرفوا جميعا
عن محفل الوحى خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اى عن الايمان حسب انصرافهم عن
المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم اى بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم او لعدم
التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اى رسول رسول عظيم الشأن من انفسكم من جنسكم
عربى قرشى مثلكم وقرئ بفتح الفاء اى اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اى شاق شديد عليه
عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتائج ما سلف
من المجانسة حريص عليكم فى ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم
قدم الابلغ منهما وهى الرأفة التى هى عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا تلوين
للخطاب وتوجيه له الى النبى صلى الله عليه وسلم تسلية له اى ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبى
الله فانه يكفيك ويعينك عليهم لا اله الا هو استيناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت
فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم اى الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذى
تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبى صلى الله
عليه وسلم ما نزل القران على الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد
فانهما انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهما السلام



الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين

بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من
الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذه السورة مسماة
بالر وهو اظهر من الرفع على الابتدا لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه
على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده
صارت فى حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة
تلك اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التى هى الحروف
المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير
كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما فى
اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها فى الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره قوله عز وجل
ايات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمعنى هى ايات مخصوصة منه
مترجمة باسم مستقل والمقصود بيان بعضيتها منه ووصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة و
الصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القران العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه فى
علم الله عز وعلا او فى اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت
مسماة بهذا الاسم وبام القران فى عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصى اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل
من الكتاب والقران باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القران النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك
فانه كما يطلق على المجموع الشخصى يطلق على مجموع ما نزل فى كل عصر الا يرى الى ما روى عن جابر رضى الله عنه
انه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد فى ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقران
فاذا اشير له الى احدهما قدمه فى اللحد فان ما يفهمه الناس من القران فى ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت
فيه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصى فى علم الله سبحانه او فى اللوح ولا
لنزوله جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذى الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها
او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم
الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما فى ضمنها من الاى فانها فى
حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغى ان يكون
المشار اليه حينئذ كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص
الوصف بالمضاف اليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولا ان فى بيان
اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس فى بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق
وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيها والمعهود المشهور
وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما
اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القران الكريم اذ لولا ان بعضه
منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس
عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه فى غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم
باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له فى قوله عز وجل قال الكافرون الخ لتحقيق
ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب فى زعمهم ثم تبيين خطائهم

واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على
التوسع المشهور في الظروف وقيل بالصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل
متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث **ان اوحينا** اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما
بشانه لكونه مدارا للانكار والتعجب وتشويقا الى الموخر ولان في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الاصل نوع
اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان
مع الفعل في تاويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والمختار ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقة بعجب
على حذف حرف التعليل اي احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على
توجيه الانكار والتعجب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه
اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم
ما لا يخفى **الى رجل منهم** اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افنائهم من
حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور
البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما
قال سبحانه قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر
فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم
مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم
الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المويدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني
ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثاني فلما ان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في
الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل العلية وحيازة الملكات
السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه صلى الله عليه وسلم في ذلك الشان في غاية الغايات
القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنية فلا
دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى
الكافر منها شربة ماء **ان انذر الناس** ان مصدرية يجوز ان يكون صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك
وذلك لان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فصح وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل
فيجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون
الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل لا لقصور في دلالة الانشاء
على المصدر او مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة من الثقيلة على حذف ضمير الشان
والقول من الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول وهو النكتة
في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق **وبشر الذين**
امنوا بما اوحيناه وصدقوه **ان لهم** اي بان لهم **قدم صدق** اي سابقة ومنزلة رفيعة **عند**
ربهم وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها
تعطى بها وقيل مقام صدق والوجدان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة
على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق
لا ينفك عن الصدق **قال الكافرون** هم المتعجبون وايرادهم ههنا بعنوان الكفر مما لا حاجة الى ذكر سببه

وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار او لكونه استئنافا مبنيا على السوال
كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة
التوكيد **ان هذا** يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران الحكيم المنطوي على الانذار
والتبشير **لسحر مبين** اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ
ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب
خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج وداب المفحم
المحجوج **ان ربكم** كلام مستانف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة
غب الاشارة اليه بالانكار والتعجب وتحقيق حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي
على بعض ما يدل عليها من شئون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها بادنى
تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
لله قل فانى توفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله تعالى ومن يدبر الامر فسيقولون
الله اي ان ربكم ومالك امركم الذي تعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون
ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو **الله الذي خلق السموات والارض** وما فيهما من اصول الكائنات
في ستة ايام اي في ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن
زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة
التامة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التاني في الاحوال والاطوار
واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استاثر بعلمه ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته
وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الاثار و
الاحكام **ثم استوى على العرش** العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه
بسرير الملك فان الامور والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه
او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى على
العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة
شانه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام **يدبر الامر** التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها
لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات
والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى وانحاء لا تكاد تحصى من
المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات اي يقدر ما ذكر من امر الكائنات
الذي ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي فرد من جملته وشعبة من دوحته ويهيئ اسباب كل منها حدوثا
وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة ويستدعيه
المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونه خبرا ثانيا لان او مستانفة لا
محل لها من الاعراب مبنية على سوال نشا من ذكر الاستواء على العرش المنبي عن اجراء احكام الملك وعلى كل
حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز وجل **ما من شفيع** بيان لاستبداده
سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية
يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله تعالى يدبر الامر

جار بجري قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى الا
من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه
المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تع
يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله
سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من نعوت
الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية الله وقوله تعالى ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان
لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربهم الله الذي خلق السموات والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة
في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تعالى فاعبدوه اي وحده من غير ان تشركوا به شيئا
من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وامنوا بما انزله اليكم افلا تذكرون
اي اتعلمون ان الامر كما فصل فلا تذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه
لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا
فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اي اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة
وعد الله مصدر موكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اي
وعد الله وعدا فما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما
انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر اخر موكد لما دل عليه الاول انه يبدأ
الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استيناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية
البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا
بما نصب وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق الخ ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي
اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم
عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد
لجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم
على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام
في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصد
الاصلي من ذلك فهو الاثابة هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى
ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته باثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من
ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه
اشارة اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر
مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى
اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات
ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها
ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم

ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو
لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر نورا الكلام فيه
كالكلام في الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره
مستفاد من الشمس وقدره اي قدر له وهيأ منازل او قدر مسيره في منازل او قدره ذا
منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله و
تعلق احكامه الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون
منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها
من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان في اخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة
اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم
التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان والبطين والثريا الدبران الهقعة
الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزباني الاكليل
القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرع الدلو
المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت لتعلموا اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين
بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل عدد السنين التي يتعلق بها
غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر و
الايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب
بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة
وتحقيقه ان الحساب احصاء ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة
منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك
من ثلثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعدد مجرد احصاء بتكرير امثاله من
غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص
غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات و
المئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصيل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة تحصل ما
ذكر من المراتب التي لها اسام خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من
حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن
ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر
قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب
بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على
الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي
بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر اخر حسبما
حقق انفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب ما خلق الله ذلك
اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات
ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث

فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل الا بالحق
استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اى ما خلق ذلك ملتبسا بشىء من الاشيا الا ملتبسا بالحق
مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات
المنوط بها امور معاملاتهم وعباداتهم يفصل الايات اى الايات التكوينية المذكورة او جميع الايات
فيدخل فيها الايات المذكورة دخولا اوليا او يفصل الايات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون
العظمة لقوم يعلمون الحكمة فى ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون
ما فى تضاعيف الايات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان فى اختلاف
الليل والنهار تنبيه اخر اجمالى على ما ذكر اى فى تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس
وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او فى تفاوتهما فى انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص
الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او فى اختلافهما
وتفاوتهما بحسب الامكنة اما فى الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالى ايامها الصيفية اطول
ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما فى انفسهما فان كرية الارض تقتضى ان
يكون فى بعض الاوقات فى بعض الاماكن ليلا وفى مقابله نهارا وما خلق الله فى السموات والارض من
اصناف المصنوعات لايات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته
وبالغ حكمته التى من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء
لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعى الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة
فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات ايات دون غيرهم وكاين من اية فى السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات
الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الايات
الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب كما فى قوله عز وعلا
انى ظننت انى ملاق حسابيه واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد
بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعى عدم اعتقاد
وقوع المامول والمخوف اى لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدى اما الى حسن الثواب او الى سوء
العذاب فلا يا ملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا فانه منبئ عن ايثار
الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة ولا يخافون الثانى واليه
اشير بقوله تعالى واطمانوا بها اى سكنوا فيها سكون من لا براح له منها امنين من اعتراء المزعجات غير
مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقى وباللقاء حسن اللقاء اى لا يأملون
حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها وسموا فيها من فنون الكرامات السنية
بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمانوا بها اى سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها
وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء
للايذان بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة
الدنيا فانها منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضى فى الصلتين الاخيرتين للدلالة
على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل فى الاولى للايذان باستمرار عدم الرجا والذين هم عن اياتنا

المفصلة فى صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها او اياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة معها فى
الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمانوا اليه من الحيوة
الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما
يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم
عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى ايذانا بمغايرة الوصف
الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب هذا واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير
الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات راسا والانهماك فى الشهوات بحيث
لا يخطر ببالهم الاخرة اصلا واما لتغاير الفريقين فالمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا
وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل فى الاجل فكلام ناء عن السداد فتامل اولئك الموصوفون
بما ذكر من صفات السوء ماواهم اى مسكنهم ومقرهم الذى لا براح لهم منه النار لا ما اطمانوا
بها من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبية المعدودة وما تستتبعه من
اصناف المعاصى والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار
التجددى والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان فى
قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ ان الذين امنوا اى فعلوا الايمان او امنوا بما يشهد به الايات
التى غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات
اى الاعمال الصالحة فى انفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء يهديهم
ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا بعلة الهداية بايمانهم اى يهديهم
بسبب ايمانهم الى ماواهم ومقصدهم وهى الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس اليها
لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان ماوى الكفرة وما اواهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق
من التلويح والتصريح وفى النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفى فى الوصول الى الجنة
بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصى كافية فى دخول النار ثم انه لا نزاع فى ان المراد
بالايمان الذى جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها
ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان
الخالى عن العمل الصالح يفضى الى الجنة فى الجملة ولا يخلد صاحبه فى النار فان منطوق الاية الكريمة ان
الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك
فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون ينادى بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم
يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا يدخل فى الاهتداء من امن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل
ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجرى من تحتهم الانهار اى من بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه
الانهار تجرى من تحتى او تجرى وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر
ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدى اليه ما يريدونه فى الجنة كما قيل وقيل يهديهم
ويرشدهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب والجنة وجعل قوله تجرى من تحتهم الانهار
جاريا مجرى التفسير والبيان فان التمسك بسبب السعادة فى حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق

البديعة بحسب القوة العملية كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في جنات النعيم
خبر آخر وحال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد بالمهدي اليه اما منازلهم في
الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم وهو مبتداء وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله تعالى
سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول لمقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم
انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولون عند ملاحظتهم ما من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته
ورأفته مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب
العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية المكرمة بالحالة
الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملكة اياهم على الاضافة
الى المفعول كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما
في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة عن كل مكروه واخر دعواهم اي خاتمة
دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى
بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء وان
هي المخففة من ان المثقلة اصله انه الحمد لله بحذف ضمير الشان كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل
وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل
الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع
ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه تعالى ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة
فحمدوه تعالى واثنوا عليه يأباها اضافة الاخر الى دعواهم ويجوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة
كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون الخ ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه و
يحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة ولو يعجل
الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب و
الجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب
تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس
كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله
تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة
على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته
تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم
به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه
لقضي اليهم اجلهم لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة
عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء مع الايذان بتعين الفاعل وقرئ على البناء
للفاعل كما قرئ لقضينا واختار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم
قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء

استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية
ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود او يكون
فردا كاملا من افراده ممتازا عن البقية بامر يخصه كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا
على ربهم وقوله تعالى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرايت امرا هائلا فظيعا
او نحو ذلك وكما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذ ليس الجواب بالاستيصال
فانه فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة بحسن موقعه
في معرض التالي للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر
بل هو اما نفسه او جزء منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية ان لم يعتبر في مفهومه ما ليس في
مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا
له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا او عدما كما في قوله
تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او
جزء من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا او عدما مزيد فائدة وانما الفائدة
في بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا في ترتيب التالي على ارادة المقدم ما ليس في ترتيبه على نفسه من
الدلالة على المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو عطف على مقدر ينبئ عنه الشرطية
كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما يقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء
اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون اي
يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته
للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اي اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة
يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام
بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما اي في جميع
الاحوال مما ذكر ومما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في
جميع احوال مرضه على انه المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقائما لا يستطيع
الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه غب ما دعانا حسبما ينبئ عنه الفاء مر اي مضى واستمر على
طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى
بجانبه كان لم يدعنا اي كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله كان لم يكن بين الحجون
الى الصفا والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مر مشبها بمن لم يدعنا الى ضر
اي الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك
نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة
على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل
مكان انت لا تبخل اي مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اي للموصوفين بما ذكر من الصفات
الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما

خلق له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغي وهي راس مالهم فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا او التزيين اما من جهة الله سبحانه على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث ان في كل منهما املاء للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى ومن الضر المقرر في الاخرى ولقد اهلكنا القرون اي القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن في قوله تعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا اي اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تاييده بالتوكيد القسمي لما ظلموا ظرف للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تاخير وقوله تعالى وجاءتهم رسلهم حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالايات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفا على ظلموا فلا محل له من الاعراب عند سيبويه وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له الخ بل هو محمول على ساير انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان اللام لتاكيد النفي اي وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستيصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في الاجرام وياباه كل الاباء قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم ببت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون اثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعدما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا اثار بعضها فضلا عن ان ينظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه

مفعول به اي اي عمل تعملون خيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا تكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو راي القائل بل تكون مستعارة لمعنى اي شيء واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالايات البينات وغير ذلك كداب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الاتي حسب تجدد التلاوة اياتنا الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الايات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بانيا للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وذما لهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ائت بقران غير هذا اشاروا بهذا الى القران المشتمل على تلك الايات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب اخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء او ما نكرهه من ذم الهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء به قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضايعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما اتي واذر الا ما يوحى الي من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام وهو تعليل لصدر الكلام فان من شان اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبدله بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا السؤال من ان القران كلامه عليه السلام ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره عليه السلام على اتباع الوحي اي اني اخاف ان عصيته تعالى بتعاطي ما ليس من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة ويوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته عليه السلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقران اخر من جهة الوحي وتفسير قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يتسهل لي ان

ابدله بالاستدعاء من جهة الوحى لما اتبع الا ما يوحى الى من غير صنع ما من الاستدعاء وغيره من قبلى
لانه يرده التعليل المذكور لكن لو ان المفسح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعاء
تبديل الايات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة
مما لا ريب فى كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الافتراء مع انها المقصودة بما ذكر فى التعليل الاترى الى ما
بعده من الايتين الكريمتين فانه صريح فى ان مقترحهم الاتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وان زعمهم
فى الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند
الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوا الاتيان به واستحالته عبارة ودلالة وانما صدر بالامر المستقل
مع كونه داخلا تحت الامر السابق لاظهار الكمال الاعتناء بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا
فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيته كما سياتى وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه
ومفعول شاء محذوف ينبى عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فان مفعول المشية انما يحذف اذا وقعت شرطا
وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن فى تعلقها به غرابة كما فى قوله ولو شئت ان ابكى دما لبكيته حيث
لم يحذف لفقدان الشرط الاخير ولان المستلزم للجزاء اعنى عدم تلاوته عليه السلام للقرآن عليهم انما هو
مشيته تعالى له لا مشيته لغير القرآن والمعنى ان الامر كله منوط بمشيته تعالى وليس لى منه شىء قط
ولو شاء عدم تلاوتى له عليكم لا بان شاء عدم تلاوتى له من تلقاء نفسى بل بان لم ينزله على ولم يامرنى
بتلاوته كما ينبى عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اى ولا اعلمكم
به بواسطتى والتالى وهو عدم التلاوة والادراء منتف فينتفى المقدم اعنى مشيته عدم التلاوة ولا
يخفى انها مستلزمة لعدم مشيته التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتما وانتفاء عدم مشيته
التلاوة انما يكون بتحقق مشيته التلاوة فثبت ان تلاوته عليه السلام للقرآن بمشيته تعالى وامره
وانما قيد الادراء بكونه بواسطته عليه السلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذى
هو مشيته عدم تلاوته عليه السلام فلا يجوز نظمه فى سلك الجزاء وفى اسناد عدم الادراء
اليه تعالى ايذان بان لا دخل له عليه السلام فى ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا ادراكم ولا
ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطات وارضات فى اعطيت وارضيت او على انه من الدرء
بمعنى الدفع اى ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرءوننى بالجدال وقرئ ولا انذركم به وقرئ لادراكم
بلام الجواب اى لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولا علمكم به على لسان غيرى على معنى انه الحق الذى لا محيص عنه
لو لم ارسل به انا لارسل به غيرى البتة او على معنى انه تعالى يمن على من يشاء فخصنى بهذه الكرامة
فقد لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيته الله عز وجل وامره حسبما
بين انفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عليه السلام فيما سبق بسبب مشيته تعالى اياه
بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوا منه عليه السلام فى تلك المدة الطويلة من الامور الدالة
على استحالة كون التلاوة من جهته عليه السلام بلا وحى وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان
والمعنى قد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالى طرا وتحيطون
بما لدى خبرا من قبله اى من قبل نزول القرآن لا اتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا
من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع افلا تعقلون اى الا تلاحظون ذلك
فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلى ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من

له عقل سليم والحق الذى لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تامل فى امره صلى الله عليه وسلم وانه
نشا فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء فى شان من الشئون ولا مراجعة اليهم فى فن من
الفنون ولا مخالطة البلغاء فى المفاوضة والحوار ولا خوض معهم فى انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب
بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه
بدائع اصناف العلوم كاشف عن اسرار الغيب من وراء استار الكمون ناطق باخبار ما قد كان وما سيكون
مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمن عليها فى احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه
فى انه وحى منزل من عند الله تعالى هذا هو الذى اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب بناء الجواب
فيما سلف على بحر امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم
واقتصار حاله عليه السلام على اتباع الوحى وامتناع الاستبداد بالراى من غير تعرض هناك ولا ههنا لكون القرآن
فى نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه السلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا
على المطلب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة فى تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه السلام عما يوهم شائبة
صدور الكذب والافتراء عنه فى حق احد كائنا من كان كما ينبى عنه تعقيبه بتظليم المفترى على الله تعالى
والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحى لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة
شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شانه المطرد فى هذا
العهد البعيد مستحيل ان يفترى على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهى الموجبة لسلب
الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحى مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام انكارى معناه الجحد اى لا احد اظلم منه على معنى انه
اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة
ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم
وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه السلام
عليه صريحا مع كونه افتراء على الله تعالى كذب فى نفسه فرب افتراء يكون كذبه فى الاسناد فقط كما اذا اسند
ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه السلام فى التفادى مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه او
كذب باياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم على انه من جهته عليه السلام والفاء
لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بمشيته تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء على الافتراء بالحاق
الولد والشريك اى واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل
بعض اياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك فى شانى وكذلك من كذب باياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم انه
الضمير للشان وقع اسما لان والخبر ما يعقبه من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن
ذكره وفائدة تصديرها به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه
من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن
فكانه قيل ان الشان هذا اى لا يفلح المجرمون اى لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس
المجرمين فيندرج فيه المفترى والمكذب اندراجا اوليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى لهم
نشات عنها جنايتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية عطف قصة على قصة ومن دون
متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اى متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته

بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا للعبادة الاصنام كما يفصح عنه سياق النظم الكريم ما لا يضرهم
ولا ينفعهم اي ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة وتقديم
نفي الضر لان ادنى احكام العبادة دفع الضر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي
هو مظنة الضر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان
اهل الطايف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومنات وهبل واساف ونايلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله عن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة يشفع لي اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل
اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته و
مقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم
وضعوا هذه الاصنام على انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى
عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه
الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر
يشفعون لهم عند الله تعالى قل تبكيتا لهم اتنبئون الله بما لا يعلم اي اتخبرونه بما لا وجود له اصلا
وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله تعالى اذ لولاه لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم و
بما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى في
السموات ولا في الارض حال من العايد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة
سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونهم
شفعاءهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المامور به وعلى الاول هو اعتراض
تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجمعت
عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا
لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار
فمما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك
من عهد ادم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن نوح عليهما السلام وقيل من حين الطوفان
حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم عليه السلم الى ان اظهر عمرو
ابن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الاية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم
من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت اخرون على ما هم عليه فخالف
كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الاخر فان الكلام ليس في ذلك
الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضى بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية
لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث
الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم او بتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة
فانه يوم الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل
وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة
على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار
والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه ارادوا اية من الايات التي اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد

زمن ادريس وقيل الى زمن

ونهاية المكابرة في التمادي والعناد لم يعدوا البينات النازلة عليه عليه السلام من جنس الايات واقترحوا
غيرها مع انه قد انزل عليه من الايات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا
من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فان
الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم
بنزوله من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين
اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن
الصارف عن انزال الايات المقترحة ياباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى واذا اذقنا
الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد
المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الاداب القرانية كما في قوله تعالى واذا مرضت
فهو يشفين ونظايره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا
فطفقوا يطعنون في اياته تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك قوله تعالى اذا لهم
مكر في اياتنا اي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها
كانه قيل فاجؤوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقه بالاستقرار الذي تعلق به اللام قل الله
اسرع مكرا اي اعجل عقوبة اي عذابه اسرع وصولا اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر
لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا وذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون
ما تمكرون اي مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير خاف
على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة
تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان
كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف و
تلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة
فيكون تعليلا لما ذكر او للامر هو الذي يسيركم كلام مستانف مسوق لبيان جناية اخرى لهم
مبنية على ما مر انفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اي يمكنكم من السير
تمكينا مستمرا على الملابسة به وقبلها في البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز
وعلا ثم اذا انتم بشر تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن فان جمع فلك على زنة اسد جمع اسد
لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه ايثار
الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اي السفن بهم بالذين فيها والالتفات
الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم ليعجبهم
منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح وليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان
بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغايب عايد الى ذلك المضاف المقدر كما في
قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة
لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة
اي تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيء الريح اخرى عادة
بل هو اشتداد للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس لان الهبوب على

طريقة الريح اللينة بعد مجيئها بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب
لمجيئها من كل مكان ولان التهويل في بيان استيلائها مما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف
اى ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد يذكر وجاءهم الموج
في الفلك من كل مكان اى من امكنة مجئ الموج عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا
يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم
احيط بهم اى هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك واصله احاطة العدو بالحى او سدت عليهم مسالك الخلاص
دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استيناف مبنى على سؤال ينساق
اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيأ من آلهتهم
لا مخصصين للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له
الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اى قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة
لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول
دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي
قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك
المعروفين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة
على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اى فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا اليه مترامين في ذلك
متجاوزين عما كانوا عليه من حدود العيث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد وزيادة في الارض
للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير
الحق تاكيد لما يفيده البغي او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه
على احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة
ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد
صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه للخطاب
الى اولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه وهو مبتدأ و
قوله تعالى على انفسكم خبره اى عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى
متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيأ غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال
وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستيناف اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل
على انه مصدر وقع موقع الحال اى متمتعين بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا
نفس البغي لانه يؤدى الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وا
خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه
ظرف زمان نحو مقدم الحاج اى زمن متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول للفعل
دل عليه المصدر اى تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر
ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكى عنهم من البغي المفسر
بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاى مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من

الاستقرار وفيه ان العلة لما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اى تبغون
لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة مستانفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به
والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور
وظاهر انه فساد او نحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو نصب
على العلة اى انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن
الحق الذي يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر ثان
او خبر لمبتدا محذوف اى هو متاع الخ كما في قوله عز وجل الا ساعة من نهار بلاغ اى هذا بلاغ فالمراد بانفسهم
على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور
على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم حسبما يقتضيه ما
حكى عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصود الافادة على ان عنوان كونه
وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادى ثبوته للمبتدا كما هو المتبادر من السوق واما كون
البغي على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس وغير
ذلك واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدا اما نفس البغي او الضمير العائد اليه
من حيث هو هو لا من حيث كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعا الحيوة الدنيا
اما نصب متاعا فعلى ما مر واما نصب الحيوة فعلى انه بدل من متاعا بدل اشتمال او قيل على انه مفعول به لمتاعا
اذ لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا
ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه
البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه
وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى ثنتان
يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك
الباغي ثم الينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا
ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر
فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي هو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده
ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشاة من الاعيان و
الاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشاة الاخرة فان المعاصي سموم
قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد
ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
فالبغي في هذه النشاة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث
اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون
وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه
على ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما مثل الحيوة الدنيا كلام مستانف
سيق لبيان شان الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها
العجيبة الشان البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب

اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجاءة وذهابها
حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كان غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت
بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل
كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما يأكل
الناس والانعام من البقول والزروع والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض في
زينتها بما عليها من اصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة المونقة اخذة زخرفها على طريقة التمثيل
بالعروس التي قد اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ
على الاصل وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اي ضرب
زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اي زرعها وسائر ما عليها حصيدا
اي شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم تغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير
الفعل بالامس اي فيما قبل بزمان قريب فان الامس مثل في ذلك كانه قيل لم تغن آنفا كذلك اي
مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات اي الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على
احوال الحيوة الدنيا اي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص
تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات
وتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا واعداما فانها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها
احوال الحيوة الدنيا حالا ومآلا والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة الاخروية الباقية
اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة عن كل مكروه وآفة و
هي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للآفات او الى دار الله تعالى و
تخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم لذكر الدنيا للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله تعالى والملائكة
فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم
موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان
الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا اي اعمالهم اي عملوها على
الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي المثوبة الحسنى وزيادة اي وما يزيد
على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها
الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا
يرهق وجوههم اي لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى
لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منهما
والجملة مستانفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني وان اقتضى الاول الا انه ذكر
اذكارا بما انقذهم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف
اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها
يتمكن عندها فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله

عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون
بلا زوال دائمون بلا انتقال والذين كسبوا السيئات اي الشرك والمعاصي وهو مبتدا بتقدير المضاف
خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها
لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنائي والتباين وايراد الكسب
للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جنايتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول
الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة
على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى
انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية ما
لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون
للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستانفة او حال من ضمير ترهقهم
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل
فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة
او معنى الفعل في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم
كم علينا من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كانما يغشى وجوههم قطع من الليل
مظلم والجملة كما قبلها مستانفة او حال من ضمير ترهقهم اولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات
الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق
والسباق لم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستانف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم
الفظيعة وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق
واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله
ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اي انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين
كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى ثم
نقول للذين اشركوا اي نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤوس الاشهاد افظع
والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما
اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة
سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفا مكانكم نصب
على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو رأي الفارسي اي الزموه حتى
تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم عطف عليه و
قرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه ازيله اي ازلته والتضعيف للتكثير
لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضي للدلالة
على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب
من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي فرقنا بينهم وقطعنا

اقرانهم والوصل التي كانت منهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء
للشياطين كما سيجيء فجاءت امالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من
جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما
عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ
شركائهم منهم ومن عبادتهم كما في قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو حينئذ في
قوله تعالى وقال شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونها عند غيره لا عاطفة كما في التفسير
الاول لاستدعاء المحاورة المحاضرة المنافية للمباعدة وليس في ترتيب التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان
ما في ترتبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة ليصار لاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجي فان المباعدة
بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه
حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لا سيما
مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع مراتبه من المحاورة فمراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه
عليها ويجوز ان تكون حالية على هذا التقدير ايضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن
عبدوه من اولي العلم فيه تأييد لرجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبريهم
من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك
دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الاية وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق كل شيء فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن
عبادتكم لغافلين اي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم
الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين
كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان
واللام فارقة هنالك اي في ذلك المقام الدهش او في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان
للزمان تبلوا اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقية ما اسلفت
من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها من حين الموت
والابتلاء بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي نعاملها
معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد
نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض وقرئ
تتلو اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت
من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل
هنالك تبلو الخ اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي الى جزائه وعقابه مولاهم
ربهم الحق اي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم
الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل
ذلك غير ضال او ضل في اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون
انها آلهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلو وان العدول
الى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على

طريقة

طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير
اليه ولئن اكتفي فيه بالتعريض بعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم
ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص
كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم قل اي لاولئك المشركين
الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك
من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او
من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض
امن يملك السمع والابصار ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على
طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اي
من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما
من ادنى شيء يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي من يحيي ويميت او من ينشئ
الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم
بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخير الله اذ
لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل عند ذلك
تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب اباك لا بمعنى انكار
الوقوع كما في اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا تتقون
انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الالهية فذلكم
فذلكة لما تقدم اي فذلكم الذي اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى الله خبره
وقوله تعالى ربكم اي مالككم ومتولي اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان له وقوله تعالى الحق
صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون الكل
اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي
بعد الحق اي غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة
كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق
الا الضلال الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجميلة
حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها
من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي هذا على تقدير كون الحق عبارة
عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد
الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كانه نفس
الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني فانى تصرفون
استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار
الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال
وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اي كيف تصرفون
من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام

او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذى سمعتم ضلاله وضيلته فى الاخرة وفى ايثار صيغة
المبنى للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه
بالقسر من جهة صارف خارجى كذلك اى كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال
او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا اى تمردوا فى الكفر وخرجوا
من اقصى حدوده انهم لا يومنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب
قل هل من شركائكم احتجاج اخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل
من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بداء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف
على ما قبله ايذانا باستقلاله فى اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت جلية الاعادة
وتحققها لوضوح مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بداء الخلق فنظمت فى سلكه حيث قيل من يبدأ
الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما يستلزم الاعتراف بها وان صدهم عن
ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدأ
الخلق ثم يعيده اى هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عليه السلام عنهم فى ذلك كما قيل لان
القول المامور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه من يبدأ الخلق
ثم يعيده كما فى قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول المامور به عين الجواب
الذى اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم فى ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من
شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا غير نعم امره صلى الله عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحقق
اشعارا بانهم لا يجترؤن على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا وباعادة الجملة فى الجواب
بتمامها غير محذوفة الخبر كما فى الجواب السابق لمزيد التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك الصرف والقلب
عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الراى وهو الانسب بالمقام اى كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر
فى تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج اخر على ما ذكر جيء به الزاما وافحاما اثر الزام وافحام وفصله عما قبله لما ذكر
من الدلالة على استقلاله من يهدى الى الحق اى بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود
لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم واما تعيين طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر كما قيل فمخل بما تقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة
الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية للهداية وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق
ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل قل الله يهدى للحق اى هو يهدى له دون غيره وذلك
بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايا
والكلام فى الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر افمن يهدى الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع
ام من لا يهدى بكسر الهاء اصله يهتدى فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها
لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اى لا يهتدى بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة
ما لا يخفى وانما نفى عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفى الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان من
اهتدى الى الحق لا يخلو عن هدايته غيره فى الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا
يدرى والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم
من القصر ومن عدم الجواب المنبى عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام

الترتيب كما يقع فى بعض المواقع فان ذلك مختص بالانكارى كما فى قوله افمن اتبع رضوان الله الخ ونحوه والهمزة متاخرة
فى الاعتبار وانما تقديمها فى الذكر لاظهار عراقتها فى اقتضاء الصدارة كما هو راى الجمهور حتى لو كان السؤال
بكلمة اى لاخرت حتما الا يرى الى قوله تعالى فاى الفريقين احق بالامن اثر تقديم ما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم
وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدى بمعنى لا يهتدى لمجيئه لازما او لا يهدى غيره وصيغة
التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكى والتقدير افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع ممن
لا يهدى ام من لا يهدى احق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للالزام وان
يتبع فى حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اى بان يتبع الا ان يهدى استثناء
مفرغ من اعم الاحوال اى لا يهتدى او لا يهدى غيره فى حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء
او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا
يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا
مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم اى اى شىء لكم فى اتخاذكم هؤلاء شركاء لله
سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخى وفيه تعجب من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اى بما
يقضى صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين
على ما ظهر من وجوب اتباع الهادى الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر فى حق من يعكس
جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدى بالاتباع دون من يهدى وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك
دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند
الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال
فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ
غير داخل فى حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم والقمهم الحجر من البرهان
النير الموجب لاتباع الهادى الى الحق الناعى عليهم بطلان حكمهم وعدم تاثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم
الى طريق العلم اصلا اى ما يتبع اكثرهم فى معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا واهيا من غير التفات الى
فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية
الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام
فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان
لا يكون لهم فى اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان
بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل
بالنسبة اليهم التاثر من البرهان المذكور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول
لا يقدح فيما يفهم من فحوى الكلام عرفا من كون اولئك اسوأ حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم
والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفى
الداخل على المضارع يفيد استمرار النفى بحسب المقام فالمراد بالاتباع ح هو الاذعان والانقياد والقصر
باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم فى ذلك التلويح بما سيكون
من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سياتى هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم فى اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير
مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم فى قولهم للاصنام انها الهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع

فاما وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق من العلم اليقيني والاعتقاد
الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استيناف لبيان
شان الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم بما
يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة
والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد وما كان
هذا القران شروع في بيان ردهم للقران الكريم اثر بيان ردهم للادلة القطعية العقلية المندرجة في
تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القران المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع
التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اي افتراء
من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود
على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا
ويجوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتدا اي
ولكن هو تصديق الخ وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقايق
والشرايع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان
كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين خبر اخر اي كائنا
من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد
لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الاية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه ام يقولون افتراه اي بل ايقولون افتراه محمد عليه السلام والهمزة لانكار الواقع واستبعاده قل
تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون فاتوا بسورة مثله اي في البلاغة
وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة
وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم
دعاءه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومدارهكم الذين تلجاؤن
الى ارائهم في كل ما تاتون وما تذرون من دون الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء
وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه
لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة
والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم
اليه ان كنتم صادقين اي في اني افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم
عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان
ما قالوا في حق القران العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشانه الجليل فما عبارة عن كله
لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا
الى تكذيبه اثر ذي اثير من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف
انفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان
يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم
به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له

ولما ياتهم تاويله عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم
معانيه الرائقة المنبئة عن علو شانه والتعبير عن ذلك باتيان التاويل للاشعار بان تاويله متوجه الى الاذهان
منساق اليها بنفسه او لم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان
القران معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا
في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان التاويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي
الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه
افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا
واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا واعندوا ذلك ايضا على ما هم عليه او لا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد
عليه بعدم انقطاع الذم وادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم
لم يقولوه بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه
مكية وانما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ وقوله تعالى
كذلك وصف حالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي
الراي والمجازفة من غير تدبر وتامل كذب الذين من قبلهم اي فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من
المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من
قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم
من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل ومنهم
الى اخره وصف لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنوعهم الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة
امتناع الايمان بشيء من غير علمه به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تاويله
وظهور حقيته بعدما سعوا في المعارضة وبذلوا واقوام فيها فما تعالت دونها او بعدما شاهدوا وقوع
ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق
ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير
الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر
المذكور على التفسير الثاني الى انهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق به في نفسه
كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به
اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها
فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التاويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم
الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول
او لا يؤمن به فيما سياتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير
الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا
بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين الباقين
على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين وان كذبوك اي تموا على تكذيبك واصروا عليه
حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي فقل لي عملي ولكم عملكم اي تبرا منهم فقد اعذرت

كقوله تعالى فان عصوك فقل انى برىء والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف
اليهم باعتبار الاتحاد النوعى ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا برىء مما تعملون تاكيد لما
افاده لام الاختصاص من عدم تعدى جزاء العمل الى غير عامله اى لا تؤاخذون بعملى ولا اواخذ بعملكم ولما
فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب
المعنى كما افرد فيما سياتى محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم تو
الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اى ومنهم ناس يستمعون اليك
عند قراءتك القران وتعليمك الشرايع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام انكارية والفاء عا
وليس الجمع بينهما الترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو راى سيبويه والجمهور على ان محل تقديم الهمزة
على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر فى موضعه بل الانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق
العطف على الفعل المذكور لادائه الى اخلال المعنى لانه اما صلة او صفة واياما كان فالعطف عليه يستدعى
دخول المعطوف فى حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب فى فساده بل بطريق العطف
على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك افانت تسمعهم لا انكار الاستماعهم فانه امر
محقق بل انكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا
كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون
اى ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا
اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلايل نبوتك الوا
افانت اى اعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل تهدى العمى تربية لانكار هدايتهم
وابراز الوقوعها فى معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اى ولو ا
الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك هى البصيرة
ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد
انسد عليهم باب الهدى وجواب لو فى الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى افانت تسمع الصم تهدى العمى عليه
وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها فى الفحوى كلتاهما فى موضع الحال من مفعول الفعل السابق
افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدى العمى لو كانوا يبصرون ولو كانوا
لا يبصرون اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها
دلالة واضحة فان الشىء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوى فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق
المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى لو وان الوصليتين من التاكيد وقد تم الكلام فى قوله
تعالى ولو كره الكافرون ونظايره مرارا ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ان ما حكى عنهم من عدم
اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم
موفى المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اى لا ينقصهم شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية و
الدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادى ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر
الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال
بشىء اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تعيين و

وتقرير اى لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل
والكتب انفسهم يظلمون اى ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادى كمالهم وذرايع اهتدائهم وانما
لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه
تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير
الفصل فى قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فى قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما
وقع فى ساير المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية
عليهم على راى من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما فى قوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا ا
من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على راى من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر
الظالمية عليهم للمبالغة فى بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل
والمفعول واشدهما انكارا عند العقل ونفرة لدى الطبع واوجبهما حذرا منه عند كل احد هو المظلو
لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم مستلزم لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد من
الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض
ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفى بالقصر الاول عن الثانى مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار
نفيا واثباتا فان حرف النفى اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفى لا نفى الاستمرار الا
يرى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفى لا نفى الاختصاص وسياق الاية الكريمة لالزام الحجة
ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفى للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم
يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما استمرارا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة
للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم منصوب
وقرئ بالنون على الالتفات اى اذكر لهم او انذرهم يوم نحشرهم كان لم يلبثوا اى كانهم لم يلبثوا الا
من النهار اى شيئا قليلا منه فانها مثل فى غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات
الليل والجملة فى موقع الحال من ضمير المفعول اى يحشرهم مشبهين فى احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث فى
الدنيا ولم يتقلب فى نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بملاذها لا يخلو عن بعض اثار
نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث فى البرزخ الا ذلك
المقدار فايدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان
استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة
بين النشاتين فى الاشكال والصور فان قلة اللبث فى البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فقوله عز
وعلا يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا او على الاول يكون
استينافا اى يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم
حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة و
اعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول
والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم
والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب والجزاء او جنس اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا

في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى وما كانوا
مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء لخسار الهلاك والضلال
اي قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة واما نرينك اصله ان نرك وما
مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اي نبصرنك بان نظهر لك بعض الذي نعدهم
اي وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
او للدلالة على التجدد والاستمرار اي نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي
تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك
فالينا مرجعهم اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او لا فالينا مرجعهم في الدنيا والاخرة
فننجز ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب الشرط الثاني كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وجواب
الاول محذوف لظهوره اي فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التي حكيت
عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق
الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقرئ ثمة اي هنالك و
لكل امة من الامم الخالية رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضي بينهم اي بين كل امة ورسولها
بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمومنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة
من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر و
الايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجالا
لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا للتعيين وقت
مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في انه ياتينا والخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم والمومنين الذين يتلون عليهم الايات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط
محذوف اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف في مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون
اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قيل قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر على شيء منهما
بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة
للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى اني لا املك
شيئا من شئوني ردا او ايرادا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شئونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم
الموعود الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله كائن وجعله على الاتصال على معنى الا ما
شاء الله ان املكه يأباه مقام التبرء عن ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي
بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعل ما عبارة عن بعض الاحوال المعهودة
المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما
شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على افعالي الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الاكل
والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى لكل امة اجل بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما

في القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امرا منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب
الامة اي لكل امة امة ممن قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب
لعذابهم يحل بهم عند حلوله اذا جاء اجلهم ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه
ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير
ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل
امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيد
معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل
امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين
اي اذا جاءها اجلها الخاص بها فلا يستاخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان
فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتاخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع
طلبهم له ولا يستقدمون اي يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم
مع امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفاء التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وتعالى
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون
وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها
الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف وقد جوز ان
ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه
لكن ليس في تقييد عدم الاستيخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستيخار على بيان انتفاء
الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما ما في قوله
تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخير
عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك قل لهم غب ما بينت كيفية جريان سنة الله عز
وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجيء اجله
المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة ارايتم اي اخبروني ان اتاكم عذابه
الذي تستعجلون به بياتا اي وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا اي عند اشتغالكم بمشاغلكم
حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله عز وجل ماذا
يستعجل منه المجرمون جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون
موضوع موضع المضمر لتاكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان
العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى
اي شيء تستعجلون منه سبحانه والشيء لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله
باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه
ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله عز وعلا اتى امر الله فلا
تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وههنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارايت
ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد

الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل أثم اذا ما وقع آمنتم به انكار لايمانهم
بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول
المأمور به اى ابعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكار التأخير
الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك
قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بأرأيتم وجواب الشرط محذوف
اى تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطأه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله
تعالى أثم اذا ما وقع الى آخره والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه آمنتم
به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جئ بكلمة التراخى دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة
على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجئ باذا مؤكدا بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة
للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى آلآن استئناف من جهته
تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اى قيل لهم عند ايمانهم
بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به انكارا للتأخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار
بل ولا للتأمل والتدبر فى شأنه ولا لشئ آخر مما عسى يعد عذرا فى التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب
والاستعجال به على وجه الاستهزاء وقرئ آلآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى
وقد كنتم به تستعجلون اى تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ
والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله
تعالى ثم قيل الخ تأكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل
آلآن للذين ظلموا اى وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها
للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة
ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون
فى الدنيا من اصناف الكفر والمعاصى التى من جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبئونك اى يستخبرونك
فيقولون على طريقة الاستهزاء والانكار أحق هو اى حق خبر قدم على المبتدأ الذى هو الضمير للاهتمام
به ويؤيده قوله تعالى انه لحق او مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة فى موقع النصب بيستنبئونك
وقرئ آلحق هو تعريضا بانه باطل كأنه قيل أهو الحق لا الباطل او اهو الذى سميتموه الحق قل لهم
غير ملتفت الى استهزائهم معضيا عما قصدوا او بانيا للامر على اساس الحكمة اى وربى اى من
حروف الايجاب بمعنى نعم فى القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة ولذلك يوصل
بواوه انه اى العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التأكيد حسب
شدة انكارهم وقوّته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه وما انتم بمعجزين اى بفائتين العذاب
بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستأنف سيق لبيان عجزهم
عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدى على الغير او
غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما فى الارض اى ما فى الدنيا من خزائنها
واموالها ومنافعها قاطبة بما كثرت لافتدت به اى لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى
فداه واسروا اى النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم فى صورة

الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق
ما يتوخى من فرض كون جميع ما فى الارض لكل واحدة من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على
الشخص او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه الندامة على ما فعلوا من الظلم اى اخفوها ولم يظهروها لكن لا
للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما رأوا العذاب اى عند معاينتهم
من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشئ فلما بمعنى حين منصوب
باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسرها رؤساؤهم ممن اضلوهم حياء
منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شئ غير خوف العذاب وقيل اسروا
الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها او لان سر الشئ خالصه حيث يخفى ويضن به ففيه تهكم
بهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم اسر الشئ واشره اذا اظهره حين عيل صبره وفنى تجلده وقضى
بينهم اى اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان
من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به بالقسط
بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدى وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض
لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل
فيه دخولا اوليا وهم اى الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات
ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما فى السموات والارض اى ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما
او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على
جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا
الا ان وعد الله اظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اى
جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذى استعجلوه وما ذكر فى اثناء بيان حاله اندراجا
اوليا او بمعناه المصدرى اى وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الاول ثابت
واقع لا محالة وعلى الثانى مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفى التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق
مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه و
لكن اكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون
ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيى ويميت فى الدنيا من غير دخل لاحد فى ذلك
واليه ترجعون فى الآخرة بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق
واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلى عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء
عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هى والوعظ والعظة
التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من فى قوله تعالى من ربكم
ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اى موعظة كائنة من
ربكم وفى التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين اى كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب
فى الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التى هى شفاء لما فى الصدور من الادواء القلبية
كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد

الى الاستدلال بالدلايل المنصوبة في الافاق والانفس وفي مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات
الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير في الكل
للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامر الناس بان يغتنموا ما
في مجيء القران العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما ما في مجيء القران من
الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام
ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في برحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار
والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء
الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بشيء اخر ثم
ادخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة
فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان
يتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ
فلتفرحوا وقرا ابي فافرحوا وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله
والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون
من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم
اي اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد
بالرزق ما حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر في السماء يحصل هو او ما يتوقف عليه وجودا او بقاء باسباب سماوية
من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين فجعلتم منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام و
حلالا اي وجعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كونه كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الاية
وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر
الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني الله اذن لكم في ذلك
الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره تعالى ام على الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت
لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم ياذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل
دلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيدا للتبكيت اثر تاكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار
وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده همزتها
من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كانه قيل بل اعلى
الله تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول
ما سيلقونه داخل تحت القول المامور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول
من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما افتعلوا
وكونه كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتداء وظن خبرها ومفعولاه محذوفان
وقوله عز وجل يوم القيمة ظرف لنفس الظن اي اي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال
والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف
لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيمة تنزيلا له لما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره في التقرر

والعقوبة المسلم عندهم اي اي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيمة ايحسبون انهم لا يسئلون عن افترائهم او
لا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد العذاب لان معصيتهم
اشد المعاصي ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضي اي اي ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة
الماضي لانه كائن فكانه قد كان ان الله لذو فضل اي عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اي جميعا حيث انعم
عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم
الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا
يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما
يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يلتفتون
اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شان اي في امر من شان
شانه اي قصد تقصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلو منه الضمير للشان والظرف صفة لمصدر محذوف
اي تلاوة كائنة من الشان اذ هي معظم شؤنه عليه السلام او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية
والتي في قوله او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تعالى من قران مزيدة لتاكيد النفي
او ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثاني والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب
اثر تخصيصه بمقتدى الكل وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة و
جلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال
الثلاثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ
تفيضون فيه اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال
السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي
الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه
الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاي من مثقال ذرة
كلمة من مزيدة لتاكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض
ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس في احدهما او متعلقا
بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها
وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس
واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل
الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شيء ما
لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب
بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح
اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المؤمنين
وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما ياتون وما يذرون
واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعد ما اشير الى
فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد
والوعيد وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب

والمراد باولياء الله تعالى خلّص المومنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم
لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب
ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون
على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبة واستقصارا
للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصايص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان
انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس
المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى
ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد
بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من
الانتظام في سلك مقصدهم وجودا او عدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله
عز وجل الذين امنوا اي بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها
عنه من الافعال والتروك وقاية دايمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم
واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستيناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر
لمبتدا محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان
والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف
كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم المدح او على انه وصف مادح للاوليا ولا يقدح في ذلك توسط
الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي التي يفيدها الايمان ايضا
ومرتبة التجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه
بالكلية وهي التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود
والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه عليه الصلوة
والسلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل الخ خلا ان لهم في شان التبتل والتنزه درجات
متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفايضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الالهية
اقصاها ما انتهى اليه همم الانبيا عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم
التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل
الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المويدة بالقوة القدسية فملاك امر الولاية هو التقوى
المذكور فاولياء الله تعالى هم المومنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله تعالى هدايتهم
بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله
برويتهم لما روى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله تعالى فقال
هم الذين اذا رؤوا ذكر الله اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روى
عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا
شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما
اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم
لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن

السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحاب في الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان والتقوى والاثار
الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس وقد اورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا من ذلك حسبما اقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسامعين وغيرهم من الحاضرين فيما اختص بالذكر
هنا من احكامهما فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس
ونحو ذلك والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المومنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم
من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها
ليراعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير
لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء
وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين امنوا وكانوا يتقون
تفسير التوليهم اياه تعالى وقوله عز وعلا لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة تفسيرا لتوليه تعالى
اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المومنين في تحصيلها
والثبات عليها وبشارتهم باثارها ونتايجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار
لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله فلا بمعلوم
لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن اثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية
فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذي يقتضيه
نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم
من شرورهما ومكارههما والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل
لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة
بين حسن حال المومنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط
البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاوليا
مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لانقائهم عما يودي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد
به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والاجلة الغنية عن البيان وايثار
الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في
الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن
والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس
فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المومن هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى
في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمومنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم
هي الرويا الصالحة يراها المومن او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملئكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات
فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والاجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان
صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسايلها مما لا يساعده جلالة شان التنزيل الكريم

لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين
فيدخل فيها البشارات الواردة هٰهنا دخولاً اوليًا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتًا قطعيًا وعلى تقدير
كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتايجها الدنيوية
والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سياتي بطريق الوعد من قوله تعالى
لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين هو الفوز العظيم
الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به
وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والسابقة اعتراض
ولا يحزنك قولهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشية
من مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه
امنًا من كل محذور وفوزًا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له عليه السلام
عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك و
ساير ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن
الحزن لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي له بالمرة وقد توجه النهي الى اللازم والمراد
هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك هٰهنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق
للخوف ايضًا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام في
بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى ان العزة تعليل للنهي على طريقة الاستيناف
اي ان الغلبة والقهر لله جميعًا اي في ملكته وسلطانه لا يملك احد شيئًا منها اصلاً لا هم
ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة البشارات الفايحة
وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك ويعلم
ما يعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي العقلاء من
الملئكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو
طبقتهم اذا كانوا عبيدًا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات اولى
بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم
مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع
ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة
وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الاخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون
ويكون مفعول يتبع محذوفًا لانفهامه من قوله تعالى ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينًا
انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله
شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في
بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدًا له سبحانه
واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيئًا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله
تعالى ما تعبدون الا اسماء سميتموها الخ وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه

قيل واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملئكة والنبيين تقريرًا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخًا
لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن
الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملئكة والنبيون من الحق وان
الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرًا باطلاً
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة
ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته
وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرًا حال ولكم مفعول له
او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية
كما ان العلة الغائية محذوفة اعتمادًا على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلمًا لتسكنوا فيه والنهار
مبصرًا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا راد لفضله لانه يحذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الاخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد
الابصار الى النهار مجازي كالذي في نهاره صايم ان في ذلك اي في جعل كل منهما كما وصف او فيهما
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته لايات اي عجيبة كثيرة
او ايات اخر غير ما ذكر لقوم يسمعون ان هذه الايات المتلوة ونظايرها المنبهة على تلك الايات التكوينية
الامرة بالتامل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الايات بهم مع انها منصوبة لمصلحة
الكل لما انهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر ضرب اخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدًا
اي تبناه سبحانه تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني على الاطلاق
عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل له
ما في السموات وما في الارض اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه و
قوله تعالى ان عندكم من سلطان اي حجة بهذا اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة
ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن في سلطان زايدة لتاكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره
او مرتفع على انه فاعل الظرف لاعتماده على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف
وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات
الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتاكيد ما في قوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون من
التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقايد لا بد
لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب اي في كل امر فيدخل
ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولاً اوليًا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه
ولا يفوزون بمطلوب اصلاً وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم
الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستانف
سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق او في
ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع
يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضًا بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم

اى بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم
المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حيوتهم او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم
ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم
الاعتداد به لسرعة زواله وبغض الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها
وعده كذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدى اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس
ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اى لهم متاع والاية اما مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير
داخلة في الكلام المامور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة على ان النبي صلى الله عليه وسلم
مامور بنقله وحكايته عنه عز وجل واتل عليهم اى على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من
انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح اى
خبره الذى له شأن وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال
ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر
او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم
من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحى وفيه من تقرير ما سبق
من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن عن اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي
صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول للنبأ
او بدل منه بدل اشتمال وايا ما كان فالمراد بعض نبائه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تع
لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اى عظم وشق عليكم مقامى اى نفسى كما يقال فعلته لمكان
فلان اى لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان اى خاف ربه او قيامى ومكثى بين ظهرانيكم
مدة طويلة او قيامى وتذكيرى بايات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة
قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اى دمت على تخصيص التوكل به تعالى
ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء
لترتب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع
العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وايصال قال السدوسى اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه
وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا
واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اى جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل
عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على
طريقة التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اى امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف
اى وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اى فاعزموا على امركم الذى تريدون بي من
السعى في اهلاكى واحتشدوا فيه على اى وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اى مستورا
من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهروننى به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص
بالهرب او نحوه فحيث استحال ذلك في حقى لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم
المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته مكلمة ثم
للتراخى في الرتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة تقرير تقتضيها مقام الامر بالاظهار الذى يستلزم

النهى

النهى عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة
لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخى الزمانى والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكى من
ثقل مقامى وتذكيرى ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى ادوا الى اى
احكموا ذلك الامر الذى تريدون بى ولا تمهلونى كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الى ما هو
حق عليكم عندكم من اهلاكى كما يقضى الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم
على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم
او ابرزوا الى من افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء لترتيب التولى على ما سبق فالمراد به اما
الاستمرار عليه واما احداث التولى المخصوص اى ان اعرضتم عن نصيحتى وتذكيرى اثر ما شاهدتم منى
مخايل صحة ما اقول ودلائلها التى من جملتها دعوتى اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بى من السوء غير مبال
بكم وبما ياتى منكم واحجامكم من الاجابة علما منكم بانى على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم
بمقابلة وعظى وتذكيرى من اجر تؤدونه الى حتى يؤدى ذلك الى توليكم اما لاتهامكم اياى بالطمع
والسؤال واما لثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضرنى توليكم المؤدى الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولى
ببيان عدم ما يصححه والثانى لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائية
لسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في مصحح له ولا ان تومنه
وقوله عز وجل ان اجرى الا على الله منتظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول تاكيد وعلى الثانى تعليل لاستغنائه
عليه السلام عنهم اى ما ثوابى على العظة والتذكير الا عليه تعالى يثيبنى به امنتم او توليتم وامرت ان
اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل ما يصيب من البلاء
في طاعة الله تعالى فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة و
حققوا ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن
معه في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا اى بالطوفان وتاخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا
نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الايات الكريمة لاظهار
كمال العناية بشأن المقدم وتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التى هى من مقتضيات الربوبية
على الغضب الذى هو من مستتبعات جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى
عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اى ارسلنا
من بعده اى من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اى رسلا كراما ذوى
عدد كثير الى قومهم اى الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى قوم ما اى
قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم
يقص فجاؤهم اى جاء كل رسول قومه المخصوصين به بالبينات اى المعجزات الواضحة الدالة
على صدقهم فالواو والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اى
ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتى كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب
اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الاحاد الى الاحاد انما هى فيما بين ضميرى جاؤهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا
بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضى لا لعدم استمرار ايمانهم كما من مثله في هذه السورة الكريمة غير

مرة اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يومنوا بل كان ذلك ممتنعا
منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي اخر حال كل قوم حسب ما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد
بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله عز وجل بما كذبوا
به من قبل تكذيبهم من حين مجئ الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات
كالاول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم
بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب
العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرايع التي جاء بها
كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر
من حين مجئ الرسل الخ وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة
عن اصول الشرايع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها
وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجئ رسلهم انهم ما كانوا في زمن
الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من
بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالتهم
بعد مجئ الرسل كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر
من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يومنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يومنوا
بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب
والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين
فالضماير الثلثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل البا
للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يودي الى مخالفة
الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو راي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير في
ارجاعه الى الحق بادعاء كونه مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك اي مثل ذلك الطبع
المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين
عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم
وتخليتهم وشانهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله
تعالى وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة
على قصة من بعدهم اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون خصت بعثتهما
عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام
مع اقوامهم واوثر في ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شان القصة وعظم وقعها كما في نبا نوح عليه السلام
الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات
ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات باياتنا اي ملتبسين بها وهي الايات المفصلات في
الاعراف فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فاتياهم فبلغاهم الرسالة
فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا ولبثت من عمرك

سنين الخ وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب
العظام فان الاجرام موذن بعظم الذنب ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترءوا على ما اجترءوا عليه من الاستهانة
برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الايات لا يساعده قوله عز وعلا فلما جاءهم الحق
من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجئ الحق الذي سموه
سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عليه السلام من
الايات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة
من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا
وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا وفائق في بابه واضح فيما بين
اضرابه وقرئ لساحر قال موسى استيناف مبني على سوال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال
لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي اتقولون للحق الذي هو ابعد
شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من
غير تامل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه
وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي اتقولون ما انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله
قايل ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول
اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يقال له ابراهيم يذكرهم الخ فيستغنى عن
المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه على الوجهين فقوله عز وجل اسحر هذا انكار مستانف من جهته عليه السلام
لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر
واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا افيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر
الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على ان ليس فيه
شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات
الدالة على كونه اية باهرة من ايات الله المنادية على امتناع كونه سحرا اي اسحر هذا الذي امره واضح مكشوف
وشانه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار
ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل
ولا يفلح الساحرون وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال
جاء الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه
لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المويدين من عند الله
العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل محذور وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال
وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى
صدوره عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبان
به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر
من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه
به الى ما لم يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة
على الاطلاق من وظايف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام

ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من ياتون به من السحرة
واما ثانيا فلان قوله عز وجل قالوا اجئتنا الخ مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان
بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب
كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه استيناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة
قوله تعالى قال موسى الخ حسبما اشير اليه كانه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا
عاجزين عن المحاجة اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان عما وجدنا عليه اباءنا
اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي
شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن
المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا الخ وبين انكاره عليه السلام لما حكى عنهم مصححة لكونه جوابا
عنه وتكون لكما الكبرياء اي الملك او التكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة
في قوله تعالى في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او
بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتما
به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام
واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للاخر واما اللفت والمجئ له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة
اسند الى موسى عليه السلام خاصة وقال فرعون توحيد الفعل لان الامر من وظائف فرعون اي قال
لملائه يامرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر
عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد
حذف ايذانا بسرعة امتثالهم لامر فرعون كما هو شان الفاء الفصيحة في كل مقام اي فاتوا به فلما جاؤا قال
لهم موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكى عنهم في السور الاخر من قولهم اما
ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم ملقون اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف
السحر فلما القوا ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم قال لهم موسى غير
مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدا والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه من ايات الله سبحانه او هو من جنس السحر يبين ان حالهم بين لا يعبا به كانه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان
يجاء به وقرئ آلسحر على الاستفهام فما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر الذي يعرف حاله كل احد
ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتهما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة
اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر
بطلانه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل
فيه السحرة دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار
بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فساده صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبته
ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله
والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله تع
سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين الاخيرين لالقاء الروعة وتربية المهابة
بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام

من السحرة وغيرهم فما امن لموسى معطوف على مقدر قد فصل في موقع اخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف
ما يافكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا
يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون
وما في قوله وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع
عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما امن له عليه السلام بمشاهدة
تلك الايات القاهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الاباء فلم
يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم امنوا
به عليه السلام او مؤمن ال فرعون وامراته اسية وخازنه وامراته وماشطته وهو بعيد على خوف
اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضماير العظماء او لانه
يا باه مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد او لان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر
او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا
من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول لخوف فان اعمال المصدر
المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل
الى فرعون خاصة لانه الامر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن
المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط
الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين منه
يا قوم ان كنتم امنتم بالله اي صدقتم به وباياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم
كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق
بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان
احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم في ذلك
على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة
للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء
على الحق لما اصيبوا او قوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم
وسوء مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي ترتب الدعاء
على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان
تبوا ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون
اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة
يعني الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اي فيها امروا بذلك في اول الامر
لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة
لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم
بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل احد لان بشارة الامة وظيفة
صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير
وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها

وأموالا وأنواعا كثيرة من المال في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الأمر بما
علم بممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت أو للعلة
لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم لما جعلوها ذريعة إلى الضلال فكأنهم
أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للأول تأكيدا أو تنبيها على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة
لقوله تعالى ربنا اطمس على أموالهم الطمس المحق وقرئ بضم الميم أي أهلكها واشدد على قلوبهم
أي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب
للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب
الأليم أي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك إذ ذاك قال قد أجيبت دعوتكما يعني
موسى وهرون عليهما السلام لأنه كان يؤمن كما يشعر به إضافة الرب إلى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة
فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتماه كائن في وقته
لا محالة روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون أي بعادات الله
سبحانه في تعليق الأمور بالحكم والمصالح أو سبيل الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله تعالى
وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضا وجاوزنا ببني
إسرائيل البحر هو من جاوز المكان إذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية أي جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناه
يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوّزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا مما هو بمعنى
التنفيذ نحو ما وقع في قول الأعشى كما جوّز السكي في الباب فيتق وإلا لقيل وجوزنا بني إسرائيل في
البحر ولخلا النظم الكريم عن الإيذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الإلهية لهم عند الجواز كما هو
المشهور في الفرق بين أذهبه وذهب به فأتبعهم يقال تبعه حتى أتبعه إذا كان سبقه
فلحقه أي أدركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا
وعدوا ظلما واعتداء أي باغين وعادين أو للبغي والعدوان وقرئ وعُدُوّا وذلك أن موسى عليه السلام
خرج ببني إسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل إلى الساحل وهم قد خرجوا
من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده أجمعين فلما دخل آخرهم وهمّ أولهم بالخروج غشيهم
من اليم ما غشيهم حتى إذا أدركه الغرق أي لحقه وألجمه قال آمنت أنه أي بأنه والضمير
للشأن وقرئ إنه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل
لم يقل كما قالت السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته إيمان
بني إسرائيل به تعالى للإشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام
معهم في سلك النجاة وأنا من المسلمين أي الذين أسلموا نفوسهم لله أي جعلوها سالمة خالصة له تعالى
وأراد بهم إما بني إسرائيل خاصة وإما الجنس وهو داخلون فيه دخولا أوليا والجملة على الأول
عطف على آمنت وإيثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني يحتمل الحالية أيضا من ضمير
المتكلم أي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا
على القبول المفضي إلى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات وأي ما هو آت وقوله عز وجل
آلآن مقول لقول مقدر معطوف على قال أي فقيل آلآن وهو إلى قوله تعالى آية حكاية لما جرى منه
سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما أظهره بالرد على وجه الإنكار والتوبيخ على تأخيره وتقريعه

بالعصيان والإفساد وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكور وإبراز الخبر المحكي في صورة الإنشاء من الدلالة
على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روي من أن جبريل عليه السلام دس فاه عند
ذلك حال البحر وسده به فإنه تأكيد للرد القولي بالرد الفعلي ولا ينافيه تعليله بمخافة إدراك الرحمة فيما
نقل أنه قال للنبي عليهما السلام فلو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه
الرحمة إذ المراد بها الرحمة الدنيوية أي النجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة إدراكها صحة الإيمان
كما في إيمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور في شأن جبريل عليه السلام من الرضا
بالكفر إذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الإيمان وإن كان ذلك في حالة البأس و
اليأس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق
وحق العامل في الظرف أن يقدر مؤخرا ليتوجه الإنكار والتوبيخ إلى تأخير الإيمان إلى حد يمتنع قبوله فيه أي
آلآن تؤمن حين يئست من الحياة وأيقنت بالممات وقوله عز وعلا وقد عصيت قبل حال من
فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تأخير الإيمان إلى هذا الآن ببيان أنه لم يكن تأخيره لعدم
بلوغ الدعوة إليه ولا للتأمل والتدبر في دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التأخير بل
كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والإفساد فإن قوله تعالى وكنت من المفسدين عطف
على عصيت داخل في حيز الحال أي وكنت من الغالين في الضلال والإضلال عن الإيمان كقوله تعالى الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده
الراجع إلى نفسه والساري إلى غيره من الظلم والتعدي وصد بني إسرائيل عن الإيمان والأول عن عصيانه
الخاص به فاليوم ننجيك أي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير
عنه بالتنجية تلويح بأن مراده بالإيمان هو النجاة كما مر وتهكم به أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك
بنو إسرائيل وقرئ ننجيك من الإنجاء وننحيك بالحاء من التنحية أي نلقيك بناحية الساحل ببدنك
في موضع الحال من ضمير المخاطب أي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له
وحسم لأطماعه بالمرة أو عاريا عن اللباس أو كاملا سويا أو ببدنك وكانت له درع من الذهب يعرف بها
وقرئ بأبدانك أي بأجزاء بدنك كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها لتكون
لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه لا
يهلك حتى روي أنهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحا على ممرهم
من الساحل أو يكون لمن يأتي من بعدك من الأمم إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من
الطغيان أو حجة تدلهم على أن الإنسان وإن بلغ الغاية القصوى من عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان
فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف
أي لتكون لخالقك آية كسائر الآيات فإن إفراده سبحانه إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل على أنه قصد منه
لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وإرادته وهذا الوجه
محتمل على القراءة المشهورة أيضا وفي تعليل تنجيته بما ذكر إيذان بأنها ليست لإعزازه أو لفائدة أخرى عائدة
إليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤوس الأشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في
الأسواق أو يدار برأسه في البلاد واللام الأولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية
أي كائنة لمن خلفك وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون

السابع والثلثين

بها وهو اعتراض تذييلي جي به عند الحكاية تقريرا لفحوى الكلام المحكي ولقد بوأنا بني اسرائيل
كلام مستانف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها
واداء حقوقها اي اسكناهم وانزلناهم بعدما انجيناهم واهلكنا اعداءهم مبوأ صدق اي منزلا
صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها حسبما نطق به
قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها
ورزقناهم من الطيبات اي اللذائذ فما اختلفوا في امور دينهم حتى جاءهم العلم
اي الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التورية وعلمهم باحكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد
ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب
فان كنت في شك اي في شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق
شي بشي من غير تعرض لامكان شي منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظايرهما مما انزلنا اليك من القصص
التي من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار نبوته عليه السلم بشهادة الاحبار حسبما
هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه
او تهييجه عليه السلام وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك عنه عليه السلم
ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسال وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم
الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلم والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع
في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى
حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسال الذين يقرؤن الكتب لقد جاءك الحق الذي لا محيد عنه ولا ريب
في حقيته من ربك وظهر ذلك بالايات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل
عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله من
باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا
يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة فتكون بذلك
من الخاسرين انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع في بيان سر اصرار الكفرة على ما هم عليه
من الكفر والضلال اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشية المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه
بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم الخ لا يؤمنون
ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون
عند معاينة العذاب مثل فرعون باقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل اية
واضحة المدلول مقبولة لدى العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس
بمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك حتى يروا العذاب
الاليم كداب آل فرعون واضرابهم فلولا كانت كلام مستانف لتقرير ما سبق من استحالة الايمان ممن حقت

او

عليهم

عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الاتي بيانا لكون قوم يونس
عليه السلام ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك
اي فهلا كانت قرية من القرى المهلكة امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين
معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها
الا قوم يونس استثناء منقطع اي لكن قوم يونس لما امنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم
الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بعدما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة
في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التخصيص فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما امنت
طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى لما امنوا استينافا
لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم
الى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل
فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة
وقيل قال لهم يونس عليه السلام اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت
خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود
سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء
والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان
والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك اليوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه
فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا
يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا
اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو
شاء ربك لامن من في الارض تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيته
تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشية محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه ايمان
من في الارض من الثقلين لامن كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه
لكنه لم يشأه لكونه مخالفا للحكمة التي عليها بني اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه
يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء
للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل ان ربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين
فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيته تعالى ويجوز ان يكون الفاء لترتيب
الانكار على عدم مشيته تعالى بناء على ان الهمزة متاخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة
كما هو راي الجمهور واياما كان فالمشية على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشية الالجاء
خاصة في انكار الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان
الاكراه امر ممكن لكن الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان يفعل
في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشية كما

اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المومنة لمشيته تعالى وجودا بعد بيان الدوران
الكلي عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تومن ان تومن
الا باذن الله اي بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تومن الا باذن
لان الاستثناء في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه
حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي
علم الله انها لا تومن ليس لها حال تومن فيها حتى يستثنى تلك الحال عن غيرها ويجعل الرجس اي الكفر بقرينة
ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وقيل
هو العذاب او الخذلان المودي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاء اي يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا
يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والايات او لا يعقلون دلايله واحكامه لما على قلوبهم من
الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبايح الكفر والضلال او مقهورين
بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فيأذن لهم بمنح الالطاف
ويجعل الخ قل مخاطبا لاهل مكة بعثا لهم على التدبر في ملكوت السموات والارض وما فيهما من تعاجيب
الايات الانفسية والافاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة انظروا اي تفكروا وقرئ
بنقل حركة الهمزة الى اللام قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجايب صنعه الدالة على
وحدته وكمال قدرته على ان ماذا اجعل بالتركيب اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتداء
خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتداء وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتداء وعلى التقديرين
فالمبتداء والخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع
وقرئ بالتذكير الايات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض والنذر
جمع نذير على انه فعيل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الايات والرسل المنذرون او الانذارات
عن قوم لا يومنون في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كون
ما استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي اغناء تغني الخ فالجملة اعتراضية فهل
ينتظرون اي مشركو اهل مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اي الا يوما مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
من مشركي الامم الماضية اي مثل وقايعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب
لوقايعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي
رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما
اعتراض جي به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا
المرسلة اليهم والذين امنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها
وتاخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظايره
الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين
العامل والمعمول اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل
ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى ننجي المومنين اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل
لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمومنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما الاتباع

فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان
قل لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ
واظهارا لكمال العناية بشان ما بلغ اليهم ان كنتم في شك من ديني الذي اتعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم
تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله
الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما
سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية
كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر او ان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا
ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها
على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي
بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان
بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه
او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا وامرت ان اكون من المومنين بما دل عليه
العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي
والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا
بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان
صلة ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر و
ذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى
وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة
في الدين والاستبداد فيه باداء المامور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم الالتفات
الى اليمين والشمال حنيفا حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين
عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وعلا ولا تدع عطف على قوله تعالى
قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى اخر الايتين
متسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تاكيد النهي المذكور وتفصيل
لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من دون الله
استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته
بسلب المحبوب دفعا او رفعا او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب فان فعلت
اي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها لشانه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه
من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فانك اذا من الظالمين جزاء الشرط
وجواب لسؤال من يسال عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر تقرير لما اورد في حيز الصلة
من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما كان
الا هو وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم
لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية
وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد

لفضله الذي من جملته ما اراده بك من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان
الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه
الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او
بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان بان
الخير مراد بالذات وان الضر انما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولي او اريد
معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام
بان ذكر في احدهما المس وفي الاخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الاخر على انه
قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء
فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان
يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل من يشاء من عباده فان
ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز قايلا وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به الخ مقرر
لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لاولئك الكفرة بعد ما بلغتهم
ما اوحي اليك يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام
التي من جملتها ما مر انفا من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر
فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما في مطاويه فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن
ضل بالكفر به والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة
عن شائبة غرض عايد اليه عليه السلام من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار
بكون ذلك بواسطته وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا
وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما وفي التعبير
عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائي واصبر على ما يعتريك
من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء
في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون الحمد لله سبحانه
على التمام والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله اجمعين



الر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول هو الاظهر كما اشير اليه في سورة
يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما
عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى
كتاب خبره على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية احكمت اياته نظمت نظما
متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او
منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل

او على ثبوت مدلولها لانها فالمراد بالايات جميعها او على حقية ما يشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد
بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع
من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذ وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام ما لا يكاد
يليق بشان الايات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى
ايات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل اية اية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه
في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص
او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها اية اية لا يساعده
المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان
فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تنزل الايات محكمة مفصلة لا انها احكمت او فصلت بعد ان لم
تكن كذلك اذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات
الايات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة واثارا معتدا بها وبملاحظة
مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما من رتبة الاحكام وان حمل جعلها اية اية على معنى
تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في مثابته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام
والاثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني
وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك
وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت اياته ثم فصلت على صيغة التكلم
وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب
وصف بها بعد ما وصف باحكام اياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة
شانه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور او المحذوف او صلة للفعلين وفي بنائهما
للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما
به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على
فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه الا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع
تحقق شرط حذفه اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر
مع ان المصدرية كانه قيل كتاب احكمت اياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله
عز وجل وتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد
وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله
انني لكم منه من جهة الله تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله
تعالى وبشير ابشركم بثوابه ان امنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شؤون الكتاب من احكام اياته
وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى واورد معظم ما نظم في سلك الغاية والامر من التوحيد
وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينيه اعني الاستغفار والتوبة ذكران من نزل عليه ذلك الكتاب
مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في
اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر وايدا يجابه بالخطاب عقب الكتاب مع تلويح بانه كما لا ينحل في نفسه
الانعقاد للحكم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الاخر وعطف وعي في سوق

تقديم الانذار على التبشير لما وقع في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب
اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه ع م
اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله اي الزموه على معنى
اتركوا عبادة الله تركا مستمرا انني لكم من جهة الله نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر
وبشير ابشركم بثوابه على تقدير تركهم له وتوحيدكم ولما سبق اليهم حديث التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول
صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع فيما ذكرها هو من تتمامه على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في
وصف البشير والنذير فقيل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين
فعلى الاول ان مصدرية بجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز
فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى
وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر
والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند
ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على
استغفروا والكلام فيه كالكلام والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا
منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار
او تستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل في اثناء تفصيل الايات لا تعبدوا الا
الله واستغفروا ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشادهم الى طريق الابتهال
في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع وايتاء الفضل بقوله يمتعكم متاعا حسنا اي يمتعكم وانتصابه
على انه مصدر حذف عنه الزوايد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من
الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات
الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو اخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع
اليها مجرى التابيد عادة او لا يهلككم بهلاك الاستيصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله
جزاء فضله اما في الدنيا او في الاخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم
حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا
اكثر مما يمتع اخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء فضله اما
في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الاخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من
البشارة ثم شرع في الانذار فقيل وان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار و
التوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب او لان العذاب قد علق بالتولي عما
ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف
عليكم بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف
بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف
ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط
اكلوا فيه الجيف وايا ما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت
ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج

في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم
وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من
الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعدما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال
ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هناتهم امر
يجب ان يفهم ويتعجب منه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون
على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل
مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز
وجل ليستخفوا منه الجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله
والمومنين على اعراضهم وجعله في كون المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق
اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء ليس
كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم
على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها
كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء الى ان ظهوره
مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق
الذي القي اليهم دخولا اوليا فح يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول
الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكانه
انما كان يصنع ما يصنع لانه لو راه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه
وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني
افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ تثنون
تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلاء وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات
او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت
وقرئ تثنوي بوزن ترعوي الا حين يستغشون ثيابهم اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن
شداد وحين ياوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل
من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون
اي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه
ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه
وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في
قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها
بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما
يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود

كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما
قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقاما
عن اقتضاء التاكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه
وقع الغيبة عنه بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار
ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق
علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق
وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير
عن الضماير بعنوان صاحبيتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع
الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما
يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه
عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها
اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما
جيء به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به
تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها في الاصلاب ومستودعها
موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة
بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشاها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها
فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار
حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها
دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها
المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة
ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع باماكنها
في الممات ولا يلايمه مقام التكفل بارزاقها كل من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين
اي مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما
انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدا فطرتها الى
منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدا خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام السموات في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات و
غير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها
وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام
الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم في
المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة
التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور واما تخصيص
ذلك بالعدد المعين فامر استاثر بعلمه ما تقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات
لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبايع ومتفاوتة الآثار والاحكام وكان عرشه

قبل خلقهما على الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة
فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول حادث في العالم بعد
العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق
بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون
اليه من مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنايع والعبر ما تستدلون
به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب غب
ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم
المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلايل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان
العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني فكذا
الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر
والتفكر في بدايع صنايع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الانفس والآفاق ولا طاعة
بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض
قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه
مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي
عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر
ونظايره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل
للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات
والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرايع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين
وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللايقة واكمل الاساليب الرايقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد
عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما
بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من
الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما
هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا مقرب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى
معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقايضها ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال ليقولن
الذين كفروا ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص
اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر
مبين اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن
كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن
لانبائه عنه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم
في العناد وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلايمه التسمية بالسحر فانه

انما يطلق على شئ موجود ظاهر الا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الاية الكريمة
بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك
ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يلبثون في الرد ويعدون ذلك
من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هذه من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه
قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى
وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرا حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة
الى القائل او الى القران على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى
علك في علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك
ولا تبتوا القول بانكاره او على انه بمجاراة معهم في الكلام على نهج المساهلة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد
ريثما قرع اسماعهم بت القول بخلاف ما الفوا والفوا عليه اباءهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم
الى التامل والتدبر وما ضلوه قاتلهم الله انى يوفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على بعثهم او
العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قتل جبرئيل عليه السلام للمستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة
دون ما يخص بعضهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون الى امة معدودة الى طائفة من
الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل ليقولن ما يحبسه اي اي شئ يمنعه من المجئ فكانه يريده فيمنعه مانع
وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزئون ومرادهم انكار المجئ والحبس
راسا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه الا يوم ياتيهم ذلك ليس مصروفا محبوسا عنهم
على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الاخرة او لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به
عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ
المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه
قد يتقدم المعمول حيث لا يجال لتقدم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان
اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين
عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما
دل عليه ظاهر هذه الاية الكريمة وقول الشاعر فياني ضاير داد الاحاجة وكنت ابيا في الخنا لست اقدم
وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزئون اي العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء
وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته
والتعبير عنهما بالماضي وارد على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة
وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه
اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها انه ليؤس شديد القنوط من
روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا او اجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته
به كفور عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا
يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصف ياسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان الياس

من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في الاجل من باب الكفران النعمة السالفة
ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن
ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر
بكونها في ادنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من
الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر
دون العسر وانما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم بناء يسيرا كانما يلاصق البشرة من غير تاثير واما نزع
الرحمة فانما صدر عنه بقضية الحكمة الداعية الى ذلك وهي كفرانهم كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق
النزع بها ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي تسوءني ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شان
اولئك الاشرار فان الترقب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش انه لفرح بطر واشر بالنعم
مغتر بها فخور على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الايات الاربع
موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط الا الذين صبروا على ما اصابهم من الضراء سابقا ولاحقا
ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا على الاء السالفة والانفة واللام في الانسان
اما للاستغراق الجنس فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون
بتلك الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وان جمت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير
ووجه تعلق الايات الثلث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء
واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء و
نزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه الى
مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين او من حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم
بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له
اذن واعية وضائق به صدرك اي عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة
والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة
وتماديا في العناد على وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز مال خطير مخزون يدل على صدقه او جاء معه
ملك يصدقه قيل قائله عبد الله بن امية المخزومي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة
قالوا يا محمد اجعل لنا مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال اخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر
على ذلك فنزلت فكانه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات
الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب و
ذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا اشل حاله عليه السلام بحال من يتوقع منه
ان يضيق صدره بتلاوة تلك الايات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل
انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على
كل شئ وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير
في اقصى غاية من اصابة الحز ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى وتهاو

به وعدم اقناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى
الله عليه وسلم وشرع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار
والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اي بل ايقولون افتراه وليس
من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فأتوا انتم ايضا بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم
وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى
يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع
شيء واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت
عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة
واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء
العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في
البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء
بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقايع والايام وزاولتم اساليب النظم
والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي
تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومدارهكم الذين تلجأون الى آرائهم
في الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق بادعوا اي متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين
في اني افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف
يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم
تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كان امره لهم بالاتيان
بمثله دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال
وان شئت حرمت النساء سواكم او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام في الامر بالتحدي وفيه
تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه عليه السلام ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلون
في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمانينة في الايقان ولذلك رتب عليه
قوله عز وجل فاعلموا اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين
بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاشعار بانحطاط
تلك المراتب بل لارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل
سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا او استمروا
على ما كنتم عليه من العلم انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والافهام
مستبدا بخصايص الاعجاز من جهتي النظم الرايق والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اي واعلموا
ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه احد فهل انتم مسلمون اي
مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون
الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا تحت الامر بالتحدي والضمير في
لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجأرون في مهماتكم وملماتكم الى
المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر

فايراد كلمة الشك مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب
الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم
يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعدما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل او من حيث
ان المستمدين بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم
يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان آلهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون
في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون
القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا او منقادون للحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم
فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب
وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم آلهتهم من بأس الله عز سلطانه هذا والاول انسب لما سلف من قوله
تعالى وضائق به صدرك ولما سياتي من قوله تعالى فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط
به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق
وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله
تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة
اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك منوط
بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا
كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد
بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز
وجل وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها اي في الحيوة الدنيا لا يبخسون
اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن
اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر
الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع و
الصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا او لا
يحرمونها حرمانا كليا واما في الآخرة فهم في الحرمان المطلق والياس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك
الخ فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما
معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها
الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لان هممهم كانت مصروفة
الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم
يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها اي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه
من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة للآخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر
اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي في نفسه ما كانوا يعملون في اثناء تحصيل المطالب
الدنيوية ولاجل ان الاول من شانه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية
الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المبني

عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا وبالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا
لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد
ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنيئة وقرئ وبطل على الفعل
اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره
الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ باطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في
زور الكلام وعن انس رضي الله عنه ان المراد بقوله تعالى من يريد الخ اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا
رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل
هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيره ممن يعمل اعمال
البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لابد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية
الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن
العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بان يزدادوا علما ويقينا بان
القرآن منزل بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند
ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان
يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب
الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من
الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه اي برهان نير عظيم الشان يدل
على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره او بتاويل البرهان ذكر الضمير الراجع
اليها في قوله تعالى ويتلوه اي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه
المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض اياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد
بكونه من عند الله عز وجل غير ان على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمومنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي من
القرآن غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا
التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من
الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله افمن كل من اتصف بهذه الصفة
الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم دخولا اوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن
فالضمير في منه لله عز وجل او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان النبي صلى الله
عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاول هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد
للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان
القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامرها الى يوم القيمة عند كل مومن وجاحد
عطف كتاب موسى في قوله عز قائلا ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول
فكانه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد اخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم

في الذكر الموجب في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في منه
وشاهد للتفخيم اماما اي مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا
يخفى من تفخيم شان المتلو ورحمة اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار احكامه
الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي
الكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف
من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون به اي يصدقونه حق التصديق
حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد
الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده
يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له
فيها ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك في مرية منه اي في شك من امر القرآن وكونه من عند الله
عز وجل غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك الذي يربيك
في دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما
لعنادهم واستكبارهم فمن في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدا او حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره
وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني ان بينهما
تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من
صفاتهم وعد من مناتهم كانه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والاخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم
وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان
علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة
بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات
الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض
لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم
كما ينبي عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان او لا
افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ
الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفى باسناده
اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان
عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رايهم في اتخاذهم
اربابا من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع
شاهد او شهيد كاصحاب واشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كان ذلك الشاهد واضح
غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل
ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد
الخ وتوطئة لما يعقبه من قوله الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا على

الوجه الاول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ من الخزي
على رؤس الاشهاد الذين يصدون اي كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد عن سبيل الله
عن دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا اي يصفونها بذلك وهو ابعد شي منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا
عنها يقال بغيتك خيرا اي شرا اي طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقران وقولهم انه ليس من عند الله
وهم بالاخرة هم كافرون اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون ان
لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتاكيد كفرهم واختصاصهم به كان كفر غيرهم ليس بشي
عند كفرهم اولئك مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى مغلبين
بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك في الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون
الله من اولياء ينصرونهم من باسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كانه
قيل وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال الهتهم
من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب استيناف يتضمن حكمة تاخير المؤاخذة وقراءة ابن
كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم
له كانهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم للقران الذي طريق تلقيه السمع اشد منه
في عدم قبولهم لساير الايات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة
واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله المبسوطة في الانفس
والافاق وهو استيناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الالهة فان ما لا
يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول
الامر سوء العاقبة اولئك المنعوتون بما ذكر من القبايح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة
الالهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا ما
بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلثة اوجه الاول
ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق انهم
في الاخرة هم الاخسرون وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله
وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث
ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد انهم في الاخرة هم الاخسرون واياما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر
فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الايات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان
على بينة من ربه وبين من كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل
خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الاخرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى
مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم ومصيرهم وما لهم شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق
المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن
كان على بينة من ربه الاية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومالا فقيل ان الذين امنوا اي بكل
ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقران الذي عبر عنه بالكون على بينة من
الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والافاق او
فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اي اطمانوا اليه وانقطعوا الى

عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كاتهم وانجد
دخل في تهامة ونجد اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين المذكورين اي حالهما العجيب
لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم والبصير والسميع اي كحال
هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه
الفريق الثاني بالسميع وبالبصير لكن الادخل في المبالغة والاقرب الى ما اشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من
وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى
والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله
والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها امر التشبيه ما لا يتم
الاحوال المذكورة المعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة ايات الله المنصوبة
في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع ايات القران الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله
تعالى لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر في
سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق
من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لا جميع الاحوال المعدودة
لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم
في الاخر فان اعتبار ذلك يفضي الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم
المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه
بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فيتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده
سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في ايات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود
هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه
هل يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري مقرر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل
افمن كان على بينة الاية مثلا اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اي اتشكون في
عدم الاستواء وما بينهما من التباين او تغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتامل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار
واردا على المعطوفين معا او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده
وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك لانكار الانقلاب
بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون التذكر او افلا
تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل
الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستوا
ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الايات مفصلها نازل في شان التوحيد وترك
عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ما له مدخل
في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارن من الشواهد الحقة الدالة على كونه
من عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مما اعتراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم

الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عليه السلام والمؤمنين على التمسك
بما والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبيا صلوات الله
عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من
التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى بما يشاهد من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم
الشدايد من جهتهم فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرف
الباء لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع
وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس عليهما السلام
وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه السلام على راس اربعين من عمره ولبث
يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال
مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث
يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين
سنة اني لكم نذير بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي
بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما
فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لا لان دعوته
عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله عليه السلم فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا الخ بل لانهم لم يغتنموا مغانم ابشاره عليه السلام مبين ابين لكم موجبات
العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للحذر منه فيتعلق
صفته بكلا وصفيه الا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا
ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عليه السلام
وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه
بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذير او مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم
نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيمة او يوم
الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نحو نهاره صائم وهذه المقالة وما في معناها
مما قاله عليه السلام في اثناء الدعوة على ما عزي اليه في سائر السور لما لم يصدر عنه عليه السلام مرة
واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
الايات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعده جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين اتبعوه
عليه السلام بعد اللتيا والتي بالفاء التعقيبية فقيل فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي
الاشراف منهم من قولهم فلان ملي بكذا اي مطيق له لانهم ملؤوا بكفايات الامور او لانهم ملؤوا القلوب
هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل
عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم
ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لا ان

ذلك

ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي
فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال
منه اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما
المفعول الثاني وتعلق الرأي في الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط وانما لم يثبتوا القول بذلك مع جزمهم
به واصرارهم عليه اراءة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل في الامر والتدبر فيه ولذلك
اقتصروا على ذكر الظن فيما سيأتي وتعريضا من اول الامر براي المتبعين فكان قولهم وما نراك جوابا عما
يرد عليهم من انه عليه السلام ليس مثلهم حيث عاين دلايل نبوته واغتنم اتباعه من له عين بصر وقلب
بذلك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا اخساؤنا واداننا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر
والاكابر او جمع اراذل جمع رذل كالاكالب واكلب وكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة
عقل ولا اصالة راي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي اي ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله
من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأ ابو عمرو بها وانتصابه على الظرف على حذف
المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب
الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا والارذل
من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الاخرة والاشرف
من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب
على الغائبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة تستتبع
اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم
السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة
علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم
في تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام بطريق
الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور
ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من
عنده هي النبوة ويجوز ان يكون هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى
رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله فعميت عليكم ح ظاهر وان اريد بها
النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة
والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل اخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت
وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى
لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها
اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارأيتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ ابو عمرو باخفاء
حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد تقدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما
في قوله تعالى فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحصول الجواب اخبروني
ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها
وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه السلام بطريق

اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الخ لكنه محمول على ان مراده عم
ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام
مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد البشر
بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات
عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام وبالرحمة النبوة التي
اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة على سائر
الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي
وآتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها
وكوني عليها الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون
لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا
عن شبهتهم التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير
فضل له عليهم وقطعا للمشاغبة ارائهم الركيكة ويا قوم لا اسئلكم عليه اي على ما قلته في اثناء دعوتكم
مالا تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك شاجرا لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله
الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين
آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم
وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا
منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد انهم ملاقوا
ربهم تعليل لامتناعه عن طردهم اي انهم فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم
عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لترشيح وجوب رعايتهم وتحتم
الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف
اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف
ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف
سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما
سيأتي وايضا فهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الراي بلا تامل وتفكر وهذا لا يكاد
يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غايته ان لا يكون في مرتبة الموقنين وادعاء ان
بناء الايمان على ظاهر الراي يؤدي الى الرجوع عنه عند التأمل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون
على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى ولكني اراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل
فيه جهلهم بلقاء الله عز وعلا وبمنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سيأتي وبركاكة رأيهم
في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة من الانتظام معهم في سلك واحد وزعما منهم ان الرذالة بالفقر
والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او تسفهون على المؤمنين بنسبتهم الى
الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول سخطه عني ان طردتهم فان ذلك امر لا بد له
لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان لا سيما عما قدم
ما يلوح به من احوالهم فكانه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى

كما ينبئ عنه قوله تعالى افلا تذكرون اي اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم
حتى تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب
الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم ولا اقول لكم حين ادعي النبوة عندي
خزائن الله اي رزقه واموال الدنيا حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين
فان النبوة اعز من ان تنال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اي لا
ادعي في قولي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد
ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها
يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي
يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم
كما تقولون للذين تزدري اعينكم اي تستحقرهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى
اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو
تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك لا اقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين لن
يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الآخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيري الدارين ان قلت هذا القول ليس
مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة او استتباعا كادعاء الملكية
وعلم الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبرؤ والتنزه عنه فمن اي وجه
عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا
ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تتسنى ممن ليس على تلك الصفات وان العثور على مكانها
واغتنام مغانمها ليس من دأب الاراذل فاجاب عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكانه قال لا اقول
وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير الله اعلم بما في انفسهم
من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا
عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم
وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني امره على
الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة اني اذا اي اذا قلت ذلك لمن
الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم
وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم
الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين
قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيته بانواعه فان اكثار الجدال
يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله ولما حجهم عليه السلام وابرز لهم بينات واضحة المدلول وحججا تتلقاها العقول
بالقبول والقمهم الحجر برد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فأتنا بما
تعدنا من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير
ان لا يكون المراد باليوم يوم القيمة ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما يأتيكم به الله ان شاء يعني
ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه يأتيكم

بأسكم به عاجلاً او آجلاً ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه قيل الاتيان
به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين بالهرب او بالمدافعة كأنه افحموا
في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من فعل او قول وحقيقته امحاض ارادة
الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى ان اردت
ان انصح لكم شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي
وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله
يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزا
على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جواز تقدمه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول
والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلق بالشرط الثاني
وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم
بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة
لهم والشفقة عليهم وبانه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين وامحاض
النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق
لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما
وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل
ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم
عند مجرد ارادة الله سبحانه وتعالى لاغوائهم فكيف عند تحقق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار
بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام
ما يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا
عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها
بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم اي يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم وهلك
هو ربكم خالقكم ومالك امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه
قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا
الى الله عز وجل قل يا نوح ان افتريته بالفرض البحت فعلي اجرامي اثمه ووباله والاجرام كسب
الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعضده ان فسره الاولون باثامي وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في
اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه
بل ايقول مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكأنه انما جيء به في تضاعيف القصة
عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها
طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة
بعذابهم واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك اي المصرين على الكفر وهو اقناط له عليه السلام من ايمانهم
واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا
الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين
ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم

وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا باعيننا اي بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا
وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا
والهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر
والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل على ان
هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بامره
تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه السلام في سنتين وقيل في اربعمائة
سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي
البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل
معه جسد آدم عليه السلام وقيل حمل في الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل
كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع
وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا
عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا
الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب
عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا اهلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت
انها الساعة فمن ثمة شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة
ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله
تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب
عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه
اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل
الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية
لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع واياما
كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ
من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها و
الانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء
وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا وقيل لانه
عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال
ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام
عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك قال
ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه
للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون
منهم ايضا الا انه اكتفي بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر
منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره
ومشافهته عليه السلام اياهم بذلك والا فعده عليه السلام اياهم جاهلين فيما يأتون ويذرون امر

مطرد لا تعلق له بسخريتهم منهم لكنه عليه السلام لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة
وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم
ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن
به الاستيناف فكان سائلا سال فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا
اي ان تنسبونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا
منا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر
والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه
في قوله عز وجل كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملاء
غب ملاء لا في الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشأن النبي عليه السلام فكلا الامرين واقع في الحال وقيل
نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة ولعل مراده نعاملكم
معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا يساعده لان حالهم
اذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد
بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها
ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام
في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد
في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان
ما اباشره ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم
محزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض
لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة
حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية
لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب كلما وقال استيناف على تقدير سؤال
سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة
لملاء وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته
عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما
تفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت
الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور
ادم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان
في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في
الهند او في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والزهري ان التنور
وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر
قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لا بد منه في الارض
زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما

فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للاخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك
على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز
بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين
فحشر الله تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى
في اليسرى فيجعلها في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لانه انما يحمل
بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امراته
وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله ولا تخاطبني في الذين
ظلموا الاية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل
ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند
المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله
عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم
وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في امن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب
عنه قوله عز قائلا وما امن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم
وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا
اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم
رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة وقال اي نوح
عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى
لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج او
ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو
على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها
كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط و
ركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو
على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له
حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني
يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الاية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في
الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا
مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرسيها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها
على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك اتيك خفوق النجم او اسما مكان
انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة مستقلة
من مبتدا وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى بمعنى التقدير
كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم
بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا اراد ان
يجريها يقول بسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول باسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله

الى الجودي ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها
على صيغة الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز اسمه ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين
من جرى ورسا ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية
العامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه
وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب
اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل
موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا
ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح ابنه
فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عم
وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف
الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب
عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع
الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها
وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع من نجوته يأس بعد وكان في
معزل اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج
الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه
الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه
عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا
من سبق عليه القول نصا في كونه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا
بني بالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا وقرئ بكسر الياء اقتصارا
عليه من ياء الاضافة او سقطت الالف والياء لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب
معنا قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب
عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك
ولا تكن مع الكافرين اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما
يوجبه كما يوجب كونه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة
فلا يلائمه النهي عن الكفر قال ساوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما
منه ان ذلك كساير المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له
ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى
الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر
المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء
بان يقول لا يعصمك منه فقيد النفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا النفي الموصوف
اصلا لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع

افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه داع ولا مجيب اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل
عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كساير الايام التي تقع فيها الوقايع وتلم فيها الملمات
المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل الاضمار بامر الله
اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشأنه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه
في تسميته ماء وتوهمه انه كساير المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي
المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كأنه
قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشأنه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم
التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقتها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام
بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شأن الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني
عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله
وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين
ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى فكان من المغرقين اذ هو انما
يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما
وان لم يحل بينه وبين الملتجى اليه موج وفيه دلالة على هلاك ساير الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا
مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم وقيل يا ارض
ابلعي اي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد
التدريجي ماءك اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار
وعبر عنه بالماء بعدما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام
التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت
الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين السماء والارض من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد
الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر واستوت استقرت الفلك على الجودي
هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر
المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا لهم والتعرض لوصف
الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقد
بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها
المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام في هذا الباب
ونفوض الامر الى تأمل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه اي اراد ذلك
بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاءهم في ضمن الامر بحملهم
في الفلك او النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق اي وعدك
الحق ذلك او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت
احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من
الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعده جل ذكره مبنيا على كون

كنعان من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله تعالى انه ليس من اهلك اى ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية
هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المومن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم فى الفلك لخروجه
عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعدنا بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف
التحقيقى بقوله انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما فى قول الخنساء
فانما هى اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شانه
الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هى
لصلاحه وقرا الكسائى ويعقوب انه عمل غير صالح اى عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلم مبنيا
على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهى عن سؤال
انجائه الا انه جئ بالنهى على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسألنى اى اذا وقفت
على جلية الحال فلا تطلب منى ما ليس لك به علم اى مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة
على تقدير كون ما عبارة عن المسئول الذى هو مفعول السؤال او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه
عبارة عن المصدر الذى هو مفعول مطلق فيكون النهى واردا بصريحه فى كل من معلوم الفساد ومشتبه
الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهى واردا فى مشتبه الحال
ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما
ذكرناه وهذا كما ترى صريح فى ان نداءه عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء
ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهى عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة اذ
عدم العلم بالشئ داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما
ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بانجائه فى قلة الجبل
وباباه بذكر الوعد فى الدعاء فانه مخصوص بالانجاء فى الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من
رحم ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه
برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عليه السلم ان يدعوه
الى الفلك او يدعو ربه لانجائه واعتزاله عنه عليه السلم وصدوده لانجاء الى الجبل ليس بنص فى الاصرار
على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة فى الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجرى مجراه
او لكراهة الاحتباس فى الفلك بل قوله ساوى الى جبل يعصمنى من الماء بعدما قال له نوح عليه السلام
ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام فى ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او ساوى او يعصمنا
فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما اشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله
ببعض ما امره به نوح عليه السلام الا انه عليه السلام لو تامل فى شانه حق التامل وتفحص عن احواله
فى كل ما ياتى ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمومن وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل انى
اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسألن بغير ياء الاضافة وبالنون
الثقيلة بياء وبغير ياء قال رب انى اعوذ بك ان اسألك اى اطلب منك من بعد ما ليس
لى به علم اى مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او
مشتبه الحال ولا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه
وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة فى التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر

ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسالك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا
محذورا لا محيص منه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر
لى ما صدر عنى من السؤال المذكور وترحمنى بقبول توبتى اكن من الخاسرين اعمالا بسبب
ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التى هى النجاة وهلاك الاعداء
والاشتغال بما لا يعنى خصوصا بمبادى خلاص من قيل فى شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى
فى امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتاخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء
وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودى والدعاء بالهلاك على الظالمين
مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع فى الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء
بالانجاء بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب
وان لا يقدم فى الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع فى قصة البقرة من تقديم ذكر الامر
بذبحها على ذكر القتيل الذى هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة
فاضربوه ببعضها كما قرر فى موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد
جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى
واذ قتلتم نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها
لفات الغرض الذى هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه
مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الى اخره لا يفوت على تقدير
سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعى
لذكر ما مر من الجواب توبته عليه السلام المودى ذكرها الى ذكر قبولها فى ضمن الامر الوارد بنزوله عليه السلم
من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المومنين حسبما يجئ مفصلا ولا ريب فى ان هذه
المعانى اخذ بعضها بحجز بعض بحيث لا يكاد يفرق الايات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك
انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء
وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة
اخرى هى التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء الثانى عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول
الامر الى ان يرد قوله تعالى انه ليس من اهلك الخ انه نجا بدعائه عليه السلام فنص على هلاكه من اول الامر
ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذى هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من
الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة
من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك على الجودى فقصت القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك اى
بيان ثم تعرض لما وقع فى تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته
عليه السلام قبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اى انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا
بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح فى العالمين و
بركات عليك اى خيرات نامية فى نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقرئ
بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات

عليه في كل ما يأتي وما يذر وعلى أمم ممن معك متشعبة منهم من ابتدائه والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة وامم سنمتعهم اي ومنهم امم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من تشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الاخرة و على هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما عليهم ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم الذين معك وانما سموا امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تشعبت منهم فح يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيمة ويبقى امر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبره المحذوف خفاء لان من المذكور بيانية والمحذوف تبعيضية او ابتدائية فتأمل ثم يمسهم اما في الاخرة او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح عليه السلام اما لكونها بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليست من قبيل سائر الانباء بل هي نسيج وحدها متفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا اي من قبل ايحائنا اليك و اخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عليه السلام لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يؤخذ منهم فاصبر متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى ولعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخ ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الاخرة للمتقين كما شاهدته في نوح عم وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه عليه السلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهو ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى يتضمن الصبر المذكور فكأنه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين والى عاد متعلق بمضمر معطوف على

قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فان هود بن عبد الله بن رباح الخلود بن عوص بن ارم بن سام ابن نوح وقيل هود بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب بطريق الاستئناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استئناف يجري مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتأتى الا بالجريان على موجب امره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا تعقلون اي اتغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او اتجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا اي كثير الدر ويزدكم قوة مضافة ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما دعوتكم اليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا اي بتاركي عبادتها عن قولك اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية لا يفيده الباء واللام كما وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما من من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام متفرع على ما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم

بكونه عليه السلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلاً عن
التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات
الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى
سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولاً عن عدم مجيئه عليه السلام بالبينة مع احتمال
كون ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانياً عن ترك الامتثال
بقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام
في كلامه ثم نفوا التصديق له عليه السلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام
مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضاً حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون
قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله اي من
غير ان ينزل به سلطاناً كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل
الله بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون
آلهتهم مما يضر او ينفع وانها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله واختصاصه بها
وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شيناً حتى زعموا انها تصيبه عليه السلام بسوء مجازاة
لصنيعه معها صرّح عليه السلام بالحق وصدع به حيث اخبر ببراءته القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة
بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم بان يسمعوا اذ ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع و
الاحتشاد مع آلهتهم جميعاً دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون في ايصال الكيد
اليه عليه السلام ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون اي
ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني
فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعاً وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء
لتفريع الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه كان
رجلاً مفرداً بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقّرهم
وآلهتهم وهيّجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب المعازة والمعاداة
فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهوراً بيناً كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع
رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضارتي
مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل
على الانشاء المناسب للمقام وهو واثق بكلاءتي وحفظي عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء
ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها الا هو مالك
لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان
ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل
فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى
نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان فائدة كونه تعالى مالكاً لهم ايضاً راجعة اليه عليه السلام
فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التائين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم

الا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوماً غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم و
يستخلف في ديارهم واموالهم قوماً آخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه بالجزم عطفاً على الموضع كأنه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصار
اضافة الرب عليه عليه السلام من اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئاً من الضرر
لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب مهيمن
فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل
ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافاً الى ضميره جل جلاله وعن نزوله
بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورد امرنا بالعذاب نجينا هوداً والذين آمنوا معه وكانوا
اربعة آلاف برحمة عظيمة كائنة منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه
ونجيناهم من عذاب غليظ اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل
انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم ارباً ارباً وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا
عذاب اغلظ منه واشد وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضاً
بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد
انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا
بها بعد ما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود عليه السلام تفظيعاً
لحالهم واظهاراً لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين
واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله ويجوز ان يراد بالآيات ما اتى به هود
وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جميع الآيات وما تأخر من قوله واتبعوا
امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكأنه قيل عصوا
كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول
لكل فرد منهم فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء وعنيد فعيل من عند عنداً وعنداً اذا
طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
ابعاداً عن الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبّر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكأنها لا تفارقهم
وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم
اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاءً وفاقاً ويوم القيمة اي اتبعوا يوم القيمة ايضاً لعنة وهي عذاب
النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان بكون كل من اللعنتين نوعاً برأسه لم يجتمعا في قرن
واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
وفي الآخرة ايذاناً باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق
للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة الا ان عاداً كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم جحداً
له على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الا بعداً لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي
هلاكاً تسجيلاً عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد
للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز
عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام

وهم قومه ﴿والى ثمود اخاهم صالحا﴾ عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب
سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح
هو بن عبيد بن اسف بن ماشح بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسال ويقال ماذا قال
لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ اي وحده وعلل ذلك بقوله ﴿ما لكم من اله غيره﴾
ثم زيد فيما يبعثهم على الايمان والتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله ﴿هو انشاكم من الارض﴾ اي
هو كونكم وخلقكم منها لا غيره قصر قلب او قصر افراد فان خلق ادم عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر منها
لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام لم يكن مقصودة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي
ستوجد الى يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل ان خلق ادم عليه السلام وانشاء مواد النطف التي منها خلق
نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر ﴿واستعمركم﴾ من العمر اي عمركم واستبقاكم ﴿فيها﴾
او من العمارة اي اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد
انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم ﴿فاستغفروه ثم توبوا
اليه﴾ فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه
من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ﴿ان ربي قريب﴾ اي قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة
الله قريب من المحسنين ﴿مجيب﴾ لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة
المقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر العلة المتاخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة ﴿قالوا يا صالح
قد كنت فينا مرجوا﴾ اي كان نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا
ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في
ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه ﴿قبل هذا﴾ الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الالهة او قبل
هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الان على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالان قد انصرم عنك رجاؤنا
وقرأ طلحة مرجوا بالمد والهمز ﴿اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا﴾ اي عبدوه والعدول الى صيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية ﴿واننا لفي شك مما تدعونا اليه﴾ من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغيره من الاستغفار والتوبة ﴿مريب﴾ اي موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم ﴿قال يا قوم ارأيتم﴾
اي اخبروني ﴿ان كنت﴾ في الحقيقة ﴿على بينة﴾ اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة ﴿من ربي﴾ مالكي ومتولي
امري ﴿واتاني منه﴾ من جهته ﴿رحمة﴾ نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك
اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم من المكابرة ﴿فمن ينصرني من الله﴾ اي ينجيني من عذابه
والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة
من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ان عصيته﴾ اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم
فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شأنه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل ﴿فما تزيدونني﴾
اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران لي
حتى تزيدوه ﴿غير تخسير﴾ اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني
بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة
على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه

وايتاء النبوة ﴿ويا قوم هذه ناقة الله﴾ الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلق
والخلق ﴿لكم اية﴾ معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من اية متقدمة
عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في اية
﴿فذروها﴾ خلوها وشأنها ﴿تأكل في ارض الله﴾ ترع نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية
استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث
نهى عن المس الذي هو من مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا
عن عقرها وقتلها ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاتبة
ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك
لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا
وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب
بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها
من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي
فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك ﴿فعقروها﴾ قيل
زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا
ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه
فدخلها ﴿فقال﴾ لهم صالح ﴿تمتعوا﴾ اي عيشوا ﴿في داركم﴾ اي في منازلكم ﴿ثلاثة ايام﴾ قيل قال لهم تصبح وجوهكم
غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما يدل عليه
الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه ﴿وعد غير مكذوب﴾
اي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كأن
الواعد قال له اتي بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول
﴿فلما جاء امرنا﴾ اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل ﴿نجينا صالحا والذين امنوا معه﴾
متعلق بنجينا او بامنوا ﴿برحمة﴾ بسبب رحمة عظيمة ﴿منا﴾ وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان
كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة منا ﴿ومن خزي يومئذ﴾ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة
كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه كانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته
او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة
بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج
في قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ﴿ان ربك﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
﴿هو القوي العزيز﴾ القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند
الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال ﴿واخذ الذين ظلموا﴾ عدل عن المضمر الى
المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم ﴿الصيحة﴾ اي صيحة جبريل عليه السلام وقيل
اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي
سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء ﴿فاصبحوا﴾ اي صاروا
﴿في ديارهم﴾ اي بلادهم او مساكنهم ﴿جاثمين﴾ هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء

نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ
وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما راوا العلامات التى بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها
واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت
تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اى كأنهم لم يقيموا فيها
فى بلادهم او فى مساكنهم وهو فى موقع الحال اى اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم فى مقام قط الا ان
ثمود وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفى النجم وقراء حفص هنا وفى الفرقان والعنكبوت
بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم
بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك فى قوله تعالى الا بعدا لثمود وقراء الكسائى بالتنوين ولقد جاءت
رسلنا ابرهيم وهم الملئكة عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم جبريل عليه السلام وملكان وقيل هم جبريل
وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن
السدى احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا عليهم السلام وانما اسند
اليهم مطلق المجئ بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله
تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤا لداعية البشرى ولما كان المقصود فى السورة الكريمة ذكر سوء صنيع
الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابرهيم عم
ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى و
الى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اى
ملتبسين بها قيل هى مطلق البشرى المنتظم للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى وبشرناه باسحق الاية وقوله
وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر لقوله تعالى فلما ذهب عن ابرهيم
الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتى وقيل هى البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه
مجادلته عليه السلام فى شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما
كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اى سلمنا
او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اى قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اى
عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم فى حرام وقراء ابن ابى عبلة قال سلاما
وعنه انه قرئ بالرفع فيهما فما لبث اى ابرهيم ان جاء بعجل اى فى المجئ به او ما لبث مجيئه بعجل
حنيذ اى مشوى بالرضف فى الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله تعالى بعجل سمين من حنذت
الفرس اذا عرقته بالجلال فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اى انكرهم
يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل طعامهم ظنوا انه لم
يجئ بخير وقد يروى انهم كانوا ينكثون بقداح كانت فى ايديهم فى اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار
منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكار المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم اكلهم وانما
وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا يرى الى قوله تعالى فى سورة الذاريات
سلام قوم منكرون واوجس منهم اى احس او اضمر من جهتهم خيفة لما ظن انهم نزلوا لامر انكره
الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس
من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم

يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف مما قالوه بمجرد ما راوا امنه مخايل الخوف
ازالة له منه بل بعد اظهاره عليه السلام له لقوله تعالى فى سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا
اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استيناف فى معنى التعليل للنهى المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك
تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنهم من الخوف اى ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط
خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح فى
انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليهم السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث
تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اى قالوه وهى قائمة
تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر
حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى ادرى ان العذاب نازل
بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء
فبشرناها باسحق اى عقبناه سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب
بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله فبشرناها اى وهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء
خبره الظرف اى من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل فى البشارة كيحيى او واقع
فى الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل فى ذلك ابراهيم عليه السلام
وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها
عقيمة حريصة على الولد قالت استيناف وقع جوابا عن سؤال من قال فماذا قالت اذ بشرت بذلك
فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزى ثم شاع فى كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما فى يا لهفا
ويا عجبا وقراء الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم فى رواية ومعناه يا ويلتا احضرى فهذا اوان
حضورك وقيل هى الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت أألد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين
سنة وهذا الذى تشاهدونه بعلى اى زوجى واصل البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة
وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو شيخ
او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير فى أألد
لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اى أألد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عم
لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داوهن عقام ولان
البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس فى البيان بما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى
جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض
لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اى ما ذكر من حصول
الولد من هرمين مثلنا لشئ عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل
الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقى ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها فى ضمن الاستعجاب
العادى لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا أتعجبين من امر الله اى قدرته وحكمته
او تكوينه او شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة فى بيت النبوة ومهبط الوحى والآيات
ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان توقر ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء من امثال
هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته

الازلية لاسيما على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب ساير الناس وان تسبح
الله تعالى وتحمده وتمجده والى ذلك اشاروا بقوله تعالى رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت
كل خير واما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية المتكاثرة في كل
باب التي من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم
وكلهم من ولد ابراهيم عليهم السلام عليكم اهل البيت نصب على الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن
وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له
ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف علل به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب
فان الله تعالى على كل شيء قدير واستمرا اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كساير الطوايف بل رحمته المستتبعة لكل
خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفايضة منه بواسطة ملك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم
انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله
رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم
وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل
وجه بل له مدخل تام في السباق والسياق وتاخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفايدة فان التاخير عما حقه
التقديم يبقي النفس منتظرة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى ان
فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف ومجيء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى
يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في شانهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او
طفق يجادلنا ظاهرة واما ان فسرت ببشارة الولد او بما يعمهما فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة
اطمينان قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى
بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون
لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما
ذهب عنه الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فلما كان لوط عليه السلم
وقومه مكلفين بها فلما راى من الملكة ما راى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب
في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه السلم بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم
لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء
اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود
بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلم على ما صدر عنه من المجادلة يا ابراهيم اي قالت
الملكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على
وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات
على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم اتيهم عذاب غير
مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رحمه الله انطلقوا من
عند ابراهيم عليه السلام الى لوط وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مرد حسان الوجوه

فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرا نافع
وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين الضم روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم
حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا
وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك
احد فخرجت امراته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم
ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه
والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا
اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذرع اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ف
معنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطتها طولها ووجه التمثيل بذلك
ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضرب مثلا للذي
قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي لوطا
وهو في بيته مع اضيافه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل اي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي جاؤا
مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها
ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم من وجوههن و
كانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من
الكفار جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي
وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه
وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في
التواضع لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك
فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو
الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن
عليهم ولا تخزون في ضيفي اي لا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاؤه او لا
تخجلوني من الخزاية وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح
قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة
بيننا وبينك وما عرضك الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران
ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو ان لي بكم قوة اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت
ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال وكلم به الموتى او اوي الى ركن شديد عطف على ان
لي بكم الخ لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او اويت الى ناصر عزيز قوي اتمنع به عنكم
شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن
شديد وروي انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار
فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط

انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن
جبرئيل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان
وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا
فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة
فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القران من السرى والفاء لترتب
الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه عليه السلام
بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم اي لا يتخلف ولا ينظر الى وراءه احد منك ومن اهلك
وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما ينزل
بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امرأتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر
باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وقرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر
الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونه عليه السلام غير مامور بالاسرا
بها والرفع كونه مامورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي
الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسري هي بنفسها كما يروى انه عليه السلام لما اسرى باهله
تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسري بها عليه السلام
من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عدم
الاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل
على العموم فيكون الاسراء بها مامورا به قطعا وفي حمل الاهلية في احد القراءتين على الاهلية الدينية
وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه من المناقضة فالاولى
ح جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن
عامر قراءه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم
من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف
بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو امطار الحجارة وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان
وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الشان وفيه ما لا
يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح
اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع اليس
الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب و
روي انه قال للملئكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا اذ ذلك
وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب لئن
يكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها
اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف الف سافلها
اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب
بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد
عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي انه جعل جبرئيل عليه السلام جناحه في

في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل
والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها على اهل المدائن او
شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو من اسجله
اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله
تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد في السماء نضدا
معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض
وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من ترمى به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف
فيها غيره عز وجل وما هي اي الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب
ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سأل جبرئيل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد
على تأويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء
وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب
منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث
والى مدين اي اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين و
هو بلد بناه فسماه باسمه اخاهم اي نبيهم شعيبا وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له
خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا
الى مدين شعيبا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال
ما قال من قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق
للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب
مبادي ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا
بذلك الى بخس حقوق الناس اني اريكم بخير اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة
من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تأتون من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه
بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقبت بعلة اخرى اعني قوله عز وجل واني اخاف عليكم
ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله
تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستئصال ووصف
اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان
يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط
بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي
بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في
الالة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر
بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها
على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم

وقانونا لعدوانهم ولا تبخسوا الناس بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما أشياءهم التي يشترونها بهما وقد
صرح بالنهي عن البخس بعدما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشانه وترغيبا في ايفاء
الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان الامر بايفاء المكيلات
والموزونات ويكون النهي عن البخس تماما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى
ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس
كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن ابي سلمى افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس
درهم والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله
الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر آخرتكم و
مصالح دينكم بقيت الله اي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون
بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربوا
ويربي الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك
مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين بي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات
الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ
احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم
آل في ذلك جهدا او ما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع
قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام
اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام وقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب
الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الآمر بذلك حتى ادعوا ان لا آمر به من العقل و
اللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء
اصلوتك التي هي من نتائج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها
ابا عن جد وانما جعلوه عليه السلام مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير
ذلك من الشرائع لانه عليه السلام لم يكن يامرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان
يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلوة من بين سائر احكام النبوة لانه
عليه السلام كان كثير الصلوة معروفا بذلك وكانوا اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فكان
هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ اصلوتك او ان نفعل في اموالنا ما نشاء جواب
عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في
اموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول
تامرك اي اصلوتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما على ما قيل يستدعي
ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان
ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم يقل عطفا على ان نترك لان الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل المامور
به تكليفه عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلوتك تامرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى
اصلوتك تامرك بما ليس في وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رايه عليه السلام
واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عليه السلام في

اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه واني ذلك فتامل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان
نترك اي او ان تفعل انت في اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم الرشيد
وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق
انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك لانت الحليم
الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلوة الدين
كما قيل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من
النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه غير مستند الى سند من ربي و
مالك اموري وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه من البينات والحجج لاعتبار حال
المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا
هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة
الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي اتقولون في شاني ما تقولون والمعنى
انكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح ان
يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امرتكم
به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يامر به امر العقل ويقضي به
قاضي الفطنة وانما يامر به صلوتك التي هي من احكام الوسوسة فاخبروني ان كنت من جهة ربي ومالك
اموري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا
اتقولون في شاني وشان افعالي ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه
السباق فيسلكه النظم الكريم واما ما قيل من ان المحذوف ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف
عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه و
اخالفه في نهيه فبمعزل من ذلك وانما يناسب تقدير ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين
على معنى ادينك يامرك ان تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في اموالنا وتخالفنا
في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد
الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرودا على ذلك النمط فاجيبوا
بما اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ اخبروني
ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين ايصح ان اخالف امره واوافقكم
فيما تاتون وما تذرون وما اريد بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى
ما انهاكم عنه اي اقصده بعدما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته
وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس ان اريد اي ما اريد بما اباشره من الامر والنهي
الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت اي مقدار ما استطعته من
الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه منه وما توفيقي
اي كوني موفقا لتحقيق ما انتحيه من اصلاحكم الا بالله اي بتاييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق
مستند اليه سبحانه وانما انا من مبادئه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه اسناد
الاستطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على

كل مقدور وملجاه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الاستمداد
به والاستظهار وإليه أنيب أي أرجع فيما أنا بصدده ويجوز أن يكون المراد وما كوني موفقا لإصابة
الحق والصواب في كل ما آتي وأذر إلا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو إشارة إلى محض التوحيد الذاتي
والفعلي وإليه أنيب أي عليه لا على غيره أقبل بشراشر نفسي في مجامع أموري وإيثار صيغة الاستقبال على الماضي
الأنسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام
من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد
الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة به في أموره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم
وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما تهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لأن الإنابة إنما هي الرجوع
الاختياري بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء أو ما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم أي لا يكسبنكم
من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي وأصلهما أن أحد المتعاديين يكون في عدوة و
شق والآخر في آخر أن يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم أي لا يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم مثل ما أصاب
قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء
من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه
المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه في
المعنى إلا أن الأول أصح وأدور على ألسنة الفصحاء وقرأ أبو حيوة مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن
كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيا
للشقاق عن كسب إصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على ألطف وجه
وأبدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما قوم لوط منكم ببعيد
زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه إنما غير أسلوب التحذير
بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى بذكر قربهم إيذانا بأن ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط
ما ذكر من دواهي الأمم المرقومة أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم
وإفراد البعيد مع تذكيره لأن المراد وما إهلاكهم على نية المضاف أو وما هم بشيء بعيد لأن المقصود إفادة
عدم بعدهم على الإطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما أو ما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد
أن يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما أنذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم
عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه بعيهون عن طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا
ربكم ثم توبوا إليه مر تفسير مثله في أول السورة إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود
مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والإحسان وهذا تعليل للأمر بالاستغفار و
التوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أي
ما نفهم مرادك وإنما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغه وضاقت عليهم
الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك إلى
سبيل الشقا كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والإبراق والإرعاد فجعلوا كلامه المشتمل
على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وأدمجوا في
ضمن ذلك أن في تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من

التحذير

التحذير من عواقب الأمم السالفة ولذلك قالوا وإنا لنراك فينا فيما بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على
شيء من الضر والنفع والإيقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لولاهم يمانعونا ويدافعونا
لرجمناك فإن منعنا الرهط وهو اسم للثلاثة إلى السبعة أو إلى العشرة لهم وهم ألوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم
وقد أيد ذلك بقوله عز وجل وما أنت علينا بعزيز مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وإنما نكف عنه
للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وإيلاء الضمير
حرف النفي وإن لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي إلى الفاعل دون الفعل لا سيما مع
قوله ولولا رهطك كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا وحيث كان غرضهم
من عظيمتهم هذه عائدا إلى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانيين حسبما يوجبه كونه على بينة
من ربه مؤيدا من عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والإنابة إليه وإلى إسقاط
ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم أرهطي أعز
عليكم من الله فإن الاستهانة بمن لا يتعزز إلا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه
منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق عزة رهطه لا أعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في أصل العزة
لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا
نفي العزة بالمرة والمعنى أرهطي أعز عليكم من الله فإنه مما لا يكاد يصح والحال أنكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة
أصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر إلا بأمره وراءكم ظهريا شيئا
منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب إلى الظهر والكسر لتغيير النسب كالإمسي في النسبة
إلى الأمس إن ربي بما تعملون من الأعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا
يخفى عليه منها خافية وإن جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل أن يكون الإنكار للرد والتكذيب
فإنهم لما ادعوا أنهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم
ذلك بأنكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الأذلة
ويا قوم اعملوا لما رأى عليه السلام إصرارهم على الكفر وأنهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى
اجترؤوا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد
اعملوا على مكانتكم أي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن وإنما
قاله عليه السلام ردا لما ادعوا أنهم أقوياء قادرون على رجمه وأنه ضعيف فيما بينهم لا عزة له أو
على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه
من الكفر والمشاقة لي وسائر ما أنتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وإيقاع ما في
نيتكم وإخراج ما في أمنيتكم من القوة إلى الفعل إني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني
بأنواع التأييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم إني عامل
كان مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
وصف العذاب بالإخزاء تعريضا بما أوعدوه عليه السلام به من الرجم فإنه مع كونه عذابا فيه خزي
ظاهر حيث لا يكون إلا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا على أنه قسيمه
بل حيث أوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في
ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته إلى الضعف والهوان وفي ادعائهم الإبقاء

عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس بمرتقب
كاتيان العذاب بل انما المرتقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه
قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا كاذب واما موصولة اى سوف تعرفون الذى ياتيه عذاب
والذى هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول انى معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم
او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفى زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بامره
ولما جاء امرنا اى عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب
موذن بذلك نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا وهى الايمان الذى وفقناهم له او برحمة كائنة
منا لهم وانما ذكر بالواو كما فى قصة عاد هود لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجرى مجرى السبب المقتضى
لدخول الفاء فى معلوله كما فى قصة صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير
مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا عدل الى عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان
ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذى فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا
وفى سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفى سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة ولعلها من روادف
الصيحة المستتبعة لتموج الهوا المفضى اليها كما مر فيما قبل فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم
لابراح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم فى قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب الخ نفس مجى العذاب بل من
يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب
عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصودا بالافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشانها وايذانا بسبق
الرحمة التى هى مقتضى الربوبية على الغضب الذى يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كان لم يغنوا اى
لم يقيموا فيها متصرفين فى اطرافها متقلبين فى اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن
الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذى اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بشبه هلاكهم بهلاكهم
اعنى ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم
من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون
بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهى الايات
التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات
والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التورية حين
اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا للمصدر المؤكد اى ارسلناه
حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة
منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها او هما عبارتان
عن شئ واحد اى ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا
اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون
المراد ما بينه عليه السلام فى تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق
الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التورية او ادراجها فى جملة الايات يرده قوله عز وجل
الى فرعون وملائه فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل
فيما ياتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك

الشنعاء التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص
ملائه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم فى الراى وتدبير الامور واتباع غيرهم
لهم فى الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال
والاضلال بل اقتصر على ذكر شان ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اى امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام
من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامره ملاءه بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر
صريحا وانما المحتاج الى ذلك شان ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم
وايراد الفاء فى اتباعهم المترتب على امر فرعون المبنى على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجاتهم فى
الاتباع ومسارعة فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك
فى وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور وطريقته الزائغة فيكون
معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما فى قولك وعظته فلم يتعظ وصحته فلم ينزجر فان الاتيان
بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع
حادث فتامل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح حال
المتبعين فان فرعون علم فى الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار
وكذا الحال فى قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغى وقد يراد به محمودية العاقبة فهو
على الاول بمعنى المرشد او ذى الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازى وعلى الثانى مجاز والاسناد حقيقى
يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيمة اى يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف
لبيان حاله فى الاخرة اى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم
صلاح مآل امره وسوء عاقبته فاوردهم النار اى يوردهم وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق
الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذى
يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اى بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش
وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اى الملأ الذين اتبعوا امر فرعون فى هذه اى فى الدنيا
لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة
فهى تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا فى الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة فى الدارين
جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما
ظنك بحال من اغواهم والقاهم فى هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع
جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اى بئس العون المعان وقد فسر
الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهى
اللعنة فى الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك
اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه فى الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مبتدأ خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدى اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اى
ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اى من تلك القرى قائم وحصيد اى ومنها
حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقى منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل بالحصيد
والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها

العظيمة الشنعاء

عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم آلهتهم
التي يدعون اي يعبدونها من دون الله اوثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على
استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اي حين
مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير
تتبيب اي هلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل ذلك
الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله اخذ ربك وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب
على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما
ذكر وقرئ اذ اخذ وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ
اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم
شديد وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير ان في
ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فانه
المعتبر حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال
عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى
الفاعل المختار فان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض
الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي يعيرها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم
من الافكار ذلك اشارة الى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس اي
يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتعبير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك
الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اي يوم القيامة مع ملاحظة عنوان جمع
الناس له يوم مشهود اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء
الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس
اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك
وما نؤخره اي ذلك اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانقضاء مدة قليلة
مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأت اي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى
ان تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم و
قرئ باثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف
او الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي او المضمر المعهود اعني اذكر الا
باذنه عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم و
قوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه
يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها في آخر منها والماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة
نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم
شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه
وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم
الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي

النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول
النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج
والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه
صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستانفة كان سائلا قال ما شانهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا
او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها خلا ان يراد حدوث
كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة
عن التابيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف
الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التابيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض
فان النصوص القاطعة دالة على تابيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق فالمراد سموات الآخرة
وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا
الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الآخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي
في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل احوالهما وكيفياتهما الا ما
شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله ولا
تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة
معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني انهم مستقرون في النار
في جميع الازمنة الا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك المشيئة ولا لزمانها
بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون
استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال ان ربك فعال لما
يريد يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى
مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول من الاضمار الى
الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون
فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى
عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وانت تدري انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب
المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار
فلا مصداق في ذلك للاستثناء ولك ان تقول انهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب
النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهي العقوبات والآلام الروحانية التي لا يقف
عليها في هذه الحيوة الدنيا المنغمسون في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوه من الاحوال
الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا القي اليهم ولذلك لم
يتعرض لبيانه واكتفى بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل وهذه العقوبات وان كانت تعتريهم
وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا
وقد قيل الا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان اي سوى الالفين... وقيل ما بمعنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار
مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه

لم يذكر ههنا ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفير وشهيق لان المقام مقام
التحذير والانذار الا ما شاء ربك ان حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله سبحانه عطاء غير مجذوذ
نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم
عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا
وان حمل على ما اعد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشية او تمييز فان نسبة مشية
الخروج الى الله تعالى يحتمل ان يكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للابهام
عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي
يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا النعيمين او بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من
انقطاعه فلا تك في مرية اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها
من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها
او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبل الشروع في القصص
لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حال حسن المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد قص عقيب ذلك من انباء الامم السالفة
مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير
امر هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستيناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد
اباؤهم الذين قصت عليك قصصهم من قبل اي هم واباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة
الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه وقد
بلغك ما لحق بابائهم فيلحقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم
اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا و
آجلا كما وفينا اباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب
عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته
دفع التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو
التوفية فتأمل ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة فاختلف فيه اي في شانه وكونه من عند الله
تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل
عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء
بانظارهم الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء بين المختلفين
من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس
بذاك وانهم اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس لفي
شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه
لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض
عن المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر

بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة
للقسم المحذوف ولما مركبة من من الجارة وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ
لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الاية وقرئ لما بالتنوين
اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه
بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه
وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل
بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت
لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان
حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب
واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتوراة وانه لولا
تسبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم ما فعل بابائهم
من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا
سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث
يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الاية
وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية و
الخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني
سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعني بالمعية وهو
معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو
من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله
ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تنحرفوا عما حد لكم بافراط او تفريط
فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر
المؤمنين على حاله عليه السلام انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الاية
دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى
الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد
ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار
النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم
جملة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جملة
وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما
في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما
ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي
بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة

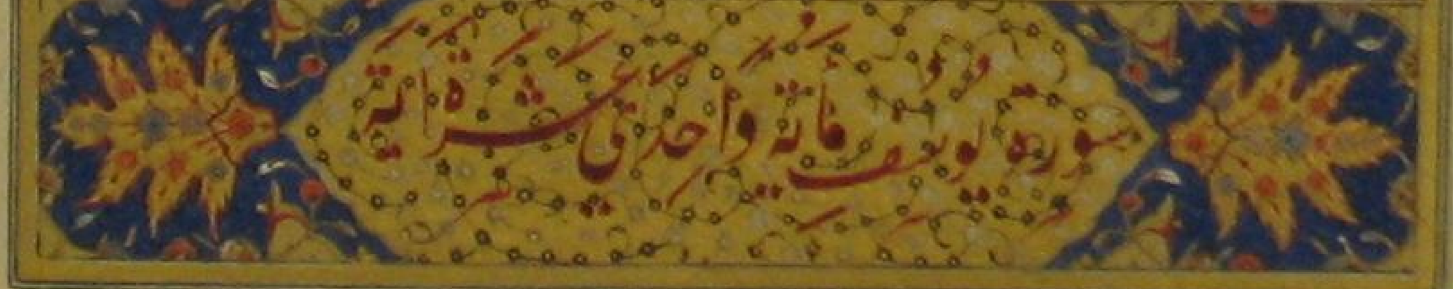
من الحنة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان تميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب
والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المومنين للتثبت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على
غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء
اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق
نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان يكون له ولي بل المكان لكم بطريق انقسام الاحاد
على الاحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بنصير بل على معنى ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة
المقام ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم
وثم للتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز
ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم
لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا
الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة
عطف على طرفي النهار والمراد بصلاتيهما صلاة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد
الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفى بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى
بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن
السيئات التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما
اجتنب الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امراة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر قال عليه السلام نعم اذهب فانها
كفارة لما عملت او يمنعن من اقترافها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى
قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين واصبر على مشاق
ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة وامتثال ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس في
الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى
ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان
في الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم
من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا
والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره
بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل
عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر
وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة
من قبلكم على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم اولوا بقية من الرأي
والعقل او اولو فضل وخير وسميا بها لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا
في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال
بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم

وصيانة

وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولوا بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره
اي اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد في الارض الواقع
منهم حسبما حكي عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم
على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه
يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي المذكور الا القليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن
الا الصلحاء منهم تريد الاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من
النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح على
البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات
واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المتساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة
وقيل المراد بهم تاركو النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام عما
وكانوا مجرمين اي كافرين فهو بيان لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى
فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا
واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية
ذلك لما حاق بهم من العذاب او على استيناف مترتب على قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا
عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر
وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور
بالاثام واريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين و
يجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون
الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اي ما
صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم من ذلك
حال ما عداها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله بظلم اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اي ظالما
لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من
قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله
تعالى واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقيده بما وقع حالا من فاعله
اعني بظلم لدلالته على تقيد نفي الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا
عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اي لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى
ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك
يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدري ان مقام النهي عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلايم
فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم
امته اولا عن الاشراك ثم عن ساير المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل
للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي



عنه وبعضهم متوجهين الى الايقاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء
ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشاء
ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه الا
الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله تعالى
بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من
المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اي لما ذكر من الاختلاف خلقهم اي الذين بقوا
بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للرحمة فالضمير لمن واللام في معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة
واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك اي وعيده وقيل او قوله للملائكة لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اي
وكل نبأ فالتنوين عوض من المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من انباء الرسل بيان
لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول
المطلق لنقص اي كل اقتصاص اي كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه
ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام
وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال الامم
السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك في هذه
السورة او الانباء المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اي
الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا له في نفسه
حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعني في هذه على الفاعل لان
المقصود بيان منافع السورة او الانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان ذلك
فيها لا في غيرها ولان عند تأخير ما حقه التقديم النفس مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن و
لان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق لا
يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان انا عاملون على حالنا
وهو الايمان به والايقاظ والتذكر وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون اي ينزل بكم نحو ما نزل
بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم
اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة
والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه
لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما تعملون فيجازيهم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب
اي انت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين فيها عليهم السلام
وبعدد من كذبهم • وكان يوم القيمة من السعداء • بفضل الله سبحانه وتعالى



الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والايات والكتاب في قوله تعالى تلك آيات الكتاب عين
ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان اي الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى وفي
اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس
لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت
واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن
السورة فابانته ابناؤه عن قصة يوسف فانه قد روي ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا
صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا
ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على
الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل انا انزلناه اي الكتاب المنعوت بما ذكر
من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى قرآنا عربيا اذ هو المشهور
بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن
السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب
او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه طرا
وتحيطوا بما فيه من البدائع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر
نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما
حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية احسن القصص اي احسن
الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل
وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القرآن اي
هذه السورة فان كونها موحاة مبني عن كون ما تضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص
ليس بطريق الالهام او الوحي الغير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد
اقتص على ابدع الطرائق الرائعة الرائقة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة
من كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا
ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتأمل او نقص عليك
احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر
او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر
ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة
والجملة خبر والمعنى وان الشان كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين عن هذه
القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال
شان النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع
في القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال
فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري
لا عربي لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به لا على انه
مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لشهادة المشهور بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام

وقد روي عنه عليه السلم الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا
ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة
ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة
اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما لم يكن يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ
بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح
منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك
هذا تاويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء
دون راء فيكون طامة كبرى لا تخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر
رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راه يوسف
عليه السلم فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلم فاخبره بذلك فقال عليه السلم اذا اخبرتك
بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه الصلوة والسلم جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق و
المصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن
له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته
وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على ساير الطوالع بعطفهما عليها كما في
عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد جوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع
الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تاخر ملاقاته عليه السلم لهما عن ملاقاته لاخوته وعن
وهب ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة
في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى ابتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك
ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه
فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل
ثمانون رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها كان سائلا سال فقال كيف
رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم
الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره
للشفقة او لها ولصغر السن وهو ايضا استيناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا
العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلم من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه
للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بابائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من
ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطمعا
في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث
كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ
فتتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس
المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية
والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان لان

فيكيدوا

فيكيدوا لك اي لاجلك ولاهلاكك كيدا متينا راسخا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا لا تفهمه فلا
تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل
ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب اكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس
الفعل مقصودا بالايقاع وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن
والمضمن فيه للتاكيد اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم
ومكايدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي [illegible] يوسف عليه السلام
[illegible] وربالون ويشجر ودينه بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد واشر بنوه من
سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق يوسف
عليه السلام وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن
جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم
في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان الشيطان
للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يالو جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه و
هو استيناف كان يوسف عليه السلم قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان
الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليهما السلام على ان لرؤياه شانا عظيما يستتبع منافع وحذره
اشاعتها المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور اثارها وحصولها او يوعر واسبيل وصولها شرع
في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت
اثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وبحسبه وعلى وفقه يجتبيك ربك
يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على اشراف الخلائق وسراة
الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه
بيان المضاهاة المتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صورا واشباحا له من الكائنات
الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم
مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه انما لم يصرح
به حذرا من اذاعته ويعلمك كلام مبتداء غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلم تاكيد مقالته
وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما اخبر به على طريقة التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلمك
من تاويل الاحاديث اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى ما
فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سياتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث الملك ان كانت صادقة
واحاديث النفس او الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث في اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل
لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وتسميه
التعبير تاويلا لانه جعل المرئي ايلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ومرجعا اليه فكانه عليه السلام اشار
بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك
ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب ذلك
منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق
فيجوز ان يكون معرفته عليه السلم بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات

والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لابد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو
آفاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها
فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة
واقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة
على وفقها في العالم الآخر وان هذا الشان البديع لابد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدارا
لجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام معجزة بها يظهر آثاره ويجري احكامه ويتم
نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم
المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا اليه من كون
اثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه
بحسبها مصداقها تماما لتلك النعمة وعلى آل يعقوب وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف
عليه السلام اخوته كواكب يهتدي بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع
كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام
النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال كما اتمها
على ابويك نصب على المصدر اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة
والنبوة واتمامها على ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه
من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة
لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه من كل وجه من قبل اي من
قبل هذا الوقت او من قبلك ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما
اباجده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمئن
قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض
للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان
ربك استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء
وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء حسبما
يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية
في الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هنا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة اي وكما اجتباك
لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام ويتم
نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا و
نقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي لقد
كان في يوسف واخوته اي في قصتهم والمراد بهم هنا اما جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة
من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها آيات علامات عظيمة
الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة للسائلين لكل من سأل عن قصتهم وعرفها
او الطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج
تحت قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المحكي

او على نبوته صلى الله عليه وسلم لمن سأله من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير
سماع من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات للاشعار بان اقتصاص
كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام
ابراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى
وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف
وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتاسى به اذ قالوا ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين
وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا يرى انهم كيف اكتفوا باخراج
يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف احب الى ابينا منا وحد الخبر مع تعدد
المبتدأ لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب
الفرق واذا اضيف جاز الامران وفائدة لام الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده
ونحن عصبة اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة
العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا في ترجيحهما علينا في المحبة
مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفي ضلال اي ذهاب عن
طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى
فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف
حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا من جملة ما حكي
بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين بتعضية الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما يروى
ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كانهم القائلون و
ادرجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على مسارعتهم
الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران
ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم
فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله
عليهم وتكونوا بالجزم عطف على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل قوله وتكتموا الحق
وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه
بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه
قوما صالحين تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم اصلاح ما بينكم وبينه بعذر
تمهدونه او صالحين في امور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان
احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الخ وقيل روبيل وهو استيناف مبني على سؤال من
سأل وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الضيم ام خالفهم في ذلك احد فقيل قال قائل منهم
لا تقتلوا يوسف اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه واستعظاما لقتله وهو
فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه
عليهم بقوله والقوه في غيابة الجب اي قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر
التي لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرأ نافع في غيابات الجب في

الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة
يلتقطه يأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع بعض
السيارة اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما وفي البعض من الابهام لتحقيق
ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدرى اثره ولا يروى خبره
وقرئ تلتقطه على التأنيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت
بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تأليفا لقلبهم وتوجيها لهم
الى رأيه وحذرا من نسبتهم الى التحكم والافتيات اي ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة
ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه اولا فاجيب بطريق الاستئناف
على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا
خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا للرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك
الى استنزاله عليه السلام عن رأيه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا مالك
اي اي شيء لك لا تأمنّا اي لا تجعلنا امناء على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له
لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط والقراءة المشهورة بالادغام
والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اي
يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما
مما يعد من باب التأهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب
يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرأ
ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع
بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه واكدوا مقالتهم باصناف التأكيد
من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل
مقصدهم قال استئناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال اني
ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة
صبري عنه ومع ذلك اخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة والحزن الم القلب بفوت
المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته
ومواصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل رأى في المنام ان قد شد عليه عليه السلام
ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي
بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح
اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة
بان يعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيرنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم
وقوله انا اذا لخاسرون جواب مجزئ عن الجزاء اي انا لكون ضعفاء وخوارا وعجزا او مستحقون للهلاك
اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حيوتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله
ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت

مواشينا

الاولى

مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لان السبب القوي
في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم يأتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اي ازمعوا ان يجعلوه
مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر وعليه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي الى فعلها
في غيابة الجب قيل هي بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام
بكنعان التي هي من نواحي الاردن كان مدين كذلك واما ما يقال من انها بئر بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط
السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل و
جواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية
ما فعلوا روي انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح و
يستغيث فقال يهودا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه
فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيهم فقال
يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها
فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه
فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهودا وكان يأتيه بالطعام كل يوم وروي
ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه
اياه فدفعه ابراهيم عليه السلام الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف
فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه من التميمة فالبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول
اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ
ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتتخلصن مما انت فيه
من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين
حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد
العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين
فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان
لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم
اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي و
ازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ
لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء
آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون
متباكين روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا
انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو والرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال و
التناضل ونظائرهما وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما فاكله
الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة
الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما
اذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مأمننا

ويجمعنا برأي منا الا ان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يرى غاياته وما فارقناه الا ساعة
يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة
الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق و
الثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع
لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او
انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع
غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها
المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله
تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين
وجاءوا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم اي جاءوا فوق قميصه بدم كما
تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال
ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي
كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاءوا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة
رضي الله عنها بالمعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكذب وهو الفوف البياض الذي
يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم
ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه
على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني
ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلث ايات كان دليلا ليعقوب على
كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر قال استيناف مبني
على سؤال كانه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم
انفسكم اي زينت وسهلت قال ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه
قال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره
واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر
جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل او امثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى
الخلق والا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان
يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني
قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرئ فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه
للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون على اظهارها وبيان كونه كذبا او اظهار سلامته
فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه
اباه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير
اليه وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه

والتعبير

والتعبير بالمجيء لبيان النسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المصري من مدين بل الى مكان يوسف وفي اشارة
على المجيء دون الاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان
الجب كان في الاسم المتنائي فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت سيارة
اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما
سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق
فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام فارسلوا واردهم الذي يرد
الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء
اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب و
الحرف للرفقة فتدلى بها يوسف فخرج قال استيناف مبني على سؤال تقتضيه الحال يا بشرى
هذا غلام كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة واي نعمة مكان ما يوجد
مباحا من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي واما له
فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشريّ بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد
الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب
وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه
كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه
منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة نصب على الحالية اي اخفوه
حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال تبضع عنه اي تقطع للتجارة والله عليم بما يعملون
وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشرى وما دبروا
في ذلك من الحيل وشروه اي باعوه والضمير للوارد واصحابه بثمن بخس زيف ناقص العيار
دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا
بعد بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما
انها كانت عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البائعون فيه
في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب
ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه
منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي و
هم غير راغبين في شراه خشية ذهاب مالهم لما ظن في اذنهم من الاباق والعد ولعل صيغة الافتعال
المنبئة عن الاتخاذ لما مر من ان اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق
بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا
فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز
الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الامور
مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان
ابن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد ان امن به فملك بعده قابوس بن مصعب
فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله

عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليه السلام والاية
من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا و
زوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا
ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام
في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلث عشر سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة
واتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته
راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه
اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به
في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل
افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله
عنه وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد
للتفخيم اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته
فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الاخر قال عز وجل
وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها وقال مكنا لهم في الارض الخ
والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز او مكانا عليا في قلبه حتى امر امراته دون سائر حواشيه
باكرام مثواه كذلك جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في
قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى ولنعلمه من تاويل
الاحاديث اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي
سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين
مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليه ما ترتب مما جرى بينه وبين امراة
العزيز ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث وهو تاويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل
ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة
البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي عليه يدور هذه
الامور انما هو التمكين في جانب الناس كافة فتاديته الى ذلك انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكن فاذن
الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون عبارة عن التمكين في قلب العزيز او
في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة ان عزيز فيها لا عن تمكين اخر يشبه به كما مر في قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر يقصد تشبيه هذا
الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شان المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن
ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر
بالامر والنهي فهو من اثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مبادئه المؤدية اليه فلا سبيل الى
جعله غاية له ولم يعهد منه عليه السلام في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث
قبل وقوعها عهدا مصححا لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا
السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية

ودقائق

ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكنا له في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب
الله تعالى واحكامها ودقائق سنن الانبياء فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان
غير متاخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من
النوازل متاخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصي عليه امر ولا يمانعه شيء بل
انما امره لشيء اذا اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متول على امر
يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة غب مرة فلم يكن الا ما اراد الله له من العاقبة الحميدة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فياتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك
وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه
وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر
لقوله اتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة وعلما اي تفقها في الدين
وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما اتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء
كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل
وكذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد
انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة
له الا ان يخص بعلم تاويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزاء
واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين
اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه انما اتاه ما اتاه لكونه محسنا في اعماله متقنا في عنفوان امره هل جزاء
الاحسان الا الاحسان وراودته التي هو في بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما امر
امراته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول
الامر ان ما لقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن
في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض
قبل تمام الاية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الايحاء السابق تحت الاشارة بذلك
في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء من التقريب فتامل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء و
ذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلاء وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون
ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الاخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة
عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الاخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا باب لطيف
المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان
اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام
الى الصلوة وارادة قراءة القران حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما في قوله اذا قمتم الى الصلوة
فاذا قرات القران وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة
عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الدائن لمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه بمنزلة المطالبة التي
هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه
لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محلها بمنزلة صدورها عن سببها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على

ذلك وعدوا عن جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل ويجوز ان يراد بصيغة
المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز ان يكون من الرويد
وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اى فعلت ما يفعل المخادع
لصاحبه عن شئ لا يريد اخراجه من يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهى عبارة عن التمحل فى مواقعته اياها والعدول
عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه فى بيتها
مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد و
لاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها
مع كونه تحت ملكتها ينادى بكونه عليه السلام فى اعلى معارج العفة والنزاهة وغلقت الابواب قيل كانت
سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة فى الايثاق والاحكام وقالت هيت لك
قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل
وبادر واللام للبيان اى لك اقول هذا كما فى هلم لك وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء
يهيئ كجاء يجئ اذا تهيأ وهيت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اى اعوذ بالله معاذا مما تدعونني
اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص
منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه فى حد
ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل انه ربى احسن مثواى تعليل للامتناع ببعض الاسباب
الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتى الذى لا يكاد
تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشان وصدارة وضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به
الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان
مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا
وهو ربى اى سيدى العزيز احسن مثواى اى احسن تعهدى حيث امرك باكرامى فكيف يمكن ان اسيئ
اليه بالخيانة فى حرمه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربى
خبر ان واحسن مثواى خبر ثان او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب
تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين فى الاقتصار على ذكر هذه
الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية فى الدلالة على
استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور
غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء فى الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من
ظلم كائنا من كان فيدخل فى ذلك المجاوزون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا
وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزنى باهله ولقد همت به بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اى
قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت
من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك
لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما اضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب و
التاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما فى مقالته عليه السلام من الزواجر وهم بها
بمخالطتها اى مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت

التكليف

التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الا يرى الى ما سبق من استعصامه المبنى على كمال كراهته له ونفرته عنه
وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه
بالهم لمجرد وقوعه فى صحبة همها فى الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا
فى قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالاخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من
التوكيد القسمى وعقب الثانى بما يعفو اثره من قوله عز وجل لولا ان راى برهان ربه اى حجته الباهرة الدالة
على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين
اليقين الذى تتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتخلع عن صورها المستعارة التى بها تظهر
فى هذه النشاة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عليه السلام
قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه فى حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر
منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه
الكلام اى لولا مشاهدته برهان ربه فى شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلى ولكنه حيث كان مشاهدا له
من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم
مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعى الداخلية وترتب المقدمات الخارجية
الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا فى امثال هذه المواقع جار من حيث
المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما فى مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا
عليها فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين فى جواز
التقديم فالهم ح على معناه الحقيقى والمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث انتفى
عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر همه عليه السلام بانه عزم
حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وبرؤية البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها
فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته
من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل ع م
وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل وقيل
ان كل ذلك لاخرافات واباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها
وصدقها كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان راى
برهان ربه اى مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اى مثل ذلك
التثبيت ثبتناه لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا والفحشاء
والزنى لانه مفرط القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على انه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه
اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات
العفة والعصمة فتامل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب انه من عبادنا المخلصين تعليل
لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى بان عصمهم عما هو قادح فيها و
قرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم فى سلكهم داخل

في زمن تهمه من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور
الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية ● واستبقا الباب ● متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان
وقوله كذلك الخ اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
السموات والارض والمعنى لقد همت به وابى هو واستبقا اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك
وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور نحو واذا كالوهم او ضمن الاستباق
معنى الابتدار واسناد السبق في ضمن الاستباق اليهما مع ان مرادها مجرد منع يوسف وذا لا يوجب الانتهاء
الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج
او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة ● وقدت قميصه من دبر ● اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد
كما ان الشق عرضا هو القط ومنه قيل في وصف علي كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد
القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان
بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح ● والفيا سيدها
اي صادفا زوجها واذ لم يكن ملكه ليوسف عليه السلام صحيحا لم يقل سيدهما قيل القياه مقبلا وقيل كان
جالسا مع ابن عم للمرأة ● لدى الباب ● اي البراني كما مر روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل
يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب ● قالت ● استيناف مبني على سؤال سائل يقول فماذا كان حين
الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت ● ما جزاء من اراد باهلك سوءا ● من الزنا ونحوه ● الا ان يسجن
او عذاب اليم ● ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او
استفهامية اي اي شيء جزاؤه غير ذلك او ذلك ولقد اتت في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث
شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر
الحال واستنزال يوسف عن رايه في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من
مكرها طمعا في مواقعته لها كرها عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا
من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا عنه غنيا
عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها فهي تريد ايقاعه حسبما يقتضيه قانون
الايالة وفي ابهام المريد تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كائنا من كان وفي
ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب والحمية ● قال
استيناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف فقيل قال ● هي راودتني عن نفسي ● اي طالبتني للمواتاة لا
اني اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسند اليه من الخيانة وعدم معرفة
حق السيد ودفع ما عرضت له من الامرين الامرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او اسم
الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها ● وشهد شاهد من اهلها ● قيل هو ابن عمها
وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد
جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بهما من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة
له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام وانفى
للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج

٢٩٥

وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع
اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم ● ان كان قميصه قد من قبل ● اي
ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعتد باحسانك
الي فاعتد باحساني السابق اليك ● فصدقت ● بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت و
كذا الحال في قوله فكذبت وهي وان لم تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح
الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان
له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشاءات ● وهو من الكاذبين ● وهذه الشرطية
حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا
للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يقع القد من قبل بدافعها له
عليه السلام عن نفسها عند ارادة المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود
باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل ● وان كان قميصه قد من دبر فكذبت و
هو من الصادقين ● الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم
يكن بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال وبتقدير القول
اي شهد قائلا الخ وتسميتها شهادة مع ان لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها بل لانها
شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما من
قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من العلائم ايضا واما على تقدير
كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو متيقن بعدم
مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع
تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساقا مأمونا من الجرح و
الطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقة فلا تردد فيها قطعا
لان الشرطية الاولى تعلق بصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته
تقرر كذبها والثانية تعلق بصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة
وهذا كما قيل لمن قال لامرأته زوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج
فقد زوجتك نفسي فقبل الرجل فان لم زوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشيء بامر متقرر تنجيز له وقرئ من
قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف
للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين ● فلما رأى قميصه قد من دبر ● كانه لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره
فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال ● قال انه ● اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء
التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من حيث صدور
تلك الارادة والاسناد عليها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى ● من كيدكن ● اي من جنس
حيلتكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يكن بتجريده عن الاضافة
اليها الا انها لما صورته بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتأمل وتعميم الخطاب للتنبيه
على ان ذلك خلق لهن عريق ولا تحسبا هندا لها الغدر وحدها ● سجية نفس كل غانية هند ● ورجع
الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ارادة

منهن هو الى البحث عن شعبه من شعبه وجعله للسوء او للامر المعبر به عن طمعها في يوسف عليه السلام يابا الجبر
فان الكيد يستدعى ان يعتبر مع ذلك هنات اخر من قبلها كما اشرنا اليه ان كيدكن عظيم فانه الطف واعلق
بالقلب واشد تاثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان
كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال
يوسف حذف عنه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا
اى عن هذا الامر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفرى انت يا هذه
لذنبك الذى صدر عنك وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم
المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب
الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مواخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال
نسوة اى جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقى وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة
صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقى كتانيث اللمة وهى اسم لجماعة
النساء والسبه وهى اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث فى المدينة ظرف لقال اى
اشعن الامر فى مصر او صفة لنسوة امراة العزيز اى الملك يريدن قطفير واضافتهن لها اليه بذلك
العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة فى اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار
ذوى الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هى لقصد الاشباع فى لومها بقولهن تراود
فتاها اى تطالبه بمواقعته لها وتتمحل فى ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وايثارهن
لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتى لقولهم فتيان والفتوة
شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا وفى الحديث لا يقل احدكم عبدى وامتى
وليقل فتاى وفتاتى وتعبيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذى لا
يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لابانة ما بينهما من التباين البين الناشى عن المالكية
والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشباع فى اللوم فان من لا زوج لها من النسا او لها
زوج دنى قد تعذر فى مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التى لها زوج واى زوج
عزيز مصر فمراودتها الغير لا سيما لعبدها الذى لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها فى ذلك غاية
الغى ونهاية الضلال قد شغفها حبا اى شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها
لسان القلب حتى وصل الى فوادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران وعن
الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبى يقول
الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله وايا ما كان فهو تكرير
للوم وتاكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من
حيث الانية مصيرا الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث اللمية ميل الى تمهيد العذر من قبلها وليس
بذلك المقام وانتصاب حبا على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا
لنراها اى نعلمها علما مشابها للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة فى
ضلال عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهرا
لامرها بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها

فى امرها على خطاء عظيم وانما لم يقلن انها لفى ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن
علم ورأى مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هى عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن
وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعانى وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكر وان كان
ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام
ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت اى احضرت
وهيأت لهن متكأ اى ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد او رتبت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا
يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى الرجل ان ياكل متكئا طعاما من قولهم اتكأنا
عند فلان اى طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما
يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ
بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح فى منتزح وينباع فى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد واهدت
متكة لبنى ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح او ما يقطع من متك الشىء اذا بتكه ومتكا من تكئ اذا اتكى
واتت كل واحدة منهن سكينا لتستعمله فى قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن
من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف
وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير
الى ان قولها اخرج عليهن اى ابرز لهن لم يكن عقيب تاتيهن السكاكين بل بينهما تباعد وهن لبتم غرضها من استغفالهن فلما
رأينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اى فخرج عليهن فرأينه وانما حذف
تحقيقا لمفاجاة رؤيتهن كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة فى قوله عز وجل فلما
راه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام
بامرها فيما يشاهد بعضهم من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق
فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور
الشمس على الماء وقيل معنى اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام
اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فى الخدور
العواتق وقطعن ايديهن اى جرحنها بما فى ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات
جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفى التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من
الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن
صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قراءه ابو عمرو فى الدرج
فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فلا يستثنى به الا
ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاشا الله تنزيه الله وبراءة الله وهى قراءة ابن مسعود واللام
لبيان المنزه والمبرأ كما فى سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابى السمال حاشا بالتنوين
وقراءة ابى عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصايص الاسم
على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما فى قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه
منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف فى الاسقاط وحاش

لله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رمته
به لله اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله ماهذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة اهل الحجاز
لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن
فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ان هذا الا ملك كريم
بناء على ما ركز في العقول من ان لا حي احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال
يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن
الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به الآن من الخروج في
الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتداء والموصول خبره والمعنى
ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية هو الذي لمتنني فيه اي عيرتنني
في الافتتان به حيث ربأتن بحلي بنسبتي الى العزيز ووضعتن قدره بكونه من المماليك او بالعنوان
الذي وصفته به فيما سبق بقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتداء محذوف
اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن وقلتن فيه وفي ما قلتن فالآن قد علمتن من هو
وما قولكن فينا واما ما يقال يعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في
الافتتان به فلا يلائم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهدته لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما
صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال فحق المعذرة قبل ظهور معذرة
وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية
وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما يأبى تمشية مرامها ثم بعدما اقامت
عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها باحت ببقية سرها
فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما ظننتن وسمعتن فاستعصم امتنع طالبا للعصمة وهو بناء
مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك
واستجمع الراى وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه السلام شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من
الهم وغيره اعترفت لهن اولا بما كن سمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا لابتهاجها بذلك ثم
زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يلتفت اليها قط ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما
كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره
اي امره به فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير لما
او آمره اياه اي موجب امري ومقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر
اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها ليسجنن بالنون الثقيلة آثرت بناء الفعل
للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل
بينهما فعل فاعل وليكونا بالخفيفة من الصاغرين اي الاذلاء في السجن وقد قرئ الفعلان بالتثقيل
ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط
موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكيد بمحضر منهن
ليعلم يوسف انها ليست في امرها على خفية ولا خيفة من احد فتضيق عليه الحيل ويعيي به العلل وينصحن
له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الابراق والارعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف

حين قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه رب السجن الذي اوعدتني بالالقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر
احب الي اي آثر عندي لانه مشقة قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني اليه من مواتاتها
التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه
وبروز كل منهما بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته
اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها
عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد
الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل
ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على من كان يسأل الصبر وإلا تصرف اي ان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي
وتحسينه لدي بان تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن اي امل الى اجابتهن او
الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى
جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب
القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة
كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه
داعية تدعوه الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها
وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي الذين لا
يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني
اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الخ فان
فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه واللطف كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام
ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع
لدعاء المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين
للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما رأوا الآيات الصارفة
لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما مصدره او الراى المفهوم من
السياق والمصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء او راى او سجنه المحتوم قائلين
والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال
المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها تقوده حيث شاءت قال السدي
انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان تأذن
لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته
وينقاد لها قرينته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ
لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب
به العزيز ومن عنده من اصحاب الراى المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس
وهذا بادي الراى عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم
وقرئ عتى حين بلغة هذيل ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان من فتيان الملك ومماليكه احدهما

شرابه والآخر خبازه روي ان جملة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم
الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها الملك
فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره
وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلاه معه وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر
غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره
تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة وتاخير السجن عن الظرف لايهام العكس
ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا ويكون الجملة حالا من فاعل دخل فتامل قال احدهما استيناف
مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني
اي رايتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه
المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الآخر وهو الخباز
اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله تاكل الطير منه اي تنهس
منه صفة للخبز او استيناف مبني على السؤال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرؤيين او ما رؤي واجرا
الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد
وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا
حاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما رئي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض
لحال من احواله فلا يتسنى تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه
بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا
قاله كل منهما اثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما لتعدد المرجع
بل عبارة كل منهما نبئني بتاويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على
طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه
بصيغة مفردة خاصة به انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام من
المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تاويلا
حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن
الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق
مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول
ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في
جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له
عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي
انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها
وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا
سباع الطير تنهس منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا نبأتكما
بتاويله استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينت
لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما واطلاق التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك

بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما رؤي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما
وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتاويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل الشيء الآيل لا المآل فانه في الاصل جعل شيء
آيلا الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان
يقول لهما اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما
من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من
مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيين المتعلقين بالشراب والطعام وقد جعل الضمير لما قصا من
الرؤيين على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتاويل ما قصصتما علي قبل ان ياتيكما ذلك
الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام
والاخبار بالتاويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تاويل
رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تاويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما
[illegible] عليه السلام بالانتظام في سمط المحسنين وانهما من علماء ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم
فيهما خيرا او توجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير عما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض
في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة بامره وتوقفهما على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى
تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليهما من كلامهما فكانه قال تاويل ما قصصتماه علي في طرف الثمام حيث رايتماه
في المنام والذي لي بين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام
الموظف الذي ياتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة و
العرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التاويل والاخبار
بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي و
الالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراكه العقول وقد دلهما بذلك على ان له علوما
جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه
الانبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليلا له اي للتعليم الواقع صلة للموصول المؤدية الى معنى
انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره او لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون
التاويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه كانه قيل لماذا علمك ربك تلك
العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد
بتركها الامتناع عنها راسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر
عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان
به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله
تعالى انه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم
في الكفر واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك
الكرامات بسبب انه اتبع ملة آبائه الكرام ومن لم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه السلام
ترغيبا لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم
على ذكر اتباعه لملة آبائه لان التخلية متقدمة على التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع

لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا و وفور علومنا ان نشرك بالله من شىء اى شىء كان من ملك او جنى
او انسى فضلا عن الجماد البحت ذلك اى التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء
من فضل الله علينا اى ناشئ من تاييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك
مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة
بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذى يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس
لا يشكرون اى لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التاييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة
وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم
بعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها و
نستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون
بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث
اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها فى دلائل التوحيد التى مهدها فى الانفس والآفاق وقد اعطى ساير الناس
ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اى لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هى له ولا يستعملونها
فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية والنقلية يا صاحبى السجن اى يا صاحبى فى
السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة فى مدار الاشجان ودار الاحزان التى تصفو فيها المودة
وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال
ءارباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما اراد غير مراقب للآخرين
مع عدم استقلاله خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار
الغالب الذى لا يغالبه احد وبعد ما نبههما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة
الاعتبار راسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه
اى من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها فى الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه
لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات
تربية لما تقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم فى البطلان حيث كانت بلا
مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله بها اى بتلك
التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم فى امر العبادة المتفرعة
على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك
لامره امر استيناف مبنى على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تعالى فى هذا
الشان فقيل امر على السنة الانبياء عليهم السلام ان لا تعبدوا اى بان لا تعبدوا الا اياه حسبما
يقتضيه قضية العقل ايضا ذلك اى تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذى
تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم
بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلى
والسلطان النقلى وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيان لهما مقداره الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع
فى تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبى السجن اما
احدكما وهو الشرابى واما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذار مشافهته

بما يسوءه

بما يسوءه فيسقى ربه اى سيده خمرا روى انه عليه السلام قال له ما رايت من الكرمة وحسنها الملك و
حسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرئ عكرمة
فيسقى ربه على البناء للمفعول اى يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه
روى انه عليه السلام قال له ما رايت من السلال الثلث ثلاثة ايام تمر ثم تخرج فتقتل قضى الامر واحكم
الذى فيه تستفتيان وهو ما راياه من الرؤيين قطعا لاما آل الذى هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر
كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون فى الحادثة اى طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه
فى حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان فى الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال افتى فى حكمها او جوابها بكذا
ومما هو علم فى ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتاويله بقولهما
نبئنا بتاويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تاويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشانه اذ الاستفتاء
انما يكون فى النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما فى ذلك
لما انهما بصدده الى ان يقضى عليه السلام من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال ماله لانه
فى الحقيقة عين ذلك المال وقد ظهر فى عالم المثال بتلك الصورة واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على
حسب ما وحداه فى قولهما نبئنا بتاويله لا ان الامر ما اتهما به وبحثا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا
فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة لماله وعاقبته فتامل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا للتعبير
وتاكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما راينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ويأباه
الجحود من الخباز اذ لا داعى الى جحود الشرابى الا ان يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال اى يوسف عليه السلام
للذى ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة فى الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى
قضى الامر الذى فيه تستفتيان وهو السر فى ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذى ظنه ناجيا منهما
من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم
من التعبير المذكور وان كان ادخل فى ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور
عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه
لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجى بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى ظننت
انى ملاق حسابيه فالتعبير بالوحى كما ينبئ عنه قوله تعالى قضى الامر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد
والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادى اذكرنى بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك
وصفنى له بصفتى التى شاهدتها فانساه الشيطان اى انسى الشرابى بوسوسته والقائه فى قلبه اشتغالا
لا تعوق عن الذكر والا فالانساء فى الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة
للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اى ذكر الشرابى له عليه السلام
عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث اى يوسف بسبب ذلك الانساء
او القول فى السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل
انه لبث فيه سبع سنين وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند
ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب
الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال الملك اى الريان انى ارى اى رايت وايثار صيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة ككرام فى جمع كريم وكريمة

رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجبا والجملة حال
من البقرات او صفة لها سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء
افعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف
بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة
غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روي انه راى
سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت
العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اي وسبعا اخر يابسات
قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال
البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي هذه اي عبروها
وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه
ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة
في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الآفاقية والانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو
المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اي ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا
عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام
للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم
تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا
منه وتعبرون خبرا اخر قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل
قالوا هي اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم
ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام
اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في
وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة
او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر
اليابسات فتأمل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل وما نحن بتأويل
الاحلام اي المنامات الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل
لها وانما التأويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا
بنحارير في تأويل الاحلام مع ان لها تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة
عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل المنبئ عن التصرف
والتكلف في ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتأويله وقال الذي نجا منهما
اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف
عليه السلام وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تأويلها على الملأ بعد
امة اي مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان والجملة
حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة
ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات

قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره وبعد امة انما علم بهذه الجملة فلا
مجال للنظم مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة انا انبئكم بتأويله اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه
لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون اي الى يوسف وانما لم يذكره
ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق اي ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف
ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس
انواره فهو من باب براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات اي في رؤيا في ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من
معاملتهما وللدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اي بين لنا مآلها
وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه
او نبئنا بتأويله في قوله افتنا مع انه المستفتي وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة
بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما اذن بذلك حيث قال لعلي ارجع الى الناس اي الى الملك
ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم يعلمون ذلك ويعملون
بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول في ذلك
مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه
ولعل المنايا دون ما تعداني ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل
فماذا قال يوسف عليه السلام في التأويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دأبا وقرئ بفتح الهمزة
وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي
دائبين او تدأبون دأبا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين
على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتأويلها ودلهم في
تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اي في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا
يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما
امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق
الوقوع وتأويلا للرؤيا ومصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا مما تأكلون في تلك السنين
وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على استثناء المأكول دون البذر لكون
ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد اتمام ما امرهم به شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها
حكمة الامر المذكور فقال ثم يأتي وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد
والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا من بعد ذلك اي من بعد السنين السبع
المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع
بالكلية سبع شداد اي سبع سنين صعاب على الناس يأكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة
في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه
حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تأويل لاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح
لذلك فكان ما ادخر من السنابل من الحبوب شيء قد هيء وقدم لهن كالذي يقدم للنازل والا فهو في الحقيقة

مقدم للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك اي من بعد
السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول
الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال فيه وبين السوابق فيه يغاث الناس
من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تع
اي امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اي ما من شانه ان يعصر من العنب والقصب و
الزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم
له عادة كما اكتفي به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ
المذكورات يتوقف صلاحها على مبادي اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة
به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون
يحلبون الضروع وتكريره فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو
ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد
منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام
هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم
للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك
في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو
المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم
الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت
وتعديته تعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام
المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول
الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر
ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما طعام
ترزقانه الا نبأتكما بتاويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها احد ولو برؤية
ما يدل عليها في المنام وقال الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقير وقطمير ائتوني
به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع الى
ربك اي سيدك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شانهن وانما لم يقل
فاساله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش لتتبين براءته وتتضح نزاهته اذ السؤال مما
يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه و
لا يبالي به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع ما لقي منها من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة
على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان
يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن
بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربي بكيدهن
عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن مع
سمعن نسبته لهن الى الفساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال

الملك

الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شانكن وهو الامر الذي يحق ان يخاطب المرء فيه صاحبه
اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه في اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء
وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء
عنه بالتنكير وزيادة من قالت امراة العزيز وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها
وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن
وليكونا من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر او تبين وظهر بعد خفاء قاله
الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبينت حصة الحق من حصة الباطل كما تبين حصص
الاراضي وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء
للمفعول من حصحص البعير مباركه اي القاها في الارض للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى
نواة ثم صمما والمعنى اقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من
مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع
فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق
في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه
لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله حين افتريت عليه هي راودتني عن نفسي واراد
بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتامل ايها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة
حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتمهيد
هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز قبل ان يحل ما عقده
كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي ذلك التثبت
المؤدي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه في حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان
ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل ما ذكر من نقض ما ابرمه ولعل مراعاة حقوق
السيادة لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك
مما يوهم الافتيات على رايه واما ان يكون ذلك ليلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تحملا لامضاء
ما قضاه فلا يليق بشانه عليه السلام في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اي بظهر
الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان
الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية
اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اي وليعلم انه تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي
لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في
قوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهئونهم في قولهم وفيه تعريض بامراته في خيانتها
امانته وبه في خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعد ما رأوا آيات نزاهته عليه السلم
ويجوز ان يكون ذلك لتاكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته
وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل
سوء وربا بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحدثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسره المكنون في شان

أعمال العباد أي لا أنزهها عن السوء من حيث هي ولا أسند هذه الفضيلة إليها بمقتضى طبعها
من غير توفيق من الله عز وعلا إن النفس البشرية من جملتها نفسي في حد ذاتها لأمارة بالسوء
مائلة إلى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل إنما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته
كما يفيده قوله إلا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها عن الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي أو هي
أمارة بالسوء في كل وقت إلا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع أي لكن رحمة ربي
وعصمته لها هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون إلا رحمة إن ربي غفور
رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى
ذلك وإيثار الإظهار في مقام الإضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل
إلى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام أني لم أخنه ولم أكذب
عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه
ما قلت وفعلت به ما فعلت إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي أي إلا نفسا رحمها الله تعالى
بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه
عليه السلام في الخروج عن السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وأمره بين بين فعل
ما فعل حتى تتبين نزاهته وأنه إنما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق
به من الإعظام والإجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي أجعله خالصا لنفسي وخاصا
بي فلما كلمه أي فأتوا به فحذف للإيذان بسرعة الإتيان به فكأنه لم يكن بين الأمر بإحضاره والخطاب
معه زمان أصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك أي فلما كلمه يوسف إثر ما أتاه
فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة أمين
مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والأمانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا
عن احتمال كونهما بعد حين روي أنه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لأهله واغتسل
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من
شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان أبي وكان الملك يعرف سبعين لسانا
فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي
فنصبه منصبه وتزوج راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرائيم وميشا ولعل ذلك إنما كان بعد
تعيينه عليه السلام لما عين له من أمر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الأرض
أي أرض مصر أي ولني أمرها من الإيراد والصرف إني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف
فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام
الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر وعن مجاهد أنه أسلم الملك على يده عليه السلام ولعل إيثاره
عليه السلام لتلك الولاية خاصة إنما كان للقيام بما هو أهم أمور السلطنة إذ ذاك من تدبير أمر
السنين حسبما فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وجسوم العائدة
كما قيل وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الأرض إيذانا بأن ذلك
أمر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته أحكام السلطنة بحذافيرها

من قوله إنك اليوم لدينا مكين أمين وللتنبيه على أن كل ذلك من الله عز وجل وإنما الملك آلة في ذلك قيل
وكذلك أي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف أي جعلنا له مكانا في الأرض أي أرض مصر
روي أنها كانت أربعين فرسخا في أربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الأرض مسندا إلى ضميره
عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والإشارة إلى حصول ذلك من أول الأمر لا أنه
حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال
قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله
وقرئ ابن كثير بالنون روي أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب
مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك
وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته إجلالا لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير
ودانت له الملوك وفوض إليه الملك أمره وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وباع من أهل مصر
في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب
ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا أجل وأعظم منه ثم
أعتقهم ورد إليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكم الداعية
إلى المشيئة ولا نضيع أجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه إشعار بأن مدار المشيئة المذكورة إحسان
من نصيبه من الرحمة المرقومة وأنها أجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الإحسان فيما ذكر من الأجر العاجل
قيل على سبيل التوكيد ولأجر الآخرة أي أجرهم في الآخرة فالإضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا
نفاد له خير لهم أي للمحسنين المذكورين وإنما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا يتقون
تنبيها على أن المراد بالإحسان إنما هو الإيمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل
وجاء إخوة يوسف ممتارين لما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب مصر وقد كان أرسلهم
يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه أي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم
لقوة فهمه وعدم مباينة أحوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته إياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم
وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة أحوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما
عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون أي والحال أنهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه
في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم أنه هلك وحيث كان إنكارهم له أمرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب
أخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام إياهم ولما جهزهم بجهازهم أي أصلحهم بعدتهم
من الزاد وما يحتاج إليه المسافر أو أوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني
بأخ لكم من أبيكم لم يقل بأخيكم مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام إنما قاله لما قيل من
أنهم سألوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فأعطاهم ذلك وشرطهم أن يأتوا به لما قيل من أنه
لما رأوه وكلموه بالعبرية قال لهم من أنتم فإني أنكركم فقالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا
نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من
الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين
الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم عيونا وأن ما تقولون حق

قالوا نحن بلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل
رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فأصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر
بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل
على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق
المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون
لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال الا ترون اني اوفي الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال
مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اي
ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان
الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان
مستمرا فيما سبق ويلحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم
على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع
غيرهم في مراعاة مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس منها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم
تأتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد فضلا عن ايفائه ولا تقربون بدخول بلادي فضلا عن الاحسان
في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار
مرة بعد اخرى وان كان ذلك معلوما له عليه السلام قالوا سنراود عنه اباه اي سنخادعه عنه ونحتال
في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون
ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون عليه لا نتعانى به وقال يوسف لفتيانه غلمانه
الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة لقوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل
رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم
وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه
كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر
التعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما
معرفة حق التكرم في ردها فهي وان كانت في انقلابهم غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت
به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين لا سيما عند اعواز البضاعة
من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل انما فعله عليه السلام لما لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته
ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور واما ان علية الجعل المذكور للرجوع من حيث ان
ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها بقيت في رحالهم
نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية تنادي بان ذلك بطريق
التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة
كما ستحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل
اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عم
فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه
من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه

مع اكتيالنا

مع اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه
يوسف من قبل وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم فانما
افوض الامر الى الله فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز وهي اية على القراءة الاولى
توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين
وهذا كما ترى ميل منه عم الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء
كما قيل قيل وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا
عند الفتح يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغي
وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا
اخبروه بذلك وقالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا
كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ
اللطف غايته كأنهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا
من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب
نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب المزيد كما اشرنا اليه
وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان
بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز
وجل ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي
فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي
بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد كيل بعير اي وسق بعير زائد على اوساق
اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اي ما يحمله اباعرنا كيل يسير اي مكيل لا يقوم باودنا فهو
استئناف وقع تعليلا لما سبق كأنه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شيء
قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي بطلب فطلب من همتنا والجمل الواقعة بعد
توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله كأنهم قالوا
بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه بشيء من المكاره ونزداد
بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب
يعقوب عليه السلام اي شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء
ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك او اي شيء
تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بالانكار
واما نافية فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه
المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستأنفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية
فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكرنا والجملة
المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي فيما ذكر من احتمال وفي الجمل
امثاله من نمير اهلنا ونحفظ اخانا فان ذلك اهون شيء بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدأ

اى جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغى ان نميرا اهلنا وشبه ذلك بقولك سعيت فى حاجة فلان ويجب ان اسعى
وانت خبير بان شان الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما فى المثال المذكور وقولك
فلان ينطق بالحق فالحق ابلج وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا فى حمله على معنى ينبغى ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك فانما
فى الرأى وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الخ تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة
رأيهم اى بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتأمل قال لن ارسله معكم بعدما عاينت
حتى تؤتون موثقا من الله اى ما اتوثق به من جهة الله عز وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان تأكيد العهود به مأذون
فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وعلا لتأتننى به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به جواب القسم
الا ان يحاط بكم اى الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو
فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على تأويل الكلام بالنفى الذى ينساق اليه اى لتأتننى به
ولا تمتنعن منه فى حال من الاحوال او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك
لما فعلت والا فعلت اى ما اريد منك الا فعلك وقد جوز الاول بلا تأويل ايضا اى لتأتننى به على كل حال من الاحوال
الا حال الاحاطة بكم وانت تدرى انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما
فى قولك لالزمنك الا ان تعطينى حقى ولم يكن مراده عموم مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا
قلت صل الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما فى قولك لاحج العام الا ان احصر فان مرادك
انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل كما هو
فى مثال الصلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فآل المعنى الى المذكور فلما اتوه موثقهم
عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول اى على ما قلنا فى اثناء طلب الموثق وايتائه
من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية الى تثبتهم ومحافظتهم على
ومراقبته وكيل مطلع رقيب يريد عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم
لما ازمع على ارسالهم جميعا يا بنى لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك حذار اصابة
العين فانهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا فى هذه الكرة اكثر مما فى المرة الاولى وقد اشتهروا
فى مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا مئنة لولوع كل ناظر وطموح كل طامح
واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه السلام ان العين حق وعنه
عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يعوذ
الحسنين رضى الله عنهما بقوله اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة
وكان يقول كان ابوكما يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهم السلام رواه البخارى فى صحيحه وقد شهدت بذلك
التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب متفرقة وكان فى دخولهم من بابين
او ثلثة بعض ما فى الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا من ابواب
متفرقة بيانا لما هو المراد بالنهى وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية به
وايذانا بانه المراد بالامر المذكور لا تحقيق شئ اخر وما اغنى عنكم اى لا انفعكم ولا ادفع عنكم
تدبيرى من الله من شئ اى شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام
الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز وجل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد
بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير فى الجملة وانما التأثير وترتب المنفعة

عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه
ان الحكم مطلقا الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شئ عليه لا على احد سواه توكلت
فى كل ما آتى واذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره فليتوكل
المتوكلون جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف
فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره
من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم
الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا
منها وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغنى
فيما سيأتى عند وقوع ما وقع عنهم عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر
عنهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله
فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق
حينئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتى فتأمل من الله
من جهته من شئ اى شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك فى بادى الرأى حيث وصاهم به يعقوب
عليه السلام وعملوا بموجبه واثقين بجدواه من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببية الدخول
المذكور لعدم الاغناء كما فى قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجئ النذير
هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته للاغناء مع كونها متوقعة فى بادى الرأى
كما فى قولك حلف ان يعطينى حقى عند حلول الاجل فلما حل لم يعطنى شيئا فان المراد بيان عدم سببية
حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الاعطاء فالمآل
بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه
عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بناء على ما ذكره عليه السلام فى تضاعيف وصيته من انه لا يغنى
عنهم من الله شيئا فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال
عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل الا حاجة استثناء منقطع
اى ولكن حاجة وحرازة كائنة فى نفس يعقوب قضاها اى اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطر غير
معتقد ان للتدبير تأثيرا فى تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل فى قضاها للدخول على معنى
ان ذلك الدخول قضى حاجة فى نفس يعقوب وهى ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى
ما كان ذلك الدخول من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة فى نفس يعقوب بوقوعه حسب
ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لا حكم للتدبير فائدة سوى دفع الخاطر واما
اصابة العين فانما لم تنفع لكونها مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية
عليهم وانه لذو علم جليل لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحى ونصب الدلالة حيث لم يعتقد
ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل فى رأيه عند تخلف الاثر
او حيث بت القول بانه لا يغنى عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفى تأكيد الجملة
بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأنه

يعقوب عليه السلام وعلو رتبة علمه وفخامته مما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون
انه يغني عنه الحذر واما ما يقال من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر فيأباه
مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه بنيامين اي ضمه اليه في الطعام
او في المنزل او فيهما روي انهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك
عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه
فقال يوسف عليه السلام بقي اخوكم فريدا واجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا
لا ثاني معه فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين
اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وتعرف اليه وعند ذلك قال اني انا اخوك
يوسف فلا تبتئس اي فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير
ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك
المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاه منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا
لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي بي فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل
قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد
تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا
يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة
بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة
بالجواهر في رحل اخيه بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن
مؤذن نادى مناد ايتها العير وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة
الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف فعل به ما فعل
ببيض وعيد والمراد اصحابها كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يا خيل الله اركبي روي انهم ارتحلوا
وامهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا ونودوا
انكم لسارقون هذا الخطاب ان كان بامر يوسف عليه السلام فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين
فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق وقرأ
اليماني سارقون بلا لام قالوا اي الاخوة واقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة
على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم ماذا تفقدون اي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته
بان ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون
من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم
لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم شيء فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع
منهم شيء فيسألونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة
البرآء الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم نفقد
صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صاع وصوع وصُوع بفتح الصاد وضمها وباهمال
العين واعجامها من الصياغة ثم قالوا ترتيبا لما تلقوه من قبلهم واراءة لاعتقادهم انه انما بقي في رحلهم

اتفاقا ولمن جاء به من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له لا على نية تحقيق
الوعد لجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله وانا به زعيم
كفيل اؤديه اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل
الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز
وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها واياما كان ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع
ما جئنا لنفسد في الارض اي لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها اي افساد كان
فما عز او هان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفي المجيء للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو
مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق
مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره
عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة
في الظلم دون نفي الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب
كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكانهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح حاله
واظهار كمال نزاهتهم عنه يعنون انه قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا على غاية
ما يكون من الديانة والصيانة ترفيها ما يؤتون ويذرون حتى روي انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة
لئلا يتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يصدر
عنا افساد وما كنا سارقين اي ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم
الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفي الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم
بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا اي اصحاب يوسف عليه السلام
فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف اي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم ان كنتم كاذبين
لا في دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون الصواع فيهم
كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اي اخذ من وجد الصواع في رحله حيث ذكر بعنوان
الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم المبني على قواعد
العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد
في يده مال غيره كيف ما كان فتأمل واحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد
وابعد من الافتراء وقوله تعالى فهو جزاؤه تقرير لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف
ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام
المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول للمبتدأ والثاني للظاهر الذي وضع موضعه
كذلك اي مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لقبح
السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل به غافلون فبدأ يوسف عليه السلام بعد ما رجعوا
اليه للتفتيش باوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اي بتفتيشها قبل تفتيش وعاء اخيه
بنيامين لنفي التهمة روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه
حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث
من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف

وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح في وشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة
للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة
عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث
لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل كدنا ليوسف صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها
من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله تعالى فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو
الاستعمال الشائع وقوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه
لا تفسير وبيان له كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن ليأخذ اخاه بما فعله في دين الملك
في امر السارق اي في سلطانه قاله ابن عباس رضي الله عنهما او في حكمه وقضائه قاله قتادة الا به لان جزاء
السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب
عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان
الله اي الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الكيد
ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف عليه السلام وقومه
الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم
المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله
بعجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه في دين الملك في شأن السارق قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد
ودين الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له
ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ليأخذ اخاه في دين الملك الا حال مشيئتنا له بايجاد ما يجري مجرى الجزء الصوري
من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر
قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا
علمناه دون بعض من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشير اليه ويجوز ان يكون
من اعم العلل والاسباب اي لم يكن ليأخذ اخاه لعلة من العلل او بسبب من الاسباب الا لعلة مشيئته تعالى
او الا بسبب مشيئته تعالى وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذ كان ممن يرى ذلك
ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه ليس مخالفا للدين بدينه ما عليه حينئذ فتغييره محل
بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث تفضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق
بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عم عن اخذ اخيه حينئذ ولم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور
اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا تؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه
عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى
واذنه في دين غير دين الملك نرفع درجات اي رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية
او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء اي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة
وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف عم وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة
غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذي علم من اولئك المرفوعين
عليم لا ينالون شأوه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام
ما اعتبر فيه بالشرطية او الشرطية من ارشاده عليه السلام الى دس الصاع في رحل اخيه وما يتفرع عليه

من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما يتم من قبله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن
متمكنا من اخذ اخيه بدونه او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف
بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم
توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مراده اذ ليس من لوازمه ان لا يعزب عن علمه شيء بل انما
نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع
كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف عليه السلام الى ما يليق به من الدرجات
العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكأنه
عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه بان ذلك الحكم
عز وجل وجودا وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات
الى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة
عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا
تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم
البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن
متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله تعالى نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله تعالى كدنا وبيان لان ذلك
من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف عم برفعه اليها وقوله تعالى وفوق كل ذي علم
عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف
كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث
نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا
عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به
والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق يعنون بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يريدون به يوسف عم
وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه
منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحق عليه السلام فاحتالت
لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة
اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما اشاء فخلاه
يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في الجيف وقيل دخل
كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه فاسرها يوسف اي اكن الحزازة الحاصلة
مما قالوا في نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها لهم
لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تأكيد لما سبق قال اي في نفسه وهو استئناف مبني على سؤال
نشأ من الاخبار بالاسرار كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا
اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البريء وقيل بدل من اسرها والضمير
للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان
الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة

لا التفصيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عند ما شاهدوا مخايل الاخذ
بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم
مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة له
به يتعلل عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فليس عنده بمنزلته من المحبة والشفقة انا نراك
من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه النعمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله
اي نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف
الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال
بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك
الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولي الحل
والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب
في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة انا اذا اي اذا
اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى
هو الذي اريد بالكلام في اثناء الحوار وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان اخذ بنيامين
لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه اي يئسوا
من يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس
لما شاهدوه من عوذه بالله تعالى مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه
مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا
اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى التناجي او فوجا نجيا
على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا
ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير قال كبيرهم في السن
وهو روبيل او في العقل وهو يهودا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي
على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله
عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ومن قبل
اي من قبل هذا الميثاق ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له
لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا
اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شان يوسف عليه السلام ولا ضير في الفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم
السابق وقع في شان يوسف عليه السلام او ان تفريطكم الكائن او كائنا في شان يوسف عليه السلام
وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق
واقعا في شان يوسف عليه السلام كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد
الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر
في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة
ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة

واما النصب عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع على ما ذكره
وذكرهم اباهم من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر
جريا على قضية الميثاق حتى يأذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت
معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه
لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال
روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت
كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب
واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه فمسه فقال روبيل من هذا
ان في هذا البلد بذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا
انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة
وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب
اي باطن الحال حافظين فما ندري اهو حقيقة الحال كما شاهدنا ام بخلافه او ما كنا عالمين حين
اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا نرزأ في هذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل
القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسألهم
عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما
من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من صنعاء وانا لصادقون تأكيد في محل القسم
قال اي يعقوب عليه السلام وهو استئناف مبني على سؤال نشأ مما سبق فكأنه قيل فماذا كان عند
قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عليه السلام عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا
وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحكي
اليه جواب ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون
في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك
من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم امرا من الامور فاتيتموه
يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل
عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم
الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفا
على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء فناداه اي يا اسفي
تعال فهذا اوانك وانما تأسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء
غضا عنده وان تقادم عهده اخذا بمجامع قلبه لا ينساه لانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما
طامعا في ايابهما واما يوسف عليه السلام فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله
وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا ترى
الى يعقوب عليه السلام حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد
النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله تعالى اثاقلتم الى الارض ارضيتم
وقوله تعالى ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ بنبأ يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن

الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره
وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب عليه السلام من يوم فراق يوسف
الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين
ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز
التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه
عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة
من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء
فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو
كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم
من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله تعالى والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ
اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ اي لا تفتؤ ولا تزال
تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس
بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا
مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث
ولا يثنى ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين
اي الميتين قال انما اشكو بثي اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس
اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو الى احد منكم
او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا
لدى بابه في دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فاني ارجو
ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حيوة يوسف
عليه السلام قيل رأى ملك الموت عليه السلام في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف
عليه السلام انه يخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي فتعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ
بالجيم من الجس وهو الطلب اي فتطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية
لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيى بها العباد
وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال
من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا
بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز
اي الملك القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم

من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا
لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة
وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله
الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها
تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا وارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة
بنبينا صلعم وانما لم يبدؤا بما امروا به استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة
القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين
يحتمل الحمل على المعنيين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم
من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض
لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله
بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال
عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون
عاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة
وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم
ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحي
او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك
قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار فنجاه الله
تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن
وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت
عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه
سرق وانك حبسته انا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة
تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر
كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكدوه بان واللام قالوه استغرابا
وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة
بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ ائنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسائلهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي
مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
حسبما يعنيه قوله قد من الله علينا فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا
يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعز بعد الذلة
والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي
لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى
في جميع احواله او يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات

المنعوتين

وعن المعاصي التي يستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان
بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت
من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب فعلنا معك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا
وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اي لا عتب ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو
الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب ذلك كان
غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله غدا اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر خبرا
للا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله تعالى
يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفى عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر
والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك
بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم
كانوا ينظرون الي بالعين الاول ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ
ولقد شرفت بكم الان وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة
ابراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه حينئذ وقيل هو
القميص المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبرئيل عليه السلام بارساله اليه واوحي
اليه ان فيه ريح الجنة لا تقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يكن بصيرا
او يات الي بصيرا وينصره قوله واتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن ينتظمه
لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري قيل انما حمل القميص يهودا وقال انا احزنته بحمل
القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف وحاسر من مصر الى كنعان وبينهما
مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه
وقرأ ابن عباس رض انفصل العير قال ابوهم يعقوب ع لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه
ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهودا لولا ان تفندون اي تنسبوني الى الفند
وهو الخرافة وانكار العقل وفساد الراي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها
ذات راي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك
القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم
انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهودا القاه اي القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب
او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم
يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب
لبنيه وهو الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم
الذي اوتي يعقوب عليه السلام من جهة الله سبحانه وتعالى وعلى هذا
يجوز ان يكون مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم
بالتحسس ونهيتكم عن الياس من روح الله تعالى اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف
روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك
على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قالوا يا ابانا

استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على
ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار او ادرجوا ذلك في الاستغفار
قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وهذا اشعر بعفوه وقيل اخر الاستغفار الى وقت السحر
وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه
قد عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف
خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل
عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت
نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان
يستغفر في كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه
فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه
ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي
راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر
باجمعهم فلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي متوكئا على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهودا
هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف
يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت ان يسلب دينك
فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة
وكانوا حين خرجوا ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية
الف الف ومائتي الف اوى اليه ابويه اي اباه وخالته ونزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة
الاب في قوله عز وجل واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه
وقال الحسين وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة الى التاويل ومعنى اوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما
وكانه عليه السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فاواهما اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء
الله امنين من الشدائد والمكاره قاطبة والمشية متعلقة بالدخول على الامن ورفع ابويه عنده وهم
بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اي ابواه واخوته سجدا
تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من
عادة الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه وياباه
الخرور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي التي رايتها
وقصصتها عليك من قبل في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واتفاقا بعينه والاعتذار
بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتاخيره
عن الرفع على العرش ليس نص في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي
فلعل تاخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله وقد احسن بي المشهور استعمال
الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا بتضمين لطف
وهو الاحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اي لطف بي محسنا
الي غير هذا الاحسان اذ اخرجني من السجن بعدما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذرا من

من ثم بالأخوة لأن الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجداً واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى
وجاء بكم من البدو اي البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا بالاغواء واصله
من نخس الرايض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام في الاحسان حيث
اسند ذلك الى الشيطان ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة
والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل انه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي
يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه فادخله
في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن
القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبرئيل
قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبرئيل الله تعالى امرني بذلك لقولك اخاف ان يأكله
الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب عمر اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام
الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم
انه لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت رب قد آتيتني من الملك اي بعضا منه
عظيما وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث اي بعضا من ذلك كذلك ان اريد بتعليم تأويل
الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقايق سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما
ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر لانه بمقام تعداد النعم
الفايضة عليه من الله سبحانه والملك اعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة
في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين
فان حمل على معنى التمليك لزم تأخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التأخير في الذكر والعطف بحرف
الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والارض مبدعهما وخالقهما نصب
على انه صفة للمنادى او منادى اخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي
ما يعقبه من قوله انت وليي مالك اموري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعم فيهما
واذ قد اتممت علي نعمة الدنيا توفني اقبضني مسلما والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين
في الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في
دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا ان يصنعوا له تابوتا من مرمر يجعلوه فيه ويدفنوه في
النيل بمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك به وولد له افرائيم وميشا ولافرائيم
نون ولنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل
بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام ذلك
اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او كونه
بالانقضاء من معنى البعد في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من
انباء الغيب الذي لا يحوم حوله احد وقوله نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر وجوز
ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم يريد
اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون
له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد

مجرد نفي حضوره عليه السلام في مشهد اجماعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه
بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى
معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك فيه
المكذبون ايضا ولم يكن من ظهر انهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار
فكانهم يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع
وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور و
المشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما اكثر الناس يريد به
العموم او اهل مكة ولو حرصت اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات القاطعة الدالة على
صدقك بمؤمنين لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود وقريشا لما سألوا عن
قصة يوسف وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التورية فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه
وسلم فقيل له ذلك وما تسألهم عليه اي على الانباء او القران من اجر من جعل كما يفعله حملة
الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين كافة لا ان ذلك مختص بهم وكأين
من آية اي كم عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها في السموات والارض اي كائنة
فيهما من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وساير ما في الارض
من العجائب الفائتة للحصر يمرون عليها اي يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الارض
على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى ويطؤن الارض عليها وفي مصحف عبد الله
والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيهما من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر و
هم عنها معرضون غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده
وخالقيته الا وهم مشركون بعبادتهم لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم
باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن
اكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الآية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا
ان تأتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجاءة من
غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة
الى التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله ادعو الى الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء
وهي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاشارة انا تأكيد للمستكن في ادعو وعلى بصيرة
ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين موكد لما سبق من الدعوة الى الله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة نوحي اليهم كما اوحينا
اليك وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات
فيحذروا تكذيبك ولدار الآخرة اي الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي

أفلا تعقلون فتستعملوا عقولكم لتعرفوا انها خير دار الاخرة وقرى بالياء على ان غير داخل تحت قل
حتى اذا استيأس الرسل غاية المحذوف دل عليه السياق اى لا يغرنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة
والرخا فان من قبلهم قد امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر
وتماديهم في الطغيان من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون
عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة
من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا
نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجاءة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم
الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس
وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الاخر فلا يتصور ان
من احاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شئون الله سبحانه منزلتهم وقيل
الضميران للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرى بالتشديد اى ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما
وعدوهم وقرى بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضميرين للرسل اى ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حد
ثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له او على ان الاول لقومهم فنجي من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم وقرى
فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرى فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل
بهم وفيه بيان للمتعلق بهم المشيئة لقد كان في قصصهم اى قصص الانبياء واممهم ويؤيده قراءة
من قرا بكسر القاف او قصص يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن
شوائب احكام الحس ما كان اى القران المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن
كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرى بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى ولكن
هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو
يستند الى القران بالذات او بوسط وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين

لقوم يؤمنون اى يصدقونه فانهم المنتفعون
به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا
ينتفعون بجدواه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم علموا
ارقاءكم سورة يوسف
فانه ايما مسلم تلاها
وعلمها اهله وما
ملكت يمينه
هون الله
عليه سكرات
الموت واعطاه
القوة ان لا
يحسد مسلما



المر اسم للسورة ومحلها اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو
اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى تلك على الوجه الاول مبتدأ
مستقل وعلى الوجه الثانى مبتدا ثان او بدل من الاول اشير به اليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل
يناسب المقام نحو اقرا او اذكر فتلك مبتداء كما اذا جعل مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى
على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والجر على القادر قوله تعالى ايات الكتاب اى الكتاب العجيب
الكامل الغنى عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص الكتاب به فهو عبارة عن جميع
القران او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر فى مطلع سورة يونس عليه السلام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب
المستغنى عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الايات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على
ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة فى الاتصاف بذلك المغنية عن
التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع اياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه
ما لا يخفى من التعسف الذى مر تفصيله فى سورة يونس والذى انزل اليك من ربك اى الكتاب
المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع فى كل ما نطق به الحقيق بان يخص به
الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر
الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفى التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال
اليه بصيغة المبنى للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة
المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق
المبين لاخلالهم بالنظر والتامل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب
لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذى رفع السموات
اى خلقهن مرتفعات على طريقة قولك سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك
والجملة مبتداء وخبر كقوله وهو الذى مد الارض بغير عمد اى بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب
وهو ما يعمد به اى يسند يقال عمدت الحائط اى ادعمته وقرئ عمد على جمع عمود بمعنى عماد كرسول ورسل
وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفى بكل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استئناف استشهد
به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جىء بها ايهاما لان لهن عمدا غير مرئية هى قدرة الله سبحانه
ثم استوى اى استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف واياما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة
الى جعل كلمة ثم للتراخى فى الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من
الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجرى حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها
تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجرى كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية

او لمدة ينتهى فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك
والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اى يقضى ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة الامر امر الخلق وامر ملكوته وربوبيته يفصل الايات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته
اى ياتى بها مفصلة وهى ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا
المستتبعة للاثار الغريبة فى السفليات على موجب التقدير والتدبير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى
وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له او الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها او
كلاهما من ضماير الافعال المذكورة وقوله كل يجرى لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله الله خبرا بعد خبر
والموصول صفة للمبتدا جئ به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما فى قول الفرزدق ان الذى سمك
السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول لعلكم عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم
بملاقاته للجزاء توقنون فان من تدبرها حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة
على كل شئ قدير وان لهذه التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة
الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما
قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذى مد الارض اى بسطها طولا وعرضا
فان الاظهر ان المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها وجعل فيها
رواسى اى جبالا ثوابت فى احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء
غلبة الوصف بها عن ذلك واختصاص مجئ فواعل جمعا لفاعل فى فوارس وهوالك ونواكس انما هو فى صفات
العقلاء واما فى غيرهم فلا يراعى ذلك اصلا كما فى قوله تعالى اياما معدودات مع قوله الحج اشهر معلومات
الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة اعنى اجبلا ويعتبر فى جمع الكثرة اعنى جبالا انتظامها
لطائفة من جموع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردة كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتى الجمعين
انما هى باعتبار الافراد التى تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل واحد منهما
جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا الى ان يلتجأ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة فى
عداد الاسماء التى تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هى فى الجمع دون المفرد والتعبير عن
الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجارى واسعة والمراد ما يجرى فيها من
المياه وفى نظمها مع الجبال فى سلك مفعولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ للانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال
غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان وتفرعه على تمكنه وتقلبه فى
تعيشه بالماء والكلاء ومن كل الثمرات متعلق بجعل فى قوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين اى
اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الاخر واكد به الزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك
الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية اى جعل من كل نوع من انواع الثمرات
الموجودة فى الدنيا ضربين وصنفين اما فى اللون كالابيض والاسود او فى الطعم كالحلو والحامض او فى القدر
كالصغير والكبير او فى الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثانى
استئنافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشى الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه
ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اى يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل
العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثانى على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان

او نسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه بالآيات العلوية
ظاهرا باعتبار ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل
والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ
يغشي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار وخلق
الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه في بابه لآيات
باهرة وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها فحق على معناها فان تلك الآثار مستقرة في تلك
الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل فهي تجريدية لقوم
يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان يكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق
لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفي الارض
قطع جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى
سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اي متلاصقات وفي بعض
المصاحف قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة منها
وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم الجنات عليه مع كونه عمود المعاش
لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتاخيره في قوله تعالى ونخيل لئلا يقع
بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو
وهي النخلة التي لها راسان واصلها واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب
عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك
مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد
الارض ودحاها ايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا
على اعناب او جنات يسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتانيث مراعاة
للفظ الاول او وفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان
السقي بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع تحقق اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها
على بعض آخر منها في الأكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر
ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل الى
فاعل آخر مغن عن بناء الفعل للفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع والجنات لآيات كثيرة
عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم
في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم و
الروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون
في القياس وهذه الاحوال وان كانت هي آيات في انفسها لا ان فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة
في كونها آية تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد او المشار اليه الاحوال الكلية والآيات افرادها
الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة ولحادها في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها فتفيء على معناها
وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك
لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات

مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين
غير عاقلين وان تعجب يا محمد من شيء فعجب اي فعجب لا عجب منه حقيق بان يقصر عليه التعجب قولهم
بعد مشاهدتهم لما عدد من الآيات الشاهدة بانه تعالى على كل شيء قدير أئذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام
الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المقول
او في محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر فالتعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل
في اذا ما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث
بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أئنا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم
ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على
عتوهم وتماديهم في النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم والمآل وان
تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل
وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح اي ان تعجب يا من نظر في هذه الآيات من قدرة من هذه افعاله فازدد
تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله ويستعجلونك
بالسيئة هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذلك امرا
عجيبا ويجوز ان يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذي
لا عجب وراءه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول وان تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه اولئك
مبتدأ والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث ريثما عاينوا ما فصل من الآيات
الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكار
لقدرته عز وجل كفر به واي كفر واولئك مبتدأ خبره قوله الاغلال في اعناقهم اي مقيدون
بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيامة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري
البعث خاصة بل الجميع المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة
بالعقوبة التي انذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء
منهم بإنذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات
اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة الحالية
لبيان ركاكة رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين
لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين
والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص
وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات
بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة
للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحله النصب على الحالية اي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى
ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها وان ربك لشديد العقاب
يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتاخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه
ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا

وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذمّاً لهم ونعياً عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث
لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى
عليهما السلام عنادا ومكابرة والا ففي ادنى آية انزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولي الالباب
انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس
عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر
بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي
مخصوص له هداية مخصوصة يقتضيها اختصاص كل منهم بما يخص به حكم لا يعلمها الا الله تعالى او لكل
قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم
للآيات المنزلة عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين
على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى
ذلك لا لاظهار الكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي الا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة لحكم استأثر
بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله فما موصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن
الولادة لا بعد تكامل الخلق والعلم متعد الى واحد او اي شيء تحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه
طورا فطورا فهي استفهامية معلقة للعلم او حملها فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي
نقصه وزاده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما
قيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه
يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله وغيض
الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان قد اسند الى الارحام مجازا وهما لما فيها
وكل شيء من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث
من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكون ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه
والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب
الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الى الله عز وجل عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة
اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف
او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله يعلم الخ الكبير العظيم الشان
الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه
عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بعالم الغيب والشهادة بين انه تعالى عالم بجميع ما يأتون و
ما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال سواء منكم من اسر القول
في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كانه مختف بالليل وطالب
للزيادة وسارب بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف
او على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله تعالى فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كانه قيل سواء منكم انسان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسر ومن جهر
والى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسره وما جهر به والى الفعل من حيث هو فعل
كما في الاخيرين وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى فكانه في التعلق بالخفيات اقدم منه

بالظواهر

بالظواهر وان انسبته الى الكل سواء لما عرفته آنفا له اي لكل ممن اسر او جهر والمستخفي والسارب معقبات
ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذ جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم
يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات
الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جميع
جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه حين اذنب بالاستمهال والاستغفار
له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من
امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء
الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها
التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم
لذلك فلا مرد له فلا مرد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي امرهم
ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان خلاف مراده
تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بانفسهم
من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة
وطمعا في المطر فوجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس او الرزق العتيد والمطموع
فيه الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخراف والحراث و
يأباه الترتيب اللهم الا ان يكلف بما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصابهما
اما على المصدرية اي تخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او
بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او
بتأويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل المعلل هي الرؤية التي تضمنها الاراءة
على طريقة قول النابغة وحلت بيوتي في يفاع ممنع تخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على ان لا تنال
مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا اي احللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في معرض
العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال
بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحد سحابة يقال سحابة ثقيلة و
سحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين
بحمده اي يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه
عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل
ذلك وعن علي كرم الله تعالى وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي
صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب
وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك والملائكة اي يسبح الملائكة من خيفته من هيبته واجلاله
جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة
المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب و
اعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل

العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها
من المومنين او الرعد نفسه او الملك الموكل به والملئكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف
من هيبته تعالى وهم اى الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلتهم وهوانهم وحقارة شانهم يجادلون
في الله اى في شانه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الايات
فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الخ او على قوله الله يعلم ما تحمل الخ واما العطف
على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استيناف لبيان بطلان قولهم
ذلك ونظائره من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل الجملة حال اى فيصيب
بالصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن
الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدانه الغوائل قد خلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر من
الاصحاب رضي الله عنه فاستبشر لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان اوصى الى اربد انه اذا رايتني
اكلم محمدا عليه السلم فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه السلم فدار اربد من خلفه عليه السلم
فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فراى النبي صلى الله عليه وسلم
الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى
عامر هاربا فنزل في بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في
الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت
لانفذنهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة
عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فاجراه
حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه
وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو من ذهب ام من
فضة ام من نحاس ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما راينا
رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فما زاد الا مقالته الاولى
واخبث فرجعوا اليه عليه السلام واخبروه بما صنع فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينماهم عنده
ينازعونه اذا ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر فجاؤا يسعون ليخبروه عم
بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو شديد المحال اى والحال انه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه
للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على
غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون
مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق اى الدعوة الثابتة
الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونه بمعزل من شائبة
البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اى الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله
عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية لتربية معنى
الاستجابة والاولى هو الاول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث
ان اهلاك اربد وعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الاية

نزلت في شانهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديد
بحيق باجابة دعوته عليهم والذين يدعون اى الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه
من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء اى الا استجابة
كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما هو مقتضى الفعل الظاهر
اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني
للمفعول وجودا وعدما كانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما
في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اى لم يدع فلم يبق الا مسحت
او مجلف ليبلغ اى الماء بنفسه من غير ان يوخذ بشيء من الاناء ونحوه فاه وما هو اى الماء ببالغه
بالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه فضلا عن الاستطلاع لما اراده من البلوغ
الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصول لهم في دعاء الهتهم على شيء اصلا وركاكة رايهم في ذلك بحال
عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه
في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف الهتهم والمراد نفي الاستجابة راسا الا انه
قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كائنة في هذه الصورة
التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط
بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اى ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد
يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات و
الارض من الملئكة والثقلين طوعا وكرها اى طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره او حال الطوع
والكره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقياده لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام
شاؤا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشؤون مما لا يخفى على احد وظلالهم
اى تنقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيئته وتتاتى لارادته في الامتداد
والتقلص والفيء والزوال بالغدو والاصال ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصيص
الوقتين بالذكر مع انقيادها متحقق في جميع الاوقات لوضوح ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقنى
في جمع قناة والاصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو
مصدر ويؤيده انه قد قرئ والايصال اى الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان
الكفرة حال الاضطرار وهو المعني بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى واذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد له سبحانه
كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها اثار التجلي كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها
ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة
والشدة بالله سبحانه لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار
والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ
على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا
كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه بين ذلك بقوله عز وجل قل من رب السموات
والارض فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله قل

الله امر الجواب من قبله عليه السلام اشعارا بانه متعين للجواب فهو والخصم في تقريره سواء وامر بحكاية
اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم
الحجر او امر بتلقينهم ذلك اى تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون
على انكاره قل الزاما لهم وتبكيتا افاتخذتم لانفسكم والهمزة لانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك
لا لانكار الوقوع كما في قوله اضربت ابي والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اى اعلمتم ان ربهما هو الله الذى
ينقاد لامره من فيهما كما مر فاتخذتم عقيبه من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا
يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيره ودفع الضر عنه لا على
ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذا قدر المعطوف عليه الا تسمعون
بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله
جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه فعكستم
الامر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف الاولياء
ههنا بعدم المالكية للنفع والضر في ترشيح الانكار وتاكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله
تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره قل تصويرا لارائهم الركيكة
بصورة المحسوس هل يستوي الاعمى الذى هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير
الذى هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة الى المعبود العالم بكل شيء
ام هل تستوي الظلمات التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذى هو عبارة عن التوحيد
والايمان وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله
سبحانه في الضلال المحض والخطاء البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذى لا
يهتدي الى شيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح ان تكون منشا لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة
اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اى بل اجعلوا له شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة لانكار الوقوع
لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذى توجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا
يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم
بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ
لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة آرائهم
والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء كائنا ما كان لا خالق سواه فيشاركه في
استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف
يتوهم ان يكون له شريك وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير
والنور مثل الحق الذى هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة
الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه
ممدا لحيوتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل
في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها
الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية يتحلى به النفوس ويصل الى البهجة الابدية
وبما يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وساير الفلزات التي يتخذ منها انواع الآلات

والادوات ويبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذى ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من
غير مداخلة له فيهما واخلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء
اى من جهتها ماء اى كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه
لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو منفرج بين جبال او تلال او آكام على الشذوذ
كناد وانديه وناج وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم
وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد
السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل بها على
الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شانها وشان ما مثل بها كما اشير اليه بقدرها اى سالت
ملتبسة بمقدارها الذى عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة
وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم
لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان مورد السيل الجاري في الوادي الصغير
اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها
معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدر تلك الاودية على نحو ما عرفته انفا او يراد بضميرها مياهها
بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اى حمل معه
زبدا اى غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى رابيا اى عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد
بالاحتمال المحتمل لسكون المحمل غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل
السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين
ما مثل به من الباطل الذى شانه الظهور في بادي الرأي من غير مداخلة في الحق ومما يوقدون عليه في
النار اى يفعلون الايقاد عليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ
بالخطاب ابتغاء حلية او متاع اى لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذ من
من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والالات المتخذة من الرصاص والحديد
وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه وقوله
زبد مبتدا خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدا وناشئا منه لا تبعيضية
معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلاله بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في
حيز الصلة من ايقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد لي
يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة
في الاعتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك
العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل له اخلال بذلك
كذلك اى مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة يضرب الله الحق والباطل اى
مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين
الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجه وانفعه
حسبما اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة
من الذهاب والبقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل

فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع
الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص فيمكث في الارض اي الماء فيثبت بعضه في مناقعه ويسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والقنا والابيار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه
اصناف الالات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاع مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض
ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق
للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملايمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء
الباقي بعد ذهاب الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الامثال
في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك
يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعدما
بين شان كل من الحق والباطل حالا ومالا اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما مالا تكميلا للدعوة ترغيبا
وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه
الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول
بصورة المحسوس وابراز لاوابد المعاني في هيئة المانوس فاي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول
الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض
من اصناف الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان
ومثله معه لافتدوا به اي بما في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم
ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدا والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوءى في
مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوءى
كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام السوءى مصحوبا باللام الداخلة
على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله
تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدا في الجملة السابقة كان خبرها
اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا
ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال وللذين
لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بين مؤدى ذلك
فقيل وماويهم اي مرجعهم جهنم وفيه نوع تاييد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد
اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب
الله الامثال اي الامثال السالفة وقوله الحسنى صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله
والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الخ كلام مستانف مسوق لبيان
ما اعد لغير المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة و
عدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان الاستعمال المستفيض دخول اللام على
من قصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين امنوا
امراة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين
بل مثل للحق والباطل لا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب

الله الامثال للناس اذ لا وجه لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فتامل افمن يعلم انما انزل اليك من
ربك من القران الذي مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى الحق الذي
لا حق وراءه او الحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى عمى القلب لا يشاهده
وهو باق على عمهه ولا يقدر قدره وهو في اقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب
الضلال ولا يتذكر بما ضرب من الامثال اي كمن لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى
وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من
الامثال وبين المصير والمال كانه قيل ابعدما بين حال كل من الفريقين ومالهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استؤنف
فقيل انما يتذكر بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنائي اولوا الالباب
اي العقول الخالصة المبراة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوا على
انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق
ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم
بعد تخصيص وفيه تاكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله به ان
يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء اجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم
ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج ويخشون ربهم
خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر به ويخافون سوء الحساب فيحاسبون انفسهم
قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فطنتهم حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس
من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق رياء او
سمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من
الصلات السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضي اعتناء بشانه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك
مما لا بد منه اما في انفس الصلات كما في عد الاولى والرابعة والخامسة او في اظهار احكامها كما في الصلات
الثلاث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف
بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج اليه و
اقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه الذي يجب عليهم انفاقه سرا لمن لم
يعرف بالمال او لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند انفاقه واعطائه من يمنعه المروءة من اخذه ظاهرا وعلانية
لمن لم يكن كما ذكر او الاول في التطوع والثاني في الفرض ويدرءون بالحسنة السيئة اي يجازون
الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام
ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن
كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال
العناية بالحسنة اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدا وخبره الجملة
الظرفية اعني قوله لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مال امر اهلها وهي الجنة وقيل الجار
والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار واياما كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما في حيز الصلة
ليس من العزائم التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة صفات
لاولي الالباب على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر جنات

جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتداء خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنان اى
جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من ابائهم جمع ابوى كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم
وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم وهو عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الاخر
او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهليهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشانهم وهو
دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة
والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم وفى التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد
حبل الانساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف
قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذه الكرامة
العظمى بما صبرتم اى بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم فى الدنيا لقد
استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا فى كل منها
ومزية زائدة من حيث انه ملاك الامر فى كل منها وان شيئا منها لا يعتد به الا ان يكون لابتغاء وجه الرب
تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار اى فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين
بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأتى قبور الشهداء على رأس
كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
والذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم فى الاتصاف بنقائض صفاتهم
من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
من الايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق
الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم
يتعرض لنفى الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفى الصبر المذكور
فلانه انما اعتبر تحققه فى ضمن الحسنات المعدودة ليقع معتدا بهن فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين
الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفى الصلوة والزكوة ممن لا يهتدى لاصل الايمان بالله تعالى فضلا
عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى به ان يوصل واما
درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازى احسانه عز وجل بنقض العهد
ومخالفة الامر ويباشر الفساد حسبما يحكيه قوله عز وعلا ويفسدون فى الارض اى بالظلم
وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان له دخلا فى الافضاء
الى العقوبة التى ينبئ عنها قوله تعالى اولئك الخ اى اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم
بسبب ذلك اللعنة اى الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اى سوء
عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها دارهم لان ترتب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى
انه لا دخل له فى ذلك على اكثر التفاسير فان مجازاة السيئة بمثلها مأذون فيها ودفع الكلام السيئ
بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة
واما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير فى ذلك لان
اعتباره من حيث انه من مستتبعات الاخلال بالعزائم كالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك
سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما فى الثبوت الله

يبسط الرزق اى يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اى يضيقه على من يشاء حسبما اقتضته الحكمة
من غير ان يكون لاحد مدخل فى ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما
يضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا اى اهل
مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما
الحيوة الدنيا وما يتبعها من النعيم فى الاخرة فى جنب نعيم الاخرة الا متاع الا شئ يسير يتمتع به
كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الاخرة والحال ان ما اشتروا
به فى جنب ما اعرضوا عنه شئ قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اى اهل مكة وايثار هذه
الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم
بالكفر فيما حكى عنهم من قولهم لولا انزل عليه اية من ربه فان ذلك فى اقصى مراتب المكابرة و
العناد كأن ما انزل عليه عليه السلام من الايات العظام الباهرة ليس باية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة
من الايات المحسوسة التى لا يبقى لاحد بعدها طاقة بعدم القبول ولذلك امر فى الجواب بقوله تعالى
قل ان الله يضل من يشاء اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اى يخلق فيه الضلال لصرف
اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على
صفتكم فى المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو فى الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل اية
ويهدى اليه اى الى جنابه العلى الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان
ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف من اناب اقبل الى الحق وتأمل فى
تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول فى نوبة الخير وايثار ايرادها فى الصلة على
ايراد المشيئة كما فى الصلة الاولى للتنبيه على الداعى الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار بما دعا الى المشيئة
الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضى للايماء
الى استدعاء الهداية لسابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع فى الصلة الاولى للدلالة على استمرار
المشيئة حسب استمرار مكابرتهم الذين امنوا بدل من من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة
فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين امنوا الذين صار امرهم
الى الايمان كما فى قوله تعالى هدى للمتقين اى الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يؤدى الى الهداية نفسها
او خبر مبتدا محذوف اى هم الذين امنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اى تستقر وتسكن
بذكر الله بكلامه المعجز الذى لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون ويعلمون ان لا اية اعظم منه من مقترحاتهم والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان
وتجدده حسب تجدد الايات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من
من الامور التى تميل اليها النفوس من الدنيويات وهذا ظاهر اما سائر المعجزات فالقصر من حيث انها
ليست فى افادة الطمأنينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القران المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيمة
يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدة بل
هواء حيث لم تطمئن بذكر الله تعالى ولم يعدوه اية وهو اظهر الايات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم
بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله او بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية

دوامها واستمرارها ● الذين آمنوا وعملوا الصالحات ● بدل من القلوب على حذف المضاف بدل
الكل حسبما مر اي قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدا خبره الجملة الدعائية
على التأويل اعني قوله ● طوبى لهم ● او خبر مبتدا مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان
وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لتسلم
الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما لك او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء
كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى ● وحسن مآب ● بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان
مثلها في سقيا لك ● كذلك ● مثل ذلك الارسال العظيم الشان المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ● ارسلناك
في امة قد خلت ● اي مضت ● من قبلها امم ● كثيرة قد ارسل اليهم رسل ● لتتلو ● لتقرأ ● عليهم الذي
اوحينا اليك ● من الكتاب العظيم الشان وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل
الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد من
حسن قبوله عند وروده عليها ● وهم ● اي والحال انهم ● يكفرون بالرحمن ● بالبليغ الرحمة الذي
وسعت كل شيء رحمته واحاطت به نعمته والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال
ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم
بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي
مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن ● قل هو ● اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته ● ربي ●
الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل
وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله ● لا اله الا هو ● اي لا مستحق للعبادة
سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او
ادعوا الرحمن الآية ● عليه توكلت ● في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه ● واليه
خاصة ● متاب ● اي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك امر عليه السلام بذلك ابانة لفضل التوبة
ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه
فانه عليه السلام حيث امر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم
عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم
فيحكم بيني وبينكم وقيل فيثيبني على مصابرتكم فاصل ● ولو ان قرآنا ● اي قرآنا ما وهو اسم ان
والخبر قوله تعالى ● سيرت به الجبال ● وجواب لو محذوف لانسياق النظم اليه بحيث يتلقفه السامع
من التالي والمقصود اما بيان عظم شان القرآن العظيم وفساد راي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم
يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد
وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الاول ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها
وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام ● او قطعت به الارض ● اي شققت و
جعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعة ● او كلم به الموتى ●
اي بعد ان احييت بقراءته عليها كما احييت لعيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى
في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل

لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والانذار والتخويف
لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة المقصودة وحذف
المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان تقديم
ما حقه التأخير يبقي النفس مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن
وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة
على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم
على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة
لركاكة رايهم في شان القرآن الرفيع كأنه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا
القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شان القرآن العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى ● بل لله الامر
جميعا ● اي له الامر الذي عليه يدور فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعوا
اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنه الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه و
مؤداه اي لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشان الآن لان
الامر كله لله وحده فالاضراب ليس بمتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون
الشان على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار ● افلم ييأس الذين آمنوا ● اي افلم يعلموا على
لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة علي وابن عباس و
جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف
على مقدر اي اغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ● ان لو يشاء الله ● على حذف ضمير الشان وتخفيف
ان ● لهدى الناس جميعا ● باظهار امثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين جميعا او اعلموا
كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف على المعطوف
عليه اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قولك الم تضرب الاب حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم
بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم
لهداهم وانه لم يشأها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الايمان و
على الثاني لو ان قرآنا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى الآية فالاضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح
اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يأت حسبما تستدعيه داعية
الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح واليأس بمعنى القنوط اي الم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه
فلم يقنطوا من ايمانهم حتى احتاجوا الى ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم يقنطوا
من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اي الى تخلف القنوط عن العلم المذكور و
الانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون ونظائره لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم
منه مما لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف اي افلم ييأسوا من ايمانهم علما منهم
او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشأ ذلك او بآمنوا اي افلم يقنط الذين آمنوا بان
لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق

مقدمتهما من مكابرتهم حسبما يحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكارها سهم وقيل ان اباجهل و
اضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى يتسع لنا ونتخذ فيها البساتين
والقطايع وقد سخرت لداود فلست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت
لسليمان عليه السلام لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا به رجلين او ثلثة ممن مات
من ابائنا فنزلت فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة
الى القران كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما
بينهما اعتراض وهو في الحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض
او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا
من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى
تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع
من الايذان برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم وهو ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصايب
من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفسير اثر الابهام
لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم اثر ذي اثير او تحل تلك
القارعة قريبا اي مكانا قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها شبهت القارعة
بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح
حتى ياتي وعد الله اي موتهم او القيامة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان
ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم
حقق ذلك بقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة
ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول حينئذ من احوالهم
ويجوز على هذا ان يكون قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله
الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك
فامليت للذين كفروا اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء
به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كاينة من
قبلك فامهلت الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان المملى لهم غير المستهزئين
بل لارادة الجمع بين الوصفين اي فامليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ثم اخذتهم
فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى
افمن هو قائم اي رقيب مهيمن على كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير او شر
لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك انكارا
لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة عقيب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد
والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر
القوارع على الكفرة الى ان ياتي وعد الله كانه قيل الامر كذلك فمن هذا شانه كما ليس في عداد الاشياء حتى

تشركوه

تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعني
كون الامر كما ذكر كما في قولك اتعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوف فقط كما اذا قلت الا تعلمه فلا تعمل به
وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر او حالية اي افمن هذه صفاته كما
ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي افمن هذا
شانه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما
للتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة
على التفخيم وقوله تعالى قل سموهم تبكيت لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم
وانظروا اهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه اي بل اتنبئون الله بما لا
يعلم في الارض اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
والارض وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان
يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب
البديعة التي وردت عليها الاية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى
والقدر فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم و
تسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل
اي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها اي صدوا الناس
او من صد صدودا ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره او يخذله فما له من هاد
يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب
فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الاخرة اشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله
من عذابه المذكورين من واق من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة
للتاكيد مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشان التي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي و
هو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها
الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العايد الى الجنة اي وعدها وهو الخبر
عند غيره كقولك شان زيد ياتيه الناس ويعظمونه او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري
الخ اكلها ثمرها دائم لا ينقطع وظلها ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك
الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي اي مالهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار
لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين اتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن امن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في التورية
والانجيل ومن الاحزاب اي من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما من ينكر بعضه
وهو الشرايع الحادثة انشاء او نسخا واما ما يوافق ما حرفوه والا فالنبي عليهم من اول الامر ان مدار ذلك
انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل ويجوز ان يراد بالموصول
الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون به لكونه مصدقا لكتبهم في الجملة فح يكون قوله تعالى ومن الاحزاب

الخ تمد بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل الزاما لهم وردا لانكارهم انما امرت ان اعبد الله و
لا اشرك به اي شيا من الاشيا ولا افعل الاشراك به والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر
مطلقا على عبادته خاصة اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل
لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا فما لكم تشركون به عزيرا او المسيح وقرئ ولا اشرك
بالرفع على الاستيناف اي وانا لا اشرك به اليه الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد
او الى ما امرت به من التوحيد ادعوا الناس لا الى غيره او لا الى شيء اخر مما لم يطبق عليه الكتب
الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم واليه الى الله تعالى وحده مآب مرجعي للجزاء وحيث
كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه السلام بان يخاطبهم بذلك الزاما
وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة مبينا
الحكمة في ذلك فقيل وكذلك انزلناه اي ما انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل
اليك ومحله النصب على المصدرية اي مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة
الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والوقائع
بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وحتم المحافظة
عليه عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة
للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال
الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الى اخره
يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور
فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما
انزل اليك من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من العلم العظيم الشان الفائض
من ذلك الحكم العربي والعلم بمضمونه مالك من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة
وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة فان الاظهر لا يكون الها حتى يكون معبودا او حتى يكون خالقا ورازقا
ومدبرا من ولي يلي امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء
وحيث لا يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف حرف النفي للتاكيد كقولك
مالي دينار ولا درهم او مالك من باس الله من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثال هاتيك القوارع
انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد
مسد جوابي الشرط والقسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية
نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والاولاد كما كانوا
يقولون مال هذا الرسول ياكل الطعام الخ وما كان لرسول منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في
وسعه ان ياتي باية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا باذن الله ومشيته المبنية على
الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قدمناه
وتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات
كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدأ والمعاد

ومن قضيته ذلك ان تختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف
حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات يمحو الله ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام
لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او
يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل
قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو
قرنا ويثبت اخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او
يمحو الاجل او السعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما والقائلون به يتضرعون
الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل
من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام
الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما
هو وان ما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل
بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية
الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسب ما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض
رمز الى اراءة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة
بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا الحساب محاسبة اعمالهم
السيئة والمؤاخذة بها اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم
نركه فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا يهمنك بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك
الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشيره
فقال اولم يروا استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما
وعدناهم او شكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا انا ناتي الارض اي ارض الكفر ننقصها من اطرافها
بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء
اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون
وقوله ننقصها حال من فاعل ناتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستولاء
الهجوم والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار
حسبما يشاهد من المخايل والاثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من
الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية
جيء بها لتاكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه اعتراض في اعتراض لبيان علو شان
حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه
اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه
قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم
ويجازيهم في الاخرة بافانين العذاب غب ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن
عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام وقد مكر الذين من قبلهم من قبل كفار

مكر بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم
ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعني قوله تعالى
فلله المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من
حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير
فعل ولا تأثير حسبما بينه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب
الماكرين بهم وتوفية كل نفس جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا
اثر وان المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا
يحتسبون او لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه
مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم الكفار حين تقضي
بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا
ذلك يومئذ وقيل السين لتاكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس
والكافرون والكفر اي اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر ويقول
الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم
الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد اخر
ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب
الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم والاية مدنية بالاتفاق او من عنده علم
اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد شهد بكتابه بالدعوة الى
عبادته وايدني بانواع التاييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي
وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ خبره الظرف
وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل والله اعلم



الر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كونه مبتدأ او لمبتدأ
مضمر على تقدير كونه خبرا لمبتدأ محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا
المبتدأ المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه
اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة
عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات
محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيفما كان فانك لا تهدي
من احببت بل باذن ربهم اي بتيسيره وتوفيقه للايمان عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق

اي ليخرج به الناس

كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب
لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله
المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وتحقق الاذن
بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة
بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب
اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له
النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله
تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل والبيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في
المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني
على سؤال كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده
او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله
بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا
وقرئ بالرفع على هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله الذي له ملكا
وملكا ما في السموات وما في الارض اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما
كما مر في آية الكرسي ففيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شأن الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة
وتجويز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا امثاله الغفول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل
للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو
النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب
شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك
ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا اي يؤثرونها استفعال من المحبة فان المؤثر للشيء على غيره كانه
يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اي الحيوة الآخرة الابدية
ويصدون الناس عن سبيل الله التي بين شأنها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي
على كل وصف جميل لزوم الاختصار وهو من صده صدا وقرئ يصدون من اصد المنقول من
صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كاوقف فان في صده وقفه لمندوحة عن كلفة النقل و
يبغونها اي يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اي يطلبون لها عوجا اي زيغا واعوجاجا
وهي ابعد شيء من ذلك اي يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة
ومحل موصول هذه الصلاة الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم
بازاء ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المبني عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب
الحيوة الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء
كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتداء
والخبر قوله تعالى اولئك في ضلال بعيد وعلى الاول جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق
من لحوق الويل بهم تاكيدا لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة
من استحباب الحيوة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج

وهو منه بين في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال
الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز ان يكون المعنى في ضلال
ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا
بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك كما
سيذكر اجمالا من رسول الا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة
على لغة سواء بعث فيهم اولا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون
كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة
ممن لم يؤمر به حيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شان سيدنا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد الالسنة
الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان استقلال بعض من ذلك
بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء وحصل البيان
بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشان المستتبع لفوائد غنية عن
البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة من معرفة توافق الكل وتحاذيه
حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا
وفيه من التعذر ما يتاخم الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين
بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم
اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل
عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين
لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبيين العرب وفي رجعه الى قوم كل نبي كانه قيل وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد عليه السلام ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من
التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرة اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا
يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته
لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم
شانهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق
كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه
لها والحذف للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه
امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على
التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية
اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تاثير للتبيين والتذكير
من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب
الاهتداء وهذا يحقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز
فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض
الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه

يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الاية باياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج
قومك بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان
صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل
بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي اداهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا
الها كما لهم الهة الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وساير ما امروا به وذكرهم بايام الله اي
بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم
وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم الاية
او بايامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام
الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شانها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب ووجه
كما يوهمه الاضافة الى ضمير التكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام الله وقايعه
التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقايعها وحروبها وملاحمها اي انذرهم وقايعه التي
دهمت الامم الدارجة ويرده ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء
والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك ان في ذلك اي في التذكير بها او في مجموع
تلك النعماء والبلاء او في ايامها لايات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته
وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء
ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية
ظاهر واما على الثاني فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث
هو مجموع او كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور
لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق
بكمال الصبر والشكر او الايمان ويصير امره اليها لا لمن اتصف بها بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير
المذكور السابق على التذكر المؤدي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله
من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الايات بهم لانهم
المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على
الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال
موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير للاخراج المذكور واذ
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم بداء عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق
بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم
او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا انعامه
عليكم وقت انجائه اياكم من ال فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او
بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه

ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد جنس العذاب
السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه
مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب
المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا
في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحيوة مع الذل والصغار
ولذلك عد من جملة البلاء والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل
منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء منه لا ان البلاء عين تلك
الافعال اللهم الا ان يجعل في تجريدها فنسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين
عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب
كالموح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار
ان بلاء المؤمن تربية له واذ تاذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلم لقومه معطوف على نعمة الله
اي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم اي اذن ايذانا بليغا لا يبقى معه شائبة شبهة لما في
صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على
قوله تعالى اذ انجاكم اي اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فان هذا التاذن ايضا نعمة من الله تعالى
عليهم ينالون بها خيري الدنيا والاخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم
عليه السلام اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكير ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا
بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر و
المراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما
فيها كانه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير
ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن
كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد
والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم
واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتاذن لانه
ضرب من القول او لقول مقدر بعده كانه قيل واذ تاذن ربكم فقال الخ وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى و
لم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر
غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة
بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على
كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن شكر
الشاكرين ولعله عليه السلام انما قاله عندما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد
وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله تعبيرا لكفرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه
تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال الم
ياتكم نبؤا الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمن والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر
ويفيئوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تحذيرا

بتذكير موسى عليه السلام بما اختص ببني اسرائيل من السراء والضراء والايام الجارية عليهم فقط وفيه
ما لا يخفى من البعد وايضا لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه الصلوة والسلم
بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول
او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين
عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدأ ولا
يعلمهم الى آخره خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرأ
هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم
رسلهم استئناف لبيان نبائهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل
رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين
بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشانها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة
عليها واقناطا لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
اي على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالاتهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى
باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم او عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به
الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه
الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلم يمنعونهم من التكلم
حقيقة او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجيبهم بقولهم
افي الله شك الخ وقيل الايدي بمعنى الايادي عبر بها عن مواعظهم ونصايحهم وشرايعهم التي هي مدار
النعم الدينية والدنيوية لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي
شك عظيم مما تدعوننا اليه من الايمان بالله والتوحيد نظيرا في شكهم في ذلك كفرهم القطعي
بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات
ولذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة من ارابه
او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء قالت رسلهم استئناف
مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين
من مقالتهم الحمقاء افي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس
الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا منقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا
انتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة
العقول اي افي شانه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل
ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان
والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به
واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء
المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد
بتحقق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام

وجملة مبتداء على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدا والفاعل
ليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء
انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته
لياكل معي من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه قيل
هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لان المغفرة
حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن
المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل
مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق
ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر
حملا على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا او كلام مستانف اي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والارشاد ان
تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد اباؤنا اي عن عبادة ما استمر اباؤنا على عبادته
من غير شيء يوجبه والا فاتونا اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فاتونا
بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك
ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الايات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال
ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا واراءة لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس
ما ينطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم
لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه
فان ذلك عام فان اختص بهم ما تعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة
على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل
والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس او ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في
الصورة او في الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى يمن بالفضائل والكمالات والاستعدادات على من
يشاء المن بها وما يشاء ذلك الا لعلمه باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات
هي التي يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان
اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله
فانه امر يتعلق بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون
امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اثر ذي اثير الا يرى الى قوله عز وجل وما
لنا اي اي عذر لنا الا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل
عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه
ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه
سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل
التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما اذيتمونا بالعناد واقتراح الايات وغير ذلك
مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل
والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك

لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من توكل دون غيره وقال الذين كفروا لعل
هؤلاء القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر من اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة
دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في
ملتنا لم يسمعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعدما راوا البينات الفاسد الجهر حتى اجترؤوا
على مثل هاتيك العظيمة التي لا تكاد تحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الحالين والعود اما بمعنى
مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسياتي في الكهف
فاوحى اليهم اي الى الرسل ربهم مالك امرهم عندما تناهى كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية
لا مطمع بعدها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا
منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم اي من بعد اهلاكهم
وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى
به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي
موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله
وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار والمعنى ان
ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا او سالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سالوا ان ينصر
المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن اي اوحى
اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اي خسر وهلك كل جبار عنيد متصف
بضد ما اتصف به المتقون اي فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سالوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد
وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم
كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما
لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم يصبهم الخيبة او استفتحوا
جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن الطلب وفي
اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اي بين يديه فانه مرصد لها واقف
على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك و
يسقى معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء
مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد وهو قيح اي دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره
وهو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا للامر وتخصيصه
بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة
العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل
يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى

يشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر
جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل
يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به
من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اي والحال انه
ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات
ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع
ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس و
قيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته صلى الله
عليه وسلم وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اي
صفتهم وحالهم العجيبة الشان التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد
كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله منهوب او هو استئناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي
عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف
وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت به الريح
حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك
ليلة ساكرة وانما السكور لريحها شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى
والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استئناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام
او مبتدأ خبره محذوف كما هو رأي سيبويه اي فيما يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستأنفة مبنية
على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء اريد بها صنائعهم او اعمالهم للاصنام وقيل
اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اي يوم القيمة مما كسبوا من تلك الاعمال
على شيء ما لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل
والاكتفاء والتمثيل ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم
وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة
من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب
ألم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم
والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض ساد مسد مفعوليها اي ألم
تعلم انه تعالى خلقهما بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان تخلق عليه وقرئ خالق
السموات والارض ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا آخر
مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا
الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر
ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر
فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه حقيق بان يؤمن
به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيمة وايثار صيغة الماضي
للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او لانه لا مضي ولا استقبال

بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا
يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم
فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل
الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا في الدنيا لكم تبعا في
تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة او على
اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد
التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية
للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض
شيء هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم
مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا
اي المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له
لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا
أجزعنا مما لقينا أم صبرنا على ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة وام لتأكيد
التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وانما اسندوهما ونسبوا استواءهما الى
ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلام انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به
وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع
ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب
من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهي
جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان
الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عند ما عتباه بما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي احكم
وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء
ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح
ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته جعل خلف
وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك وما كان لي عليكم من سلطان اي تسلط
او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليه وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان
لكنه ابرزه في معرض على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كانه قال
انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي
فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه
الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم

حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا لربكم اذ دعاكم دعوة
الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس
فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي
عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة
والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واحوجكم
عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم
فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في
بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير
ولذلك آثر الجملة الاسمية فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم
واستعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء اني كفرت اليوم بما
اشركتموني من قبل اي باشراككم اياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون
بشرككم يعني ان اشراككم لي لله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني
معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه
ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز
وجل كما في قوله سبحان ما سخركن لنا فيه تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة و
الاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا
احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا
المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية
امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه
وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون
هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى
تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه
اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة
والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها لانه تعالى صيرها
مثلها في الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على
فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون
اول مفعولي ضرب باجرائه مجرى جعل قد اخر عن ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة
وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض وقرأ انس بن مالك
رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بقرينته اعني قوله تعالى
وفرعها اي اعلاها في السماء في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس
عن الجميع تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها

والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات ومثل كلمة
خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة اي
كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان
بان ذلك غير مقصود الضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت و
اخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة
الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى
وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة او عند سؤال القبر روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال
ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول
ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك
قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا مثال لايتاء الشجرة المذكورة اكلها كل حين
قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القسم ابن حبيب في سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت
ابا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت ابا سهل بن عمار العملي يقول رأيت يزيد بن هرون في منامي
بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان غلاظ فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك
فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت المثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل
الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم
والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه واما باعتبار
ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم
نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي
الى الحق فالمراد بالذين آمنوا المخلصون في الايمان الراسخون في الايقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم
كون كلمة التوحيد اذا كانت خالية عن ايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلا ويفعل الله ما
يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين حسبما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك
وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالافتراق
في مبدأ التثبيت والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو
مبدأ صدور الآخر الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة
من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اي الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر
نعمته تعالى بان وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها
سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الآمن يجبى اليه
ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلا لها وعن عمر وعلي رضي الله تعالى
عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية

فتمتعوا الى حين كانهما ثنيا ولان ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الاية واحلوا اى انزلوا قومهم
بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول
كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذى لا هلاك وراءه جهنم
عطف بيان لها وفى الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم داخلين فيها
مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور
ح تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول
وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم اى بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان
حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا وما عطف عليه داخل
معهما فى حيز الصلة وحكم التعجيب اى جعلوا فى اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذى ليس كمثله شئ
وهو الواحد القهار اندادا اشباها فى التسمية او فى العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم
حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذى هو التوحيد ويوقعوهم فى ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير
الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم
اضلالهم لقومهم المودى الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره والايذان بان كل واحد
من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضى منه العجب
ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلث كما فى قصة البقرة وقرئ
ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه
بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا لاولئك الضالين المضلين و
نعيا عليهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم فى الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك
بحال الجاء بان يضرب عنهم صفحا ويطوى عنهم عنان العظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل يومروا
بمباشرته مبالغة فى التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما انتم
عليه من الشهوات التى من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس فى عبادة الاصنام فان مصيركم
الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطى ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هى فى الحقيقة صورة لدخولها
ومثال لها حسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار الخ فهو تعليل للامر المامور وفيه من
التهديد الشديد والوعيد الاكيد ... [illegible] ... الى ذلك
تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم فى التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مامورون
بذلك من قبل امر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كذاب مامور بسلك فى طاعة آمر مطاع فليس قوله
تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذه
حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا فى الامر قل لعبادى الذين امنوا
خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لوظايف العبودية الموفون بحقوقها
وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار المقول تهديدا وتبشيرا والمقول هٰهنا
محذوف دل عليه الجواب اى قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اى يداوموا
ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره
وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف فى قوله

محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا قد اقيما
مقامهما وليس بذلك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور
اى انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب فى الانفاق اخفاء التطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين
على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنع
الكفرة من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفدى به نفسه والمقصود
نفى عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة فى نفى العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفا
الشراء على ابلغ وجه وانتفاءه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البايع ولا خلال ولا مخالة فيشفع
له خليل او يسامحه بمال يفتدى به نفسه او من قبل ان ياتى يوم لا انتفاع فيه بما ابتاعه من البيع والمخالة
ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا
وتذكير اتيان ذلك اليوم لتاكيد مضمونه كما فى سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك
به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين فى الدنيا وعدم الانتفاع بهما من
اقوى الدواعى الى الاتيان بما يبقى عوايده ويدوم فوايده من الانفاق فى سبيل الله عز وجل او من حيث ان
ادخال المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهادات فحيث لا يمكن ذلك فى الاخرة فلا وجه
لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التاكيد بذلك لميل الطبع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة
به ولا يبعد ان يكون تاكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال
بالبياعات والمخالات كما فى قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفى
العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابى هو وقوعه فى جواب هل فيه بيع او خلال الله مبتدأ خبره
الذى خلق السموات وما فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر
احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا للنعمة شرع فى تفصيل ما يستوجب
على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة
المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصى وفى جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك
الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة
ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اى السحاب فان كل ما علاك
سماء ... [illegible] ... الى الارض
او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا واياما كان فمن
ابتدائية ماء اى نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ النزول او
لتشريفه كما فى قولك اعطاه السلطان من خزانته مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاخرج به
بذلك الماء من الثمرات الفاشية للحصر اما لان صيغ الجموع يتعاور بعضها موضع بعض واما لانه اريد
بمفردها جماعة الثمرة التى فى قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق
شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من
الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا
به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء
كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا او خروج الثمرات وان كان بمشيته عز وجل

وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب او اودع في الماء
قوة فاعله وفي الارض قوة قابله يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب
ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنايع وحكما يجدد
فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا
ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على
صنعتها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريانا تابعا لارادتكم بامره بمشيته التي
بها ينوط كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الالات كما يترائ
من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها
عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم
وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدابان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما ما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم
الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم
الفايضة عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا
على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار
والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة الماخذ وعزة المنال والدلالة على
عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة
مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها الذكر الارض المستدعي لذكر
انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار
او للتفادي عن توهم كون الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة
البقرة واتاكم من كل ما سألتموه اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيته التابعة للحكمة
والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او اتاكم من كل ذلك ما احتجتم
اليه وينط به انتظام احوالكم على وجه المقدر فكانكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما
سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل
فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل واتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقي
على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية اي اتاكم من كل غير سائليه
وان تعدوا نعمة الله التي انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا بحصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية
واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها هيئة اذان
بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وكل فرد من افراد الناس وان كان في
اقصى مراتب الفقر والافلاس محنوا باصناف العنايا مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تامله القيته
متقلبا في نعم لا تحد ومنن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطي كل ساعة وان من النعماء ما حواه حيطة
الامكان وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم
وادعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع
ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير ند يزاحمه ولا شريك يساهمه بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر

تاخير

يواقيت غاليه ونفايس درر ثم قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم
فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة ترويه من ظماه
ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل
لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فاذن تلك اللقمة والشربة
خير منها في الدنيا بالف رتبة مع انهما في طرف الثمام ينالهما متى شاء من الليالي والايام او قدر انه قد
احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحين قد حان واتاه الموت من كل
مكان اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لرايه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا
بجملتها ومطالبها برمتها مع انه قد اتيح له كل ان من انات الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا من
الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف
على كل ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما
يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرايقة بحيث لو انقطع بينه وبين العناية الالهية من العلاقة
لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم والبوار ومهاوي الهلاك والدمار لكن
يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل ان يمر وينقضي من انواع
الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وساير صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق
التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك
من جناب المبدا الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي
لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري لان الاستمرار
والدوام من خصايص الوجود الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية
التي هي علله وشرايطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور
العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية
وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود فاذن تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاءها على العدم مع امكان
وجودها في انفسها في كل ان من انات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجود
علله وشرايطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه
كل ان نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك العيون
بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها شانك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك
حايرون وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء
حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة
باغفال شكرها او بوضعه في غير موضعه او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم
في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران
بعض من وجدا فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا اوليا واذ قال ابراهيم
اي واذكر قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل
والمراد به تاكيد ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم ببيان فن اخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة
بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى

لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وساله تعالى ان يجعله بلدا آمنا
ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه و
جعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا
لله تعالى اندادا او فعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله تعالى سبحانه آمنا اي ذا
امن او آمنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق ما بينه وبين ما فيها من قوله رب
اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني
للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سال اولا كلا الامرين
فاستجيب له في احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الالهية اليه ثم كرر السؤال كما
هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسئول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه
وثانيا الامن المعهود او كان هو المسئول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني لاستدامته
والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن
وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسئول كلا الامرين وقد حكى اولا
واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع
الكفرة عن اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكى بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم
اذ المسئول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكى بعبارة اخرى وكان
ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام
لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا
البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى
اذا استوى على ثنية كدا اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية وانما فصل ما بينهما تثنية الامتنان
وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام
واجعلنا منه في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام
وقرئ واجنبني من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون
جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد ببنيه اولاده
الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضي الله عنه على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد
الصنم وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب
ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من
قوارع نعي على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه رب انهن اي الاصنام
اضللن كثيرا من الناس اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدر
بالنداء اظهارا لاعتنائه به ورغبته في استجابته فمن تبعني منهم فيما ادعو اليه من التوحيد وملة
الاسلام فانه مني اي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني
في امر الدين ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة
وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان
تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد

قضى

قضى بالفرق بينه وبين غيره ربنا اتى عليه السلام بضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والا
لراعاه في قوله رب انهن الخ بل لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله
اني اسكنت الاية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسئول
من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولد له
فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمينان متضمن لاسكانهم روي ان هاجر ام اسمعيل كانت لسارة
فوهبتها من ابرهيم عليه السلام فلما ولدت له اسمعيل عليه السلام غارت عليها فناشدته ان يخرجها
من عندها فاخرجها الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا
وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن
لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقد مباديه بالمرة لمحض التقرب
الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجا وعصمته
عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة
في كل عصر او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء
وانما كان نشزا مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيؤول
اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه ينزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان
من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناها
في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق
باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال
العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى
والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء مسئوله الذي لا يتسنى ذلك المرام
الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدتهم فمن للتبعيض
ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم واما ما زيد عليه من قولهم ولحجت
اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ المسئول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها
الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكى بعبارة اخرى كما مر ولا ابتداء الغاية
كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كادر في ادور او على انه اسم فاعل
من افدت الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من
تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ على البناء للمفعول من اهواه غيره وتهوى من
باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع واول آثار هذه الدعوة ما روي انه مرت
رفقة من جرهم تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فاشرفوا
فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى
ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم
اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما
في قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة من الثمرات
من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل

كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعيه والصيفيه والخريفيه في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي
ان الطايف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها
حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطايف لدعوة ابراهيم
عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة واداء ساير مراسم العبودية وقيل
اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه
الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين
الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرافة ما لا يخفى فانه عليه السلام بذكر كون
الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤل وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار
الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعيم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواز مرافق المعاش
لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤل ولذلك قرنت دعوته م
بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما
نعلن سواء تعلق به الاخفاء اولا اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر بباله
مما فيه من الاحوال الخفية فضلا على اخفاء وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق
العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه بما يعلن اولان مرتبة السر والخفا متقدمة على
مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه
بحالته الثانية ومقصده عليه السلام اظهار هذه الحاجات وهو من مباديها وتتماتها ليس لكونها
غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار
الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان
المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه
الاعتراض وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات فما من يدخل تحت
الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما
يخفى على الله الخ دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفي
من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك
بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من
ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او يخفى وتقديم الارض على السماء
مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات
من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشان يختص به او بمن يتعلق به بل
شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبداية الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل
وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على
الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما
للنعمة واظهارا لشكرها اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له
اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة ان ربي وما لك امري لسميع

الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف
الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف
له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعيف
النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد
ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم
عليهم رب اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا
حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من المذكورين ومن يسير بسيرتهما من اولادهما للاشعار
بانه المقتدي في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله ربنا اني اسكنت الخ
فان اسكانهم مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص
بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم
الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء
اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة
الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين
وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه
عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه ادم وحوا وقيل بشرط الاسلام
ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم الاية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسياتي تمامه
في سورة مريم بفضل الله تعالى عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك
الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال
المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل الاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق
والمراد تهويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسئل القرية واعلم ان ما
حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على
وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في
الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه
من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظايره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب
الاحتراز عنه في الغاية حتى نهى عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام عن حسبانه تعالى تاركا
لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة وفي النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة
حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة
عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد للكفرة
وساير الظالمين شديد او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار
بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم
ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عددت مساويهم من تبديل نعمة الله
كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التاخير المنبي عنه قوله تعالى

عمل ممتعوا الاية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم يمهلهم متمتعين
بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم
على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتاخيرها تستوجبه من العذاب
الاليم ان تاخيره للتشديد والتغليظ ولا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تاخيرها انما ذلك
لاجل هذا او لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التاخير انما هو لهذه
الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال
ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان حقهم
من العذاب هو الاستيصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر له
من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم الخ لما فهم ذلك ليوم هائل تشخص فيه
الابصار ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى
مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي
في جرم العين واما بحمل الصيغة من شخص من بلد الى بلد وسار في ارتفاع مهطعين مسرعين الى
الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون
هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي قيل مقنعي رؤسهم اي رافعيها مع ادامة
النظر من غير التفاوت الى شيء قاله العتبي وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع راسه اي طاطاها و
نكسها فهو من الاضداد وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال متداخلة من الضمير
في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك
اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف او لا ترجع اليهم اجفانهم
التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا او هو نفس الجفن قال الفيروزابادي الطرف
العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى
شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي الخ او استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم
من شخوص الابصار وتاخيره عما هو من تتمته من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من
المناسبة لتربية هذا المعنى وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كانها
نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي لا قوة ولا راي فيه واعتبار خلوها
عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم
بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
اعلامه ان تاخيرهم لماذا وامر له بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين
كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه
من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا
فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف
فان كان مخصوصا بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم يوم ياتيهم العذاب المعهود وهو اليوم الذي
وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات
ولقاء الملئكة بلا بشرى او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق فيقول الذين ظلموا

اي مقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوه من الشدة
انما هو لظلمهم وايثاره على صيغة الفاعل حسبما ذكر اولا للايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى
ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس
من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من
المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل
ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا وامهلنا الى اجل قريب الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك
اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم
مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤنا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة
واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عليه السلام عصيانا
لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع
رسولها اولم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا
الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها ما لكم من
زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنياوية او بالسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا
ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التاخير وبعد مداه او
ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله
ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي
رحمه الله انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا
بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل
فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير
ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم
لقاء يومكم هذا الاية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تع
اولم تكونوا اقسمتم ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما
يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا
وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير
وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا بك
نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والاوطان
وانما استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق
السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم
في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم
بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم
المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح
وهود على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم وتبين لكم

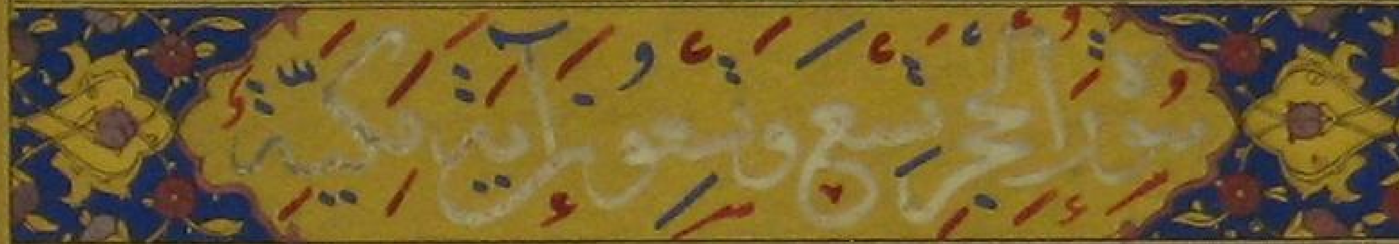
بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد و
كيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه
دلالة واضحة اي فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرئ ونبين وضربنا لكم الامثال
اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام
على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال
المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب
العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر
واستحقاق العذاب والجمل الثلث في موضع الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم
سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال
وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما
قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم
قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا
فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او وقد مكروا
مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال
قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله سبحانه وتعالى وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم الذي
فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا
لكونه بمقابلة مكرهم وجودا او ذكرا او لكونه في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون
وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستانف والجملة حال
من الضمير في مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رايهم
حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال
اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لازالة الجبال عن مقارها
لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء
مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفا
مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه
اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية من التاكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما
سبق فهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله
ليعذبهم ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حال من الضمير في مكروا
لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على
انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلم
التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم وامر
القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان
حمل الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في
الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم

المعهود وان الشان كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك
وكان شان الآيات والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالته وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة
والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال
ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ
وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد ان الضمير في مكروا
للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
الآية وغيره من انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى وقد
مكروا الخ حالا من القول المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما
ينافيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اي لم يكن
الصادر عنهم مجرد الاقسام الذي وقع بل اجترؤا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال
من ضمير مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم
تفاوت الحال في تحقق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون ان نافية فهو
حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد مكروا والحال ان مكرهم ما كان
لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام
مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح
ان يكون منهم مكر كذلك لما ان شان الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال
من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فيما مر فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به
والله سبحانه اعلم ما وعدهم بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل
فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروي بل ما سلف انفا من وعد تعذيب الظالمين بقوله تعالى
انما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته عليه السلم على ما كان عليه من
الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر
تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل
منهم في القرآن العظيم فكأنه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيمة واخبرناك بما يلقونه من
الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في احوال من سبقهم
من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم
اخلافنا رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا يقادر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه
والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل
بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام
ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر يوم تبدل الارض غير الارض ظرف لمضمر مستانف ينسحب
عليه النهي المذكور اي يجزيهم يوم الخ او معطوف عليه نحو واذكر يوم تبدل الارض غير الارض
او للانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن لما احواله جمة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد
به مع عموم انفصاله الاوقات كلها للايضاح عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم
بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده

يوم تبدل الارض الخ وفيه ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله
مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية
فلا يبالي بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم بدنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم
جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى
يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال والاية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله تعالى
وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية
لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها
وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار
كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها
عوجا ولا امتا والسموات اي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل
الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا وبرزوا اي الخلايق او الظالمون المدلول
عليهم بمعونة السباق والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها
سرا ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان
بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه
او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد القهار للحساب والجزاء
والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم
على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم ياتيهم العذاب فان
الامر اذا كان لواحد غلاب لا يعاز وقادر لا يضاد ولا يعار كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة
وترى المجرمين عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على
الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل
ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدر على تقدير كونه تجزى يومئذ يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم اذ
تبدل الارض او يوم اذ تجزى وعده مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسبما اقترانهم في الجرائم والجرائر
او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقايد الزائغة والملكات الردية والاعمال
السيئة غب تصوير كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم
وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين في الاصفاد في القيود او الاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالى
مقرنين او حال من ضميره اي مصفدين سرابيلهم اي قمصانهم من قطران جملة من مبتدا وخبر محلها
النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين رابطها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستانفة
والقطران ما يحلب من الابهل فيطبخ فيهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد يصل
حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم
كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون
الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكان ما شاهد
منهما اسماء ومسمياتها في الاخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا

لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الموحشة فيجلب اليها الالام والغموم بل وان يكون
القطران المذكور عين ما لابسوه في هذه النشاة وجعلوه شعارا لهم من العقايد الباطلة والاعمال السيئة
المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشاة الاخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد
العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطر آن اي نحاس مذاب متناه حره وتغشى
وجوههم النار اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه
بالحكم المذكور مع عمومه لساير اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله تعالى افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم
يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات و
لذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا
عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤس الاشهاد وقرئ تغشى اي تتغشى بحذف
احدى التائين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة
على الحال قاله ابو البقاء ليجزي الله متعلق بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة
ما كسبت من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم
او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق
والمتعلق به اي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر وقد
اكتفي بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة ان
الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه
او سريع المجيء ياتي عن قريب او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وهو سريع الحساب
هذا اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب بلاغ كفاية في العظة
والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القران المجيد من فنون العظات و
القوارع للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم
وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف
على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي كفاية لهم في ان ينصحوا وينذروا به او هذا البلاغ لهم لينصحوا
ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف
اي ولينذروا به انزل او تلي وقرئ لينذروا من نذر بالشيء اذا علمه وحذره واستعد له و
ليعلموا بالتامل فيما فيه من الدلايل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان اخرين مساكنهم وغيرهما
مما سبق ولحق انما هو اله واحد لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التامل المؤدي
الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى وليذكر اولوا الالباب اي ليتذكروا ما كانوا
يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم
من الصفات التي تتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقايد الحقة والاعمال الصالحة وفي
تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكر
من القوارع المسوقة لشانهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم
فايدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى

الكفرة امرا حادثا وبالنسبة للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة الى اولى الالباب الثابت على ذلك
حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى
والله سبحانه اعلم ختمنا الله بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بمرضاته في الاولى والعقبى امين عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم
يعبد والحمد لله وحده



الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها تلك اشارة اليه اي تلك السورة
العظيمة الشان ايات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق
باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القران
او عن الجميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف
الايات بنعت ما اضيف اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك
ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى تستغني عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع اياتها فلا بد من
جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقران اي قران
عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين
الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شانه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرانية على طريقتين
احديهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره
نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن
سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم من اول الامر
ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة
وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القران على الكتاب لما سنذكره هناك ولما بين كون
السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقران لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص
والمواعظ شرع في بيان ما تضمنته فقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد
وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا وفيه ثماني لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة
التاء ايضا مشددا ومخففا ورب حرف جر لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل
وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا لما ان المترقب في اخباره تعالى
كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقران
وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم
انما كان بالجحود بعدما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيمة او عند موتهم او عند
معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسى
الاشعري انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من
شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم

معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فيامر بكل من
كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند
ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت
دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة
وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه يقول البعض
قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده
مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد
وابراز انه ممن يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان
الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فصار اليه هضما للحق فدل النظم الكريم على وداد
الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم الاخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد
ولو جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جنايات
الكبريا وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب
كما نطق به قوله تعالى ذرهم ياكلوا الاية او فهما بالى الاشعار بان من شان العاقل اذا عن له امر يكون
مظنون الحمد او قليلا ما يكون كذلك لا ان يفارقه ولا يعارف ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في
قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم
مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل
وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره
والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء
ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه
كل آن وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متمايزان ذاتا ووصفا لا
من طريق واحد فخذ ما اي عن توفيه المقام حقه ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة
والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطون
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالماكل
والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا استماع ما ينغص
عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم
وشانهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما هم يصيرون اليه او عن الايمان
والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار
واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمآل الا خيرا فالافعال الثلثة مجزومة على الجوابية
للامر حسبما عرفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز او على ان يكون المراد بالافعال
المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في
ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم و
ينغص عليهم عيشهم فامر عليه السلام بتركه ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فدهمهم ما يذهلهم

وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني
المذكور حيث لم يعلموا ذلك من حينئذ وهو مع كونه وعيدا ايما وعيد وتهديدا اي تهديد تعليل للامر بالترك
فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا ينجع الامر بالضد
الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا
شروع في بيان سر تاخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب
اي ما اهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم
كما فعل باخرين الا ولها في ذلك الشان كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث
لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه
بالتقدم والتاخر وكتاب مبتدا وخبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تاكيدها بكلمة من
في حكم الموصوف كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب
اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتاخر
او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها في
حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة
بل للمقدرة التي هي بدل من المذكور على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى
الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن
لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل الطعام
المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة
بكلمة الا كما توهم واما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما
من حيث ان الواو شانها الجمع والربط فان ما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها في قوله
تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان استحالة انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن
الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم
وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن
التقدم عليه ولا التاخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب في
كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زماني
فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جازه وخلفه وراءه واذا كان
واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزماني يعتبر في الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه
يتحقق قبل تحققه واما الزمان فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سياتي من الزمان فالسابق ما تقدم
الى المقصد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم
باعتبار ما يوجبه من الاهلاك وما يستاخرون اي وما يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار
بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي
لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة
بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستيخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة
من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الاخرة وتاخير ذكر عدم تاخرهم عن ذكر

عدم

عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما
باعتبار ان المراد بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى
مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تاخير عذابهم
الى يوم القيمة حسبما اشير اليه ببيان ودادتهم الاسلام اذ ذاك وبالامر بتركهم وشانهم الى ان يعلموا
حقيقة الحال انما هو لتاخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان
بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم
بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركوا مكة لغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي نزل
عليه الذكر خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به ع م
واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك لمجنون كدأب فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون يعنون ما من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى او بسبب
ما يعتريك عند ما تدعي انه نزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم
متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه كقوله
تعالى لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول
الله تعالى وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون
التنزيل عليه لا الى استناده الى الفاعل لو ما تاتينا كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيده عند
تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا انه عند ارادة الثاني لا يليها الا فعل ظاهر
او مضمر وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر او مقدر عند البصريين والمراد هنا هو الثاني
اي هلا تاتينا بالملائكة ليشهدوا بصحة نبوتك ويعضدوك في الانذار كقوله تعالى لولا انزل
عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبونا على التكذيب كما اتت الامم المكذبة لرسلهم ان كنت من
الصادقين في دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية
امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم
المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال
وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا
مبنيا من التنزيل ومن الثلاثي وهو كلام مسوق الى النبي عليه السلام جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا
لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قولهم يا ايها الذي
نزل عليه الذكر الاية كما فعل في قوله تعالى قال انما ياتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فاتنا بما تعدنا
قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الاية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما
ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين
عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان يقال ما ناتيهم بهم للايذان
بانهم قد اخطاوا في التعبير حسبما اخطاوا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب
اليهم مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الاخر منها بل من الاسفل الى الاعلى
وان يكون مقصد حركاتهم اولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق
بشانهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق

بين

اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة ويجري به السنة الالهية كقوله سبحانه
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم
ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب
التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المومنين فكيف على امثال اولئك الكفرة
اللئام وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل بامثالهم
من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستوصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جواب للشرط مقدر وصيغة
ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب
النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني اي حين جئتني ثم ضم اليه ان فصار
اذان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجي لفظة ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ
كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا موخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع
استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتاخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم
ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الخ وحال حائل الحكمة بينهم وبين استيصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم
عذابا بايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر
والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في
تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار او انه لا حكمة في ان
تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزال الملئكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة
بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملئكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير
انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك بقطعية الباقي لا يلزم من فرض وقوع شيء من
ذلك تعجيل العذاب الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان
الملائكة لاجل الشهادة اما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملئكة للتعذيب الا تنزيلا
ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا
ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتاخير عذابهم الى يوم القيمة لارفاقهم بل لتشديدها
عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم
التعذيب عدل عما تقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك
غير موافق للحكمة الموجبة لتاخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل الحق بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية
له اي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك
الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له
لحافظون عن كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين
به واما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على
الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا
على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف
وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي

ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله
عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل
ردا لما ذكر انفا ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة
ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة
من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب
من شايعه اذا تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف
عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم
ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين وما يأتيهم من رسول المراد نفي اتيان كل رسول
لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا
وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها
الا كانوا به يستهزؤن كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير
المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه او في محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع
على الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزؤن واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فمفض الى زيادة من
الاستغراقية في الاثبات ويجوز ان يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء
وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال
مع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم
بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء
الوحي مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم
وبما جاؤا به من الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون
فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك
السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فانهم
من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود
وهو السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشيء في
اخر يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به اي بالذكر حال من ضمير نسلكه
اي غير مومن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير في نسلكه للاستهزاء فتعين البيانية
الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اي نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم
غير مومنين بملابسته والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء كما في
قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي قد مضت طريقتهم التي سنها الله
تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استيناف جيء به تكملة للتسلية
وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء
اي بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه فظلوا فيه في ذلك
الباب يعرجون بآلة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول او فظلت

الملكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم
لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق انما سكرت ابصارنا اي سدت
من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت اي حارت
بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور ساير الايات الباهرة وفي
كلمتي الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وانما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم
بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير
ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر
عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع اخر من السحر غير تسكير الابصار ولقد جعلنا في السماء بروجا
قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل
عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع
وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اي جعلنا بروجا
كائنة في السماء وزيناها اي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت
او ثوابت للناظرين اليها فمعنى التزيين ظاهر او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على
قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للاثار الحسنة وحفظناها
من كل شيطان رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها ويقف
على احوالها الا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين
عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها
والتصرف فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلم
منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع
اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال
من الاوضاع فاتبعه اي تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد
يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب
الزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمى به الشيطان فيقتله او يخبله لئلا
يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال افرايت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد الاية قال غلظت
وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلى الله
عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان
الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملئكة فيرمون بالكواكب فلا يخطي
ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير
غولا فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس يجرح و
يحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو
بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرا بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية
اعني قوله تعالى ولقد جعلنا الخ وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت
وقد مر بيانه في اول الرعد وانبتنا فيها اي في الارض او فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون

بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا او قيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن
مناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما يعيشون به من المطاعم
والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بالياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له
برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من
العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد
حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن
لستم له برازقين وان من شيء ان نافية ومن مزيدة للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من
شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدا وخزائنه
مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدا الاول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس
الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته
تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن
وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهياة متاتية لايجاده وتكوينه بحيث متى
تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تاخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر
الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله اي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا
بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم اي الا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة
التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين
ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له
من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما
هو في خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدر اي ننزله وما ننزله الخ او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل
شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء
ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا
الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح له اي ارسلنا
الرياح لواقح اي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم
ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما
تطيح الطوائح اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشانا
بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به
متى شاؤوا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل
نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين
له بعد ما انزلناه في الغدران والابار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء
تقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها
وقد يعم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول
او مبتدا خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل

فان النحاة جوزوا دخول لام التأكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه
لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اى الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء
زمان الملك المجازى الحاكمون في الكل اولا واخرا وليس لهم الا التصرف الصورى والملك المجازى وفيه
تنبيه على ان المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يترائ من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم
من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستأخرين من تأخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب
الاباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى
علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفي
تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التأكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق
وما لحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم اى للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر
على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام
وهي رميم اى يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة
الى ضميره عليه السلام دلالة على اللطف به عليه السلام انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها
عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل
شئ ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان اى هذا
النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا
كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل عند النقر اى يصوت
عند نقره قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل
هو تضعيف صل اذا انتن من حمأ من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال
اى من صلصال كائن من حمأ مسنون اى مصور من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب
من سن الماء صبه اى مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل
منتن فهو صفة لحمأ وعلى الاول كان حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حمأ تنبيها على ان ابتداء
مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حمأ كانه سبحانه افرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال
انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر آخر فتبارك الله احسن الخالقين والجان
ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد
واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمز وانتصابه بفعل يفسره خلقناه
وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز
كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها
في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي
غالب اجزائها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب وسياق
الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرته تعالى وبيان بدء الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية

التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير
الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة
عن تبليغ الشئ الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بعلة الحكم وتشريف
له صلى الله عليه وسلم اى اذكر وقت قوله تعالى للملئكة انى خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة
المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اى انسانا
قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم انى خالق خلقا من صفته
كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة
بلا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اى بشرا كائنا من صلصال
كائن من حمأ مسنون تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين
فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم
عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا فاذا سويته
اى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه
من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ
وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اى فاذا كملت استعداده وافضت عليه
ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به
مجرد الانحناء كما قيل اى اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام
بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه اليس
اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملئكة اى فخلقه فسواه فنفخ فيه
الروح فسجد له الملئكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتأخر في ذلك
احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح
يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطابي التنزيل على اكمل احوال الشئ ولا
ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى
الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا
للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من
الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما
في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة الا ابليس
استثناء متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالالوف من الملئكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملئكة
جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استيناف مبين لكيفية
عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار
او منقطع فيتصل به ما بعده اى لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث
ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة
الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام قال استيناف مبني على سؤال من قال
فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اى اى سبب لك لا اى غرض لك كما قيل لقوله

تعالى ما منعك الا تكون في ان لا تكون مع الساجدين لادم مع انهم هم ومن لهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن اخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصي الثلث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال اي ابليس وهو ايضا استيناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد لبشر اي جسم كثيف خلقته من صلصال من حما مسنون اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل ااسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة واني له ذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشاني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي افحشها التكبر والاستعصاء على امر رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته لادم عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس بنص في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى هبوط واي هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق المشافهة بعد ان احتال في دخولها وتوسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا ينافي هذا طرده على رؤس الاشهاد لما تقتضيه من الحكمة البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتاخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين العذاب فتصير هي كالزائل وقيل انما حد به لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تاخير العقوبة مع الموت كسائر من اخرت عقوباتهم الى الاخرة من الكفرة طلب اللعين تاخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب

عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي ادم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله الاخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت اجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله فان رحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الاخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن ولحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحيوة ولان ذلك التاخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى معالم الاعجاز فتلمس حقيقته بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التي علم انه يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر او لاستيثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في اوله ويبعث في اوسطه ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر ادم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا راني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا ادم انك سترد الى الجنة ويوخر اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والاخرين ثم قال الملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبي فضج الناس فقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات واهل الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والاخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلاوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف

كلاليب من كلاليبها ونادى مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات
والارضين لماتوا باجمعهم من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر
ادركت وقرن اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت
بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنزوه منه البحار فلا تقبله فلا يزال كذلك
في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر ادم عليه السلام ويتمرغ في التراب من
المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه ادم عليه السلام وقد
نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمر احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى
في النزع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال لادم وحوا اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق
الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال
رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله
المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من اثارها فلعله اقسم بهما جميعا
فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسببك
لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل
والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام واعتذروا
عن امهال الله تعالى له وتسليطه على اغواء بني ادم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر
ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب و
لاغوينهم اجمعين لاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك
وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل
قال هذا صراط علي اي حق علي ان اراعيه مستقيم لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء
وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج
وضلال فالاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم الاية وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين
ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه
تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه
للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد
المتبعين او الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان
الوعد وان الموعود ما لا يوصف في الفظاعة اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها
الوعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب
يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم
الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الاتباع او الغواة جزء مقسوم
حزب معين مفرز من غيره حسبما تقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة
للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام و
سقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات
في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاي وبحذف
الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف
لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان
غيرهما مكفرة في جنات وعيون اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم
عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القران العظيم ادخلوها
على ارادة القول امر من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امر منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرا الحسن
ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال بسلام ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما
عليكم امنين من الافات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا
وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
اخوانا حال من الضمير في قوله تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من ضمير في امنين او الضمير المضاف
اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لاخوانا
او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة
حيثما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب بان لا يكون لهم فيها
ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك
وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استيناف او حال من الضمير في متقابلين وما هم
منها بمخرجين ابد الاباد لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير
له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصفه
تعالى ذاته بها وبالرحمة على وجه الحصر دون التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب
انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابراهيم
عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاة لوط عليه السلام مع اهله
التابعين في ضمن الخوف وتنبيههم بحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم
عن ضيف ابراهيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل عليه السلام وملكان معه وقال محمد بن
كعب وسبعة معه عليه السلام وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة
وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم
السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام بل الى قوم لوط حسبما
يأتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او خبر مقدر
مضاف الى ضيف اي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل
فقالوا ذلك سلاما اي نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون
فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ
لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وعند ابتداء دخولهم

لقوله تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا محالة لكون خوفه عليه السلام
بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا حينئذ بما اجابوا به ولم يتصدوا م
لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا يرى انه لم يذكر ههنا رده
عليه السلام لسلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل
من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول
ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام
هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر
في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال ابشرتموني بذلك على ان مسني الكبر
واثر فيّ تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة مباينة للولادة وزاد في ذلك فقال فبم
تبشرون اي باي اعجوبة تبشرونني او باي شيء تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة
بغير شيء او باي طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية
قالوا بشرناك بالحق اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى
وقوله فلا تكن من القانطين من الايسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف
من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمته تعالى عليه في
ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته
سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه قال ومن يقنط
استفهام انكاري اي لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا
يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة
حالي [illegible] تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم
النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم تكن هذه المفاوضة من الملائكة مع ابراهيم عليه السلام خاصة بل مع سارة
ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك اكتفاء بما ذكر
ههنا قال اي ابراهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله فما خطبكم اي امركم و
شانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم
اشير الى مكانها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الآية فان قوله
الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه
للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام بعنوان
الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت
متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شان اخر لاجله ارسلوا فكانه قال عليه السلام ان لم
يكن شانكم مجرد البشارة فماذا هو ولا حاجة الى الالتجاء الى علمه عليه السلام بان كل المقصود ليس البشارة
بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في زكريا عليه السلام
ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها فتامل
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما

لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم
والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي
الاخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اي لوطا وآله اجمعين اي مما يصيب القوم فانه استئناف
الاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك
قد يكون بكون حالهم بين بين او لتعليله فان من تعلق بهم التنجية بمنجى من شمول العذاب او منقطع من قوم و
قوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى الا امرأته استثناء من آل
لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ لمنجوهم بالتخفيف
قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير
مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله
جعله الشيء على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص
فلما جاء آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في
الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما
ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي
عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله عليه السلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت
عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساة الشدائد ومعاناة المكايد من
قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما ياتي ويذر عند
تجشمه في تخليصهم انكار [illegible] لانهم له وترك نصره في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم
يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجاته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن
شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم
بجوابهم المحكي بقوله تعالى قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم
به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه السلام جلية الامر فاني يمكن ان يعتريه بعد ذلك
المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله
بل بما يسرك ويقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما
خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به
ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عم
باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان
كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب
الوقوعي ثقة بمراعاته في موضع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل بالقوم بطريق
تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانهم جاؤوه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم
به واتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا
على نفي الامتراء عنه او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى وانا لصادقون
تاكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون
كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تاكيدا اثر تاكيد وقوله تعالى فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي

النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل بطائفة منه او من اخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم و
لعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر المبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض
مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم
اي منك ومنهم احد فيرى ما وراءه من الهول ما لا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا
يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب
بما خلفوه او هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسرا
او الالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر وا
امضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع
المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول واللحوق للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين
ما سلف من الغابرين وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم
يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم
القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها
ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخيره
عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ
بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين
في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء
وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل و
القول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اي جاء اهل سدوم منزل لوط عم
يستبشرون اي مستبشرين باضيافه عليه السلم طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف
حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملئكة بحسب
اعتقاده عليه السلم لكونهم في زي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به و
اظهار اعتنائه بشأنهم وتشمره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون
اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان
من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا
الله في مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم
بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلم عن ذلك بقوله ولا تفضحون
اكثر تأثيرا في جانبه عليه السلم واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه
واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار عبر عليه السلم عما يعتريه من جهتهم
بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم
يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد بتقوى الله تعالى
في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلم وكذلك

قوله تعالى اولم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو
للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء
وكان ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلم عن ان يجير احدا فكأنهم قالوا ما ذكرت من
الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما نتصدى له لما اعتراك تلك الحالة ولما
رآهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته
حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية
المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر
او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحيوة النبي صلى الله عليه وسلم او من الملئكة بحيوة لوط عم
والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم
لفي سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطا والصواب يعمهون
يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة
العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا
عاليها عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان له وهو
ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة
كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك
اي فيما ذكر من القصة لايات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين
المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة او القرى لبسبيل
مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى
او في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لاية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله
فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما
غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الاية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد ههنا
بقية الاثار لا كل القصة كما فيما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف
واللام هي الفارقة اي وان الشأن كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلم والايكة
الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين
متجاوزين عن الحد فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة
فالتجأوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما
يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الاخر
لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي
يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب
واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم
والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه
والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه واتيناهم اياتنا وهي الايات المنزلة على نبيهم
او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين

اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين
من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر
رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم
الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع
حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وهكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عليه السلام و
قيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم
وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء
تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء
الخاص بوقت نزول العذاب حسبما يوجبه لا لعدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد
واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح
او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله
تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح اي اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل
بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف ان ربك الذي بلغك
الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها
فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم و
علم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقدير
وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد
آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن و
ابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال
التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس
او الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير
فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلوة واما تكرر قراءتها في غير الصلوة
كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولانها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلوة واما تكرر نزولها فلا يكون
وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد
غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك يكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او من الثناء
لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او الاسباع فلما وقع
فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كأنها تثني عليه
سبحانه بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر او لانه مثني عليه بالاعجاز او كتب الله
كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل
على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم اي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن

العظيم

العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به من زخارف الدنيا
وزينتها ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال و
الذخائر بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن
فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع ولا
تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل او انهم
المتمتعون به ويأباه كلمة على فان تمتعهم به لا يكون مدارا للحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اي تواضع
لهم وارفق بهم والن جانبك لهم وطب نفسا من ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اي
المظهر لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ اي
انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي قسموه الى حق وباطل حيث قالوا
عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه لانفسهم استهزاء
حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا او قسموا ما قرأوا من كتبهم
فحرفوه واقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد
بالكلام من التسلية وعقب ذلك بانه جل المقام عن التشبيه ولقد اوتي عليه السلام ما لم يؤت احد
قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر
قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع و
قد وقع كذلك وانت خبير بان ما شبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند
المنذرين اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم
وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة
الواقع له موقع جليل من الاعجاز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا
ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركة النصارى
في الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص
العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا اول
لانذر اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم
الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب
فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب
شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي الى تخصيص وصف
التعضية بهم واخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الا نفس التعضية
ولا الى اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب
غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما لكلا الفريقين وغيرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص

ابن وايل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل مهلك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثاني على الاول
كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم القلمدون في مداخل مكة كما حرر وفيه مع ما
مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى ومن قول الرسول عليه السلم والاعتذار بان ذلك من
باب ما يقوله خواص الملك امرنا بكذا وان كان الامر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين
تعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من الهرب الى مسلك الكوفيين
او المصير الى جعله مفعولا لنذير صريح اي انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين
الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلم فاهلكهم الله تعالى وانت تدري ان عذابهم حيث
كان متحققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لان يقع مشبها به للعذاب المنذر لكن الموصول
المذكور عقيبه حيث لم يمكن كونه صفة للمقتسمين ح فسواء جعلناه مفعولا اول للنذير او لما دل هو عليه
من انذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني
فائدة لما ان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك
وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المعضين بمعزل
من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك اولئك كما ان اولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب
لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا انتهى ووقوع احدهما في جانب والآخر في جانب
واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت
المدلول عليه بالتقاسم مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه اقتسام المداخل و
جعل الموصول مبتدا على ان خبره المبتدا الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شانه الجليل اذا عرفت
هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول
مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام
عن التشبيه من لوائح النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال
الكتابين على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة الايتائين لا بين
متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بان يقال كما آتينا المقتسمين
حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الايتائين من التنافي فان الاول
على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان
ذلك انما هو لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما في الصلوات
الخليلية فان التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلم اتم واكمل مما
فاض على النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في
التشبيه شائبة اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام افضلية ما تعلق به الاول
مما تعلق به الثاني وانما ذكر بعنوان الاقتسام انكارا لاقتصارهم به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور
وايذانا بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد
في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما
اوتي النبي صلى الله عليه وسلم ولقد بين اولا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه السلم
بمكانه واستغنائه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعبر عن ابتغائها لاهلها بالتمتع المنبي عن

وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المومنين والاكتفاء بهم عن غيرهم
وباظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي من القرآن العظيم ثم رجع
الى كيفية ايتائه على وجه اوجه فيه ما ازيح شبه المنكرين ويستنزلهم من العناد من بيان مشاركته لما لا ريب
لهم في كونه وحيا صادقا فتامل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل اني انا النذير المبين كما قد انزلنا
في الكتب انك ستاتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة
المستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل اي قل هذا القول
حال كونه كما انزلنا على اهل الكتابين اي موافقا لذلك فالانسب حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك
تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة
اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين
وعزين والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته
وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما يقبل التبعيض من المثليات للتنصيص
على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش
فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء فوربك لنسألنهم اجمعين اي لنسالن يوم القيمة اصناف الكفرة
من المقتسمين وغيرهم سوال توبيخ وتقريع عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر
من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا
يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عم
واظهار اللطف به عليه السلم فاصدع بما تومر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق
بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بما تومر به من
الشرايع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني السبع والقرآن العظيم ومن جملته ان يقول اني انا النذير
المبين واعرض عن المشركين اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تخش الانتقام منهم انا كفيناك
المستهزئين بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث
ابن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه
وسلم والاستهزاء به فنزل جبرئيل عليه السلم فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق
بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها
شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات واشار الى عيني الاسود بن المطلب
فعمي والى انف الحرث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح
راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات الذين يجعلون مع الله الها آخر وصفهم بذلك لتسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوين الخطب عليه بالاعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام
بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه فسوف يعلمون عاقبة ما ياتون ويذرون ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك وتحلية
الجملة بالتاكيد لافادة تحقق ما تضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب
استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نابك
من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة

الى غيره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعنى الامر بالتسبيح والحمد
وكن من الساجدين اى المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على
ان هداك للحق المبين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك دم على ما انت
عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السالف آنفا للتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام
والاشعار بعلة الامر بالعبادة حتى يأتيك اليقين اى الموت فانه متيقن اللحوق بكل حى مخلوق
واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحى طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت
حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية

أتى أمر الله اى الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم
والتهويل وللايذان بان تحققه فى نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن
دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع فى سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال
الاسباب الى المسببات وايا ما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع
التفريع فى قوله عز وجل فلا تستعجلوه فان النهى عن استعجال الشىء وان صح تفريعه على قرب وقوعه او
على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال راسا اما
ذكر من قربه ووقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهى الغائب
واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين
سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال
الساعة او ما يعمها من العذاب حتى يعمهم النهى عنه واما الثانى فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال
الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة ولا الجاء الى ارادة معنى مجازى يعمهما
معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشان التنزيل الجليل وما روى من انه لما نزلت
اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون
حتى تنظروا ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا
قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمانوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب
كما قيل لا لما توهم من ان التصدير بالفاء يأباه فان معرفة من اباه حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم
انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائى لا الحقيقى الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم
لامتناع النهى عنه لما ان النهى عن الشىء يقتضى امكانه فى الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهى عن الاستعجال
المستلزم لامكان المقتضى لعدم وقوع المستعجل بعد لا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان
بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور
استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب

الموعود للكفرة خاصة لكن الذى يقتضيه الاعجاز التنزيلى انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم
ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد
ان احدا يحجزه عن انجاز وعده او امضاء وعيده وقد قالوا فى تضاعيفه ان صح مجىء العذاب فالاصنام تخلصنا
عنه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستئناف سبحانه وتعالى عما يشركون اى تنزه وتقدس
بذاته وجل عن اشراكهم المؤدى الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما
اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى
الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم
وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهى عنه بالمتنزه عنه
وقرئ على صيغة الخطاب ينزل الملئكة بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا
ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شىء فى شىء وايذان بانه دين
اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع
وكيفية القاء الوحى والتنبيه على طريق علم الرسول صلى الله عليه وسلم باتيان ما اوعدهم به وباقترابه
ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهارا لبطلان رايهم فى الاستعجال والتكذيب
وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملئكة اما جبريل عليه السلام
قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحى بامر الله تعالى وقرئ
ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التائين وعلى صيغة المبنى للمفعول من التنزيل بالروح اى بالوحى الذى
من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيى القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد
والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اى ملتبسين بالروح من امره بيان للروح الذى
اريد به الوحى فانه امر بالخير او حال منه اى حال كونه ناشيا ومبتدأ منه او صفة له على راى من جوز حذف
الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكائن من امره الناشى منه او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء
مثلها فى قوله تعالى مما خطيئاتهم اى ينزلهم بامره على من يشاء من عباده ان ينزلهم به عليهم لاختصاصهم
بصفات تؤهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم ملتبسين بان انذروا اى بهذا القول
والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملئكة عليهم عليهم السلام والامر هو الله سبحانه والملئكة
نقلة للامر كما يشعر به الباء فى المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف
اى ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملئكة بالوحى فيه معنى القول
كانه قيل يقول بواسطة الملئكة لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز
كون صلتها انشائية كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر فى اوائل سورة هود فمحلها الجر على
البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشىء اذا علمه فحذره وانذره
بالامر انذارا اى اعلمه وحذره وخوفه فى ابلاغه كذا فى القاموس اى اعلموا الناس انه لا اله الا انا
فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة
به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره له فى الذهن فان الضمير
لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده
فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وانباء مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من

حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه فاتقون
خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل
الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال
بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل
السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل خلق السموات والارض بالحق اي اوجدهما على ما هما عليه
من الوجه الفائق والنمط اللائق تعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين المخلوقين
عما يشركون عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه من الباطل الذي لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما
نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق
بالانفس فقال خلق الانسان اي هذا النوع غير الفرد الاول منه من نطفة جماد لا حس له ولا حراك
سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين
لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته
او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي
ابن خلف الجمحي اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت
والانعام وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى
خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله
لكم اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم وقوله دفء مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقي من البرد
والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تأخر لكان صفة و
منافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب
بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تأكلون اي
تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق
واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل
وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج و
البط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما
يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها
ولكم فيها مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم
حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من
حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه
امر الجمال من تزين الافنية والاكناف بها وتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها
في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر
لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر
منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد
ادبار على احسن ما يكون ملاء البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون
على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع

المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى
انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر
وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن
الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى
الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع
والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف
الا بشق قوى الانفس فهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس
ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث
للاشعار بان هذه النعم ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد
في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشأ خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في
الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف
الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات ان ربكم لرءوف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه
النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة والخيل هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف
على الانعام اي خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا
مما لا ريب في تحققه وزينة عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل
دون الاول وتأخيره لان الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو
اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين بها
ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه
وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار الصورة
او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ليس من شأنكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه
بقوله عليه الصلوة والسلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة
على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين
العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلم
كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة
تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون
الف ملك الكعبة لا يعودون الى يوم القيمة وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال
سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على طريقة الاستعارة او على نهج حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي
يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق
المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب
لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اي
جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على
نهج قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث

ابدع هذه البدايع التي كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين
ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار
ودق الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضي الى معالم الهدى المنجية عن مهاوي الضلالة ومهاوي
الردى الا يرى كيف بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم
الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد
ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال اخذا بفعله
المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله
المتعلقة بما بينهما ابتداء بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين
قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد عقيب
بيان وتعديل له ايما تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى ومنها
في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون ذلك وقد مر
في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر الخ اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث
وتذكر جائر اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها
المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف
اي ومن جنسها المنحرف من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه
بعد انحرافه وايا ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما
يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي يطعمني
ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يمرضني ويشفين ولكن غير الى ما
عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد
اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناد انه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد
ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من
نصب الادلة الهادية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال
وجائرها حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى يقتضي
الحال دفع ذلك بان يقال لا جائرها ثم تغيير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية
اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله
تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم و
يصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء
البتة فان ذلك مما ليس حق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث
يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى
ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة
مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشاؤه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة
في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار
الجزئي عليه يترتب الاعمال التي بها نيط الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام

وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانه ينتهي اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة
الانتهاء لتاكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا
كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله
تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها
منحرف عنه ولو شاء لهديكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة
لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين الحق وما بين الطريق السمعي للتوحيد على وجه اجمالي وفصل
بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي اليه بعثا للمخاطبين على التامل فيما
سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل هو الذي انزل
بقدرته القاهرة من السماء اي من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتاخيره
عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزله من السماء
والسر فيه ما سلف من ان عند تاخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند
وروده عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ
وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وفي تقديمه ايهام
حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله تعالى
فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب
والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني منهما
بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل
شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق او لا او تبعيضية مجازا لانه لما كان
سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به الكلأ الذي تاكله
الابل فتسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه تسيمون
ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
في الارض ينبت اي الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به بما انزل من السماء الزرع والزيتون
والنخيل والاعناب بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستيناف وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على التجدد والاستمرار وانها سنته الجارية على مر الدهور او لاستحضار صورة الانبات
وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر انفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء
وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف
من حيث انه ادام من وجه وفاكهة وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب
للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها
تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله
بغير صنع من البشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت
يده اكمل من اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل
المراد تقديم ما يسام لا تقديم غذاء فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ننبت
من الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه ان في ذلك اي في انزال الماء وانبات ما فصل

لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون
فان من تفكر في ان الحبة او النواة تقع في الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق
تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج
منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص و
الطبايع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبايع
السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شي في
شي من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشيا في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق
العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية
قطع الآية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار و
انضاجها والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما
صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها
لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤا كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظايره بل هو تصريفه
تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب
ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات من صعوبة الماخذ بالنسبة
الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجددت آثاره والنجوم
مسخرات بامره مبتداء وخبر اي ساير النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما
مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته ومشيته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور
بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه
يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شي اخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث
الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ نصب النجوم على انه
مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات
بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى
نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره
او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب
عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها
ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار
واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فبناؤه حسبان ما ذكر دليلا على وجود الصانع تعالى وقدرته
واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قوله قال
تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن
سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها ليقولن الله الآية وانما ذلك ادلة التوحيد
من حيث ان من هذا شانه لا يتوهم ان يشاركه شي في شي فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية ان
في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات اي فيما ذكر من باهرة
متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة

والعلم

والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التامل والتفكر ويجوز ان
يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه حينئذ تعاجيب الدقايق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي
لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على
قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه
مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخرا لله تعالى او لما خلق له من الخواص
والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد
عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم
الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق و
ابث على ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخيرات ونحوها لآية
بينة الدلالة على ان من هذا شانه واحد لا ند له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك غير محتاج الا الى
تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر
ليس الا بصنع صانع حكيم فمدار ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت
حقيقة الحال فان اريد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال فليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث
ان ذلك من المقدمات المسلمة جيء به للاستدلال على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة
ان يشاركه شي في الالوهية وهو الذي سخر البحر شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة
بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتاكلوا منه لحما
طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة
للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر
مبدا اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك
والثوري الى ان من حلف لا ياكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه لا
يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا ترى
الى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا تحنث بركوبه من حلف
لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم
بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه مقبلة
ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري الفلك و
لتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم
كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلقة بفعل
محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون
حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداءها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من
حيث ان فيها قطعا للمسافة الطويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير
حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان
باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في
اول سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان يخلق فيها

الجبال كانت كرة حقيقية لبسيطة الطبع وكان من شانها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب تحرك
فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى
الارض جعلت تمور فقالت الملئكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا اي
وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات
معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويعرفون به الطرقات
وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا
والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل
الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري التردد للتجار مشهورين
بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل
وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن
يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا
اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة
بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الانكار
الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة
كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الآيتين والاقتصار على ذكر الخلق
من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اي ابعد ظهور اختصاصه
تعالى بمبدئية هذه الشؤون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق
العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم ومدارها وان
كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمنتسبين اختير ما عليه النظم
الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفاديا عن توسيط عدمها بينه وبين جزئياتها المفصلة
قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية
الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شانه كائنا ما كان والتعبير
عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق
حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد واياما كان فدخول الاصنام في حكم عدم
المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على
الطريقة البرهانية لا بانها هي المرادة بالموصول افلا تذكرون اي الا تلاحظون فلا تذكرون
ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالي لنعمه تعالى
بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون
ولعل فصل بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقاء الحجر اثر تفصيل ما فصل
من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصودة
على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات
الحيثية الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال اي ان تعدوا نعمته الفائضة عليكم
مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا

بحصرها

بحصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل
الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة
على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون من اصناف
الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة واي نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء
وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرون من
العقائد والاعمال وما تعلنون اي تظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة
الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى
وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما
على ابلغ وجه كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق
علمه تعالى بحالته الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة
وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد اوصافها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة و
تلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون
ذلك الا بالتصريح اي والالهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول
وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء اصلا اي ليس من شانهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية
وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك بالتصريح فقيل وهم يخلقون
اي شانهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد
وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية
وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني
عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم
او عجزهم عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا عبارة
عن ذلك كما فعل فلا وجه له لان القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة
اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحيوة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك
فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات
مما يعتريه الحيوة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك
فقيل غير احياء اي لا يعتريها الحيوة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تعالى وما يشعرون
ايان يبعثون اي ما يشعر اولئك الالهة ايان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد
بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث
من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية الهكم اله واحد لا يشاركه شيء في شيء
وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة عقيب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة واحوالها التي من
جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية
جاحدة لها او للآيات الدالة عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الآيات الدالة عليها
والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل
الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه

فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار
بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالاخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة
والعقاب على المعصية يودي الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلايل السمعية والعقلية الموجب
لانكارها وانكار مودّاها والاستكبار عن اتباع الرسول عليه السلم وتصديقه واما الايمان بها وبما
فيها فيدعو لا محالة الى التامل في الايات والدلايل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية و
خضوعا لامر الله تعالى لا جرم اى حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون
من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقران اساطير الاولين وغير ذلك من قبايحهم
فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اى لا يحب المستكبرين
عن التوحيد او عن الايات الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر واذا
قيل لهم اى لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم
القايل الوافدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اى
اى شيء انزل او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث
الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شيء قيل هؤلاء القايلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة
ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلم ليحملوا
متعلق بقالوا اى قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر
منها شيء بنكبة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المومنين يوم القيمة ظرف ليحملوا ومن
اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان
هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة
الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل
اى يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال وانما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم
القيمة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا وتاييده بما سياتي من قوله تعالى
واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال من قبيل اتيان
العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو العذاب
الدنيوي كما ستقف عليه او حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدة التقييد بها الاشعار
بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون
عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل الا ساء ما يزرون
اى بئس شيا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غايلة مكرهم الى انفسهم
كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اى قد سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله اى امره وحكمه بنيانهم وقرى بيتهم وبيوتهم من القواعد
وهي الاساطين التي تعمده او اساسه فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اى سقط
عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم
المكايد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكايد و
جعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان

ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا وقرى فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اى الهلاك
والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء
الماكرين القايلين للقران العظيم اساطير الاولين سياتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به
العذاب العاجل لقوله تعالى ثم يوم القيمة يخزيهم فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى هذا
الذي فهم من التمثيل من عذاب هؤلاء او ما هو اعم منه ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم
القيمة يخزيهم اى يذلهم بعذاب الخزي على رؤس الاشهاد واصل الخزي ذل يستحيى منه وثم للايماء الى
ما بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر
الخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا موذن
بان لهم جزاء اخرويا فتبقى النفس مترقبة الى وروده سايلة عنه بانه ماذا ام بقيتها في الاخرة فسيق الكلام
على وجه يوذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين في حق القران الكريم
اولهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصه بهم ياباه السباق والسياق كما ستقف عليه
ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا وهو عطف على يخزيهم بيان للاخزاء اين شركاءي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم
الكاذبة وفيه توبيخ اثر توبيخ مع استهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم اى تخاصمون الانبياء والمومنين
في شانهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة او المدافعة على
طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بانه يجوز ان
يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم
غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية
فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوها ليس بسديد فانه قد تبين عندهم الامر حينئذ فرجعوا
عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرى بكسر النون اى تشاقونني على ان مشاقة الانبياء والمومنين
لا سيما في شان متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء و
المومنون الذين اوتوا علما بدلايل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم
اى يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار صيغة
الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الاعراف
ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على راى من يرى اعمال المصدر المصدر
باللام او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظروف وايراده
للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى وباياته
ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتانيث الفعل وقرى بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى
صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين
او بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفايدة تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون
من امن منهم ولو في اخر عمره اى على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم
حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واى ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله
تبديلا فالقوا السلم اى يلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على
قوله تعالى ويقول اين شركاءي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤس الاشهاد

اي فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين ما كنا
نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما
عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون
تفسير السلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركائي كما
في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم اذ عادلهم لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من
قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم
عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول
عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق
الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم و
تاويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا وزعمنا للمحافظة على ان لا كذب ثم
يرده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا
اي المومنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ من التقوى ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى اي انزل خيرا
فانه جواب مطابق للسؤال شكلا وللواقع في نفس الامر مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما عيوا
الجواب عن نهج الحق الواقع الذي ليس له من دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث دعوا
الاساطير وما لما مر من انكار النزول روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر
النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا
لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اي اعمالهم او
فعلوا الاحسان في هذه الدار الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة مكافاة فيها ولدار الاخرة
اي مثوبتهم فيها خير ولنعم دار المتقين اي دار الاخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدا
مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والاخرة
فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا او تفسير له اي انزل خيرا وهو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا
للسائل جنات عدن خبر مبتدا محذوف اي لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها
صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجري من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته
لهم فيها في تلك الجنات ما يشاءون الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل ما في الاول
او متعلق به اي حاصل لهم فيها ما يشاءون من انواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه
بالمشيئة او لما مر مرارا من ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها
فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الاوفى يجزي الله المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي من
الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد
فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين اي طاهرين
عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفايدة الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى

وقت توفيهم فيه حث للمومنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين ببشارة
الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس يقولون
حال من الملائكة اي قائلين لهم سلام عليكم قال القرطبي رحمه الله اذا استدعيت نفس المومن جاءه ملك الموت
عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ادخلوا الجنة
اللام للعهد اي جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فان ذلك
بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في
البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه
من ذلك وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اي ما ينتظر
كفار مكة المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان
بينهم وبين انتظاره لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم لاسبابه الموجبة له المؤدية
اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل او ياتي امر ربك التعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بان اتيانه صلى الله عليه وسلم وان كان عذابا
عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيامة لكن لا لان انتظارها لا يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلائم
العطف باو لانها ليست نصا في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين
في عذابهم بل لان قوله تعالى فيما سياتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح في ان المراد
به ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب
والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيحل من عذابهم
ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال
ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم ايلة
اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزامه اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره
عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من
قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اي اجزية اعمالهم السيئة
على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا
غير سيئاتهم وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة واقطع
ما كانوا به يستهزءون من العذاب وقال الذين اشركوا اي اهل مكة وهو بيان لفن اخر من كفرهم
والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما يقول المسلمون ذلك نحن ولا
اباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء من السوائب والبحائر وغيرها
وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا في الرسالة راسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب
وما لم يشا يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم ما حرمنا شيئا كما يقوله الرسل
وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث لم
يكن كذلك ثبت انه لم يشاء شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله
عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اي اشركوا بالله

وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطا وهدوهم الى الحق فهل على الرسل
الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين اى ليست وظيفتهم الا
تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي الذي من جملتها تحتم تعلق
مشيئة الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم
فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور امر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهوره
آثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب
من افعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم
الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين والفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل
اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شانهم الا التبليغ لاوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما و
اجراء موجبهما على الناس قسرا او الجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم في ذلك مامورون وبان ما يبلغونه
حق للناس عليهم ايفاؤه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى
اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بافعال العباد بعد بيان
ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من
الافعال الاختيارية لهم اى بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان
مفسرة لما في البعث من معنى القول وان تكون مصدرية اى بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت
هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم اى من تلك الامم والفاء فصيحة اى فبلغوا ما بعثوا
به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذي هو عبادته
واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة
اى وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير
الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة
الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل
بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده فسيروا يا معشر قريش في الارض
فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت
عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب
الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بان ذلك
غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك
العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغية على هداهم اى ان تطلب هدايتهم بجهدك
فان الله لا يهدي من يضل اى فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء
اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة
وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اى ان تحرص على هداهم فلست
بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدي على بناء المفعول اى لا

يقدر احد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام اصل تاء يهتدي في الدال ويجوز
ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين
ينصرونهم في الهداية ويدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان
مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد لان المراد نفي طائفة من الناصرين من كل منهم و
اقسموا بالله شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم مصدر في موقع
الحال اى جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت وقد رد الله عليهم ابلغ رد بقوله الحق بلى
اى بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه او لمحذوف اى وعد
بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اى وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث
من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اى حق حقا ولكن اكثر الناس لجهلهم
بشؤون الله عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم
وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه
بمراعاتها لا يعلمون انهم يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد
وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث
والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة
الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اى يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة
الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشأن الذي يختلفون فيه من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه
مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك
وانكار البعث وتكذيب وعد الحق انهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله
من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته والاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين
وما عطف عليه وجعله غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال
مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان
تحقق البعث انما كان لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى
الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك تصلي لاصلين رغما لانفك
واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها وانما الغاية الاصلية للبعث باعتبار
ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى لخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر
ذكره في مواضع اخر وشهرته وانما لم يندرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا
كانوا كاذبين بل جيء بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما
قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين
فليس من هذا القبيل فما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند
قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الا انه
لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا انما قولنا استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق
ابداء واعادة بعد التنبيه على آنية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدأ وقوله لشيء اى
اى شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج

سببية اي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لانه كان
شيا قبل ذلك اذا اردناه ظرف لقولنا اي وقت ارادتنا لوجوده ان نقول له كن خبر للمبتدا فيكون
اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام اي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف اي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول
له ولا امر ولا مامور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال
ان ما يستدعيه انحصار قوله تعالى في قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار اسباب التكوين فيه كما
يفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشان الشامل للقول
والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تاتي
المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المامور
المطيع لامر الامر المطاع فالمعنى انما ايجادنا الشيء عند تعلق مشيئتنا به ان توجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه
بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتامل وفي الاية الكريمة
من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرى بنصب يكون عطفا على نقول او تشبيها
له بجواب الامر والذين هاجروا في الله اي في شان الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد
ما ظلموا ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم
فهاجروا الى الحبشة ثم بواهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه لنبوئنهم في الدنيا حسنة
اي مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلث
ايات من اخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار
وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام
فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله و
هاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من
كون هذه الاية الى اخر السورة مدنية فيحمل ما نقلنا عنه من نزول الاية في اصحاب الهجرتين على ان يكون
نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل
ولا شانه الجليل وقرى لنثوينهم ومعناه اثواة حسنة او لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة
على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة ولاجر الاخرة اي اجر اعمالهم
المذكورة في الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا
من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في
الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين
لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد ولما تالموا لما اصابهم من المهاجرة
وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله
النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين اليه تعالى معرضين عما
سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل
على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا من قبلك

الارجالا

الا رجالا نوحي اليهم وقرى بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من
البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث
للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسئلوا
اهل الذكر اي اهل الكتاب او علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون
حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملئكة
رسلا اولي اجنحة الرسل ولا امراة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة
واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء
متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا
داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من جوزه اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا
زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا
رجالا عند من لم يجوز تاخر صلة ما قبل الا الى ما بعدها او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين
بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعل نوحي وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسئلوا
اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وانزلنا
اليك الذكر اي القران وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيهم
اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون
المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة
التفعيل في الفعلين لا سيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح
بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية
او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتاملوا فيتنبهوا للحقائق
وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب افامن الذين مكروا
السيئات هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم
الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة
مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا
المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات
فقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول لامن او السيئات صفة لما هو المفعول اي افامن
الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة
بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك الم يتفكروا فامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض
كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين معا او اتفكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوف
على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اي امكروا
فامن الذين مكروا الخ او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه اي في حالة غفلتهم
او من مامنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين او ياخذهم

في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين او فائتين بالهرب
والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء اما للتعليل للاخذ او لترتب عدم الاعجاز عليه دلالة
على شدته وفظاعته حسبما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة
الاسمية للدلالة على دوام النفي لا نفي الدوام او يأخذهم على تخوف اي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب
بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف
مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان
وقيل التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم
على ان ينتقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلث بيان قدرة
الله سبحانه على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها اولم يروا استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي ألم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله من شيء اي من كل شيء
يتفيؤ ظلاله اي ترجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة
وقرئ بالتاء لتأنيث الفعل عن اليمين والشمائل اي اولم يروا الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها
وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله سجدا لله حال من
الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأتيها
لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون
اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء
لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها
او باختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية
بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر بها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد
والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها
به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة
فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار
والاحجار التي لا تظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف مشارقها
ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي
لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال
في اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب
واقعة على الربع الشرقي منها وبعد ما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها
ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا
فقيل ولله يسجد اي له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر
ينتظم القلب والافراد لان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال
الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في الارض كائنا ما كان من دابة
بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة

ووضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال
مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات
الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم و
هم اي الملائكة مع علو شأنهم لا يستكبرون عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر
والجملة اما حال من ضمير فاعل في يسجد مسند الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم
اي مالك امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم من فوقهم اي يخافونه جل وعلا خوف هيبة
واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم
والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته
ويفعلون ما يؤمرون اي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول
جرى على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره سبحانه وفيه
ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجا وبعد ما بين ان جميع الموجودات يخضعون له الخضوع و
الانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله عز
وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله عطفا على قوله
ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه
هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق الالهين حيث تحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اي قال تعالى
لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة
على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى
انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية
فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة
على رأي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر
على ذلك الوجه فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في
القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا فارهبون لا غيري فاني
ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض وله ما في السموات والارض خلقا وملكا
تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية
ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا
اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين
ذا كلفة وقيل الدين الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون
الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق اي أعقيب تقرر الشؤون المذكورة
من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين
له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون
وما بكم اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اية نعمة كانت فمن الله فهي من الله
فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم
سبب الاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه

تجأرون تضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها
وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه
بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيد لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة
بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بباء المصاحبة وايراد ما المعربة عن
العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب ثم اذا
كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر ووقوع
الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك المدلول عليها
بقوله سبحانه اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم
ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان
كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى
البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من
الاشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة
وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ
بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون
اللام لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد
اكيد منبئ عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله عطف على
ما سبق بحسب المعنى تعداد الجنايات اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن
الاشراك به عند كشفه ويجعلون لما لا يعلمون اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات
التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة
والعائد اليها محذوف او لما لا علم لها اصلا وليس من شأنه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل
من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او
مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من
الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسألن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في
الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب
المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين
يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجب
من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين ما مرفوعة المحل على انه مبتدأ
في الظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض في حاق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على
البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار
واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا
من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء حنقا
وغيظا يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها

عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا في امره محدثا نفسه في شأنها ايمسكه على هون ذل وفي
هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتأنيث الا ساء
ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالي عن الصاحبة والولد والحال
انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم
اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مدار التعكيس لقوله تعالى
تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة فمن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء
الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار
بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ
ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله
سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب
الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه
علوا كبيرا وهو العزيز المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي
يفعل كلما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس
الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى
وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها
على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل
اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي
هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى
لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن
آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة
لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم
الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا
يستأخرون عن ذلك الاجل اي لا يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم
له ساعة فذة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره
مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار بنظمه في سلك ما يمتنع
كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له رأسا قد نظم في سمط من لم يقبل
توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في تفسير سورة يونس ويجعلون لله اي يثبتون
له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية
للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب ان يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك
تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى
ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم
ذلك واثبات لنقيضه اي حقا ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التي ليست وراء

عذابها العذاب وهم على السوى وانهم مفرطون اى مقدمون اليها من افرطته اى قدمته فى طلب
الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته
فى طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط فى الطاعات وبكسر المخففة من الافراط فى المعاصى فلا يكون
ح من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اى ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى
الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم
اى قرينهم وبئس القرين اليوم اى يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية
وفى الدنيا او يوم القيمة على طريقة حكاية حال الاتية وهو حال كونهم معذبين فى النار والولى
بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة فى نفى الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير
عايدا الى مشركى قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولى هولاء لانهم منهم وان يكون
على حذف المضاف اى ولى امثالهم ولهم فى الاخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا
عليك الكتاب اى القران الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اى ما انزلناه عليك لعلة
من العلل الا لتبين لهم اى الناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال
واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين اى وللهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما
انتصبا لكونهما اثرى فاعل الفعل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرط ولعل تقديمه عليهما
لتقدمه فى الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون اثاره والله انزل
من السماء من السحاب او من جانب السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تاكيدا للمضمون وتوطئة لما
يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من السماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا
من التشويق الى المؤخر فاحيى به الارض بما انبت بها من انواع النبات بعد موتها اى بعد
يبسها وما تفيده الفاء من التعقيب العادى لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان فى ذلك اى
فى انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لاية واية اية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته
وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان
لكم فى الانعام لعبرة عظيمة واى عبرة يحار فى دركها العقول وتهيم فى فهمها الباب الفحول نسقيكم
استيناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما فى بطونه اى بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب
اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاكباش واخلاق وتانيثه
فى سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس لجميعها
اوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفى سورة المؤمنين من بين فرث ودم
لبنا فان الفرث فضالة ما يبقى من العلف فى الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى فى
المعا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا
واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذو
البدن لان عدم تكونهما فى الكرش مما لاريب فيه بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش
ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز به
القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية

والمرارة والطحال ثم توزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم
ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزايد
اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزايد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها
الغددية البيض ويطيب طعمه فيصير لبنا ومن تدبر فى بدايع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان
واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به
اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهى رافته ورحمته ومن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض
ما فى بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث حسبما فصل والثانية
ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدا الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم و
تقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التاخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل
تمكنه عند وروده عليها لاسيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذى نحن فيه
فان بين وصفى المقدم والمؤخر تنافيا وتباينا بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف
الى المؤخر كالذى نحن فيه فان بين وصفى المقدم كما فى قوله تعالى هو الذى اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او حال
من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا عن شائبة ما فى الدم والفرث
من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغى احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له سائغا
للشاربين سهل المرور فى حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف كهين
وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما دل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء
المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اى ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب
اى من عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استيناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله
تتخذون منه وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدا محذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان فى الكلام كلمة من شايع نحو قوله تعالى وما
منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعنى العصير او لان
المراد هو الجنس والسكر مصدر سمى به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا
كالدبس والزبيب والخل والاية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة
بين العتاب والمنة ان فى ذلك لاية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى الايات
بالنظر والتامل واوحى ربك الى النحل اى الهمها وقذف فى قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم
الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذى اى بان اتخذى على ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة لما
فى الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتانيث لغة
اهل الحجاز من الجبال بيوتا اى اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر
ومما يعرشون اى يعرشه الناس اى يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه
للنحل والمعنى اتخذى لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذى ما يعرشونه لك
وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا فى كل مكان منها ثم كلى من
كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها فاسلكى ما اكلت منها سبل ربك
اى مسالكه التى براها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق التى

النحل في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول
وهو حال من السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة
لما امرت به يخرج من بطونها استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى
التي هي موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت شراب اي عسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى كلي
من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها
تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع منها
شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف
سن النحل او الفصل او الذي اخذت منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية
او مع غيره كما في ساير الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز
كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخي يشتكي بطنه فقال عليه
السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بين الله تعالى من
احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقران شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين
العسل والقران ان في ذلك الذي ذكر من اعاجيب اثار قدرة الله تعالى لاية عظيمة لقوم يتفكرون
فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة
التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بالات دقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان
له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويهديها اليه جل جلاله والله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجايب احوال
ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجايب احوال البشر من اول عمره الى اخره وتطوراته
فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنما والثانية سن الوقوف وهي
سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي
سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة باجال مختلفة اطفالا او
شبانا او شيوخا ومنكم من يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس
وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضي الله عنه
وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه
رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوأ حالا من
عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم كثير شيئا من العلم او
من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم
بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت
الاجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى
الطبايع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه
فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقتهم
اياه على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم اي الملاك
والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لا يردونه عليهم بحيث تساووا هم في التصرف ويشاركوا

في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم مستتبعا للتساوي وانما يردون
عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله
عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون
بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته
الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله
تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الاية افبنعمة الله يجحدون حيث
يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفايضة عليهم الى شركائهم و
يجحدوا كونها من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعدما انعم الله بها عليهم والباء
لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي
ايشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب او ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم
بل انا الذي ارزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم
جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم
المفضلين او على فعلهم المؤذن بذلك او وما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا
في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون ذلك فيجحدون
نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن ابي ذر
رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم
مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل
لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا لتانسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم
امثالكم وقيل هو خلق حوا من ضلع ادم عليه السلام وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر موضع المضمر
للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وبان نتيجة الازدواج هو التوالد
وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد
اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن
بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن خير من البنين اتم خدمة وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل
البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتاخير المنصوب في الموضعين
عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة
الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة
مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات من اللذايذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ
المرزوق في الدنيا انموذج لما في الاخرة افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان
البحاير ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اي يكفرون بالله الذي شانه
هذا فيؤمنون بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة
الله تعالى الفايضة عليهم مما ذكر وما لا يحيط بدايرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام
وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى
الغيبة للايذان باستيجاب حالهم الاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا

لهم ما ضلوه ويعبدون من دون الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي ايكفرون بنعمة الله
ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب
على المفعولية منه اي ما لا يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق
فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن في السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا منهما ويجوز كونه
تاكيدا للا يملك اي لا يملك رزقا ما شيئا من الملك ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم
راسا لانها اموات لا حراك بها فالضمير للالهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين
في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فلا تضربوا لله الامثال التفات
الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشان النهي اي لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد
الى النهي عن الاشراك به تعالى في شان من الشؤن فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة
اي لا تشبهوا بشانه شانا من الشؤن واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح
وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية
ونظايره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما
يشركون به تعالى بمعزل من ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل
من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم تعليل للنهي المذكور
ووعيد على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تاتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح وانتم
لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشيا وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم وقفوا في
مواقف الامتثال بما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم
كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال
ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلا اي ذكر واورد شيئا
يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد
ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شي بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة
حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية
للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبدا لله سبحانه وقد ادمج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم
القدرة لتمييزه عن المكاتب والماذون الذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه
بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا اي رزقناه
بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق منا من جنابنا
الكبير المتعالي رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو ينفق منه
تفضلا واحسانا والفا لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق
وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره
التجددي سرا وجهرا اي حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه
للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة
وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال
مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته

سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان يرزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل
في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك
حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون جمع الضمير
للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان
منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان في البشرية
والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله
تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا اذل منه
وهو الاصنام الحمد لله اي كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على ايدي
بعض الوسايط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد من ينفق
فيما ذكر راجع الى الله سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون
نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما
لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله
مثلا اي مثلا اخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لتنتظر
النفس الى وروده وترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده بين فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من
ولد اخرس لا يقدرون على شي من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة
لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي امره وهذا بيان
لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شي مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه
اي حيثما يرسله مولاه في امر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة
وقرئ يوجه على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه لا يات بخير بنجح وكفاية مهم
البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يامر بالعدل اي من هو منطيق
فهم ذو راي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضايل وهو في
نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة
بهذين الوصفين لانهما في حاق ما يقابلها فان حاصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المامورية
وملخص هذين استحقاق كمال الامرية المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل
والاخر امر بالعدل الاية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين
واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه
ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال
بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية
للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات و
الارض اي الامور الغايبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا
استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مالا واما باعتبار
الغيبة عن اهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبي عنه عنوان
الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان

علمه سبحانه حضوري فلن يخفى الغيوب في انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات
والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث
غيبتها عن اهلها او ظهور آثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به
سبحانه وان كان انهما من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما شانها في سرعة المجيء الا كلمح
البصر اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اي بل امرها فيما ذكر اقرب
من ذلك واسرع زمانا بان يقع في زمانه فان ذلك وان قصر حركة انية لها هوية اتصالية منطبقة
على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هي ازمنة ايضا بل في ان غير منقسم من ذلك الزمان
وهو آن ابتداء تلك الحركة او ما امرها الا كالشيء الذي يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب واياما
كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالاتيان ان الله على كل شيء قدير
ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك وما امر اقامة الساعة التي كنهها
وكنهها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والاخرين
وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان
في سرعة الوقوع وسهولة التاتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء
قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لما ان علمه
بخصوصه غائب عن اهلهما فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم
من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه في سلك ادلة التوحيد
من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض
والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق
وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موقع الحال اي
غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر
الجعل المذكور من الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر
قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات
الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل
لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب
وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور
على المنصوبات لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن
عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه
وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار
كونه مصدرا في الاصل الم يروا وقرئ بالتاء الى الطير جمع طائر اي الم ينظروا اليها مسخرات
مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان
معنى التسخير جعل الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان
والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله
تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى في جو

السماء اي في الهواء المتباعد من الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في
جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة ما يمسكهن في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن
الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من
فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات او من الطير واما مستانف
ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة
خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق
ثقلها خرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير
لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شانهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم
المنتفعون به والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سياتي من المجرور والمنصوب لما مر
من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى من
بيوتكم اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتاكيد
لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون
اليه من غير ان تنتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون وجعل لكم من
جلود الانعام بيوتا اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط
تستخفونها تجدونها خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم وقت ترحالكم في النقض والحمل
والنقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم في الضرب والبناء ومن اصوافها
واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر للانعام على وجه التنويع اي وجعل
لكم من اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع
ومنه شعر اثيث ومتاعا اي شيئا يتمتع به بفنون التمتع الى حين الى ان تقضوا منه
اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه في معرض البلى والفناء وقيل الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل
مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا اشياء تستظلون
بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة
وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تستكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام
في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اي
جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد
الضدين عن ذكر الآخر او لان وقايته هي الاهم عندهم لما مر آنفا وسرابيل من الدروع و
الجواشن تقيكم باسكم اي البأس الذي يصل الى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن
ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدا بما يخص المقيمين
حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها
حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الخ ثم بعمهم بما لا يقدر على ذلك ولا يؤديه الا الظلال
حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما
لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم باسكم ثم قال كذلك اي مثل ذلك الاتمام
البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي ارادة ان تنظروا فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة

والباطنة والانفسية والافاقية ثم عرفوا حق منعمها فوحدوه وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا
لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء شي قليل
وقرئ تسلمون اي تسلمون من العذاب او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماض
على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اي فان اعرضوا
عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين
اي فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب
وضع السبب موضع المسبب يعرفون نعمة الله استيناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام
ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها
بافعالهم حيث عبدوا غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد
الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع
عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا
وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه واكثرهم الكافرون اي المنكرون
بقلوبهم غير المعترفين بما ذكروا والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الفرقة
الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل والتفريط
في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر ويوم نبعث من كل امة شهيدا
يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا
في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقناط الكلي
وهو عند ما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام
عليهم ولهم ولا هم يستعتبون يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الاخرة دار الجزاء لا دار
العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث الخ او يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق
مما لا يوصف وكذا قوله تعالى واذا راى الذين ظلموا العذاب الذي يستوجبونه بظلمهم وهو
عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اي يمهلون كقوله تعالى بل تاتيهم بغتة
فتبهتهم واذا راى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان
والشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اي نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب
بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فان تكذيبهم اياهم
في ما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم
لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام
بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم
شركاء والهة تنزيها لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لم يكونوا
حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا الى الله يومئذ

السلم

السلم الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع
وبطل ما كانوا يفترون من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين
كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن
الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم
حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل
يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله
زدناهم اي زدنا لعذابهم بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما
سبق ثنية للتهديد في كل امة شهيدا عليهم اي نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا لمعذرتهم
وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم وجئنا بك ايثار
لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشانه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا
على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيمة ونزلنا عليك الكتاب
الكامل في الكتابية الحقيق بان يخص باسم الجنس وهو اما استيناف او حال بتقدير قد تبيانا
بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل
على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته ما اخبر به هذه الاية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه
عليه السلام شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور
الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله عليه
وسلم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا
طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض
من الخفاء في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام
للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار
وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم اثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب
وبشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله يامر
اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد
والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو راس الفضائل كلها يندرج
تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية
البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة
المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن
الحكم العملية التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط
بين البخل والتبذير والاحسان اي الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية
كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان

لم يكن تراه فانه من ذلك وايتاء ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما
بشانه وينهى عن الفحشاء الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او
عقلا من الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر
عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية
والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلث
ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القران للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الاية
الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى يعظكم بما يامر وينهى وهو اما استيناف واما حال
من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله هو البيعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله عليه السلم ولا
تنقضوا الايمان التي تحلفون بها عند المعاهدة بعد توكيدها حسبما هو المعهود لا على ان يكون النهي
مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به
محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا
فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق
بنقضت اي كالمراة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكث وانتصابه
على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه
الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تميم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر
ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر
ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور
الواقع موقع الخبر اي مشابهين بامراة شانها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودغلا بينكم واصل
الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون جماعة هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا
من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا
اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اي بان تكون
امة اربى من امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال
وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء
الله مشيئة قسر والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه
مزاحما لقضية الحكمة بل يضل من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي
اليه ويهدي من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها ولتسئلن جميعا يوم القيمة
عما كنتم تعملون في الدنيا وهذا اشارة الى ما لوح به من الكسب الذي عليه يدور امر الهداية و
الضلال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في بيان
قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها
فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت او هانت

محذور

محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدكم
او بصدكم غيركم عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل
ذلك سنة لغيره ولكم في الاخرة عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله اي لا تاخذوا بمقابلة
عهده تعالى وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم او اياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان
ثمنا قليلا اي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشرطون
لهم على الارتداد من حطام الدنيا انما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي هو
خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة
التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم الخ تعليل للخيرية بطريق الاستيناف اي ما تتمتعون به من
نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد وان جم عدده وينقضي وان طال امده وما
عند الله من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية باق لا نفاد له اما الاخروية فظاهرة واما
الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات
الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى و
لنجزين بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى انما عند الله هو
خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر
الحال من ان يقال وليجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها
للجزاء اي والله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها
الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات اجرهم مفعول ثان لنجزين اي لنعطينهم
اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون
اي لنجزينهم بما كانوا يعملون من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه
كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الاخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما
لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى
لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر
الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر
الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف
الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفسير
بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات
دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يلائم مقام الحث
على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل مثلها بل التعرض
لاخراج بعض اعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها من
عمل صالحا اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب
ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر
الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى من ذكر او انثى مبالغة في بيان شموله للكل وهو
مؤمن قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب او تخفيف العذاب لقوله تعالى

ومن ما الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك
الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش
عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع
الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان
كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه ولنجزينهم في الاخرة اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضماير العائدة
الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس
لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه
بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح
العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد
فقيل فاذا قرات القران اي اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريق اطلاق المسبب
على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاساله عز جاره ان
يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له
همه بذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
الاية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القران من بين الاعمال
الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عليه السلم وفي ساير الاعمال الصالحة
اهم فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القران الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه السلم فيما عدا القراءة من الاعمال والامر للندب وقد اخذ بظاهر النظم
الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه ومالك بن انس وابن سيرين وداود وحمزة
من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع
العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه الصلوة والسلم قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه
جبريل عليه السلم عن القلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشان او للشيطان ليس له
سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون اي اليه يفوضون امورهم وبه
يعوذون في كل ما ياتون ويذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم
وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان اختيار صيغة الاستقبال في الثانية
لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل
للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعذك او نحوه انما سلطانه اي تسلطه وولايته بدعوته
المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين
يتولونه اي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقسور بمعزل من ذلك والذين
هم به سبحانه وتعالى مشركون او بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم على الاشراك
بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة في الخارج
بين التوكل على الله تعالى وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان من لم يتوكل

عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على
التوكل والتحذير عن مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار
التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم
كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم
الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل
على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا اية مكان اية
اي اذا انزلنا اية من القران مكان اية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخناها بها والله اعلم بما ينزل اولا واخرا
وبان كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير
مقتضى الاخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت اخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك
وما الشرايع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة
والتنبيه على فساد رايهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات
ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اي
الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اي متقول على الله تعالى تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية
هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم لا
يعلمون اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم من
يعلم وانما ينكر عنادا قل نزله اي القران المدلول عليه بالاية روح القدس يعني جبريل عليه
السلم اي الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث
قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج
في الانزال مما تقتضيه الحكمة البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة
على تحقق افاضة اثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المبنية على التلقين المحض
بالحق اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة
على ان النسخ حق ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه
من رعاية المصالح بالحال رسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال وهدى وبشرى
للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل عنهم
من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القران بشر على طريق البت مع ظهور انه نزله روح القدس عم
وتحلية الجملة بفنون التاكيد لتحقيق ما تضمنته من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب
الاستمرار التجددي في متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي
غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقران التورية والانجيل وكان
الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم
وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور
كذبهم للايذان بان مدار خطائهم ليس بنسبته عليه السلم الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا
من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الاولين والاخرين لسان الذين يلحدون اليه اعجمي الالحاد

الامالة من لحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة بحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة
فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول من الاستقامة اعجمية غير
بينه وقرئ بفتح الباء والحاء وبتعريف اللسان وهذا القران الكريم لسان عربي مبين ذو بيان
وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القران معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان
بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه
الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يومنون بايات الله اي لا يصدقون انها من عند الله بل
يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق
او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الاخرة
عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بايات الله تعالى ونسبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري
الكذب الذين لا يومنون بايات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون
بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الاية لما
لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بايات الله و
يقول انه افتراء ومعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب
والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه في كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه والتصريح
بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله
لا يومنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يومن بايات الله لانه لا يترقب عقابا عليه
ليرتدع عنه واما من يومن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة
واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بايات الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب اياته تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك
ان الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع
ما لم يقع كذلك مدافعة لله سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه
معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما
انت مفتر من كفر بالله اي تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال
من كفر بايات الله بعد ما امن بها بعد بيان حال من لم يومن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء
والخبر محذوف لدلالة الخبر الاتي عليه او هو خبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر
يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب والذم لان
الكفر لغة يتم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر
الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمينان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي
مقارنته للكفر الواقع به اي الا من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمين بالايمان لم تتغير
عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب
ولكن من لم يكن كذلك بل شرح بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب
عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب

عظيم

عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن
في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا
سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين
في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول
الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا
لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان
يجتنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول
في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال فانت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول
في محمد عليه السلام قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة واما الثاني فقد صدع بالحق ذلك اشارة
الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا اثروها
على الاخرة وان الله لا يهدي الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء القوم
الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يودي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد
الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على الاخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان اثروا الاخرة
على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت
الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله
على قلوبهم وعلى سمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون
اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم
الاخسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين
هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه
ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الاتي عليه
ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه
عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة
لا عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمينان
قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا المومنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما
وهاجرا ثم جاهدوا في سبيل الله تعالى وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها
من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له او
من الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل رحيم ينعم عليهم
مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب
الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه الصلوة
والسلم واشعار بان افاضة اثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلم ولكونهم
اتباعا له يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم وما رتب عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم

الناس لرب العالمين • تجادل عن نفسها • عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شان غيرها فتقول
نفسي نفسي • وتوفى كل نفس • اي تعطى وافيا كاملا • ما عملت • اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم
السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزيه والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير
والايذان باختلاف معنى المجادله والتوفيه وان كانتا في يوم واحد • وهم لا يظلمون • لا ينقصون
اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم • وضرب الله مثلا قرية • قيل ضرب
صنعه واعتماله وقد مر تحقيقه في سورة البقره ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي الى الاثنين
لتضمينه معنى الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا اولا لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب
عليها اذ التاخير عن الكل مخل بتجاذب اطراف النظم وتجاوبها ولان تاخير ما حقه التقديم مما يورث
النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لاسيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى
المحافظة على تفصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتاخر عند وروده لديها فضل تمكن والقريه اما محققة
في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا
ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا • كانت امنة • ذات امن كل
خوف • مطمئنة • لا يزعج اهلها مزعج • ياتيها رزقها • اقوات اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها
عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها امنة مطمئنة ثابت مستمر • رغدا • واسعا
من كل مكان • من نواحيها • فكفرت • اي كفر اهلها • بانعم الله • اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد
بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابوس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة
للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة • فاذاقها الله •
اي اذاق اهلها • لباس الجوع والخوف • شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي
للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها
من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها
على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير
جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما
من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة
واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحيه واخرى بطعم المر والبشع الملائم
للجوع الناشي من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومى اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار
المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشي مما ذكر من
فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة
او لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف
او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف • بما كانوا يصنعون • فيما قبل او على
وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور واسند ذلك الى اهل القريه تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران
اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعم صار صنعة راسخة
لهم وسنة مسلوكة • ولقد جاءهم • من تتمة المثل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن

من اجمه لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق ايضا اي ولقد جاء اهل تلك القرية • رسول
منهم • اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة
ما ياتون وما يذرون • فكذبوه • في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان
بمفاجاتهم بالتكذيب من غير تلعثم • فاخذهم العذاب • المستاصل لشافتهم غب ما ذاقوا نبذة من
ذلك • وهم ظالمون • اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب
رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد
وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى
حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء
ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة مجاذية لحال اهل تلك القريه حذو القذة بالقذة
من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم امن ويتخطف الناس من
حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت يجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي
رسول يحار في ادراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله
وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه السلام
بقوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب شديد وازمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم
الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض
بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم
ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما
ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا
بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما اصابهم من
الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه • فكلوا مما رزقكم الله • مفرع على نتيجة
التمثيل وصد لهم عما يودي الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله
وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا واخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول
صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم
في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه • حلالا طيبا • وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها
• واشكروا نعمة الله • واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما
ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد
ادمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستاصل متوقعا بعد
وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي يحذر ومن ذا الذي يومر بالاكل والشكر وحمل قوله
تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع ياباه التصدي لاستصلاحهم بالامر
والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المومنين مع ان ما يتلوه من خطاب النهي متوجه الى الكفار
كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المومنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشان التنزيل
الجليل • ان كنتم اياه تعبدون • اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته تعالى
• انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به • تعليل لحل ما امرهم باكله مما رزقهم

اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحاير والسوايب ونحوها فمن اضطر بما اعتراه
من الضرورة فتناول شيا من ذلك غير باغ اي على مضطر اخر ولا عاد اي متجاوز قدر الضرورة فان
ربك غفور رحيم اي لا يواخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة
الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلم اظهار لكمال اللطف به عليه السلم وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات
في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال
ولا تقولوا لما تصف السنتكم اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي لا تقولوا في شان ما تصفه السنتكم من البهايم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحي
او قياس مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل منه
ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام
وان يكون القول المقدر حالا من السنتهم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف و
يتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف
السنتكم الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة
وتزيينها له في المسامع كان السنتهم لكونها منشا للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته
يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة الكنائية كما يقال وجهه يصف الجمال
وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى
بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهايم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة
وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني
لتفتروا على الله الكذب فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل
والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون ذلك منه واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب
في امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدا
محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم في الاخرة عذاب اليم
لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والاخرين حرمنا ما قصصنا عليك
اي بقوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاية من قبل متعلق بقصصنا
او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في
ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى
الامر الينا وما ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه
حسبما نعي عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية ولقد القمهم
الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل
فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا
ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح
بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة
اي بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء

ثم

يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اي من بعد ما عملوا ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتاكيد
والمبالغة واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور
لذلك السوء رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد واظهار كمال
العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلم مع ظهور الاثر في التائبين للايماء
الى ان افاضة اثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلم وكونهم من امته كما اشير
اليه فيما مر ان ابراهيم كان امة على حياله لحيازته من الفضايل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة
في امة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة
اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر وابطل مذاهبهم الزايغة
بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه عليه السلام كان مومنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة
بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون
بسيرته كقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب
المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام و
بطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مايلا عن
كل دين باطل الى الدين الحق غير زايل عنه بحال ولم يك من المشركين في امر من امور دينهم اصلا وفرعا
صرح بذلك مع ظهوره لارداء على كفار قريش غلطهم في قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود
المشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم انه عليه السلم كان على ما هم عليه كقوله سبحانه
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد
التحريم والسبت سباقا ولحاقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة وايما ايثار صيغة جمع القلة للايذان
بانه عليه السلم كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلم على خلاف
ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه
الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه
عليه السلم بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء واتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة
من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة
وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه
عليه السلم وانه في الاخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما ساله بقوله و
الحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك
مع علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابراهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان
الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه
ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يوديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل
به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي عليه السلم ولا تكاد توجد مضافة
الى الله سبحانه ولا الى احاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرايع دون احادها والمراد بملته عليه السلم
الاسلام الذي عبر عنه انفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة
اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رايت وجه هند قايمة والمامور

بالابلغ في الاصول دون الشرايع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان
هذه النعمة اجل النعم الفايضة عليه عليه السلم وماكان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تاكيد وتقرير لنزاهته
عليه السلم عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه انما جعل السبت اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك
الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في
قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعاير الاسلام وان ابراهيم
عليه السلام كان محافظا عليه اي ليس السبت من شرايع ابراهيم وشعاير ملته التي امرت باتباعها حتى
يكون بينه عليه السلم وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة
وايراد الفعل مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد
الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول
باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المودي
الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه قبل الوقوع ايثارا لغير ما امر الله تعالى به واختيارا
للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال منشا
الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عليه السلم امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا
للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات
والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى في السبت وابتلاهم بتحريم
الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد
فمسخهم الله سبحانه قردة دون اولئك المطيعين وان ربك ليحكم بينهم اي بين الفريقين المختلفين
فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي فصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي
كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين
وانجاء الاخر بالنسبة الى ما سيقع في الاخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي
وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى
وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم
بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة
والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان كلمة بينهم تحكم بان
المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية
امر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتامل ادع اي من بعثت اليهم
من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع
فحذف للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على
وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابراهيم
عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا فشيئا
مع اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام
الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى
بالحكمة اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اي الخطابيات

المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين
للحقايق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القران المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم
اي ناظر معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين
واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل
عليه السلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق
بعد ما عاين ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامر
والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوي عن
الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرعه لك
في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما
ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية او الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم
بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام
لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها واعراض
عن الدعوة وذلك امر عارض عن الدعوة بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة و
الجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو اعلم للتاكيد
والاشعار بتباين حال المعلومين وما لهما من العقاب والثواب وبعد ما امره عليه السلم فيما يختص به
من شان الدعوة بما امره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال
وان عاقبتم اي ان اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي ان اكلت فكل قليلا فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب
نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من ناصبهم من غير تجاوز حين
ما آل الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المامور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا
وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعهودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم
بفساد ما ياتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه اباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل و
عيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة
وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما راى حمزة رضي الله عنه يوم احد قد مثل به قال لئن اظفرني الله بهم
لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان
قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من
غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم حث على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الاكد فقيل
ولئن صبرتم اي عن المعاقبة بالمثل لهو اي لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما
قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة
ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول انفسهم في جنس الصابرين
دخولا اوليا ثم امر صلى الله عليه وسلم صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزايم
الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر اي على ما اصابك من جهتهم
من فنون الالام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ

من اعم الاشياء اى وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اى بذكره والاستغراق فى
مراقبة شؤونه والتبتل اليه بجامع الهمة وفيه من تسليته عليه السلم وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه
ما لا مزيد عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله
على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهى من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم
اى على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين
وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم ولا تك فى ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان
كالقول والقيل اى لا تكن فى ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اى فى امر ضيق
مما يمكرون اى من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهى عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثانى عن
التألم بمحذور من جهتهم آت والنهى عنهما مع انتفائهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الاول
لزيادة التأكيد واظهار كمال العناية بشأن التسلية والا فهل خطر ببال من توجه الى الله سبحانه بشراشر نفسه
متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شيء من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فينكف عن الخوف من وقوعه
ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهى والمراد بالمعية الولاية الدائمة التى لا تحوم حول صاحبها
شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين انما هى من حيث
انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال فى قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظايرهما كافة والمراد بالتقوى
المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقى عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك
اعنى التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقى المورث للولاية
تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان ولى الله الذين
تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن
الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأمور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب
ويتم التعليل كما فى قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على احد التفسيرين كما حقق فى مقامه ولا فمجرد التوقى
عن المعاصى لا يكون مدار الشيء من العزائم المرخص فى تركها فكيف بالصبر المشار اليه وردفه وانما مداره
المعنى المذكور فكأنه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر عليه النظم الكريم مبالغة فى الحث على الصبر
بالتنبيه على انه من خصايص اجل النعوت الجليلة وروادفه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون
للاشعار بانه من باب الاحسان الذى يتنافس فيه المتنافسون على ما فعل ذلك حيث قيل واصبر فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفى
المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين فى ولايته سبحانه من غير ان يكون احديهما تتمة الاخرى
وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيمة راسخة
لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين و
المحسنين وهو عليه السلام داخل فى زمرتهم دخولا اوليا واما هو عليه السلم ومن شايعه عبر عنهم بذلك
مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى ان صنيعه عليه السلم مستتبع لاقتداء الامة
به كقول من قال لابن عباس رضى الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بعد صبر
الرأس عن هرم بن حيان انه قيل له عند الاحتضار اوص فقال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم سورة

النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه فى دار الدنيا وان
مات فى يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية والحمد لله وحده



سبحان الذى اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا وجنسا لا
شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما فى زيد المعارك او حاتم طى وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحا
ن وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب والابعاد
فى الارض ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر
الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر
مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة
ومناسبة تامة بين المحذوف وبين المعطوف عليه فى قوله تعالى سبحانه وتعالى كأنه قيل تنزه بذاته
وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسراء بما فيه من
التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا
كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالى يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت
الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيار السير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اى بعضه
وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه السلام فى عبادته سبحانه وبلوغه فى ذلك غاية الغايات القاصية
ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول
المذكور للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية
تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف فى مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه
وهو الظاهر فانه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم
واليقظان اذ اتانى جبرئيل عليه السلم بالبراق وقيل هو دار ام هانى بنت ابى طالب والمراد بالمسجد الحرام
الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه
عليه الصلوة والسلام كان نائما فى بيت ام هانى بعد صلوة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج
الى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلم لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عليه السلم وان كذبونى فلما
خرج جلس اليه ابو جهل يا معشر كعب بن لؤى بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه
تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابى بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا
اتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس
فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب
فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق
فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر هذه و
الله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله انى يؤفكون واختلف فى
وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس رضى الله عنه والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه

في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة
بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما
ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار به
وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة
ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى
بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في
قبول الاعراض التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على
ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم
يكن معجزة الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية
معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذي باركنا حوله ببركة الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء
عليهم السلام لنريه غاية للاسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر
ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على
مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء
انه هو السميع لاقواله عليه السلام بلا اذن البصير بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه
ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع منزلته والا
فالاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة و
آتينا موسى الكتاب اي التورية وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة
جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان فيه
مما لا يمكن كنهه حسبما نطقت سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول السامعين اي آتيناه التورية بعد
ما اسرينا به الى الطور وجعلناه اي ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون بما في مطاويه
ان لا تتخذوا على اي لا تتخذوا نحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان مصدرية والمعنى آتينا موسى
الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان
فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على
قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في
سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا
فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف او بدل من واو لا يتخذوا بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغاددة وقرئ
ذرية بكسر الذال انه اي ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته
وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن
الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا اي اتممنا و
احكمنا منزلين الى بني اسرائيل او موحين اليهم في الكتاب اي في التورية فان الانزال والوحي
الى موسى عليه السلام انزال ووحي اليهم لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء

المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن مرتين مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم
التورية وقتل شعيا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى
وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه او لتغلبن الناس بالظلم
والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحدود فاذا جاء وعد اولاهما اي اولى كرتي الافساد اي
حان وقت حلول العقاب الموعود بعثنا عليكم لمؤاخذتكم بجناياتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا اولي
بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب هم سنحاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل
لهراسب وقيل جالوت فجاسوا اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ
وجوسوا خلال الديار في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا
التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت
به السنة الالهية وكان ذلك وعدا مفعولا لا محالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل ثم رددنا
لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم
عليه من الافساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اساراهم واموالهم ورجوع الملك
اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف القى الله تعالى
في قلبه الشفقة عليهم فرد اساراهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان
فيها من اتباع بخت نصر وقيل هي قتل داود عليه السلام لجالوت وامددناكم باموال كثيرة بعد ما
نهبت اموالكم وبنين بعد ما سبيت اولادكم وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او من عدوكم و
النفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز
ان احسنتم اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق ولا
يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها او ان فعلتم الاحسان احسنتم لانفسكم
لان ثوابها لها وان اسأتم اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي او فعلتم الاساءة
فلها اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها فاذا
جاء وعد الآخرة حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل حذف
لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوءوا ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية
في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث
ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضي الله تعالى عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن
بالنون الخفيفة وليسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطف على ليسوءوا متعلق بما
تعلق هو به كما دخلوه اول مرة اي في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا
عليه او مدة علوهم تتبيرا فظيعا لا يوصف بان سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل
من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل جردوس قيل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما
يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم يصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم
قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم
منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا
ابقي منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه

من المعاصي وان عدتم الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى عدنا الى عقوبتكم ولقد عادوا فاعاد الله
سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن
عادوا فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اى محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الابدين وقيل بساطا كما يبسط
الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم ان
هذا القران الذي اتيناكه يهدى اى الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كما ان الكتاب
الذي اتيناه موسى للتي للطريقة التي هي اقوم اى اقوم الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد
وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان
بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته لها
كونه بحيث يهتدى اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمومنين حينئذ
ويبشر المومنين بما في تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف الذين يعملون الصالحات
التي شرحت فيه ان لهم اى بان لهم بمقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب
التضعيف عشر مرات فصاعدا وان الذين لا يومنون بالاخرة واحكامها المشروحة فيه من البعث
والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة
التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله عز وجل اعتدنا لهم عذابا اليما وهو عذاب جهنم
اى اعتدنا لهم فيما كفروا به وانكروا وجوده من الاخرة عذابا اليما وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان العذاب
من حيث لا يحتسب افظع وافجع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة
تحت التبشير المراد به مجاز امطلق الاخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا
لهداية القران بالترغيب والترهيب ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد بتبشير المومنين بشارتين ثوابهم
وعقاب اعدائهم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر بيان لحال المهدى اثر بيان حال الهادى واظهار
لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكى عنه حاله في بعض احيانه
فالمعنى على الاول ان القران يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا
شر وراءه من العذاب الاليم وهو اى بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور
اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكى عنهم واما باعمالهم
السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير اى مثل دعائه بالخير المذكور فرضا
لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز الى انه اللائق بحاله وكان الانسان اى من اسند اليه الدعاء
المذكور من افراده عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل
العذاب وهو اتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى كلا التقديرين حمل الدعاء على اعمالهم محمل العجول عليه على اللج والتمادى
في استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني ان القران يدعو الانسان الى ما هو خير وهو في بعض احيانه
كما عند الغضب يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه واهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا
ضجرا لا يتأنى الى ان يزول عنه ما يعتريه روى انه عليه السلام دفع الى سودة اسيرا فارخت كتافه
رحمة لانينه بالليل من الم القد فهرب فلما اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يديها فرفعت

سودة يديها تتوقع الاجابة فقال عليه السلام اني سألت الله تعالى ان يجعل دعائي على من لا يستحق من اهلي
عذابا رحمة او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير مستبصر لا يتدبر في اموره حق التدبر
ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار ايتين
شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالايات والدلائل
الافاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما
عطف عليه من محو اية الليل وجعل اية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك
من الهدايات القرانية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودى اذ منه
ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو ان الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر
وصاحبها من شهر اخر ولترتب غاية اية النهار عليها بلا واسطة اى جعلنا الملوين بهيئاتهما وتعاقبهما
واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول ايتين تدلان على ان لهما صانعا
حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى اليه القران الكريم من ملة الاسلام والتوحيد فمحونا اية
الليل الاضافة اما بيانية كما في اضافة العدد الى المعدود اى محونا الاية التي هي الليل وفائدتها تحقيق
مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل ابداعها
على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل انشاهما كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور
وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين ايتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته
وجعلنا اية النهار اى الاية التي هي النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفا
لها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره فبصر واما حقيقته واية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر
اما خلقه مطموس النور في نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا الى المحاق
على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر
بها الاشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا اية النهار كما اشير اليه اى وجعلناها مضيئة
لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار فضلا من ربكم اى رزقا اذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي التعبير عن
الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا
فشيئا دلالة على ان ليس للعبد في تحصيل الرزق تاثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه
لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعني محو اية الليل
وجعل اية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور اى لتعلموا بتفاوت
الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او حركاتهما واوضاعهما وسائر
احوالهما عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب
اى الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اى الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما نيط به شيء من
المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما الذي تعلق به العد طائفة
منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة اى حيثية تحققها وتحصلها من
عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان
ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة بعدها اى بعينها من غير ان
يعتبر في ذلك تحصل شيء معين وتحققه ما مر في سورة يونس من ان الحساب احصاء ما له كمية

منفصلة بتكرير امثاله من حيث يحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما
اضيف اليه العدد وعلق الحساب بجملتها تماما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام
مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمات والالوف اعتباري لا يجري في تحصل المعدود
وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا او علما على العكس للتنبيه من اول الامر
على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من الاوقات او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق
به الحساب تفصيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شي اخر منه حسبما ذكرنا نزل من الحساب المعتبر
فيه ذلك منزلة البسيط من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام
الامتنان والله سبحانه اعلم وكل شيء تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل
والنهار ايتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه
تفصيلا اي بيناه في القران الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل
شيء فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا وكل انسان مكلف الزمناه طائره اي عمله الصادر عنه
باختياره حسبما قدر له كانه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له في القسمة الازلية الواقعة حسب
استحقاقه في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا في عنقه تصويرا لشدة اللزوم وكمال الارتباط
اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون
النون ونخرج له بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول
والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج يوم القيمة والبعث للحساب كتابا مسطورا فيه ما
ذكر من عمله نقيرا او قطميرا او هو مفعول ليخرج على القرائتين الاوليين او حال من المفعول المحذوف الراجع
الى الطائر وعلى الاخيرتين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر يلقاه او يلقى الانسان او يلقاه الانسان
منشورا وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه من التلقية كذا اي يلقاه
الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي
عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك
وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة اقرأ كتابك اي قائلين ذلك عن قتادة يقرأ ذلك
اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من
الانسان خير او شر يحدث منه في جوهر روحه اثر مخصوص لانه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن
مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت
ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف
الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى
الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي
ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال او لانه مبني على تأويل النفس بالشخص على انها
عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القران هاديا لاقوم الطرائق ولزوم
الاعمال لاصحابها اي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود

منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما يضل
عليها اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة
وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية
عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل نفس منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز
وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب
منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع
بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وانما
الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على
الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا
للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم
وما كنا معذبين للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان
المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام منا بل استحال
في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل
الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم عن
الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي
اما عذاب الاستئصال كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل
للدنيوي والاخروي وهو من افراده واياما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا
لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد
تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة
وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت
غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة
بوقوع المراد في وقته المقدر اذ لا يقارنها الجزاء الآتي بل دنو وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اي واذا
دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا انه
لا يصح منا قبل البعثة او بنوع مما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب اعني عذاب الاستئصال المالهم من الظلم
والمعاصي دون تسنيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين امرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها
مترفيها متنعميها وجباريها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب
والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم اكد وعدم التعرض للمأمور به اما لظهور ان المراد به الحق والخير لان
الله لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القران لما يهدي اليه واما لان المراد وجدنا الامر كما يقال
فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها القول اي كلمة العذاب
السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها فدمرناها بتدمير اهلها تدميرا لا يكتنه كنهه
ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صبت عليهم ما
ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى الكثير يقال امرت الشيء فامر اي كثرته فكثر وفي الحديث

خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وبعضد قراءة امرنا وامّرنا من الافعال والتفعيل
وقد جعلنا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يلائم مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء
فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة ابطرتهم وحملتهم على
الفسق حملا حقيقيا بان يعبر عنه بالامر به وكم اهلكنا اي وكثيرا ما اهلكنا من القرون بيان لكم
وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهي عشرون او ثلثون او اربعون او ثمانون او مائة
وقد ايد ذلك بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرين من
بعد نوح من بعد نبيه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القران العظيم ومن
لم يقص وعدم نظم قومه عليه السلام في تلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره عليه السلام
رمز الى ذكرهم وكفى بربك اي كفى ربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها وبواطنها
فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة
او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس
لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة
من كل وجه من كان يريد باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او
بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الاخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر
الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير ان
يريد معها الاخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الارادة
في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان
يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد الحيوة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن
الاول انسب بقوله تعالى عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة فان الحيوة واستمرارها من جملة ما عجل له
فلا تناسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء اي ما نشاء تعجيله
له من نعيمها لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه
راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن
اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشية والارادة لما ان الحكمة التي عليها
يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما
يرى من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل
كل مومل لجميع اماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود
بفضل الله تعالى ثم جعلنا له جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصليها يدخلها وهو حال من
الضمير المجرور او من جهنم او استيناف مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الاية في
المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه
ما يقال ان السورة مكية سوى ايات معينة ومن اراد باعماله الاخرة الدار الاخرة وما فيها من النعيم
المقيم وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يستحسنون
باراءهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد
الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة الى الموصول

بعنوان اتصافهم بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك
الجامعون لما مر من الخصال الحميدة اعني ارادة الاخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا
مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة
فيها كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق
بالاسعاف فقط نمد اي نزيد مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل
لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للاخر من العطايا الاجلة المشار اليها بمشكورية السعي وانما لم
يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما لحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تع
هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان
الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به
الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير وتاكيد للقصر المستفاد
من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اي من معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق
بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي و
العمل بل بمحض التفضل وما كان عطاء ربك اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد الاعتناء
بشانه واشعارا بعليته للحكم محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشية
المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكافر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين
والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر
كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من
الامداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال
بها على مراتب الاخر اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم به من
العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تعرف
بذلك مراتب العطايا الاجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى
على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللاخرة اكبر اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ
اكثر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها
ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا
ويجوز ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها
بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها
وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد
بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه
الدنيوي محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل
من الفريقين على بعض اخر منهما وللاخرة الاية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق
الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضي كون
القصر لدفع توهم اختصاص الامداد له كما فعله الجمهور الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في

الكلام مايوهم ثبوته لم فضلا عن ايهام اختصاصه لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا
للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اي
عجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان اي جامعا على نفسك الذم من الملئكة والمؤمنين والخذلان من الله
تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك اي امر امرا مبرما وقرئ واوصى ربك
ووصى ربك ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا نافية او اي لا تعبدوا على
انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل
للسعي للآخرة وبالوالدين اي وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما احسانا لانهما السبب الظاهر
للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة
لتاكيدها ولذلك دخل الفعل نون التاكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان
حقه التاخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل
وتاخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من
ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما تاكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في
عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع الاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تافيف
والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام فلا تقل لهما اي لواحد منهما حالتي
الانفراد والاجتماع اف وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين
وبالفتح والضم منونا وغير منون اي لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهي
يفهم النهي عن ساير ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشانه فقيل ولا
تنهرهما اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل
التافيف والنهر قولا كريما ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف
وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول يا ابتاه
ويا اماه كدأب ابراهيم عليه السلام اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من
الجفاء وسوء الادب ودين الدعاء وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى
خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر
ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى
الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه واخفض لهما جناح الذل عبارة عن الانة
الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكانه قيل واخفض لهما جناحك الذليل او
جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها واما جعل
خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام من الرحمة من فرط رحمتك
وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك
الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخروية
التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما كما ربياني الكاف في محل النصب على انه

نعت

نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما او مثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون
لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية
في مطلع الدعاء كانه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز ان يكون الكاف
للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث
افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في
باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ماله من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل
تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه
وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخط الله في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل
النار ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي
بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان
ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروي ان شيخا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ انشأ
في ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فانشدها الشيخ فقال غذوتك مولودا ومنتك يافعا
تعل بما احني عليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت لسقمك الا باكيا اتململ كاني انا المطروق
دونك بالذي طرقت به دوني وعيني تهمل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت
فيك اؤمل جعلت جزائي غلظة وفظاظة كانك انت المنعم المتفضل فليتك اذ لم ترع حق ابوتي
فعلت كما الجار المجاور يفعل فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك
ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر دون العقوق
والفساد فانه تعالى كان للاوابين اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر
غفورا لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر
بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا وآت
ذا القربى اي ذا القرابة حقه توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم المحارم
وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى والمسكين وابن السبيل فان المأمور به في حقهما المواساة
المالية لا محالة اي وآتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكوة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط
في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال الى من سواهم
ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه ماخوذ من تفريق الحبات والقائها كيفما كان
من غير تعهد لمواقعه لا عن الاكثار في صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه
وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل
للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة
في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير اي كانوا بما فعلوا من التبذير امثال
الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في
المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه
من المناهي والملاهي او القرناء اي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا

من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران نعمه تعالى لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى
والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر
بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر
من بين ساير اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها
من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية
للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران
ونهاية الضلال والطغيان واما تعرضن عنهم اي ان اعتراك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك
المستحقين ابتغاء رحمة من ربك اي لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان
الفقد سبب للابتغاء ترجوها من الله تعالى لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس
عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته عم
فقيل فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر نحو سعد او قل لهم رزقنا
الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بتيسر عليهم فقرهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي
قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما من اول الامر روعي ذلك في التصوير باقبح
الصور ولما كان غائلة الاسراف في آخره بين قبحه باثره فقيل فتقعد ملوما اي فتصير ملوما
عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت محسورا نادما او
منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رحمه الله انه قال
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال عم
من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك
فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة
فنزلت فيأباه ان السورة مكية خلا ايات في آخرها وكذا ما قيل انه عليه السلام اعطى الاقرع بن حابس مائة
من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشأ يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد
بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما
ومن تضع اليوم لا يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل وكانوا جميعا
من المؤلفة القلوب فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل لما مر اي يوسعه على
بعض ويضيقه على آخرين حسبما يتعلق به مشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة التي تحوجك
الى الاعراض عن السائلين او نفاد ما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا
بصيرا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان
البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض واما العباد
فعليهم ان يقتصدوا او ان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل
القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر بحسب مشيته فلا تبسطوا على من قدر
عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر
الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك نحن نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة

بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في
زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار باصالتهم في
افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق
المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينقص من رزقكم شيئا فيعتريكم ما
تخشونه واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا تعليل اخر ببيان ان المنهي عنه في
نفسه منكر عظيم والخطأ الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه
كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة و
بكسرها كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما
نهي عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته
وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه
قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة فعلة
ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي
الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج
منه الايمان فكان على راسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني
وهو مومن وعن حذيفة رضي الله عنه انه قال عليه السلام اياكم والزنى فان فيه ست خصال ثلث
في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في
الاخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها
بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان
وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق
او ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشياء ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلا الا
قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير
القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولي انا امرته بذلك
ما لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث
سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل يواخذ بالقصاص او بالدية حسبما تقتضيه جنايته او حجة
غالبة فلا يسرف وقرئ لا تسرف في القتل اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع
بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين بمكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية
او بان يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي انه كان منصورا
تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته
في استيفاء حقه فلا يبتغ ما وراء حقه ولا يزد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما
على معنى انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شانه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل
ظاهر وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضمير انه في
التعليل عائد الى الولي او المقتول فالمراد بالاسراف اسراف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك
العاجل والاجل او الاسراف او تجاوز الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في قوله تعالى

قل لعبادي الذين اسرفوا على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن
التعرض له ومن افضاء ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى الا بالتي هي احسن الى الا بالخصلة
والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف
على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم
وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه
ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن ان العهد اظهر في مقام
الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود كان مسئولا اي
مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك
يوم مشهود فيه ونظيره ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف
وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي
بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا تخسروه اذا كلتم
اي وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على
الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الاية وزنوا بالقسطاس
هو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لانتظام
المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف المستقيم اي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته
عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف
مع استقامة الالة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون
تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا كما في قوله تعالى اوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك اي ايفاء
الكيل والوزن بالميزان السوي خير في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل
بين الناس واحسن تاويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع
من قفا اثره اي تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع القائف ما
ليس لك به علم اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده
واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان
او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور
ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج ومنه
قول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان رمينا ان السمع والبصر والفؤاد
وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك اي كل واحد من تلك الاعضاء
فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولاء وان غلب في
العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا اي كان كل من تلك الاعضاء مسئولا عن نفسه على ان
اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر
ان يقال كنت عنه مسئولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسئولا معللا بان الجار والمجرور
لا يلتبس بالمبتدا وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز

تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير
ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكر في قوله تعالى يوم مشهود ويجوز ان يكون مسئولا مسندا
الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسال ابن جني
ابا علي عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغب
بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع ويجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير
كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسئولا او مسئولا صاحبه ولا تمش في الارض التقييد
لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحا تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر
وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل
للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق الارض بدوسك
وشدة وطاتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ الجبال التي هي بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن لك
ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه
المختال من رفع راسه ومشيه على صدور قدميه كل ذلك اشارة الى ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر
والنواهي من الخصال الخمس والعشرين كان سيئه الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة عند
ربك مكروها مبغضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة
على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك
بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن
ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور
جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى
عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما
نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد
قرئ به او يجري على موصوف مذكر اي امرا مكروها او يجري مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية و
يجوز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيئاته وقرئ شانه
ذلك اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك اي بعض منه او من جنسه
من الحكمة التي هي علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها
النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآيات الثماني عشرة كانت في الواح موسى
عليه السلام اولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات
في التورية ومن اما متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول
او من ضميره المحذوف في الصلة اي كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار ولا تجعل مع الله الها
آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد
كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه وانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه
علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة
الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل فتلقى في
جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقاء

مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشية ياخذها آخذ بكفه فيطرحها
في التنور افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله سبحانه
والاصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور اي افضلكم على جنابه
فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص واثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه ألكم الذكر وله الانثى و
قوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير وتاكيده
واشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم لهم
عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر
قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث تجعلونه تعالى من قبيل
الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه
ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق
بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيا لها من ضلة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد
صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن على وجوه من التصريف في مواضع منه وانما ترك
الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات
الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر
بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة
على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيبها
نصلي وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من آثار القرآن ونتائجه
وما يزيدهم اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه
فضلا عن التذكر المؤدي الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة
اخرى لو كان معه تعالى آلهة كما يقولون اي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل
النبي صلى الله عليه وسلم والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي كونا مشابها لما يقولون
والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو اي
لطلبوا الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة
كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل
بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر
الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا
يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم
من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه راسا اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى متباعدا
عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات علوا تعاليا كقوله تعالى
والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا وراءه كيف لا وانه سبحانه في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب
الذاتي وما يقولونه من ان له تعالى شركاء واولادا في ابعد مراتب العدم اعني الامتناع لا لانه تعالى
في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص

ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى به وان يكون معه آلهة ولا ريب
في ان ذلك ليس بداخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود
انما هو بالنسبة الى من من شانه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السموات
السبع والارض ومن فيهن من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما نطق به لسان المقال
ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شيء من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح
ملتبسا بحمده اي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق
الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا عليما قادرا
حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر
الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل انه كان
حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر في الدلائل
الواضحة الدلالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت
القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير
ذلك من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة
من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن
وتمهيدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك
على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على تفوه العظيمة التي هي قولهم
ان تتبعون الا رجلا مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنه من انه
لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امرأة ابي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم
قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما راها قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه واخاف ان
تراك قال عليه السلام انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله صلى
الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم
سيل مفعم او مستورا عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا
حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان ان يفقهوه
مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه او مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا على كنهه ويعرفوا انه
من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات
معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج
اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا
يتصور عدم فهمه الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا اقبح من حالهم
السابق او حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف
لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا و
كفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا او شعرا او اساطير
وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين

ادراكه حاصل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلايم المقام واذا ذكرت ربك في القران
وحده واحد لغير مشفوع به الهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم
اي هربوا ونفروا نفورا اي ولوا نافرين نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو من
الاستخفاف والهزء بك وبالقران يروى انه كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلان يصفقون ويصفر
ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته تاكيد الوعيد بالاخبار بانه كما
يقع الاستماع المزبور منهم تعلق به العلم لان العلم يستفاد هنالك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى
لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي
يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم او الاول
ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تاخير
وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو النجوى او هو جمع
نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون
بغير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون الحد اي يقول
كل منهم للاخرين عند تناجيهم ان تتبعون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللغو و
الهزء الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي بشرا مثلكم انظر كيف
ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك عن منهاج
المحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب
في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد
ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامر من
الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته كما قال الفراء هو التراب وهو قول
مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا
لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار
وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون الاحياء بعد الموت وان كان البدن
على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتاكيد النكير
وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون ونظايره على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا
انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم
عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى
انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه
خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريبا
لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا اخر مما يكبر في صدوركم اي يعظم عندكم من قبول
الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا
مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد

وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم اول
مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحيوة اليس الذي قدر على ذلك
بقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك
رؤسهم اي يحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته من الاعادة
قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان
يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما النصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد
الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب او رفع على انه فاعل
لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي
اذكروا او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او يكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة
في الظروف او بضمير المصدر المستكن في عسى او يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما
في قول زهير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم فهو ضمير المصدر وقد
تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة
ايذانا بكمال سهولة التاتي وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجواب بحمده حال من ضمير
تستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة
آثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اي تظنون عندما ترون من الامور الهائلة
ان لبثتم اي ما لبثتم في القبور الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي
اي المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم
كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر
والمراء ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمشارة والمعارة والمضارة فلعل ذلك يؤدي الى
تاكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاء ان الشيطان كان قديما
للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم
بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر وهذا تفسير للتي هي احسن
وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما شاكلها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم
على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان وما ارسلناك عليهم وكيلا
موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة
والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزل في عمر رضي الله عنه شتمه
رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين بالمومنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن في السموات و
الارض وبتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستاهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته
وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة
الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا
انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتنزه عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال

ولا تبلغ وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليه السلم فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك و السلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وان المراد بعباد الله الصالحين في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد ايتاء داود زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاء على انه جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه تعالى من الملئكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا اي ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون اي اولئك الالهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم الى ربهم ومالك امورهم الوسيلة القربة بالطاعة والعباده ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعباده ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كدأب ساير العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملئكة والرسل عليهم السلم وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملئكة والنبيين عليهم السلم على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية فالمراد بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اي مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اي معذبوا اهلها على الاسناد المجازي عذابا شديدا لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبليه يوم القيمة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد اخرت عقوبتها الى يوم القيمة كان ذلك الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب في الكتاب اي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة ويهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الداني في كتاب الفتن انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من

الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الايلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمري من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يلائمه السباق ولا السياق وما منعنا ان نرسل بالآيات اي الآيات التي اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك الا ان كذب بها الاولون استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما منعنا ارسالها شيء من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كان بمشيته المبنية على الحكم البالغة لا لمنع مانع عن ذلك من التكذيب او غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستيصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا للارسال لما امر حكم من الآيات لتعين التكذيب المستدعي للاستيصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتأييده عليه السلام بالمعجزات وهو السر في ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى النزول لولا ان تمسكها يد التقدير واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا صنيعهم وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا او لانها من جهة انها حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا لمن ارسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شيء من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا

التى اريناك الا فتنة للناس الى اخر الاية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجى
بعض الايات لاشتراك الكل فى كونها امور اخارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه لتصديق النبى
صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم ببعضها مستلزم لتكذيب الباقى كما ان تكذيب الاخرين بغير المقترح يدل
على تكذيبهم بالايات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجايب الارض
والسماء حسبما ذكر فى فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها وبين
الرويه او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رءيا اى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك عيانا
مع كونها اية عظيمة واية اية حقيقة بان لا يتلعثم فى تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن
بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة فى القران عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه
لعن طاعميها على الاسناد المجازى او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت فى اصل الجحيم فى ابعد مكان من
الرحمة اى وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة
ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا فى ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون
النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندر
تلقى فى النار فلا تؤثر فيها ويرون ان فى كل شجر نارا او قرئ بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة
الملعونة فى القران كذلك ونخوفهم بذلك وبنظايرها من الايات فان الكل للتخويف وايثار صيغة
الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا متجاوزا
عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الايات لفعلوا بها ما فعلوا بنظايرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم
وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذى يستدعيه النظم
الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الايات التى اقترحوها لان لها ليس بمصلحة من نوع حزن
من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى بها موسى
وغيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك
قد احاط بالناس فهم فى قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيته فهو يحفظك منهم
فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة الا يرى ان الرؤيا التى اريناك من قبل جعلناها
فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا فى حالك وقد فسر الاحاطة
باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضى مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم
الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا
على عادته سبحانه فى اخباره واولت الرؤيا بما عسى راه عليه السلام فى المنام من مصارعهم لما روى
انه عليه السلام لما ورد ماء بدر قال والله لكانى انظر الى مصارع القوم وهو يومى الى الارض هذا
مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما راه عليه السلام انه
سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كونه ما ذكر
مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحى باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع
واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وان
يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الاية وتحقيق الرؤيا بما راه عليه السلام فى وقعة

بدر

بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب فى ان
تلك الرؤيا مع وقوعها فى المدينة ما جعلت فتنة للناس واذ قلنا للملئكة تذكير لما جرى منه تعالى
من الامر ومن الملئكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب
ربك كان محذورا ويعلم من حال الملئكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلم فى الطاعة وابتغاء الوسيلة
ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر اى واذكر وقت
قولنا لهم اسجدوا لادم تحية وتكريما لما له من الفضايل المستوجبة لذلك فسجدوا له من غير
تلعثم امتثالا بالامر واداء لحقه عليه السلم الا ابليس وكان داخلا فى زمرتهم مندرجا تحت الامر
بالسجود قال اى عندما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما
منعك الا تكون مع الساجدين تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى كما
اشير اليه فى سورة الحجر اسجد وانا مخلوق من العنصر العالى لمن خلقت طينا نصب على نزع
الخافض اى من طين او حال من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او من نفس الموصول اى
اسجد له واصله طين والتعبير عنه عليه السلم بالموصول لتعليل انكاره بما فى حيز الصلة قال
اى ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكى بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه
من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر فى مواضع اخر فان
توسيط قال بين كلامى اللعين للايذان بعدم اتصال الثانى بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما
فى قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ارايتك
هذا الذى كرمت على الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته و
الثانى محذوف لدلالة الصلة عليه اى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بان امرتنى بالسجود له لم كرمته
على وقيل هذا مبتداء وحذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار
والاستحقار اى اخبرنى اهذا من كرمته على وقيل معنى ارايتك اتاملت كان المتكلم ينبه المخاطب على
استحضار ما يخاطبه به عقيبه لئن اخرتن حيا الى يوم القيمة كلام مبتداء واللام موطئة للقسم
وجوابه قوله لاحتنكن ذريته اى لاستاصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها
اكلا او لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها
اذا جعلت فى حنكها الاسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم اجمعين
وانما علم تسنى ذلك المطلب له تلقيا من جهة الملئكة عليهم السلم او استنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء او توسما من خلقه الا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى
قال اذهب اى امض لشانك الذى اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن
تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اى جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغايب رعاية لحق المتبوعية
جزاء موفورا اى جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اى وفر وهو نصب على انه مصدر
موكد لما فى قوله فان جزاؤكم من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز
اى استخف من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب
عليهم اى صح عليهم من الجلبة وهى الصياح بخيلك ورجلك اى باعوانك وانصارك من راكب

وراجل من اهل العيث والفساد قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من
الجن والانس فما كان من راكب يقاتل فى معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل فى
معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبى و
الرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهى قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل ككتب وتعب
ويضمه مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما اى جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك و
رجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار
اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من
خيالة ورجالة حتى استاصلهم وشاركهم فى الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف
فيها على ما لا ينبغى والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد
العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد
الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان
الا غرورا اعتراض لبيان شان مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من
صرف الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطاء
بما يوهم انه صواب ان عبادى الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان
الاضافة لثبوت الحكم فى قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان اى تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى
انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون
به فى الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلى مع
الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعنى سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذى
يزجى لكم الفلك فى البحر مبتداء وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اى هو القادر الحكيم الذى
يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها فى البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذى هو فضل من قبله او من الربح
الذى هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التى هى دلائل التوحيد وتمهيد
لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الاية انه كان بكم ازلا وابدا رحيما
حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء
لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى
الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر فى البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون اى ذهب عن
خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة او المسيح او غيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر
ببالكم احد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم
يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم
عن التوحيد واتسعتم فى كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق من الاعراض افامنتم
الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم ان يخسف بكم جانب البر الذى
هو مامنكم اى يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفى زيادة الجانب تنبيه على تساوى الجوانب
والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من
فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمى بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك

او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام امنتم ان يعيدكم فيه فى البحر اوثرت كلمة فى على كلمة الى
المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة اخرى اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان
العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعى الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه فى التارة
الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم فى البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح
وهى التى لا تمر بشىء الا كسرته وجعلته كالرميم او التى لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف
اى تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد
الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
اى ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ولقد
كرمنا بنى ادم قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اى كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط
على ما فى الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن
جملته ما ذكره ابن عباس رضى الله عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه
يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد له فى ذلك مبنى على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول
له برجله التى يطاء بها القاذورات لا بيده وحملناهم فى البر والبحر على الدواب والسفن من
حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شىء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف
بهم الارض ولم نغرقهم الماء وانت خبير بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات
كذلك ورزقناهم من الطيبات اى فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل
بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم فى العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة
التى بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة عليهم
السلام تفضيلا عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم
فى تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذى لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز
فضلا عمن فضل على من عدا الملاء الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثنى جنس الملائكة من
هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطاء والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع
فيه فان المراد بيان التفضيل فى امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون
ذلك هو الفضل فى عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه ان قيل اى حاجة الى تعيين
ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة عليهم السلام من تفضيل
جميع افراد البشر عليهم السلام لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افراده عليهم قلنا لا بد من
تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع
فيه اصلا بل هم ادنى من كل دنى حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا
وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعوا نصب على المفعولية باضمار
اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو
بقلب الالف واوا على لغة من يقول فى افعى افعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما فى قوله تعالى
واسروا النجوى او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة
الرفع وقد يكتفى بتقديره كما فى يدعى كل اناس من بنى ادم الذين فعلنا بهم فى الدنيا ما فعلنا

من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الاخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا
بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها
فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع ام
كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين
رضي الله تعالى عنهما والستر على اولاد الزنا فمن اوتي يومئذ من المدعوين كتابه صحيفة اعماله
بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك
اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم
تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار
برفعة درجاتهم اي اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المذكور يقرءون
كتابهم الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات
ولا يظلمون اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة فتيلا
اي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن
كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم ما فعل من فنون التكريم و
التفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكرمة و
التفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعنا فيه من العقول والقوى فيما خلقن
له من العلوم والمعارف الحقة فهو في الاخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك اي لا
يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب الثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى
التفضيل على ان عماه في الاخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني
مفخما واضل سبيلا اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا
بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره
بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق
للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فاما ان كان
من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الاخر
السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الاخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا ليفتنونك
نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على
العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا
وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان
الله امرني بذلك وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة
او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو اسمها
محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين
عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره
لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا

اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت عليه من الحق
بعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت
ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من
ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم
مع قوة الدواعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته اذن لو قاربت ان تركن اليهم
ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما
نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في
الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت
اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف
الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا الكلام فيه
كما في الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض اي
الارض التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ
لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك خلافك
اي بعدك قال خلت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي ولو خرجت
لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا
ببدر بعد هجرته عليه السلام وقيل نزلت الآية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك
في قلبه عليه السلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك
كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت
لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت
فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها
من دلكت الشمس اذا غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتأقيت مثلها في
قولك لثلث خلون الى غسق الليل الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلوة العشاء وليس المراد اقامتها
فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل عليه السلام
كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى
في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها
متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما
عن الاخر ولذلك فصل وقت الفجر عن ساير الاوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد
المذكور بيان لمبدأ وقته ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله تعالى وقرآن
الفجر اي صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرآنا
لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز كون مدار

التهجد كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدلك الامر باقامتها على الوجوب فيها
نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر • ان قران
الفجر • اظهر في مقام الاضمار بانه لمزيد الاهتمام به • كان مشهودا • يشهده ملئكة الليل وملئكة النهار
او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير
من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالاية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات
الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر • ومن الليل • قيل هو نصب على الاغراء اى
الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغرى به حرفا ولا يجرى نفعا كون معناها التبعيض فان واو مع ليست
اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اى قم بعض الليل
• فتهجد به • اى ازل والق الهجود اى النوم فان صيغة التفعل تجئ للازالة كالتحرج والتحنث
والتأثم ونظايرها والضمير المجرور للقران من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم
من قوله تعالى من الليل اى تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد
اى تهجد بالقران بعض الليل على طريقة واياى فارهبون • نافلة لك • فريضة زايدة على الصلوات
الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تاخر ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع
تقدم وقتها على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرايض بل لكونها زيادة لكونه صلى الله
عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدى فانه عليه السلم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم
وتدارك الخلل الواقع في فرايضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد
بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبارة زايدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القران
اى حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض
اى فصل في ذلك البعض نافلة لك • عسى ان يبعثك ربك • الذى يبلغك الى كمالك اللايق بك
من بعد الموت الاكبر لما ابعثت من النوم الذى هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة
• مقاما • نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون
العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اى
يبعثك ذا مقام • محمودا • عندك وعند جميع الخلق وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى
ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذى
اشفع فيه لامتى وعن ابن عباس رضى الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف
فيه على جميع الخلايق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة رضى
الله تعالى عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا تكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك
واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت • وقل رب
ادخلنى • اى القبر • مدخل صدق • اى ادخالا مرضيا • واخرجنى • اى منه عند البعث
• مخرج صدق • اى اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون
بالاقامة المعهودة التى لا كرامة فوقها وقيل المدينة والاخراج من مكة وبغير ترتيب الوجود

والمراد ادخاله

لكون الادخال هو القصد وقيل ادخاله عليه السلم مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل
ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه
وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرى مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلنى
فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا كقوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحت
او مجلف • اى لم تدع فلم تبق • واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا • حجة تنصرنى على من خالفنى او ملكا
وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته عليه السلم بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس
الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض • وقل جاء الحق • اى الاسلام والوحى
الثابت الراسخ • وزهق الباطل • اى ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه
اذا خرج • ان الباطل • كاينا ما كان • كان زهوقا • اى شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة
باجابة الدعاء بالسلطان النصير الذى لقنه عن ابن مسعود رضى الله عنه انه عليه السلم دخل مكة يوم
الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد فيقول
جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من
صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره • وننزل من القران • وقرى ننزل من الانزال • ما هو
شفاء • لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام • ورحمة للمؤمنين • به العاملين بما في
تضاعيفه اى ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن بيانية قدمت
على المبين اعتناء فان كل القران كذلك وعن النبى صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقران فلا شفاه
الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما يستدعى الحكمة نزوله
حينئذ فيقع ذلك ممن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء
الشافى المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه
متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسمانى كما في
الفاتحة وايات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه • ولا يزيد الظالمين الا خسارا • اى لا يزيد القران كله
او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من
الاسقام الا خسارا اى هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق
بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادى الاسلام فيهم وزيادتهم في
مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالايات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك
هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة
المذكورة الى القران مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك
وفيه تعجيب من امره من حيث كونه مدارا للشفاء والهلاك • واذا انعمنا على الانسان • بالصحة والنعمة
• اعرض • عن ذكرنا فضلا عن القيام بمواجب الشكر • ونأى • تباعد عن طاعتنا • بجانبه •
النأى بالجانب ان يلوى عن الشئ عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تاكيد للاعراض او عبارة عن
الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين • واذا مسه الشر • من فقر او مرض او نازلة من النوازل
وفى اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات



والشر ليس كذلك كان يؤسا شديد اليأس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن
هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظايره فان ذلك شان بعض
آخر منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء اما على القلب كما يقال راء في رأى واما على انه
بمعنى نهض قل كل اي كل احد منكم وممن هو على خلافكم يعمل عمله على شاكلته طريقته التي تشاكل
حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذي برأكم على هذه
الطبايع المختلفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا واقوم منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة
والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر
البدن الانساني ومبدأ حيوته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو
نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة قل الروح اظهر في مقام الاضمار اظهارا
لكمال الاعتناء بشانه من امر ربي كلمة من بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمي
لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف
المضاف اليه اي هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا تكاد تحوم حولها
عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه و
سلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب قال عليه السلام بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب
شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام الاية وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه
الطاقة البشرية بل ما ينيط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل
ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان وهو من الابداعات الكائنة بمحض الامر التكويني
من غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وماله انه
من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه
تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت
ما استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس
فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد
علما ولعل اكثر الاشيا لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي يعدو عليها معرفة ذاته واما حمل ما
ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كائن بتكوينه حادث باحداثه
بالامر التكويني مع عدم ملايمته لحال السائلين لا يساعده النظم لبيان قلة علمهم فان ما سألوا عنه
مما يفي به علمهم حسبما تفاخروا عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل
جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم
التي اوتيتموها وثبتناك عليه حين كادوا ليفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا
وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر

وبانه

وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم ونذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف
مفعول المشية والمراد من الذهاب به المحو عن المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضي
الله عنه اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا
القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه
ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب
ثم لا تجد لك به اي بالقرآن علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا ومحفوظا الا رحمة
من ربك فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة
من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء
حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها ان
فضله كان عليك كبيرا كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين
لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت
الانس والجن اي اتفقوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة
في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا
من غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع
الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون
بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة وهو جواب
للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون
الشرط ماضيا كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم وحيث
كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من
كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتالبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد
الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف
على مقدر اي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه
حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان
ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة و
محله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال
المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياته
ببعض ولا مساغ لكون الاية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لو لما
قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه ونفي الشيء انما يقرر بنفي ما دونه لا بنفي ما فوقه
فان اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية ليست
مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله عليه السلم ولقد صرفنا كررنا ورددنا
على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمينان للناس في هذا القرآن
المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب
النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس اوثر الاظهار على الاضمار تاكيدا وتوضيحا الا

ثبورا · اى لا جحودا او انما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول
بالنفى كانه قيل ما قبل اكثرهم الا الكفور وفيه من المبالغة ما ليس فى ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم
لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف فى الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا فى عدم الرضا
حتى بلغوا مرتبة الاباء · وقالوا · عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلى وغيره
من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن فى العادة وجوده ولا يقتضى الحكمة وقوعه من الامور كما
هو ديدن المبهوت المحجوج · لن نؤمن لك حتى تفجر · وقرئ بالتشديد · لنا من الارض · ارض
مكة · ينبوعا · لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر · او يكون لك جنة
اى بستان تستر اشجاره ما تحتها من العرصة · من نخيل وعنب فتفجر الانهار · اى تجريها بقوة · خلالها
تفجيرا · كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها لحد سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا · جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة
وسدر وهى حال من السماء والكاف فى كما فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى اسقاطا
مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء · او تاتى بالله والملائكة قبيلا
اى مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة
لدلالتها عليها اى والملائكة قبيلا كما حذف الخبر فى قوله · فانى وقيار بها لغريب · او جماعة فيكون حالا
من الملائكة · او يكون لك بيت من زخرف · من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة · او ترقى فى السماء
اى فى معارجها فحذف المضاف يقال رقى فى السلم وفى الدرجة · ولن نؤمن لرقيك · اى لاجل رقيك
فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها · حتى تنزل · منها · علينا كتابا · فيه تصديقك · نقرؤه
نحن من غير ان تلقى من قبلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن ابى امية لن نؤمن لك
حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتاتى معك بصك منشور معه اربعة من
الملائكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج
ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الايات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما
شاهدوا من المعجزات التى تخر لها صم الجبال · قل · تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان
عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التى تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك ذلك
وتنبيها على بطلان ما قالوه · سبحان ربى · وقرئ قال سبحان ربى · هل كنت الا بشرا · لا ملكا حتى يتصور
منى الرقى فى السماء ونحوه · رسولا · مامورا من قبل ربى بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لى خيرة فى
الامر كساير الرسل وكانوا لا ياتون قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه
بشئ منها وقوله بشرا خبر كنت ورسولا صفته · وما منع الناس · اى الذين حكيت اباطيلهم · ان
يؤمنوا · مفعول ثان لمنع وقوله · اذ جاءهم الهدى · اى الوحى ظرف لمنع او يؤمنوا اى وما منعهم وقت مجئ
الوحى المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقران وبنبوتك او وما منعهم ان يؤمنوا
بذلك وقت مجئ ما ذكر · الا ان قالوا · فى محل الرفع على انه فاعل منع اى الا قولهم · ابعث الله بشرا
رسولا · منكرين ان يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم
فمنع بعضا اخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه
بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من

الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او لانه هو المانع بحسب الحال اعنى عند سماع الجواب
بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذى يتشبثون به حينئذ من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من
شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم
ملجيا الى الايمان بما يعكسون الامر ويجعلونه مانعا منه · قل · لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا
للحق المزيح للريب · لو كان · اى لو وجد واستقر · فى الارض · بدل البشر · ملائكة يمشون مطمئنين
قارين فيها من غير ان يعرجوا فى السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم · لنزلنا عليهم ملكا رسولا · يهديهم الى
الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقى منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة
الملكية كيف لا وهى منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها مبنى التكوين
والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتعلقين بكلا العالمين الروحانى والجسمانى ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكا يحتمل
ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا فى قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا والاول
اولى · قل · لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما يقتضيه الحكمة فى البعثة
ولم يرفعوا اليه راسا · كفى بالله · وحده · شهيدا · على انى اديت ما على من مواجب الرسالة اكمل اداء
وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه السلام رسولا باظهار المعجزة على
وفق دعواه كما اخير لا يساعده قوله تعالى · بينى وبينكم · وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا
للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز · انه كان بعباده · من الرسل والمرسل اليهم
خبيرا بصيرا · محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار · ومن يهد الله · كلام مبتدا يفصل ما اشار اليه الكلام السابق من
مجازاة العباد اشارة اجمالية اى من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى · فهو المهتد
اليه والى ما يؤدى اليه من الثواب او المهتدى الى كل مطلوب · ومن يضلل · اى يخلق فيه الضلال
بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين · فلن تجد لهم · اوثر ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من كما اوثر فى مقابله الافراد
نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال · اولياء
من دونه · من دون الله تعالى اى انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم
الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذى تستدعيه ضلالتهم على معنى لن تجد لاحد
منهم وليا على ما يقتضيه مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الاحاد الى الاحاد · ونحشرهم
التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر · يوم القيمة على وجوههم · حال من الضمير
المنصوب اى كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم او مشيا فقد روى
انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم
قادر على ان يمشيهم على وجوههم · عميا · حال من الضمير المجرور فى الحال السابقة · وبكما وصما · لا
يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا فى الدنيا
لا يستبصرون بالايات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب
من الموقف الى النار مؤفى القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان
ادراكاتهم بهذه المشاعر فى بعض المواطن مما لا ريب فيه · ماويهم جهنم · اما حال او استيناف

وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم
ما تتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك
عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما
يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا باياتنا
العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدا وجزاؤهم خبره والجملة خبر
لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار
ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر موكد من غير لفظه اي لمبعوثون
بعثا جديدا واما حال اي مخلوقين مستانفين اولم يروا اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي
خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان المثل مقحم
والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف
على اولم يروا فانه في قوة قد راوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق
امثالهم من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فابى الظالمون وضع موضع
الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اي جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات
سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم بخلتم خشية الانفاق
مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض
يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه وكان الانسان قتورا مبالغا في البخل لان مبنى
امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد و
القمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على
بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلث لم يكن حينئذ وان الاولين
لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سال النبي صلى الله
عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا به شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا
تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من
الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله عليه السلم ولا يساعد
ايضا ما ذكر ولعل جوابه عليه السلم بذلك لما انه المهم للسائل وقبوله لما انه كان في التورية مسطورا وقد
علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحي فاسال بني اسرائيل وقرئ فسل اي
فقلنا له سلهم من فرعون وقل ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم
ان يعاضدوك وتؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي فاسالهم عن تلك الايات لتزداد يقينا وطمانينة او ليظهر صدقك اذ جاءهم
متعلق بقلنا او بسال على القراءة المذكورة او باتينا او بمضمر هو يخبروك او اذكر على تقدير كون الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما اتيناه من الايات
البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فخبط عقلك

قال

قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الايات التي اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما
ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما للايذان بانه لا يقدر على ايتاء مثلها تلك الايات العظام
الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الايات اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند
وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم من ضرورة ذلك العلم العلم بانه عليه السلم على كمال رصانة
العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم اي لقد علمت يقين ان هذه الايات
الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم ان يحوم حولي سحر واني لاظنك يا فرعون مثبورا
مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك على هذا اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع
ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلم يحام اليقين
فاراد اي فرعون ان يستفزهم اي يستخفهم ويزعجهم من الارض ارض مصر او
من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا
فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقهم لبني
اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة الاخرة
او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة اي قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم
ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه و
بالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي
اشتمل عليه وما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين
ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اولا واخرا وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب
ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عليه السلم اثر تحقيق حقية انزال القران
وقرانا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه
لتقراه على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات
قل للذين كفروا امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه
نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اي العلماء الذين قرؤا الكتب السالفة من قبل تنزيله
وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
او راوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اي القران عليهم يخرون للاذقان
اي يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد به في تلك
الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور
عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم
وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى امنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اي ان لم تؤمنوا
به فقد امن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم
واعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن
خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اي ان الشان

هذا ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله
تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله
ويزيدهم اي القران بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد
الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التوراة
والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان عن ذات واحد وان اختلف الاعتبار
والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء
الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو
يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه او للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف
اليه وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل
الكلام ايا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل
عليه اذ حسن جميع اسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات
الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلوتك اي بقراءة صلوتك بحيث تسمع المشركين
فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها اي بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك
من المومنين وابتغ بين ذلك اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا قصدا
فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه
المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي
وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما
نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر
بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل
بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح
ابن الله والملئكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك في الملك اي الالوهية
كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الالهة ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع لاعتزازه به
او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها به وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق
للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك تم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة
انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا
وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في الطاعة والتحميد ينبغي ان يعترف
بالقصور في ذلك يروى انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار
الف اوقيه ومايتان اوقيه الحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت





الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف
بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب وهو عبارة عن جميع القران او عن
الجميع المنزل حينئذ كما مر مرارا وفي وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد و
ايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله
عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه السلام الى اعلى معارج العبادة وتشريف
له اي تشريف واشعار بان شان الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى
عليه السلام وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى و
لم يجعل له عوجا اي شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق
وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان
فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال
المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل الفتح
في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح
الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد
وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا في الاستقامة
فيكون تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة حسبما ينبئ عنه
الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه من شانه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على
الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من
الكتاب اذ لا فصل بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل و
الفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق
له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر بما
فيه الذين كفروا باسا اي عذابا شديدا من لدنه اي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة
كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر
الهاء للاتباع ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف المومنين اي المصدقين به الذين
يعملون الصالحات الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال في الصلة
للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول
الاعمال هو الايمان ان لهم اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا هو الجنة
وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه اي في ذلك الاجر
ابدا من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار
كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي
الباس الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر
الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملئكة

بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصوف
على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه
وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل الحذف
فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم
الانذار هناك للمؤمنين وايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر
به على المنذر كما في قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا يفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة
على حلول البأس الشديد من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال الثلثة ضمير الكتاب
او ضمير الرسول عليه السلام ما لهم به اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع على
الابتداء او الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفي والجملة حالية او مستانفة لبيان
حالهم في مقالهم اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه
بل لاستحالته في نفسه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة
او ما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام خطا بل انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله
تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الآيات وهو الانسب بقوله تع
كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يكاد
يليق بكبرياء جنابه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او
ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره
كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع
تخرج من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج
اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها ان يقولون ما يقولون
في ذلك الشأن الا كذبا الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضميران
لهم ولآبائهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن
وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تاسفا
على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له عليه السلام على الحذر والاشفاق
من ذلك فلعلك باخع اي مهلك نفسك على آثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط
محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بحمله على حكاية
حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اي لفرط
الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متاسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة
التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد
مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استئناف وتعليل
لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها مما يعد من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا
كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان لجعل

ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف
هو صفة لها اي كائنة لها اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان
الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما العذاب الاخروي من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت
الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة
الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم
داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا
اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فنجازيهم بالثواب و
العقاب حسبما تبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز
مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في
مطالع سورة هود واي ما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة في النصب معلقة
لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق
التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لها
وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان يكون
الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد
الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر
شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها
وصرفها على ما ينبغي والتامل في شانها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن
له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب
الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والاحسن
فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله
تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سياتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات
قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه صعيدا
مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج هو
الطريق الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته
الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء وهي مجروزة اي ذهب نباتها
بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاء والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من
التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض
من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون
لهم بحسب اعمالهم ام حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد حسبان امته وام
منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور
وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحيوة مدة
طويلة من الدهر من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها لحكمة
المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كان لم تغن بالامس عجبا اي آية ذات عجب وضعا للمصدر موضع

المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن اياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة
للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الايات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي
عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا
الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم
وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل
الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين عضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الكهف والرقيم اخرون
وكانوا ثلاثة اطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين اذ اوى
ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجأ الفتية اي اصحاب الكهف واوثر الاظهار
على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم
دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف
فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف جعلوه ماوى فقالوا
ربنا اتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية
متعلقة باتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت
صفة له اي اتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء
وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث
هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا رشدا اصابة للطريق الموصل الى المطلوب
واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح
لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من
احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه
بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه باتنا وتقديم لنا على من
امرنا للايذان من اول الامر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية
مثلها في قولك رايت منك اسدا فضربنا على اذانهم اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه
الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الاذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الاذان
بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عن النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي
الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الاذان كناية عن
الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من التصرف
مع عدم ملاءمته لما سياتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله
عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات
اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب
العادية استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار
بقائه لا ابتدائه عددا اي ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى
المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل
وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الايات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم

يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم
بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل
العلم مجازا من الاظهار والتمييز او بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق
به الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين
امنوا ونظائرهما التي يتحقق فيها من العلم تحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب
الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان
والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه
تفرقهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز وينتظم شيء من ذلك في سلك
الغاية وانما الذي ترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس
في شيء منهما من الاحصاء في شيء بل بحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار
مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر عن المختبر
قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فات بها من المغرب وهو
المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة
لبثهم بالتقدير والتفويض كما سياتي احصى اي اضبط لما لبثوا اي للبثهم امدا اي غاية فيظهر
لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم
واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني
زمانهم واية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر
عنه عز وجل وفيما سياتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل
بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الخ حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا على
احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ
ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور ويصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن
الاختبار فاختبر واختر هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول
الاول محذوف والجملة المصدرة باي في موضع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم عرفانا وفي موضع
المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الخ وروى عطاء عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والاخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما
من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم
ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه
نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى
احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها
من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين
ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث
عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون
امدا لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة

العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو ان انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك
الحيثية لا يخفى على احد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار كمية المنفصلة العارضة له بسبب عروضها
لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق
في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة
الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعني
السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني
فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية
ويجوز ان يكون موصولة حذف عايدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل
بسنين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما تحققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول
وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في ساير الايات
الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا
يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتاخر عنه وليس
كذلك وادعاء ان بناء افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياس
مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذلك القبيل
وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فمانع
ان يمنعه لصحة ان يقال ايهم احفظ لهذا الشعر وزنا او تقطيعا او يقال ان العامل في امدا فعل
محذوف يدل عليه المذكور اي يحصي لما لبثوا امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا
وحديث الوقوع في المحذور بلا فايدة مدفوع لما اشير اليه من فايدة المواخاة للنظاير فمع ما فيه
من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل
الحزبين وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا
وان المقصود اظهار عجز الكل عنه راسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم انذانه بان غاية البعث هو العلم
بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص
عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الخ اي نحن نخبرك بتفاصيل
اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في سورة يوسف عليه السلم نباهم النبا الخبر الذي له شان
وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نباهم او صفة له على راي
من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به
او نقص نباهم ملتبسا به او نباهم الملتبس به ونباهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد
مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت و
كان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيهم غلوا شديدا فجاس خلال الديار
والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلم وكان يتتبع
الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع
ومن اثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع اراببه وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما راى الفتية
ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا متضرعين الى الله عز وجل واشتغلوا

بالصلوة

بالصلوة والدعا فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم
بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملاء السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من
دونه احدا ولن نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر بنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم
من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شانه وامهلهم الى رجوعه ليتاملوا في امرهم فان تبعوه و
الا فعل بهم ما فعل بساير المسلمين فازمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ
كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون
فيه اناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجوار وفوضوا امر نفقتهم الى مليخا
فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتحسس
ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر اباءهم
فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما راى مليخا
ما راى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا
الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذ
ضرب الله على اذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدهم
قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو
قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن
كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شانهم ما قص الله عز وجل منهم انهم فتية استيناف تحقيقي
مبني على تقدير السوال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي امنوا بربهم
اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما
سيحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات
محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم وربطنا
على قلوبهم اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا
على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد
بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال
اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك فقاموا
جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضي بمقتضاها فان
ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما اي اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار
من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فح يكون ما سيأتي من قوله تعالى هؤلاء الخ
منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو لن نعبد ابدا من دونه الها
معبودا اخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث
كانوا يسمون اصنامهم الهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته
تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اي قولا ذا شطط
اي متجاوزا عن الحد وقولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف
مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف

وهم

بالوهية المعبود والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه الها والله لقد
قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم هؤلاء هو مبتدأ وفي اسم الاشارة تحقير لهم قومنا
عطف بيان له اتخذوا من دونه الهة خبره وفيه معنى الانكار لولا ياتون تخصيص فيه معنى الانكار
والتعجيز اي هلا ياتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها الهة بسلطان بين بحجة
ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة
الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار
الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود واذ اعتزلتموهم اي فارقتموهم
في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة
او مصدرية اي اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين
فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان
ويجوز كونها نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فأووا
اي التجئوا الى الكهف قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على
جوابه اي اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا
ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك امركم من رحمته
في الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم الذي انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا
ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين
لما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس
بيان لحالهم بعدما اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب
الامر لكونه صادرا عن راي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف
وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عليه السلم او لكل احد
ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو
رايته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اي تتزاور وتتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام
التاء في الزاء وتزور كتحمر وتزاور كتحمار وتزوير وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذي اووا
اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره
اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت اي تراها عند
غروبها تقرضهم اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اي ذات شمال
الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة
لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون امرهم بديعا اي تراها تميل عنهم
يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم
يد التقدير ذلك اي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب
مع كونهم في موقع شعاعها من ايات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد
وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف
شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان

جهة تم

ومغربه والشمس اذا كان مدارها مدار تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب
وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم
فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور
على كهفهم والقرض على انفسهم من ذلك اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا شانه واما جعله اشارة الى حفظ
الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه لرسول الله عليه السلم على
اخبارهم فلا يلائمه ايراده في تضاعيف القصة من يهد الله الى الحق بالتوفيق له فهو المهتد
الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقق
ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق او التنبيه على ان امثال هذه الاية كثيرة ولكن المنتفع بها من
وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه فلن
تجد له ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء وليا ناصرا مرشدا يهديه الى ما ذكر من
الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه وتحسبهم بفتح السين
وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه كما في سبق ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان
ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى و
نقلبهم وهم رقود اي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب
على اذانهم ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية اي جهة تلي ايمانهم
وذات الشمال اي جهة تلي شمائلهم كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم قال ابن عباس رضي
الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم
عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا
بمضمر ينبئ عنه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا
فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب
راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه
او غنمه واختلف في لونه فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير
وقيل ريان وقيل يقود وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب
الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط
ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من
البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى راس الاصبع الوسطى بالوصيد اي بموضع
الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف
على الشئ بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت منهم وهو
اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر
بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال وادبار واما على انه
مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ بضم العين اي خوفا يملأ الصدر ويرعبه وهو اما مفعول
ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذي
يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يبعد من قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله

ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل
تاخير هذا من ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود
لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو
المعتاد وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس
رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الاية فقال
معوية رضي الله عنه لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا
الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع
التخفيف والتشديد • وكذلك بعثناهم • اي كما انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل اية
دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم • ليتساءلوا بينهم • اي ليسال بعضهم بعضا فيترتب عليه ما
فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة
عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لساير اثاره • قال • استيناف لبيان تساؤلهم • قائل منهم هو
رئيسهم واسمه مكسلمينا • كم لبثتم • في منامكم لعله قاله لما راى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد
في الجملة • قالوا • اي بعضهم • لبثنا يوما او بعض يوم • قيل انما قالوه لما انهم دخلوا الكهف غدوة و
كان انتباههم اخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما راوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان
ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب • قالوا • اي بعض اخر منهم بما سنح لهم من الادلة
او بالهام من الله سبحانه • ربكم اعلم بما لبثتم • اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه و
هذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين
فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستيناف
في الحكاية والخطاب في المحكي يقضي بان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا قيل ثم قالوا ربنا
اعلم بما لبثنا • فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة • قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا
على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها
باسم الاشارة يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون
الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى • فلينظر ايها • اي اي
اهلها • ازكى • احل واطيب او اكثر وارخص • طعاما فلياتكم برزق منه • اي من ذلك الازكى
طعاما • وليتلطف • وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف • ولا يشعرن
بكم احدا • من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي
على الاول تاسيس وعلى الثاني تاكيد للامر بالتلطف • انهم • تعليل لما سبق من الامر والنهي
اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم • ان يظهروا عليكم • اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير
للاهل المقدر في ايها • يرجموكم • ان ثبتم على ما انتم عليه • او يعيدوكم في ملتهم • اي يصيروكم
اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا
على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم
احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير
الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على

على الاهتمام

على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشان نفسه اكثر واوفر • و
لن تفلحوا اذا • اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير • ابدا • في الدنيا ولا في الاخرة
وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى • وكذلك • اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم
في مراتب اليقين • اعثرنا • اي اطلعنا الناس • عليهم • ليعلموا • اي الذين اعثرناهم عليهم بما
عاينوا من احوالهم العجيبة • ان وعد الله • اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث او موعوده
الذي هو البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا
اوليا • حق • صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث
• وان الساعة • اي القيمة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلايق جميعا للحساب والجزاء • لا ريب
فيها • لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة واكثر
حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه
يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم • اذ يتنازعون •
ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على
ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون • بينهم امرهم •
ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له
وجاحد به وقايل يقول ببعث الارواح دون الاجساد واخر يقول ببعثهما معا كما قيل كان ملك المدينة
ح رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق
بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم
هدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم
من التقاول ما جرى • روي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على
ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان
اباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من
مسلم وكافر فابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس
والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فراهم
في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال
لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه
امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس
من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز
وجل • فقالوا • فصيحة اي اعثرناهم عليهم فراوا ما راوا فماتوا فقالوا اي قال بعضهم • ابنوا عليهم •
اي على باب كهفهم • بنيانا • لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى • ربهم
اعلم بهم • من كلام المتنازعين كانهم لما راوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب
ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من
كلام الله سبحانه ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند
وفاتهم او شانهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فالذين غلبوا

بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى
قالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد
كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر
بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه
لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو موخر في الوقوع سيقولون الضمير في الافعال الثلثة للخائضين
في قصتهم في عهد النبي عليه السلم من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى
بعضهم ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل
قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلث بادغام الثاء في التاء و
يقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب
رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية
من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف
مستانف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفا بعطفه
على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي
وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة
لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي كما قيل قل تحقيقا للحق وردا على الاولين ربي اعلم
اي اقوى علما بعدتهم ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم
الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنهما
حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله تعالى عنه انا من ذلك القليل ولو
كان في ذلك وحي آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم
بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هولاء
اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير
هولاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم كفشيططيوش
فلا تمار الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم
في شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه
الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق
ولا تستفت فيهم في شانهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة
عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضماير الثلثة في الافعال الثلثة
لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المومنين الى صحة القول الثالث وفيه تمحيص عما في الاول
من التكلف في جعل احد الاقوال المحكية المنظومة في سمط واحد ناشيا عن الحكاية مع كون الاخرين
بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في لا تمار والمعنى ح واذ قد وقفت على ان كلهم ليسوا
على خطاء في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان منهم
مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء
على اصابة بعضهم فالمعنى لا تراجع اليهم في شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره

عنهم

عنهم بل من حيث التلقي من الوحي ولا تقولن لشئ اي لاجل شئ تعزم عليه اني فاعل ذلك الشئ
غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش
سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه عليه السلم فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن
فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعده ذلك
مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فان وسعة المجال دليل القدرة
فليتامل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال
الا حال ملابسته بمشيته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت من الاوقات
الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيه اذن فان النسيان ايضا بمشيته تعالى ولا يصلح
لتعليقه فيحل للعدم سدادا استثناء امر ان المشيه بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها للنهي
وقيل الاستثناء جار مجرى التابيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اذا فرط منك نسيان ثم
ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة
الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي
هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان
يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه
او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكر اذا اعتراك النسيان
ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي اي
يوفقني لاقرب من هذا اي لشئ اقرب واظهر من نبا اصحاب الكهف من الايات والدلائل
الدالة على نبوتي رشدا اي ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك حيث اتاه
من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة
في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم
احياء مضروبا على اذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وهي جملة مستانفة مبينة لما اجمل
فيما سلف واشير الى عزة منا له وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما
اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروي عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال عند اهل
الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة
سنة ثلث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ
على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد
وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا اي بالزمان الذي لبثوا فيه له غيب
السموات والارض اي ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمي دون
التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع دل بصيغة التعجب على ان شان علمه سبحانه بالمبصرات
والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شئ ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة
اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية
والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز

الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير
المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم
امر ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض
من دونه تعالى من ولي يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه او
في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال
من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل احد ولما دل انتظام القران
الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات
على انه وحي معجز امره عليه السلم بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك
ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديله وتغيير
غيره ولن تجد ابد الدهر وان بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند المام ملمة
واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي دائبين
على الدعاء في جميع الاوقات وفي طرفي النهار وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهي علم في
الاغلب على تاويل التنكير والمراد بهم فقراء المومنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل
اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم نح هولاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلم
انومن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من
الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في
يدعون اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا يجاوزهم نظرك الى
غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو ولا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم
من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا
تعد عينك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا
الى زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب
الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها ومن ضمير
تريد للعينين واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوفة زل بها العينان
تنهل ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخيرتين ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك
من اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك
اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اي لم يسمه بالذكر عن ذكرنا كاولئك
الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المومنون
من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب
الله سبحانه وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد
وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة من
اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب
نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة

عن ذكره سبحانه تودي الى اتباع الهوى المودي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم
بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم
الحق من ربكم اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى
يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر اما من
تمام القول المامور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كما في قوله
تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
اي عقيب تحقق ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من ربكم من شاء ان يومن به فليومن
كساير المومنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار
الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة
الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المامور به والمعنى قل لهم ذلك
وبعد ذلك من شاء ان يومن به او ان يصدقك فيه فليومن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه
فليفعل وقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد وتاكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر
او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه
من دواعي الاملاء والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل الامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي
قل لهم ذلك للظالمين اي هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين
للتنبيه على ان مشية الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع الشيء في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة
احاط بهم اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها
شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي
الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه
لحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب
ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك
في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان
المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مالي الفريقين اي
ان الذين امنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع
اجر من احسن عملا او مستغنى عنه خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف
اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من
احسن عملا في الحقيقة هو الذي امن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة
لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار استيناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض
او هو خبر بعد خبر يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور
والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت الخضرة بثيابهم
لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي مما رق من الديباج وما غلظ
جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك

على البتر على ما هو شان المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اى الارائك مرتفقا اى متكا
واضرب لهم اى الفريقين الكافر والمومن مثلا رجلين مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج
الى التفصيل والبيان اى اضرب للكافرين والمومنين مثلا من حيث احوالهما المستفاده مما ذكر انفا من ان
للاولين في الاخره كذا وللاخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الاخرين
مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرايل او شريكان كافر
اسمه قطروس ومومن اسمه يهوذا اقتسما ثمانيه الاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا
وصرف المومن نصيبه الى وجوه المبار فال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم
كافر هو الاسود بن عبد الاشد ومسلم هو ابو سلمه عبد الله بن عبد الاشد زوج ام سلمه رحمه الله اولا
جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم متنوعه والجمله بتمامها بيان
للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اى جعلنا النخل محيطة بهما مونزرا بها كرومهما يقال حفه
القوم اذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيد الباء مفعولا اخر كقولك غشيته به
وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العماره
على الهيئة الرايقه والوضع الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ
بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه لم تنقص من اكلها شيئا كما يعهد ذلك
في ساير البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في اخر وكذا بعض الاشجار ياتي بالثمر في بعض الاعوام
دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد
بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تاخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على
العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقره
ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع
على السقي عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره
قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد
هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المومن وهو اى القايل يحاوره اى
صاحبه المومن وان جاز العكس اى يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا
حشما واعوانا او اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت احوالها
وعددها وصفاتها وهياتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احداهما
بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحده وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال
استيناف مبني على سوال نشا من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل
قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة اى تفنى ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته
ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن الاغترار بهما وامره
بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قايمة كاينة فيما سياتي ولئن رددت
بالبعث عند قيامها كما تقول الى ربي لاجدن يومئذ خيرا منها اى من هذه الجنة وقرئ منهما
اى من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجره اعتقاده انه تعالى انما اولاه

ماولاه

ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج قال له صاحبه
استيناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فايدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى
بشانه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة قايمة بالذي خلقك اى في ضمن خلق
اصلك من تراب فان خلق ادم عليه السلم منه متضمن لخلقه منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له
حظ من خلقه عليه السلم اذ لم تكن فطرته الشريفه مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة
ساير افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلم من التراب خلقا
للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي منه يحصل النطفة فتدبر
ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدا متعدد ثم سواك رجلا اى عدلك
وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعليه ما في حيز الصلة لانكار
الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قايل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث
فانا خلقناكم من تراب الخ لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت
النونان فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدا خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا والعايد منها
اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه
بالهاء ولكن بطرح انا ولكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال
انت كافر لكني مومن موحد ولا اشرك بربي احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك
ولولا اذ دخلت جنتك قلت اى هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه
للايذان بتحتم القول في ان الدخول من غير ريث لا للقصر ما شاء الله اى الامر ما شاء الله او
ما شاء الله كاين على انها موصولة مرفوعة المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطيه منصوبة
والجواب محذوف والمراد تخصيصه على الاعتراف بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها
وان شاء افناها لا قوة الا بالله اى هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها
وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيا فاعجبه
فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا اما موكد لياء
المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤيه ان جعلت علميه واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصريه
فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدا والخبر او ما اصله المبتدا
والخبر وقرئ اقل بالرفع خبر لانا والجملة مفعول ثان للرؤيه او حال وفي قوله تعالى وولدا انصر
لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى ان ترن
افقر منك فانا اتوقع من صنع الله سبحانه ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني
جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر
بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اى مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بخرابها وقيل
عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهو الصواعق ومسلك
النظم الكريم فيما سياتي للاولين اكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر اريد به المفعول مبالغة
اى ارضا ملساء يزلق عليها لاستيصال ما عليها من البناء والشجر والنبات او يصبح عطف على
قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اى غايرا في الارض اطلق عليه المصدر

مبالغة فلن يستطيع ابدا له اى للماء الغاير طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره اهلك
امواله المعهوده من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض
ما توقع من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما فى المعطوف عليه
بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق
فيها اى فى عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون
على الافعال الاختياريه ولان ما انفق فى عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه
الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا ينالها ايدى الردى ولذلك قال ما
اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من
انفاق ما يمكن ادخاره فى مثل هذا الشى السريع الزوال وهى اى الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية
ساقطة على عروشها اى دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر
دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك
الباقى لانها حيث هلكت وهى مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق
فى عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب
او حال من ضميره اى وهو يقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتى
من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك
وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع
الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما فى قوله عز وعلا يرونهم
مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان فى نفسه منتصرا ممتنعا بقوته
عن انتقامه سبحانه هنالك فى ذلك المقام وفى تلك الحال الولاية لله الحق اى النصرة له
وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المومنين على الكفرة كما نصر بما فعل
بالكافر اخاه المومن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اى لاوليائه وقرئ الولاية بكسر
الواو ومعناها الملك والسلطان اى هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد
غيره كقوله تعالى واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتنى لم اشرك
الخ كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
وقيل هنالك اشارة الى الاخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على انه
صفة للولاية ونصبه على انه مصدر موكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اى واذكر لهم ما يشبهها فى زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها
لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الاخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التى
هى فى الغرابة كالمثل كماء استيناف لبيان المثل اى هى كماء انزلناه من السماء ويجوز كونه
مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به اشتبك بسببه نبات الارض فالتف
وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء فى النبات حتى روى ورف فمقتضى الظاهر
ح فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة فى الكثرة فان كلا من المختلطين
موصوف بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجته ونضارته هشيما مهشوما

مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء
بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح
كان لم يغن بالامس وكان الله على كل شىء من الاشياء التى من جملتها الانشاء والافناء مقتدرا
قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحيوة
الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل وتقديم المال
على البنين مع كونهم اعز منه كما فى الاية المحكية انفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك
من الايات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد
والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الاباء والبنين فى كل وقت وحين واما البنون فزينتهم
وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء
النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم فى الوجود ولانه زينة بدونهم من
غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو فى ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انه مسندة الى الاثنين
لما انها مصدر فى الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانهما نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون
به من المال والبنين شىء يتزين به فى الحيوة الدنيا وقد علم شانها فى سرعة الزوال وقرب الاضمحلال
فكيف بما هو من اوصافها التى شانها ان تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هى اعمال
الخير وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما
اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المومنين الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشى يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها بعد فناء كل ما
تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا خير اى مما نعت شانه من المال والبنين واخراج بقاء تلك
الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودى الافادة
لا سيما فى مقابلة اثبات الفناء لما يقابلهما من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد
وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا
وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذى يحتاج الى التعرض له خيريتها عند ربك اى
فى الاخرة وهو بيان لما يظهر فيه اثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا لا لافضليتها
من المال والبنين مع مشاركة الكل فى الاصل اذ لا مشاركة لهما فى الخيرية فى الاخرة ثوابا
عائدة تعود الى صاحبها وخير املا حيث ينال بها صاحبها فى الاخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا
واما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتى
الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اى اذكر حين نقلعها من اماكنها
ونسيرها فى الجو على هيآتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب
او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهى
وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك يوم اى الباقيات الصالحات خير عند الله و
يوم القيمة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء
عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير وترى الارض اى جميع جوانبها والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول بارزة

اما بروزه ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالان اضحى
قاعا صفصفا لا ترى فيه عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة
الماضى بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذى ينكره المنكرون وعليه يدور امر
الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز
ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر اى لم نترك منهم احدا يقال
غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذى هو ترك الوفاء والغدير الذى هو ما يتركه السيل فى الارض
الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما فى قوله تعالى والقت ما فيها و
تخلت وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليامر فيهم بما يامر
وفى الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره
عليه السلام من تربية المهابة والجرى على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى
صفا اى غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد فى الحديث
الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين فى صعيد واحد صفوفا لقد جئتمونا على اضمار القول
على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اى مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا فى يوم نسير
كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون
ساير القوارع مع انه خاص المتعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض كما
خلقناكم نعت لمصدر مقدر اى مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا اياكم اول مرة او حال من ضمير
جئتمونا اى كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شئ مما تفتخرون به من الاموال
والانصار لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم
بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اى
زعمتم فى الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا نجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل
بحرف النفى بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى
التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع ووضع الكتاب عطف على عرضوا
داخل تحت الامور الهائلة التى اريد بذكرها تذكير وقتها واورد فيه ما اورد فى امثاله من صيغة الماضى
دلالة على التقرر [illegible] والمراد بوضعه اما
وضعها فى ايدى اصحابها يمينا وشمالا واما فى الميزان فترى المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون
للبعث دخولا اوليا مشفقين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند
وقوفهم على ما فى تضاعيفه نقيرا او قطميرا يا ويلتنا منادين لهلكتهم التى هلكوها من بين المهالك
مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه اى يا ويلتنا احضرى فهذا اوان حضورك مال هذا
الكتاب اى اى شئ له وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اى حواها وضبطها
جملة حالية محققة لما فى الجملة الاستفهامية من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب
كانه قيل ما شانه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا
فى الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك احدا فيكتب ما لم
يعمل من السيئات او يزيد فى عقابه المستحق فيكون اظهار المعدلة القلم الازلى واذ قلنا للملئكة اى

اذكروا

اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لادم سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله فسجدوا جميعا امتثالا
بالامر الا ابليس فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستانف سيق
مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا ففسق
عن امر ربه اى خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه
لما ابى والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية للمبالغة فى تقبيح ما فعله والمراد بذكر قصته تشديد
النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام فى سلك فقراء المؤمنين
ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم فى ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى افتتخذونه
الخ فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اى اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه
وذريته اى اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو ادم وقيل يدخل
ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين اولياء من دونى فتستبدلونهم
بى فتطيعونهم بدل طاعتى وهم اى والحال ان ابليس وذريته لكم عدو اى اعداء كما فى قوله تعالى
فانهم عدو لى الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما افرد لذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول
والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتاكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ
ومناف له قطعا بئس للظالمين اى الواضعين للشئ فى غير موضعه بدلا من الله سبحانه ابليس
وذريته وفى الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط و
الاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم
للاتخاذ المذكور فى انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسق والعداوة اى
ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم ولا خلق
انفسهم اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه
الجمهور حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثانى
الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على عود المعنى اليه فان نفى اشهاد الشياطين خلق الذين تولوهم
هو الذى يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصحح التولى حضور الولى خلق المتولى
وحيث لا حضور لا مصحح للتولى قطعا واما نفى اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس
فى مدارسة الانكار المذكور فى شئ على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولى الشاهد
بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا فى خلق المشهود فى الجملة فهو مخل بتولى المشهود بناء على
قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفى الاشهاد المذكور متمحضا فى نفى الكمال المصحح للتولى عن الكل
وهو المناط للانكار المذكور وما كنت متخذ المضلين اى متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم
وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء عضدا اعوانا فى شان الخلق
او فى شان من شؤونى حتى يتوهم شركتهم فى التولى بناء على الشركة فى بعض احكام الربوبية وفيه
تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلى الذى
لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفى الاشهاد على نفى شهودهم
ونفى اتخاذهم اعوانا على نفى كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون
لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار

والاتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شانهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكن ذلك ليكون
وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم
بفضائل لا يحوبها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم
طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح خطابا للرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ وقرئ
متخذ المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين
بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كرصد وراصد ويوم يقول اي الله عز وجل للكافرين توبيخا
وتعجيزا وقرئ بنون العظمة نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم
كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته فدعوهم اي نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال
اعتنائهم بجانبهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم
فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفي ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث
لا يفهمونه الا بالتصريح به وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا اسم مكان او
مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اي مهلكا يشتركون فيه
وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك
تلفا وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الاخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء
الملئكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا
يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار
وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اي فايقنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ راوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها
مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا اي كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من
النظم في هذا القران للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملته ما مر من مثل الرجلين
ومثل الحيوة الدنيا او من نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن
واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شيء
جدلا اي اكثر الاشياء التي يتاتى منه الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل
الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى
ان جدله اكثر من جدل كل مجادل وما منع الناس اي اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا
من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى اي القران العظيم الهادي
الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب
التي من جملتها مجادلتهم الحق بالباطل الا ان تاتيهم سنة الاولين اي الا طلب اتيان سنتهم
او الا انتظار اتيانها او الا تقدير فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال
او ياتيهم العذاب اي عذاب الاخرة قبلا اي انواعا جمع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر
القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اي مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه
على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القران الكريم من الامور المستوجبة للايمان

بحيث

بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما
نرسل المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب
ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور
المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اي بالجدال الحق اي ليزيلوه
عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا
ولو شاء الله لانزل ملئكة ونحوهما واتخذوا اياتي التي تخر لها صم الجبال وما انذروا اي انذروه
من القوارع الناعية بالحساب والعذاب وانذرهم هزوا استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو
ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه وهو القران العظيم فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم
يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا
ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القران
للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه اي عمله من الكفر
والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها انا
جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا على كنهه او مفعول له اي
كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم اي جعلنا فيها وقرا اي ثقلا يمنعهم من استماعه وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف و
اذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه الصلوة والسلام المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم
كانه قال عليه السلم مالي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع
الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة المقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدا و
قوله تعالى الغفور خبر وقوله تعالى ذو الرحمة اي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة
على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو
سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود
الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه اهم بحسب الحال اذ المقام
مقام بيان تاخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم
اي لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل
واعراضهم عن ايات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب
اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما
للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار
صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار
عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في
موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل
لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجا او ملجا يقال وال اي
نجا ووال اليه اي لجا اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابها وهي مبتدأ على

تقدير المضاف اى واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا
اى وقت ظلمهم كما ظلمت قريش بما حكى عنهم من القبائح وترك المفعول اما للتعميم الظلم او لتنزيله منزلة
اللازم اى لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت
المعين الذى عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى اخره وجعلنا لمهلكهم اى عينا لهلاكهم
موعدا اى وقتا معينا لا يحيدون عنه عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد
ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتاخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اى اهلاكهم وبفتحهما واذ
قال موسى نصب باضمار فعل اى اذكر وقت قوله عليه السلم لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرائيم
ابن يوسف عليه السلم سمى فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان
شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما فى القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها
من ساير المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اى لا ازال اسير فحذف الخبر
اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله حتى ابلغ
فان ذلك غاية تستدعى ذا غاية يؤدى اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح سيرى حتى ابلغ
حتى ابلغ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا
والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اى لا افارق ما انا بصدده
حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر
والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضى حقبا اسير زمانا طويلا
اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عليه السلم
لما ظهر على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة
فقام فيهم خطيبا فخطب خطبة بديعة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس فقال
انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين
وهو الخضر عليه السلم وكان فى ايام افريدون قبل موسى عليه السلم وكان على مقدمة ذى القرنين
الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلم سال ربه اى عبادك احب اليك قال الذى
يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال
الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان
فى عبادك من هو اعلم منى فدلنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة
قال يا رب كيف لى به قال تاخذ حوتا فى مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله فى مكتل فقال
لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فلما بلغا الفاء فصيحة كما اشير اليه مجمع بينهما
اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذى جعل فقدانه
امارة وجدان المطلوب اى نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسى يوشع ان يقدمه وموسى عليهما
السلام ان يامره فيه بشئ روى انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحيوة التى لا يصيب
ماؤها ميتا الا حيى وضع راسيهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد
كانا اكلا منه وكان ذلك بعدما استيقظ يوشع عليه وقيل توضا عليه السلام من تلك العين
فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع فى الماء فاتخذ سبيله فى البحر سربا مسلكا كالسرب وهو

النفق

النفق وقيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما السلم
وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما
جاوزا اى مجمع البحرين الذى جعل موعدا للملاقات قيل ارتحلا وسارا الليلة والغد الى الظهر والقى
موسى عليه السلم الجوع فعند ذلك قال لفتاه اتنا غداءنا اى ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ
عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا
واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة فى محل التعليل للامر بايتاء الغداء اما باعتبار ان
النصب انما يعترى بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما فى اثناء التغدى من استراحة
ما قال اى فتاه عليهما السلام ارايت اذ اوينا الى الصخرة اى التجانا اليها واقمنا عندها وذكر
الايواء اليها مع ان المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل
متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الايواء اليها والنوم
عندها مما يؤدى الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده
بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم
التى لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس
يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارايت ما نابنى يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه
وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخبار عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه
من قوله عز وجل فانى نسيت الحوت وفيه تاكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسى وايقاع
النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المامور باتيانه للتنبيه من اول الامر على انه ليس
من قبيل نسيان المسافر زاده فى المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء
من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كساير الحيتان مع زيادة اى نسيت ان اذكر لك
امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة
عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اى ما انسانى ان اذكره لك وفى تعليق الانساء
بضمير الحوت اولا وبذكره له عليه السلم ثانيا على طريق الابدال المنبى عن تنحية المبدل منه اشارة
الى ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر
للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما
تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله فى
البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف اخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء
بالاعتذار كانه قيل حيى واضطرب ووقع فى البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثانى مفعولى
اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثانى وعجبا صفة مصدر محذوف اى
اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اى اتعجب منه عجبا وقد قيل
انه من كلام موسى عليه السلم وليس بذاك قال اى موسى عليه السلم ذلك الذى ذكرت
من امر الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اصله نبغيه
اى نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اى رجعا على اثارهما طريقهما الذى جاءا
منه قصصا يقصان قصصا اى يتبعان اثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا

عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليان بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم السلام آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استيناف مبني على سؤال نشأ من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن استيذان منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا اي علما ذا رشد ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم علمكه الله تع لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلم ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على ان افعال العباد بمشية الله سبحانه قال فان اتبعتني اذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عم للصبر والطاعة فلا تسألني عن شيء تشاهده في افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألني بالنون المثقلة فانطلقا اي موسى والخضر عليهما السلم على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلم الى بني اسرائيل قيل انهما مرا بسفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة استعمال الركوب في امثال هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما تقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعدما لججوا حيث اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين مما يلي الماء فعند ذلك قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق وليغرق اهلها من الثلاثي لقد جئت اتيت وفعلت شيئا امرا اي عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم قيل الاصل امر مخفف قال اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني او بالذي نسيته او بشيء نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قيل بانه اراد موسى انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري

من ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهم انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوسل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عليه السلم اقتلت نفسا زكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عليه السلم ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلم في معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلم من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لكله وقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه عليه السلم خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عليه السلم هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعد الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يسارع الى المناقشة كما مر في المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه عليه السلم ففعل ما فعل ولله در شان التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فان كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية قال اي موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله من السما وقيل هي برقة وقيل بلدة بالاندلس عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي

انهما اتيا القرية فاستطعما اهلها فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ
بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف
مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زار من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
اي يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع
في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة
وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت
السن اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده
به قيل كان سمكه مائة ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به
او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه
لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ
لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء قال اي الخضر عليه السلام هذا فراق
بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما نفس
الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال
الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود سانبئك السين للتاكيد لعدم تراخي التنبئة
بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا التاويل رجع الشيء الى ماله والمراد به ههنا المال والعاقبة اذ هو المنبأ
به دون التاويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل
الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر
دون ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رايت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب
اما السفينة التي خرقتها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق
التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان
وراءهم ملك اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي
ابن كركر وقيل منوله بن جلندي الازدي يأخذ كل سفينة اي صالحة وقد قرئ كذلك غصبا
من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة
اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التاويل
وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس
مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه
الى الاقرب واما الغلام الذي قتلته فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفره او بكفره اشعارا
بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا
عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانا
وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا
بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره
وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من سوء عاقبة الامر غيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة

على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه بان يرزقهما بدله
ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول
الخير اليهما زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة واقرب رحما اي رحمة وعطفا قيل
ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت
سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء
وانتصابه على التمييز مثل زكوة واما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة
هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما
فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسماهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان
تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه
عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحا تنبيه
على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء فاراد
ربك اي مالكك ومدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما
تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة
فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اي حلمهما وكمال رايهما ويستخرجا
كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال
وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه عز وجل او
مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور
التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون
قوله عز وعلا وما فعلته عن امري اي عن رايي واجتهادي تاكيدا لذلك ذلك اشارة
الى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة
تاويل ما لم تسطع اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور التي رايته اي
ماله وعاقبته فيكون انجازا للتنبئة الموعودة او الى البيان نفسه فيكون التاويل بمعناه وعلى كل
حال فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة غير ما مر من عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر
تكرير للنكير وتشديد للعتاب تنبيه اختلفوا في حيوة الخضر فقيل انه حي وسببه انه كان على
مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب من
مائها واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل
انه ميت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم ليلتكم هذه فان
راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لما عاش بعده
مائة عام روي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به
واطلبه لتعمل به ويسألونك عن ذي القرنين هم اليهود سألوه على وجه الامتحان او سأله قريش

بلقنهم وصيغه الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين
الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرذبه من ولد يافث
ابن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن
قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان
وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن مرذبه كما ذكره ابن هشام وهو اول التابعة وقيل انه افريدون
ابن النعمان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالاثار الباقية عن القرون
الخاليه ان ذا القرنين هو ابو كرب شمر بن عبير بن افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق
الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال قد كان ذو القرنين جدي مسلما
ملكا علا في الارض غير مفند بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد
وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي
رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من
السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به
كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوايف ثم قصد ملوك
العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه
ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينيه و
باب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى
ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب
وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مداين
كثيره ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروي ان اهل النجوم
قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كل كنز كل
بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له
دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب
فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنه وقيل ثلثة الاف سنه قال ابن كثير وهذا غريب
واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلثين سنه او ثنتين وثلثين سنه
وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما
سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه
فانه مما لا يكاد يتاتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته
فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة
ولقوله تعالى واتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين
ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول لاخر يا ذا القرنين فقال
اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح
انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم
ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد

المنصور

المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار وهو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي
وغيره انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروي انه حج ماشيا
فلما سمع ابراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال
لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عليه السلام
بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل
عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه و
ناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل
انه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه
كان في راسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذوابتان وقيل لانه كانت صفحتا راسه
من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب
بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه راى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني
الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه
النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني
فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن
يونان بن يافث بن نونه بن شرخون بن رومه بن ثوبط بن نوفيل بن رومي بن الاصفر بن العيز
ابن العيص بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليهما السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري
باني الاسكندرية الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة
كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف
وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطي ارضهم ثم قال وانما بينا هذا لان كثيرا من
الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في القران العظيم هو هذا المتاخر فيقع بذلك خطا كبير
وفساد كثير لان الاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه
كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان
اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذاك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد الروم
غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة بالشعاير الدينية بينهما من المسافة
مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت
سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في
عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول عن بعض المغازي
السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الاثار ما فيه عبرة لاولي الابصار قل لهم في الجواب
ساتلوا عليكم اي ساذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبا مذكورا وحيث كان
ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل قيل ساتلوا وساتلوا من جهته تعالى في شانه ذكرا
اي قرانا والسين للتاكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تاييده عليه السلام وتصديقه
بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي
لم تمنن وان هي جلت لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الاية ما نزلت

بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سالوه عليه السلام عنه وعن الروح وعن
اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتوني غدا اخبركم فابطا عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين
بتمام القصة بل موصولة بما بعدها كما ذكر في ما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع
في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه
ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود
وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الاخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم
اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والالات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله
لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم
نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين ماخوذا من
المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف عليه السلام والمعنى انا جعلنا له
مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والراي والاسباب حيث سخر له السحاب
ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض و
ذللت طرقها وآتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا
اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع بالقطع اي
فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية
وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني حتى اذا
بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على
حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزاير المسماة بالخالدات التي هي مبدا الاطوال
على احد القولين وجدها اي الشمس تغرب في عين حمئة اي ذات حماة وهي الطين الاسود من
حمئت البير اذا كثرت حماتها وقرئ حامية اي حارة روي ان معوية رضي الله عنه قرا حامية
وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرا قال
كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين [illegible]
[illegible] فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين
وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معوية الى قول ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية
في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط راها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح
به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش
وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله جل ذكره بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان
وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم
حسنا اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة
وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرايع ومحل ان مع صلته اما الرفع على الابتدا او الخبرية
واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك واقع او اما امرك تعذيبك واما تفعل تعذيبك و
هكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما

لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي قال اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من
خواصه بعدما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير اما من ظلم اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على
ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور
ومن امن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا
وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع
النبي صلى الله عليه وسلم او مع من عنده من اهل مشورته واما من امن بموجب دعوتي وعمل
عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اي فله المثوبة الحسنى او
الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر موكد لمضمون الجملة قدم على المبتدا اعتناء به او منصوب
بمضمر اي نجزى بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدا والخبر بدله والخبر الجار والمجرور
المقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان سقط تنوينه لالتقاء
الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدا والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خيره بين القتل
والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر
فيراعى في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يحب ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع
دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني
لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما نامر به يسرا اي سهلا متيسرا غير شاق وتقديره
ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا اي طريقا راجعا من مغرب
الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من
معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه
في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوي له الاسباب
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب
ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع
النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقالوا بينك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف
لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي
علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت
فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس
فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك
اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب
من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم
مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او ستر لهم مثل سترنا لكم من اللباس و
الاكنان والجبال وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا
يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية
فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتامل ثم اتبع سببا اي طريقا

ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين الذين
سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ
بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على
المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل اسما ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم
وانجر في قوله تعالى فراق بيني وبينك وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما قوما
اي امة من الناس لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال
اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال
السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة
فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين
قبيلة منهم فبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه
السلام ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة و
الزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قالوا اي بواسطة
مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما
آتاه الله تعالى من الاسباب يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث
ابن نوح عليه السلام وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل واختلف في صفاتهم فقيل في غاية
صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة
يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع
وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما
قرا عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون في الارض
اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر
الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا اي جعلا
من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول
والنوال وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج
ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا
وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا
قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير اي مما تريدون ان تبذلوا الي من الخرج فلا حاجة
بي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات لا بد منها في البناء والفاء
لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من المال او على عدم قبول خرجهم اجعل
جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج
وماجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ردما اي حاجزا حصينا
وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف
بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرفة في غرف وهي القطعة الكبيرة
وهذا لا ينافي رد خراجهم لان المامور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة

اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة
دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما
لما ان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس
من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد بين الجبلين الى اعلاهما
وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قائلا حتى اذا ساوى بين الصدفين اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا
فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه
مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسووي على البناء للمجهول قال
للعملة انفخوا بالكيران في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار
في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة
في ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها آتوني افرغ
عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى
نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى اجعل فما اسطاعوا
بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او
الاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج
فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه
وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك
الزبر الكثيرة اذا اثرت فيه حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها
الى ان يكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة
عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير وقيل بناه من الصخور مربوطا
بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا قال
اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكينه
من بنائه والفضل للمتقدم اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شانه
ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة من
ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة
الخلق عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية
معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج ياجوج وماجوج
كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم
وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور
التي تحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة
ما ليس في توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور دكاء اي ارضا مستوية وقرئ دكا
اي مدكوكا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام

وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته • وكان
وعد ربي • اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا • حقا • ثابتا لا محالة واقعا
البتة وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو اخر ما حكي
من قصته وقوله عز وجل • وتركنا بعضهم • كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله
وتحقيق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق • يومئذ • اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه • يموج في
بعض • اخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل
ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج في بعض اخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين
في البلاد روي انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن
منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم
فيدخل اذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا فيغسل
الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام
وقتل الدجال • ونفخ في الصور • هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى • فجمعناهم • ولعل عدم
التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع
في النشاة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها في النشاة الاخرة اي جمعنا الخلائق بعدما تفرقت
اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء • جمعا • اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه
وعرضنا جهنم • اظهرناها وابرزناها • يومئذ • اي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة • للكافرين • منهم
حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا • عرضا • اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر
قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة • الذين
كانت اعينهم • وهم في الدنيا • في غطاء • كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب
عن ذكري • عن الايات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت
اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشاني او عن القران الكريم • وكانوا • مع ذلك • لا
يستطيعون • لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم • سمعا • استماعا
لذكري وكلامي الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة
السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الايات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل
منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم
فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الايات واعراضهم عنها مع كونها
اسبابا منجية عما ابتلوا به في الاخرة • افحسب الذين كفروا • اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى
عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه
كما في قولك اضربت اباك لا انكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه
الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى افلا تعقلون
منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي اتسمعون فلا تعقلون والمعنى
اكفروا بي مع جلالة شاني فحسبوا • ان يتخذوا عبادي من دوني • من الملائكة وعيسى وعزير عليهم
السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي • اولياء • معبودين ينصرونهم من باسي وما قيل انها للعطف على

ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخال عليها
همزة الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم يأباه
ترك الاضمار والتعرض لوصف اخر غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم
يذكرا من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وايضا فانه دين
قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتاخر عن
ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون
فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين
وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني
محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به
في الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اي احسبهم وكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر
او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة ح بمعنى انكار الوقوع
انا اعتدنا جهنم • اي هيأناها • للكافرين • المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك
الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل • نزلا • اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما
يقام للنزيل اي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان
اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل انا اعتدنا لهم مكان
ما اعدوا لانفسهم من العتاد والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من العذاب
ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالمثوى • قل هل
ننبئكم • الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر وللايذان
بمعلوميته للمؤمنين ايضا • بالاخسرين اعمالا • نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا
بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا
معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة اثارها غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في
انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم • الذين ضل سعيهم • في اقامة تلك الاعمال اي ضاع وبطل بالكلية
في الحيوة الدنيا • متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل
الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال ح ما عملوه من الاحكام المنسوخة
المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات
الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدا محذوف لانه
جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا
على الذم على ان الجواب ما سياتي من قوله تعالى اولئك الاية يأباه ان صدره ليس منبئا عن خسران
الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت
عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا
على ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال راسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر لقضية نون
العظمة • وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا • الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها
الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي اي يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم

بأعمالهم التي سعوا في إقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل أي بطل سعيهم المذكور والحال
انهم يحسبون انهم يحسنون في ذلك وينتفعون بآثاره أو من المضاف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله
تعالى اليه مرجعكم جميعا أي بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق بينهما ان المقارن للحال حسبانهم المذكور في
الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول ادخل في بيان خطائهم • اولئك • كلام مستأنف
من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث
ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي
مع الحسبان المزبور • الذين كفروا بآيات ربهم • بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض
لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور • ولقائه • بالبعث وما يتبعه من امور الآخرة
على ما هي عليه • فحبطت • لذلك • اعمالهم • المعهودة حبوطا كليا • فلا نقيم لهم • اي لاولئك الموصوفين
بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء • يوم القيامة وزنا • اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا
لان مدار الاعتبار الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال
عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا
لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي
ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب
الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا • ذلك • بيان لمآل كفرهم وساير معاصيهم اثر بيان
مآل اعمالهم المحبطة بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل • جزاؤهم جهنم • جملة مبينة له او ذلك مبتدأ
والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف
بيان للخبر • بما كفروا • تصريح بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لساير القبائح التي انبأ عنها قوله تعالى
• واتخذوا آياتي ورسلي هزوا • اي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل
ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا • ان الذين آمنوا • بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد ما اتصفت
به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اي آمنوا بآيات ربهم ولقائه • وعملوا الصالحات • من الاعمال
• كانت لهم • فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة
الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم • جنات
الفردوس • عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال
الضحاك هو الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكروم
خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون
من العنب وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن
المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس
اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر
انهار الجنة • نزلا • خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او بيان او حال
من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم
ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها عند ما
اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن

سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر • خالدين فيها •
نصب على الحالية • لا يبغون عنها حولا • مصدر كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون
شيء اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول و
تأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة • قل لو كان البحر • اي جنس
البحر • مدادا • وهو ما تمد به الدواة من الحبر • لكلمات ربي • لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر
من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك • لنفد البحر • مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه • قبل
ان تنفد • وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد • كلمات ربي • لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها
بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم
المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير
• ولو جئنا • كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع
زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة
عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة
• بمثله مددا • عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام
لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب
وقرئ مدادا • قل • لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى • انما انا بشر مثلكم • لا ادعي الاحاطة بكلماته
التامة • يوحى الي • من تلك الكلمات • انما الهكم اله واحد • لا شريك له في الخلق ولا في ساير احكام
الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك • فمن كان يرجو لقاء ربه • الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل و
المراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة
على رجاء اللقاء اي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى • فليعمل • لتحصيل تلك الطلبة العزيزة • عملا صالحا •
في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات • ولا يشرك بعبادة ربه احدا •
اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا
وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار
بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي ان جندب بن زهير رضي الله عنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام ان الله لا يقبل
ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي انه عليه السلام قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك
اذا قصدت ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن
رسول الله عليه السلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها
كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
الخ كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه
بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

سورة مريم تسعون وثمان آيات

كهيعص بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل
الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها
الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما للسورة او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء
الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على الاصل وقرئ
بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع
اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان
ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان وعلى انه مبتدأ
خبره ذكر رحمة ربك اي المسمى به ذكر رحمة الخ فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت
هي عليه جعلت كانها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب
اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على
نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه
قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الخ او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا
لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اي هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره اي فيما يتلى
عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة
الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان
بان تنزيل السورة عليه السلام تكميل له عليه السلام وقوله تعالى عبده مفعول لرحمة ربك على انها مفعول
لما اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها
كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله عز وعلا زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى
ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد
المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن
الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الريا واقرب
الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة
وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ
ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في سورة
آل عمران قال جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب رب اني وهن العظم مني اسناد الوهن الى
العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة و
قواما واقلها تاثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن
لكل فرد من افراده ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتاكيد
الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها واشتعل الرأس شيبا شبه عليه السلام الشيب في البياض
والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج
الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد
به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب راسي فاسند

الاشتعال

الاشتعال الى الرأس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا
بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ
بادغام السين في الشين ولم اكن بدعائك رب شقيا اي لم اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من اوقات هذا
العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل
راسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعي
الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عود عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد
يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن
افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك
سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما
يناسبه من اسمائه وصفاته واني خفت الموالي عطف على قوله تعالى اني وهن مترتب مضمونه على
مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي امره بعد موته ومواليه بنو
عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من
ورائي اي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل الموالي من بعدي او جور الموالي وقد
قرئ كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر من ورائي لا بخفت لفساد المعنى
وقرئ وراي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين
بعدي او خفت الموالي من ورائي القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اي
ارتحلوا مسرعين اي درجوا قدامي ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت وكانت
امراتي عاقرا اي لا تلد من حين شبابها فهب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف
معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني
بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من
الذوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران اي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق
الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية وليا اي ولدا من صلبي وتاخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء
بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتاخيرهما
عن الكل او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه
عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في
ذلك ان يكون هناك داع اخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في
حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الاية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك
كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هنالك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن
اخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى يرثني صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا
للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال عليه السلام
نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبرا ويرث من آل

يعقوب يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموا
فقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ع م
وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلم وكان آل يعقوب
على انه حال من المستكن في يرث وقرئ او يرث آل يعيقوب بالتصغير ففيه ايماء الى وراثته عليه السلم
لما يرثه في حالة صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اي يرثني
به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلم انبياء ولا علماء واجعله رب رضيا
مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشان ما يستدعيه يا
زكريا على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا بان خاطبه ع م
بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكي له عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى
قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلم
ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما
تقتضيه المشية الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا مستجابي الدعوة
لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا يرى الى دعوة ابراهيم عليه السلام في حق ابيه والى دعوة
النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز
وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل
موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال ح وفي تعيين اسمه ع م
تاكيد للوعد وتشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى لم نجعل له من
قبل سميا اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله يحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان
التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل
والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم
يكن له عليه السلم مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر
وانه كان حصورا ولم يكن هذا اجمالا لما نزل بعد من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا
ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به
لانه حيي به رحم امه او حيي دين الله تعالى بدعوته قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال
عليه السلام ح فقيل قال رب ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة
في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تع
بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات
انى يكون لي غلام كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم
الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام
ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي غلام
او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما انى ولي متعلق بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية
وقوله تعالى وكانت امراتي عاقرا حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله وقد بلغت من الكبر
عتيا حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تاكيد اي كانت امراتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي

فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر
ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت
الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احديهما بالسكون وكسرت
العين اتباعا لها لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداءة ههنا بذكر حال امراته على عكس ما في سورة آل عمران لما انه
قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك
فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امراته لما ان المسارعة الى بيان قصور شانه انسب
وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدة للشواهد
المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه
في ذلك باظهار انه من محض لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا
استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان
ذلك منه عليه السلم استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان
بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد قال استيناف كما مر مبني على
سؤال نشا مما سلف والكاف في قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها اما النصب
على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى
قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى هو
علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال الله عز وجل مثل
ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وان كان في العادة
مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة ح حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما تستعرفه او اعتراض وعلى
كل حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية
المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف
الى ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه ع م
من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما
يقلع اساس استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه السلام الاطمئنان بانجازه لا محالة
ثم التفت من ضمير الغائب العائد الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة
الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره
قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتداء
محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اي قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو واقع لا
محالة وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على
المحكية الاولى او حال من المستكن في الجار والمجرور وايا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء
بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة
الى ما قاله زكريا عليه السلام اي قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في
نفسه وفي امراته وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى

هو مع بعده في نفسه على هين والقراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فمخل
بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعوبته
في نفسه وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستانفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق
البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى ادم
عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك ادم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته
في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه السلم وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال
لتاكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عم
من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر احاد الجنس
انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام على ذلك الوجه ابداعا لكل
احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع
من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرته
تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم ذكره عم اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيار الحال
ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم
صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق ادم ولم تك اذ ذاك
شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به اي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام
ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل لي اية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع
الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتاكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب
الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي
لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى
ان تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة ال عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون
بعدما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر
او بثلث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عليه السلم كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا
ربه وهي انما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام
متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف
وقع حالا من اية اذ لو تاخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما اية وثانيهما الظرف
وتقديمه لانه لا مسوغ لكونه مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير
حالهما بعد ورود الناسخ قال ايتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس
مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلث ليال مع ايامهن للتصريح بها في سورة ال عمران سويا
حال من فاعل تكلم مفيدة لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به
حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج على قومه من المحراب اي
من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرون ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج
عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم اي اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل
كتب على الارض وان في قوله تعالى ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اي صلوا او

بان صلوا بكرة وعشيا ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلوة الفجر وصلوة العصر او نزهوا
ربكم طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح شكرا ويامر قومه بذلك يا يحيى استيناف طوي قبله
جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التورية بقوة اي
بجد واستظهار بالتوفيق واتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنبئ وهو
ابن ثلث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التورية والفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان الى اللعب
فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي
واتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكوة
اي طهارة من الذنوب او صدقة تصدق بها على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس وكان
تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه عطف على تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما
ولم يكن جبارا عصيا متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد
من ان يناله الشيطان بما ينال به بني ادم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا
من هول القيمة وعذاب النار واذكر في الكتاب كلام مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
وامر بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة
لا القران اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها
اي واذكر للناس فيها مريم اي نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى اذ انتبذت
ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المامور به ذكر نبئها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه
وحكي بعده بطريق الاستيناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان
المراد بها نبؤها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ
بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال من مريم لا محالة
وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت وقوله مكانا شرقيا مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى
الاتيان المترتب وجودا او اعتبارا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو السر في تاخيره عنه اي
اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل
قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من
دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى
المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك عليه السلم في صورة ادمي شاب امرد وضيء الوجه جعد
الشعر وذلك قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا اي جبريل عليه السلم عبر عنه بذلك توفية للمقام
حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من
المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت
الادمية شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس
بكلامه وتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع
مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان
اثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر

بالها شابه مثل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله
على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية
وراءه وذكره بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ بالله تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة
مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط
محذوف ثقة بدلالة السياق عليه اي فاني عائذة به او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي قال
انما انا رسول ربك يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول
ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون
حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها
لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرني
ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير
والصلاح قالت انى يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر اي والحال انه لم يباشرني
بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسني
داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اكن فاجرة تبغي الرجال
وهو فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت العين للياء وقيل
هو فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغوي كما يقال فلان نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب
كطالق او بمعنى المفعول اي بغيها الرجال للفجور بها قال اي الملك مقررا لمقالته وتحقيقا لها
كذلك اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مقرر له اي قال ربك
الذي ارسلني اليك هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا علي
خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى
ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون
به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية
الخ والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة
كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا
محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا
بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عليه السلام في درعها فدخلت النفخة
في جوفها قيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فحملت
في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود
وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملته وضعته
وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به اي فاعتزلت
وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية
اي فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب
بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اي فالجأها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غير
كآتى في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج

الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة
لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم
عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو خرسة
النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات
يموت قبل هذا اي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى
بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس
في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روي عن عمر رضي الله
عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم
تلده امه وكنت نسيا اي شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان
في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول
مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسيا
كعصا منسيا لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا للسين
فناداها اي جبريل عليه السلام من تحتها قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اي من مكان اسفل
منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح
الميم ان لا تحزني اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها
الجار قد جعل ربك تحتك اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري جرى وان امرته
بالامساك امسك سريا اي نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان
جبريل عليه السلام ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل
كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا راس
لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله تعالى لها اذ ذاك راسا وخوصا وثمرا وقيل كان
هناك ماء جار والاول اوفق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اي سيدا
نبيلا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه السلام فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم
من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل
التسلية وهزي الهز تحريك الشيء الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان
منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى اليك اي الى جهتك والباء في قوله عز وعلا بجذع
النخلة صلة للتاكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الخ قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ
الخطام واخذ بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها اي افعلي الهز بجذعها او هزي الثمرة به وقيل هي متعلقة
بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اي هزي اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اي تسقط النخلة عليك
اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط باظهار
التاءين ويساقط بطرح الثانية وتساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط
من السقوط على ان التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراءات الثلاث الاول
مفعول وعلى الست البواقي تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول
اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اي طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلي

واشربي اي من السّرى ماء الرطب وماء السّرى او من الرطب وعصيره وقرّي عينا وطيبي نفسا وارفضي عنها ما
احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من
البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك
وقرئ وقري بكسر القاف وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه
من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة
العين للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا اي ادمياً كائنا من كان وقرئ ترين على لغة من يقول
لبات بالحج لما بين الهمزة والياء من التاخي فقولي له ان استنطقك اني نذرت للرحمن صوما
اي صمتا وقد قرئ كذلك او صياما وكان صيامهم بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اي بعد ان اخبرتكم
بنذري وانما اكلم الملئكة واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء
العرب تسمي كل ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة
الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه
نص قاطع في قطع الطعن فاتت به قومها اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عندما طهرت من
نفاسها تحمله اي حاملة له قالوا مؤنبة لها يا مريم لقد جئت اي فعلت شيا فريا
اي عظيما بديعا منكرا من فري الجلد اي قطعه او جئت مجيا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب
يا اخت هرون استيناف لتجديد التعيير وتاكيد التوبيخ عنوا به هرون النبي عليه السلام وكانت
من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل
صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ما كان ابوك
امرا سوء وكانت امك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش
من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اي الى عيسى عليه السلام ان كلموه والظاهر انها بينت حينئذ
نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المامور به بيان نذرها بالاشارة
لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم
نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه
وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصبيا
حال من المستكن فيه او هي تامة او دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استيناف مبني
على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلم اني عبد الله
انطقه الله عز وجل بذلك اثر ذي اثير تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق
لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي رضي الله عنه لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد
علينا مما فعلت وروي انه عليه السلم كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا
على يساره واشار بسبابته فقال ما قال الخ وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه
الصبيان اتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما
للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف
الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمله الله عقلا واستنباه طفلا اينما كنت اي حيثما كنت واوصاني
بالصلوة اي امرني بها امرا مؤكدا والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل

ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطفا على مباركا اي جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر
وصف به مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر
عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تعالى لفرط تكبره
والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد
والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده
لاضداده كما في قوله تعالى والسلم على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى
ذلك اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته
وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى ابن مريم لا ما
يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا
باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال اني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك
عيسى ابن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو قول
الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او
بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال في معنى واحد
الذي فيه يمترون اي يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ
بتاء الخطاب ما كان لله اي ما صح وما استقام له تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى
وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان
شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان تعلق به ارادته فيكون حينئذ بلا تاخير فمن هذا شانه كيف يتوهم
ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربي وربكم فاعبدوه
من تمام كلام عيسى عليه السلم قيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير
واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا
تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلوة هذا اي الذي ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا
يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء
صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشا للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلم مع كونها
نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق
النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السما تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم
بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم عظيم الهول
والحساب والجزاء وهو يوم القيمة او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم
عليهم وهو ان تشهد عليهم الملئكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم وساير
ارائهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه اسمع
بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا
للحساب والجزاء اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منها بعد ان كانوا في الدنيا صما وعميا او تهديد بما سيسمعون
ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور

على الاول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب لكن الظالمون اليوم اي في الدنيا في ضلال
مبين لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان
بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء فعلى اساءته
واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان
ينظرون فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة
فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف
باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم في غفلة اي عما يفعل بهم في الاخرة
وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون
في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين
فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم
ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون
اي يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب اي
في السورة او في القران ابراهيم اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ
ابراهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح انه
كان صديقا ملازما للصدق في كل ما ياتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب
الله تعالى واياته وكتبه ورسله والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلم
بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر اخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين
والصديقين الاية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز
عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق اذ قال بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما
اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع
فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اي كان جامعا بين الاثرين حين قال لابيه ازر متلطفا في
الدعوة مستميلا له يا ابت اي يا ابي فان التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد
قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك له وجوارك
اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات
فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا لم تعبد ما لا يسمع ولا يغني اي لا يقدر على ان يغني عنك شيئا
في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع
احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد
حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته
التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق
المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح
والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف
العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة

فما ظنك بجماد مصنوع ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق
المبين لما انه لم يكن محفوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا الدعوة بما مر من الاستمالة و
الاستعطاف حيث قال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في
اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من
الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني اهدك صراطا سويا اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب
منجيا عن الضلال المودي الى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها
كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه
الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك الاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها
لك ويغريك عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتاكيد له ببيان انه
مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص
حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على
ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لادم عليه السلم وذريته فتذكيره
داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله
يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان
وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب
مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف
الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا
اي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بامره قال استئناف مبني على
سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة
القبول فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اي امعرض ومنصرف انت
عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كان الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل
فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من
العظة والتذكير اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل
باللسان واهجرني اي فاحذرني واتركني مليا اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال
استئناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي
لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي اي استدعيه
ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله
تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في
جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما
الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى الى انه
عليه السلام قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي و
الذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم عليه السلم وكذا
قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الاية انما كان قبل انقطاع رجائه

عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة
واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن
لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او للموعدة وعدها اياه كما قيل اذ النهي انما ورد في شان الاستغفار
بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلم قبل التبين وان الوعد بالمحظور لا يرفع خطره بل لان المراد
بما يؤتسى به ما يجب الايتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم
اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن
ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود
الاستثناء وذلك مما لا يرتاب فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة
للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر
لابي الاية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا
لورودها على نهج التاكيد القسمي واما جعل الاستغفار دايرا عليها وترتيب التبرء على تبين الامر
فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي بليغا في البر والالطاف
تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم اي ابتعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة
بديني حيث لم يؤثر فيكم نصايحي وادعو ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور
في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما
يلحقه السياق والسباق عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا اي خايبا ضايع السعي وفيه تعريض
بشقاوتهم في عبادة الهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب
والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة
بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربايه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة
فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلم لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب
لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه
بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شان خطير
وذوو عدد كثير هذا وقد روي انه عليه السلم لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت
اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر وكلا اي كل واحد منهما او منهم وهو
مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى
بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة
وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة
الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين
وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل
لي لسان صدق في الاخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى
الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد
الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسمعيل

عليه السلام لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليه السلم انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك
والرياء واسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه وكان
رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى و
ناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب اي ناديناه من
ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلم او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه
منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من
من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه
او قربناه وقيل من تعفا المراد انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا
اي من اجل رحمتنا ورافتنا او بعض رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته
بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول
مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف بيان له وقوله تعالى نبيا حال
منه واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده
مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلم بهذا الوصف
لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان
رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم عليهم
السلام كانوا على شريعته وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل
بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة
قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته
فان الانبياء عليهم السلم اباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من
جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه
نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلم واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه
نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل
عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما
للصدق في جميع احواله نبيا خبر اخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه مكانا
عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى
ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع
ادريس عليه السلم انه كان سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني قد مشيت فيها
يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه
ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني ان اخفف
عنك حملها وحرها فاجبته قال رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء اولئك
اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم
في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اي انعم عليهم بفنون النعم
الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى

من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبيا
واخص من الذرية ومن حملنا مع نوح اى ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس
عليه السلام فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم وهم الباقون واسرائيل عطف
على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد
البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اى ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة و
الكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر
هو الموصول وهذا استيناف مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة
وسمو الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير
خروا اى ساجدين باكين عن النبى صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع
باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوى فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو
ياء وادغمت الياء فى الياء وحركت الكاف بالكسر المجانس للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التانيث
غير حقيقى وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغى ان يدعو الساجد فى سجدته بما يليق باياتها فههنا
يقول اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وفى
اية الاسراء يقول اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وفى اية تنزيل السجدة يقول اللهم
اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف
من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اى فعقبهم وجاء
بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات اى تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا
الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى فنون المعاصى وعن
على رضى الله عنه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا
اى شرا فان كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو
لا يعدم على الغى لائما وعن الضحاك جزاء غى كقوله تعالى يلق اثاما اى جزاء اثام او غيا عن طريق
الجنة وقيل غى واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا
يدل على ان الاية فى حق الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما
فيه من معنى البعد لما مر مرارا اى فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة
بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اى لا ينقصون من جزاء
اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم
جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح و
قرئ بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هى او تلك جنات الخ او مبتدا خبره التى وعد الخ وقرئ
جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها
اعلام لمعانى الفينة وهى الساعة التى انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض
الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا
وصفه بقوله تعالى التى وعد الرحمن عباده وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول فى حكم
المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها

والجنان

والجنان لكمال سعة رحمته تعالى والباء فى قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى
الجنات او من عباده اى وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اى غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين
عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اى وعدها اياهم بسبب ايمانهم
انه كان وعده اى موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هى مثابة
يرجع اليها قيل مأتيا اى ياتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا
اى مفعولا من اتى اليه احسانا اى فعله لا يسمعون فيها لغوا اى فضول كلام لا طائل تحته و
هو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغى ان يجتنب عنه فى هذه الدار
ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اى لكن يسمعون تسليم الملئكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل
بطريق التعليق بالمحال اى لا يسمعون لغوا الا سلاما بحيث استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم
له بالكلية كما فى قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعا
بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين فى هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا
فليس فيها بكرة ولا عشيا تلك الجنة مبتدا وخبر جئ به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان
ما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التى نورث اى نورثها
من عبادنا من كان تقيا اى نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقى على الوارث مال مورثه
ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل فى التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا تعقب
بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل نورث المتقين من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو آمنوا
واطاعوا زيادة فى كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل
حين استبطاه رسول الله عليهما السلام لما سئل عن اصحاب الكهف وذى القرنين والروح فلم يدر
كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة
شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الاية وسورة
والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع التنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل
على الانزال والمعنى وما نتنزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل
بالياء والضمير للوحى له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة
ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك
نسيا اى تاركا لك يعنى ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى
وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفى اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا
الى ضميره عليه السلام من تشريفه عليه السلام والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الاية حكاية
قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة
الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده
من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى ولطفه وهو
اى وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والارض
وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما

سبيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور
ان يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدا محذوف او بدل من ربك والفاء في قوله
تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى
رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين
والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته
مما لا ريب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر
على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزو الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والاخرة
وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة
فيما تورد عليه من الشدايد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته
هل تعلم له سميا التسمي هو الشريك في الاسم والظاهر ان يراد به ههنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه
تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على
ابلغ وجه واكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب
تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا
وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة
اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى بالاستحقاق
الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة حينئذ باعتبار ما في الاسمين
الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد به اما الجنس باسره
واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم تقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما
القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي ابن خلف فانه اخذ عظاما بالية
ففتها فقال ازعم محمد انا نبعث بعدما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد
ائذا مامت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف
الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد
اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض
في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا مامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر
الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان
الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو
السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية
على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي من قبل الحالة التي هو
فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو
في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد
مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر
ويتذكر على الاصل فوربك اقسام باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق
الامر بالاشعار بعلته وتفخيم شانه عليه السلام ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن القائلين بالسوق

الى المحشر بعدما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه
امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال والشياطين معطوف على
الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم
مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم
الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض
افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا
وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب و
شماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثو بواوين فاستثقل اجتماعهما
بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو
وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا
لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين ثمة على ركبهم
لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب
فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول
وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم
من القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شايعت دينا من الاديان
ايهم اشد على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه
تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة
منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها
اللائقة به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كساير الموصولات لكنه اعرب حملا
على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته ازداد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن
ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير
لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم
للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله
تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كان سائلا قال على من عتوا فقيل على
الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي هم اولى
بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع
فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد وان منكم
التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى
المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها الانسان الا واردها اي واصلها
وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل
عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن
عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان اي ورودهم اياها على ربك حتما

مقضيا اى امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه لابد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم
ننجى الذين اتقوا الكفر والمعاصى مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذى سلف فيساقون
الى الجنة وقرئ ننجى بالتخفيف وينجى وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمة ننجى بفتح الثاء اى هنالك ننجيهم
ونذر الظالمين بالكفر والمعاصى فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود
الجثو حواليها وان المومنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيآتهم وقوله تعالى
واذا تتلى عليهم الاية الى اخرها حكاية لما قالوا عند سماع الايات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة
مآلهم اى واذا تتلى على المشركين اياتنا التى من جملتها هاتيك الايات الناطقة بحسن حال المومنين
وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات اى مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها او ببيان
الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات الاعجاز حال موكدة من اياتنا قال الذين كفروا اى قالوا ووضع
الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما تتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا
منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام فى قوله تعالى
للذين امنوا للتبليغ كما فى مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما فى قوله تعالى وقال الذين
كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اى قالوا لاجلهم وفى حقهم والاول هو الاولى لان
قولهم ليس فى حق المومنين فقط كما ينطق به قوله تعالى اى الفريقين اى المومنين والكافرين كانهم
قالوا اينا خير نحن او انتم مقاما اى مكانا وقرئ بضم الميم اى موضع اقامة ومنزل واحسن
نديا اى مجلسا ومجتمعا روى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون
بالزين الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المومنين يريدون بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم
منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفضل
والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورة هوان المومنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل و
ما هذا القياس العقيم والراى السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك
مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا
اى كثيرا من القرون التى كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم
من الامم العاتية قبل هولاء اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما اتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم
ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كانه قيل فلينتظر هولاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول
اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة
وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا فى حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة وهو متاع
البيت وقيل هو ما جد منه والخرثى ما لبس منه ورث والرئى المنظر فعل من الروية لما يرى كالطحن لما
يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الرى وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا
على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاء المعجمة من الزى وهو الجمع فانه عبارة من المحاسن المجموعة
قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من
التمتع بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هولاء المفتخرين بما لهم
من الحظوظ ببيان مال امر الفريقين اما على وجه كلى متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين فى اللذات الفانية
المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن

لذمهم والاشعار بعلة الحكم اى من كان مستقرا فى الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد
له الرحمن اى يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان
بان ذلك مما ينبغى ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس
واعتبار الاستقرار فى الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل و
التعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون
غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب
التكرار لوقوعه فى حيز جواب اذا وجمع الضمير فى الفعلين باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضميرين
الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود بدل منه على سبيل
البدل فانه اما العذاب الدنيوى بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما
يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروى
لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اى حتى اذا عاينوا
ما يوعدون من العذاب الدنيوى والاخروى فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين بان
يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما واضعف جندا
اى فئة وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم يكن له فئة
ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك رد لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان
وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك فى الاندية والمحافل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
كلام مستانف سيق لبيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل
من كان فى الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل
عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة ليس لفضله عقب
ذلك ببيان ان قصور حظ المومن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى
والباقيات الصالحات خير على تقدير الاستيناف والعطف كلام مستانف وارد من جهته تعالى لبيان
فضل اعمال المهتدين غير داخل فى حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك اى الطاعات التى تبقى فوايدها
وتدوم عوايدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه صلى الله عليه وسلم
ثوابا اى عائدة مما يمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم
ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير بقوله تعالى وخير مردا اى مرجعا وعاقبة وتكرير
الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتاكيد لها وفى التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية
فى العاقبة تهكم بهم افرايت الذى كفر باياتنا اى باياتنا التى من جملتها ايات البعث نزلت فى العاص
بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فتقاضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا
ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتنى فيكون لى ثمة مال وولد فاعطيك وفى رواية قال لا اكفر به حتى
يميتك الله ثم تبعث فقال انى لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعنى حتى اموت وابعث فساوتى مالا وولدا
فاقضيك فنزلت والهمزة للتعجيب من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى

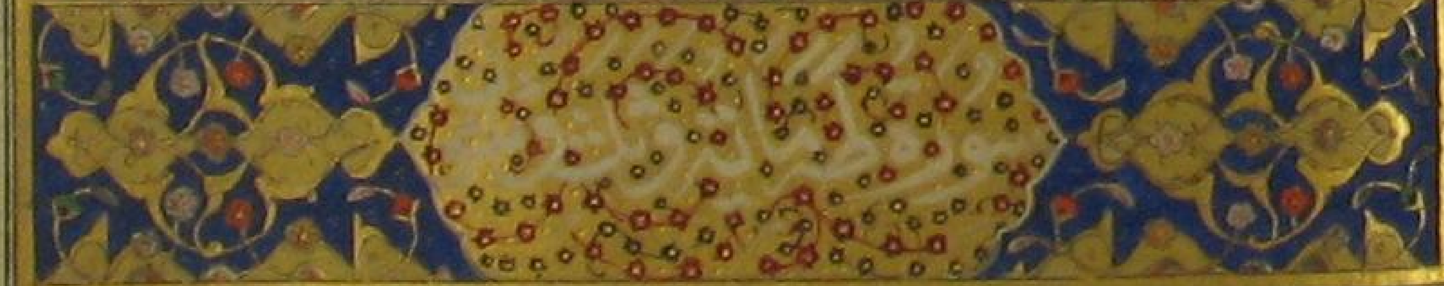
ونفضي منها العجب ومن فرق بين الم تر وارايت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجب
بان الاول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال الم تر الى الذي صنع كذا بمعنى انظر متعجبا من حاله والثاني يعلق بمثل
المتعجب منه فيقال ارايت مثل الذي صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت
عنه اشياء وكانه ذهب عليه قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي انظرت افرايت الذي كفر باياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من يشاهدها وقال
مستهزئا بها مصدرا كلامه باليمين الفاجرة والله لاوتين في الاخرة مالا وولدا اي انظر
اليه متعجبا من حالته البديعة وجراته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد
قيل ان ارايت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين
قالوا اي الفريقين خير مقاما الاية وانت خبير بان المشهور استعمال ارايت في معنى اخبرني بطريق
الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا على ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا
على انه جمع ولد كاسد جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى اطلع الغيب
رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجب منها اي اقد بلغ من عظمة الشان الى ان
ارتقى الى علم الغيب الذي استاثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا واقسم عليه
ام اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان
الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان
وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجازاة مع اللعين حسب منطوق مقالته كما ان كلامه مع خباب
كان كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه سنكتب ما
يقول اي سنظهر انا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم
منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتاخر عن القول لقوله عز وعلا ما
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع
ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤس
الاشهاد باحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا
ونمد له من العذاب مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب
ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد
بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه بموته ما يقول اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما
اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع
عنه ما اتيناه ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى
ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه والياء بمعنى الارث وقيل
المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه
وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبني على ان صدور القول المذكور
عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل
ممن كفر بالبعث وانما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق اداء دينه بالمحال واتخذوا من دون
الله الهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود

لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام الهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بهم بان يكونوا
لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا
به اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اي ستجحد الالهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول
ما عبدتمونا او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا
ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا على الاول تكون الالهة التي كانوا يرجون ان
تكون لهم عزا ضدا للعز اي ذلا وهوانا او تكون عونا عليهم والة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم
او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه
باعانته له عليه وعلى الثاني تكون الكفرة ضدا واعداء للالهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله
ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذي عليه يدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما
في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف
نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قولهم اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصبت لقد
اصابن او على معنى كل هذا الراي كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون
الخ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما
نطقت به الايات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من
الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم على
الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مداحضة الحق بعد اتضاحه وانتفاء
الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له مسوغا
ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم
لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال
الكفرة من حيث كونها من اثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه اما حال
مقدرة من الشياطين او استيناف وقع جوابا عما نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعل الشياطين
بهم فقيل تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات
فان الاز والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج فلا تعجل عليهم اي بان يهلكوا حسبما
تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن اخرهم وتطهر الارض من فساداتهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها
مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما
من الجنة وقوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل
بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر
قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي
العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة
وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين
كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب
التي ترد الماء بفعل الفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية
بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم

بحشر الخ وقيل على الظرفيه لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذى يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه
جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استينافا مبينا لبعض ما فيه من الامور
الدالة على هوله وضميره عايد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة
وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبنى للفاعل وعلى الثالث يسع
ان يكون مصدرا من المبنى للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثناء متصل
من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك ان يشفعوا
لغيرهم الا من استعد لهم بالتحلى بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان
بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس فى تحصيل الايمان والتقوى المودى الى نيل هذه الرتبة وعلى
الثانى استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء
اى لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا فى الاسلام وعلى الثالث
استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون
ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن زعم
من العرب ان الملئكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية عبدة الاصنام بطريق عطف
القصة على القصة وقوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق
الالتفات المنبى عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية
الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وادنى اثقلنى وعظم
على اى فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان
تعديته وقوله تعالى تكاد السموات الخ صفة لادا واستيناف ببيان عظم شانه فى الشدة و
الهول وقرى يكاد بالتذكير يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرى
ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق
الارض اى وتكاد تنشق الارض وتخر الجبال اى تسقط وتهدم وقوله تعالى هدا مصدر موكد
لمحذوف هو حال من الجبال اى تهد هدا او مصدر من المبنى للمفعول موكد لتخر على غير الصدر لانه بمعنى
التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اى مهدودة
او مفعول له اى لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعا وعظمها بحيث
لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها
فى استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت قوايمه غضبا على من تفوه
بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها اى تكاد السموات
يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من
الضمير المجرور فى منه كما فى قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدا محذوف اى الموجب لذلك
ان دعوا الخ وقيل فاعل هدا اى هدها دعاء الولد والاولى هو الاول ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدى الى
مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعى له ولدا او من دعى بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى
الى فلان اى انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا حال من فاعل قالوا او دعوا مقرر
لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اى قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه

ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لاستحالته فى نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير
للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى نعمة او منعم عليه فكيف يسنى ان يجانس من هو مبدا
النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به فى قوله عز قائلا ان كل من فى السموات
والارض اى ما منهم احد من الملئكة والثقلين الا اتى الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوى
اليه بالعبودية والانقياد وقرى ات الرحمن على الاصل لقد احصيهم اى حصرهم واحاط بهم
بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدا اى عد اشخاصهم
وانفاسهم وافعالهم وكل شىء عنده بمقدار وكلهم اتيه يوم القيمة فردا اى كل واحد منهم
ات اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفى صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما
ليس فى صيغة المضارع لو قيل ياتيه فاذا كان شانه تعالى وشانهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا
منهم ولدا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبايح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر
محاسن احوال المومنين سيجعل لهم الرحمن ودا اى سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض
منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من
اثارها وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلم احببت فلانا فاحبه
فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل ثم يوضع له المحبة فى
الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه
حين دجا الاسلام او لان الموعود فى القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما فى
صدورهم من الغل الذى كان فى الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيوتون يوم القيمة
من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن فانما يسرناه
اى القران بلسانك بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال
اى يسرنا القران منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايحاء السورة
الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به او انذر فانما يسرناه بلسانك العربى المبين لتبشر به المتقين اى
الصايرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهى وتنذر به قوما لدا لا يومنون به لجاجا
وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من
قرن وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه
السلم على الانذار اى قرونا كثيرا اهلكنا قبل هولاء المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من احد
استيناف مقرر لمضمون ما قبله اى هل تشعر باحد منهم وترى او تسمع لهم ركزا او صوتا خفيا
واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون المخفى و
المعنى اهلكناهم بالكلية واستاصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق
به ويحيى ومريم وعيسى وساير الانبيا المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى فى الدنيا ومن لم يدع

الله تعالى



طه نخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وو
لاستعلاء واما لهما الباقون وهو من الفواتح التي تصدر بها السورة الكريمه وعليه جمهور المتقنين
وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتاده
وعكرمه والكلبي الا انه عند سعيد على اللغه النبطية وعند قتاده على السريانيه وعند عكرمة على الحبشيه و
عند الكلبي على لغه عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء
طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر ان السفاهة طه في خلايقكم لا قدس الله
اخلاق الملاعين ليس نصا في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طا ها
بصيغه الامر من الوطي فقلبت الهمزة في يطا الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع وها
ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجد
على احدى رجليه مبالغه في المجاهده ولكن اباه كتابتهما على صورة الحرف كما ابى التفسير بيا رجل فان
الكتابه على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصايص حروف المعجم وقرى طه اما على ان اصله طأ
فقلبت همزته ها كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة في يطا الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق به هاء
السكت واما على انه اكتفى في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين فكانهما
اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما
باسميهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليقعا معبرا عنهما بل من حيث
انهما جزان لهما قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان
يراد بضمير التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزان للاسمين ويراد
باسميهما الشطران من حيث هما قايمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطري الكلمتين اي
الاسمين فعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قايمان مقام الاسمين
واما حمله على معنى انه اكتفى في الكتابه بشطري الكلمتين يعني طه على تقدير كونه امرا او كونه حرف ندا وها
على تقدير كونها كناية الارض وكونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسميهما فبين
البطلان كيف وطا وها على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر او حرف نداء
والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم
كما مر فالحق ما سلف من انها من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في
مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك القران
لتشقى فانه استيناف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب
فان الشقا شايع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رايض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغه في
مكابدة الشدايد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التاسف على كفرهم به والتحسر على ان يومنوا
كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان
لم يومنوا به بعد ذلك او لصرفه عليه السلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما روي
انه عليه السلام كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليهما السلام ابق على نفسك فان
لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشدايد
الفادحة وما بعثت الا بالحنيفيه السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى

تمام البيت
ذهبت بسلمة البغال عشية
فارعى فزارة لا هناك المرتع

الله عليه وسلم انك شقي حيث تركت دين ابائك وان القران نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلنا
عليك لما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به الاستثناء الاتي هذا واما اسم للقران فمحله الرفع على انه مبتدا
ما بعده خبره والقران ظاهر اوقع موقع العايد الى المبتدا كانه قيل القران ما انزلناه عليك لتشقى والنصب
على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسماء السورة ايضا
بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكونه لان المبتدا حينئذ بلا عايد ولا قايم مقامه فان
القران صادق على السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او بطريق
الاندراج ان اريد به الكل بل لان نفي كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله
قطعا اما بحسب الحقيقه كما اذا اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا
ريب في ان ذلك انما يتصور في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب
الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه عنه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان
ماله ان يقال هذه السورة ما انزلنا القران المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انه لا دخل
لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشان التنزيل الجليل وقوله تعالى الا تذكرة نصب على
انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القران لتتعب بتبليغه
الا تذكرة الاية كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا لما انه يجب في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة
بالسببية والمسببية حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتاذى الا زجرا
لغيرك فان التاديب في الاول مسبب عن الاشفاق والتاذي في الثاني سبب لزجر الغير وقد عرفت
ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في الجملة المجامع للتذكرة لظهور ان لا
ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة الا تكثيرا
لثوابك فان الاجر بقدر التعب ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لعدم
المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق
الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القران لتتعب في تبليغه و
لكن تذكرة لمن يخشى وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن من شانه ان
يخشى الله عز وعلا ويتاثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف و
تخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر موكد
لمضمر مستانف مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال
انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل
هو منصوب بيخشى على المفعوليه اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشيه والخوف
ونظايرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد تعلق ذلك ببعض اجزايه المشتملة على الوعيد ونظايره كما في
في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة
لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشي بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع
موقع الحال من الكاف في عليك او من القران ولا مساغ له الا بان يكون بدلا من تذكرة بعد جعله حالا بالمعنى
الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرى تنزيل على انه خبر لمبتدا محذوف ومن في قوله تعالى ممن
خلق الارض والسموات العلى متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له موكدة بما في تنكيره من الفخامة

لاضافته ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته
تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير
وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما افصح عنه قوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر
عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل
وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي
الى تربيته للمهابة وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم
نحو الخشية المفضية الى التذكر والايمان • الرحمن • رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر
سورة البقرة ان المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك
التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول
وما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين واياما كان ففي وصفه
بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما
ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة
وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن
او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى • على العرش استوى •
وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شانه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان
بان ذلك امر بيّن لا يستدعي الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة
الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد
خبر والاستواء على العرش مجاز من الملك والسلطان متفرع عن الكناية فيمن يجوز عليه القعود على
السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى • له ما في السموات
وما في الارض • سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما • وما بينهما • من الموجودات الكائنة
في الجو دائما كالهواء والسحاب او اكثريا كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما
ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما • وما تحت الثرى • اي ما وراء التراب وذكره
مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير يروى عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع
وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة • وان تجهر بالقول • بيان لاحاطة علمه
تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات اي وان تجهر بذكره
تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك • فانه يعلم السر واخفى • اي ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى
من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو ما
ستسره فيما سيأتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك
في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه
بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة
عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى • الله • خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق
لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من

النعوت

النعوت الجليلة عز وجل وقوله تعالى لا اله الا هو تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص
الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم
الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى • له الاسماء الحسنى • بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية
والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي
صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر والحسنى تأنيث
الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى وآياتنا الكبرى • وهل
اتاك حديث موسى • استئناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان
انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له انني انا الله لا
اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان
ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة والصبر
على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن
اقتحام المشاق وقوله تعالى • اذ رأى نارا • ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين رأى نارا كان كيت
وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اي اذكر وقت رؤيته نارا روي انه عليه السلام استأذن شعيبا
عليهما السلام في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي
طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد
ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك اذ رأى نارا على
يسار الطريق من جانب الطور • فقال لاهله امكثوا • اي اقيموا مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا
يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع اخر فانه مما لا يخطر
بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول
من قال • وان شئت حرمت النساء سواكم • اني آنست نارا • اي ابصرتها ابصارا بيّنا لا شبهة
فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر او المأمور به • لعلي آتيكم منها • اي
اجيئكم من النار • بقبس • اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المراد بالجذوة في سورة القصص
وبالشهاب القبس • او اجد على النار هدى • هاديا يدلني عن الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل
مبالغة او حذف منه المضاف اي ذا هداية او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا
يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها
شاغل والاول هو الاظهر لا ساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث
قيل لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء
في قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم عند الاصطلاء يكتنفونها
قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي
وهي اما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن
التصريح بما يوحشهم واما حال من فاعله اي فاذهب اليها لآتيكم او كي آتيكم او راجيا ان آتيكم منها
بقبس الآية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون • فلما اتاها • اي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى

تمامه
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

شجرة خضراء اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نارا بيضا تتقد كاضوء ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها
وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها قالوا النار اربعة اصناف صنف
ياكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا ياكل وهي نار الشجر الاخضر وصنف ياكل ويشرب
وهي نار جهنم وصنف لا ياكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا ايضا هي اربعة انواع نوع
له نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهي
نار موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم روي ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت
سمرة نودي يا موسى اي نودي فقيل يا موسى اني انا ربك او عومل النداء معاملة القول
لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتاكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي
انه لما نودي يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع
كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك
لان سماع ما ليس من شانه ذلك من الاعضاء ليس الا من اثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل
تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك
فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل
في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر
الوادي بقدميه تبركا وقيل لما ان نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل
والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات الامر ودواعيه
وقوله تعالى انك بالواد المقدس تعليل لوجوب الخلع المامور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك
من شرف البقعة وقدسها روي انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء الوادي طوى بضم الطاء
غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو
كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرة بعد اخرى وانا اخترتك
اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى فاستمع
لترتب الامر او المامور به على ما قبلها فان اختياره عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به
واللام في قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى
اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد من اعادة
الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا بدل من ما يوحى ولا ريب في ان اختياره
عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتب المامور به على ما قبلها
فان اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل واقم الصلوة
خصت الصلوة بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات
بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكري اي لتذكرني
فان ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة او لتذكرني فيها لاشتمالها على الاذكار او لذكري
خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا اخر او
لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري اياها وامري بها في الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل
لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوات او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن

صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري وقرئ لذكرى بالف التانيث
وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتذكير وقوله تعالى ان الساعة اتية تعليل لوجوب العبادة واقامة
الصلوة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض امر محقق متوجه
نحو المخاطبين اكاد اخفيها اي لا اظهرها بان اقول انها اتية ولولا ان في الاخبار بذلك من اللطف
وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح
الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه من الاضداد يجيء بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى لتجزى
كل نفس بما تسعى متعلقة باتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي
لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المامور بها وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه
لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده
للايذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات
سوء اختيار العصاة وبان المامور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان
على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما
يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة
الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخير لما ذكر من ان المقصود الاصلي من
ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرايع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم
الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين
بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما
بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع
فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره
من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل فلا يصدنك عنها اي عن ذكر الساعة
ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشان موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق
التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده لها
فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب
الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن
الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق
البرهاني وابطال للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم الخ فان صد الكافر حيث كان سببا
لانصداده عليه السلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من
باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين
الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عليه السلام كما في قوله لا ارينك ههنا فان المراد به
نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه اي ما يهواه نفسه من اللذات الحسية
الفانية فتردى اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك

لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر
مبتدا محذوف اي فانت تردى وما تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلف عليه السلام
من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما امر به من الشؤون الخاصة نفسه فما استفهامية في حيز الرفع
بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع
حالا اي وما تلك قارة او ماخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخا
وقيل تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على
ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التانيس والتنبيه قال هي عصاي نسبها الى
نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصي على
لغة هذيل اتوكأ عليها اي اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على راس القطيع واهش بها اي
اخبط بها الورق واسقطه على غنمي وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر
لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى فعلق بها ادواته من القوس والكنانة
والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليهما الكساء واستظل
به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة المآرب انها كانت
ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام
فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت
على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها
الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى
انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال
العليم الخبير قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عز وجل فقيل قال
القها يا موسى لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتاكيد التنبيه فالقاها
على الارض فاذا هي حية تسعى روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا
ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام
للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان
وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر
ثان عند من جوز كونه جملة قال استيناف كما سبق خذها ولا تخف عن ابن عباس رضي الله
عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفر وملكه ما يملك البشر
عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار بان عدم المنهي
عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المامور به فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه
استينافا مسوقا للتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها
وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه السلام وايذان بكونها مسخرة له عم
ليكون على طمانينة من امره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ
الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف
الى حيث كان يدخل يده في فمها وياخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة

وانتصابها على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية
اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت من
قبل تسير سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى منتفعا بها كما كنت منتفعا من قبل واضمم يدك الى
جناحك امر عليه السلام بذلك بعدما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اي ادخلها تحت
عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا
جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر وقوله تعالى بيضاء
حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة
من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روي
انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر آية
اخرى اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال
الاولى واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ
او دونك وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل
فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا
او نريك بذلك من آياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف
هو حال من ذلك المفعول واياما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل
عليه آية اي دللنا بها لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من نحو خذ ودونك كما
قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى عراء آية العصا عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص
الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب
اليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله تعالى انه طغى تعليل
للامر او لوجوب المامور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى
الربوبية قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين
امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل رب اشرح لي صدري ويسر
لي امري لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني وساله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق واحوال الخلق
حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها
بصدر فسيح وجاش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب
الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها
تاكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها وتكريرها
اظهار مزيد اعتناء بشان كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما واختصاصهما به
واحلل عقدة من لساني روي انه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره
وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته ونتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله
فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه
قيل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني

تمل الى الذى اراده وقد عجزت عنه واحلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى
قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح منى وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول
بانه لم يسال حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني
اى عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى يفقهوا قولى جواب الامر وغرضا من الدعا فبحلها
في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة اما قوله تعالى هو افصح منى
فلانه عليه السلام قاله قبل استدعاء الحل كما ستعرفه على ان افصحيته منه عليهما السلام لا تستدعى بقاءها
اصلا بل تستدعى عدم البقاء لما ان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك
مناف للعقدة ايضا وذلك مناف للعقدة راسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في
العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا
من الكثير وتعلق كلمة من في قولها تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها
بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشئ ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشئ ايضا باعتبار
ازالته عنه او ابتداء حصوله منه واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اى موازرا يعاوننى في
تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذى هو الثقل او ملجا اعتصم برايه على انه من الوزر وهو
الملجا وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها
في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذى هو قوله تعالى هرون اعتناء بشان
الوزارة ولى صلة للجعل او متعلق بمحذوف وهو حال من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلى
اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لى وزيرا وهرون عطف بيان للوزير ومن اهلى
كما مر من الوجهين واخى في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان اخر وقيل هما وزيرا من اهلى ولى
مبين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة
الاسمية ولا مساغ لجعل وزير مبتداء والخبر عنه بما بعده اشدد به ازرى واشركه في امرى
كلاهما على صيغة الدعا اى احكم به قوتى واجعله شريكى في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغى
وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك
في الامر بحيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا
غاية للادعية الثلثة الاخيرة فان كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الاخر مضاعفا
له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتاييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر
ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منهما
في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في
حالتى التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتاييد الاخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه
مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اى ننزهك
عما لا يليق بك من الصفات والافعال التى من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئة
الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال و
الجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل
من ان المعنى كى نصلى لك كثيرا ونحمدك ونثنى عليك فلا يساعده المقام انك كنت بنا بصيرا

اى عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان
هرون نعم الردء في اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل قال قد
اوتيت سؤلك اى اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول والايتاء عبارة
عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديرها حتما فكلها حاصلة
له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترتبا بعد كتيسير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد
عضدك باخيك وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف
قبول الدعاء وقوله تعالى ولقد مننا عليك كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس
موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه
وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك
اى وبالله لقد انعمنا مرة اخرى اى في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر من هذا فان اخرى
تانيث اخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية
كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من افراد ما له افراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا
لما في معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها ههنا
الوقت الممتد الذى وقع فيه ما سياتى ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى اذ اوحينا الى امك
ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبى في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى
الحواريين الاية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم واما الالهام كما في قوله تعالى
واوحى ربك الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سياتى من الامر بقذفه في التابوت و
قذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشانه ثم فسر ليكون عند النفس وقيل معناه ما ينبغى ان يوحى
ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحى وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحى
اذ لا تفخيم لشانه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة في المنام وان في قوله تعالى ان اقذفيه في
التابوت مفسرة لان الوحى من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء اى بان اقذفيه ومعنى القذف
ههنا الوضع واما في قوله تعالى فاقذفيه في اليم فالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا
خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه بالساحل
امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب
مخرج الامر والضماير كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت
اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك ياخذه عدو لى وعدو له
جواب الامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر
فيه ولا تضره بل تؤدى الى المحبة فان الامر بما هو سبب الهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه
في يد عدو الله تعالى وعدوه بلحن مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صورى وقيل الاول
باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلى
الساحل من البحر بحيث يجرى ماؤه الى نهر فرعون لما روى انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه
ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة في
البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع اسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس

وجمعا فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى والقيت عليك محبة
مني كلمة متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي
محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله
وآله وقيل هي متعلقة بمحذوف هو صفة بالقيت اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة
وقوله تعالى ولتصنع على عيني متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو
والشفقة بمراقبتي وحفظي او بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتداة اي ولتصنع على
عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب اي
وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لتصنع على ان المراد به وقت
وقع فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القبول والرجع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو
المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى
وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سياتي من
قوله تعالى ونجيناك من الغم الخ فان جميع ذلك من المنن الالهية ولا تعلق لشيء منها بالصنع المذكور واما كونه
ظرفا لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم آثار القائها
ظهر عند فتح التابوت فتقول اي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة تقبل ثديها
وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل ادلكم على من يكفله اي يضمه الى
نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها يروى انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما في
النيل لا يرتضع ثدي امراة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة
فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى فرجعناك الى امك
فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك
اليها كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن اي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك ولا فزوال الحزن مقدم على
السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها وقتلت
نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فنجيناك من الغم اي غم قتله خوفا من عقاب الله
تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء عنه بالمهاجرة الى مدين وفتناك فتونا اي ابتليناك
ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في
بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف
والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي ان سعيد بن جبير سال عنه ابن عباس رضي الله عنهم فقال خلصناك
من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير فالقته امه في البحر وهم فرعون
بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند
كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها
من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام الى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى
فلبثت سنين في اهل مدين اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول
اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه عليه السلام في
تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحدة منها فتنة واي فتنة ومدين

بلدة شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر ثم جئت اي الى المكان الذي اونس فيه النار ووقع فيه
النداء والجواب وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق
الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر اي تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت
قد عينته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان
يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو راس اربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام
وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى و
اصطنعتك لنفسي تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا باخيه
حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة تاكيدا لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة
وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه
لبعض اموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيريه السابقين تمهيد
لافراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص اي اصطفيتك برسالاتي
وبكلامي وقوله تعالى اذهب انت واخوك اي وليذهب اخوك حسبما استدعيت استيناف
مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع باياتي اي بمعجزاتي التي اريتكهما من اليد والعصا فانهما وان
كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب
العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى و
كونه مع ذلك مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية اخرى ثم انقلابها عصا
آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية اخرى
والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء
احكام الرسالة واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها او ايصالها اليه ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ
لا تنيا بكسر التاء للاتباع في ذكري اي بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ
رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فان الذكر يقع على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها
وقيل لا تنسياني حيثما تقلبتما واستمدا به العون والتاييد واعلما ان امرا من الامور لا يتاتى ولا يتسنى الا
بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال
في صيغة النهي يروى انه اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى عليهما السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه
انه طغى تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه
فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تعنفا
في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فانها دعوة في صورة عرض
ومشورة ويرده ما يجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو
العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ولا يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا
لا يزول الا بالموت وقرئ لينا لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه او
يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اي فقولا له قولا لينا راجين ان يتذكر او
يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد
بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة قالا

ربنا اسند القول اليهما مع ان القايل حقيقة هو موسى عليه السلام بطريق التغليب ايذانا باصالته في
كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام له في كل ما ياتي ويذر ويجوز ان يكون هرون قد قال ذلك بعد
ملاقيتهما فحكى ذلك مع قول موسى عليه السلام عند نزول الاية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
فان هذا الخطاب قد حكى لنا بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة
اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب انا نخاف ان يفرط علينا اي يعجل علينا بالعقوبة ولا
يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط
من افرطه اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على
المعاجلة بالعقاب او ان يطغى اي يزداد طغيانا الى ان يقول في شانك ما لا ينبغي لكمال جراته
وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر و
الاشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال استيناف مبني على السوال الناشي من النظم الكريم ولعل
اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق اخر فان ما قبله من الافعال الواردة
على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سياتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى
فان ما قبله ايضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند
تضرعهما اليه فقيل قال لا تخافا مما توهمتما من الامرين وقوله تعالى انني معكما تعليل لموجب
النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبي عنه قوله تعالى اسمع وارى اي
ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير و
يجوز ان لا يقدر شي على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت
النصرة غايتها فاتياه امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امر بالذهاب اليه فلا تكرار
وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك امر بذلك تحقيقا للحق
من اول الامر ليعرف الطاغية شانهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء
في قوله تعالى فارسل معنا بني اسرائيل لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما
يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية
لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبي عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اي بابقائهم على ما كانوا
عليه من العذاب فانهم كانوا عليه من العذاب تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال
الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون
عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين رسالتهما وبين ذكر المجي باية دالة على صحتها
لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه
بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجي الاية
نوع طول كما ترى فتاخير ذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل
على ان تخليص المومنين عن الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا قد جئناك باية من ربك
تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالاية
من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع
الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتاكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الاية مع تعددها

قد جئتكم ببينة وقوله تعالى

لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى اولو جئتك بشي مبين واما
قوله تعالى فات باية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها اية من الايات والسلام المستتبع لسلامة
الدارين من الله تعالى والملكة وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق ايات الله تعالى الهادية
الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى انا قد اوحي الينا من جهة ربنا ان
العذاب الدنيوي والاخروي على من كذب اي باياته تعالى وتولى اي اعرض عن قبولها وفي
فيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه قال اي فرعون بعد ما
اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به
من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به فمن ربكما يا موسى لم يضف الرب
الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك باية من ربك لغاية عتوه و
نهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى
للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار هاهنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون
لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السوال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما رسولي
ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه
الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام رتة فاراد
ان يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد
يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما سياتي قال اي موسى عليه السلام مجيبا له ربنا اما مبتدا وقوله تعالى
الذي اعطى كل شي خلقه خبره او هو خبر لمبتدا محذوف والموصول صفته وايا ما كان فلم يريدا بضمير
المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز
الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شي من الاشياء خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص
والمنافع اي اعطى مخلوقاته كل شي تحتاج هي اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى
كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمراة ولم يزوج
شيا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف
اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شي خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطايه وانعامه
او للاختصار مع كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شي خلقه تعالى ما يحتاج اليه ثم هدى
اي الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقايه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات
او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء
وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ايداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط
بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه على نمط رايق واسلوب لايق حيث بين انه تعالى
عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله
تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث
ركب فيه العقل وساير المشاعر والالات الظاهرة والباطنة قال فما بال القرون الاولى لما شاهد
اللعين ما نظمه عليه السلام في سلك الاجوبة من البرهان النير على الطراز الرايع خاف ان يظهر للناس
حقية مقالاته عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه

الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة
فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى
عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة
وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم
وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربي فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله
تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر
من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله
والسلام الآتيين في كتاب اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه
وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى لا يضل ربي ولا
ينسى اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول
لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء او بقاء واظهار ربي في موقع الاضمار
للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان
حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها
مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما
سيأتي من الالتفات الذي جعل لكم الارض مهدا على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب
عليه او خبر مبتدأ محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول
وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم وسلك
لكم فيها سبلا اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر
لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها وانزل من السماء ماء هو المطر فاخرجنا به اي بذلك
الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة
على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشان تنقاد لامره وتذعن لمشيئته
الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله
تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قيل
الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فالحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع
كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ازواجا
اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا اي
كائنة من نبات وكذا قوله تعالى شتى اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه
في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع
بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق
عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم و
قوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف
النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين في ذلك ان
في ذلك اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته

في الكمال والكبر في قوله تعالى لآيات للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون
الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام لاولي النهى جمع نهية
سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اي
لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئته الباغية وتخصيص
كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها منها خلقناكم اي في ضمن خلق ابيكم
آدم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة
على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان
آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية
المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود
فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار
كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة
المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم
من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو
الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية
لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام بجلائل نعمائه الداعية الى قبول
الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة
نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين
وتماديه في المكابرة والعناد اي وبالله لقد بصرنا فرعون او عرفناه آياتنا حين قال لموسى عليه السلام
ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما آيتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل
منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك بآياتي وقد ظهر عند
فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء فانه روي انه عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر
فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون
فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون
يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء
قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك
الخ ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع
الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة
صراحة اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه آياتنا بجميع مستتبعاتهما وتفاصيلهما قصدا
الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عليه السلام
بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة
مترتب على هذه الآيات وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر
بعد مهلكهم من الآيات الظاهرة لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء اريد به الحجر الذي فر بثوبه او الذي

انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الايات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام
اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب عليه عليه السلام فان حكايته عليه السلام
اياها لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سياتي من حمل ما اظهره عليه السلام على السحر والتصدي للمعارضة
بالمثل يأباه اباء بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز جعل ما فصله عليه السلام من
افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية واحكامها من جملة الايات فكذب موسى عليه السلام من
غير تردد وتاخير مع ما شاهد في يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا وابى الايمان
والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالايات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تع
قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استيناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة
لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجيء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدي
له اي اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من
السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت
لموسى عليه السلام بابراز ان مراده عليه السلام ليس مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط
من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة و
المخاصمة وسمى ما اظهره عليه السلام من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه
بمثل ما اتى به عليه السلام فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب
قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا اي وعدا
كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى لا نخلفه فان المناسب له لا المكان والزمان اي لا نخلف ذلك الوعد
نحن ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف
القلب وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب الات
المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط كلمة النفي بينهما
للايذان بمسارعته الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عليه السلام ولذلك
اكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل
من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فح يكون طابقه الجواب في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة
من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم
مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان
المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى
في الشذوذ وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل
عام وانما خصه عليه السلام بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم
لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على
رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ
على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم فتولى
فرعون اي انصرف عن المجلس فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة وادواتهم ثم اتى اي الموعد ومعه
ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأي وبلعثم وقوله تعالى قال

لهم موسى الخ بطريق الاستيناف المبني على السؤال يقضي بان المترقب من احواله عليه السلام و
المحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عليه السلام من الكلام واما اتيانه اولا فامر محقق
غني عن التصريح به كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل
قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته التي ستظهر على يدي سحرا
كما فعل فرعون فيسحتكم اي يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من
الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من افترى اي على الله كائنا من كان
باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا او وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا امثاله
في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها فتنازعوا اي السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام
كان ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذي اريد منهم من مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا
بينهم في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في ذلك واسروا النجوى اي من موسى
عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق التناجي و
الاسرار ان هذان لساحران الخ فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه اراؤهم
بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان
وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث
ابن كعب فانهم يعربون المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها و
قيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتداء وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتداء وقيل اصله انه
هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران
وهي قراءة واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اي ارض مصر بالاستيلاء عليها بسحرهما
الذي اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب وامثلها باظهار
مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه
دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب
علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها بسحرهما الذي اظهراه من قبل
ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب تمكنا وتصرفا فكيف يتصور نقل بني
اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه
التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد
ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب
بهم الى الشام وهم امنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم
لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزية فيه وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم
تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان
بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم
وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات
سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفا اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل
في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة

واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من
الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثين الفا والله اعلم
ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر اخر منه
ثم امروا بان ياتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه في الاعياد والصلوات
ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعين المكان
الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما
قبله من الامر اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب
حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب اطراف
النظم الكريم وقد قيل نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل
كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من
السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه ويحمل قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا
فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت اراؤهم على ذلك
وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم
عن الاختلاف وامروهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة
النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين
السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعدما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وانما لم يتعرض
لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهورهما وغنائهما عن البيان اما ان تلقى
اي ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او بفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزلة اللازم
واما ان نكون اول من القى ما نلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه عليه السلام بما ذكر مراعاة
للادب لما راوا منه عليه السلام ما راوا من مخايل الخير ورزانة الرأي واظهار الجلادة باراءة انه لا
يختلف حالهم بالتقديم والتاخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف
اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا قال استئناف كما سلف ناشئ من
حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال بل القوا انتم اولا مقابلة
للادب باحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومسلمة
لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفدوا اقصارى وسعهم
ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه للعلم انما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون
من مكايد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم
الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق
انها ظرفية تستدعي متعلقا ناصبا لها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة والجملة
ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى عليه السلام وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك
انهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل
بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل اشتمال وقرئ تخيل باسناده اليه تع

وقرئ تخيل بحذف احدى التاءين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر فيها بعض خوف من
مفاجاته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل
من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا
لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته
على ابلغ وجه واكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو
المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف
وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة
للاثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لاثار غريبة وعدم
مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع اخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هذا
وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه
بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر من تين على
ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان و
قوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتانيث
لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير
عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى
التاءين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما
في حيزها التعليل موجبة ببيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي
منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه السلام لم
يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام والا لعلل بما يزيله من الوعد بما
يوجب ايمانهم واتباعهم له عليه السلام وقوله تعالى ان ما صنعوا الخ تعليل لقوله تعالى تلقف ما
صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على
انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه
مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او على تسمية
الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان واين
اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان
بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة معربة عن محذوف ينساق اليه
النظم الكريم غنيين عن التصريح به لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر واستحالة
عدم وقوع اللقف للموعود اي فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان
ذلك ليس من باب السحر وانما هو اية من ايات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت
الالات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الالات فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع
القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على
وجوههم وتابوا وامنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار والثواب
والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم

انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل لهم باعتبار صدوره وهذا القول عنهم
قالوا استيناف كما مر غير مرة امنا برب هرون وموسى تاخير موسى عند حكاية كلامهم لمراعاة
الفواصل وقد يجوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون عليه السلام واما للمبالغة
في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام في صغره
فلو قدموا موسى لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال اي فرعون للسحرة
امنتم له اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان اذن
لكم اي من غير ان اذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان اذنه لهم
في ذلك واقع بعده او متوقع انه يعني موسى عليه السلام لكبيركم اي في فنكم واعلمكم به واستاذكم
الذي علمكم السحر فتواطاتم على ما فعلتم او علمكم شيا دون شي فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها
اللعين والقاها على قومه واراهم ان الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم
من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في
الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن اي فوالله لاقطعن ايديكم و
ارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائيه كان القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو
فان المبتدئ من المعروض مبتدئ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها
مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب
السياسة لا لانها اقطع من غيرها ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم
عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول
من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئا بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد به نفسه وموسى
عليه السلام لقوله تعالى امنتم به قبل ان اذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا
اما لقصد توضيع موسى عليه السلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شي واما لارادة ان ايمانهم لم
يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عليه السلام حيث راوا ابتلاع
عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد رب موسى الذي امنوا به بقولهم امنا
برب هرون وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا غير مكترثين بوعيده لن نؤثرك ان
نختارك بالايمان والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات
من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه
فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلايلها ودقايقها والذي فطرنا اي خلقنا وساير المخلوقات وهو عطف
على ما جاءنا وتاخيره لان ما في ضمنه اية عقلية نظرية وما شاهدوه اية حسية ظاهرة وايراده تعالى
بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته
مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله امنتم له قبل
ان اذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا مساغ
لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى
فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم
ما انت حاكم به وقوله تعالى انما تقضي هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد

مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في مدة الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة
في عذبها ولا رهبة من عذابها انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا
بها في الدار الاخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى نتاثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى
وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى
عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المداين القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم اظهارا
لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار منه
مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل اراد والاكراه على تعلم السحر حيث
روي ان روساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون
اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نايما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه
فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه وياباه تصديهم للمعارضة
على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا
لنحن الغالبون والله خير اي في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا وابقى اي جزاء
ثوابا كان او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى انه الى اخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه
تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشان للتنبيه على فخامة
مضمونهما لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير
فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند
وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا اي قوله تعالى من يات ربه مجرما بان مات على
الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى
حيوة ينتفع بها ومن ياته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه
قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا يذكر غالبا مع الموصوف
وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها
كما ان الافراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد
منزلتهم اي فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة
الدرجات العلى اي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل
الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى
لا بالثواب مطلقا وهل التشاجر الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى او بيان وقد مر
ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة فقوله تعالى تجري من تحتها الانهار حال من الجنات و
قوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك
اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من
تزكى اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه
تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله
اينا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الايات الثلث ابتداء كلام الله عز وجل قالوا ليس في القران
ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار ولقد اوحينا الى موسى

حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوى في البين ذكر ما جرى عليهم من الايات المفصلة
الظاهرة على يد موسى عليه السلام بعدما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة
الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان في قوله تعالى ان اسر بعبادي اما
مفسرة لان الوحي فيه معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباد الله
تعالى لاظهار المرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم
وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل اي وبالله لقد اوحينا اليه عليه السلام ان
اسر بعبادي الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اي سر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم اي
فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ
يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده
حسب تعدد الاسباط لا تخاف دركا حال من المامور اي امنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى
لطريقا والعايد محذوف وقرئ لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي
ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استيناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق
كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه
من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اي تبعهم ومعه جنوده حتى
لحقوهم يقال اتبعتهم اي تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من
الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زايدة والمعنى فاتبعهم
فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم واياما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية
ظهوره وايذانا بكمال مسارعة عليه السلام الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب
الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روي ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل
وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة
الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر فانفلق
على اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام بمن معه من الاسباط سالمين و
تبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما لا يعلم كنهه من الامر
الهايل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل
والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي
غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة
وياباه الاظهار في قوله تعالى واضل فرعون قومه اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة و
الخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهايل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد
الاخروي وقوله تعالى وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب
الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتاكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه
نوع تهكم به في قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور
منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص
بالديني منهما ياباه مقام بيان سوقه بجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة عن

الاضلال

الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد
اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعدما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية
ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى
قد من عليهم بما فعل بابائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سياتي من قوله تعالى وما اعجلك الاية ضرورة
استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل قد
انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ انجيتكم ونجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على
انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك
من مصر الى الشام اي اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التوراة عليه ونسبت المواعدة اليهم مع
كونها لموسى عليه السلام نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه
كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق والمصور
بالذات هو ادم عليه السلام وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين
والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع
وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا من طيبات ما رزقناكم جملة مستانفة مسوقة
لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اي من لذايذه او حلالاته
وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب
ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف و
البطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي فيلزمكم عقوبتي ويجب لكم من حل الدين
اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية
وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها
الطغيان فيما ذكر وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع
والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى
اي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي وما
اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء
موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي وقلنا له اي شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما
ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من
مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مامورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس
العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللايق باولي العزم ولذلك اجاب
عليه السلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم
معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد
به فيما بين الرفقة اصلا وبعدما ذكر عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضي
حيث قال وعجلت اليك رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك
وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر قال استيناف مبني على سؤال

نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم الى
الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه
حينئذ فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم
وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر
الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار
بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من
حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام
ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه
الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن
المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة
عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند
الاخبار بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل
والسامري منسوبة الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل
باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى
الى قومه عند رجوعه المعهود اي بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة
فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان
اسفا لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر
مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا طلت شايعت الحجاج ودعوت
لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء
وان سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب
وقيل الحزين قال استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم
فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى
والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه واكده اي وعدكم بحيث لا سبيل
لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار
المعطوف ونفيه فقط اي اوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل
اي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم اي من مالك امركم على الاطلاق
فاخلفتم موعدي اي وعدكم اياي بالثبات على امركم الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر الى
مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث
اضافته عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من طرفي الترديد
على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطأ ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه
عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في
موعدي لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك
اي وعدنا اياك الثبات على امرنا بروايتنا على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر انفا

بملكنا اي بان ملكنا امورنا بعنوان انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله
مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت
الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ
وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر
باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على
امرهم وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات
وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها وكذلك
اي ومثل ذلك القذف القى السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه
من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سياتي روي
انه قال لهم انما تاخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالراي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها
كل ما معنا ففعلوا فاخرج اي السامري لهم للقائلين عجلا من تلك الحلي المذابة وتاخيره
مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه
من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا اي جثة ذا دم ولحم
او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت عجل نعت له فقالوا
اي السامري ومن افتتن به اول ما راه هذا الهكم واله موسى فنسي اي غفل عنه وذهب يطلبه في
الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب
الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان
الاخراج والقول المذكورين للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة
بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة المعتذرين
فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل
وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل
واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا بامر كنا نملكه بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث
فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم
مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا يرون
الخ انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر
الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو اتخاذه الها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا
يتفكرون فلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف
يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال
اليقين اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه
امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى ولا
يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع
عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه ولقد قال
لهم هرون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم

على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر
من قبل رجوع موسى عليه السلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري
كانه اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم
انما فتنتم به اي اوقعتم في الفتنة بالعجل او ضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل
بالقياس الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد اخر على معنى انما فعل بكم
الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان ربكم الرحمن بكسر
ان عطف على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء
باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن
لا غير والفاء في قوله تعالى فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اي اذا كان
الامر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين واطيعوا امري هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شانه
قالوا في جواب هرون عليه السلام لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين
حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق
الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام
لا يرجع بشيء مبين تعويلا على مقالة السامري روي انهم لما قالوا اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني
عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون
حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله
تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال
موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعدما شاهد منهم فقيل قال له وهو مغتاظ
قد اخذ بلحيته وراسه يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان
شافهوك بتلك المقالة الشنعاء الا تتبعن اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان
لمنع وعامل في اذ اي اي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة
مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك
ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فيكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه ان نصائح هرون عليه السلام حيث
لم يزجرهم عما كانوا عليه فلان لا يزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا انه
يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن ذلك بمعزل
من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام افعصيت
امري اي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فان قوله عليهما السلام اخلفني متضمن للامر بهما
حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للانكار
التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم تتبعني او اخالفتني فعصيت امري قال
يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان
الجمهور على انهما كانا شقيقين لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي روي انه عليه السلام
اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام
حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى اني خشيت

الخ استيناف سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل
به اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا او تفرقوا ان تقول فرقت بين بني اسرائيل برايك
مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق
ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي يريد به قوله عليه السلام اخلفني
في قومي واصلح الخ يعني اني رايت ان الاصلاح في حفظ الدهماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك
استانيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رايت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف
كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال استيناف وقع جوابا عما نشأ
من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامري واعتذار هرون عليه السلام كانه قيل
فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامري
فقيل قال موبخا له هذا شانه فما خطبك يا سامري اي ما شانك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه
عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا
للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم قال اي السامري مجيبا له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا
به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في الاول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب
موسى عليه السلام وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت ما لم يفطنوا له او رايت ما لم يروه وهو
الانسب بما سياتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم
يعلمه موسى عليه السلام جراءة عظيمة لا تليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه
السلام فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان راى ان جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما
رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له شانا فاخذ
من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول
اي من تربة موطئ فرس الملك الذي ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة
للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تاكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على
وقت ما اخذ والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض
كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف
الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اي في الحلي المذابة مكان ما كان وكذلك سولت لي
نفسي اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل كذلك
في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لي نفسي تسويلا
كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تاكيد ما افاده
اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي
ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى
النفس الامارة بالسوء واغوائها لا لشيء اخر من البرهان العقلي والالهام الالهي فعند ذلك قال ع م
فاذهب اي من بين الناس وقوله تعالى فان لك في الحياة الخ تعليل لموجب الامر وفي متعلقة
بالاستقرار في لك اي ثابت لك في الحياة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار
في الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدا معنى لا بقوله تعالى ان تقول لا مساس لمكان ان اي

ثابت لك كما في الحيوة اي مدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب
التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه
احد كائنا من كان الا حمّ من ساعته حتى شديد تحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه لا مساس
وحرّم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس او حش من
القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قوم باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ
لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة
التضاد فانه لما انشاء الفتنة بما كانت ملابسة سببا للحيوة التي هي من اسباب موت الاحياء • وان
لك موعدا • اي في الاخرة • لن تخلفه • اي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك
في الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول
الله عز وجل • وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا • اي ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام
الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها • لنحرقنه • جواب قسم محذوف اي بالنار ويؤيده
قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه
• ثم لننسفنه • اي لنذرينه وقرئ بضم السين • في اليم • رمادا او مبرودا كانه هباء • نسفا • بحيث
لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حسبما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها
على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين • انما الهكم الله • استيناف مسوق لتحقيق الحق
اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اي انما معبودكم المستحق للعبادة الله • الذي لا اله
في الوجود لشيء من الاشياء • الا هو • وحده من غير ان يشاركه شيء من الاشياء بوجه من الوجوه التي من
جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى • وسع كل شيء علما •
اي وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذي وسع كل شيء علما لا غيره كائنا ما كان
فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسّع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى
فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع علمه كل شيء وبه
تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى • كذلك
نقص عليك • كلام مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من
انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اي نقص عليك
• من انباء ما قد سبق • من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصا مثل ذلك القص المار والتقديم
للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار
مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي جمع دون
ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه في تفسير
قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتاخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
اي مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا
لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من امتك • وقد اتيناك من لدنا ذكرا • اي كتابا منطويا
على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة باتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره

عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما وقرانا كريما جامعا لكل كمال
لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم
الكريم • من اعرض عنه • عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما
شرطية او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا • فانه • اي المعرض عنه • يحمل يوم القيمة وزرا • اي عقوبة
ثقيلة فادحة على كفره وساير ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها
بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سياتي من
تسميتها حملا وقوله تعالى • خالدين فيه • اي في الوزر او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل و
الجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضماير
الثلثة بالنظر الى لفظها • وساء لهم يوم القيمة حملا • اي بئس لهم فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم
محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كانه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم
واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر • يوم ينفخ في الصور • بدل من يوم القيمة او منصوب
باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما
له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته • ونحشر
المجرمين يومئذ • اي يوم اذ ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ
المجرمون • زرقا • اي حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوء الوان العين و
ابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد
واصهب السبال وازرق العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى • يتخافتون بينهم • اي يخفضون
اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استيناف ببيان ما ياتون وما يذرون حينئذ
او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة • ان لبثتم • اي ما لبثتم في الدنيا • الا عشرا •
اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا
الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر وهو الانسب
بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون
من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعته وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا
فحالهم اقطع من ان يمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتاسف عليها • نحن
اعلم بما يقولون • وهو مدة لبثهم • اذ يقول امثلهم طريقة • اي اعدلهم رايا او عملا • ان لبثتم الا يوما •
ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على
شدة الهول • ويسئلونك عن الجبال • اي عن مآل امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو امكة
على طريق الاستهزاء • فقل ينسفها ربي نسفا • اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء
للمسارعة الى الزام السائلين • فيذرها • الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف و
هي مقارها ومراكزها اي فيذرها ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح ساير اجزاء الارض بعد نسف ما نتا
منها ونشز واما الارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل
• قاعا صفصفا • لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح ساير اجزاء الارض فقد جعل الكل

سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوى الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء
والصفصف الارض المستوية الملساء كأن اجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب
او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثانى وقوله تعالى
لا ترى فيها اى فى مقار الجبال او فى الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اى اعوجاجا
ما كان لغاية خفائه من قبيل ما فى المعانى اى لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اى نتوءا يسيرا
استيناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى
منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع
ما فيه من طول ربما يخل تقديمه يومئذ اى يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف
وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعى وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك ان يتبع الناس داعى الله عز وجل
الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها
العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومى الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا
عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اى خفضت لهيبته فلا
تسمع الا همسا اى صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى
المحشر يومئذ اى يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن
له الرحمن ان يشفع له ورضى له قولا اى ورضى لاجله قول الشافع فى شأنه او رضى قوله لاجله وفى شأنه
واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة
الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لما ان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا
يملكها ولا تصدر هى عنه اصلا كما فى قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن
له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن فى الشفاعة
لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اى ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم
وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الاخرة ولا يحيطون به علما اى لا يحيط علومهم بمعلوماته تعالى
وقيل بذاته اى من حيث اتصافه بصفات الكمال التى من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين
او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحى القيوم اى ذلت
وخضعت خضوع العناة اى الاسارى فى يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين
كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم
يتب وهو استيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه
ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات الخ قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما
انه كذلك على الوجه الاول اى ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين فى
تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الحسنات
فلا يخاف ظلما اى منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء

ظلم

ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهى وكذلك عطف على كذلك
نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيمة واهوالها
اى مثل ذلك الانزال انزلناه اى القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شأنه وكونه
مركوزا فى العقول حاضرا فى الاذهان قرآنا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال
على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اى كررنا فيه
بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا لعلهم يتقون اى كى يتقوا الكفر والمعاصى بالفعل
او يحدث لهم ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى
ولشؤونه التى يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهى والوعد والوعيد وغير ذلك اى ارتفع بذاته وتنزه
عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى
وعده ويخشى وعيده الحق فى ملكوتيته والوهيته لذاته او الثابت فى ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من
قبل ان يقضى اليك وحيه اى يتم وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليهما
السلام الوحى يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقى والحفظ فنهى عن ذلك اثر ذكر
الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ فى الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل
التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل اى فى نفسك
رب زدنى علما اى سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه
نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتى بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب
فى صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى آدم كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد
فى القرآن وبيان ان اساس بنى آدم على العصيان وعرقه راسخ فى النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود فى
قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم
اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اى واقسم
او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اى من قبل هذا الزمان فنسى اى العهد ولم يعن
به حتى غفل عنه او ترك ترك المنسى عنه وقرئ فنسى اى نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأى
وثبات قدم فى الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام
فى بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبى صلى الله
عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على
الذنب فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمى فله عزما مفعولاه قدم الثانى
على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول وليس
فى الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كأنه قيل ولم يصادف له عزما وقوله تع
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع فى بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم اى واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر
بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة فى ايجاب ذكرها فان الوقت
مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهانى

ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب بوجودها
العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس
قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستانفة وقعت جوابا عن سوال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده كانه
قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع
الساجدين او غير منوي راسا بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بالنصحه
يا ادم ان هذا الذي رايت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن سببا لاخراجكما
من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني
كما في قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى
جواب للنهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامور
واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي
المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى
تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي
البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عليه السلام فيها تنعما
بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب
في البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور
المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي اليها على ان
الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى
ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع
اخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الخ انه لا يصيبه شيء من الامور الاربعة
اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد يحصل بعد عروض اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس
والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل الى شيء من الامور المذكورة تمتع به من غير ان
يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر انفا وفصل الظماء عن الجوع في الذكر مع
تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة
الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظماء لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة
وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد
من الامور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية
لنفي بعض اخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على
ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع
وقوعها خبرا لها لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف
مناط التحقيق فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة
من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان
مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما
تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما

المكسورة

للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المأولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة
حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق مع اختلاف
المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان
كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء
احكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي
التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظماء خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عدم
تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظمائك على التحقيق
فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته او اسرها اليه قال اما بدل من وسوس او استئناف
وقع جوابا عن سوال نشأ منه كانه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد
اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او
تكونا من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى ادم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى
ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي
الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده
عن امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه
لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعته او من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل
الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب
عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اي الى الثبات
على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استئناف مبني على سوال نشأ من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه
كانه قيل فماذا قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اي انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض
عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشأ الاولاد اي متعادين في امر
المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما ياتينكم مني هدى من كتاب ورسول فمن اتبع
هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى للتشريف والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا
يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى الذاكر لي والداعي الي
فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ
ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها
وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للاخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشوم الكفر ويوسع ببركة
الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب امنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو
الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا
على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم

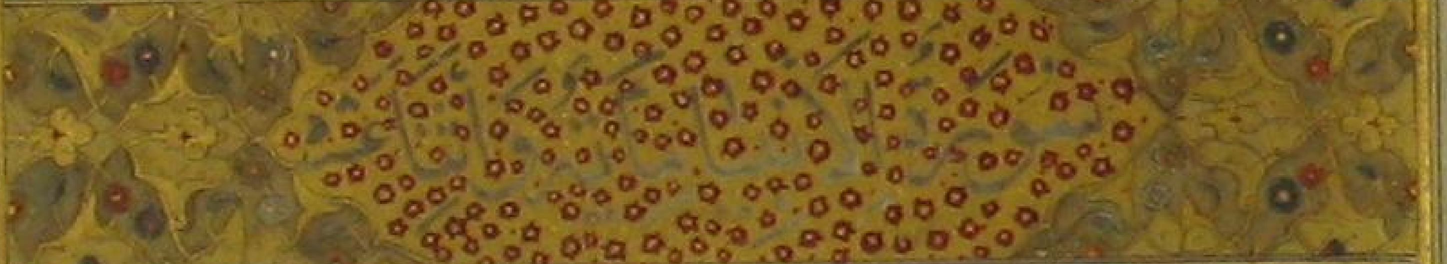
يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استيناف كما مر رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا اى في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه
راس الاية ومحل الوقف قال كذلك اى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله تعالى اتتك اياتنا واضحة نيرة
بحيث لا تخفى على احد فنسيتها اى عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذى لا يذكر اصلا وكذلك ومثل
ذلك النسيان الذى كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا ابدا كما
قيل بل الى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا
فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وكذلك اى
مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزى من اسرف بالانهماك في الشهوات ولم يومن بايات ربه بل كذبها
واعرض عنها ولعذاب الاخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد وابقى اى من ضنك العيش او منه ومن
الحشر على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من قوله
تعالى وكذلك نجزى الاية والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية
باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياما كان
فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مال امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله عز وعلا
اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الاية وقيل الفاعل الضمير العايد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة
بنون العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا الخ اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف هكذا
قيل والاوجه ان لا يلاحظ له مفعول كانه قيل افلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا
الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم اى كم قرنا كائنا من القرون
وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال من القرون او من مفعول اهلكنا اى اهلكناهم وهم في حال امن وتقلب
في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من اصحاب
الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لاثار
هلاكهم مع ان ذلك مما يوجبان يهتدوا الى الحق معتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون
على البناء للمفعول اى يمكنون من المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك
اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شانه في بابه لايات
كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذن هو هاد واى هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية
فانهم لاولى النهى لذوى العقول الناهية عن القبائح التى من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بايات
الله تعالى والتعامى عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول
وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستانف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به
قوله تعالى افلم يهد لهم الاية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اى ولولا الكلمة السابقة وهى
العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الاخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم
لزاما اى لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتاخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تلويح بان ذلك التاخير لتشريفه عليه
السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به

مبالغة

مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل مسمى عطف على
كلمة اى ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تاخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف
عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الاى
الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العايد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر
منزلة التاكيد اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كداب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل
المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون اى اذا كان الامر على ما ذكر من ان تاخير عذابهم ليس
باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم
بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبسا بحمد ربك اى صل وانت حامد
لربك الذى يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشانه
الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى
قبل طلوع الشمس الخ فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر وقبل غروبها يعنى صلوتي
الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعها لمناسبة لقوله تعالى قبل طلوع الشمس وقيل صلوة
العصر ومن اناء الليل اى من ساعاته جمع انى بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسبح اى فصل
والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان الوقت فيهما اجمع والنفس
الى الاستراحة اميل فيكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطا واقوم قيلا
واطراف النهار تكرير لصلوتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع
لامن الالباس كقوله من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول
من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار
لعلك ترضى متعلق بسبح اى سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك
وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اى لا تطل
نظرهما بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى ازواجا منهم اى
اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منهم اى
الى الذى متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه معنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف
الموصوف كما مر مرارا زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اى اعطينا او به على
تضمين معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهى الزينة والبهجة وقرئ
زهرة بفتح الهاء وهى لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء
زيهم بخلاف ما عليه المومنون الزهاد لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جئ به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته
مالا اثر اظهار بهجته حالا اى لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه
ورزق ربك اى ما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى خير مما منحهم
في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مامون الغائلة بخلاف ما منحوه وابقى
فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا وامر اهلك بالصلوة امر عليه السلام بان
يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم
ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بامر

المعاش لا نسئلك رزقا اى لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك
بامر الاخرة والعاقبة الحميدة للتقوى اى لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روى انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا
هذه الاية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التى امر عليه السلام بالصبر عليها
اى هلا يأتينا بآية تدل على صدقه فى دعوى النبوة او بآية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم
يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التى تخر لها صم الجبال من قبيل الايات حتى اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعا
وقوله تعالى اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى اى التورية والانجيل وساير الكتب السماوية رد من
جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار اتيان الاية باتيان القران الكريم الذى
هو ام الايات واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من الامور
الخارقة للعادات اى امر كان ولا ريب فى ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال
ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والاخرين على يد امى لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا
من اهلها اصلا فاى معجزة تراد بعد وروده واى اية ترام مع وجوده وفى ايراده بعنوان كونه بينة لما فى
الصحف الاولى من التورية والانجيل وساير الكتب السماوية اى شاهدا بحقية ما فيها من العقايد الحقة
واصول الاحكام التى اجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما نطق به من انباء الامم من حيث انه غنى باعجازه
عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق
لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة
للبينة والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل الم يأتهم ساير الايات
ولم تأتهم خاصة بينة ما فى الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم
انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار ساير الايات مكابرة وعنادا وقرى اولم يأتهم بالياء التحتانية وقرى
الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب الى اخر الاية جملة مستأنفة سيقت
لتقرير ما قبلها من كون القران اية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو
انا اهلكناهم فى الدنيا بعذاب مستأصل من قبله متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اى
بعذاب كاين من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا اى يوم القيمة ربنا لولا
ارسلت الينا فى الدنيا رسولا مع كتاب فنتبع اياتك التى جاءنا بها من قبل ان نذل بالعذاب
فى الدنيا ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك
قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء قل لاولئك الكفرة المتمردين كل اى كل
واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤل اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرى فتمتعوا فستعلمون
عن قريب من اصحاب الصراط السوى اى المستقيم وقرى السواء اى الوسط الجيد وقرى السوء والسوى
تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن فى الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرهما
ما بعدهما والجملة سادة مسد مفعولى العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم
العايد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على
اصحاب او على الصراط وقيل العايد فى الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطى يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل

الجنة من القران الا سورة طه ويس



اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال
ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذى ينصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه
فى ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولساير ما فيها من الاحوال
والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل
وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم
رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما
فى الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم و
شوقا اليه وجعلها تأكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم
اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام وانما الذى
يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفى اسناد
الاقتراب المبنى على التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من
تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شىء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة
ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه فى كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه
فى الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل
او باعتبار ان كل ات قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضى ولا حاجة اليه
فى تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا فى نفسه ايضا فيصار الى التوجيه بالوجه الاول
دون الاخيرين اما الثانى فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد
والتفاوت حتما وانما اعتباره فى قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظايره مما لا دلالة فيه على الحدوث واما
الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شىء اخر وهم فى غفلة اى فى غفلة تامة
منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء
عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء معرضون اى عن الايات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة
وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا مبنيا عن الاستقرار بخلاف
الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن فى معرضون ما يأتيهم من ذكر
من طايفة نازلة من القران تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر
ومن فى قوله تعالى من ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر
وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشنيع محدث
بالجر صفة لذكر وقرى بالرفع حملا على محله اى محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى الا
استمعوه استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور
وقوله تعالى وهم يلعبون حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى

لتشديده

منه او من واو يلعبون والمعنى ما ياتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه
لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم
عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر ۞ واسروا النجوى ۞ كلام
مستانف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها
مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا انفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون
وقوله تعالى ۞ الذين ظلموا ۞ بدل من واو اسروا وانبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به
او هو مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير
تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى ۞ هل هذا الا بشر مثلكم ۞ الى اخره في حيز
النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ مما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل
هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى
النفي والهمزة في قوله تعالى ۞ افتاتون السحر ۞ للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله
تعالى ۞ وانتم تبصرون ۞ حال من فاعل تاتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر
مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك فتاتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم
تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما ظهر
على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وذهلوا عن ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي تقتضيه
الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي
الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو
كره المشركون ۞ قال ربي يعلم القول في السماء والارض ۞ حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعد
ما اوحي اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر
على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة
واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض
متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى ۞ وهو السميع العليم ۞ اي المبالغ في
العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد ۞ بل قالوا اضغاث احلام ۞ اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية
قولهم السابق الى حكاية قول اخر مضطرب في مطارح البطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام
هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يده من القران الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا
۞ بل افتراه ۞ من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا ۞ بل هو شاعر ۞ وما اتى به شعر
يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شان المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب
بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل
من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر
ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار بان بل قالوا مقول
لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كانه قيل واسروا النجوى هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام
وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله ۞ فليأتنا باية ۞ جواب

شرط محذوف يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا باية ۞ كما ارسل
الاولون ۞ اي مثل الاية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل
الكاف الجر على انها صفة لاية ويجوز ان تكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر
محذوف اي فليأتنا باية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالاية
من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد
من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب
المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الاخر حسبما مر في اخر سورة يونس
عليه السلام ۞ ما امنت قبلهم من قرية ۞ كلام مستانف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد
الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الايات كالباحث عن حتفه بظلفه وان في
ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان
سنة الله عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب
الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال
فقوله من قرية اي من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتاكيد العموم وقوله تعالى ۞ اهلكناها ۞
اي باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الايات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى ۞ افهم
يؤمنون ۞ لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم
ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من
الايات اهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو اجيبوا الى ما سالوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم
واطغى واما على ما امنت على ان الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتب انكار وقوع ايمانهم
على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو راي الجمهور وقوله
عز وجل ۞ وما ارسلنا قبلك الا رجالا ۞ جواب لقولهم هل هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت
قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله
تعالى عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا باية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا
بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قل انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين
وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل بتجاوب
اطراف النظم الكريم والحق ان ما جعلوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان
مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة
الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور
فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس
الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا
الى جانب وقوله تعالى ۞ نوحي اليهم ۞ استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك
الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس مستاهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة

الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في
حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الى
قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون انك لست بدعا
من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بالياء على
صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير
اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه الحقيق بالخطاب في امثال تلك
الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسئلوا ايها
الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوات لتزول شبهتكم امروا بذلك
لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم
ويشاورونهم في امره عليه السلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شان النبي صلى الله عليه
وسلم ما لا يخفى وما جعلناهم جسدا بيان لكون الرسل عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام
الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملكة ونصبه
اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير
بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا
اية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير ايضا وقيل بتقدير
المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى لا ياكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا
عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مال التحلل هو
الفناء لا محالة وفي ايثار ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها
بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستانف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شان الملكة
او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالاخرة
على حسب احوالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها
خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك
من الرد على قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم
من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في
الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن
تستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالاخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب
الاستيصال واهلكنا المسرفين اي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم كلام
مستانف مسوق لتحقيق حقية القران العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما ياتيهم
من اياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان
علو رتبته اثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام
وتصدير الجملة بالتوكيد القسمي لاظهار مزيد الاعتناء بمضمونها وايذانا بان المخاطبين في اقصى مراتب النكير

اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشان نير البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا
مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل القدر بانه جميل الاثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم
وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون
به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه
فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتامل فيما في تضاعيفه
من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب
عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او الا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها
ما ذكر وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية
اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا
ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تاليفها بالكلية
من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها
صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الاتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بايات
الله تعالى كافرين بها كاهلكم وانشانا بعدها اي بعد اهلاكها قوما اخرين اي ليسوا منهم نسبا
ولا دينا ففيه تنبيه على استيصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء
على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا باسنا اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا
تاما كانه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين
بهم في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من
المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من النعم والتلذذ و
الاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها لعلكم تسئلون تقصدون للسؤال
والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او يسئلكم الوافدون اذ رايت مساكنكم خالية ويسئلون اين
اصحابها او يسئلكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء او بخلاء فقيل لهم
ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب يا ويلنا اي
هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم واستتباعه
العذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم اي فما زال القول الوارد دون تلك
الكلمة وتسميتها دعوى بناء على انها دعوة لان المولول كانه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى
جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين اي
ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا
والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن
في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال الحصيد وما خلقنا السماء والارض
اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني ادم موسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات
الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك
الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين باثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما
خلقناها وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها واحادها

على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث
حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب
احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما ليكون مبدأ لوجود الانسان وسببا للمعاشه
ودليلا على الحكمة بعوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به
قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا
وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا استيناف
مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا اي
من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشاننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن
الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل
اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين
لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء
التالي لانتفاء المقدم اولا رادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل
اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق
على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شاننا ان نغلب الحق الذي
من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شانه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر
للتخلص الى ما سياتي من الوعيد فيدمغه اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير
لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ
الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا
له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اي
ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان
ما لا يخفى فكانه زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما
لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف
هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل
والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشانه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد
او كانما تصفونه تعالى به وله من في السموات والارض استيناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى
لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات
خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما
استقلالا او استتباعا ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في
السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق
التمثيل وهو مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا
ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه
على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي
المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد

لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة و
قيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما
في قوله تعالى وجبريل وميكائيل فقوله لا يستكبرون حال من الثانية يسبحون الليل والنهار اي
ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استيناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كانه قيل
ماذا يصنعون في عباداتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله
تعالى لا يفترون اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر ام اتخذوا آلهة حكاية لجناية اخرى
من جناياتهم بطريق الاضطراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى
خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته و
مثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في
ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى من الارض متعلقة باتخذوا او بمحذوف
هو صفة لآلهة وايا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون اي يبعثون الموتى
صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اي
بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة
بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار
ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال
مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى افي الله شك وقوله تعالى ابالله و
آياته كنتم تستهزؤون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ
به ويجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء
والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا
بذلك مدعين لاصل الانشار لو كان فيهما آلهة الا الله ابطال لتعدد الاله باقامة البرهان
على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ الآلهة لا لان للجمعية مدخلا في
الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة
شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا
للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب اي لو كان في السموات
والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل لفسدتا اي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي
علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على
الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتاثير كل منها
وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتاثير واحد منها فالبواقي بمعزل من
الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما والا
فالبرهان يقتضي باستحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل في المراد تطاردت
عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم
والفاء في قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان
اي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها ان يكون له شريك في الالوهية

وايراد الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه
تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى رب العرش صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه
عز وجل عما يصفون متعلق بالتسبيح اي فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه الهة لا يسأل عما يفعل
استيناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله
عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالوهية وهم اي العباد يسألون عما يفعلون نقيرا
وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة ام اتخذوا من دونه الهة اضراب
وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه الهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من
جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية
الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الالهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم
بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان
الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل
اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية الهة مع ظهور خلوهم
عن خواص الالوهية بالكلية قل لهم بطريق التبكيت والقام الحجر هاتوا برهانكم على ما تدعونه من
جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور الدينية لا سيما في مثل هذا الشان الخطير وفي
اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ما ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى هذا ذكر
من معي وذكر من قبلي انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت
به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اي هذا الو
الوارد في شان التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر امتي اي عظتهم وذكر الامم السالفة قد
اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب انزل على امتي وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم
السلام من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن
الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او
اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى بل
اكثرهم لا يعلمون الحق اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم
بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون
الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فهم لاجل ذلك معرضون اي مستمرون على الاعراض
عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وان كررت عليهم البينات و
الحجج او معرضون عما القي عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف وتوسيط التعيين للسبب تاكيدا للسببية وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون استيناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت
به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول
وايا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان
تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل

الواحدي ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض
لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال
شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح
اي بعد او اسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل
عباد اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون
مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه
بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اي لا يقولون شيئا حتى
يقوله تعالى او يامرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند السبق اليهم منسوبا اليه تعالى
تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية
استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم
انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سبقته اسبقه
وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق
فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد
المغالبة فانى يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر
بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كانه
قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة
الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم استيناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا
لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون
على قول وعمل بغير امره تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى اي يشفع له مهابة منه تعالى وهم
مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك
خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته
بعلى ينعكس الامر ومن يقل منهم اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم
اني اله من دونه متجاوزا اياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر
المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته
تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى
كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر
بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم
في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت
ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اي الم يتفكروا
ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اي جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف المضاف
او هو بمعنى المفعول اي كانتا ذواتي رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اي شيئا رتقا اي مرتوقا ففتقناهما

قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا
ملتزقين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هي واقر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات
والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتهما ففتقتهما وعن الحسن خلق الله تعالى الارض في موضع بيت
المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر
في موضع وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات
مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة
ففتقها فجعل سبع ارضين وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات
كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون
المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الافاق والسموات جميعا على ان لها مدخلا في الامطار وعلم
الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعاني الاول فهم وان لم يعلموهما لكنهم متمكنون من
علمهما اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء
ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة
من ماء وذلك لانه من اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الماء اي
بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد ان المفعولين في الاصل مبتدا
وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدا فان ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة
كل او مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر افلا
يؤمنون انكار لعدم ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الايات الافاقية والانفسية
الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء
للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اي ايعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي
اي جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير
العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى اشهر معلومات واياما معدودات ان تميد بهم اي كراهة
ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس وجعلنا فيها اي في الارض
وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه او في الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق
فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد انه
تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما
فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اي الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا
من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق
السمع بالشهب وهم عن اياتها الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التي
بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون
فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس
والقمر الذين هما آيتاهما بيان لبعض تلك الايات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب
لتاكيد الاعتناء بفحوى الكلام اي هو الذي خلقهن وحده كل اي كل واحد منهما على ان التنوين
عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد

بالفلك

بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس
والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية افان مت بمقتضى حكمتنا فهم
الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها
بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما
من شماتتهم بموته عليه السلام فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل افان
مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت اي ذائقة مرارة مفارقتها
جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة
بطريق الالتفات اي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون او لا
فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا
فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء
الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على
الالتفات واذا رآك الذين كفروا اي المشركون ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا
به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه
هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع
ما يوحى الي في سورة الانعام اهذا الذي يذكر آلهتكم على ارادة القول اي ويقولون او قائلين ذلك
اي يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون
في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه السلام ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا
تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل
وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احقاء بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدا خبره كافرون
وبذكر متعلق بالخبر والتقديم وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تاكيد لفظي للاول فوقع الفصل
بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله
وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية
لزومه وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روي انها نزلت في
النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الاية وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم
يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى
الطعام وقيل خلق الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها
فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشيا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد
به الجنس وان كان خلقه عليه السلام ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا يقرب له
هنا وقوله تعالى ساريكم آياتي تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اي ساريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره فلا
تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون

متى هذا الوعد اى وقت مجئ الساعة التى كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق
الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا للتعيين وقته بطريق الالزام كما فى سورة الملك ان
كنتم صادقين اى فى وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الذين يتلون الآيات
الكريمة المنبئة عن مجئ الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف فى مثل
قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه
بطريق العجلة فان ذلك فى قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين
كفروا استيناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما
يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع فى الشرط وان كان المعنى على المضى لافادة استمرار
عدم العلم فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار
انتفائه ايضا بحسب المقام كما فى قولك لو تحسن الى لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار
انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما فى حيز الصلة
على علة استعجالهم وقوله تعالى حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم و
هو عبارة عن الوقت الموعود الذى كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التى
حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع انكار الكفرة بذلك للايذان
بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به وانما حقه الانتظام فى سلك المسلمات المفروغ عنها
وجواب لو محذوف اى لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذى يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من
الحين الذى يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف
لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم
من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة الغير فى دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال
ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اى لو كان لهم علم لما فعلوا وقوله تعالى حين الخ
استيناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل حين يرون ما يرون يعلمون
حقيقة الحال بل تأتيهم عطف على لا يكفون اى لا يكفونها بل تأتيهم اى العدة او النار او الساعة
بغتة فتبهتهم اى تغلبهم او تحيرهم وقرى الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا
الهاء فى قوله تعالى فلا يستطيعون ردها بتأويل الوعد بالنار او العدة والحين بالساعة ويجوز
عوده الى النار وقيل الى البغتة اى لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اى يمهلون
ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم فى الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه السلام فى ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانه يصيبهم
مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق
مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اى وبالله لقد استهزئ
برسل اولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف اليه مقامه
فحاق اى احاط عقيب ذلك او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا
يكاد يستعمل الا فى الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم
اى من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذى هو قوله تعالى ما كانوا به

يستهزؤن للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها
والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اى فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا
لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثار
الجمع للتنبيه على ان يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم
بكلهم من حيث هو كل فقط اى فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال
الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروى بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال
الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن
والقبح وعلى ذلك مبنى الوزن وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف وفى قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم
الآية الخ قل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك
وامر له عليه السلام بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت من يكلؤكم اى يحفظكم
بالليل والنهار من الرحمن اى من بأسه الذى يستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل لما ان الدواهى
اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفى التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعد
ما امر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما يقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان
الله تعالى يحفظهم فى الملوين لحل بهم فنون الآفات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا
على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ببيان
ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هى انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا
بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من
قال عوجوا لخيق النعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى واحجار وفى تعليق الاعراض بذكره تعالى
وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من
الدلالة على كونهم فى الغاية القاصية من الضلالة والغى ما لا يخفى وكلمة ام فى قوله تعالى ام لهم آلهة
تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان جهلهم
بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشى عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم
على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة لانكار ان يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل الهم
آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او حفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها
واثقون بحفظها وفى توجيه الانكار والنفى الى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا الى نفس
الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة
المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف
مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اى هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا
يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم
حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ان الداعى الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر
لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا
وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما
يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل افلا يرون اى الا ينظرون فلا يرون انا

نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل
وتصوير لما يخربه الله عز وجل من ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام افهم الغالبون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة
بتسليط المسلمين عليها كانه قيل ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى افمن كان
على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف تعريض بان المسلمين هم
المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله
المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم
الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي احوالهم امر عليه السلام بان يقول لهم
انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال
اي انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية
اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن تذييل
له بطريق الاعتراض قد امر عليه السلام بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل و
العناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم
بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام
انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت
والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه
فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل
هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب
الصم والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عم
وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب
ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد
القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها
وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ليدعن على انفسهم
بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند اتيان
ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد
الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد
القسط لانه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيمة التي كانوا يستعجلونها اي لجزائه او لاجل اهله
او فيه كما في قولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها
او شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم
والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الميزان وان كان اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال
حبة من خردل اي مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل
مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة اتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعبر عنه
بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا اي جازينا بها من الايتاء بمعنى

المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها وكفى
بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين
واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه
والمراد بالفرقان هو التورية وكذا بالضياء والذكر اي وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا
جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرا
يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون لمغانم آثاره او ذكر
ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق
النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التورية فيما ذكر من الصفات
ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير
واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة
للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول اي يخشون
عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم
يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي خائفون منها بطريق
الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية
على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به
المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي القرآن
الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير
للتورية لمناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع
يتبرك به انزلناه اما صفة ثانية لذكر او خبر اخر افانتم له منكرون انكار لانكارهم
بعد ظهور كون انزاله كايتاء التورية كانه قيل ابعد ان علمتم ان شأنه كشأن التورية في الايتاء والايحاء
انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا
ولقد آتينا ابراهيم رشده اي الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء
الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال
النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن والحزن من قبل اي من قبل ايتاء موسى
وهرون التورية وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من
قبل استنبائه او قبل بلوغه ويأباه المقام وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل
على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لاتينا على انه
وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف
وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف على
كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع مشبه بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل
منه عليه السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة او شرح الاسم
كانه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم

لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها
واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم
فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا اباءنا
لها عابدين اجابوا بذلك لما ان مآل سواله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ
عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كانه عليه السلام قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من
العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي
حيث قال لقد كنتم انتم واباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر
قدره مبين اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم
على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اي والله لقد كنتم
مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة
قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام
اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق
اي بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير
بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه
مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كانه قيل
ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه
لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض ووصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه
تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي انشأهن
بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم واباؤكم وما تعبدون من غير مثال يحتذيه ولا قانون
ينتحيه وارجاع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من
التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات وانا على ذلكم الذي ذكرته من كون
ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي العالمين به
على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك
ادلاء بالحجة عليه واثباته بها كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء
وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم اي
لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل فانما قاله عليه السلام
سرا وقيل سمعه رجل واحد بعد ان تولوا مدبرين من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من
التولي بحذف احدى التائين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم
فصيحة اي فولوا فجعلهم جذاذا اي قطعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام
من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا
جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه
فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا
فذهبوا وبقي ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفا وثم صنم عظيم

مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا
الكبير وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله تعالى الا كبيرا لهم اي للاصنام لعلهم اليه اي الى ابراهيم عم
يرجعون فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان
من شان المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز الهتهم عن
دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم قالوا اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا من فعل هذا بآلهتنا
على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة
في التشنيع وقوله تعالى انه لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز
الرفع على انها خبر لها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجراءته
على اهانتها وهي حقيقة بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض نفسه
للهلكة قالوا اي بعض منهم مجيبين للسائلين سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها
وقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان
القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا عليه السلام بالذات يذكرهم
وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح يقال له ابراهيم
صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم قالوا اي السائلون فأتوا به على اعين الناس اي
بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد لعلهم يشهدون
اي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل
لبعض منهم مبهم او معهود قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كانه قيل فماذا
فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم اقتصارا على
حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان
قال بل فعله كبيرهم هذا مشيرا الى الذي لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده
الذي هو الزامهم الحجة على ألطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شان آلهتهم مع ما فيه من التوقي
من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك المعرض فعلا
بجعل الفاس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته
عليه السلام حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد
حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يقود الى
تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما
هو اشد من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار و
هو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادته
الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره
لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل لذلك بما لو
قال لك امي فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته
كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق لان
خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل

وتجهيله في السوال لابتناه على ان صدورها عن غيرك يحتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب في
ان مراده عليه السلام من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريع لنفسه ولا تجهيلهم في سوالهم لابتناه
على احتمال الصدور عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التامل في احوال اصنامهم
كما ينبي عنه قوله تعالى فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اي ان كانوا ممن يمكن ان نطقوا وانما لم يقل ءم
ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السوال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السوال هو الجواب و
ان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك او لا حسبما نطق به قوله تعالى فرجعوا
الى انفسهم اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن
كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا
فقالوا اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون اي بهذا السوال لانه كان على طريقة
التوبيخ المستتبع للمواخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها
لا من كسرها ثم نكسوا على رؤسهم اي انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم
الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس من شأنهم
النطق فكيف تأمر بسؤالهم على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع قال
مبكتا لهم افتعبدون اي اتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اي متجاوزين عبادته تعالى
ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن
عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا
ونتنا واللام لبيان المتافف له افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا
اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج
اذا فرغت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح ولا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات
وانصروا الهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اي للنصر او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان
ابن السنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسفت
به الارض روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا الحظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك
قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة
اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى
الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فاتى
ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال
له جبريل عليهما السلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سوالي علمه
بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على
ابراهيم اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته
تعالى مامورة مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقام

وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمناه سلاما عليه روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم واقعدوه على الارض
فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروي انه عليه السلام مكث
فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك
الظل فقعد الى جنبه يونسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على
احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج
فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رايته معك قال ذلك ملك الظل
ارسله ربي ليونسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عم
لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة الاف
بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ستة عشر سنة وهذا كما ترى من ابدع
المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه
الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في
السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابراهيم واردوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار به فجعلناهم
الاخسرين اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلم
على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا
فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل
كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالموتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او
زيادة على ما سال وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اي كل واحد من
هولاء الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح في الدنيا والدين
فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن
ذريتي يهدون اي الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل
الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص
على العام دلالة على فضله واناقته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف
اليه مقامه وكانوا لنا خاصة دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ولوطا
قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اتيناه اي واتينا لوطا وقيل باذكر حكما اي حكمة
او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية
التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف
واقامتها مقامه كما يوذن به قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له
وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت
لهم منا الحسنى ونوحا اي اذكر نوحا اي خبره وقوله تعالى اذ نادى اي دعا الله تعالى
على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه من قبل اي من قبل

هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصراً مستتبعاً للانتقام والانتصار ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا باياتنا وحمله على فانتصر باباه ما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعاً وداود وسليمان اما عطف على نوحاً معمول لعامله واما مضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى اذ يحكمان ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اي تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلاً بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام ولاختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علماً والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشانه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلاً فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان تدفع الخ صريح في انه ليس بطريق الوحي والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود عليه السلام لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بداء وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضاً كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان راي سليمان عليه السلام استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين وراي داود عليه السلام قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبداً فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الابق ترادا وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع ان الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد اخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصايص شريعتنا فعند ابي حنيفة رح لا ضمان ان لم يكن معها سايق او قايد وعند الشافعي يجب الضمان ليلاً لا نهاراً وقوله تعالى وكلا اتينا حكماً وعلماً لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكماً شرعياً اي كل واحد منهما اتينا حكماً

وعلماً كثيراً لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطاء المجتهد لا يقدح في كونه مجتهداً وقيل بل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عليه السلام كان ح ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان ما يخص كل منهما من كراماته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السياحة وهو حال من الجبال او استيناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف على الجبال ومفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد والفصل وكنا فاعلين اي من شاننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعاً عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها وقيل كانت صفايح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة لبوس لتحصنكم اي اللبوس بتاويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم من باسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام هيهنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله عز وعلا عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة ح حال من ضمير المبتدا في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصباً ورفعاً تجري بامره بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحاً بعدما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفايسه وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون عملاً دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنايع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعدما روعي جانب لفظها بقوله تعالى من الشياطين روي ان المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره ولا يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعاً من الملائكة وجمعاً من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم

ان يفسدوا بالليل ملحوا بالنهار ‌ وايوب ‌ الكلام فيه كما مرّ في قوله تعالى وداود وسليمان اي واذكر
خبر ايوب اذ نادى ربّه اي بانّي ‌ مسّني الضرّ ‌ وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه و
الضرّ شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما ‌ وانت ارحم الراحمين ‌ وصف ربّه
بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عليه السلم روميا
من ولد عيص بن اسحق استنباه الله تعالى وكثّر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت
عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثمانية عشر سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة
اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات روي ان امراته ماصر بنت ميشا ابن يوسف عليه السلم او رحمة
بنت افرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين
سنة فقال انا استحي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها
على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي
سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد
وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال
عليه السلم كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق
بعد هذا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك
خرّ ساجدا فقال ربّ اني مسّني الضرّ وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجبت لك
اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابّة الا سقطت ولا
جراحة الا برئت ثم ركض مرّة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج
وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى ‌ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ ‌
فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله
تعالى ‌ وآتيناه اهله ومثلهم معهم ‌ وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امراته قالت في
نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وياكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رات تلك
الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب
الحلة ان تاتيه وتسال عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت
اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال أتعرفينه اذا
رأيته قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته ‌ رحمة من عندنا وذكرى
للعابدين ‌ اي آتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما
اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم
‌ واسمعيل وادريس وذا الكفل ‌ اي واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع ابن نون وقيل زكريا
سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء
بمعنى النصيب والكفالة والضعف ‌ كلّ ‌ اي كل واحد من هؤلاء ‌ من الصابرين ‌ اي على مشاق
التكاليف وشدايد النوب والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بذكرهم ‌ وادخلناهم
في رحمتنا ‌ اي في النبوة او في النعمة الاخروية ‌ انهم من الصالحين ‌ اي الكاملين في الصلاح الكامل
الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد ‌ وذا النون

اي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام ‌ اذ ذهب مغاضبا ‌ اي مراغما لقومه لما برم من طول
دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم
لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه
اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا ‌ فظن ان لن نقدر عليه ‌ اي لن نضيق
عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل
لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه اي تعامل معاملة من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من
غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اي تعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل
خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل
ومبنيا للمفعول ‌ فنادى ‌ الفاء فصيحة اي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى ‌ في
الظلمات ‌ اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته
حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطن الحوتين وظلمتي البحر والليل ‌ ان لا اله الا انت ‌ اي بانه لا اله الا
انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اي لا اله الا انت على انها مفسرة ‌ سبحانك ‌
انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي ‌ اني كنت
من الظالمين ‌ لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة ‌ فاستجبنا له ‌ اي دعاءه
الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ‌ ونجيناه من الغم ‌ بان قذفه الحوت الى الساحل
بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة ‌ وكذلك ‌
اي مثل ذلك الانجاء الكامل ‌ ننجي المؤمنين ‌ من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى
منه وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد
الجيم على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها
اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف
اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند
الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن
اخره ‌ وزكريا ‌ اي واذكر خبره ‌ اذ نادى ربه ‌ وقال ‌ رب لا تذرني فردا ‌ اي وحيدا بلا
ولد يرثني ‌ وانت خير الوارثين ‌ فحسبي انت ان لم ترزقني وارثا ‌ فاستجبنا له ‌ اي دعاءه ‌ و
وهبنا له يحيى ‌ وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم ‌ واصلحنا له زوجه ‌ اي اصلحناها
للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى ‌ انهم كانوا
يسارعون في الخيرات ‌ تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين اي
كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في
على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ‌ ويدعوننا رغبا ورهبا ‌ ذوي رغب ورهب او راغبين في
الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية او للرغب والرهب ‌ وكانوا
لنا خاشعين ‌ اي مخبتين متضرعين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب

اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي احصنت فرجها اي اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال
والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شانها وبن بهها لما زعموه في حقها اثر ذي اثير فنفخنا فيها
اي احيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا
جبريل عليه السلام وجعلناها وابنها اي قصتهما وحالهما اية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق
كمال قدرته عز وجل فالمراد بالاية ما حصل بهما من الاية التامة مع تكاثر ايات كل واحد منهما وقيل بالاية
الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الايات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها اية وابنها اية فحذفت الاولى
لدلالة الثانية عليها ان هذه اي ملة التوحيد والاسلام اشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور
امرها في الصحة والسداد امتكم اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا
بشي منها والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبيا
عليهم السلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرايع المتبدلة
حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع
على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون خاصة
لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات من الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق
في الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهى قبايح افعالهم الى الاخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب
هولاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة الانبياء كل اي كل واحدة من الفرق المتقطعة او
كل واحد من احاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم ح
بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات
الخ تفصيل للجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله
فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة و
جحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبايح
وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل
بالسعي لاظهار الاعتداد به وانا له اي لسعيه كاتبون اي مثبتون في صحايف اعمالهم لا نغادر
من ذلك شيا وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل
والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون
في حيز الرفع على انه مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تع
كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة
عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع
الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع
رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استيناف تعليلي لما قبله فحرام
خبر مبتدا محذوف اي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الاية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان
والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز
حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى
اذا فتحت ياجوج وماجوج الخ هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما

قبلها كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيمة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا
الخ وعلى الثاني غاية للحرمة اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيمة يرجعون اليها حين
لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيمة يرجعون
عنه حين لا ينفعهم الرجوع وياجوج وماجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها
ياجوج وماجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ
فتحت بالتشديد وهم اي ياجوج وماجوج وقيل الناس من كل حدب اي نشز من الارض
وقرئ جدث وهو القبر ينسلون اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ
بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث و
الحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا
للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على
وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من
الموصول اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة
تامة من هذا الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين
اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالايات والنذر
بل كنا ظالمين بتلك الايات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب
وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمال
امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة للاعذار وما تعبدون
عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين تلا الاية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود عبدوا عزيرا
والنصارى المسيح وبنو امليح الملايكة رد عليه بقوله ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما
لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك
ولا ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شي لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلم
بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شي منهما نصا في عموم كلمة ما كما ان الاول نص في خصوصها
وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص
بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عليه السلم بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر
وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تاكيدا
للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج
بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة
بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شي حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب
شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم
كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية فهم الداخلون في الحكم
المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو
الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سياتي من قوله

تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز او التخصيص فمما لا يساعده السباق والسياق كما
يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون
الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة
من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء
الهة كما تزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها الهة بالضرورة وهذا
كما ترى صريح فى ان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية الاصنام لا الهية الشياطين حتى
يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع فى الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة بانجرار
الكلام اليه عند بيان ما سبق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سال ابن الزبعرى عن حال سائر
المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول ايهاما يوهم الرخصة فى عبادتهم فى الجملة لانهم المعبودون
عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون فى حكم النص لكن بطريق الدلالة لا
بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين وكل اى من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص
لهم عنها لهم فيها زفير اى انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب
ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالباس وكذا فى قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اى لا يسمع
بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى شروع فى بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل
من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اى سبقت لهم منا فى التقدير الخصلة الحسنى
التى هى احسن الخصال وهى السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب
على الطاعة وهو الاظهر الادخل فى الحمل عليها لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين
فالجملة ما بعدها تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له
كاتبون كما ان ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى وحرام الخ اولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد
منزلتهم فى الشرف والفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل عنها اى عن جهنم
مبعدون لانهم فى الجنة وشتان بينها وبين النار وما روى ان عليا رضى الله تعالى عنه خطب الناس
يوما فقرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد
ابن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه
ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص فى كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس
صوت يحس به اى لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان كان
صوته فى غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفى فى نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او
حال من ضميره مسوقة للمبالغة فى انقاذهم عنها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اى دائمون فى غاية التنعم وتقديم
الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية
بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة وعن
الحسن رحمه الله انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت فى

صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض وليس بذاك فان
الامن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال
الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك فى النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتى فى سورة النمل و
تتلقاهم الملئكة اى تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اى قائلين هذا اليوم
يومكم الذى كنتم توعدون فى الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات
وهذا كما ترى صريح فى ان المراد بالذين سبقت لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال
الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملئكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوى السماء بنون
العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة
من الضمير المحذوف فى توعدون والطى ضد النشر وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول
كطى السجل وهى الصحيفة اى طيا كطى الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل على
وزن العتل وهما لغتان واللام فى قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له
على راى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى كطى السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان الكتب
عبارة عن الصحايف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطى حقيقة وقرئ للكتاب و
هو اما مصدر واللام للتعليل اى كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل
السجل اسم ملك يطوى كتب اعمال بنى ادم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كما بدأنا اول خلق نعيده اى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونها
ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول
الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول
مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد
مثل الذى بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر
مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اى علينا انجازه انا كنا فاعلين
لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا فى الزبور هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما انزل
على الانبياء عليهم السلام من بعد الذكر اى التورية وقيل اللوح المحفوظ اى وبالله لقد كتبنا فى
كتاب داود بعد ما كتبنا فى التورية او كتبنا فى جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا واثبتنا فى اللوح
المحفوظ ان الارض يرثها عبادى الصالحون اى عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا
وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبئ
عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان فى هذا اى فيما ذكر من السورة الكريمة
من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة
لبلاغا اى كفاية او سبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين اى لقوم همهم العبادة
دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور التى
هى مناط لسعادة الدارين الا رحمة للعالمين هو فى حيز النصب على انه استثناء من اعم
العلل او من اعم الاحوال اى ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة

اوما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين
ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط في نفسه وحرم حقه لا انه
حرمه مما ينفعه وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستيصال حسبما ينطق به
قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي
الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه فمن الاحكام المتفرعة عليه فانما
الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم زيد اي ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك
انما زيد قائم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اي مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون
لها به تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان
يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي فقل لهم آذنتكم
اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء كائنين على سواء في الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او
مستوين به انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي
عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري اي ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما تجاهرون
به من الطعن في الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون
من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا او قطميرا وان ادري لعله فتنة لكم اي ما ادري
لعل تاخير جزائكم استدراج وزيادة في افتنانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين
اي وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال
رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الامر اي اقض بيننا وبين
اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا
ببدر اي تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربي احكم على صيغة التفضيل وربي احكم من الاحكام
وربنا الرحمن مبتدأ وخبر اي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اي المطلوب منه
المعونة خبر آخر للمبتدأ واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لما ان الدعاء من الوظائف
الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته ههنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة من
الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية
الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله
عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم
يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه

سورة الحج سبع وسبعون

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من

الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان خطاب المشافهة
مخصصا بالفريق الاول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث
حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة
والمامور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله و
اليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اي احذروا
عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الامر
بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من
الاحوال والاهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته
وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء
من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كانها هي التي
تزلزل الاشياء او اضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر
الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيمة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها
الى الساعة لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها و
العبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه
اهتماما به والضمير للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اي مباشرة
الارضاع عما ارضعت اي تغفل وتذهب مع دهشتها عما هي بصدد ارضاعه من طفلها الذي القمته
ثديها والتعبير عنه بما دون من لتاكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته
لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال
الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة و
تضع كل ذات حمل حملها اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على
قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر
اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون
على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس عن
قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب
كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة
التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد
منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تاثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلال
مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى الخ انما اوثر عليه
ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي
يراهم كل احد سكارى اي كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله
شديد فرهقهم هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء

وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قايما او رؤيتك قايما والناس منصوب اي تظنهم سكارى وقرى
برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرى ترى بضم التاء وكسر الراء اي ترى
الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرى سكرى وبسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل ومن
الناس كلام مبتدا جيء به اثر بيان عظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل
الجار الرفع على الابتدا اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اي وبعض الناس او وبعض كائن من
الناس من يجادل في الله اي في شانه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى بغير علم
حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر بها المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها نزلت في النضر بن الحارث
وكان جدلا يقول الملكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولاضرابه من
العتاة المتمردين ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما ياتي وما يذر من الامور الباطلة التي من
جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متجرد للفساد واصله العري المنبئ عن التجرد له كالتشمر ولعله
ماخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء
الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اي على الشيطان
صفة اخرى له وقوله تعالى انه فاعل كتب والضمير للشان اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشان
من تولاه اي اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف
والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه
فشانه انه يضله عن طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه وفيه من
التعسف ما لا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتاويل وقرى فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها
وقرى بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يامر بالعدل والاحسان او على
اضمار القول او تضمين الكتب معناه على راي من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدي
اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما حكي احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت
الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا
له تعالى او من وقوعه وقرى من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب
مع التنكير المنبئ عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك وايثار ما
عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى مبدا خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم
من تراب في ضمن خلق ادم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلم
اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة ساير افراد الجنس انطواء اجماليا
مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ثم
من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب ثم من علقة
اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في
الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة
اي لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شي من الاعضا
ثم ظهرت بعد ذلك شيا فشيا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة

الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير
المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك وفي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدا لخلقهم لا لخلق ما بعدها
من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الاية مزيد دلالة على عظيم قدرته
تعالى وكسر لسورة استبعادهم لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اي خلقناكم
على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقايق والدقايق التي من جملتها سر البعث
فان من تامل فيما ذكر من الخلق التدريجي تاملا حقيقا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من
تراب لم يشم رايحة الحيوة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار الخلقة و
تحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو
اهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرى ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر في الارحام
ما نشاء استيناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك
الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادي التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال
قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام
بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان
وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه
والتعرض للازلاق لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا اصرح في ان المراد بغير
المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وان ما فصل الى هنا هي الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرى
يقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم
فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس
المنتظم للواحد والمتعدد وقرى يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم معطوفة على
علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيا فشيا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز
وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرى
ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج
المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شئوننا والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا
ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات
ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما
اذ عليه يدور التكليف المودي الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ
مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبادئ
الاثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وكانها حيث
كانت شدة في غير شي بنيت على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرى
يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرى
بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء بتعين الفاعل لكيلا يعلم
من بعد علم اي علم كثير شيا اي شيا من الاشيا او شيا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس
حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما

علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى • وترى الأرض هامدة •
حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد و
الاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا
• فاذا انزلنا عليها الماء • اي المطر • اهتزت • تحركت بالنبات • وربت • انتفخت وازدادت وقرئ
ربات اي ارتفعت • وانبتت من كل زوج • اي صنف • بهيج • حسن رائق يسر ناظره • ذلك بان
الله هو الحق • كلام مستانف جيء به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني
والنباتي لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما
ينكرون وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من اسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها
في الانفس والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول
في التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه
بداهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك
اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد
موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدا خبره الجار والمجرور اي ذلك
الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشيا
• وانه يحيي الموتى • اي شانه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة والا لما
احيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق
القدرة وتعلقها لا باعتبار نفسها • وانه على كل شيء قدير • اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه
الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذي
نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احيائها كلها
فمنشاه الغفول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة
التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشيا المقدور عليها للتصريح
بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به • وان الساعة آتية • اي فيما سياتي
وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقررها البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة و
تعليله بان التغير من مقدمات الانصرام وطلايعه مبني على ما ذكر من الغفول وقوله تعالى • لا ريب
فيها • اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح
دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة
والجملة عطف على المجرور بالباء كما في قبلها من الجملتين داخلة مثلهما في حيز السببية وكذا قوله عز وجل
• وان الله يبعث من في القبور • لكن لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افعاله
تعالى تاثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رافته بالعباد المبنية
على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما
ليتاملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين و
ينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم راسا وهذا كما ترى من احكام
حقيته تعالى في افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام حقيته تعالى في صفاته وكونها

في غاية الكمال

غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما
كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد
الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بان ما ذكر استدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة و
البعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما مر من خلق الانسان واحياء الارض فتامل وكن على
الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر
والمبتدا محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل
المعنى ذلك لتعلموا بان الله هو الحق الآتين • ومن الناس من يجادل في الله • هو ابو جهل بن هشام حسبما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما ان الاول
من يقلدهم على ان الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق • بغير علم • متعلق بمحذوف وقع حالا
من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى • ولا هدى •
هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة • ولا كتاب منير • وحي مظهر للحق اي يجادل في شانه تع
من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله
ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به الجادل الاول والتكرير للتاكيد والتمهيد
لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه باتباع
كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي • ثاني عطفه • حال اخرى
من فاعل يجادل اي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح
اي مانعا لتعطفه • ليضل عن سبيل الله • متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه
اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا
بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ
بفتح اليا وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية له بعده مع تمكنه
منها قبل ذلك • له في الدنيا خزي • جملة مستانفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي
ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار • ونذيقه يوم القيمة
عذاب الحريق • اي النار المحرقة • ذلك • اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي وما فيه من معنى
البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى • بما قدمت
يداك • اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي
والالتفات لتاكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله عز وعلا • وان الله ليس بظلام للعبيد •
الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير
عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن
كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل
من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال • ومن الناس من يعبد
الله على حرف • شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده تعالى على
طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر • فان اصابه
خير • اي دنيوي من الصحة والسعة • اطمان به • اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمان به اطمئنان

المومنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اى شئ يفتتن به من مكروه يعتريه
فى نفسه او اهله او ماله انقلب على وجهه روى انها نزلت فى اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح
بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت
فى دينى هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد رضى الله
عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصايب فتشام بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى فقال
عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت فى المولفة قلوبهم خسر الدنيا والاخرة فقدهما
وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرى خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية و
وضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدا محذوف ذلك اى ما ذكر من الخسران
وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه فى غاية ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله
يدعو من دون الله استيناف مبين لعظم الخسران اى يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا
يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده اى جمادا ليس من شان الضر والنفع كما يلوح به تكرير
كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد فى التيه
ضالا عن الطريق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه استيناف مسوق لبيان مال دعائه المذكور وتقرير
كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفى الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق
التسبيب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدا وضره مبتدا
ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدا الاول وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم
مقدر هو وجوابه خبر للمبتدا الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل
مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة فى تقبيح حاله والامعان فى ذمه اى يقول ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء
وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب
من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز
ان يكون يدعو الثانى اعادة للاول لا تاكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر
بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته
لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة
من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زايدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اى يعبد
من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به ايضا والجملة القسمية مستانفة ان
الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات استيناف جى به لبيان كمال حسن حال المومنين
العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية
سوء حال الكفرة وما لهم من فريقى المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم
مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى تجرى من
تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من
تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وان جعلت عبارة
عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل
كما مر تفصيله فى اوايل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير

له بطريق التحقيق اى يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللايقة المبنية على الحكم الرايقة التى من
جملتها اثابة من امن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب برسوله عليه السلم
ولما كان هذا من اثار نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وعلا من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا
والاخرة تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه واكده وفيه ايجاز بارع واختصار رايع والمعنى انه تعالى
ناصر لرسوله فى الدنيا والاخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من
اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرده من المكايد
فليبالغ فى استفراغ المجهود وليجاوز فى الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق حنقا
مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء فليمدد
حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اى ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل
ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر فى قوله تعالى فلينظر
هل يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اى فليتصور فى نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك
الذى هو اقصى ما انتهت اليه قدرته فى باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز ان يراد
فلينظر الان انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه
ثم ليقطع الوحى وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره وياباه ان مساق النظم الكريم
لبيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض
وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحى فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا
وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله صلى الله
عليه وسلم من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه عليه السلم ويخشون ان لا يثبت امره
فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيته فلا بد للعبد
من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق
فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك اى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى
على الحكم البالغة انزلناه اى القران الكريم كله وقوله تعالى ايات بينات اى واضحات
الدلالة على معانيها الرايقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك وان الله يهدى
به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه من يريد هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة
اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف موخر اى ولان الله يهدى من يريد انزله كذلك او الرفع
على انه خبر لمبتدا محذوف اى والامر ان الله يهدى من يريد هدايته ان الذين امنوا اى بما ذكر من
الايات البينات بهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يومن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم
من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيا ومن دين اليهود شيا وهم
القايلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله تعالى ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة فى حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفى الجملتين بحرف التحقيق لزيادة
التقرير والتاكيد اى يقضى بين المومنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل
وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله

ان الله على كل شيء شهيد تعليل لما قبله من الفصل اي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته
الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من اعمال
الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه
من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التي من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها
اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن تتأتى منه الرؤية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد
والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل افعال المكلف
في باب الطاعة ايذانا بكونه في اقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة
من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق
الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر
لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما
ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس
سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة
بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد
جوز ان يكون من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون
وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب
كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب اي بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اي
حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر
فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء من
الاشياء التي من جملتها الاكرام والاهانة هذان تعيين لطرفي الخصام وازاحة لما عسى يبادر الى الوهم
من كونه بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقي وتحرير لمحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم
الى الفرق الخمس خصمان اي فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا في ربهم حملا على المعنى اي
اختصموا في شأنه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من
الفريقين حقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان
لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم
كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم
تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا تفصيل لما اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم
يوم القيمة قطعت لهم اي قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اي نيران هائلة
تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب من فوق رؤوسهم الحميم اي الماء الحار الذي انتهت حرارته
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر
ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اي يذاب ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ
يصهر بالتشديد والجلود عطف على ما وتأخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة
الحرارة بايهام ان تأثيرها في الباطن اقدم من تأثيرها في الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال

من الحميم ولهم للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي آلة القمع كلما ارادوا
ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما روي انها تضربهم بلهبها فترفعهم
حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم اي من غم شديد من غمومها
وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اي
في قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف على
اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان
سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وبتصدير الجملة بحرف التحقيق
ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام
يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس اي
تحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليها ومن في قوله تعالى من اساور
اما للتبعيض اي بعض اساور وهي جمع اسورة جمع سوار او للبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم
وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون من ذهب بيان للاساور ولؤلؤا
عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اي يؤتون
وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبهما واوا
ولليا بقلبهما ياء ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن للايذان
على ان الحرير ثيابهم المعتادة او لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر
محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور
واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو
الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم
الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الجنة الآية وهدوا الى صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته
وهي الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر
عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه
الاسلام ووجه التأخير ان ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين
آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر
الآية الكريمة عليه فان من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه الكفر والصد
عن سبيل الله باشد من ذلك احق واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل
وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه للناس اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي سواء العاكف
فيه والباد اي المقيم والطارئ وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق
بظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر
مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه
مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد بظلم

بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار وصلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك
واقتراف الاثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا يقال بواه منزلا اي انزله فيه ولما لزمه جعل
الثاني مباءة للاول قيل لابراهيم مكان البيت وعليه مبنى قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلناه اي اذكر
وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف
كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله
تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روي
ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احديها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان
والثانية بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير رحمه الله والخامسة بناء الحجاج وقد اوردنا ما في هذا الشان من
الاقاويل في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان في قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا
مفسرة لبوانا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه
في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين
والركع السجود اي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلوة
باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء
واذن في الناس اي ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد
ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء
فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر
بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك جواب للامر رجالا اي مشاة جمع راجل
كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وبتخفيف الجيم وتشديدها ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على
رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله يأتين صفة لضامر
محمولة على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من
كل فج طريق واسع عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب
والجبذ ليشهدوا متعلق بيأتوك لا باذن اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا
من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف
هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي
جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه
في ايام معلومات هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد
بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على
التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر
قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانفجرت اي فاذكروا اسم الله على
ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كان عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى
مواساة الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس اي الذي اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج

وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم اي ليؤدوا ازالة وسخهم او ليحكموها
بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من
البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به يتم
التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع
للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فعصمه الله عز وجل واما الحجاج الثقفي
فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه ذلك اي الامر ذلك وهذا وامثاله
يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه
بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام
والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اي في الاخرة والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه والاشعار بعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج الثمانية
على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على ان ما
عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من
الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم
كونها من ذلك القبيل بحل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء
المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا
الرجس من الاوثان فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها
والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب عقب بما يوجب
الاجتناب عنه من الحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله
فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب
عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور
تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما
كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة
الزور لما روي انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية
والزور من الزور وهو الانحراف كالافك الماخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب
منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك
تملكه وما ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين به
اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك
بالله جملة مبتداة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح
الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء
المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما
واصلهما تختطفه او تهوي به الريح اي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد فان الشيطان
قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون
المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا شبيها باهلاك احد الهالكين ذلك اي الامر ذلك

اولستلوا ذلك ومن يعظم شعائر الله اى الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن
جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان
يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه
برة من ذهب وان عمر رضى الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها اى فان تعظيمها
من تقوى القلوب اى من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من او
فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت
ظهر اثرها فى سائر الاعضاء لكم فيها اى فى الهدايا منافع هى درها ونسلها وصوفها وظهرها
الى اجل مسمى هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها اى وجوب نحرها او وقت
نحرها منتهية الى البيت العتيق اى الى ما يليه من الحرم وثم للتراخى الزمانى او الرتبى اى لكم
فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظمها فى النفع محلها اى وجوب نحرها او وقت
وجوب نحرها الى البيت العتيق اى منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى
لكم فيها منافع بالاجر والثواب فى قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج
ثم محلها اى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اى منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم
النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة ولكل امة اى لكل اهل دين جعلنا
منسكا اى متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين اى موضع نسك وتقديم
الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اى لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض
ليذكروا اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان
المقصود الاصلى من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه
على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب فى قوله تعالى فالهكم اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد
ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد فى ذاته كما انه واحد فى الهيته للكل والفاء فى قوله تعالى فله
اسلموا لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اى
فاذا كان الهكم اله واحد فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك وبشر
المخبتين تجريد الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من
الوظائف الخاصة بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين
على ما اصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب والمقيمى الصلوة فى اوقاتها وقرئ بنصب الصلوة
على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون فى وجوه الخيرات
والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة
والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة
من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة فى الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة
والبقرة عن سبعة جعلا فى الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على
انه مبتداء والجملة خبره وقوله تعالى من شعائر الله اى من اعلام دينه التى شرعها الله تعالى مفعول ثان
للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير اى منافع دينية ودنيوية جملة مستانفة مقررة

لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك
صواف اى قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى
طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق
عند الوقف وقرئ صوافى اى خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن على الاطلاق كما فى قوله
تعالى لعلى ارى باق على الحدثان فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهى كناية عن الموت فكلوا
منها واطعموا القانع اى الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من
قنع اليه قنوعا اذا خضع له فى السؤال والمعتر اى المتعرض للسؤال وقرئ المعترى يقال عره وعراه واعتراه
اعتراه كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها
ونهاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون
فى لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اى لن يبلغ
مرضاته ولن يقع موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم
ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التى يدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه
والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدمائها قربانهم فهم به المسلمون
فنزلت كذلك سخرناها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله لتكبروا الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره
على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم اى
ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اى على هدايته اياكم او على ما
هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اى المخلصين فى كل ما ياتون
وما يذرون فى امور دينهم ان الله يدافع عن الذين امنوا كلام مستانف مسوق لتوطين قلوب
المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء
مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة
على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما فى الممارسة اى يبالغ فى
دفع غائلة المشركين وضررهم الذى من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم
مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما فى قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما
فى ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزى ونفى المحبة كناية عن
البغض اى ان الله يبغض كل خوان فى اماناته تعالى وهى اوامره ونواهيه او فى جميع الامانات التى من
معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة
فى نفى المحبة على اعتبار النفى اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا اذن اى رخص وقرئ على البناء للفاعل اى
اذن الله تعالى للذين يقاتلون اى يقاتلهم المشركون والماذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان
مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبنى للفاعل اى يريدون
ان يقاتلوا المشركين فيما سياتى ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر بانهم ظلموا اى بسبب
انهم ظلموا وهم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه عليه السلام
بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه السلام اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت

وهي اول اية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم
بالنصر وتاكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم عن ايدي المشركين بل
تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتاكيده بكلمة التحقيق و
اللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المومنين وقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار
مبتداء والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا اي اخرجوا
بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد
الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظ بل على طريقة قول
النابغه ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المومنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع
لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهابنة
وبيع للنصارى وصلوات اي وكنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية
فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد
خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في
الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن
الله من ينصره اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز سلطانه وعده
حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم
وديارهم ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا
يدافعه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم
في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله
تعالى عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد الله تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه
دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من
المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ولله خاصة عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط
وفيه تاكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين الكيفية
نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة
المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته عليه السلم عما يترتب على التكذيب من الحزن
المتوقع اي وان حزنت على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب
قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين اي سلم من ذكر ومن
لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد او لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الخ وكذب
موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بنوا اسرايل وهم لم يكذبوه وانما

كذبه

كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان اخر على ان بني اسرايل
ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك
من الايات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون اياته في كمال الوضوح وقوله
فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت حبال اجالهم والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق
المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير
العايد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا
ثم اخذتهم اي اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان
نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى
فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اي فاهلكنا كثيرا من القرى
باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكنا خبره اي فكثير
من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي
ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على
وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فلا محل له من الاعراب على الاول كالمعطوف
عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر فالخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى
فهي ساقطة حيطانها على عروشها اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخربت سقوفها ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة
كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع
بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اي فهي
خالية وهي على عروشها اي قايمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض
وبقيت الحيطان قايمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه
حال الحيطان لما مر انفا وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا
يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان
او مجصص اخليناه عن ساكنيه وهذا يويد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل
المراد بالبير بير بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان
من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم
على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار
جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا
فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها
ما يجب ان يعقل من التوحيد او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم
المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او
مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر
الصدور للتاكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص

بالبصر وقيل المراد بقوله تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول
الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجيء
العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلونه استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا
له على زعمهم فحكي عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما
جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل
كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من
مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
جملة مستانفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم
في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون
المدة القصيرة عنده تعالى مدة اطول عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا
ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترئون على الاستعجال به ولا يدرون ان
معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقرئ يعدون على صيغة الغيبة
اي يعده المستعجلون اوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق
الالتفات لكن الظاهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما
جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى
لجاءهم العذاب فيكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان
استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده
تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال
بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفى في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا
وحمل المستعجل به على عذاب الاخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام
الاخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سباق النظم الكريم الجليل ولا سياقه
فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله
بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله تعالى وكاين من قرية الخ فانه كما
سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد
الاملاء المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع
الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل امليت لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا
من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال
حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة
كداب هؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى والي
المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل امر
المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا
ولا شركة فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذركم انذارا
بينا بما اوحي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى

تستعجلوني

تستعجلونني به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما اشير اليه من ان مساق الحديث
للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة لما بدر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز
كمالاته والذين سعوا في آياتنا معاجزين اي سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين
ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه وعجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين
يريد اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك
الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اي ملازمون النار الموقدة وقيل هو اسم
دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة
جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا
بين موسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول
ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل
منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول
من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا
تمنى اي هيأ في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا
كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان
فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته اي يثبت
آياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي
واظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات احكام آياته
الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شانه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول
وفعل عمدا او خطاء حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال
الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان
ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها
فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم
يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليهما السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل
بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه
وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته
والقاء الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه
وسلم وقد رد بانه يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته
لانه ايضا يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة
ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك
في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء
في حق سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سياتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه

الحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الاية
والقاسية قلوبهم اي المشركون وان الظالمين اي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد اي عداوة شديدة ومخالفة
تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القران الحق من ربك اي هو الحق
النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية
الجميلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم عليه السلام فح لا حاجة الى تخصيص التمكين
فيما سبق بالالقاء في حقه عليه السلام لكن ياباه قوله تعالى فيؤمنوا به اي بالقران اي يثبتوا على
الايمان به او يزدادوا ايمانا بردّ ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية و
الاذعان لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضميرين لا سيما الثاني الى تمكين الشيطان من الالقاء
مما لا وجه له وان الله لهادي الذين امنوا اي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات
التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر
لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية اي في شك وجدال منه اي من القران وقيل من
الرسول صلى الله عليه وسلم والاول هو الاظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله اياته وقوله
تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا باياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى
الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له لان ذلك ليس من هناتهم التي تستمر الى الامد المذكور بل انما هي
مريتهم في شان القران الكريم ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما ان مريتهم المستمرة كما انها ليست
مبتداة من ذلك ليست ناشية منه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول القران الكريم حتى تاتيهم
الساعة اي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى بغتة اي فجاة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك
لا اشراطها وقيل الموت او ياتيهم عذاب يوم عقيم اي يوم لا يوم بعده من الايام فما لا يوم بعده
يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا كانه قيل او ياتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا
سبيل الى حمل الساعة على اشراطها لمكرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر
سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا
قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم
ينشئ مطرا او لم يلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم
اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين
الفريقين بالثواب والعذاب الاخرويين يقضي بان المراد به يوم القيمة قضاء متنا لا ريب فيه الملك
اي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق يومئذ لله وحده بلا شريك اصلا
بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى
كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم
كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما ان القيد المعتبر مع اليوم حيث توسط بين طرفي الجملة
يجب ان يكون مدار الحكمها اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب
في ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما له تعلق ما بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء

منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدا ظهور
احكام الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تاتيهم
الساعة او عذابها لله تعالى وقوله تعالى يحكم بينهم جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا من الاخبار
بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم ح فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازات
وقوله تعالى فالذين امنوا الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين امنوا بالقران الكريم ولم يماروا فيه
وعملوا الصالحات امتثالا بما امر وافي تضاعيفه في جنات النعيم اي مستقرون فيها والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اي اصروا على ذلك واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة
من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدا وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدا وخبر مقدم
عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور
لاعتماده على المبتدا واولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب
الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق
التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد
حسبما يلوح به قوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتدا
وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها
خبرا للمبتدا يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى رزقا حسنا اما مفعول ثان على انه من باب
الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما
في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين
حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء
الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا
معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم وان
الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استيناف
مقرر لمضمونه ومدخلا اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله قال
ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لما انهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر
مبتدا محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستانف ومن
عاقب بمثل ما عوقب به اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة
او لكونه سببا له ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة ان الله لعفو
غفور اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو
والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم
الامور فان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك

وتنبيها على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بان الله يولج الليل في النهار و
يولج النهار في الليل اي بسبب انه تعالى من شانه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين
الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص عن الاخر او بتحصيل
احدهما في مكان الاخر لكونه اظهر المواد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب
بصير بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه
من معنى البعد لما مر انفا وهو مبتدا خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه
وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدا لكل ما يوجد من الموجودات
عالما بكل المعلومات او الثابت الهيته فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه
الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الالهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين هو
الباطل اي المعدوم في حد ذاته والباطل الوهيته وان الله هو العلي على جميع الاشياء الكبير
من ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام
تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال
للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف يصل لطفه
او علمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا او باطنا له ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته
وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم
تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر و
الفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال من الفلك
على الاول وخبر على الاخير ويمسك السماء ان تقع على الارض اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها
على هيئة متداعية الى الاستمساك الا باذنه اي بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها
بذاتها فانها مساوية في الجسمية لساير الاجسام القابلة للميل الهابط مقبلة كقبول غيرها ان الله بالناس
لرؤف رحيم حيث هيا لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال
بالايات التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في
مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجيء اجالكم ثم يحييكم عند البعث ان الانسان لكفور اي
جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة كلام مستانف جيء به
لزجر معاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من
الشرايع واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية جعلنا اي وضعنا
وعينا منسكا اي شريعة خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم
بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى
هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل
امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت

من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التورية هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم
والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون
به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة
فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في
قوله تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي
من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة
هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عين
لاباءهم الاولين من التورية والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة
منسكهم القران المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى
نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده
المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة في تثبيته واياما كان فمحل النزاع
ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسايك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون
ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل
الميتة وساير ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب
في بطلانه عاقل وادع اي وادعهم او وادع الناس كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا الى
ربك الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم اي
طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتها وان جادلوك بعد ظهور الحق بما
ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل
التي من جملتها المجادلة الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب
والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استيناف
مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السموات والارض فلا
يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه ان ذلك اي ما في السماء
والارض في كتاب هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له
ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير فان علمه
وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض
اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة اراءهم من بناء امر دينهم على غير مبني
من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد
اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة
وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين
اي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير
يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رايهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم و
اذا تتلى عليهم اياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار
التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلالة على العقايد الحقة والاحكام الصادقة او

على بطلان ماهم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين
كفروا المنكر اى الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذى يقصدونه
بظهور مخايله من الاوضاع والهيات وهو الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم اياتنا اى يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة
اعظم واطم من ان يعبدوا لما لا يوهم صحة عبادته شى ما اصلا بل تقتضى بطلانها العقل والنقل و
يظهروا لمن يهديهم الى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين
كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افانبئكم
اى اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذى فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من
الغوايل ومما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اى هو النار على انه جواب لسوال مقدر
كانه قيل ما هو وقيل هو مبتداء خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب
على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة الفعلية استينافا كالوجه الاول وحالا من النار
باضمار قد وبئس المصير اى النار يا ايها الناس ضرب مثل اى بين لكم حال مستغربة او قصة
بديعة رايعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير فى الامصار والاعصار او جعل لله مثل اى مثل فى استحقاق
العبادة واريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اى للمثل نفسه استماع تدبر
وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله الخ بيان للمثل وتفسير
له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه فى استحقاق العبادة على الثانى وقرئ بياء
الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا
ذبابا اى لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تاكيد النفى دالة على منافاة ما بين
المنفى والمنفى عنه ولو اجتمعوا له اى لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة
على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اى لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه
كما مر تحقيقه مرارا او محلها فى موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب شيا
بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اى ان ياخذ الذباب منهم
شيا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل فى اشراكهم بالله القادر على
جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هى اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر
على اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا عليه بل لا يقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها
واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل
الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب اى عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب
لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ
منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل
واضل من كل ضال ما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه
ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوى على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات
عن اخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال الهتهم المقهورة لاذلها العجزة عن اقلها
والجملة تعليل لما قبلها من نفى معرفتهم له تعالى الله يصطفى من الملئكة رسلا يتوسطون بينه

تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحى ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القد[سية]
المتعلقون بكلا العالمين الروحانى والجسمانى يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح
الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرايعه واحكامه كانه تعالى لما
قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شى من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل
باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات
تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملئكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم
الملئكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى
عليه شى من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لا الى احد غيره
لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اى فى صلوتكم امرهم بهما لما انهم
ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بساير ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فى كل ما تاتون
وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها
وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والاية اية سجدة عند الشافعى رحمه الله لظاهر
ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها و
جاهدوا فى الله اى لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه
عليه السلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده
اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف
الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله هو اجتباكم اى هو
اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم فى الدين من
حرج اى ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه او الى
الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشى فاتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم
الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدر
بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اى وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او
على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه
سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا
على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة وفى هذا اى فى القران والضمير
لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين فى القران وان لم يكن منه عليه السلام
كانت بسبب تسميته من قبل فى قوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل فى هذا تقديره وفى هذا
بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على
قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على
الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى فتقربوا الى الله بانواع الطاعات
وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله اى ثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة

والنصرة الآمنة هو موليكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له في الولاية و
النصرة بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من
الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وبقي تمت سورة الحج بعون الله



قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول
في ذلك كالابشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ
على البناء للمفعول وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا لتوقع الاخبار به ضرورة
ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل
ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح
بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالافلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق الا في الآخرة
فالاخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد كونهم بحال
تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على اكلوني البراغيث
وقرئ افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال ولو ان الاطبا كان حولي والمراد بالمؤمنين اما
المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء
ونظائرها فقوله تعالى الذين هم في صلوتهم خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة
لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة لهم حسب
اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر في اوائل سورة البقرة والخشوع
الخوف والتذلل اي خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام
كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال
معرضون اي في عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم
عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض
عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فان في ذلك تمام ما يوهم ان لا يكون في اللغو نفسه ما
يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير
والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا
مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون
وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام
بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث
الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلوة والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل
الذي هو موقعه ومعنى الفعل ليس بحقيقة في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها
العين على تقدير المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها فالاستثناء في قوله تعالى

الا على ازواجهم من نفي الارسال الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان
بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال
العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اي حافظون لها
من كل احد الا من ازواجهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون اي حافظون لها في
جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه (رد على صاحب الكشف)
قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون
فروجهم على الازواج لا تعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تأكيدا على تأكيد تكلف على تكلف او
ما ملكت ايمانهم اي سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة
عن القصور وقوله تعالى فانهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم
منهن اي فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك الذي ذكر من الحد المتسع
وهو اربع من الحرائر وما شاء من الاماء فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون
فيه وليس فيه ما يدل على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب
ان لا تحل له اما انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل له التوارث (القائل صاحب الكشف)
لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا
انها زوجة له في الجملة واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة
حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له
وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق
راعون اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم والذين هم على
صلوتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه
لما في الصلوة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلوة غير المحافظة
عليها وفصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر ربما توهم ان
مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة اولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من
الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما
فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اي الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن
ورث رغائب الاموال والذخائر وكرائمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد
للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشأنها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم
الفردوس بل لما لهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم
فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها
اي في الفردوس والتأنيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر
روي انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي
رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا
يخرجون منها ابدا والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله

اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها ● ولقد خلقنا الانسان ● شروع في بيان
مبدا خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض افراده
السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اي وبالله
لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق ادم عليه السلام خلقا اجماليا حسبما حققته في سورة الحج و
غيرها واما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار واطوار فبعيد ● من سلالة ● السلالة
ما سل من الشي واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصودا منه كالخلاصة و
اخرى غير مقصودة منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل و
من ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى ● من طين ● بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة
لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية
كالاولى وقيل المراد بالانسان ادم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد
وقفت على التحقيق ● ثم جعلناه ● اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لادم عليه السلام او جعلنا نسله
على حذف المضاف ان اريد بالانسان ادم عليه السلام ● نطفة ● بان خلقناه منها او ثم جعلنا
السلالة نطفة والتذكير بتاويل الجوهر او المسلول او الماء ● في قرار ● اي مستقر وهو الرحم عبر عنها
بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى ● مكين ● وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل
طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرزت ● ثم خلقنا النطفة علقة ● اي
دما جامدا بان احلنا النطفة البيضا علقة حمرا ● فخلقنا العلقة مضغة ● اي قطعة لحم لا استبانة
ولا تمايز فيها ● فخلقنا المضغة ● اي غالبها ومعظمها او كلها ● عظاما ● بان صلبناها وجعلناها
عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة ● فكسونا العظام ● المعهودة ● لحما ●
من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق
من اللحم على مقدار لائق به وهيأة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات
وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني
فحسب ● ثم انشاناه خلقا اخر ● هي صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم
لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رحمه الله على ان من غصب بيضة فافرخت عنده
لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر ● فتبارك الله ● فتعالى شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة
والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة
من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من سمع ما فصل من اثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان
يبادر الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى ● احسن الخالقين ● بدل من الجلالة وقيل نعت
له بناء على ان الاضافة ليست بمحضة وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو احسن الخالقين خلقا اي المقدرين
تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف الماذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون
لدلالة الصلة عليه اي احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عليه السلام ان الله جميل يحب
الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روي
ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عليه السلام الى
قوله خلقا اخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه فقال عليه السلام اكتب هكذا نزلت

فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على
كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية قال عمر رضي الله عنه
فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر وكان رضي الله عنه
يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع الصلوة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او
ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الاية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين
انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن ابي سرح حسبما قال
تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القران وذلك قادح في اعجازه
لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الاية الكريمة منوط بما قبلها كما
يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ● ثم انكم بعد ذلك ● اي بعد ما ذكر من الامور
العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته
في الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية ● لميتون ● لصائرون الى الموت
لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل وقد
قرئ لمائتون ● ثم انكم يوم القيمة ● اي عند النفخة الثانية ● تبعثون ● من قبوركم للحساب
والمجازاة بالثواب ● ولقد خلقنا فوقكم ● بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي
خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم ● سبع
طرائق ● هي السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما
فوقه مثله فهو طريقه او لانها طرائق الملئكة او الكواكب فيها مسيرها ● وما كنا عن الخلق ● عن ذلك
المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس ● غافلين ●
مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال
حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية ويصل الى ما في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى
● وانزلنا من السماء ماء ● هو المطر والانهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة انهار سيحون نهر الهند
وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة
من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم
ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو
● بقدر ● بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم
● فاسكناه في الارض ● اي جعلناه ثابتا قارا فيها ● وانا على ذهاب به ● اي ازالته بالافساد او
التصعيد او التغوير بحيث يتعذر استنباطه ● لقادرون ● كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير
ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارايتم ان اصبح
ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين ● فانشانا لكم به ● اي بذلك الماء ● جنات من نخيل واعناب
لكم فيها ● في الجنات ● فواكه كثيرة ● تتفكهون بها ● ومنها ● من الجنات ● تاكلون ● تغذيا
او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يعود الضمير ان للنخيل
والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس

وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف
دل عليه ما قبله اى ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين ذلك وطعام تاكلو سائر الاشجار لاستقلالها
بمنافع معروفة قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل
موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل
وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر
السين للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد
وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف
سيناء فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة
لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلي لها
وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اى تنبت ملتبسة
به ويجوز كونها صلة معدية اى تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة
لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير رايت
ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا
بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان
وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشئ على الآخر اى
تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس
للايتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم
من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها
نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان تعتبروا بها وتستدلوا باحوالها على عظيم قدرة
الله عز وجل وسابغ رحمته وتشكروه ولا تكفروه وخص هذا بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر
مما في النبات وقوله تعالى نسقيكم مما في بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها
عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذي يتكون منه اللبن
فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اى تسقيكم الانعام ولكم فيها منافع كثيرة
غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل
منها وعليها اى على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض
كالابل ونحوها وقيل المراد هي الابل خاصة لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن
البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن
وعلى الفلك تحملون اى في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل عليهما مبالغة
في تحملها الحمل وهو الداعي الى تاخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها من ذكر منفعة الاكل
المتعلقة بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع في بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر
والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من
فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه
وفي ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام

جواب

جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد ارسلنا نوحا الخ
ونسبته الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود فقال
متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى
في سورة هود ان لا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك
فليس من العبادة في شيء رأسا وقوله تعالى ما لكم من اله غيره استئناف مسوق لتعليل العبادة
المامور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على انه فاعل او
مبتدأ خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى
وقرئ بالجر اعتبارا للفظه افلا تتقون اى افلا تخافون انفسكم عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه
من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب
اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل افلا تخافون ان
يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اى اتعرفون ذلك اى مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره افلا تتقون عذابه بسبب اشراككم
به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر
عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة
في الكمية في الاول وفي الكيفية فقال الملأ اى الاشراف الذين كفروا من قومه وصف
الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اى قالوا لعوامهم
ما هذا الا بشر مثلكم اى في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام
بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اى يريد ان يطلب
الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عليه الصلوة والسلام
واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل ملائكة بيان لعدم رسالة البشر
على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام اى لو شاء الله تعالى ارسال الرسول
لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق
الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره ما سمعنا بهذا
اى بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح ع م
في دعوى النبوة في آبائنا الاولين اى الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوا اما لكونهم وآباؤهم
في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وايا ما كان
فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادئ دعوته عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء في قوله
تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام انه نبي فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا
قبلهم من زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذي صدر عنهم في اواخر امره عليه السلام
وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم ان هو اى ما هو الا رجل به جنة
اى جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اى احتملوه واصبروا عليه وانتظروا
حتى حين لعله يفيق مما فيه محمول على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه
عليه السلام به من البشرية وارادة التفضيل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه ع م

ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول على ناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال
استيناف مبنى نشاء سوال نشا من حكاية كلام الكفرة كانه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه
الاباطيل فقيل قال لما راهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم
بالكلية وقد اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن رب انصرني باهلاكهم بالمرة فانه حكاية
اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخ بما كذبون اى بسبب تكذيبهم
اياى او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك ان مفسرة لما فى الوحى من معنى القول
باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كان معه عليه السلام منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤنه باعينهم من
التعدي او من الزيغ فى الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء فى قوله تعالى فاذا
جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما فى قوله تعالى لا عاصم
اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه او ابتداء ظهوره اى اذا جاء اثر تمام الفلك
عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان لمجئ الامر روى انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور
اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء اخبرته
امرأته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان فى مسجد الكوفة اى فى موضعه عن يمين الداخل من باب كندة
اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام وقد مر تفصيله فى سورة هود فاسلك فيها اى ادخل فيها
يقال سلك فيه اى دخل فيه وسلكه فيه اى ادخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم فى سقر من كل اى من كل
امة زوجين اى فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين فانه نص فى الفردين دون الجمعين
او الفريقين وقرئ بالاضافة على ان المفعول اثنين اى من كل امتى زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى
كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح فى ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفى سورة هود حتى اذا
جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على انه حكاية لامر آخر تنجيزى ورد
عند فور التنور الذى نيط به الامر التعليقى اعتناء بشان المأمور به او على ان ذلك هو الامر السابق
بعينه لكن لما كان الامر التعليقى قبل تحقق المعلق به فى ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث
عند تحققه فحكى على صورة التنجيز وقد مر فى تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم و
اهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه
الى اختلال المعنى اى واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال
الازواج فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه بل الى معاونة من اهله
واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان فى المؤخر ضرب تفصيل يذكر الاستثناء
وغيره فتقديمه يؤدى الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا من سبق عليه القول منهم اى
القول باهلاك الكفرة وانما جئ بعلى لكون السابق ضارا كما جئ باللام فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون تعليل للنهى
او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اى انهم مقضى عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصى
ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى
فاذا استويت انت ومن معك اى من اهلك واشياعك على الفلك فقل الحمد لله الذى
نجانا من القوم الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

وقل رب انزلنى فى السفينة او منها منزلا مباركا اى انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا
وقرئ منزلا اى موضع نزول وانت خير المنزلين امر عليه السلام بان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه
عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع شركة الكل فى الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليهم
والاشعار بان فى دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ان فى ذلك الذى ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه
لآيات جليلة يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار وان كنا لمبتلين ان
مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين ان النافية وضمير الشان محذوف اى وان الشان كنا مصيبين
قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى
ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشأنا من بعدهم اى من بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد
حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود فى سائر
السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعلوا موضعا للارسال
كما فى قوله تعالى كذلك ارسلناك فى امة ونحوه لا غاية له كما فى مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه
للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه
قوله تعالى رسولا منهم اى من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان فى قوله تعالى
ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله
تعالى وقوله تعالى ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المأمور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال
به افلا تتقون اى عذابه الذى يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصى والكلام فى العطف
كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول
الحق الذى نطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام
اجمالا لا حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق
الاستيناف المبنى على السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتى من حكاية سائر الامم اى وقال الاشراف من قومه
الذين كفروا فى محل الرفع على انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم فى الكفر وتأخيره عن
من قومه لعطف قوله تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى اى كذبوا بلقاء
ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم
فى الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اى قالوا لاعقابهم مضلين لهم ما هذا الا بشر مثلكم
اى فى الصفات والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة فى تهوين امره عليه السلام وتوهينه
يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب
محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اى فيما ذكر من
من الاحوال والصفات اى ان امتثلتم باوامره انكم اذا اى على تقدير الاتباع لخاسرون
عقولكم ومغبونون فى آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذى يوصلهم
الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التى لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا
واقع بين اسم ان وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة
باللام الموطئة اى وبالله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم استيناف مسوق لتقرير
ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده انكم

اذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن
اللحوم ونظائرها من الاعصاب اي كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب
لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتاخروكم عظاما
وقوله تعالى انكم تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى مخرجون اي من
القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة
عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية
خبرا عن انكم والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم اه هيهات هيهات
تكرير لتاكيد البعد اي بعد الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو
كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون
وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا او خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا
على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال
التاء هاء ان هي الا حيوتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما في هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب
تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية
للجنس وقوله تعالى نموت ونحيا جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هي الحيوة الدنيا اي يموت
بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو اي ما هو
الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن
له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال اي هود عليه السلام عند ياسه من ايمانهم بعد ما
سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما
كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه قال تعالى اجابة لدعائه ووعدا بالقبول
عما قليل اي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى
فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اي عن شيء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك
عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها
بصيحة هائلة ايضا وقد روي ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله
تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم
قال قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان بالحق متعلق بالاخذ
اي بالامر الثابت الذي لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء
اي كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التي لا
يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع
الضمير للتعليل ثم انشانا من بعدهم اي بعد هلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط
وشعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اي ما تقدم امة من الامم المهلكة الوقت
الذي عين لهلاكهم اي ما تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستاخرون ذلك الاجل ساعة وقوله
تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء القرون

المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل
ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين
بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم
على وجه اجمالي تترى اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في
تولج وتيقور والالف للتانيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل
وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه استيناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما
صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في
اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامم مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول
جاء امته الخاصة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالتهم حيث كذبت
كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم
بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة اسبابه التي هي الكفر والتكذيب وساير المعاصي
وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او
جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اي جعلناهم احاديث
يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر
على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد في الكفر
والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا هي الآيات التسع من اليد و
العصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطوفان ولا مساغ لعد فلق البحر
منها اذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي
اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما انها ام آياته عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها
معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه واما التعرض
لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة و
دلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى
المقام واما نفس الآيات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها
على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اي اشراف
قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط بارائهم لا باراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد
وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر
للاستكبار اي كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين
مثلنا ثنى البشر لانه يطلق على الواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من
البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين
للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات
افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية
المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون
من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها في

اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرائيل
لنا عابدون اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشانهما عليهما
السلام وحط رتبتهم العلية عن منصب الرسالة من وجه اخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون
قدمت عليه رعاية الفواصل والجملة حال من فاعل نومن موكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد
المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائر على التقدم في نيل الحظوظ الدنيوية
من المال والجاه كداب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل عليه هذا القران
على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة من النعوت العلية
واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما اي فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا
استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد اتينا اي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل
من ملكتهم موسى الكتاب اي التورية وحيث كان ايتاؤه عليه السلام اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو
شان الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الى طريق الحق بالعمل بما فيها من
الشرائع والاحكام وقيل اريد اتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله
تعالى على خوف من فرعون وملائهم اي من آل فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه
لظهور ان التورية انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد
اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى مما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون
الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح
وقوم لوط كما سياتي في سورة القصص وجعلنا ابن مريم وامه اية واية اية دالة على عظيم
قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالاية امر واحد نسب اليهما او وجعلنا ابن مريم اية بان تكلم
في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه اية بانها ولدته من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه السلام ابنها وكونها امه عليه السلام للايذان
من اول الامر بحيثية كونهما اية فان نسبته عليه السلام مع ان النسب الى الاباء دالة على ان لا اب
له اي جعلنا ابن مريم وحدها من غير ان يكون له اب وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب اية
وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونه اية كما ان تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها وابنها
اية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ واويناهما الى ربوة اي ارض مرتفعة
قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية
عشر ميلا على ما روي عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان
قراها على الربى وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من ارض
منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين
اي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في المشي او من الماعون وهو النفع
لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للايذان
بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره
المونق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما
خوطب به كل رسول في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء عيسى عليه السلام وامه الى الربوة ايذانا بان ترتب

مبادي التنعم لم تكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل
عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة
المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة
من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند ايوائهما الى الربوة
ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة
والسدي والكلبي رحمهم الله تعالى انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في
مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات
ما يستطاب ويستلذ من مباحات الماكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فاللام للترفه
واعملوا صالحا اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون من الاعمال
الظاهرة والباطنة عليم فاجازيكم عليه وان هذه استيناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام
على الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر بكافة الرسل والامم وانما
وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك
في سلك الامور المشاهدة امتكم اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل امة واحدة اي ملة وشريعة
متحدة في اصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل و
المعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة وانا ربكم من غير ان يكون
لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى فاتقون اي في شق العصا والمخالفة
بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بي للرسل والامم جميعا على ان الامر في حق الرسل
للتهييج والالهاب وفي حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال
به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ
وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه امتكم امة وانا ربكم فاتقون اي اتقوا فاتقون كما في
في قوله تعالى واياي فارهبون وقيل على العطف على ما اي اني عليم بان امتكم امة الخ وقيل على حذف
عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان فتقطعوا امرهم
حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من اربابها
او لها على التفسير الثاني والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي فقطعوا امر دينهم مع
اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة و
يؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول ثان له
فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اي مثل
زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من اولئك المتحزبين بما لديهم من الدين
الذي اختاروه فرحون معجبون معتقدون انه الحق فذرهم في غمرتهم شبه ما هم فيه
من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان
انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم حتى
حين هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والاخرة و

وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وفي التنكير و
الابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انما نمدهم به اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة
وقوله تعالى من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في
سورة الكهف لا خبر لان وانما الخبر قوله تعالى نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم
اي ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة
لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
اي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا ويعرفوا ان
ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات
وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع
مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون استئناف مسوق لبيان من له المسارعة
في الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم الكاذب اي من خوف عذابه حذرون والذين
هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا
يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع
الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك والذين يؤتون ما آتوا اي يعطون ما
اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات واياما كان فصيغة
الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار
وقلوبهم وجلة حال من فاعل يؤتون او يأتون اي يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات ما
فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد الخوف انهم الى ربهم راجعون اي من ان رجوعهم
اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ
لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة
واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة
بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون
الخ وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا
لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما
فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة
خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اي في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة
الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله
تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه
غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال
استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون
الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من
ربكم وجنة الآية وهم لها سابقون اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم
لها عاملون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى

يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها سابقون الناس
والاول هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستانفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون
من فعل الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اي
عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام
لا نفي الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه
تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد
ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود
فليوم ايماء وقوله تعالى ولدينا كتاب الى آخره تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال
واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال
التي يقرؤونها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا
ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هي عليه
او اعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه قطع
معذرتهم ايضا وقوله بالحق متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا
ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها
ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون بيان لفضله تعالى
وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او بزيادة
عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا
لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب
بعض اعمالهم التي من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب
كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما
تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد
الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد
التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما في الوسع وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى
يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى و
تسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل
كما قيل اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق
لهم بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سياتي من قوله تعالى
قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم اعمال سيئة
كثيرة من دون ذلك الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم
ومعاصيهم التي من جملتها ما سياتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به
سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية
في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطي للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك
ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون

بها لا يكادون يبرحونها حتى اذا اخذنا مترفيهم اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما
ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبدا لما بعدها من مضمون الشرطية اي لا
يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اذا اخذنا رؤساءهم بالعذاب قيل هو القتل والاسر يوم بدر
وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة و
الاولاد والحق ان العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط
عن النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم
بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من
القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك
اذا هم يجأرون اي فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو
جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجاة الجؤار مع عمومه لغيرهم
ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متمنعين
محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلان يلقاها من عداهم من
الحماة والخدام اولى واقدم لا تجأروا اليوم على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم
عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله
والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلي
في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان يكون مفاجاتهم الى الجؤار غير مقصود اصلي
وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اي لا
يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق
النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه
فان قوله تعالى قد كانت اياتي تتلى عليكم الخ صريح في انه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من
جهته تعالى بسبب كفرهم بالايات ولو كان النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذله او بعزة الله
تعالى وقوته اي قد كانت اياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على اعقابكم تنكصون اي تعرضون
عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين
به اي بالبيت الحرام او بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه
وقوامه او بكتابي الذي عبر عنه باياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على
المسلمين حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى سامرا اي تسمرون بذكر
القران وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر
القران وتسميته سحرا او شعرا او السامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على
لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان يتعلق بقوله تعالى تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان
او الترك اي تهذون في شان القران او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون
من اهجر في منطقه اذا افحش فيه وقرئ تهجرون من هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى افلم يدبروا

القول الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي افعلوا ما فعلوا
من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القول ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار
عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شانه من القبائح وام في قوله تعالى ام جاءهم
ما لم يات اباءهم الاولين منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى
التوبيخ باخر والهمزة لانكار الوقوع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يات اباءهم الاولين حتى استبعدوه
واستبدعوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عم
سنة قديمة له تعالى لا تكاد تنكر وان مجيء القران على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم
من الامن من عذابه تعالى ما لم يات اباءهم الاولين كاسمعيل عليه السلام واعقابه من عدنان وقحطان
ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فامنوا به تع
وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه
اخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا اي بل الم يعرفوه عليه السلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق
وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام
فهم له منكرون اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشانه عليه السلام
ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه او فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تاكيد لما قبله ام
يقولون به جنة انتقال الى توبيخ اخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل ايقولون به جنة اي
جنون مع انه ارجح الناس عقلا واثقبهم ذهنا واتقنهم رايا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه
التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقران والباقيان به عليه السلام الترقي من الادنى الى
الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه
ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله
عليه وسلم من عدم معرفتهم به عليه السلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخيره وشره ثم بما لو كان فيه
عليه السلام وذلك لقدح في رسالته عليه السلام بل جاءهم بالحق اضراب عما يدل عليه ما سبق
اي ليس الامر كما زعموا في حق القران والرسول عليه السلام بل جاءهم عليه السلام بالحق اي الصدق
الثابت الذي لا محيد عنه اصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه واكثرهم للحق من حيث
هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار كارهون لما في جبلتهم
من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج و
تخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي
كراهتهم لهذا الحق المبين فتامل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ
قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة للحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق
مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم استئناف مسوق
لبيان انه اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان
ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لاهوائهم الباطلة لفسدت
السموات والارض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس
الا ذلك وفيه من تنويه شان الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي

جاء به عليه السلام اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيمة ولاهلك العالم ولم يوخر فغيه انه
لا يلايم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهات لا يناسب المقام واما ما
قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية فمما لا احتمال له اصلا بل اتيناهم بذكرهم انتقال من
تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة
فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القران الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك
ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا
من النكوص عن ذكرهم اي فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب
الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما
بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان
المستتبع لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقا وفي اسناد الاتيان
بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه السلام تنويه لشان النبي صلى الله عليه وسلم و
تنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القران الكريم عند نسبته اليه بعنوان الحقية و
عند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته
المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شانه واما التشريف
فانما يليق به تعالى لا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم
لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم وايد ذلك بانه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين
اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس في مثابة اعراضهم عن شرفهم او عن ذكرهم الذي يتمنونه في
الشناعة والقباحة ام تسالهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الى التوبيخ
بوجه اخر كانه قيل ام يزعمون انك تسالهم على اداء الرسالة خرجا اي جعلا فلاجل ذلك لا
يومنون بك وقوله تعالى فخراج ربك خير اي رزقه في الدنيا وثوابه في الاخرة تعليل لنفي السؤال
المستفاد من الانكار اي لا تسالهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه السلام
ما لا يخفى والخرج اخص من الخراج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا
فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه اعوجاج توهم اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم
الله عز وعلا وازاح عللهم في هذه الايات حيث حصر اقسام ما يودي الى الانكار والاتهام وبين
انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم وان الذين لا يومنون بالاخرة وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما
هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان
بالاخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله عن الصراط
اي عن جنس الصراط لناكبون لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذي
تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كونه ما ذهبوا اليه مما لا
يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدب
للجوا لتمادوا في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم

والمومنين يعمهون اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة
من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء
بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا
الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك
وقوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب استيناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد
بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور و
اللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اي لم
يخضعوا ولم يذلوا على انه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون
قد اشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى و
ما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى حتى اذا فتحنا
عليهم بابا ذا عذاب شديد هو عذاب الاخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة و
قرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون اي متحيرون ايسون من كل خير اي محناهم بكل محنة
من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روي منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره
ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى في شي وانما هو نوع خنوع الى ان يتم
غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغا واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب
الاخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من القتل والاسر والمعنى اخذناهم اولا
بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب
الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاءك اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد
يستعطفك والوجه الاول وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتشاهدوا بها الايات التنزيلية
والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها فيما تشاهدونها وتعتبروا اعتبارا لائقا قليلا ما تشكرون
اي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي
هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وهو الذي ذراكم
في الارض اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم لا
الى غيره فما لكم لا تومنون به ولا تشكرونه وهو الذي يحيي ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شي
من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او
او اختلافهما ازديادا وانتقاصا او لامره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون اي الا تتفكرون
فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي
من جملتها البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل
على ان الخطاب الاول لتغليب المومنين والتعبير بذاك بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي
فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون اي اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه
لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا اي البعث من قبل متعلق بالفعل من حيث اسناده الى ابائهم

لا اليهم اى وعد اباونا من قبل او بمحذوف وقع حالا من اباونا اى كائنين من قبل ان هذا اى ما
هذا الا اساطير الاولين اى اكاذيبهم التى سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل جمع اسطار
جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون جوابه محذوف
ثقة بدلالة الاستفهام عليه ان كنتم تعلمون شيئا ما فاخبرونى به فان ذلك كاف فى الجواب وفيه
من المبالغة فى وضوح الامر وفى تجهيلهم ما لا يخفى او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبرونى به وفيه استهانة بهم
وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل سيقولون لله لان بديهة العقل
تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اى عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا تذكرون
اى اتعلمون ذلك او اتقولون ذلك فلا تتذكرون اى من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على اعادتها
ثانيا فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس فى قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويها لشان العرش ورفعا لمحله
من ان يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعى فى الامر بالسؤال الترقى من الادنى الى الاعلى
سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد وقرئ هو وما بعده
بغير لام نظرا الى لفظ السؤال قل افحاما لهم وتوبيخا افلا تتقون اى اتعلمون ذلك ولا تتقون
انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا فى الربوبية
قل من بيده ملكوت كل شىء مما ذكر ومما لم يذكر اى ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير اى
يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اى ولا يغيث احد عليه اى لا يمنع احد منه بالنصر عليه ان
كنتم تعلمون اى شيئا ما او ذلك فاجيبونى على ما سبق سيقولون لله اى لله ملكوت كل شىء
وهو الذى يجير ولا يجار عليه قل فانى تسحرون اى فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم
به الى ما انتم عليه من الغى فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذى لا
محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث وانهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ
الله من ولد كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما كان
معه من اله يشاركه فى الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم اذا لذهب كل اله بما خلق
جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب
كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب
كما هو الجارى فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شىء وهو
باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات
سبحان الله عما يصفون اى يصفونه من ان يكون له انداد واولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على
انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وايا ما كان فهو دليل آخر على
انتفاء الشريك بناء على توافقهم فى تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى
عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني
اى ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوى المستاصل واما العذاب الاخروى
فلا يناسب المقام رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين اى قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان
بكمال لطفه تعالى وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ود

لانكارهم

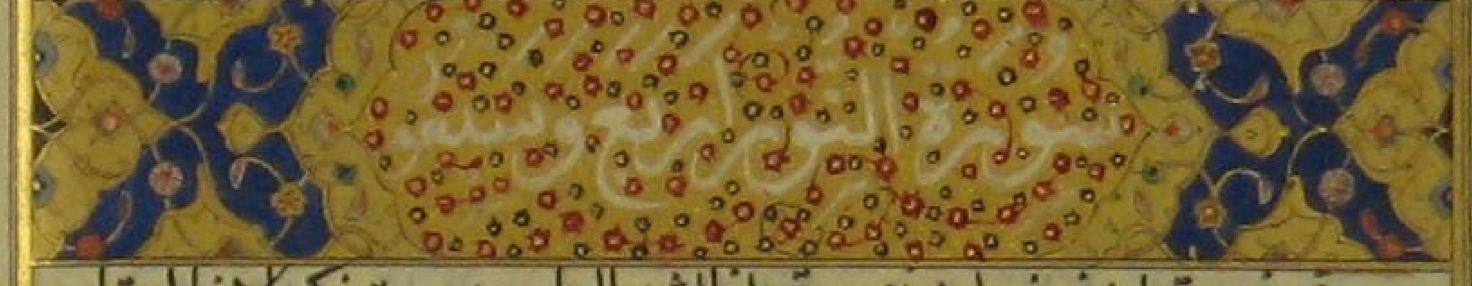
لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به عليه السلام هضما لنفسه وقيل لان
شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروى انه تعالى
اخبر نبيه عليه السلام بان له فى امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير
كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون
ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو
ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا
هائلا مستاصلا لا يظهر على يديه عليه السلام للحكمة الداعية اليه ادفع بالتى هى احسن السيئة و
هو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن لا بحيث يؤدى الى وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة
الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص
على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول فى الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اى بما
يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له عليه السلام الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين اى وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التى من جملتها دفع السيئة
بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصى بهمز الرائض الدواب
على الاسراع او الوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب
ان يحضرون امر عليه السلام بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم
للمبالغة فى التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض
نهاية الابتهال فى الاستدعاء اى اعوذ بك من ان يحضرونى ويحوموا حولى فى حال من الاحوال
وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وحال حلول الاجل كما
روى عن عكرمة رح لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء احدهم الموت حتى هى
التى يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهى مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما
اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين ان يزلوه عليه السلام عن الحلم ويغروه على
الانتقام لكن لا بمعنى ان العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها
بكاذبون فى غاية البعد لفظا ومعنى اى يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اى احد كان
الموت الذى لا مرد له وظهرت له احوال الآخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب
ارجعون اى ردنى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا نبك و
نظائره لعلى اعمل صالحا فيما تركت اى فى الايمان الذى تركته لم ينظمه فى سلك الرجاء كسائر الاعمال
الصالحة بان يقول لعلى اؤمن فاعمل الخ للاشعار بانه امر مقرر الوقوع غنى عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا
عن كونه مرجو الوقوع اى لعلى اعمل فى الايمان الذى آتى به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال او
من الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما الى الله تبارك وتعالى واما الكافر فيقول ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد
لها انها اى قوله رب ارجعون الخ كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم
اى امامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه فى حكم كلهم كما ان الافراد فى الضمائر الاول باعتبار

اللفظ برزخ حايل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلّي عن الرجع الى
الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية فاذا نفخ في الصور
لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها
على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم
تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب يفتخرون بها يومئذ كما بينهم اليوم ولا يتساءلون اى
لا يسال بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذاك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه موزونات حسناته
من العقايد والاعمال اى فمن كانت له عقايد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى
فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب ومن خفت
موازينه ومن لم يكن له من العقايد والاعمال ماله وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف فاولئك
الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة
في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضمير في الصلتين باعتبار لفظه
في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح
الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي المؤدية
الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص
الشفتين من الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اى يقال لهم تعنيفا وتوبيخا
وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن اياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون
حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا اى ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه
اضافتها الى انفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما
ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم
قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية
فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم
ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اى اخرجنا
من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد
في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر منهم لما سالوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان
والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم جحدوا على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة
الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما قال اخسئوا فيها اى اسكتوا في النار سكوت هوان وذلة وانزجروا
انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اى انزجر ولا تكلمون
اى باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل
الاتي وقيل لا تكلمون راسا وهو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء
كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الاتية قطعا وقوله تعالى انه

تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اى ان الشان وقرئ بالفتح اى لان الشان كان فريق من عبادي
وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يقولون في الدنيا
ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اى اسكتوا عن الدعاء بقولكم
ربنا الخ لانكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا امنا الخ وتشتغلون باستهزائهم حتى انسوكم
اى الاستهزاء بهم ذكرى من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية
الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما اذوهم
بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اى جزيتهم
فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية
ما يكون من الحسن قال اى الله عز وجل او الملك المامور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سالوا الرجوع
اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم
في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسال العادين اى المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب
بمعزل من ان نعد ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى
المتعدين فانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم
وقرئ العاديين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اى الله تعالى
او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون
اى تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى لعلمتم يومئذ
قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اى الم تعلموا
شيئا افحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اى عابثين او
مفعول له اى انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما اى فحسبتم انكم خلقتم بغير بعث
من قبل البعث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع
فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤنه التي تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة و
العقاب بموجب الحكمة البالغة اى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله
وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذي يحق له الملك
على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور
تحت ملكوته لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط به
من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القران الكريم او
الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما في قوله
تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها اخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به
صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين
بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك
من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له على قدر ما
يستحقه انه لا يفلح الكافرون اى ان الشان الخ وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه



جسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع فى معنى الجمع
وكذلك حسابه انه لا يفلح فى معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المومنين و
وختمت بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف بمن عداه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المومنين
بشرته الملئكة بالروح والريحان وما تقر به عينيه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلم انه قال
لقد انزلت على عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتى ختم العشر وروى ان اولها
واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها نجا وافلح



سورة خبر مبتدا محذوف اى هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار
كونها فى شرف الذكر فى حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها
موكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما كونه مبتدا
محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شان
هذه السورة الكريمة لا ان فى جملة ما اوحى الى النبى عليه السلام سورة شانها كذا وكذا وحملها على
السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرى
بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب او على تقدير اقرا او نحوه او دونك
عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلنا النصب على الوصفية وفرضناها اى اوجبنا ما فيها
من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفريضة ما لا يخفى وقرى فرضناها بالتشديد
لتاكيد الايجاب او لتعدد الفرايض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف وانزلنا فيها
اى فى تضاعيف السورة ايات بينات ان اريد بها الايات التى نيطت بها الاحكام المفروضة
وهو الاظهر فكونها فى السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها
على الاطلاق فانها اسوة لساير الايات فى ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها
لابراز كمال العناية بشانها وان اريد جميع الايات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه
وتكرير انزلنا مع ان جميع الايات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رايق داع الى
تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى
نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التائين وقرى بادغام
الثانية فى الذال اى تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها
وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها الزانية والزانى
شروع فى تفصيل ما ذكر من الايات البينات وبيان احكامها والزانية هى المراة المطاوعة للزنا الممكنة
منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزانى لانها الاصل فى الفعل لكون الداعية فيها
اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما ماية

جلدة والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التى زنت والذى زنى كما
فى قوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وقيل الخبر محذوف اى فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية
والزانى اى حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما فى حق المحصن وغيره
وقد نسخ فى حق المحصن قطعا ويكفينا فى تعيين الناسخ القطع بانه عليه السلم قد رجم ماعزا وغيره فيكون
من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفى الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها
فجازت الزيادة بها على الكتاب وروى عن على رضى الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ باية منسوخة التلاوة هى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روى عن على رضى الله عنه ولا تاخذكم بهما رافة
وقرى بفتح الهمزة وبالمد اى ضالة اى رحمة ورقة فى دين الله فى طاعته واقامة حده فتعطلوه
او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها ان كنتم تومنون
بالله واليوم الاخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضى الجد فى طاعته تعالى والاجتهاد
فى اجراء احكامه وذكر اليوم الاخر لتذكير ما فيه من العقاب فى مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد
عذابهما طائفة من المومنين اى لتحضره زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب
والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشئ من الطوف واقلها ثلثة كما روى عن قتادة وعن ابن عباس
رضى الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر الزانى
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب المعتاد
جئ به لزجر المومنين عن نكاح الزوانى بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين
فى نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فنفروا
عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصايص المشركين كانه قيل الزانى لا يرغب الا فى نكاح احداهما والزانية لا يرغب
فى نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا فى سلكهما او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع
ان مناط التنفير هى الثانية اما للتعريض بقصر هم الرغبة عليهن حيث استاذنوا فى نكاحهن او لتاكيد العلاقة
بين الجانبين مبالغة فى الزجر والتنفير وعدم التعرض فى الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر و
التنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها فى الاولى اشباعا فى التنفير عن الزانية بنظمها فى سلك المشركة
وحرم ذلك اى نكاح الزوانى على المومنين لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب
لسوء المقالة والطعن فى النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد ما لا يكاد يليق باحد من
الاداني والاراذل فضلا من المومنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة فى الزجر وقيل النفى بمعنى
النهى وقد قرى به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى و
انكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روى انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله
سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان والذين
يرمون المحصنات بيان لحكم العفايف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزوانى والمراد بالاحصان
ههنا مع مدلوله الوضعى الذى هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفى التعبير عن التفوه بما قالوا
فى حقهن بالرمى المنبئ عن صلابة الالة وايلام المرمى وبعده عن الرامى ايذان بشدة تاثيره فيهن وكونه رجما
بالغيب والمراد برميهن رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزوانى ووصفهن

بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة
ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مؤنة بيان تأخر نزول الاية
عن قوله تعالى واستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبه المصادرة
كانه قيل والذين يرمون العفايف المنزهات عما رمين به من الزنا ثم لم يأتوا باربعة شهداء يشهدون
عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تأخير الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق
العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعي فانه جوز التراخي
بين الشهادات ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهدا فاجلدوهم
ثمانين جلدة لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء
فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص
رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا
تقبلوا لهم شهادة عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما
ان الجلد مؤلم للبدن وقد اذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم
متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها
وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول
شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة من اهليته السابقة بل
من اهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون بسب
الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بدون
ما مر من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال
كونها حاصلة لهم عند الرمي ابدا اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه
قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله واولئك هم الفاسقون
كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز
عن الحدود الكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله
تعالى الا الذين تابوا استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب
لانه عن موجب وقوله تعالى من بعد ذلك للتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب
العظيم الهائل واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام
للحد والاستحلال من المقذوف فان الله غفور رحيم تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة
بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه
تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى حينئذ
الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فينتهي بالتوبة فتقبل شهادته
بعدها والذين يرمون ازواجهم بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين
لغيرهن لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الاية السابقة ظنية فلا
يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل يكون ناسخا للعموم ولو

تراخي نزولها كما سيأتي فيبقى الاية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما بين في موضعه ان دليل
النسخ غير معلل ولم يكن لهم شهداء يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتأنيث الفعل الا
انفسهم بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم
الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله
فشهادة احدهم اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى اربع شهادات خبره
اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها
وقرئ اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انها خبر لمبتدأ محذوف اي فالواجب
شهادة احدهم واما مبتدأ محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة انه لمن الصادقين اي فيما
رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتأكيد والخامسة
اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها
شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار
الصدق وهي مبتدأ خبره ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا فاذا
لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن ويدرأ عنها العذاب اي العذاب
الدنيوي وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب ان تشهد اربع شهادات
بالله انه اي الزوج لمن الكاذبين اي فيما رماني به من الزنا والخامسة بالنصب عطفا على
اربع شهادات ان غضب الله عليها ان كان اي الزوج من الصادقين اي فيما رماني به من الزنا
وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ
ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما
يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي ان اية القذف
لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رحمه الله فقال
جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه
بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم
افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة وهي بنت
عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة
عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا تتأبد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد
جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله تعالى هي فرقة
بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان
الله تواب حكيم التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه
وجواب لولا محذوف للتهويل والاشعار بضيق العبارة عن حصره كانه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته
وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان
لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد
القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة

وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة
لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات
كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما
في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه واطم وفي ذلك من احكام الحكم البالغة
وآثار الفضل والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر واما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه في
الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما اعظم شأنه
واوسع رحمته وادق حكمته ان الذين جاءوا بالافك اي بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل
هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به
ما افك به الصديقة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وفي لفظ المجيء اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم
من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه
فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها
قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في
هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى
جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار
قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي
فرحلوه على بعيري وهم يحسبون انني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت
عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت
اني سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن
المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله
ما كلمنا كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت
اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني
الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي
فهلك من هلك وقوله تعالى عصبة منكم خبر ان اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا
العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم وقوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به
الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم
وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم اي من اولئك العصبة
ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه والذي تولى كبره اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي
لغة فيه منهم من العصبة وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج
او الفريق او نحوهما له عذاب عظيم اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم
وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر

وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى لولا
اذ سمعتموه تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق
الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى ظن
المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية
جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه
ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان
الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون
انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع
والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضين ثم ان كان المراد بالايمان
الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما
يظهره المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ
حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم
وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به
رأسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول
ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا
وقالوا في ذلك الآن هذا افك مبين اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة
ابنة الصديق ام المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاءوا عليه باربعة شهداء
اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما
سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء
يشهدون على ما قالوا فاذ لم يأتوا بالشهداء وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك
اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي
اولئك المفسدون عند الله اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة هم
الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون
غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم
بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا ولولا فضل الله عليكم خطاب للسامعين و
المسمعين جميعا ورحمته في الدنيا من فنون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة والآخرة
من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه بسبب
ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض
واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد اذ تلقونه بحذف احدى
التاءين ظرف للمس اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين بالسنتكم والتلقي
والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف
والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه
وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقفونه وتألقونه من الولق والالق

وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتلقفونه اى تتبعونه ويقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم اى تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشأ فى
القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم و
تحسبونه هينا سهلا لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة وهو عند الله والحال انه عند الله عز وجل
عظيم لا يقادر قدره فى الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه من المخترعين او المشايعين
لهم قلتم تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما
يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفى وجود التكلم به لا نفى وجوده على وجه الصحة او الا
والانبغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض
باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل
للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه واما ترك القول نفسه راسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى
يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغى ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم
ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل
من ان ظروف الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها
ما لا يتسع فى غيرها فهى ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل
مفعولا صريحا للفعل مذكور كما فى قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف
المنصوبة باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها اصلا لما تحققت ان مناط التقديم توجيه التحضيض
اليه وذلك يتحقق فى جميع متعلقات الفعل كما فى قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها
سبحانك تعجب ممن يقوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنايعه تعالى تنزيها له
سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان تكون
حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله
تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب و
عظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اى ينصحكم ان تعودوا لمثله اى كراهة ان تعودوا
او يزجركم من ان تعودوا او فى ان تعودوا من قولك وعظته فى كذا فتركه ابدا اى مدة حياتكم
ان كنتم مؤمنين فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات
الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها اى ينزلها كذلك اى
مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك وهذا كما فى قولهم سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل اى خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها
واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتفخيم شأن البيان والله عليم باحوال جميع مخلوقاته
جلائلها ودقائقها حكيم فى جميع تدابيره وافعاله فانى يمكن صدق ما قيل فى حق حرمة من
اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار
الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلى والاشعار بعلية الالوهية للعلم والحكمة
ان الذين يحبون اى يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة اى تنتشر الخصلة
المفرطة فى القبح وهى الفرية والرمى بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اى يحبون

شيوعها

شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة
فى الذين آمنوا متعلق بتشيع اى تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر
هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة اى يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة فى حق
المؤمنين وفى شأنهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم فى الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا
الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى وحسانا ومسطحا حد القذف
وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره والآخرة من عذاب النار وغير ذلك مما
يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور التى من جملتها ما فى الضمائر من المحبة المذكورة وانتم لا
تعلمون ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه
وعاقبوا فى الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولى للسرائر فيعاقب فى
الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل العذاب العظيم فى الدنيا عبارة عن حد القذف او منتظما
له كما اطبق عليه الجمهور اما اذا بقى على اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدى
للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان عذاب
من باشر الاشاعة وتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض التذييلى اعنى قوله تعالى والله يعلم وانتم
لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب العظيم لهم وتعليلا له ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير
للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة وان الله رؤف رحيم عطف على
على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرافة والرحمة وتغيير
سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى فى ذاته بالرافة التى هى كمال الرحمة وبالرحيمية
التى هى المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رافته ورحمته بهم كما ان المراد بالمعطوف
عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
اى لا تسلكوا مسالكه فى كل ما تأتون وما تذرون من الافاعيل التى من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها
وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهران موضع
ضميريهما حيث لم يقل ومن يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة فى التنفير والتحذير
فانه يأمر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كانه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دابه
المستمر ان يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر
ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشأن على رأى من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى
اسم الشرط او على ان الاصل يأمره وقيل هو عائد الى من اى فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لان شأن الشيطان
هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ولولا فضل
الله عليكم ورحمته بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود
المكفرة لها ما زكا اى ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد اى ما طهر الله تعالى ومن فى قوله تعالى
منكم بيانية وفى قوله تعالى من احد زائدة واحد فى حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى
وفى محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية ابدا لا الى نهاية ولكن الله يزكى يطهر من
يشاء من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله
سميع مبالغ فى سمع الاقوال التى من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التى من

جملها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية
للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا ياتل اي لا يحلف افتعال من الالية
وقيل لا يقصر من الالو والاول هو الاظهر لنزوله في شان الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على
مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين وبعضده قراءة من قرا ولا يتال
اولوا الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله تعالى عنه والسعة في المال
ان يوتوا اي على ان لا يوتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله صفات لموصوف واحد جيء بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاق
الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره اي على ان لا يوتيهم شيا
وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء عنه وقد قرئ الامران بتاء الخطاب على وفق قوله
الا تحبون ان يغفر الله لكم اي بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم
مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المواخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب
عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كانه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي انه صلى
الله عليه وسلم قراها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته و
قال والله لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اي العفايف مما رمين به من الفاحشة
الغافلات عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها من الدلالة
على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات او السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء المومنات
اي المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يومن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا
تفصيليا كما ينبي عنه تاخير المومنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها
المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير
التقديم والمراد بها عايشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لساير امهات
المومنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في
قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظايره وقيل امهات المومنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا
اوليا واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة
من نساء الامة فياباه ان العقوبات المرتبة على رمي هولاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا
ريب في ان رمي غير امهات المومنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن قد
خصصن من بين ساير المومنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة
عن ان يحوم حوله احد بسوء حتى ان ابن عباس رضي الله عنهما جعله اغلظ من ساير افراد الكفر حين سيل
عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة رضي الله
تعالى عنها وهل هو منه رضي الله عنه الا لتهويل امر الافك والتنبيه على انه كفر غليظ لعنوا بما قالوا
في حقهن في الدنيا والاخرة حيث يلعنهم اللاعنون من المومنين والملايكة ابدا ولهم مع ما ذكر
من اللعن الابدي عذاب عظيم هايل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى
يوم تشهد عليهم الخ اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله
وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع ساير جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هايلة

وحياة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب وان
اعتضينا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على انه
ظرف لفعل موخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة
التامة والداهية العامة كانه قيل يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذكور عبارة عن جميع اعمالهم السيئة
وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها انه تعالى ينطقها
بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا ان كلا منها تخبر بجناياتهم المعهودة
فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن احداهما
خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة
عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين
لامر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم
على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى الموخر كما مر مرارا
وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي يوم اذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم
الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا لا محالة كلام مبتدا مسوق
لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون
يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد
وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل ويعلمون عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به
القران الكريم ان الله هو الحق الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي من
جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشئون التي يشاهدونها منطبقة عليها المبين المظهر للاشيا
كما هي في انفسها او الظاهر انه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم
قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما ان تفسير الحق بذي الحق البين اي
العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في القران المجيد من ايات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد
وجبار عنيد لا تجد شيا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذلك
الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشان والنباهة وابراز رتبة الصديقة رضي الله
عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات الخ كلام مستانف موسس على قاعدة السنة
الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء
للخبيثين من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص
والخبيثون ايضا للخبيثات لان المجانسة من دواعي الانضمام والطيبات منهن
للطيبين منهم والطيبون ايضا للطيبات منهن بحيث لا يكادون يتجاوزونهن الى من
عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين والاخرين تبين
كون الصديقة رضي الله تعالى عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من
الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى اولئك مبرؤن مما يقولون على ان الاشارة الى اهل البيت
المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان

وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون
بعلو الشأن مبرءون مما يقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول
للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي ان يقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من
الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة
وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شأنهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون
في حقهم فمآله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء
لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات
من الكلام للطيبين من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون
بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرءون مما يقوله الخبيثون من الخبائث
اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة عظيمة لما
لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير
بيوتكم اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما
عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم
الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج
مخرج العادة التي هي سكنى كل احد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير
اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء حتى تستأنسوا اي تستأذنوا من يملك الاذن
من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم
للحال مستكشف انه هل يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستأذن
مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس وتسلموا على اهلها عند الاستيذان
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن
له دخل والا رجع ذلكم اي الاستيذان مع التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية
حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما
اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على امي قال
نعم قال ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال عليه السلام أتحب ان تراها عريانة
قال لا قال عليه السلام فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمضمر اي امرتم به او قيل لكم هذا
كي تذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه فان لم تجدوا فيها احدا اي ممن يملك الاذن على ان من لا
يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او لا احد اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي
عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك
الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول
حين حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على
العورات اولى فلا تدخلوها واصبروا حتى يؤذن لكم اي من جهة من يملك الاذن عند
اتيانه ومن فسر بقوله حتى يأتي من يأذن لكم او حتى تجدوا من يأذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض
الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا بل

في

في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا اي ان امرتم
من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الآمر ممن يملك الاذن اولا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان
كما في الوجه الاول ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى ان يأتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة
في قلوب الناس ويقدح في المروءة اي قدح هو اي الرجوع ازكى لكم اي اطهر مما لا يخلو عنه
اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون
وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا اي بغير استيذان بيوتا
غير مسكونة اي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من
غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة
كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح
اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشري والبيع والاغتسال
وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل
ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي
الحمامات ونحوهم وروي ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية
في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي
الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه البيوت لا انها المرادة فقط
وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل
لفساد او اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة
يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رأيه عليه السلام
لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها
حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم
غضوا يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد
بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك اي ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم من دنس
الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها
اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه
في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن
النظر اليه ويحفظن فروجهن بالتستر او التصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا
ورائد الفساد ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء
مواقعها ما لا يخفى الا ما ظهر منها عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل
والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما
يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة وليضربن
بخمرهن على جيوبهن ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت

النساء على عادة الجاهلية ليسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعتها
فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدى بعلى وقرئ
بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر
بعدما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن فانهم المقصودون
بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن
او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن
وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن
ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يسترن عنهم حذرا
من ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المومنات
فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن اي من الاماء فان عبد المراة بمنزلة
الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها
وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه ليس
عليك باس انما هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة
الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون
الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية او الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة
من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين اي ما يخفينه من الرؤية من زينتهن اي ولا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع
خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا
اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابداء عينها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها
ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات
الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الامر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في
اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها
من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المامور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما
كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر باله وفي
تكرير الخطاب بقوله تعالى ايها المومنون تاكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب
للامتثال حتما وقرئ ايه المومنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين وانكحوا
الايامى منكم بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه
مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وايامى مقلوب ايايم
جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال
فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر
والصالحين من عبادكم وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في

الارقا

الارقا لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشانه ويشفق عليه ويتكلف في
نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم
اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات
المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك
غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او اجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح و
القيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من
فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن
المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عليه السلام
اطلبوا الغنى في هذه الاية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شاء والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية
لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
وليستعفف ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابها الى ما هو اولى لهم واحرى بهم
بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اي
اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل
عليهم بالغنى ولطف لهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء و
ادنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعدما امر بانكاح صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح
امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة مما
ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول
المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق وقالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال
وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفا بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق ان
المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كساير العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا
ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد
شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر
عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا مع
تحقق الاخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام
البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البايع لا يمكن تحققه الا بتملكه
من جانب المشتري لم يكن بد من تضمين احدهما الاخر وقت الانشاء فكما ان قول البايع بعت انشاء
لعقد البيع على معنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رايه
توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة اي ايقاع
لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا موقوفا
على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط
او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب
كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد

فصل فى موضعه ان علمتم فيهم خيرا اى امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال
صلاحا لا يؤذى الناس بعد العتق واطلاق العنان واتوهم من مال الله الذى اتاكم امر للموالى ببذل
شئ من اموالهم وفى حكمه حط شئ من مال الكتابة ويكفى فى ذلك اقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه
حط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعى للوجوب ويرده
قوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقى عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقى حتما وايضا لو وجب
الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة فلا
يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى اتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا
ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المأمور به
كما فى قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع
كونه هو المالك الحقيقى له من اقوى الدواعى الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو امر باعطاء سهمهم
من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو امر ندب لعامة
المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما
نطق به قوله عليه السلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اى اماءكم
فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عليه السلام ليقل
احدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وامتى ولهذه العبارة فى هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلى
حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغا وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن
اللاتى يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى ان اردن
تحصنا ليس لتخصيص النهى بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها عن حكمه كما اذا
كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزانى او لخصوص الزمان او لخصوص المكان او لغير ذلك
من الامور المصححة للاكراه فى الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغا وهن
يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الامرة بالفجور وقصورهن فى معرفة الامور الداعية الى المحاسن
الزاجرة عن تعاطى القبائح فان عبد الله بن ابى كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن
ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم
وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه
حرمه من امائه فضلا عن امرهن به او اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتأمل ودع عنك
ما قيل من ان ذلك لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من انه ان جعل شرطا للنهى لا يلزم
من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى لامتناع المنهى عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايثار
كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة فى مورد النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند كون
ارادة التحصن فى حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بان
الارادة المذكورة فى حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها اباء
ظاهرا وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا قيد للاكراه لا باعتبار انه مدار للنهى عنه بل
باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل
النزر الحقير اى لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك

الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية
للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه ومن يكرههن الخ جملة مستأنفة
سيقت لتقرير النهى وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع
غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اى ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم اى لهن كما وقع فى مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهم وكما
ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اى كونهن مكرهات على ان الاكراه مصدر من المبنى للمفعول
فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصرى
اذا قرأ هذه الاية يقول لهن والله لهن والله وفى تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق
ذكر المكرهين ايضا فى الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره
ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد الى اسم الشرط مع جواز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا
او معهن اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لامر النهى فى مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة
عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون فى تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة
ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة و
اما الغاية تهويل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت فى التجافى عنه والتشديد فى تحذير المكرهين ببيان
انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر فى حقهن فما حال من
يكرههن فى استحقاق العقاب ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات كلام مستأنف جيء به
فى تضاعيف ما ورد من الايات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للاقبال
الكلى على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذى يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشأنه اى وبالله
لقد انزلنا اليكم فى هذه السورة الكريمة ايات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر
الاحكام والاداب وغير ذلك مما هو من مبادى بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازى او ايات
واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل
قد بين الصبح لذى عينين وقرئ على صيغة المفعول اى التى بينت واوضحت فى هذه السورة فى معانى
الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف على ايات اى وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا
من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم فى الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة
الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضى الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة
مريم رضى الله عنها وسائر الامثال الواردة فى السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الايات
المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتى من التمثيلات
وموعظة يتعظون به وينزجرون عما لا ينبغى من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن
الاداب فهى عبارة عما سبق من الايات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف
هو التغاير العنوانى المنزل منزلة التغاير الذاتى وقد خصت الايات بما بين الحدود والاحكام
والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه
وغير ذلك من الايات الواردة فى شأن الاداب وانما قيل للمتقين مع شمول الموعظة

لكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام فى سلك المتقين
بيان انهم المغتنمون لاثارها المقتبسون من انوارها بحسب وقيل المراد بالايات المبينات والمثل
والموعظة جميع ما فى القران المجيد من الايات والامثال والمواعظ فقوله تعالى الله نور السموات
والارض الخ استيناف مسوق لتقرير ما فيهما من البيان مع الاشعار بكونه فى غاية الكمال على
الوجه الذى ستعرفه والملائم الاول والتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد فى السورة الكريمة بل
هو شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرايع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها فى الدنيا والاخرة و
غير ذلك مما له مدخل فى البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير
الذى هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة
التاثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير
به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما
يليق به من الامور التى لها مدخل فى ارشاد الناس بوساطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله و
يستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسمانى الذى لا مظهر للنور الحسى سواه
او على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احواله
ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب فى بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته
وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رضى الله عنهما هادى اهل السموات
والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى
للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل فى الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل فى الاخفاء او
على تزيين السموات بالنيرين وساير الكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملئكة عليهم السلام
وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمومنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره تعالى
لامورهما وامور ما فيهما فمما لا يلايم المقام ولا يساعد حسن النظام **مثل نوره** اى نوره الفايض
منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القران المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف اياته بالانزال
والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا فى قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضى الله
عنهما والحسن وزيد ابن اسلم رح وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة
الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن الايات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق
ولان المعتبر فى مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القران الكريم واما الحق فالمعتبر فى
مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اى صفة نوره العجيبة
كمشكوة اى كصفة كوة غير نافذة فى الجدار فى الانارة والتنوير **فيها مصباح** سراج ضخم
ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة **المصباح فى زجاجة**
اى قنديل من الزجاج الصافى الازهر وقرئ بفتح الزاء وكسرها فى الموضعين **الزجاجة كانها
كوكب درى** متلألئ وقاد شبيه بالدر فى صفائه وزهرته ودرارى الكواكب عظامها المشهورة
وقرئ درئ بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدرء وهو
الدفع اى مبالغ فى دفع الظلام بضوئه او فى دفع بعض اجزائه ضياء لبعض عند البريق واللمعان
وقرئ بضم الدال والباقى على حاله وفى اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين

والاخبار

والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكوة فيها مصباح فى زجاجة كانها كوكب درى
من تفخيم شانهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق
الاخبار المنبئ عن القصد الاصلى دون الوصف المنبئ عن الاشارة الى الثبوت فى الجملة ما لا يخفى ومحل
الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط
كانه قيل فيها مصباح هو فى زجاجة هى كانها كوكب درى **توقد من شجرة** اى ابتداء ايقاد المصباح
من شجرة **مباركة** اى كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت
فى الارض التى بارك الله تعالى فيها للعالمين **زيتونة** بدل من شجرة وفى ابهامها ووصفها بالبركة
ثم الابدال عنها تفخيم لشانها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القايم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح
وقرئ توقد على صيغة الماضى من التفعل اى ابتداء ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى
التائين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة **لا شرقية ولا غربية** تقع الشمس عليها حينا دون حين
بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى على قلة او صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتى الطلوع والغروب
وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها
ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اى تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية
غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوء وقيل لا نابتة فى شرق المعمورة ولا فى غربها بل فى
وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا فى مضحى تشرق الشمس عليها دايما فتحرقها ولا
فى مقناة تغيب عنها دايما فتتركها نيا وفى الحديث لا خير فى شجرة ولا نبات فى مقناة ولا خير فيهما
فى مضحى **يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار** اى فى الصفاء والانارة بحيث يكاد يضئ بنفسه
من غير مساس نار اصلا وكلمة لو فى امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شئ فى الزمان الماضى
لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية
الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق
من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه
اما لوجود المانع كما فى قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة واما لعدم
الشرط كما فى هذه الاية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال
بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون
ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شئ اخر من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على
نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد فى الخبر الموجب والمنفى فانك اذا قلت فلان جواد
يعطى ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطى ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء فى الاول وعدم تحققه فى
الثانى فى جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطى لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطى لو لم يكن غنيا
ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هى عليه فى حيز النصب على الحالية من المستكن فى الفعل الموجب
او المنفى اى يعطى او لا يعطى كاينا على جميع الاحوال وتقدير الاية الكريمة يكاد زيتها يضئ لو مسته
نار ولو لم تمسسه نار اى يضئ كاينا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى
حسبما هو المطرد فى الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة **نور** خبر مبتدا محذوف وقوله

تعالى على نور متعلق بمحذوف هو صفة له موكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكه للتمثيل وتصريح
بما حصل منه وتمهيد لما تعقبه اي ذلك النور الذي عبر به عن القران ومثلت صفته العجيبة الشان بما
فصل من صفة المشكاة نور عظيم كاين على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور
اخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد
مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان
في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوء له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع
بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شي على زيادة الانارة وكذلك
الزيت وصفاوه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة
هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشان التنزيل الجليل • يهدي الله لنوره
اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في
مقام الاضمار لزيادة تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشية من اضافته الى
ضميره عز وجل • من يشاء • هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلايل حقيته وكونه من
عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان
مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيته تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضا
الى المطالب • ويضرب الله الامثال للناس • في تضاعيف الهداية حسبما تقتضي حالهم فان له دخلا
عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعاني بصورة المانوس
ولذلك مثل نوره المعبر به عن القران المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان
باختلاف حال ما اسند اليه من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما
يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة • والله بكل شي عليم • معقولا كان او محسوسا
ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان يعلق مشيته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من
عداهم لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هداية العامة على فنون مختلفة وطرايق
حسبما تقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال
الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا • في بيوت اذن الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه • لما ذكر شان القران الكريم في بيانه للشرايع والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة
عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الاخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون
من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى
مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشية الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك
بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت
المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من
انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابرهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمن
عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها
للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كساير البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها
بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري واياما كان فهي التعبير

عنه بالاذن تلويح بان اللايق بحال المامور ان يكون متوجها الى المامور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه
كانه مستاذن في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى
وكلمة في متعلقة بقوله تعالى • يسبح له • وقوله تعالى • فيها • تكرير لها للتاكيد والتذكير لما بينهما من
الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح
التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا المراد به
الصلوات المفروضة كما ينبي عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى • بالغدو والاصال • اي بالغدوات
والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقني في جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر
به اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل وهو العشي وهو شامل لاوقات ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة
ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على انه عبادة عما يقع منه في اثناء الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه
وانافته على ساير افراده او عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام
كلها لكونهما العمدة فيها لكونهما مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال
بالاشغال وقري والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى • رجال • فاعل يسبح وتاخيره
عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل
تقديمه بحسن الانتظام وقري يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما
ينبي عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله • ليبك يزيد ضارع لخصومة • كانه قيل من
يسبح له فقيل يسبح له رجال وقري تسبح بتانيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة
المؤنث ومبنيا للمفعول على ان يسند الى اوقات الغدو والاصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات
مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده
الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزي قوما اي ليجزي الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ
ليس هناك مفعول صريح • لا تلهيهم تجارة • صفة لرجال موكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة
لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف
يثنيهم كاينا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا تشغلهم
نوع من انواع التجارة • ولا بيع • اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر
مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على ساير انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه
متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهاء ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير
النفي وتاكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشرا لانه اصلها ومبدوها وقيل هو الجلب
لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه • عن ذكر الله • بالتسبيح والتحميد • واقام الصلوة
اي اقامتها لمواقيتها من غير تاخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض
عنها الاضافة كما في قوله • واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • اي عدة الامر • وايتاء الزكوة
اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة
لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة
فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى • يخافون • الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول
لا تلهيهم واياما كان زمانهم فهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى • يوما • مفعول

يخافون لا ظرف له وقوله تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اى تضطرب وتتغير في
انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير
احوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب
القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية يوخذ بهم ويوتى كتابهم ليجزيهم
الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكى من اعمالهم المرضية اى يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح
والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا اى
احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم
من فضله اى يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها
ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عز
حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب
فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب
واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها
في سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب
ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى
لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لظاهر الاسباب وللايذان
بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما
يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء
الزكوة وخوف اليوم الاخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القران العظيم الذي هو المعني
بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في
بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكوة اى كائنة في بيوت وقيل
لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشان التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعده
قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى
بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر
ولحائه بالاجنبي يودي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين لنور القران الكريم بطريق الاستتباع
والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا يعهد به في كلام الناس
فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين
امنوا اعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا اعمالهم اى اعمالهم التي هي من ابواب البر
كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف
ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم
كرماد الاية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن
انه ماء يسرب اى يجري بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اى كائن في قاع وهي الارض
المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات املحلي

انما

انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف يحسبه الظمان ماء
صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمان مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان و
الريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع المويس
حتى اذا جاءه اى اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده اى ما حسبه ماء
وعلق به رجاءه شيئا اصلا لا متحققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه
تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب
بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة و
القنوط فقط كما هو شان الظمان ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة
اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان
الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده
شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الاخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كانه
قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيمة اعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الاخرة لم يجدوها
شيئا ووجدوا الله اى حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم اى اعطاهم وافيا كاملا حسابهم
اى حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر
موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمان
الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت
في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر
او كظلمات عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها
اقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقابه
مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خير يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي
اى عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه يغشاه
صفة اخرى للبحر اى يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من
مبتدا وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له
لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور اى يغشاه امواج متراكمة
متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين
اى من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها
حتى كانها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدا محذوف اى هي ظلمات بعضها فوق
بعض اى متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية
قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على
الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها اذا اخرج اى من ابتلي بها واضماره من غير ذكره
لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينيه لينظر اليها لم يكد
يراها وهي قريب شيء منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا الخ اعتراض تذييلي

جىء به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم
لنوره وايراد الموصول للاشارة بما فى حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشاء الله تعالى هدايتهم
اى ومن لم يشاء الله ان يهديه لنوره الذى هو القران هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما
ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اى فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى الم تر
الخ استيناف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه عليه السلم اعلى
مراتب النور واجلاها وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اى قد
علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة فى القوة والرصانة بالوحى الصريح والاستدلال الصحيح ان
الله يسبح له اى ينزهه تعالى على الدوام فى ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشانه الجليل من
نقص او خلل من فى السموات اى ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا
ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا يفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات
الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب
الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشان من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة
تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذى هو اقوى مراتب
التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شئ
مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شانه تعالى وعزة
سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق
الكلام لتقبيح حال الكفرة فى اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له فى الالوهية ونسبتهم الى
اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان
يراد به معنى مجازى شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلوته
وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم
ما ذكر من الدلالة التى يشاركهم فيها غير العقلاء ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم
يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التى هى الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار
اشرفها التى هى الانسانية والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى جملة
ما فى الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها
من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد
بقوله تعالى صافات اى تسبحه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام
الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف فى الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها
الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون واية بينة لقوم يعقلون دالة على
كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه
بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر فى التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر
عنه من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج فى تضاعيفه الاشارة
الى ان كل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة
منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه ان كل من الموجودات الممكنة فى حد ذاته بمعزل

٥٨٤

من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض منه عليه تعالى ما يليق بشانه من الوجود وما يتبعه من
الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار مفيض عليه فى كل ان من فنون الفيوض
المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة
لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلوة التى هى الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل
وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح فى الذكر لتقدمها عليه فى الرتبة
هذا ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين فى كل انواع الطير
او افرادها وبالصلوة والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين
لكن لا على ان يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا برافعها فانه يؤدى الى ان يراد بالتسبيح معنى
مجازى شامل للتسبيح المقالى والحالى من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اريد
به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر فى قوله تعالى وكثير من الناس اى وتسبيح
الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه اى
دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدورهما عنه ليس
بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم واتقان من غير اخلال بشئ منهما حسبما الهمه الله تعالى فان
الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدى اليها جهابذة العقلاء
مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه
يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبها فيغير المدخل الى جحرها حتى روى انه كان بقسطنطينية قبل
الفتح الاسلامى اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك
امور سفائنهم وغيرها وكان السبب فى ذلك انه كان يقتنى فى داره قنفذا يستدل باحواله
على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا على
التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون اى ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم و
والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثانى اما عبارة عنها وعن
التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء
لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان
الضمير فى قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفى صلوته وتسبيحه لكل اى قد علم الله تعالى صلوة كل واحد
مما فى السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على ان يكون
ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة
عنه وهما داخلتان فيها دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق لهما
ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف فى جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تع
والى الله اى اليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير اى رجوع الكل بالفناء والبعث بيان
لاختصاص الملك به تعالى فى المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى فى المبداء واظهار الاسم الجليل
فى موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله يزجى سحابا الازجاء سوق
الشئ برفق وسهولة غلب فى سوق شئ يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء

الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اى بين اجزائه بضم بعضها الى بعض
وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما اى متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اى المطر اثر تراكمه
وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اى من فتوقه حال من الودق لان الروية بصرية وفى تعقيب الجعل
المذكور برويته خارجا بالجزو جه من المبالغة فى سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك
البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الروية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كالحجاب
والحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء من جبال
اى من قطع عظام تشبه الجبال فى العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على
ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اى ينزل
مبتديا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال اى ينزل
مبتديا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح
بعضيه المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضيه ومن برد بيان للجبال اى ينزل من السماء بعض
جبال كائنة فيها من برد اى مشبهة بالجبال فى الكثرة وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول
لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من
برد اى مشبهة بالجبال فى الكثرة وايا ما كان ان فى الارض جبالا من حجر وليس فى العقل ما ينفيه من قاطع
والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد
اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية
قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه
المطر او الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب
به اى بما ينزل من البرد من يشاء ان يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر فى نفسه وماله ويصرفه
عمن يشاء ان يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه اى ضوء برق السحاب الموصوف بما مر
من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه
عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بفتح الراء على انه جمع
برقة وهى مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع بضم الباء يذهب بالابصار اى يخطفها من
فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفى اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تأثيره فيها
كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد
للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة
بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور
التى من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ان فى ذلك اشارة الى ما فصل انفا وما
فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة لدلالة واضحة على
وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه
عما لا يليق بشانه العلى لاولى الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة اى كل حيوان يدب
على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون
تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست

صلة لخلق فمنهم من يمشى على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة
او المشاكلة ومنهم من يمشى على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشى على اربع كالنعم والوحش و
عدم التعرض لما يمشى على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير فى
منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمالى والترتيب لتقديم ما هو
اعرف فى القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من الصور و
الاعضاء والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل
فى موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور وللايذان بانه من احكام الالوهية ان الله على كل شىء قدير
فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستيناف التعليلى لقد
انزلنا ايات مبينات اى لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله يهدى
من يشاء ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل فى مطاويها الى صراط مستقيم
موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول شروع فى بيان احوال
بعض من لم يشاء الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت فى المنافقين الذين كانوا يظهرون
الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف
واليهودى يدعوه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل فى المغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى ماء
وارض فابى ان يحاكم الى الرسول صلى الله عليه وسلم وايا ما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل طائفة
يساعدونه ويشايعونه فى تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل منهم واطعنا
اى اطعناهما فى الامر والنهى ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك اى من بعد
ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما فى ذلك
من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة وما اولئك اشارة الى القائلين
لا الى الفريق المتولى منهم فقط لعدم اقتضاء نفى الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه
عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى
الكفر والفساد اى وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم
فى العقد والعمل بالمؤمنين اى المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اى ليسوا بالمؤمنين المعهودين
بالاخلاص فى الايمان والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اى الرسول بينهم لانه
المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان
بجلالة محله عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون اى فاجاء فريق منهم الاعراض عن المحاكمة
اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولى و
مبالغة فيه وان يكن لهم الحق لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لجزمهم بانه عليه السلام
يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجىء يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال
كما فى قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص افى قلوبهم مرض انكار واستقباح
لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد
المنشئية بينها مدار الاستفهام ليس ما وليته الهمزة وام من الامور الثلثة بل هو منشئيتها
له كانه قيل اذلك اى اعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ام لانهم ارتابوا

في امر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيتها ام لانهم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم
اضرب عن الكل وابطلت منشائيته وحكم بان المنشا شي اخر من شنايعهم حيث قيل بل اولئك هم
الظالمون اي ليس ذلك لشي مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشي منهما لاعرضوا عنه عليه السلم عند توجه
الحق لهم ولما اتوا اليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث
فلانتفائه راسا حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة
والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيابون المحاكمة
اليه عليه السلام لعلمهم بانه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في
الاولين هو وصف منشائيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف
جميعا هذا وقد خص الارتياب بما له منشا مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى ام ارتابوا بان راوا منه
تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فمدار النفي حينئذ نفس الارتياب ومنشائيته معا
فتامل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما تقتضيه النظر الجليل انما كان قول
المومنين بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى
صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل
اليه للتنكير بخلاف قول المومنين فانه يحتمله كما اذا اختزلت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع اقعد بحسب
المعنى واوفى لمقتضى المقام لما ان مصب الفايدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية
ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في
الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن هو احق
بالخبرية واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة
الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة ويجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان
مطلق القول الصادر عن المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول عليه السلم بينهم
اي وبين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا
القول المحكي عنهم لا قولا اخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المومنين اي انما كان قولا
لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا
في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافها في معرض القصد
الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجازا والقول تعالى اذا دعوا
اي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم واولئك اشارة الى المومنين
باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل
اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون اي هم الفائزون بكل مطلوب والناجون من
عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله استيناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المومنين
وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اي ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية
اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والاول هو الانسب بالمقام ويخش الله ويتقه
باسكان القاف المبني على تشبيه [illegible] وقرئ بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء اي ويخش الله
على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية و

الاتقاء

الاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم واقسموا بالله حكاية لبعض اخر من اكاذيبهم
موكدا بالايمان الفاجرة وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب على انه مصدر موكد لفعله الذي هو في حيز
النصب على انه حال من فاعل اقسموا اي اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ
غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي جاهدين بالغين اقصى
مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر موكد لاقسموا اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين
قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن امرتهم اي بالخروج الى الغزو ولا عن ديارهم واموالهم
كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت
خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب لاقسموا بطريق
حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر عليه السلام
بردها حيث قيل قل اي ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم
كاذبين فيها لا تقسموا اي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدا
محذوف والجملة تعليل للنهي اي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان
فقط من غير مواطاة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف لكل احد
وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا او حملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها
من مبتدا او خبر او فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية او طاعة معروفة
اولى بكم او اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام ان الله خبير بما تعملون من الاعمال الظاهرة و
الباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب الموكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم
من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المومنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان
طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرة امرها فيما بين المومنين اخباره تعالى بذلك ووعيد
لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول نهي
بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع
واطلاق الطاعة المامور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه
على انها ليست من الطاعة في شيء اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب للمامورين بالطاعة من
جهته تعالى وارد لتاكيد الامر بها والمبالغة في ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب
لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم
ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما
اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد
امره تعالى اياهم بواسطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولي عنه اجمالا
وتفصيلا من افادة ما ذكر من التاكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم داخل تحت القول ماموره حكاية
من جهته تعالى وانه ابلغ في التبكيت تعكيس للامر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلم للمامور
اليه وعدم التصريح به للايذان [illegible] عليه السلام التبليغ ما امر به وعدم
الحاجة الى الذكر ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم بها فانما عليه اي فاعلموا انما عليه عليه السلم

ما حمل اي امر به من التبليغ وقد شاهد تموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وعليكم ما
حملتم اي ما امرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه موقتاً باقية في عهدتكم
بعد كانه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على
المشاكلة وان تطيعوه اي فيما امركم به من الطاعة تهتدوا الى الحق الذي هو المقصد الاصلي الموصل الى
كل خير والمنجي عن كل شر وتاخيره من بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تاكيد الترغيب وتقريبه
مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله
من ان غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاماً
اوليا او للعهد اي ما على جنس الرسول كائنا ما كان او ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج
الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقي ما
حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم استئناف مقرر لما في قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا
من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية
والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا
كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طائفة كان وفي اي وقت كان لا من آمن من
طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة
فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف
على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي امر بها ورتب عليها ما نظم في سلك
الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته في
الآثار والاحكام والايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تاخيره عنهما في قوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه
عليه الصلوة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة
مثابرون عليهما فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم وللامة عموما على ان من تبعيضية او له عليه السلام ولمن معه من المؤمنين
خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما تقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه بمنازل وابعد عما
يليق بشأنه عليه السلام بمراحل ليستخلفنهم في الارض جواب للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده
تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في مماليكهم
او خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم
هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم
من الامم المؤمنة التي اشير اليهم في قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود و
الذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن
الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل
بعد تاكيده بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من
قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل
هو عليه من فعل مبني للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين

لا محالة

لا محالة كانه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية كائنة كمستخلفية من
قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فانبته الله نباتا
حسنا على احد الوجهين اي فنبت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع
من المال الا مسحت او مجلف اي فلم يبق الا مسحت الخ وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم
منتظم معه في سلك الجواب وتاخيره عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ
العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون
على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو
جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض
ونظائره وكلمة في للايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة
احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما
فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله
الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند
وروده ولان في توسيطها بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى الذي ارتضى لهم وتاخيرها
عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه
بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد
وقرئ بالتخفيف من الابدال من بعد خوفهم اي من الاعداء امنا حيث كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون
في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال عليه السلام لا تغبرون
الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية
وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم
كل من عاداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى
وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الموصول الاول
مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف لبيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم
معه في سلك الوعد لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة
شيئا ومن كفر اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب والترغيب
فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان
وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد الكريم بما
فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فاولئك
البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال هم الفاسقون الكاملون في الفسق والخروج
عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى
فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى
اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده

على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فامنوا واعملوا صالحا فاقيموا
او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا الرسول
امرهم الله سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول عليه السلام من طاعته التي هي طاعته تعالى في
الحقيقة تاكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطلع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة
للاداب المرضية ايضا اي واطيعوه في كل ما يامركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين
الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر ملاك امها من الشرائع اي واطيعوه في ساير ما يامركم
به الخ وقوله تعالى لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى
الثاني بالاوامر الثلثة اي افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن
الذين كفروا لما بين حال من اطاعه عليه السلام واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة
لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه السلام ومال امره في الدنيا والاخرة بعد بيان
تناهيه في الفسق تكميلا لامر الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان
واما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان
الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك
منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله
تعالى في الارض ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في غيرها فان ذلك مما
لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل
عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ
لا يحسبن بياء الغيبة على ان الفاعل كل احد والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه
في الارض او هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرون
انفسهم معجزين في الارض واما جعل معجزين مفعولا اول وفي الارض مفعولا ثانيا فمبعزل من
المطابقة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين
في الارض وقد مر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى وماويهم النار معطوف
على جملة النهي بتاويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه
قيل ليس الذين كفروا معجزين وماويهم الخ او على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كانه قيل لا تحسبن
الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون وماويهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون
قدير ولبئس المصير جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي
اي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها ماوى ومصيرا لهم اثر نفي
فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شان التنزيل يا ايها
امنوا رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهي
الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد
والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق
التغليب روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر

رضي الله تعالى عنه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى
اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعة الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد والجواري والذين
لم يبلغوا الحلم اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله منكم
اي من الاحرار ثلث مرات اي ثلثة اوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار
وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستاذنين بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة
الفجر لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب
على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي احدها من قبل الخ وحين تضعون
ثيابكم اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة وهي شدة
الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول
والاخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها ايراد الحين مضافا الى فعل
حادث منقض ووقوعها في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال
وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما
معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس
والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد
المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما الطرفين في ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين اتصالا
عاديا وقوله تعالى ثلث عورات خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى لكم متعلق بمحذوف هو صفة
لثلث عورات اي كائنة لكم والجملة استيناف مسوق لبيان علة وجوب الاستيذان اي هن ثلثة اوقات
يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره
اطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا
من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم اي على المماليك والصبيان جناح اي اثم في الدخول
بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعدهن اي بعد كل واحدة
من تلك العورات الثلث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان
كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف
والترخيص الذي هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما يتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف
والجملة على القراءتين مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها
في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات وهي على القراءة الثانية فهي مستانفة لا غير اذ لو جعلت
صفة لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستاذنكم هؤلاء في ثلث عورات وهي
لا اثم في ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لم يعلمه السامع الا بهذا الكلام
لم يتسن ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام
وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهي المخالطة الضرورية
وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها

عورات بعضكم على بعض اى بعضكم طايف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شان المشار اليه والايذان
ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اى مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات
الدالة على الاحكام اى ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم يكن كذلك و
الكاف مقحمة وقد مر تفصيله فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على
المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح
مع انه مؤد الى تخصيص الايات بما ذكر هٰهنا والله عليم مبالغ فى العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم
حكيم فى جميع افعاله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم
الحلم لما بين فيما مر انفا حكم الاطفال فى انه لا جناح فى ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلثه
عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كساير الاجانب بسبب
اعتيادهم الدخول اى اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستاذنوا اذا ارادوا الدخول عليكم
وقوله تعالى كما استاذن الذين من قبلهم فى حيز النصب على انه نعت لمصدر موكد للفعل السابق و
الموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء
باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم كما قيل لما ان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان
هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب
فى ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك فى الواقع وانما المعهود المعروف
ذكرهم قبل ذكرهم اى فليستاذنوا استيذانا كائنا مثل استيذان المذكورين قبلهم بان يستاذنوا فى
جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم
حكيم الكلام فيه كالذى سبق والتكرير للتاكيد والمبالغة فى الامر بالاستيذان واضافة الايات
الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء اى العجايز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل اللاتى
لا يرجون نكاحا اى لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة
كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى او للوصف بها غير متبرجات بزينة
غير مظهرات لزينة مما امر باخفائه فى قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار
ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها
كله الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن بترك الموضع خير لهن
من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ فى سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجرى بينهن وبين
الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج ولا
على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوايف يتحرجون من مواكلة الاصحا حذارا من
استقذارهم اياهم وخوفا من تاذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما
سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح فى مجلسه فياخذ اكثر من موضعه فيضيق على
جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذى قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن
عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت ابائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل فى الاية
الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك

وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء فى بيوتهم
ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان ياكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير
هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل فى بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوايف المعدودة ولا على انفسكم
اى عليكم وعلى من يماثلكم فى الاحوال من المؤمنين حرج ان تاكلوا اى تاكلوا انتم وهم معكم وتعميم
الخطاب للطوايف المذكورة ايضا يا باه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوايف حتما
من بيوتكم اى البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله
عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من
كسبه او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما
ملكتم مفاتحه من البيوت التى يملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه الذى مر بيانه
وقيل هى بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه او صديقكم
وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقرباء روى عن ابن
عباس رضى الله عنهما ان الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء
والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط و
القطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه ولذلك
خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا
او اشتاتا كلام مستانف مسوق لبيان حكم اخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبنى
ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان ياكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى
يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من يواكله لم ياكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله
من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا
امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغنى منهم يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه
الى طعامه فيقول انى لاتحرج ان اكل معك وانا غنى وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا ياكلون
اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم فى ان ياكلوا كيف شاؤا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليا كلوا
طعاما عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا
حال من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه داخل فى حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر
شت اى متفرق او على انه فى الاصل مصدر وصف به مبالغة اى ليس عليكم ان تاكلوا مجتمعين او
متفرقين فاذا دخلتم شروع فى بيان الاداب التى تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر
بيان الرخصة فيه بيوتا اى من البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم اى على اهلها الذين بمنزلة
انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله اى ثابتة
بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحيوة التى هى من عنده تعالى وانتصابها
على المصدرية لانها بمعنى التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما طيبة
تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضى الله عنه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه
يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين

كذلك يبين الله لكم الآيات تكرير لتأكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون اى ما فى تضاعيفها
من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك سعادة الدارين وفى تعليل هذا التبيين
بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله استيناف جئ به فى اواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتاكيدا لوجوب مراعاتها
وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله فى حيز الصلة للموصول الواقع
خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان
بهما منتظما فى سلكه فقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع الخ معطوف على آمنوا داخل معه
فى حيز الصلة اى انما الكاملون فى الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما
فى جميع الاحكام التى من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة فى الوقوع
واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه السلام على امر مهم يجب اجتماعهم فى شانه
كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع اولى الآراء والتجارب و
وصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا اى من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب
حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستاذنوه عليه السلام
فى الذهاب لا على ان نفس الاستيذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هى الاذن المنوط برأيه عليه السلام
والاقتصار على ذكره لانه الذى يتم من قبلهم وهو المعتبر فى كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب
المترتب عليه واعتباره فى ذلك لما انه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل
للفرار ولتعظيم ما فى الذهاب بغير اذنه عليه السلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى
ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فقضى بان المستاذنين هم المؤمنون
بالله ورسوله كما حكم فى الاول بان الكاملين فى الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستيذان
وفى اولئك من تفخيم شان المستاذنين ما لا يخفى فاذا استاذنوك بيان لما هو وظيفته عليه السلام
فى هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وان الاذن عند الاستيذان ليس بامر محتوم بل هو
مفوض الى رايه عليه السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى بعد ما تحقق ان الكاملين فى
الايمان هم المستاذنون فاذا استاذنوك لبعض شانهم اى لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم
فاذن لمن شئت منهم لما علمت فى ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فان الاستيذان
ولو كان لعذر قوى لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الآخرة ان الله غفور مبالغ فى
مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ فى افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة فى
ضمن الامر بالاستغفار لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم استيناف مقرر لمضمون
ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشانه اى لا تجعلوا دعوته عليه السلام اياكم فى الاعتقاد
والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اى لا تقيسوا دعاءه عليه السلام اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى حال
من الاحوال وامر من الامور التى من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه السلام بغير استيذان
فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه السلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده
اخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل ويقرب الجملة لما قبلها اما من حيث ان استجابته
تعالى لدعائه عليه السلام مما يوجب امتثالهم باوامره عليه السلام ومتابعتهم له فى الورود والصدور

اكمل ايجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه السلام المؤدى الى ما يوجب
هلاكهم من دعائه عليه السلام عليهم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم
بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبى الله مع
غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم الخ وعيد للمخالفين امره عليه السلام فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه
له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان رب يجئ للتكثير حسبما بين
فى مطلع سورة الحجر اى يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية لواذا اى ملاوذة
بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام
وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اى ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال
فى الحقيقة اى يلوذون لواذا والفاء فى قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب
الحذر او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اى يخالفون امره
بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الاعراض او حمله على معنى يصدون
عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما ان المقصود بيان
المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لان الامر حقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود
بالذكر ان تصيبهم فتنة اى محنة فى الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اى فى الآخرة وكلمة
او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على ان الامر
للايجاب فانه رتب العذاب على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب
الامتثال به حتما الا ان لله ما فى السموات والارض من الموجودات باسرها خلقا وملكا وتصرفا
ايجادا واعداما بدءا واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التى من
جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون اليه عطف على ما انتم عليه اى
يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم
لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشئ مستلزم
للعلم بوقوعه على ابلغ وجه وآكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا
يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات
وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا من الاعمال السيئة التى من جملتها مخالفة
الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة
فى قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية والله بكل شئ عليم لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض
ولا فى السماء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات
بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما بقى وفيما مضى   تم سورة النور

سورة الفرقان سبع وسبعون

تبارك الذى نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوا

ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته
وافعاله التي من جملتها تنزيل القران الكريم المعجز الناطق بعلو شانه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله
على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور
نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى
الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه من مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل
القران المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة ح يجوز ان يكون لافادة نماء تلك
الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة
على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم
يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق
بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القران لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل
باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض في نفسه او في انزاله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم
وايراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عليه السلام في اقصى مراتب العبودية
والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى ليكون غاية للتنزيل اي نزله
عليه ليكون هو عليه السلام او الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا اي منذرا او انذارا
مبالغة او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام
على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت
للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث
لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى لا ريب فيه الذي له ملك السموات والارض اي له خاصة دون
غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة
التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما
تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستانفة
مقررة لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام
صلة ومعلومية مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله ونظائره او مدح له تعالى بالرفع او بالنصب ولم يتخذ ولدا كما يزعم الذين
يقولون في حق المسيح والملئكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة
الظرفية ونظمه في سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل
لا سيما بعد تقرير ما قبله ولم يكن له شريك في الملك اي ملك السموات وهو ايضا عطف على
الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان
زعم الثنوية القائلين بتعدد الالهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه
على استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول وخلق كل شيء اي احدث كل موجود
من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق
كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام فقدره
اي هيأه لما اراد به من الخصائص والافعال اللائقة به تقديرا بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه

كهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في امور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة
ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث
مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فالمعنى اوجد كل شيء فقدره في ذلك
الايجاد تقديرا واما ما قيل من انه سمي احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لا يحدث شيئا الا على وجه التقدير من
غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى التقدير مع اعتباره فيه
بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى وايا ما كان
فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على
ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضي انتظام كل ما سواه كائنا ما كان
تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له
سبحانه او شريكا في ملكه واتخذوا من دونه آلهة بعد ما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة
بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال ونزه
عما لا يليق بشانه الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه
على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك
عليهم اي اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات
والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك منه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير آلهة
لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا وهم يخلقون كسائر المخلوقات
وقيل لا يقدرون على ان يختلقوا شيئا وهم يختلقون عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى
ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان
بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون
على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم
وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه اول مراتب النفع واقدمها والتنصيص على قوله
تعالى ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اي لا يقدرون على التصرف في شيء منها باماتة الاحياء
واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع
للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع
ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الامور
المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك وقال الذين كفروا ان هذا الا افك شروع في حكاية
اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان
وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم وروي عن الكلبي ومقاتل
ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له في ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع
ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار
اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه افتراه يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم واعانه عليه اي على اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم
الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة و

الانجيل وقيل هو عابس وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاؤا ظلما منصوب بجاؤا فان جاء واتى يستعملا
في معنى فعل معدياً تعديته او بنزع الخافض اي بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاؤا بما قالوا ظلما هائلا
عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى
من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته
لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات
الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا تفي بفهمه القوى والقدر وزورا
اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه السلام ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما
بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الاخر او يحصل بسببه
بل على ان الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك
المعنى فان ما جاؤه من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايراً له في المفهوم واظهر منه بطلانا
رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره وقالوا اساطير الاولين بعد ما جعلوا
الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بنوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير
جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات اكتتبها اي كتبها
لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه السلام امي واصله اكتتبها له
كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض
العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه فهي تملى عليه اي تلقى عليه تلك الاساطير
من كتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر على ان يتلقاها منه
بالقراءة او تملى على الكاتب على انه معنى اكتتبها اراد اكتتابها او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه
عليه السلام كاسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه عليه السلام بكرة واصيلا اي دائما او خفية
قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الرتبة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون
قل لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق انزله الذي يعلم السر في السموات والارض وصفه تعالى باحاطة
علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما
فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك مما يفترى
ويفتعل باعانة قوم وكتابة اخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله
الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله
الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى
اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم
بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى انه كان غفورا رحيما تعليل لما هو المشاهد
من تأخير العقوبة اي انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك
لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابكم اياها وغاية قدرته تعالى عليها وقالوا ما لهذا
الرسول شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع
ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه عليه السلام وتسميته
عليه السلام رسولا بطريق الاستهزاء به عليه السلام كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم

وقوله تعالى يأكل الطعام حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي
شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق
لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون
الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم
الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك
كل من الاكل والمشي امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد
المسبب وانكار السبب ونفيه في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم
والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق
سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله
لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان
تميز الرسل عما عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك اي على صورته وهيئته فيكون معه
نذيرا تنزلوا عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك
يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى او يلقى اليه كنز
تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه كنز من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش
ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى او تكون له جنة يأكل منها تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو
ايسر منه واقرب من الوقوع وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم وقال الظالمون
هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا
لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته صلى الله عليه وسلم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين
ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي
بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم انظر كيف ضربوا لك
الامثال استعظام للاباطيل التي اجترؤا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك
تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات
والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع فضلوا اي عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره
عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك بان يجدوا
قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا
اليه فان من اعتاد استعمال امثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة تبارك
الذي اي تكاثر وتزايد خير الذي ان شاء جعل لك في الدنيا عاجلا شيئا خيرا لك من ذلك
الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة يأكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة وقوله تعالى جنات
تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ومحقق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد
وجريان الانهار ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على نفسه
لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسئلة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب على

انجواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم
والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما
عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح
الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا مع النبوة ملكا
عظيما بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية
جناياتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى واعتدنا لمن
كذب بالساعة سعيرا الخ اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شانها كيت وكيت بسبب
تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون
في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم
وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت
هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا
الخ على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب
بها سعيرا فان جرائتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب
من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المبني عن الوعد بالجنات في الآخرة
مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحلي بطائل على طريقة قول من قال عوجوا النعم فحيوا دمنة الدار
ماذا تحيون من نوي واحجار والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف
يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ
الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى
اذا رأتهم الخ صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى
ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز كان بعضها يرى البعض ونسبة
الرؤية اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة
او تمثيلا وفي قوله تعالى من مكان بعيد اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج
عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من
مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي صوت تغيظ على تشبيه صوت
غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا
بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب
اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل
صفة له ضيقا صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة
وهو السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما
تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي
بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب
والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء مقرنين حال من مفعول
القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل

مقرنين

مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك اي
في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبورا اي تمنوا هلاكا وينادون يا ثبوراه تعال فهذا حينك
واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي دعوه
مقولا لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملئكة بهم لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما
يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقول له ذلك من غير
ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوه حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستانف وقع
جوابا عن سؤال نشأ عليه الكلام كانه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا
مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدي
لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد وادعوا ثبورا كثيرا اي بحسب كثرة الدعاء
المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من
تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا
وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء
في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب
بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس
ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته و
فظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا
وهم انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك
ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهي والامر باليوم
لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام المعهودة قل تقريعا لهم وتهكما بهم
وتحسيرا على ما فاتهم اذلك اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال
الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة اي قل لهم اذلك
الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشانها كيت وكيت وشان اهلها ذيت و
ذيت خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح
وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد المتقون المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة
منها فقط كانت تلك الجنة لهم في علم الله تعالى او في اللوح او لان ما وعد الله تعالى فهو كائن
لا محالة فحكى تحققه ووقوعه جزاء على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم ومصيرا ينقلبون
اليه لهم فيها ما يشاؤن اي ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله
تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل فريق منهم يقنع بما اتيح له من درجات النعيم ولا يمتد
اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان
خالدين من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا وقيل من فاعل يشاؤن كان
اي ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون على ربك وعدا مسئولا
اي موعودا حقيقا بان يسال ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون او مسئولا يساله الناس
في دعائهم بقولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك او الملئكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن

التي وعدبهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز
فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بانه عليه السلام هو الفائز اثر ذي اثير بمغانم الوعد الكريم
ما لا يخفى ويوم يحشرهم نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذلك الخ
اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه
على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر
الشين ايضا وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة
للكل كما ينبئ عنه انك اذا رايت شبحا من بعيد تقول ما هو واما لانه اريد به الوصف لا الذات كانه
قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية
او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها
الله تعالى او تكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الايدي والارجل فيقول اي الله عز وجل للمعبودين
اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول
بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة أانتم اضللتم عبادي هؤلاء بان دعوتموهم الى عبادتكم
كما في قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ام هم ضلوا السبيل
اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل
الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضميرين
على الفعلين لما ان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل لا نفسه قالوا استيناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم
اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شئ او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى
وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما
صح وما استقام لنا ان نتخذ من دونك اي متجاوزين اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من
الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان يتخذنا وليا او ان نتخذ من
دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل
ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى مفعولين كما في قوله تعالى
واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء وهي
على الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ولكن
متعتهم واباءهم استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم
وقد نعي عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم
ولكن متعتهم واباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا
فيها حتى نسوا الذكر اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في الائك والتدبر في اياتك فجعلوا
اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية وكانوا اي في قضائك المبني على علمك الازلي

المتعلق

المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة قوما بورا هالكين على ان بورا مصدر
وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق
تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم
على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة
بما تقولون اي في قولكم انهم الهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا ويأباه ان تكذيبهم في هذا
القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم
في زعمهم انهم الهتهم وناصروهم واياما كان فالباء بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور
بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك الاية فما تستطيعون
اي ما تملكون صرفا اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات
ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا
اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما
قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا
يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون
على صيغة الغيبة اي ما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم
وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه ومن يظلم منكم ايها المكلفون كدأب هؤلاء
حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل
حد معتاد نذقه في الاخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على
ان الضمير لله سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق
للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة
والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون
الطعام ويمشون في الاسواق جواب عن قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي
مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين
الا اكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم لياكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول
اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام
بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح
لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض
الاول فتنة اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض
الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة
لبعض مبهم من الاخرين ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم
ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الاولين ببعض مبهم من الاخرين بل على معنى
جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة

من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال
هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعض على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم
ايها الناس فتنة لبعض اخر منكم فياباه قوله تعالى اتصبرون فانه غاية للجعل المذكور ومن البين
ان ليس ابتلاء كل احد من احاد الناس معيا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من
غير تعرض لما يقابله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلابد
ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا
على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود
الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول عليه السلام بالاجر
الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره
صلى الله عليه وسلم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض اخر من اقاويلهم الباطلة
وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول
الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث
لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع
من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه
تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا
لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان
عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب راسا اي وقال
الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم
لولا انزل علينا الملائكة اي هلا انزلوا علينا لخبرونا بصدق محمد عليه السلام وقيل هلا انزلوا علينا
بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم او نرى ربنا من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم
في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم اي في شانها حتى اجترؤوا
على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان عتوا كبيرا
بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا
لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح
كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد ترنو اليها احداق الامم ولا تمتد اليها اعناق
الهمم ولا ينالها الا اولو العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلوة والسلام واللام جواب قسم محذوف
اي والله لقد استكبروا الاية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من
استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند
مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون
من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم تنزل الملائكة ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم
لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه اخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية
بما يدل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون
والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انهم يمنعون البشرى او يعدمونها اهون

للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعر بان هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا
من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين
كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذرى لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى
على ان لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ
على كل حال تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفي البشرى على
ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بفظاعة حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا
عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتفات الى
اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا
بالعفو والشفاعة في وقت اخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي
المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا
محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة
حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسال الله تعالى ان يمنع ذلك منعا و
يحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم
والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا راوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة
وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول باس فظيع ومحجورا
صفة لحجرا واردة للتاكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل يقولها الملائكة اقناطا للكفرة بمعنى حراما محرما
عليكم الغفران والجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما
عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف
وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان
لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه
فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافنى عليها بالافساد والتحريق ومزقها كل ممزق بحيث
لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك
قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة
وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في
الانتشار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة
خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد
المتقون الخ يومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم
هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث
واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي
بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك
اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية
بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة
الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما

للكفرة المنعمين في الدنيا والى ما لهم في الاخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الايه
هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من
الامكنة والازمنة ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التائين كما في تلظى
وقرئ بادغام التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة
ولم يكن الا لبني اسرائيل ونزل الملئكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وتنزل
الملئكة خلال ذلك الغمام بصحايف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملئكة وتنزل وننزل على صيغة المتكلم من
الانزال والتنزيل ونزل الملئكه ونزل الملئكه على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل الملك يومئذ
الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا
زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت
الخبر للمبتدا وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا
فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف
على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك
وللرحمن على ما ذكر واياما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق
وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة حينئذ استيناف مسوق لبيان احواله واهواله وايراده تعالى
بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة
كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان
ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ للرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديدا وتقديم
الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه
يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان
ونحوها كناية من الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل
من انه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه يوما الى ضيافته فابى عليه السلام ان ياكل من
طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات فقال لا ولكن ابى ان
لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا
قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من
مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت
الانصاري وطعن عليه السلام ابيا يوم احد في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل
فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول حال من فاعل يعض وقوله تعالى يا ليتني الخ محكي به
ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى محذوف اي يا هؤلاء ليتني اتخذت مع
الرسول سبيلا اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق
الضلالة وحصلت في صحبته عليه السلام طريقا ولم اكن ضالا لا طريق لي قط يا ويلتى بقلب
ياء المتكلم الفا كما في صحاري ومداري وقرئ على الاصل يا ويلتي اي هلكتي تعالى واحضري فهذا اوانك

ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس
وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور
وفلة عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله
في لجة امسك فلانا عن فل وقوله خذا حدثاني عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا
للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن ابي
وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وهذا التمني
منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى
الغير وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام
القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى
او عن القران او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت
منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى
يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام
الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف الشيطانية او على
ان اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام بوسوسته
واغوائه فان وصفه بالخذل لان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بان ينفعه في الاخرة وهو اوفق
بحال ابليس وقال الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض
مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الاخرة من الاهوال والخطوب وايراده عم
بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عليه السلام
اي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى
ربه عز وجل يا رب ان قومي يعني الذين حكي عنهم ما حكي من الشنايع اتخذوا هذا القران
الذي من جملته هذه الايات الناطقة بما يحيق بهم في الاخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة
الاشارة مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه راسا ولم يتاثروا بوعيده
وفيه تلويح بان من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقران كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم
فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القران وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم
القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من
هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم
من قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقد جوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول
فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى
قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اي كما
جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبي
من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله
تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له عليه السلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على

عدا اي كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التي من
جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيمة ونصيرا لك على جميع من يعاديك
وقال الذين كفروا حكاية لاقتراحهم الخاص بالقران الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه عليه السلام
والقائلون هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به وللاشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القران
التنزيل هنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله جملة واحدة كالكتب الثلثة وبطلان
هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها
من عند الله تعالى اعجازها واما القران الكريم فبينة صحته واية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز
الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدي
ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها
وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد جمة قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى كذلك
لنثبت به فؤادك فانه استيناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل
التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما
يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا
مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسير الحفظ النظم وفهم المعاني وضبط
الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على انها منوطة
باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلا بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في
القران المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها
تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه
حالهم في الاخرة على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل
نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا
بكله وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي كذلك
نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه اية بعد اية قاله النخعي والحسن
وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه
تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القران
ترتيلا وقيل قراناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشرين او في ثلث وعشرين سنة على
تؤدة وتمهل ولا ياتونك بمثل من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة
عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا ياتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون
به القدح في حقك وحق القران الا جئناك في مقابلته بالحق اي بالجواب الحق الثابت الذي
ينحى عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسولتهم الشنيعة
الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى واحسن تفسيرا عطف على الحق اي جئناك باحسن تفسيرا وعلى
محل الحق اي اتيناك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في
حد ذاته لا ان ما ياتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب

على الحالية اي لا ياتونك بمثل الا حال اتياننا اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة
الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسولة
وبصحة جميع الاجوبة وباشارته منبئ عن بطلان السوال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القران
على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه السلام من تلك
الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه السلام
عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القران عليه
جملة واحدة على معنى لا ياتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا
اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان نعطاه وما هو احسن كشفا
لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات والصفات وياباه الاستثناء
المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل دامغا
لها ولا ريب في ان ما اتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد اتاه من اول الامر
لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل دمغها وابطالها الذين يحشرون على وجوههم الى
جهنم اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم
على قفاهم وارجلهم الى فوق وروي عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على
الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات
متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه
اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله اولئك بدل
منه او بيان له وقوله شر مكانا واضل سبيلا خبر له او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر
للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى
الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه
كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عليه السلام وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا
انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة خير مستقرا واحسن مقيلا
ولقد اتينا موسى الكتاب جملة مستانفة سيقت لتاكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية و
النصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين
قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اي وبالله لقد اتينا موسى
التورية اي انزلناها عليه بالاخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى اخاه
مفعول اول له وقوله تعالى هرون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه
وقوله تعالى وزيرا مفعول ثان له وقد مر ثمة معنى الوزير اي جعلناه في اول الامر وزيرا له
فقلنا لهما حينئذ اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا هم فرعون وقومه والايات هي المعجزات
التسع المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا
الوصف ضرورة تاخر تكذيب الايات عن اظهارها المتاخر عن ذهابهما المتاخر عن الامر بل انما وصفوا
بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير
اي فذهبا اليهم فارياهم اياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر

تدميرا • عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصد
وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة تعتد
بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك
القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال
ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التوراة
من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وفدمراهم
وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة • وقوم نوح • منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم
اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على
ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى • لما كذبوا الرسل • اي نوحا
ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل
هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى • اغرقناهم • وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف
زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله
مع انه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم
وقوله تعالى اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم • وجعلناهم • اي جعلنا اغراقهم او قصتهم
• للناس آية • اي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف
لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها • واعتدنا للظالمين • اي لهم
والاظهار في موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب • عذابا اليما • هو عذاب
الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتاد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين
الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب
الدنيوي والاخروي • وعادا • عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على
محل للظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد • وثمود • الكلام فيه وفيما بعده كما فيما
قبله وقرئ وثمودا على تأويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى • واصحاب الرس • هم قوم يعبدون
الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي لم
تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث
اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم
اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها
عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان
اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه
عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم ورسوه اي دسوه في بئر • وقرونا • اي اهل قرون
قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون سنة وقيل مائة وعشرون • بين ذلك • اي بين
ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب
الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب • كثيرا •
لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن

منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة • وكلا • منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده
فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي
لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات و
الرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين • ضربنا له الامثال •
اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل • وكلا • اي كل
واحد منهم لا بعضهم دون بعض • تبرنا تتبيرا • عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له
راسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته
وفتتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة • ولقد اتوا • جملة مستأنفة مسوقة لبيان
مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير
مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام • على القرية التي امطرت • اي اهلكت
بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل
الخبيث واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى • مطر السوء • وانتصابه
اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في انبته الله نباتا حسنا اي امطار السوء او على
انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء • افلم يكونوا يرونها • توبيخ لهم على تركهم
التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار
ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار استمرار رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء للعطف
مدخولها على مقدر يقتضيه المقام اي الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او اكانوا ينظرون اليها
فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونها من آثار العذاب فالمنكر في الاول
ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى • بل كانوا لا
يرجون نشورا • اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لكون
عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفي عن
التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم
وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء
الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وهو
فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي
حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر
من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور • واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا •
اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه عليه السلام هزوا
لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك
هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى • اهذا الذي
بعث الله رسولا • محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزئون بك قائلين اهذا الذي الخ
والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفة علم
مع كونهم في غاية النكير لبعثه عليه السلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا او

اواهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي انه كاد ليضلنا
عن الهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال
لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها
ولولا في امثال هذا الكلام يجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد
همت به الخ وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار
المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى
انه من قول ابي جهل وسوف يعلمون جواب من جهته تعالى لاخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته
عليه السلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخى حين يرون العذاب
الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم من اضل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى
لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة
حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك
من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي
يدور عليه امر التعجب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه ان
المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارايت من جعل هواه الها لنفسه من غير
ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه
وتعجب منه وقوله تعالى افانت تكون عليه وكيلا انكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظا عليه يزجره
عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة
له كانه قيل ابعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الايمان شاء او ابى
وقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون اضراب وانتقال عن الانكار المذكور الى
انكار حسبانه عليه السلام لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه السلام في الدعوة واهتمامه
بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا يقع كالاول بل على انه لا ينبغي ان يقع اي بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون
ما تتلو عليهم من الايات حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية
الى المحاسن فتعتني بشانهم وتطمع في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر
الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين للاكثر لا لما اضيف هو اليه وقوله تعالى ان هم الا كالانعام
الخ جملة مستانفة مسوقة لتقرير النكير وتاكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع
بما يقرع اذانهم من قوارع الايات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم
التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة بل هم اضل منها سبيلا لما انها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها
ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها
ومشاربها وتاوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون
العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب
الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر
بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها احكام الشرور ولان احكام جهالتها وضلالتها

مقصورة على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس
عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة
لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون
للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك لاعظم العقاب واشد النكال الم تر الى ربك
بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام
وللايذان بان ما يعقبه من اثار ربوبيته ورحمته تعالى اي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى كيف مد
الظل اي كيف انشاء ظل اي مظل كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا انه
تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكونه
بانشائه تعالى واحداثه ياباه سياق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع
الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر
البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود فغير سديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه
الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من
حالة المخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواضع
ضح الشمس وما ذكروه وان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه
المعهودة ولان توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عليه السلام لكيفية مد الظل
للتنبيه على ان نظره عليه السلام مقصور على ما يطالعه من الاثار والصنائع بل مطمح انظاره معرفة شؤون
الصانع المجيد وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر
على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة
محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه
لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي هو
تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله انه
لا يعتريه اختلاف حال بان لا تنسخه الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره
الغفول عما يسوق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة
جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتاثير
بالكلية وقصر دلالتها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا يذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة
الشمس في مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة و
الحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهو اولى واحق بالايراد في معرض البيان وقوله تعالى ثم
جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها
المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتاثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة و
الالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التاثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل
من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد
كلمة التراخي وقوله تعالى ثم قبضناه عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في

بيان كون القبض والمد من تبين دايرين على قطب مصالح المخلوقات من يد دلالة على الحكمة الربانية و
يجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي انزلناه بعدما انشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا
عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له تاثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن
جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى **الينا**
للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل **قبضا يسيرا** اي على مهل قليلا قليلا
حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله
تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم النير
وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك
الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد
ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه
وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه باليسير
على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع **وهو الذي جعل
لكم الليل لباسا** بيان لبعض بدايع آثار قدرته تعالى وحكمته وروايع احكام رحمته ونعمته الفايضة
على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه
للاعتناء ببيان كون ما بعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو
ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما
يستركم اللباس **والنوم سباتا** اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الافاعيل المحسة
بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع احكام
الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي
لم تمت في منامها **وجعل النهار نشورا** اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان
النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمن عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك
تموت فتنشر **وهو الذي ارسل الرياح** وقرئ بالتوحيد على ان المراد هو الجنس **بشرا**
بتخفيف بشر جمع بشور اي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرى بالنون جمع نشور اي ناشرات
للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى **بين يدي
رحمته** استعارة بديعة اي قدام المطر والالتفات الى نون العظمة في قوله تعالى **وانزلنا من السماء
ماء طهورا** لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح اي انزلنا بعظمتنا بما
رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل انه ما يكون طاهرا في نفسه ومطهرا
لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
به فان الطهور في العربية اما صفة كما تقول ماء طهورا واسم كما في قوله عليه السلام التراب طهور
المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله
عليه السلام لا صلوة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده
فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما

ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك واولى **لنحيي به** اي بما انزلنا من الماء الطهور **بلدة
ميتا** بانبات النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كساير ابنية المبالغة
فاجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة او غامرة **ونسقيه** اي ذلك الماء الطهور
عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض والمناقع والابار **مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا**
اي اهل البوادي الذين يعيشون بالحياء ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى
والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنافع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وساير
الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الايات الكريمة كما هو للدلالة
على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم و
معايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ
نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان
على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كاناعم في اناعيم **و
لقد صرفناه** اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من
الغايات الجميلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية **بينهم** اي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين
ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق
قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها او في بعض الاوقات دون بعض
او جعله تارة وابلا واخرى طلا وحينا ديمة واخرى رهمة والاول هو الاظهر **فابى اكثر الناس** ممن سلف
وخلف **الا كفورا** اي لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا امطرنا
بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى
ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا** نبيا
ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به
قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على ساير الرسل **فلا تطع الكافرين**
اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما انه عليه السلام كان يود ان يدخلوا
في الاسلام ويجتهد في ذلك بتأليف قلوبهم اشد الاجتهاد **وجاهدهم به** اي بالقرآن بتلاوة
ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة **جهادا كبيرا** فان
دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة
المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة
الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من
احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل فجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة
كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله
تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه عليه السلام نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل
قرية نذير لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك
المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه السلام وجاهدهم بسبب كونك

نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية
ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية وهو
الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها
هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل
بحذف مالح كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد
ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كان كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا
وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب
النهر العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل واختلاف
الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا
هو الذي خمر به طينة آدم عليه السلام او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول
الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي
ذكورا ينتسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى وجعل منه الزوجين الذكر والانثى
وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة
وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون
من دون الله الذي شأنه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شأنه النفع والضر اصلا
وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على
ربه الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر
الجنس وابو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف
ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا
للكافرين قل لهم ما اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من
جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب
الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود
الاتيان به واستثني منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع
كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن
فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل
عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد
الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها
بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي وصفه بالصفة
الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير
وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق
الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة

وغايات جليلة لا يقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن
مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما
ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا
وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان
له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة
متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر بتمام التحقيق في تفسير قوله
عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن
في استوى فاسأل به اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما
لا يبقى الى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي
لكون المسؤول امرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر
ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره
بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به خبيرا عظيم
الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده
في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه
على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون
الرحمن مبتدأ وما بعده خبرا وقرئ فسل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لما
انهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا
اي للذي تأمرنا بسجوده او لامرك ايانا من غير ان نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه
وقرئ يأمرنا بالياء الغيبة على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا
عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية
لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا
هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا
منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع قمراء ولما ان الليالي بالقمر تكون قمرا اضيف
اليها ثم حذف واجري حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رض بردى يصفق بالرحيق
السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان
يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة
من ركب وجلس لمن اراد ان يذكر اي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع صنعه فيعلم انه لا بد
لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم بالعباد او اراد شكورا اي ان يشكر الله تعالى على ما فيهما
من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرئ ان يذكر من ذكر
بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستأنف مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم
الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف وهو
مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة

باسم الاشارة وقرئ عباد الرحمن اي عباده المقبولون الذين يمشون على الارض هونا اي بسكينة وتواضع
وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون هينين لينين
الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء في قول من قال الا
لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان
حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل
سدادا من القول يسلمون به من الاذية وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها اية القتال كما
نقل عن ابي العالية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم
اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي يحيون الليل كلا او بعضا بالصلوة وقيل من قرا شيئا من القران
في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم
السجود على القيام لرعاية الفواصل والذين يقولون اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان
انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى
في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم
راجعون انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر
تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا للاولى وليس بذاك وساءت في حكم بئست
وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي
هذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها قيل ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت
وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها
وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم
يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والقتر منع الواجبات
والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء وكان ذلك
اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء
لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة
او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه
فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها اخر شروع في بيان اجتنابهم
عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح
بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل
والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها
اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه مبالغة في التحريم الا بالحق اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل
لحرمتها وعصمتها او لا يقتلونها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال
كونهم ملتبسين بالحق ولا يزنون اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن
الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة

مكبين

مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا ومن يفعل ذلك اي ما ذكر كما هو داب الكفرة المذكورين يلق
في الاخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد مجزوما اثاما وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى
وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو
ايام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ
يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه في ذلك العذاب المضاعف
مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول
من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبي عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب
لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا وذكر
الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة
فاولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلثة باعتبار لفظه اي اولئك
الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم
بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بان يزيل
الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا
وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم
عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات فانه بما فعل
يتوب الى الله اي يرجع اليه تعالى متابا اي متابا عظيم الشان مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب
محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تعالى
والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة
الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا على طريق
الاتفاق باللغو اي ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية
عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا
عليها صما وعميانا اي اكبوا عليها سامعين باذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن
ذلك بنفي الضد تعريضا لما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان
المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما
يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا
بهم ذريتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها
لان المراد اعين المتقين ولا ريب في قلتها نظرا الى غيرها واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا بحيث
يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس
كقوله تعالى ثم نخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد

طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان صدار الكل صدور هذا الدعا اما عن الكل بطريق المعية
وانه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة
واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره
عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارات
الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقه قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا وابقى اماما على حاله وقيل الامام جمع ام بمعنى قاصد كصيام جمع صايم ومعناه قاصدين لهم مقتدين
بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول
للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شان خطير
حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات
لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتائب في المزدحم اولئك اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث
اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتداء خبره قوله تعالى يجزون الغرفة
والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم في الاخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم
في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى
منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات امنون وقيل هي من اسماء الجنة
بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات و
يلقون فيها من جهة الملئكة تحية وسلاما اي يحييهم الملئكة ويدعون لهم بطول الحيوة والسلامة
عن الافات ويعطون التبعية والتخليد مع السلامة من كل افة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ
يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كالذي
مر في مقابله قل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين للناس ان الفايزين بتلك النعما
الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اي قل لهم
كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم اي اي عبا يعبا
بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى
وطاعته والا فهو وساير البهايم سواء وقال الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما
يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة ويجوز ان يكون
ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين
منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتكم به وخالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل فقد
قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون
منكم لعموم الخطاب للفريقين وفايدة الايذان بان مناط نفع احدهما وضرر الاخر مع الاتحاد
الجنسي المصحح للاشتراك في الفوز ليس الا اختلافهما في الاعمال فسوف يكون لزاما اي يكون جزاء
التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما
بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره والتنبيه على انه مما لا

يكنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى وقرئ
لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان
لقي الله تعالى وهو مومن بان الساعة اتية وادخل الجنة بغير نصيب

سورة الشعراء مائتان

طسم بتفخيم الالف وبامالتها واظهار النون وبادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد
بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم
للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتداء
وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل لايق بالمقام نحو اذكر او اقرا
وتلك في قوله تعالى تلك ايات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا
على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هنالك وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه
على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتداء وخبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم
مبتداء فهو مبتداء ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القران وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان
بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي ايات
مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد بيان كونها بعضا منه ووصفها بما اشتهر به الكل من النعوت
الفاضلة لعلك باخع نفسك اي قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن
الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك
ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مومنين اي لعدم ايمانهم بذلك
الكتاب المبين او خيفة ان لا يومنوا به وقوله تعالى ان نشا الى اخره استيناف مسوق لتعليل ما
يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور وبيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشية الله تعالى حتما
فلا وجه للطمع فيه والتالم من فواته ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله تعالى
ننزل عليهم من السماء اية اي ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فظلت اعناقهم لها خاضعين
اي منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع و
ترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله
تعالى رايتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اي فوج
منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى وما ياتيهم
من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا
عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الاية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص
على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا
متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما
فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما ياتيهم من جنابه

عز وجل على الاطلاق تشنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى المحض منعتهم اشنع واقبح اي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة محدث تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر و الضلال والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اي ما يأتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اي كذبوا بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى فسيأتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريبه اي فسيأتيهم البتة من غير تخلف اصلا انباء ما كانوا به يستهزؤن عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وانباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء و فيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزؤن به قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها اولم يروا الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى الارض اي الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى كم انبتنا فيها من كل زوج كريم استئناف مبني لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف ثمين والكريم من كل شيء مرضيه و محموده اي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ان في ذلك اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل لآية اي آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر وما كان اكثرهم اي اكثر قومه عليه السلام مؤمنين قيل اي في علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور امر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم

معتدين فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق مما خفي على مهرة العلماء المتقنين كأنه قيل ان في ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى واذ نادى ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام اي واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت نداء تعالى اياه وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال اولئك فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا ان ائت بمعنى اي ائت على ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف عنها الجار القوم الظالمين اي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى قال انظرني قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له جيء به للايذان بانهم علم في الظلم كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول داخل في الحكم الا يتقون استئناف جيء به اثر ارساله عليه السلام اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا الى الله عز وجل رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوفان على اخاف فارسل اي جبرئيل عليه السلام الى هرون ليكون معي واتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاءه ذلك على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا

من التعلل والتوقف في تلقي الامر في شي وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال وتمهيد عذر
فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه ولهم علي
ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او سمي باسمه والمراد به قتل القبطي و
تسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله تعالى لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع
فاخاف اي ان اتيتهم وحدي ان يقتلون بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا
تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى قال كلا فاذهبا باياتنا حكاية
لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب
اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب
انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى باياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون
تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع
وارى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية وقيل اجريا مجرى الجماعة وباباه ما
قبله وما بعده من ضمير التثنية اي سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال
ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم مبالغة في
الوعد بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات
وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تاكيد للامر بالذهاب
لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة
كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل
مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشانهم ليذهبوا
معهما الى الشام قال اي فرعون لموسى عليه السلام بعدما اتياه وقالا له ما امرا به يروى
انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول
رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند
ذلك الم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة
ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين واقام بها عشر سنين
ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي و
هو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل
القبطي بعدما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه
وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل وانت من الكافرين
اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او انت حينئذ ممن تكفرهم الان وقد افترى عليه م
او جهل امره عليه السلام حيث كان يعايشهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من مشاركتهم
في الدين فالجملة حينئذ حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته
او ممن تكفرون في دينهم حيث كانت لهم الهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها
ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال بجبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه

اليه من الكفر فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت
افتراء اي من الفاعلين فعلة الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تاديبه او الذاهبين
عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ففررت
منكم الى ربي لما خفتكم ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب
فوهب لي ربي حكما اي حكمة او نبوة وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا في
نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه
على ان ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي تلك
التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم
فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك
نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل
من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان
عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه
فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما سمع منه عليه
السلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في امره وعدم تأثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع
في الاعتراض على دعواه عليه السلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين
حكاية لما وقع في عبارته عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي ادعيت انك رسوله منكرا
لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري
وينطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات
والارض وما بينهما بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير
اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين بالاشياء
محققين لها علمتم ذلك او ان كنتم موقنين بشيء من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله
قال اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تأثيره في قلوب قومه واذعانهم له لمن
حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك
خاصة الا تستمعون مرادهم ان ما سمعوه من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق بان يعتد
به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف
امر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عليه السلام تصريحا بما كان مندرجا تحت
جوابه السابق ربكم ورب ابائكم الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية
قال اي فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فاراهم
ان ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي
التاكيد ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه
رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال عليه السلام
رب المشرق والمغرب وما بينهما قاله عليه السلام تكميلا لجوابه الاول وتفسيرا له وتنبيها على
جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما بينهما وان كان

متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات
وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم
الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين
بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور حادثة
مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والارض التي يتوهم جهلة المتوهمين استمرارها
استغناءها عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اى ان كنتم تعقلون شيئا من الاشياء او ان كنتم
من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل في
الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون قال
لما سمع اللعين منه عليه السلام تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه
وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف
ونأى بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب لئن
اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقتنع منه عليه السلام بترك دعوى الرسالة و
عدم التعرض له حتى كلفه عليه السلام ان يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الالوهية
وهذا صريح في ان تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الى الجنون في الجواب
الثاني كان لنسبته عليه السلام الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل
وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون
ولا مقاله واللام في المسجونين للعهد اى لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم
في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اى اتفعل بي ذلك
ولو جئتك بشيء مبين اى موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع
وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل قالوا الواو في
اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اي جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا انها للعطف
وان كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف
تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية
بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال
المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته
او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق
مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها
المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر بما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال
فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله
المفروضة مع تعلق الحكم بابعدها منه ليظهر بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة
بينها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان
جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اى يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة
كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال وتصدير المجيء بما ذكر من كلمة لو دون ان

ليس

ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى اتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال
مجيئي به قال فأت به ان كنت من الصادقين اى فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين موضح
لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين اى ظاهر ثعبانيته لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اى فجرته
فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة طه ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء
للناظرين قيل لما رأى فرعون الاية الاولى قال فهل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك
فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله اى
مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن السحر يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية
الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم او الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعدما كان
مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض
اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في
المدائن حاشرين اى شرطا يحشرون السحرة يأتوك اى الحاشرون بكل سحار عليم فائق في
فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله
موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك استبطاء
لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اى نتبعهم
في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة
وانما هو ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام
والجد في المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اى اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين
لا موسى عليه السلام قال نعم لكم ذلك وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندي قيل قال
لهم تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى
اى بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون ولم يرد به
الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل
فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اى وقد قالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه
فاذا هي تلقف اى تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التاءين من تتلقف ما يأفكون
اى ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى
او افكهم تسمية للمأفوك مبالغة فالقي السحرة ساجدين اى اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم
وتردد غير متمالكين كأن ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر
على يده عليه السلام لتصديقه وفيه دليل على ان منتهى ما انتهى اليه هم السحرة هو التمويه والتزوير
وتخييل شيء لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين بدل اشتمال من القى او حال باضمار قد وقوله
تعالى رب موسى وهرون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث
كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من

المعجزة القاهرة قال اي فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما
فعلتم او علمكم شيأ دون شيء فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة
وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان لما اوعدهم به قالوا اي السحرة لا ضير لا ضرر فيه علينا
وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما
يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا
به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها
وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا اول المؤمنين اي من اتباع
فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير اي لا ضير علينا في ذلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا
لكوننا اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول
المدل بامره كقول العامل لمستأجر اخر اجرتي ان كنت عملت لك فوفني حقي واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات
فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون
تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بهم ليلا حتى لا يدركوكم قبل الوصول
الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بمسيرهم في المدائن
حاشرين جامعين للعساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم
وهم ستمائة الف وسبعون الفا بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة
ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على
حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى
الاناث وانهم لنا لغائظون اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم
لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا
التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه
معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول
دال على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون بالدال
المهملة اي اقوياء واشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم فاخرجناهم
بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام
كريم كانت لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب
اخرجناهم او صفة لمقام كريم كان كذلك او خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك واورثناها
بني اسرائيل اي ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين
خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث يرى كل واحد منهما الآخر

وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاءوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التاكيد للدلالة
على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون
في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصرة والهداية
سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت
فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عليه السلام
بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال اين امرت
وهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال عليه السلام امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر
به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم فانفلق الفاء فصيحة
اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم
كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا اي قربنا ثم
الآخرين اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ
البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع
ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه
من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل امر
المشار اليه وتفظيعه كتنكير الآية في قوله تعالى لآية اي آية آية وآية عظيمة لا تكاد توصف موجبة
لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شان النبي صلى الله عليه وسلم بشان موسى عليه السلام وحال
انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول
ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل من القصة من حيث
حكايته عليه السلام اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق
الوحي الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه السلام وما كان اكثرهم
اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه السلام مؤمنين لا بان يقيسوا شانه بشان موسى
عليهما السلام وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصتهم
من غير ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم
مؤمنين وما اكثرهم مؤمنين على ان كان زائد كما هو راي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس
ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعدما سمعوا الآيات الناطقة
بالقصة بتقرير ما مر من قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا
الخ وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يجعل كان
بمعنى صار كما فعل ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا
من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون اخبارا بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة
على كمال تحققه ويقربه كقوله تعالى اتى امر الله الآية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريد
من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا
يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم
لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى

اخر السورة الكريمة افضاء بينا لاريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل مصر فرعون من القبط
وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مومنين حيث لم يومن منهم الا اسيه وخرقيل ومريم ابنة
ياموشا التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنوا اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا
العجل وقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة مميزا من الحمق كيف لا وسياق كل قصة من القصص الوارده
في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر
ربهم وعصوا رسله عليه السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا
بايديهم من الايات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم
عليه من التكذيب فعاقبهم الله لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان
يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد المومنين من جملتهم
اولا واخراجهم منها اخرا مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من الجنايات اصلا ومما يجب
تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر • واتل عليهم • عطف على المضمر المقدر عاملا لاذ نادى الى اخره اي واتل
على المشركين • نبأ ابراهيم • اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي اليك ليقفوا على ما ذكر من عدم ايمانهم
بما ياتيهم من الايات باحدى الطريقتين • اذ قال • منصوب اما على الظرفية للنبأ اي نبأه وقت قوله
لابيه وقومه • او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبأ اي واتل عليهم وقت قوله لهم • ما تعبدون •
على ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سالهم عليه السلام عن ذلك ليبني على جوابهم ان ما تعبدونه
بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية • قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين • لم يقتصروا على الجواب الكافي
بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم
قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا
الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا
يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم
قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم • قال •
استيناف مبني على سوال نشا من تفصيل جوابهم • هل يسمعونكم • اي هل يسمعون دعاءكم على حذف
او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى • اذ
تدعون • عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اي هل يسمعونكم شيئا من الاشياء او الجواب عن
دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط
• او ينفعونكم • بسبب عبادتكم لها • او يضرون • اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا
سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر • قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون • اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار ان لا
سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما راينا منهم ما ذكر من الامور بل ما وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
اي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم • قال افرايتم ما كنتم تعبدون • اي انظرتم فابصرتم او تاملتم
فعلمتم ما كنتم تعبدونه • انتم واباؤكم الاقدمون • حق الابصار او حق العلم وقوله تعالى • فانهم
عدو لي • بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم

الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه اولان من
يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذي هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه السلام
صور الامر في نفسه تعريضا بهم فانه انفع في النصيحة من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون
ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها
بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل • الا رب العالمين • استثناء منقطع اي
لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو ولي في الدنيا والاخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب
عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان
من اباءهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى • الذي خلقني • صفة لرب العالمين وجعله مبتدا وما
بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت
ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء
تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة
والاجلة عليه تعالى • فهو يهدين • اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين
والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع
فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى
منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة
الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها
المقيم • والذي هو يطعمني ويسقين • عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول في المواقع
الثلثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان
بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق بان تجري عليه تعالى على
حيالها ولا تجعل من روادف غيرها • واذا مرضت فهو يشفين • عطف على يطعمني ويسقين نظم
معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة
المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلم
فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه
تعالى كالاحياء بدءا واعادة وقد نيطت امور الاخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط
واحد في قوله تعالى • والذي يميتني ثم يحيين • على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه السلم للحيوة
الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام • والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين • ذكره عليه السلم هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب
مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه السلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان
يتاملوا في امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلم مع كونه
في طاعة الله وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين
في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله
لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار
انما صدرت عنه عليه السلم بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة فظاهر

لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن
البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع
انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين ولان في ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان
لم تغفر رب هب لي حكما بعد ما ذكر عليه السلام فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز
وجل من مبداء خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد
والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني
بالصالحين ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين
في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها واجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تعالى حيث
قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي جاها وحسن صيت
في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له ومثنية عليه
او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى
الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام واجعلني في الآخرة
من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق
للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام
في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص
رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا وكل ذلك مبني على هضم
النفس منه عليه السلام او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان
وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون اي الناس كافة والاضمار قبل
الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل
اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به تاكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من
الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات
ولا بنون وان كانوا صلحاء مستاهلين للشفاعة احدا الا من اتى الله بقلب سليم اي عن مرض الكفر
والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تاييد لكون استغفاره عليه السلام لابيه طلبا
لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب
الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنو من اتى الله الآية
وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية
بينهم ضرب وجيع اي الا حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة القلب كانه قيل الا
سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى
منه كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الخ لان غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء
منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه وازلفت الجنة للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة الماضي
فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما ان صيغة
المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما تقتضيه مقام التهويل
والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون

على

على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن
طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال
الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا وقيل لهم اينما كنتم في الدنيا تعبدون
من دون الله اي اين الهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف هل ينصرونكم
بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب
ولذلك قيل فكبكبوا فيها اي القوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها
هم اي الهتهم والغاوون الذين كانوا يعبدونهم وفي تاخير ذكرهم عن ذكر الهتهم رمز الى
انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم وجنود ابليس
اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة
الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل
متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه اجمعون تاكيد للضمير وما عطف عليه وقوله
تعالى قالوا الى آخره استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا
حين فعل بهم ما فعل فقيل قالوا الخ وهم فيها يختصمون اي قالوا معترفين بخطائهم في انهماكهم
في الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من
المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة
على الفهم والنطق تالله ان كنا لفي ضلال مبين ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي
هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية اي ان الشان كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم
له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان عظم خطائهم في رايهم مع وضوح
الحق كما ينبئ عنه تصديرهم مقالهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم برب
العالمين ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان
كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين و
صيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت
تسويتنا اياكم ايها الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم
واعجزهم وقولهم وما اضلنا الا المجرمون بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم
لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب
اضلالهم من غير ان يستقلوا في تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كانه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال
الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله
تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي رحمه الله الاولون الذين
اقتدوا بهم واياما كان ففيه اوفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين
كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء او
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية عن
عداوتهما كما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه

قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق
على أن المراد بعدمهما عدم أثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما أن إفراد الصديق لقلته أو لصحة
إطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى فلو أن لنا كرة
للتمني لما أن بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كأنه قيل فليت لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا وقيل
هي على أصلها من الشرط وجوابه محذوف كأنه قيل فلو أن لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه
قوله تعالى فنكون من المؤمنين لحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب إيمانهم على وقوع الكرة البتة
بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو
على أصلها إنما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وإيمانهم معا من غير دلالة على استلزام
الكرة للإيمان أصلا مع أنه المقصود حتما إن في ذلك أي فيما ذكر من نبأ إبراهيم عليه السلام المشتمل
على بيان بطلان ما كان عليه أهل مكة من عبادة الأصنام وتفصيل ما يؤول إليه أمر عبدتها يوم القيامة
من اعترافهم بخطئهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الإيمان وتمنيهم الرجعة إلى الدنيا
ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما أزلفت لهم جنات النعيم وبرزت لأنفسهم الجحيم وغشيهم
ما غشيهم من ألوان العذاب وأنواع العقاب لآية أي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على
عبدة الأصنام كافة لا سيما على أهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام أن يجتنبوا
كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها تخوفا أن يحيق بهم مثل ما حاق بأولئك من العذاب بحكم الاشتراك
فيما يوجبه أو إن في ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير أن يسمعه من أحد لآية عظيمة دالة
على أن ما يتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للإيمان به قطعا وما كان أكثرهم
مؤمنين أي أكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر
والضلال وأما أن ضمير أكثرهم لقوم إبراهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل إليه أصلا لظهور
أنهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام إلا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك العظيمة التي فعلوا
به عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم وإنما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل إلى الشام
وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى عليه السلام وإن ربك لهو العزيز الرحيم أي هو القادر
على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم
كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الأمة
وتكذيبهم للمرسلين إما باعتبار إجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة
والأعصار وإما لأن المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له إلا دابة
وبردة وإذ في قوله تعالى إذ قال لهم ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه
ما وقع من الجانبين إلى تمام الأمر كما أن تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه السلام
إلى انتهائها أخوهم أي نسيبهم نوح ألا تتقون الله حيث تعبدون غيره إني لكم رسول
من جهته تعالى أمين مشهور بالأمانة فيما بينكم فاتقوا الله وأطيعون فيما آمركم به من التوحيد
والطاعة لله تعالى وما أسألكم عليه أي على ما أنا متصد له من الدعاء والنصح من أجر
أصلا إن أجري فيما أتولاه إلا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله وأطيعون
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه السلام من الطمع كما أن نظيرتها السابقة لترتيب

ما بعدها

ما بعدها على أمانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلا منهما مستقل في إيجاب التقوى والطاعة
فكيف إذا اجتمعا وقرئ إن أجري بسكون الياء قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أي الأقلون
جاها ومالا جمع الأرذل على الصحة فإنه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالأكبر والأكابر وقيل جمع
أرذل جمع رذل كالألب وأكلب وكلب وقرئ وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع
تبع كبطل وأبطال يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل ولا إصابة رأي وقد كان
ذلك منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على
حطام الدنيا وكون الأشراف عندهم من هو أكثر منها حظا والأرذل من حرمها وجهلهم بأنها
لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وأن النعيم هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل
من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما أشير إليه من قولهم إنهم لم يؤمنوا عن
نظر وبصيرة أي ما وظيفتي إلا اعتبار الظواهر وبناء الأحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم و
الشق عن قلوبهم إن حسابهم أي محاسبة أعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة
إلا على ربي فإنه المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون أي بشيء من الأشياء أو لو
كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما أنا بطارد
المؤمنين جواب عما أوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق إيمانهم بذلك حيث جعلوا
اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى إن أنا إلا نذير مبين كالعلة له أي ما أنا إلا رسول مبعوث لإنذار
المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الأعزاء أو الأذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء
لاستتباع الأغنياء أو ما علي إلا إنذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد
الآخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين أو المرميين
بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى في أواخر الأمر ومعنى قوله تعالى قال رب إن قومي كذبون
تموا على تكذيبي وأصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الأزمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي
إلا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا أي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد
منا وهذه حكاية إجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين أي من
قصدهم أو من شؤم أعمالهم فأنجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون أي المملوء
بهم وبما لا بد لهم منه ثم أغرقنا بعد أي بعد إنجائهم الباقين أي من قومه إن في
ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر
خلا أن حمل أكثرهم على أكثر قوم نوح أبعد من السداد وأبعد كذبت عاد المرسلين أنث عاد
باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الأقصى إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون الكلام في أن المراد
بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر في صدر قصة نوح عليه السلام أي ألا تتقون
الله فتفعلون ما تفعلون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر
إن أجري إلا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على أن
مبنى البعث هو الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى الثواب ويبعده من العقاب
وأن الأنبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وإن اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف
الأزمنة والأعصار وأنهم منزهون عن المطامع الدنية والأغراض الدنيوية بالكلية أتبنون

بكل ريع اى مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا
يهتدون بالنجوم فى اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن
مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع اى ماخذ الماء وقيل قصورا مشيدة
وحصونا لعلكم تخلدون اى راجين ان تخلدوا فى الدنيا اى عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك
تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رافة
ولا قصد تاديب ولا نظر فى العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم
اليه فانه انفع لكم واتقوا الذى امدكم بما تعلمون من انواع النعماء واصناف الالاء اجملها اولا
ثم فصلها بقوله امدكم بانعام وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال
والتفسير اثر الابهام ادخل فى ذلك وجنات وعيون انى اخاف عليكم ان لم تقوموا بشكر
هذه النعم عذاب يوم عظيم فى الدنيا والاخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها
مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد قالوا سواء علينا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوى عما نحن عليه وتغيير الشق الثانى عن مقابله للمبالغة
فى بيان قلة اعتدادهم بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشريه اصلا ان هذا
ما هذا الذى جئتنا به الا خلق الاولين اى عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه او ما هذا الذى
نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذى نحن عليه من الموت
والحيوة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اى اختلاق الاولين كما
قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا
حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الاعمال فكذبوه اى اصروا على ذلك فاهلكناهم
بسببه بريح صرصر ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون الله تعالى انى لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا
امنين انكار ونفى لان يتركوا فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة فى تخلية الله تعالى واياهم واسباب
تنعمهم امنين وقوله تعالى فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله
من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع
منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو او متدل متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على
ساير اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين
او حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو
ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التى هى انقياد الامر لامتثال
الامر وارتسامه او نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون فى الارض وصف موضح
لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص فسادهم عن مخالطة
الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اى الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوى
السحر اى الرية اى من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان
كنت من الصادقين اى فى دعواك قال هذه ناقة اى بعدما اخرجها الله تعالى من الصخرة

بدعا

بدعائه عليه السلام حسبما مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود لها شرب اى نصيب
من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا
بشربكم ولا تزاحموا على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم
وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى
كلهم لما ان عاقرها عقرها برايهم ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول
العذاب لا توبة او عند معاينتهم لبادية ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم
العذاب اى العذاب الموعود ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم قيل فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء الى انه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا
بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من امن منهم وانت خبير بان قريشا هم المشهورون
بعدم ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران
من العالمين اى اتاتون من بين بنى ادم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتونهم
من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة النساء مع كونهن اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول
كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثانى الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة من فى
قوله تعالى من ازواجكم للبيان ان اريد بما جنس الاناث وهو الظاهر وللتبعيض ان اريد بها
العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون
متعدون متجاوزون الحد فى جميع المعاصى وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث
زادوا على ساير الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اى عن تقبيح امرنا او نهينا عنه
او عن دعوى النبوة التى من جملة احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين اى من المنفيين
من قريتنا وكانهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال انى لعملكم
من القالين اى من المبغضين غاية البغض كانه يقلى الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال
انى لعملكم قال لدلالته على انه عليه السلام من زمرة الراسخين فى بغضه المشهورين فى قلاه
ولعله عليه السلام اراد اظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة فى الخلاص من سوء جوارهم
ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تعالى قائلا رب نجنى واهلى مما يعملون
اى من شوم عملهم وغائلته فنجيناه واهله اجمعين اى اهل بيته ومن اتبعه فى الدين
باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم الا عجوزا هى امراة لوط استثنيت من
اهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة فى الاهلية بحق الزواج فى الغابرين اى مقدرا كونها
من الباقين فى العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر فى الطريق
فاهلكها كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى فى القرية ولم تخرج مع لوط عم
ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اى مطرا غير
معهود قيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين
اللام فيه للجنس وبه يتسق وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم
ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة

المرسلين الايكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة وكانوا ممن بعث
اليهم شعيب عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل
اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الف اتباعا
للفظ اللافظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا
على رب العالمين اوفوا الكيل اي اتموه ولا تكونوا من المخسرين اي حقوق الناس بالتطفيف
وزنوا اي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان
من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم
اي لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية
انهماكهم فيها ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي
خلقكم والجبلة الاولين اي وذوي الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم
الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا
ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب
وان نظنك لمن الكاذبين اي فيما تدعيه من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اي قطعا
وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة
والمراد بالسماء اما السحاب او المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان
كنت من الصادقين في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا
لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربي اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون
بسببه من العذاب فسينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه اي فتموا على تكذيبه واصروا
عليه فاخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا اما ان ارادوا بالسماء السحاب فظاهر واما ان
ان ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفي اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها
ايذان بان لهم يومئذ عذابا اخر غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها
فاخذهم بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم
سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا وروي ان شعيبا
عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب
الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اي في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من
الطامة والداهية التامة ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
هذا اخر القصص السبع التي اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه السلام عن الحرص
على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة
من قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الاية فان
كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته
الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعدما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة لا بان يتدبروا فيها
ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بان

يتاملوا في شان الايات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بانه عليه السلام لم
يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كان لم يسمعوا شيئا يزجرهم
عن ذلك قطعا كما حكي في خاتمة قصة موسى عليه السلام وانه اي ما ذكر من الايات الكريمة الناطقة
بالقصص المحكية او القران الذي هي من جملته لتنزيل رب العالمين اي منزل من جهته تعالى سمي
به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى ورافته للكل
كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اي انزله الروح الامين اي جبريل عم
فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام وقرئ بتشديد الزاء ونصب الروح والامين
اي جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك اي روحك وان اريد به العضو فتخصيصه به
لان المعاني الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد
الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل اي انزله لتنذرهم بما في
تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام
في سلك اولئك المنذرين المشهورين في حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان
عربي مبين واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل وتاخيره
للاعتناء بامر الانذار وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد
انزاله عليه عليه السلام باللسان العربي وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي الى
ان غاية الانزال كونه عليه السلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب
ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما السلام
واشد الزواجر تاثيرا في قلوب المشركين ما انذره ابراهيم عليه السلام لانتمائهم اليه وادعائهم
انهم على ملته عليه السلام وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة
فان احكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات
والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس بواضح اولم يكن لهم اية الهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على
مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم اية دالة على انه تنزيله من رب العالمين
وانه في زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال
من اية قدمت عليها لكونها نكرة واية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى ان يعلمه
علماء بني اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي ان يعرفوه بنعوته
المذكورة في كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا
وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة
واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم اية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا من اية ويجوز مع نصب
اية تانيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه
كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع
اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفي لفظ البعض اشارة الى ان
كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقراه عليهم قراءة صحيحة خارقة

للعادات ماكانوا به مومنين مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقرو لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم
في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقراءه عليهم ماكانوا به مومنين لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم
في المكابرة والعناد كذلك سلكناه اى مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اى ادخلنا
القران في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية
من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة
قبله على تضمنها للبشارة بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه فقوله تعالى لا يومنون به
جملة مستانفة مسوقة لبيان انهم لا يتاثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل
يستمرون على ماهم عليه حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان
فياتيهم بغتة اى فجاءة في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن
منظرون تحسرا على مافات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي مافرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه
مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه له في قلوبهم وقوله تعالى لا يومنون
به في موقع الايضاح والتلخيص له او في موقع الحال اى سلكناه فيها غير مومن به والاول هو الانسب
بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتاخذ مبادى الهداية والارشاد
وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ماكانوا به
مومنين ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن ومجاهد رحمهم الله ادخلنا الشرك والتكذيب
في قلوب المجرمين افبعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم وقولهم فائتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار فالفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم
فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي مالا يخفى على احد او ايغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره
فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به
عذابه تعالى مع مافيه من رعاية الفواصل افرايت لما كانت الروية من اقوى اسباب الاخبار
بالشيء واشهرها شاع استعمال ارايت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان و
الفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون ومابينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي
متقدمة في المعنى على الهمزة وتاخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو راي
الجمهور اى فاخبرني ان متعناهم سنين متطاولة بطول الاعمار وطيب المعايش ثم
جاءهم ماكانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اى شيء او اي اغناء اغنى عنهم
ماكانوا يمتعون اى كونهم ممتعين ذلك التمتع المديد على ان ما مصدرية او ماكانوا يمتعون به
من متاع الحيوة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها واياما كان فالاستفهام للانكار والنفي و
قيل ما نافية اى لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه
اوفق لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من من شانه الخطاب
قد كلف ان يخبر بان تمتعهم ماذا افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر احد على ان يخبر بشيء من ذلك
اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون

هن

قد انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى اى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار كانه
قيل مذكرون ذكرى او على انه مصدر موكد لفعل هو صفة لمنذرون اى الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى
او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر مبتداء
محذوف والجملة اعتراضية وضميرها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على معنى ان الكل
منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد او اكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين و
قبل الانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من
قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى
من الظلم وقد مر في سورة ال عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين
رد لما زعمه الكفرة في حق القران الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة بعد تحقيق الحق
ببيان انه نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم اى وما يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون
ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملئكة لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء
الذوات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية
كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من
فنون الشرور فمن اين لهم ان يحوموا حول القران الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي
لا يمكن تلقيها الا من الملئكة عليهم السلام فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عنه عليه السلام تهييجا وحثا على
ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا
يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه وانذر عشيرتك الاقربين العذاب الذي يستتبعه الشرك
والمعاصي عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت
صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم
مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم
يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا
حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن
من النار فاني لا اغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين اى لين جانبك لهم
مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان يحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين
او لغيره او للتبعيض على ان المراد بالمومنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فحسب
فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون اى مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز
الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل
على انه بدل من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم اى الى التهجد وتقلبك في الساجدين
وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من
دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود
اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله عليه السلام التي بها يستاهل ولايته بعد ان عبر

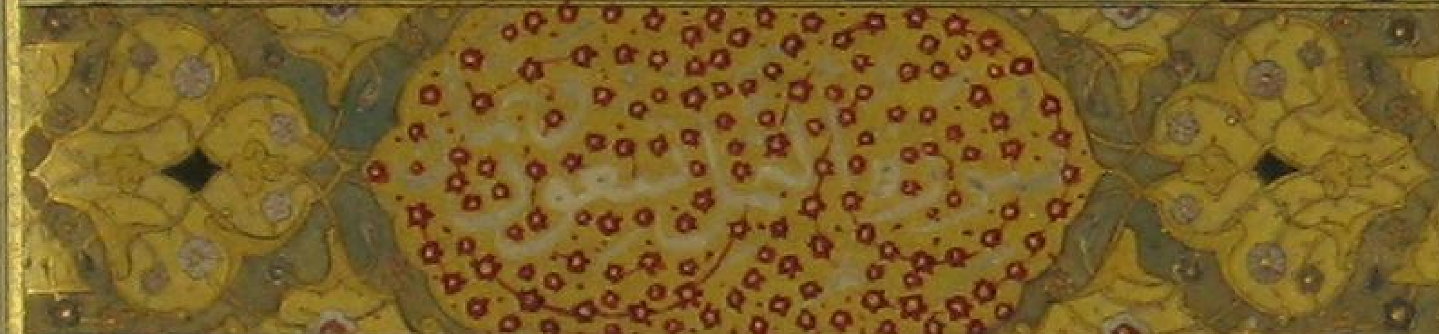
دائم

عنه بما ينبي عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه انه
هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم على من تنزل الشياطين اي تتنزل
بحذف احدى التائين وهو استيناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقران ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما انها ليست
موضوعة للاستفهام بل الاصل ام من بحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف
من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل على كل افاك اثيم قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالافك
الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيص له بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت
ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة من ان يحوم حولها شائبة شيء من تلك الاوصاف اتضح
استحالة تنزلهم عليه عليه السلام يلقون اي الافاكون السمع الى الشياطين فيتلقون
منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق
اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون اي فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث
الكلمة يحفظها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون السمع اي المسموع
من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان
الاكثرية باعتبار اقوالهم على ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم
كاذبون وما له واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم
كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق
بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اي يلقون
السمع اي المسموع من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون
فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او
ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى
قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما ان يلقون كما صرحوا به اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل
للالقاء او استيناف مبين للغرض من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان الالقاء السمع الى
الملأ الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل ويكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل
لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم
ما سمعوه من الملأ الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا لمن سال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم
يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على استيناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة
على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل واما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة
لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس
ويجوز ان يكون استيناف اخبار بحالهم على كلا التقديرين لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين و
القائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استينافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط
كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم
وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على التقدير الاول استيناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون
اي يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال انهم في اكثر اقوالهم كاذبون فتدبر والشعراء

يتبعهم الغاوون استيناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القران العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان
احوالهم المضادة لاحواله عليه السلام والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون
من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما ياتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة
في الافعال والاقوال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى
الم تر انهم في كل واد يهيمون استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب
لكل من تتاتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء
اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال
وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من
السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق
الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار و
التردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء وانهم يقولون ما لا يفعلون من الافاعيل غير
مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلحق بهم وينتظم في
سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف
بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز
بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر
رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وايات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم
الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر
هذا وقد قيل في تنزيهه عليه السلام من ان يكون من الشعراء ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى
الله عليه وسلم كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عليه السلام منهم بكون اتباعه عليه السلام غير
غاوين مما لا يليق بشانه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد
الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن
ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب
على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه
بعضد الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء
للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء
على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر
عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولقد وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك
منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت
وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس
معك وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم

ليسوا

من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل
وقد قاله ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات
بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه
من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعرا كان له عشر حسنات بعدد
من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد



طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظاير من الفواتح الشريفة ومحله على
تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اي هذا طس اي
مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة يونس وغيرها ورفعه بالابتدا على ان
ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك تلك اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر
اسمها لا الى اياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تابى اضافتها الى القران كما سياتي وما
في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف
ومحله الرفع على الابتداء خبره ايات القران والجملة مستانفة مقررة لما افاده التسمية من نباهة
شان المسمى والقران عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة الكريمة حسبما ذكر في فاتحة
فاتحة الكتاب اي تلك السورة ايات القران المعروف بعلو الشان اي بعض منه مترجم مستقل
باسم خاص وكتاب اي كتاب عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام
واحوال الاخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل
والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولقد فخم شانه الجليل بما جمع فيه من وصف
القرانية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرانا عربيا
غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكانه كلها وقدم
الوصف الاول هاهنا نظرا الى تقدم حال القرانية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر
هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كاين فهو بينة
للناظرين فيه اضافة الايات اليه اذ لا عهد باشتماله على الايات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ
هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المومنون لا الى الناظرين
فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وايات كتاب مبين
هدى وبشرى للمومنين في حيز النصب على الحالية من الايات على انهما مصدران اقيما مقام
الفاعل للمبالغة كانهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على
انهما بدلان من الايات او خبران اخران لتلك او لمبتدا محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون
انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها
اياهم فظ لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين

يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينتا الايمان
وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لساير الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالاخرة
هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قيل وهولاء الذين يومنون ويعملون الصالحات هم الموقنون
بالاخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب او هو
من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم
وثباته وانهم اوحديون فيه ان الذين لا يومنون بالاخرة بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال
المومنين اي لا يومنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات
حسبما ينطق به القران زينا لهم اعمالهم القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس
كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها
حالا واستتباعها الفنون المنافع مالا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم فهم
يعمهون يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها
من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر او في الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب
المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم
يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور اولئك اشارة الى
المذكورين وهو مبتداء خبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم
سوء العذاب اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الاخرة هم الاخسرون
اي اشد الناس خسرانا لفوت الثواب واستحقاق العقاب وانك لتلقى القران كلام
مستانف قد سيق بعد بيان بعض شؤن القران الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره
بحرفي التاكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتوتاه بطريق التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم
اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشان القران وتنصيص على علو طبقته عليه السلام
في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلايل والدقايق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم
العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة
الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بان ما في القران من العلوم منها ما هو حكمة كالعقايد والشرايع
ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بتلاوة بعض من القران الذي يلقاه
عليه السلام من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لاهله
في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نار اني
انست نارا سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا اضلوه والسين للدلالة على نوع بعد
في المسافة وتاكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امراته لما كني عنها بالاهل
او للتعظيم مبالغة في التسلية او اتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة
له لانه بمعنى مقبوس اي بشعلة نار مقبوسة اي ماخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين
فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس
بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من

صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله
تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار
العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك معناه اي بورك على ان ان مفسرة لما في
النداء من معنى القول وبان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل
مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لما ان الدعاء يخالف غيره
في كثير من الاحكام من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة
في قوله سبحانه نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ تباركت
الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة
بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم امواتا واحياء ولا سيما تلك البقعة التي كلم
الله تعالى موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد
قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى اياه عليه السلام واستنباؤه
له واظهار المعجزات على يده عليه السلام وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام
من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور و
عظائم الشؤون ومن احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار
البركة المذكورة والضمير اما للشأن وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان
له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزة اي
انا القوي القادر على ما لا يناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل
كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين والق عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي
نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما
تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز
فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما
رأينه اكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فابصرها فلما ابصرها
متحركة بسرعة واضطراب على قوله تعالى كانها جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما
من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد
في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه من عقب
المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى
لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي
الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون
في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس
منه سبحانه او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني
غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان
منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانهم وان صدر عنهم
شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض

بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عليه السلام رب
اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب
القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات في جملتها
ومعها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب
في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا
يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال
فيتعلق الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا وظهرت على يد موسى
مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كانها تبصر نفسها
لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا عن الهداية او مبصرة
كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح
سحريته وجحدوا بها اي كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال اي وقد استيقنتها
اي علمتها انفسهم علما يقينيا ظلما اي للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها
اي ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك وعلوا
اي استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما
على العلة من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر
تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا داود وسليمان علما
كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من انه عليه السلام ليلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما
عليهما السلام من جملة القرآن الكريم لقيه عليه السلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام
وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم
لائقة به من علم الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير او علما
سنيا غزيرا وقالا اي قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا
من العلم على كثير من عباده المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلني الا انه عبر عنهما عند الحكاية
بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره
بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا وقد مر في سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر
من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ايتاء ما اوتي كل منهما لا على ايتاء ما اوتي نفسه فقط وقيل
في العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر
ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا
الحمد لله الاية فتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علما واياه تبيين
الكثير بالمؤمنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز الى ان
البعض مفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه

اساس الفضل ولم يعتد دونهما او بما من الملك الذي لم يوت غيرهما وتحريض للعلماء على ان يحمدوا الله
تعالى على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق
كل ذي علم عليم ونعما قال امير المومنين عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان
داود اي النبوة والعلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر و
قال تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي
اوتيها يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما
في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمولف المفيد وغير المفيد يقال
نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان عليه السلم من منطق
الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه
ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف تمرة
فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول
كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول
كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت قمري فاخبر
انه يقول سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه
وقال الحدا يقول كل شيء هالك الا الله والقطا يقول من سكت سلم والببغا يقول ويل لمن الدنيا
همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت
والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس و[illegible]
علمنا واوتينا بالنون التي يقال لها نون الواحد المطاع بيان لحاله وصفته من كونه ملكا مطاعا
لكن لا تكبرا وتجبرا بل تمهيدا لما اراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له في اوامره ونواهيه حيث
كان على عزيمة المسير وقوله من كل شيء كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ويراد
به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقال ابن عباس كل ما يهمه من امر
الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح ان هذا
اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتاء لهو الفضل والاحسان من الله تعالى المبين الواضح الذي
لا يخفى على احد او ان هذا الفضل الذي اوتيته لهو الفضل المبين على انه عليه السلام قاله على سبيل
الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا
لا فخرا ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو فان اخبارهم بايتاء كل شيء
من الاشياء التي من جملتها آلات الحرب واسباب الغزو فبما ينبئ عن ذلك فمعنى قوله تعالى وحشر
لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والانس والطير بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته
وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة
الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لما ان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة
من الحشر والتسخير فهم يوزعون اي يحبس اوائلهم على اواخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى
تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك للترتيب
الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم

بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر
عليه اوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه السلم
كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير و
خمسة وعشرون للوحش وكان له عليه السلام الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في
وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم
السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى
انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء و
الارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال
لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك
لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود حتى اذا اتوا
على واد النمل حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا
جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل الاية وهي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه
قيل فساروا حتى اذا اتوا الخ ووادي النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف على ما قاله
كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق
واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره ولعلهم ارادوا ان
ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم ما في الارض لا عند سيرهم في الهواء وقوله تعالى قالت
نملة جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم وصاحت صيحة تنبهت بها ما
بحضرتها من النمل المرادها فتبعها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم
حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم
الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل
كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلثة
اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي
في الحقيقة للنمل عن التأخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده
عن الحطم كقولهم لا اريتك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر كقول من قال خلت له ارحل لا تقيمن
عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم
بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل يحطمنكم مفيدة
لتقييد الحطم بحال شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها
عارفة بشؤون سليمان وسائر الانبياء عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استيناف
اي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها و
اهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى

والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه
الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء
فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن وقال رب اوزعني ان
اشكر نعمتك اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك
عن شكرك اصلا وقرئ بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة
فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة
للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين وتفقد
الطير اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين
كانه قال ولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب فاضرب عنه فاخذ يقول اهو غائب
لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده
في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او لياتيني بسلطان
مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني
بنونين اولاهما مفتوحة مشددة قيل انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره
فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف
بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على المسير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يوم سهيلا فوافى صنعاء وقت
الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء
وكان الهدهد قناقنه مسيرة شهر وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين
فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام
حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل
شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف فذهب
معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد اي زمانا غير مديد وقرئ
بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد
خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب
علي به فطارت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني
فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى او
لياتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا
له فلما دنا منه اخذ عليه السلام براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد
سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله فقال احطت بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من
جميع جهاته وقرئ احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا خفاء في انه لم يرد بما ادعى
الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التي يكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف
ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي نبي الله
سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره ونفيها عنه عليه السلام جناية
على جنايته محتاجا الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه السلام بذلك

مع ما اوتي عليه السلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له
عليه السلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه
نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من
الامور المحسوسة التي لا يعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها
الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره
من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه السلام وترغيبه في الاصغاء الى الاعتذار
واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المبني على امر بديع اقبل والى تلقي ما لا تعلمه اميل
ثم ايده بقوله وجئتك من سبأ بنبأ يقين حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عليه السلام
انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذي هو الخبر الخطير والشأن
الكبير ووصفه بما وصفه والا فما ذا صدر عنه عليه السلام مع ما حكي عنه ما حكي من الحمد
والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيهه عليه السلام على تركه وسبأ منصرف
على انه اسم للحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد
شمس لقب به لكونه اول من سبا وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة
مارب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وعلى هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة
واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نبأهم قبل انباء
الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان استحال خلو افعاله تعالى من الحكم والمصالح
لما ان المسافة بين محطه عليه السلام وبين مارب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام
هناك وبين مجيء الهدهد بالخبر ايضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه
مبني على حكم بالغة يستاثر بعلمها علام الغيوب وقوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم استيناف
بيان ما جاء به من النبأ وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل ابن مالك بن ريان وكان
ابوها ملك ارض اليمن كلها ورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على
الملك ودانت له الامة وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رأيت لما
اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من
يتفقد احوالها ويتعرفها كانها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم
لسبأ على انه اسم للحي او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انه اسم لها واوتيت من كل شيء
اي من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا
وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر
ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان
يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها والى عروش امثالها من الملوك وقد
جوز ان لا يكون لسليمان عليه السلام مثله واياما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه السلام لما
مر من ترغيبه عليه السلام في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته نحو تسخيرها ولذلك عقبه
بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم التي هي عبادة

الشمس ونظايرها من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل اي سبيل الحق
والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة
طريق الحق الى العوج فهم بسبب ذلك لا يهتدون اليه وقوله تعالى الا يسجدوا لله
مفعول له اما للصد او للتزيين على حذف اللام منه اي فصدهم لان لا يسجدوا لله تعالى او زين
لهم اعمالهم لان لا يسجدوا او بدل على حاله من اعمالهم وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا
وقيل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب
والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا لله تعالى وقرئ الا يا اسجدوا على التنبيه والندا والمنادى
محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ونظايره وعلى هذا يحتمل ان
يكون استينافا من جهة الله عز وجل او من سليمان ويوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود
وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه واياما كان فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين
هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات
والارض اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد
بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين ساير اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته
والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما اودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على
معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون على يخرج الى انه تعالى
يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد يظهر ما تخفونه
من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دايرة العلم والتنبيه على تساويهما بالنسبة
الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم
اشراق الكواكب واظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات
بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان و
العدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ
الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم
وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها وقرئ
العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكي من الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا
ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان
عليه السلام اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه
السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها قال
استيناف وقع جوابا عن سوال نشأ من حكاية كلام الهدهد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام
عند ذلك فقيل قال سننظر اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتاكيد اي سنتعرف
بالتجربة البتة اصدقت ام كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم
الكريم للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين
فيه فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير
ان يكون لها مصداق اصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشان لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في

الكذ

الكذب والافك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم استيناف مبين لكيفية النظر الذي وعده
عليه السلام وقد قاله عليه السلام بعد ما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عليه السلام اياه
بالرسالة دون ساير ما تحت ملكه من امناء الجن الاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم
والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر اصلا ثم تول عنهم اي تنح الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر
اي تأمل وتعرف ماذا يرجعون اي ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضماير لما ان مضمون
الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اي بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فالقاه اليهم و
تنحى عنهم حسبما امر به وانما طوي ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا
باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه
ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها
فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حوالها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها
فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارية كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت
وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم وصفته بالكرم
لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم او لكونه مختوما او لغرابة شأنه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد
انه من سليمان استيناف وقع جوابا لسوال مقدر كأنه قيل ممن هو وما مضمونه فقالت انه
من سليمان وانه اي مضمونه او المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفيه اشارة الى سبب وصفها
اياه بالكرم وقرئ انه وانه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا
باسم الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب وقرئ ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة الا
تعلوا علي ان مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل
ولا نافية ومحلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام اي مضمونه الا تعلوا او النصب
باسقاط الخافض اي بان لا تعلوا علي وقرئ ان لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا حدكم واتوني
مسلمين اي مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الاليق بشان النبي عليه السلام على ان الايمان مستتبع
للانقياد حتما يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على
من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على
رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة
على رسالة مرسلها دلالة بينة قالت كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من
قولها يا ايها الملأ افتوني في امري اي اجيبوني في امري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته
وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا
لمحلهم بالاشعار بانهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة امرا اي من
الامور المتعلقة بالملك حتى تشهدون اي الا بمحضركم وبموجب رايكم استعطاف لهم واستمالة
لقلوبهم لئلا يخالفوها في الراي والتدبير قالوا استيناف مبني على سوال نشأ من حكاية قولها كأنه
قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا نحن اولوا قوة في الاجساد والالات والعدد واولوا
بأس شديد اي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك

فانظري ماذا تأمرين ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نمتثل به ونتبع رأيك او ارادوا نحن من
ابناء الحرب لا من ابناء الرأي والمشورة واليك الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة
فلما احست منهم الميل الى الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المبنية على
الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية من القرى
على منهاج المقاتلة والحراب افسدوها بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال وجعلوا اعزة
اهلها اذلة بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال وكذلك يفعلون
تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بان ذلك عادتهم المستمرة وقيل
تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي وانى مرسلة اليهم بهدية تقرير لرأيها بعد ما زيفت آراءهم واتت
بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة على رأيها لا يلويها
عنه صارف ولا يثنيها عاطف اي واني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع
المرسلون حتى اعمل بما يقتضيه الحال يروى انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن
الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع
بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا
بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت
رجلا من اشراف قومها المنذر بن عمرو واخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان
والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر
غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمن عم
بذلك فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ
وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها
عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد
على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ و
الوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على
اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال
ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل عليهما السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة
فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت
في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم
تضرب به وجهها والغلام كما يأخذ يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء
سليمان اي الرسول قال اي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول
ومن معه ويؤيده انه قرئ فلما جاؤا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس
وقومها ويؤيده الافراد في قوله تعالى ارجع اليهم اتمدونن بمال وهو انكار لامدادهم اياه
عليه السلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى
فما آتاني الله اي مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه خير مما آتاكم اي من المال

الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للانكار ولعله عليه السلام
انما قال لهم هذه المقالة الى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيرها كما اشير اليه لا انه
عليه السلام خاطبهم بها اول ما جاؤه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ اتمدوني بالادغام
وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب عما ذكر من انكار
الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه السلام فرح افتخار وامتنان واعتداد
بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الاضراب
التنبيه على ان امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعده ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس
فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه للمهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون
حبا لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا ارجع افراد الضمير ههنا بعد جمع الضماير
الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها الرسول
اليهم اي الى بلقيس وقومها فلنأتينهم اي فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة
لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها
من سبأ اذلة اي حال كونهم اذلة بعد ما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله
تعالى وهم صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاسر لا بطريق الاجلاء
وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كانه
قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قاله عم
لما دنى مجيء بلقيس اليه عليه السلام يروى انه لما رجعت رسلها اليها بما حكي من خبر سليمان عليه السلام
قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك
قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم اذنت بالرحيل الى سليمن عليه السلام فشخصت
اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف ويروى انها امرت فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات
بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله
اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه
به من اجراء العجائب على يديه مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها
بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه ام لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى قبل ان يأتوني مسلمين لما ان ذلك
ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام
وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له
اخذ مالها بغير رضاها قال عفريت اي مارد خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث
المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم من مقامك
اي من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو
الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي آتيك به في
تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي حمله امين لا اختزل
منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما
وكيفية مقدرتهما على الاتيان به من كمال التباين او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف

ابن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اجاب
وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه
بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير
معهود ومن ابتدائية انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر
الى شيء وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين
هذا الوعد وانجازه مدة كما في وعد العفريت استغنى عن التاكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به
للايذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار به وجيء بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة
مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظايره بل داخلة
على الشرطية حيث قيل فلما رآه مستقرا عنده اي رأى العرش حاضرا لديه كما في قوله عز وجل فلما
رأينه اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب
عليه من رؤية سليمان عليه السلام اياه واستغنائه ايضا عن التصريح به اذ التقدير فاتاه به فرآه
فلما رآه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته
عليه السلام اياه شيء ما اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تاكيد لهذا المعنى
لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة
على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه قال اي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر
جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله تعالى عليهم السلام وخلص عباده هذا اي حضور العرش
بين يديه في هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربي
اي تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني أأشكر بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من
جهتي ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه
كما هو شأن ساير النعم الفائضة على العباد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب
به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر
فان ربي غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر ايضا قال اي سليمان
عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق
واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي
هيأته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي
الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها التقدم
عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس
والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون
اي بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب
فان كونها في نفس الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه
امر حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام
اي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه قيل اي من جهة سليمان عليه السلام
بالذات او بالواسطة اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو

المقصود

المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت
عنده بسخافة العقل قالت كأنه هو فابانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها
بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن
الادب في محاورته عليه السلام واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت
انه عليه السلام اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى
وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك
وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله
تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته
من الاسلام الى الآن اي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم
كافرين تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اي انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك
لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام وقرئ
انها بالفتح على البدلية من فاعل صد او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى و
اوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملائه كأنهم لما سمعوا قولها
كأنه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى
وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر
عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم الخ اي واوتينا نحن العلم بالله
تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم
عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس
ونشؤها بين ظهراني الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلي الصرح الصرح
القصر وقيل صحن الدار روي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من
زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره
فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته
وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية
وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الانس والجن فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد
وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير
العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فلما رأته وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر
بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله خبرا حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وتشمرت لئلا
تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعراء وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر
بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه السلام وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان
يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن
وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ ساقيها حملا للمفرد على الجمع في سوق
واسوق قال عليه السلام حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء
صرح ممرد اي مملس من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا

رب انی ظلمت نفسی بما کنت علیه الی الآن من عبادة الشمس وقیل بظنی بسلیمان حیث ظننت انه
یرید اغراقها فی اللجة وهو بعید واسلمت مع سلیمان تابعة له مقتدیة به وما فی قوله تعالی لله
رب العالمین من الالتفات الی الاسم الجلیل ووصفه بربوبیة العالمین لاظهار معرفتها بالوهیته تعالی
وتفرده باستحقاق العبادة وربوبیته لجمیع الموجودات التی من جملتها ما کانت تعبده قبل ذلک من
الشمس ولقد ارسلنا عطف علی قوله تعالی ولقد اتینا داود وسلیمان علما مسوق لما سیق هو له من بیان
انه علیه السلام یلقی القران من لدن حکیم علیم فان هذه القصة ایضا من جملة القران الکریم الذی لقیه
علیه السلام واللام جواب قسم محذوف ای وبالله لقد ارسلنا الی ثمود اخاهم صالحا وان فی
قوله تعالی ان اعبدوا الله مفسرة لما فی الارسال من معنی القول او مصدریة حذف عنها الباء وقری
بضم النون اتباعا لها للباء فاذا هم فریقان یختصمون ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فریق و
کفر فریق والواو لمجموع الفریقین قال علیه السلام للفریق الکافر منهم بعدما شاهد منهم ما شاهده
من نهایة العتو والعناد حتی بلغوا من المکابرة الی ان قالوا له علیه السلام یا صالح ائتنا بما تعدنا ان کنت
من الصادقین یا قوم لم تستعجلون بالسیئة ای بالعقوبة السیئة قبل الحسنة ای التوبة
فتؤخرونها الی حین نزولها حیث کانوا من جهلهم وغوایتهم یقولون ان وقع ایعاده تبنا حینئذ
والا فنحن علی ما کنا علیه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه تعالی قبل نزولها لعلکم ترحمون
بقبولها اذ لا امکان للقبول عند النزول قالوا اطیرنا اصله تطیرنا والتطیر التشاؤم عبر عنه بذلک
لما انهم کانوا اذا خرجوا مسافرین فیمرون بطائر یزجرونه فان مر سانحا تیمنوا وان مر بارحا تشاءموا
فلما نسبوا الخیر والشر الی الطائر استعیر لما کان سببا لهما من قدر الله تعالی وقسمته او من عمل
العبد ای تشاءمنا بک وبمن معک فی دینک حیث تتابعت علینا الشدائد وقد کانوا قحطوا
او لم نزل فی اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دینکم قال طائرکم ای سببکم الذی منه ینالکم من
الشر عند الله وهو قدره او عملکم المکتوب عنده وقوله تعالی بل انتم قوم تفتنون ای
تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون او یفتنکم الشیطان بوسوسته الیکم الطیرة اضراب
من بیان طائرهم الذی هو مبدا ما یحیق بهم الی ذکر ما هو الداعی الیه وکان فی المدینة وهی الحجر
تسعة رهط ای اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمییزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بینه وبین
النفر انه من الثلثة او من السبعة الی العشرة والنفر من الثلثة الی التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن
وهب الهذیل بن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمیر بن کردبة
وعاصم بن مخرمة وسبیط بن صدقة وسمعان بن صفی وقدار بن سالف وهم الذین سعوا فی عقر الناقة
وکانوا عتاة قوم صالح وکانوا من ابناء اشرافهم یفسدون فی الارض لا فی المدینة فقط افسادا
بحتا لا یخالطه شیء ما من الاصلاح کما ینطق به قوله تعالی ولا یصلحون ای لا یفعلون شیئا من الاصلاح
او لا یصلحون شیئا من الاشیاء قالوا استیناف ببیان بعض ما فعلوا من الفساد ای قال بعضهم لبعض
فی اثناء المشاورة فی امر صالح علیه السلام وکان ذلک غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا فی دارکم
ثلثة ایام الخ تقاسموا بالله اما امر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار
قد وقوله تعالی لنبیتنه واهله ای لنباغتن صالحا واهله لیلا ونقتلنهم وقری بالتاء علی
خطاب بعضهم لبعض وقری بیاء الغیبة وضم التاء علی ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لولیه

ای لولی صالح وقری بالتاء والیاء کما قبله ما شهدنا مهلک اهله ای ما حضرنا هلاکهم او وقت
هلاکهم او مکان هلاکهم فضلا ان نتولی اهلاکهم وقری مهلک بفتح اللام فیکون مصدرا وانا لصادقون
من تمام القول او حال ای نقول ما نقول والحال انا صادقون فی ذلک لان الشاهد للشیء غیر المباشر له عرفا
او لانا ما شهدنا مهلکهم وحده بل مهلکه ومهلکهم جمیعا کقولک ما رایت ثمة رجلا بل رجلین
ومکروا مکرا بهذه المواضعة ومکرنا مکرا ای اهلکناهم اهلاکا غیر معهود وهم لا یشعرون
او جازیناهم مکرهم من حیث لا یحتسبون فانظر کیف کان عاقبة مکرهم شروع فی بیان ما ترتب
علی ما باشروه من المکر وکیف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض ای متفکر فی انه کیف
کان عاقبة مکرهم وقوله تعالی انا دمرناهم اما بدل من عاقبة مکرهم علی انه فاعل کان وهی تامة
وکیف حال ای فانظر کیف حصل ای علی ای وجه حدث تدمیرنا ایاهم واما خبر لمبتدا محذوف
والجملة مبینة لما فی عاقبة مکرهم من الابهام ای هی تدمیرنا ایاهم وقومهم الذین لم یکونوا
معهم فی مباشرة التبییت اجمعین بحیث لم یشذ منهم شاذ واما تعلیل لما ینبئ عنه
الامر بالنظر فی کیفیة عاقبة مکرهم من غایة الهول والفظاعة بحذف الجار ای لانا دمرناهم
الی آخره وقیل کان ناقصة اسمها عاقبة مکرهم خبرها کیف کان فلا وجه حینئذ ان یکون قوله تعالی
انا دمرناهم الخ تعلیلا لما ذکر وقری انا دمرناهم الخ بالکسر علی الاستیناف روی انه کان لصالح
مسجد فی الحجر فی شعب یصلی فیه فقالوا زعم صالح انه یفرغ منا الی ثلث فنحن نفرغ منه ومن
اهله قبل الثلث فخرجوا الی الشعب وقالوا اذا جاء یصلی قتلناه ثم رجعنا الی اهله فقتلناهم فبعث
الله تعالی صخرة من الهضب حیالهم فبادروا فطبقت الصخرة علیهم فم الشعب فلم یدر قومهم این
هم ولم یدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالی کلا منهم فی مکانه ونجی صالحا ومن معه وقیل
جاؤا باللیل شاهری سیوفهم وقد ارسل الله تعالی الملائکة ملاء دار صالح فدمغوهم بالحجارة یرون
الحجارة ولا یرون رامیا فتلک بیوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالی خاویة ای خالیة
او ساقطة متهدمة بما ظلموا ای بسبب ظلمهم المذکور حال من بیوتهم والعامل معنی الاشارة وقری
خاویة بالرفع علی انه خبر لمبتدا محذوف ان فی ذلک ای فیما ذکر من التدمیر العجیب بظلمهم لایة
لعبرة عظیمة لقوم یعلمون ای ما من شانه ان یعلم من الاشیا او لقوم یتصفون بالعلم وانجینا
الذین آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنین وکانوا یتقون ای الکفر والمعاصی اتقاء مستمرا کذلک
خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف علی ارسلنا فی صدر قصة صالح داخل معه فی حیز
القسم وارسلنا لوطا وقوله تعالی اذ قال لقومه ظرف للارسال علی ان المراد به امر ممتد وقع فیه
الارسال وما جری بینه وبین قومه من الاقوال والاحوال وقیل انتصاب لوطا باضمار اذکر واذ بدل
منه وقیل بالعطف علی الذین آمنوا ای وانجینا لوطا وهو بعید اتأتون الفاحشة ای الفعلة المتناهیة
فی القبح والسماجة وقوله تعالی وانتم تبصرون جملة حالیة من فاعل تاتون مفیدة لتاکید الانکار
وتشدید التوبیخ فان تعاطی القبیح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب ای اتفعلونها
والحال انکم تعلمون علما یقینیا بکونها کذلک وقیل یبصرها بعضکم من بعض لما کانوا یعلنون بها
ائنکم لتاتون الرجال شهوة تثنیة للانکار وتکریر للتوبیخ وبیان لما یاتونه من الفاحشة بطریق
التصریح وتحلیة الجملة بحرفی التاکید للایذان بان مضمونها مما لا یصدق وقوعه احد لکمال بعده من

ابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم • وجعل خلالها • اوساطها
انهارا • جارية ينتفعون بها • وجعل لها رواسي • اي جبالا ثوابت يمنعها ان تميد باهلها ويتكون
فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح مالا يحصى • وجعل بين البحرين
اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم • حاجزا • برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في سورة
الفرقان والجعل في المواقع الثلثة الاخيرة ابداعي وتاخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق • االه
مع الله • في الوجود وفي ابداع هذه البدايع على ما مر • بل اكثرهم لا يعلمون • اي شيئا من الاشياء
ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره • امن يجيب المضطر اذا دعاه
وهو الذي احوجه شدة من الشدايد والجاته الى اللجاء والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من
الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود وعن السدي
رحمه الله من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم
اجابة كل مضطر • ويكشف السوء • وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه • ويجعلكم خلفاء
الارض • اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك
والتسلط • االه مع الله • الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام • قليلا ما تذكرون
اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون وما مزيدة لتاكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما
يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه
مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ
تتذكرون على الاصل وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام • امن يهديكم في ظلمات
البر والبحر • اي في ظلمات الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق
يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها • ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته • وهي المطر
ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار
حرها وتموجها للهواء فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز
وعلا والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا • االه مع الله • نفي لان يكون معه اله اخر وقوله تعالى
تعالى الله عما يشركون • تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم
اي تعالى وتنزه بذاته المتفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال
المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركونه به تعالى
لاستلزامه فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا لله تعالى او عن اشراكهم
امن يبدؤ الخلق ثم يعيده • اي بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث • ومن يرزقكم
من السماء والارض • اي باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التي
عليها يبنى امر التكوين خير ام ما تشركونه في العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شيء ما اصلا • االه
اخر موجود • مع الله • حتى يجعل شريكا له في العبادة وقوله تعالى • قل هاتوا برهانكم • امر له عليه السلام
بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر
على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية
وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان

الى ضميرهم

الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا واني لهم ذلك • ان كنتم صادقين • اي في تلك الدعوى
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله • بعدما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه
بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم
الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة
التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم
كانه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد ممن في السموات و
الارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي
العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة • وما يشعرون ايان يبعثون • اي متى ينشرون من القبور
مع انه لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير
للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سياتي من الضماير الخاصة
بهم قطعا وقيل الكل لمن واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل
بعض منهم • بل ادارك علمهم في الاخرة • لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما
هو مصيرهم لا محالة بولغ في تاكيده وتقريره باضراب عنه وبيان انهم في جهل افحش من جهلهم
بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الاخرة مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان معنى ادارك علمهم
في الاخرة تدارك وتتابع علمهم في شان الاخرة التي ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق
لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا
بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلايل العقلية والسمعية منزلته واجراء
تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم
علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل • بل هم في شك منها • اي في شك
مريب من نفس الاخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التي ستقع فيها ثم
اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل • بل هم منها عمون • بحيث
لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفني
وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر اي تكامل واستحكم او
تم اسباب علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الايات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة
فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم
بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك
الى وصفهم بما هو اشد منه وافظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن
مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام
العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاضرابان على ما ذكر واصل ادارك تدارك
وبه قرئ ابي فابدلت التاء دالا وسكنت لتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار اادارك وقرئ
بل ادرك واصله افتعل وبل اادرك بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل
وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل اادرك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى ادرك وام
تدارك وام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة ففيما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فهو انكار ونفي

العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها
الاتيان من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون تفعلون
فعل الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفهاء ماجنون
والتاء فيه مع كونه صفة للقوم لكونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل
لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم
في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره
فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها اي قدرنا انها من الغابرين اي الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب
غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اثر ما قص الله تعالى على رسوله صلى الله عليه
وسلم قصص الانبياء المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شانه
وبما خصهم به من الايات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم وبين
على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى
ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عليه السلام بما في تضاعيف
تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم
القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم امره صلى الله عليه
وسلم بان يحمده تعالى على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها للطامع ولا مطمح
من دونها لطامح ويسلم على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه اخبارهم التي هي
من جملة المعارف التي اوحيت اليه عليه السلام اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين و
قيل هو امر للوط عليه السلام بان يحمده تعالى على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة
عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده الله خير اما تشركون اي الله الذي ذكرت شؤونه
العظيمة خير ام ما يشركونه تعالى من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته
تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما
حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق
تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم
وجعله من جملة القول المامور به يأباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز
وعلا بالذات وحمله على انه حكاية منه عليه السلام لما امر به بعبارته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى امن خلق السموات والارض
منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح
به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التاكيد والتشديد واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت و
تكرير الالزام كنظائرها الاتية والهمزة لتقريرهم اي حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار
فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات و
افاض على كل منها ما يليق به من منافعه من اخس تلك المخلوقات وادناها بل بان لا خيرية فيه بوجه

من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف ومع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام
الاول خلا ان يشركون ههنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الاتية والمعنى
بل امن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأي منافع ما بينهما وانزل لكم التفات الى خطاب الكفرة
على القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام اي انزل لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اي نوعا
منه هو المطر فانبتنا به حدائق اي بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ذات بهجة اي ذات حسن
ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اي ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها
وسائر صفاتها البديعة خير ام ما يشركون وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وتقديم صلتي
الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا
لتاكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى وللايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف
والالوان والطعوم والروايح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما
لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت
صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة
على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها أإله مع الله اي أإله آخر كائن مع الله
الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة و
هذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عما يشركونه به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد
تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار
الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انتفاء الالوهية عنه راسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها
عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الاتية وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى اله آخر فيما
ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما
ينطق به قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى في العبادة
ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه قيل أإله آخر مع الله في خواص
الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة
مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين
السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والاوفق بحق المقام لافادته
نفي وجود اله آخر معه تعالى راسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ أإله بتوسيط مدة
بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أإلها باضمار فعل يناسب المقام مثل أتدعون او
أتشركون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم
وحكايته لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في
كل امر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف
على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة أمّن
جعل الارض قرارا قيل هو بدل من أمّن خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلاث
وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت
بوجه آخر ادخل في الالزام بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب



وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار
وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم
منها عمون او وردوا انكار لشعورهم • وقال الذين كفروا • بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية
انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل
في قولهم • ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون • اي لمخرجون من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ
لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم
ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان
البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف
على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتاكيد وتكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد في الانكار
وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار
لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ اننا لمخرجون على الخبر
• لقد وعدنا هذا • اي الاخراج • نحن وآباؤنا من قبل • اي من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم الموعود
على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر قصد به المبعوث والجملة استيناف مسوق لتقرير الانكار
وتصديرها بالقسم لمزيد التاكيد وقوله تعالى • ان هذا الا اساطير الاولين • تقرير اثر تقرير
• قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين • بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما
دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذي ينكرونه فان مشاهدة عاقبتهم فيها
فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم • ولا
تحزن عليهم • لاصرارهم على الكفر والتكذيب • ولا تكن في ضيق • في حرج صدر • مما يمكرون •
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان يكون المفتوح
مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق • ويقولون متى هذا الوعد • اي العذاب العاجل
الموعود • ان كنتم صادقين • في اخباركم باتيانه والجمع لمشاركة المؤمنين في الاخبار بذلك
• قل عسى ان يكون ردف لكم • اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه • بعض الذي
تستعجلون • وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها
اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجري وعد الله تعالى
ووعيده وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم الخ لكونه ادل على تحقق الوعد • و
ان ربك لذو فضل على الناس • اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تاخير عقوبة
هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب • ولكن اكثرهم لا يشكرون • لا
يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كداب هؤلاء • وان ربك ليعلم ما
تكن صدورهم • اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء اي سترته • وما يعلنون • من الافعال
والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه
وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى او لا يعلمون

ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون • وما من غائبة في السماء والارض • اي من خافية فيهما وهما من الصفات
الغالبة والتاء للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية • الا في كتاب مبين •
اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة • ان
هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون • من جملته ما اختلفوا في شان المسيح و
تحزبوا فيه احزابا ووقعوا في التعنت والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكد
في اشياء حتى بلغ المشاقة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا
في حيز الانصاف • وانه لهدى ورحمة للمؤمنين • على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل
دخولا اوليا • ان ربك يقضي بينهم • اي بين بني اسرائيل • بحكمه • بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده
انه قرئ بحكمه • وهو العزيز • فلا يرد حكمه وقضاؤه • العليم • بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضي به والفاء
في قوله تعالى • فتوكل على الله • لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية
الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا شانه فانه موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره
اليه وقوله تعالى • انك على الحق المبين • تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه السلام على الحق البين
او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق
بحفظه تعالى ونصرته وتاييده لا محالة وقوله تعالى • انك لا تسمع الموتى • الخ تعليل آخر للتوكل
الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل
اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه السلام
على احد الوجهين اعني كونه عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى
وتاييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه
تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وداع
الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعني بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تاثرهم بما يتلى
عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد
تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر واشير الى بطلانه بالمرة
ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي
مزيد مزية • ولا تسمع الصم الدعاء • اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى • اذا ولوا
مدبرين • لتكميل التشبيه وتاكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعي مولون
على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان
خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء • وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم • هداية موصلة الى
المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية
باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في
نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي • ان تسمع • اي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا • الا من يؤمن
بآياتنا • اي من شانهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال
ان تهدي الا من يؤمن الخ لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية • فهم مسلمون • تعليل لايمانهم

بها كانه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله واذا وقع
القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة و
مباديها والمراد بالقول ما نطق من الايات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا
يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتاثيرها واسناده الى
القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه
واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله اي اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه و
مصداقه اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتاكيد ابهامه
بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شانها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث
ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم ولها زغب وريش
وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر
اسد ولون نمر وخاصرة كخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع
ادم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها خلق الطير وروي عن علي رضي الله
عنه انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروي لا تخرج الا
راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها
فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها
تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج
الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلث خرجات
تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة
على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد
فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت
ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة
من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمن عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت
نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه
فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل
الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرع الصفا بعصاه وهو
محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلث
صرخات يسمعها من بين الخافقين وتتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى تكلمهم ان الناس
كانوا باياتنا لا يوقنون اي تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بايات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة
ومباديها او بجميع اياته التي من جملتها تلك الايات وقيل باياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة
والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بان الناس بالباء واضافة الايات الى نون العظمة لانها حكاية
منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها
به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك

مضاف محذوف اي بايات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان
بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار
القول او اجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى
لتعليل اخراجها او تكليمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم
ايقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركوا مكة وقد روي عن وهب
انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم
الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة ايضا
منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده ويوم نحشر من كل امة فوجا بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام
الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا
اي جمعنا من كل امة من امم الانبيا عليهم السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن
تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى ممن يكذب باياتنا بيان
للفوج اي فوجا مكذبين بها فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم حتى تلاحقوا ويجتمعوا
في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ما لا يخفى و
عن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي
اهل مكة وهكذا يحشر قادة ساير الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاؤا الى موقف السؤال
والجواب والمناقشة والحساب قال اي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات
لتربية المهابة اكذبتم باياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ولم تحيطوا بها علما
جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اي اكذبتم بها
بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص
في ان المراد بالايات فيما سلف في الموضعين هي الايات القرانية لانها هي المنطوية على دلايل الصحة
وشواهد الصدق التي لم يحيطوا بها علما مع وجوب ان يتاملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وقيل
هو معطوف على كذبتم اي اجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها اماذا كنتم تعملون اي ام اي
شيء كنتم بها او ام اي شيء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كانهم لم يخلقوا الا
للكفر والمعاصي مع انهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار
وذلك قوله تعالى ووقع القول عليهم اي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله
ونزوله بما ظلموا بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بايات الله فهم لا ينطقون لانقطاعهم
عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل
المعقولات اي الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار مبصرا
اي ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذي
هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل

والنهار

هذا المسلك لما ان تاثير ظلام الليل في السكون بمثابة تاثير ضوء النهار في الابصار ان في ذلك
اى في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته في الفضل لايات
اى عظيمة كثيرة لقوم يومنون دالة على صحة البعث وصدق الايات الناطقة به دلالة واضحة
كيف لا وان من تامل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة
يحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وعلا وشاهد في الافاق تبدل ظلمة الليل الحاكية للموت
بضياء النهار المضاهي للحيوة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت بالانتباه الذي هو مثل
الحيوة قضى بان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قضاء متقنا وجزم بانه تعالى
قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان الايات الناطقة به وبكون حال الليل
والنهار برهانا عليه وساير الايات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم ينفخ في الصور اما
معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ
فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله
تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره
الى العرش متى يومر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم و
الذي نفسي بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض فيومر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها
في الحيوة احد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن
في الارض الا من شاء الله ثم يومر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله
تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه
ان المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض
ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات في الانفس والافاق
من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه اعني ينفخ
مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تاخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان
ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحد منهما
طامة كبرى وداهية دهيا حقيقة بالتذكر على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم ان
الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما مر في قصة البقرة عند النفخة الا من شاء الله اى الا من لا يفزع
قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش
وكل اى كل واحد من المبعوثين عند النفخة اتوه حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله
للسوال والجواب والمناقشة والحساب وقيل اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه
وقرئ اتوه اى حاضرون داخرين اى صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف
على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وعلا تحسبها جامدة اى ثابتة في اماكنها اما بدل منه او حال
من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى وهي تمر مر السحاب حال من ضمير الجبال في تحسبها او في
جامدة اى تراها راى العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب الذي تسيره الرياح سيرا حثيثا و
ذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال
بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه

حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش
وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هياتها
ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت
عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى
ويسلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ
يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان
اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا
في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف
مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والروية كانه قيل وحشرناهم قبل
ذلك هذا وقد قيل ان المراد هي النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله
تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الخ فيختص اثرها بمن كان حيا حينئذ دون من مات
قبل ذلك من الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في
ان ذلك مما ينبغي ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة
الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي اريدت بقوله تعالى وما ينظر هولاء الا صيحة واحدة ما لها
من فواق فيسيرها الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا
فتكون كالسفينة الموثقة في البحر او كالقنديل المعلق ترجحه الارواح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا
والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سياتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ
امنون صنع الله مصدر موكد لمضمون ما قبله اى صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ
في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شان تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان
بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية
او يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدايع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات
الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب
عنه قوله تعالى الذي اتقن كل شيء اى احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه
خبير بما تفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها
مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم
وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك ان
وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها
بيان لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اى من جاء منكم او من اولئك الذين
اوتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها
وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وهم
اى الذين جاوا بالحسنات من فزع اى عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة
العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع
الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه حين يومر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادى

المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اي يوم اذ نفخ
في الصور امنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهايل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي
يعتري كل من في السموات ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل
في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان
امنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افامنوا مكر الله وفزع يومئذ
بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة
يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء
بالسيئة قيل هو الشرك فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجوههم منكوسين او
كبت فيها انفسهم على طريقه ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات
للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي
حرمها امر عليه السلام بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدا والمعاد وشرح احوال
القيمة تنبيها لهم على انه قد تم امر الدعوة بلا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شان
سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا صلحوا
او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه السلام
بامر دعوتهم انه عليه السلام يظهر لهم ما يلجيهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم
ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الايات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة
لتفخيم شانها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها لتشريفها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم
مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا
البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا يرى
انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد
فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي افجر افراد الفجور واشنع احاد الالحاد حيث تركوا
عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى يوفكون وقرئ حرمها بالتخفيف
وقوله تعالى وله كل شيء اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شي في شي من ذلك تحقيق
للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات
وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام
والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
وان اتلو القران اي اواظب على تلاوته لينكشف لي حقايقه الرايقة المخزونة في تضاعيفه شيا
فشيا او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته
في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرايع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى
باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القران فان منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي
ومن ضل بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما انا
من المنذرين وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس علي من وبال ضلاله شي وانما هو عليه فقط

وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية
والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالايات البينة والبراهين النيرة
وقوله تعالى سيريكم اياته من جملة الكلام المامور به اي سيريكم البتة في الدنيا اياته الباهرة التي نطق
بها القران كخروج الدابة وساير الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويا باه قوله تعالى فتعرفونها
اي فتعرفون انها ايات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكل وقعة بدر كذلك وقيل
سيريكم في الاخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق من جهته تعالى بطريق
التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبي عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه
وسلم وتخصيص الخطاب اولا به عليه السلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل
عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة
وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فسيعذبهم
البتة فلا تحسبوا ان تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله تعالى اعلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان
وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم السلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص ثمان وثمانون

طسم تلك ايات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه
نتلوا عليك اي نقرا بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز ان يكون من التلاوة مجازا من التنزيل
من نبا موسى وفرعون مفعول نتلوا اي بعض نباهم بالحق متعلق بمحذوف هو حال من
فاعل نتلوا او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك بعض نباهما ملتبسين او ملتبسا
بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يومنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة
والبيان للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استيناف جار مجرى التفسير للمجمل
الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر
وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعا اي فرقا يشيعونه في كل ما
يريد من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف
في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب
عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف
طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله
تعالى يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له يولد في بني
اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل وان كذب
فما وجهه انه كان من المفسدين اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترا على مثل تلك العظيمة
من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام ونريد ان نمن اي نتفضل على الذين استضعفوا
في الارض على الوجه المذكور بانجائهم من باسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو

معطوف على ان فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبا او حال من يستضعف بتقدير
المبتدا اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد له لما ان تعلق الارادة للمن تعلق استقبالي على ان منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف
الوقوع جاز اجراوها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر
حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لاخرين
ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما
ينبئ عنه تعريف الوارثين وتاخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط
رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض
الى اخره اي نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤن واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا
يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم اي من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون
ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع
ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاوه
فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه فالقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا
تخافي عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ولا تحزني انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه
وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها
بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روي ان بعض
القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت
لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل
حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي
محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور
مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاه
من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان
اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار
من داخله والفاء في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها
من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعد ما
جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه ال فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع
قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس
اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرا الا من قبل البحر يوخذ منه شبه الانس
يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيوجد من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا فلما كان ذلك
اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه امراته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد
الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط
موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطي النيل
فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ايتوني به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين

يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرات نورا في جوف التابوت
لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا
فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرات من ساعته
وقيل لما نظرت الى وجهه برات فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي
في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سياتي واللام في قوله تعالى
ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب
عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا
بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما ياتون وما
يذرون فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي
انه ذبح في طلبه تسعون الف وليد او كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم
فالجملة اعتراضية لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين
او على انه بمعنى متعدين من الصواب الى الخطاء وقالت امراة فرعون اي لفرعون حين اخرجته من
التابوت قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لنا لما انهما لما راياه احباه او لما ذكر من برء بنته
من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا
تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن و
دلائل النجابة وذلك لما رات فيه من العلامات المذكورة او نتخذه ولدا اي نتبناه فانه خليق
بذلك وهم لا يشعرون حال من ال فرعون والتقدير فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وقالت امراته له كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطاء عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء
النفع منه والتبني له وقوله ان فرعون الاية اعتراض وقع بين المعطوفين لتاكيد خطائهم وقيل حال
من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فواد ام
موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله
تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ
اي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف عليه
وتبناه وقرئ موسى بالهمز اجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمتها فهمزت كما في وجوه ان كادت
لتبدي به اي انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح لتبنيه
لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المومنين اي المصدقين بوعد الله تعالى
او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما
قبله عليه وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخوته عليه السلام دون ان يقال لبنتها للتصريح
بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به اي
ابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون
انها تقصه وتعرف حاله وانها اخته وحرمنا عليه المراضع اي منعناه ان يرتضع من المرضعات
والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او مرضع وهو الرضاع اي موضعه اعني الثدي من
قبل اي من قبل قصها اثره فقالت عند رويتها العدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم

من قبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اى لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون فى ارضاعه
وتربيته روى ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما
اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتى بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون
يبكى وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى
كل ثدى الا ثديك فقالت انى امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها
واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كى تقر عينها
بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله اى جميع ما وعد من رده وجعله
من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر
كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها
حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ولما بلغ اشده اى المبلغ الذى لا يزيد عليه نشوه وذلك من
ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على راس الاربعين واستوى
اى اعتدل قده او عقله اتيناه حكما اى نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل
استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة
فى المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اى مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة
من اهلها فى وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته اى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا
من عدوه هى من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته
اى ساله ان يغيثه بالاعانة كما بنى عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذى من عدوه فوكزه
موسى اى ضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله
انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مامورا
بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه
خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين فى استعظام
ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغاير انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال
قال توسيطه بين كلاميه عليه السلام لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء
بخلاف الاول رب انى ظلمت نفسى اى بقتله فاغفر لى ذنبى فغفر له ذلك انه هو
الغفور الرحيم اى المبالغ فى مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت على اما قسم
محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين
واما استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون معينا لمن يؤدى معاونته الى الجرم وعن
ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه السلام لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل
معناه بما انعمت على من القوة اعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فاصبح فى المدينة
خائفا يترقب يترصد الاستقادة او الاجناد فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه اى
يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوى مبين اى بين الغواية لتسببك لقتل

رجل وتقاتل آخر فلما اراد موسى ان يبطش بالذى هو عدو لهما اى لموسى وللاسرائيلى اذ لم يكن
على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبنى اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء قال اى الاسرائيلى
ظانا انه عليه السلام يبطش به حسبما يوهمه تسميته اياه غويا يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا
بالامس قالوا لما سمع القبطى قول الاسرائيلى علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى فانطلق الى
فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطى ان تريد اى ما
تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وهو الذى يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر فى
العواقب وقيل المعظم الذى لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس
بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اى كان من اخرها او جاء من اخرها يسعى اى يسرع
صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصصه يلحقه بالمعارف قيل
هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك اى يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يامر الاخر ويأتمر فاخرج اى
من المدينة انى لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها
اى من المدينة خائفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجنى من القوم الظالمين خلصنى منهم و
احفظنى من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين اى نحو مدين وهو قرية شعيب عليه السلام سميت باسم
مدين بن ابراهيم ولم يكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى
ربى ان يهدينى سواء السبيل توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق
فعن له ثلث طرايق فاخذ فى الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا فى الاخريين وقيل خرج حافيا لا يعيش
الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به
الى مدين ولما ورد ماء مدين اى وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اى فوق
شفيرها امة جماعة كثيفة من الناس يسقون اى مواشيهم ووجد من دونهم فى موضع
اسفل منهم امراتين تذودان اى تمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كى لا يختلط
باغنامهم مع عدم الفائدة فى التقدم قال عليه السلام لهما حين راهما على ما هما عليه من التاخر
والذود ما خطبكما ما شانكما فيما انتما عليه من التاخر والذود ولم لا تباشران السقى كداب هؤلاء
قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء اى عادتنا ان لا نسقى حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها لعدم
الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقى اليوم الى تلك الغاية وحذف
مفعول السقى والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هى التى دعت موسى
عليه السلام الى ما صنع فى حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما رحمهما لكونهما على الذياد
العجز والعفة وكونهم على السقى غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا
مثلا وقرئ لا نسقى من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهم اسم جمع كالرخال
واما الرعاء فجمع قياسى كصيام وقيام وقوله تعالى وابونا شيخ كبير ابلاء منهما للعذر اليه عم
فى توليهما للسقى بانفسهما كانهما قالتا انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة
الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من
تاخير السقى الى ان يقضى الناس وطرهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام فى حذف

مفعوله كما مر انفا روي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل
عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله
عليه السلام زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البير لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فان الظاهر
انه عليه السلام غب ما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما
وقيل كانت هناك بير اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه صلى الله عليه وسلم سالهم دلوا من ماء
فاعطوه وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة
وروى غنمهما واصدرهما • ثم تولى الى الظل • الذي كان هناك • فقال رب اني لما انزلت • اي
اي شيء انزلته الي • من خير • جل او قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام • فقير • اي محتاج
ولتضمنه معنى السوال والطلب جيء بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي من خير عظيم هو
خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام اظهارا
للتبجح والشكر على ذلك • فجاءته احداهما • قيل هي كبراهما واسمها صفوراء او صفراء وقيل صغراهما
واسمها صفيرا اي جاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما
حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه
وقوله تعالى • تمشي • حال من فاعل جاءت وقوله تعالى • على استحياء • متعلق بمحذوف هو حال
من ضمير تمشي كانه على استحياء فمعناه انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط و
تنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها • قالت •
استيناف مبني على سوال نشا من حكاية مجيئها اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت له عليه السلام
فقيل قالت • ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا • اي جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة
الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا
يخفى روي انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال
لها امشي خلفي وانعتي الي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليهما السلام • فلما جاءه وقص عليه
القصص • اي ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل • قال لا تخف نجوت
من القوم الظالمين • الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عليه السلام انما اجاب المستدعية
من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برايه لا لياخذ بمعروفه اجره حسبما
صرحت به الاية الى ما روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع
الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل
من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل المعروف مبتدا كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه
انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في دار نبي
من انبياء الله تعالى عليهم الصلوة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه السلام ان يقبل الاجر لاضطرار
الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السايب انه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك
قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر
• قالت احداهما • وهي التي استدعته الى ابيها وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام • يا ابت
استاجره • اي لرعي الغنم والقيام بامرها • ان خير من استاجرت القوي الامين • تعليل جار

مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة في ذلك جعل خير اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي
للدلالة على انه امين مجرب روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما
شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها
بالمشي خلفه • قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني • اي تكون اجيرا لي او تثيبني
من اجرته كذا اذا اثبته اياه وقوله تعالى • ثماني حجج • على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به على
تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود واجرت
ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى على ان تاجرني نفسك وقوله تع
ثماني حجج ظرف كالوجه الاول • فان اتممت عشرا • في الخدمة والعمل • فمن عندك • اي فهو من
عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرايه على موسى
واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل • وما اريد ان اشق عليك • بالزام اتمام
العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما
يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رايك في مزاولته • ستجدني ان
شاء الله من الصالحين • في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام بالاستثناء
التبرك به وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى • قال ذلك بيني وبينك •
مبتدا وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا
يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى • ايما
الاجلين • اي اكثرهما او اقصرهما • قضيت • اي وفيتكه باداء الخدمة فيه • فلا عدوان علي •
تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم
انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان في اكثرهما راسا للقصد
الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني
او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر
فقط اي الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتاكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتاكيد ابهام
اي وشياعها وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث
استهلت مواطره • والله على ما نقول • من الشروط الجارية بيننا • وكيل • شاهد وحفيظ فلا سبيل
لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء
عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما توقف عليه
مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روي انهما
لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت
عنده عصي الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها ادم عليه السلام من الجنة ولم يزل الانبياء
يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع
في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل عليه السلام بعد موت ادم عليه السلام
فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه
بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما

فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها
ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا
وعن الكلبي رحمه الله الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب
صلوات الله وسلامه عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر
الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على
اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت
الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه
السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى عليهما السلام بالشان ففرح وعلم
ان لموسى والعصا شانا وقال اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه
في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء
فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة اي فعقد العقدين وباشر
موسى ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روي انه عم
قضى ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستاذنه في
ذلك فاذن له فخرج باهله آنس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا قال
لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق وقد كانوا اضلوه او جذوة
اي عود غليظ سواء كانت في راسه نار اولا قال قائلهم باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى
غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديد عليها حرها والتهابها ولذلك
بين بقوله تعالى من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون اي تستدفئون
فلما اتاها اي النار التي ابصرها نودي من شاطئ الوادي الايمن اي اتاه النداء من الشاطئ الايمن
بالنسبة الى موسى عليه السلام في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة
بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اني انا الله رب العالمين
وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد وان الق عصاك عطف على
ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل
قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها اي فالقاها فصارت
ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز كانها جان اي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى
مدبرا اي منهزما من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع يا موسى اي قيل يا موسى اقبل
ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك
اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك المبسوطتين
لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او
بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ
لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال
الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب اي من اجل
الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء

وبضمهما

وبضمهما والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك
والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان
من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمراة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا
من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن في قوله تعالى من ربك
متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان اي كائنان منه تعالى الى فرعون وملائه واصلان و
منتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان
نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
بمقابلتها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا اي معينا وهو في الاصل اسم ما يعان
به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة
اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره و
توضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على انه جواب الامر
قال سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور
ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة وقيل حجة
وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة باياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به
في مواضع اخر اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما باياتنا او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم
بها وقيل هو قسم وجواب لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا
بينات اي واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا
واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره
في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتريه
على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اي السحر او ادعاء النبوة
في آبائنا الاولين اي واقعا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به
نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القول ليوازن
السامع بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اي العاقبة المحمودة في الدار
وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات
منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية
انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور وقال فرعون يا ايها الملأ ما
علمت لكم من اله غيري قاله اللعين بعدما جمع السحرة وتصدى للمعارضة وكان من امرهم ما كان
فاوقد لي يا هامان على الطين اي اصنع آجرا فاجعل لي منه صرحا اي قصرا رفيعا لعلي اطلع
الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من
الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول
وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
والارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها

فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك
امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط
الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا
يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب
بالمقام فاخذناه وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم في اليم قد مر
تفصيله وفيه من تفخيم شان الاخذ وتهويله واستحقار الماخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم
مع كثرتهم في كف وطرحهم في البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها
وجعلناهم اي صيرناهم في عهدهم ائمة يدعون الناس الى النار الى ما يؤدي اليها من
الكفر والمعاصي اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل
سميناهم ائمة دعاة الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالانسب
حينئذ ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم ويكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف
الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملئكة عليهم
السلام والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل
من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه قاله ابن عباس رضي الله عنهما يقال
قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق
بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة
نحو لعملكم من القالين ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار
بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القران الكريم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرايع وانطماس اثارها
واحكامها المؤديين الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد
بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال
الامم الخالية الموجبة للاعتبار كانه قيل ولقد اتينا موسى التورية على حين حاجة الى ايتائها بصائر
للناس اي انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم
والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي به تبصر
وهدى اي هداية الى الشرايع والاحكام التي هي سبل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل
بها رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة لعلهم
يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم
تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي شروع في بيان انزال القران الكريم
ايضا واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقصد تحقيق كونه وحيا صادقا
من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها

وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون
اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية اي وما كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات
على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه او الجانب الغربي على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع
اذ قضينا الى موسى الامر اي عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحي وايتاء التورية وما كنت من
الشاهدين اي من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى
من امر موسى في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح فتخبره للناس ولكنا انشانا قرونا اي ولكنا
خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرايع
والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما على اخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف
المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين نفي لاحتمال
كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها اي وما كنت مقيما في اهل مدين من شعيب
والمؤمنين به وقوله تعالى تتلوا عليهم اي تقرا على اهل مدين بطريق التعلم منهم اياتنا الناطقة
بالقصة اما حال من المستكن في ثاويا او خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك
الايات ونظايرها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين
واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون ولكن رحمة من ربك اي ولكن ارسلناك بالقران الناطق
بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك
كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه السلام بالاضافة
وقد اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى عنه في الاول بذكر ما يوجبه
من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در
شان التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من ارساله عم
بالقران حتما لما انه المعلل بالانذار لا تعليم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تع
ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما اي لم ياتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي
خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني
اسرائيل لعلهم يتذكرون اي يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء
في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عليه السلام للقصة
بطريق الوحي الالهي ولو ذكر اولا نفي ثوائه عليه السلام في اهل مدين ثم نفي حضوره عليه السلام عند
النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل دليل واحد
على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة بما قدمت ايديهم اي بما
اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على ان مدار
انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكر في حيزها للايذان بانه السبب الملجي
لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالايات
فنتبع اياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا
الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها
ما ارسلناك لكن لما كان ذلك قولهم محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم

اى اهل مكة الحق من عندنا وهو القران المنزل عليه عليه الصلوة والسلام قالوا تعنتا واقتراحا
لولا اوتى يعنون عليه السلام مثل ما اوتى موسى من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا تعلق
لهما بالمقام كساير معجزاته عليه السلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل رد عليهم
واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اى الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتى موسى
من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا استيناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار
السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى سحران خبر لمبتدا محذوف اى هما يعنون ما اوتى محمد وما اوتى
موسى عليهما السلام سحران تظاهرا اى تعاونا بتصديق كل واحد منهما الاخر وذلك انهم بعثوا
رهطا منهم الى روساء اليهود فى عيد لهم فسالوهم عن شانه عليه الصلوة والسلام فقالوا انا نجده
فى التورية بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى انا
بكل اى بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتاكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا
وذلك لغاية عتوهم وتماديهم فى الكفر والطغيان وقرى ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله
عليهما وسلم هذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم الجليل فتامل ودع عنك ما قيل وقيل الا ترى الى
قوله تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اوتياه من التورية والقران وسميتموها
سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب للامر اى ان تاتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط
مما ياتى به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة
فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اى فى انهما سحران مختلقان وفى ايراد
كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان
بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عليه السلام على كمال
امن من امره كان امره عليه السلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة
تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعى باللام فيحذف الدعاء عند ذلك غالبا ولا يكاد يقال استجاب
الله له دعاءه فاعلم انما يتبعون اهواءهم الزايغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان
لهم ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام انكارى للنفى اى لا اضل ممن اتبع هواه بغير
هدى من الله اى هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفى الاضل لا لنفى المساوى كما مر فى
نظاير مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع فى التشنيع و
التضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدى القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى والاعراض عن الايات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا
لهم القول وقرى بالتخفيف اى انزلنا القران عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصايح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما
فيه الذين اتيناهم الكتاب من قبله اى من قبل ايتاء القران هم به يؤمنون وهم مؤمنوا اهل
الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام
واذا يتلى اى القران عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا اى الحق الذى كنا نعرف حقيته وهو
استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من قبله اى من قبل نزوله مسلمين بيان
لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره فى الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول

القران اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة
على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده
او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن بالحسنة السيئة اى يدفعون بالطاعة المعصية
لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الخير واذا سمعوا
اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا
لهم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغى الجاهلين لا نطلب
صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدى هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت
من الناس ولا تقدر على ان تدخله فى الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت فى السعى كل
حد معهود ولكن الله يهدى من يشاء ان يهديه فيدخله فى الاسلام وهو اعلم بالمهتدين
بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك
لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى ابيك غضاضة بعدى
لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف اموت على
ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا
نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم
انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا
فرد عليهم بقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما امنا اى الم نعصمهم ونجعل مكانهم حرما ذا امن
لحرمة البيت الحرام الذى تتناحر العرب حوله وهم امنون يجبى اليه وقرى تجبى اى يجمع ويحمل
اليه ثمرات كل شئ من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع
الميرة رزقا من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة اصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا
الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اى جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون
ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من
عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من ثمرات
على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا باس الله تعالى بقوله
وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اى وكثيرا من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى الامن وخفض
العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من
بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا اى الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او
لم يبق من يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف
تصرفهم فى ديارهم وساير ذات ايديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها
كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما
كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اى وما صح وما استقام
بل استحال فى سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان فى حكمه الماضى وقضائه السابق ان يهلك
القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث فى امها اى فى اصلها وقصبتها

التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلو عليهم اياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم
اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكي
القرى عطف على ما كان ربك وقوله تعالى الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد ما بعثنا في امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال
من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك
بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه
في سورة بني اسرائيل وما اوتيتم من شيء من امور الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو
شيء شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما عند الله وهو الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة
عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم وابقى لانه ابدي افلا تعقلون الا تتفكرون
فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء على الالتفات
المبني على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اي وعدا بالجنة
فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك
جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه
متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء
الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الاخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع
الحيوة الدنيا وبين ما عند الله تعالى اي ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى
ثم هو يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه
ومقرر له كانه قيل كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب و
ايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم
للتراخي في الزمان او في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم
منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول
تفسير للنداء اين شركاي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركاي فحذف
المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما قال استئناف مبني على حكاية السؤال كانه قيل فماذا صدر
عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم
الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوا عنه ومعنى حق
عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وغيره من ايات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق
العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب
مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم
بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء انما قالوا لما قالوا ردا
لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هم الذين اغويناهم
فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم

غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما
اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل
غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرانا اليك منهم ومما اختاروه
من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا ايانا
يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى
تبرانا اي تبرانا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم اما تهكما بهم او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط
الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة وراوا العذاب قد غشيهم
لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الوجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل
لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله
سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء
يومئذ اي صارت كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه
على ان ما يحضره الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطاه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعديه
الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل او جميع الانباء
وهي داخلة دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل الى علام
الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسئول فما ظنك باولئك الضلال من الامم فهم لا يتساءلون
لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من
الشرك وامن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين
بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب
بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب
عليه تعالى ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار
المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف
ويؤيده ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم والمعنى
لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة والصلاح
سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد ويزاحم اختياره اختياره وتعالى عما
يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو
لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والاخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها واجلها على الخلق
كافة يحمده المؤمنون في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي
صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة
فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقرير لما ذكر ارايتم اي اخبروني ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص
يقال درع دلاص اي ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق
الغائر من اله غير الله صفة لاله ياتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت والالزام

كما في قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن ياتيكم بماء معين ونظايرهما خلا انه قصد بيان
انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضياء
بهمزتين • افلا تسمعون • هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه
• قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة • باسكانها في وسط السماء او تحريكها على
مدار فوق الافق • من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه • استراحة من متاعب الاشغال ولعل تجريد
الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهرا لاستتباع ما نيط به من المنافع • افلا تبصرون •
هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر • ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه •
اي في الليل • ولتبتغوا من فضله • في النهار بانواع المكاسب • ولعلكم تشكرون • ولكي تشكروا نعمته
تعالى فعل ما فعل او لتعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها • ويوم يناديهم • منصوب باذكر • فيقول
اين شركاي الذين كنتم تزعمون • تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شي اجلب لغضب الله عز وجل من
الاشراك كما لا شي ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى • ونزعنا • عطف على يناديهم و
صيغة الماضي للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال
الاعتناء بشان النزع وتهويله اي اخرجنا • من كل امة • من الامم • شهيدا • نبيا يشهد عليهم بما كانوا
عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد • فقلنا • لكل من تلك الامم • هاتوا برهانكم •
على صحة ما كنتم تدينون به • فعلموا • يومئذ • ان الحق لله • في الالهية لا يشاركه فيها احد • وضل عنهم •
اي غاب غيبة الضايع • ما كانوا يفترون • في الدنيا من الباطل • ان قارون كان من قوم موسى •
كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عليه السلام بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى
عليه السلام ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما
نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي وروي انه لما جاوز بهم
موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان لهرون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال
لموسى الامر لكما ولست على شي الى متى اصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى
تاتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجي كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل
اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون
ما هو بالعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى • فبغى عليهم • فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت
امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منه في حق
موسى وهرون عليهما السلام • واتيناه من الكنوز • اي الاموال المدخرة • ما ان مفاتحه • اي مفاتح
صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح • لتنوء •
بالعصبة اولي القوة • خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي اتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله
والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما مر في
قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين • اذ قال له قومه • منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بان
البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل باتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو
اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته ويكون الجملة
مقررة لبغيه • لا تفرح • اي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول

عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا
بما اتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا • ان الله لا يحب الفرحين • اي بزخارف الدنيا
• وابتغ • وقرئ واتبع • فيما اتاك الله • من الغنى • الدار الاخرة • اي ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما
يكون وسيلة اليه • ولا تنس • اي لا تترك ترك المنسي • نصيبك من الدنيا • وهو ان تحصل بها اخرتك
وتاخذ منها ما يكفيك • واحسن • اي الى عباد الله تعالى • كما احسن الله اليك • فيما انعم به عليك وقيل
احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام • ولا تبغ الفساد في الارض • نهي عما كان عليه
من الظلم والبغي • ان الله لا يحب المفسدين • لسوء افعالهم • قال • مجيبا لناصحيه • انما اوتيته على علم
عندي • كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانباءه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال و
الذخاير من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال و
الجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل هو علم التجارة و
الدهقنة وساير المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفاين وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك
جاز هذا عندي اي في ظني ورايي • اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة
واكثر جمعا • توبيخ له من جهة الله عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في
التورية وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرا التورية
ولم يعلم ما فعل الله تعالى بامثاله من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به او رد لادعايه العلم
وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين
• ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون • سوال استعلام بل يعذبون بها بغتة كان قارون لما هدد بذكر
اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين
بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة • فخرج على قومه • عطف على قال
وما بينهما اعتراض وقوله تعالى • في زينته • اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج
عليهم كاينا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه
اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثماية غلام وعن يساره
ثلثماية جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه
المعصفر • قال الذين يريدون الحيوة الدنيا • من المومنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في
السعة واليسار • يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون • وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه
في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا • انه لذو حظ عظيم • تعليل لتمنيهم وتاكيد له • وقال
الذين اوتوا العلم • اي باحوال الدنيا والاخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الاخرة تنبيها على ان
العلم باحوال النشاتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا
لعدم علمهم بهما كما ينبغي • ويلكم • دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى • ثواب الله
في الاخرة • خير • مما تتمنونه • لمن امن وعمل صالحا • فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى • ولا
يلقاها • اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح
فانهما في معنى السيرة والطريقة • الا الصابرون • اي على الطاعات وعن الشهوات • فخسفنا به
وبداره الارض • روي انه كان يوذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة

انصاحبه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بنى اسرائيل
فجعل لبغى من بغايا بنى اسرائيل الف دينار وقيل طشتا من ذهب مملوة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى
عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال
قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها
عليه السلام ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى فخر موسى ساجدا لربه يبكى
ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بنى اسرائيل
ان الله تعالى بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا
جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم
قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم
لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنوا اسرائيل يتناجون بينهم انما دعى عليه موسى ع م
ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة مشفقة
ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اى الممتنعين منه بوجه من الوجوه
يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان
قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اى يفعل كل واحد من البسط
والقدر بمحض مشيته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضى القبض وويكان عند البصريين
مركب من وى للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك
بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطا والتندم والمعنى
انهم قد تنبهوا على خطاهم فى تمنيهم وندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا
ما تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرى لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرى
لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القايم مقام الفاعل وقرى لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرى
لتخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا من
ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التى سمعت خبرها وبلغك
وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض اى غلبة وتسلطا ولا فسادا اى ظلما وعدوانا
على العباد كداب فرعون وقارون وفى تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير
منهما وعن على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل
تحتها والعاقبة الحميدة للمتقين اى الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال
من جاء بالحسنة فله بمقابلتها خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة
اليهم الا ما كانوا يعملون اى الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
فى المماثلة ان الذى فرض عليك القران اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى
معاد اى معاد يمتد اليه اعناق الهمم ويرنوا اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذى وعد
ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة فى اذية وشدة من اهلها انه يهاجر
به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق

الى مولده ومولد ابائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة
قال نعم فاوحاها اليه قل ربى اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل
يدل عليه اعلم اى يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو فى ضلال مبين وما استحقه من العذاب
والاذلال يعنى بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله تعالى وما كنت ترجوا ان
يلقى اليك الكتاب اى سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك
ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القى اليك الكتاب الا
رحمة اى لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم
ولا يصدنك اى الكافرون عن ايات الله اى عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك
وفرضت عليك وقرى يصدنك من اصد المنقول من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى
عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم فى الامور ولا تدع مع الله الها اخر هذا
وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته عليه السلام لهم واظهار ان المنهى
عنه فى القبح والشر بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو كل شىء
هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن فى حد ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم
اى القضاء النافذ فى الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق والعدل عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك فى
السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا



الم الكلام فيه كالذى مر في نظايره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به
تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان ونظايره لا يتعلق بمعانى المفردات بل بمضامين الجمل
المفيدة لثبوت شىء لشىء او انتفاء شىء عن شىء بحيث يحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما فى عامة المواقع
واما بنوع تصرف فيها كما فى الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمى او الحرفى فان كلا منها صالح
لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
فى قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا امنا او ان يقال احسبوا تركهم
غير مفتونين بقولهم امنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه
تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظايف الطاعات
وفنون المصايب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ فى الدين من المتزلزل فيه و
يجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود
فى النار روى انها نزلت فى ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين
وقيل فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رماه عامر
ابن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامراته وهو اول من استشهد يومئذ من
المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب

الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب الناس او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى
ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان
الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله
تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك
عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين
صدقوا اي في قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها
من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة
وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين
صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم
من الثواب والعقاب ولذلك المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس
او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات
ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب
لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ
بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم
ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا انفسهم بذلك لكنهم
حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب
ان ماله اخلده ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك
من كان يرجو لقاء الله اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل
يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاوه تعالى عبارة عن الوصول
الى العاقبة من لقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على
سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من
افعاله او بضد ذلك لما سخطه فان اجل الله الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد
يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك
لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم
دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب
محذوف اي فليختر من الاعمال ما يودي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب
كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد
والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى
وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقايد ومن جاهد
في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة
له الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي

كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه حسنا
اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس
حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المامور به نفع عايد الى المامور او
غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول
مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه
وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم
بها للايذان بان ما لم يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما
في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي
عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق
الاولوية الي مرجعكم اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم
تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند
اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب
حتى يرتد فلبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمن وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش
ابن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل
والحارث اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر
الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة
والغارب واستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما
زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس
في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ان ناقتي قد كلت فاحملني معك
فنزل ليوطي لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال
في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في
زمرة الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى درجات المومنين وغاية مامول انبياء الله المرسلين
قال الله تعالى حكاية عن سليمن عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في حق ابراهيم عم
وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي
في الله اي في شانه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اي ما يصيبه من اذيتهم كعذاب
الله في الشدة والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى اصلا ولئن جاء نصر من
ربك اي فتح وغنيمة ليقولن اي بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى
لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة
المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى
اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى
يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق
لما سبق ولما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء
كان كفرهم باذية الكفرة او لا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا للذين آمنوا

بيان لحملهم للمومنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر
ههنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ
اى قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا اى اسلكوا طريقتنا التى نسلكها فى الدين عبر عن ذلك بالاتباع
الذى هو المشى خلف ماش اخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا فى طريقتنا ولنحمل خطاياكم
اى ان كان ذلك خطيئة يواخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم
بالاتباع للمبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمه وقد رد عليهم بقوله
تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ وقرئ من خطيئاتهم اى وما هم بحاملين شيئا من
خطاياهم التى التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض
او حال انهم لكاذبون حيث اخبروا فى ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب
كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر فى قوله تعالى انبئونى
باسماء هولاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك فى الاخرة من المضرة
لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها
وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اى والله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا اخر مع اثقالهم
لما تسببوا له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصى من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شئ ما اصلا
وليسئلن يوم القيمة سوال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اى يختلقون فى الدنيا من الاكاذيب
والاباطيل التى من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين
عاما شروع فى بيان افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المومنين باذية الكفار
تاكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثالهم على الصبر فان الانبياء
عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلان يصبر هولاء
اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة
وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين
قد يطلق على ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة راى الذين
يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما فى التكرير من نوع بشاعة فاخذهم الطوفان
اى عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشئ على كثرة وشدة من السيل والريح
والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اى والحال انهم مستمرون على الظلم لم تتاثروا بما
سمعوا من نوح عليه السلام من الايات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصى هذه المدة المتماديه
فانجيناه اى نوحا عليه السلام واصحاب السفينة اى ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه
وكانوا ثمانين وقيل ثمانيه وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها
اى السفينة او الحادثة والقصة اية للعالمين يتعظون بها وابراهيم نصب بالعطف على نوحا
وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه على الاول ظرف
للارسال اى ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة
التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثانى بدل اشتمال من ابراهيم اعبدوا الله

اى وحده واتقوه ان تشركوا به شيئا ذلكم اى ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم اى مما انتم عليه
ومعنى التفضيل مع انه لا خير فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون اى الخير والشر وتميزون
احدهما من الاخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف فى الحكم بخيرية ما ذكر
من العبادة والتقوى انما تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته فى نفسه بعد بيان
شريته بالنسبة الى الدين الحق اى انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هى فى نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس
فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا اى وتكذبون كذبا حيث تسمونها الهة وتدعون انها شفعاؤكم
عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلّقون بالتشديد للتكثير فى الخلق بمعنى الكذب
والافتراء وتخلقون بحذف احدى التائين من تخلّق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر
كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله بيان لشريه ما تعبدونه
من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا اى لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق
فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له
على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون
اى بالموت ثم بالبعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا وان تكذبوا اى
تكذبونى فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اى فلا
تضروننى بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلى من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم
السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم
وما على الرسول الا البلاغ المبين اى التبليغ الذى لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة
وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك اصلا اولم يروا كيف
يبدئ الله الخلق كلام مستانف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح
دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رويتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر
اى الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الروية فى الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء
من مادة ومن غير مادة اى قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتاكيده وقرئ
بدا وقوله تعالى ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الروية عليه فهو اخبار
بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتاويل الاعادة بانشائه تعالى كل
سنة مثل ما انشاه فى السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على
صحة البعث ووقوعه من غير ريب ان ذلك اى ما ذكر من الاعادة على الله يسير اذ لا يفتقر
فعله الى شئ اصلا قل سيروا فى الارض امر لابراهيم عليه السلام ان يقول لهم ذلك اى سيروا فيها
فانظروا كيف بدا الخلق اى كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبايع متغايرة واخلاق شتى
فان ترتيب النظر على السير فى الارض موذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين فى اقطارها ثم الله
ينشئ النشاة الاخرة بعد النشاة الاولى التى شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التى هى محل النزاع
بالنشاة الاخرة المشعرة بكون البدء نشاة اولى للتنبيه على انهما شان واحد من شئون الله حقيقة
واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا فرق بينهما الا بالاولية والاخرية
وقرئ النشاة بالمد وهما لغتان كالرافة والراءفة ومحلها النصب على انها مصدر موكد لينشئ بحذف

الزوائد والاصل الانشاء او بحذف العامل اى ينشئ فينشؤن النشأة الآخرة كما فى قوله تعالى وانبتها
نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا فى الارض داخلة معها فى حيز القول واظهار الاسم الجليل
وايقاعه مبتدأ مع اضماره فى بدأ لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير
الاسناد وقوله تعالى ان الله على كل شىء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على
جميع الاشياء التى من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد فى قدرته عليها ولا فى وقوعها بعدما اخبر به
يعذب اى بعد النشأة الآخرة من يشاء اى تعذيبه وهم المنكرون لها حتما ويرحم من يشاء
ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام
من الترغيب واليه تقلبون عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما
انتم بمعجزين له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم فى الارض ولا فى السماء اى بالتوارى فى
الارض والهبوط فى مهاويها ولا بالتحصن فى السماء التى هى افسح منها لو استطعتم الرقى فيها كما فى قوله
تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل
فى السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اى ولا من فى السماء وما لكم من دون الله من ولى ولا
نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا
بآيات الله اى بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل فيها النشأة
الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى
لا يناسب المقام ولقائه الذى نطق به تلك الآيات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته
تعالى ولقائه يئسوا من رحمتى اى ييأسون منها يوم القيمة وصيغة الماضى للدلالة على تحققه
او يئسوا منها فى الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم وفى تكرير اسم الاشارة و
تكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اى اولئك
الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم
بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره فى الشدة والايلام فما كان جواب قومه
بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد
مر ما فيه فى نظائره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه
المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذى استقر عليه جوابهم بعد
اللتيا والتى فى المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله
من النار الفاء فصيحة اى فالقوه فى النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها عليه السلام بردا وسلاما حسبما
بين فى مواضع اخر وقد مر فى سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه السلام فيها وانجائه تعالى اياه
تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار فى موضع اصلا ان فى ذلك اى فى انجائه منها لآيات
بينة عجيبة هى حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها فى زمان يسير وانشاء روض فى مكانها لقوم
يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال
اى ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا
اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثانى مفعولى اتخذتم محذوف اى
اوثانا آلهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او بتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس

المودة مبالغة اى اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرئ مودة منونة
منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اى هى مودودة او
نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف
عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد
الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا فى الحيوة وقد اجريتم احكامه
حيث فعلتم بى ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا منى كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ثم
يوم القيمة ينقلب الامور ويتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم
وهم العبدة ببعض وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اى يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث
ينطقها الله تعالى الفريق الآخر ومأواكم النار اى هى منزلكم الذى تأوون اليه ولا ترجعون منه ابدا
وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصنى ربى من النار التى القيتمونى فيها وجمع الناصر لوقوعه
فى مقابلة الجمع اى ما لاحد منكم من ناصر اصلا فآمن له لوط اى صدقه فى جميع مقالاته لا فى نبوته
وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه
ينبغى ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهى التى لا يرتقى اليها الا اهم
الافراد الكمل ولوط هو ابن اخته عليهما السلام وقال انى مهاجر اى من قومى الى ربى الى حيث
امرنى به انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعنى من اعدائى الحكيم الذى لا يفعل فعلا الا وفيه
حكمة ومصلحة فلا يأمرنى الا بما فيه صلاحى روى انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة
ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب
ولدا ونافلة حين ايس من عجوز عاقر وجعلنا فى ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اى
جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا فى الدنيا باعطاء الولد
والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه آخر الدهر
وانه فى الآخرة لمن الصالحين اى الكاملين فى الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا
او على ابراهيم والكلام فى قوله تعالى اذ قال لقومه كالذى مر فى قصة ابراهيم عليه السلام انكم
لتأتون الفاحشة اى الفعلة المتناهية فى القبح وقرئ انكم ما سبقكم بها من احد من العالمين
استيناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشى عنها ليس الا لكونها مما تشمئز
منه الطباع وتنفر منه النفوس ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة
اى بالفاحشة حيث روى انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض
عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتأتون فى ناديكم
اى تفعلون فى مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من
الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ
العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش فى المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم
وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين اى فما كان جوابا من جهتهم شىء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اى لم يصدر
عنهم فى هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما فى

سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الاية وما في سورة
النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم الاية فهو الذي صدر
عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد
مر تحقيقه في سورة الاعراف قال رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين
بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما
وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اي بالبشارة
بالولد والنافلة قالوا اي لابراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة
الحجر انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سذوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال
ان اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي
قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين
عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عمن لم يتعرض له ابراهيم عليه السلام من اتباعه المومنين وانهم
معتنون بشانهم اتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله
الا امراته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب والقرية ولما ان جاءت رسلنا المذكورين
بعد مفارقتهم لابراهيم عليه السلام لوطا سيء بهم اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم
قومه بسوء وكلمة ان صلة لتاكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشانهم
وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به
قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا ريثما شاهدوا فيه مخايل
الضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي حتى التب الحال الى ان قال
لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد لا تخف اي من قومك علينا ولا تحزن اي على شيء وقيل
باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امراتك كانت من الغابرين
وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء واياما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار
فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استئناف
مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب
اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اي من القرية اية بينة هي قصتها العجيبة واثار ديارها
الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى
مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا
فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الاخر اي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال
وافعلوا اليوم من الاعمال ما تامنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب
وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة
للرجفة بسبب تموجها الهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم او منازلهم

والافراد

والافراد لا من اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار فعل ينبئ
عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ ثمود اباتاويل الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اي وقد ظهر لكم اهلاكنا
اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان
اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار
الرسل عليهم السلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على
عادا قيل تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا
سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل
اي ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام
اي فكل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا بعضه دون بعض كما يشعر به
تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل
ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به
الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل
بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب
ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته من الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة و
انتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت
يقع على الواحد والجمع والمذكر والمونث والغالب في الاستعمال التانيث وتاوه كتاء طاغوت ويجمع
على عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع وان اوهن البيوت لبيت
العنكبوت حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون اي شيئا من الاشياء لجزموا
ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل
فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء على اضمار
القول اي قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية
ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول
يدعون عائد المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخيرين
وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه من فرط
الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية
كالمعدوم البحت بالناء وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اي هذا المثل
وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على ما هي عليه من الحسن و
استتباع الفوائد الا العالمون الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه
صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله
السموات والارض بالحق اي محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق
الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها

على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤنه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله
تعالى ان في ذلك لاية للمومنين دالة لهم على ما ذكر من شؤنه سبحانه وتخصيص المومنين بالذكر
مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحي اليك من الكتاب
تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من
الاحكام ومحاسن الاداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة اي دوام على اقامتها وحيث كانت
الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره عليه السلام باقامتها متضمنا لامر
الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم
عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد
ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم
في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم
يزدد بصلوته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته
وبال عليه وروى انس رضي الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث
ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اي وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله
تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات
ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما
اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون
منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازات ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى
الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة
بالنصح والسورة بالاناءة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ
باية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله
مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا
من الفرقان وانزل اليكم اي وبالذي انزل اليكم من التورية والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان
بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا
والهكم واحد لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال
الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلة المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا
اليك الكتاب اي القران الذي من جملته هذه الاية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين
اتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتاب
خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء

الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب
بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور
ومن هؤلاء اي ومن العرب او اهل مكة على الاول او ممن في عصره عليه السلام على الثاني من
يؤمن به اي بالقران وما يجحد باياتنا عبر عن الكتاب بالايات للتنبيه على ظهور دلالتها على
معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد
بها الا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التامل فيما يؤديهم
الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله اي ما كنت قبل انزالنا
اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما
هو المعتاد او ما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر على
التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك
لم يبق في شانك منشاء ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين
في اباطيلهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك بل هو اي القران ايات
بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه
بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد باياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المجاوزون
للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه مثل ناقة صالح وعصا
موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ اية قل انما الايات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير
دخل لاحد في ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار بما اوتيت من الايات
اولم يكفهم كلام مستانف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار
والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم اية مغنية عن سائر الايات
انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل
من مدارستها وممارستها يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا
تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم
من نعتك ونعت دينك ان في ذلك الكتاب العظيم الشان الباقي على مر الدهور لرحمة اي
نعمة عظيمة وذكرى اي تذكرة لقوم يؤمنون اي لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك
المقترحين وقيل ان ناسا من المومنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله
اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى
بالله بيني وبينكم شهيدا بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات والارض اي من الامور التي من
جملتها شاني وشانكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا والذين امنوا بالباطل وهو ما
يعبد من دون الله تعالى وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان به اولئك هم الخاسرون
المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية
الموجبة للايمان والاية من قبيل المجادلة بالتي هي احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل
والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في
ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم

امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم
وبيّنه في اللوح لجاءهم العذاب المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالاجل يوم القيمة لما روى
انه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه بعذاب الاستيصال وان يوخر عذابهم
الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم وفيه بعد ظاهر لما انهم ما كانوا يوعدون
بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به وليأتينهم جملة مستأنفة مبينة لما اشير اليه في الجملة
السابقة من مجي العذاب عند محل الاجل اى وبالله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الاجل
بغتة اى فجاءة وهم لا يشعرون اى باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك ان لا ياتيهم بطريق
التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسئولهم فان ذلك اتيان برايهم وشعورهم لا انه يأتيهم وهم
غارون امنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى
وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الاخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين استيناف سوق لغاية تجهيلهم وركاكة رايهم وفيه
دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الاخرة اى يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل العذاب الذي
لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اى سيحيط بهم
وانما جي بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها وتنزيلا لحال السبب منزلة حال
المسبب فان الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة
لكنها ظهرت في هذه النشاءة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الاعراف عند قوله تعالى
والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او
للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر قد طوى ذكره ايذانا
بغاية كثرته وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون
من الاحوال والاهوال ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت ارجلهم
اى من جميع جهاتهم ويقول اى الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة او بعض ملئكته
بامره ذوقوا ما كنتم تعملون اى جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات
التي من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادي الذين امنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين
لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اى اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار
دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان
شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ
المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض
عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا
ترجعون جملة مستأنفة جي بها حثا على المسارعة في الامتثال بالامر اى كل نفس من النفوس واجدة
مرارة الموت وكربه فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد
من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
من الجنة غرفا اى علالي وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب

غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى
لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجري من تحتها الانهار صفة لغرفا خالدين فيها اى في الغرف او
الجنة نعم اجر العاملين اى الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ
فنعم الذين صبروا اما صفة للعاملين او نصب على المدح اى صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة
وغير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا فيما ياتون ويذرون الا على الله تعالى
وكاين من دابة لا تحمل رزقها روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة
بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اى وكم من دابة لا تطيق حمل
رزقها لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها
وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب
هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة وهو السميع المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا
العليم المبالغ في العلم فيعلم ضمايركم ولئن سألتهم اى اهل مكة من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه فانى يؤفكون انكار و
استبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اى فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية
مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
له اى يقتر لمن يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر
لمن يبسطه له على التعاقب ان الله بكل شي عليم فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق
بقدره له فيقدره له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا
منهما في وقته ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله
معترفين بان الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد
يتوهم منه القدرة على شي ما اصلا قل الحمد لله على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده
وان اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال هذه الضلالات ولا تخفى بعده بل اكثرهم لا يعقلون
اى شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل
لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وازدراء للدنيا
وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى
الكافر منها شربة ماء الا لهو ولعب اى الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون
به ساعة ثم يتفرقون عنه وان الدار الاخرة لهي الحيوان اى لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان
الموت والفناء عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحيوة واصله
حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك
اختير على الحيوة في هذا المقام المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون اى لما اثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم
الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال فاذا ركبوا في الفلك
متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشي المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى
والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان المركوب في نفسه
من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك

اى بسطه له

فاذا ركبوا في البحر ولقوا شدة دعوا الله مخلصين له الدين اي كائنين على صورة المخلصين لدينهم
من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو فلما نجاهم الى
البر اذا هم يشركون اي فاجاؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا اي يعودون الى
الاشراك ليكونوا كافرين بما اتاهم من نعمة الانجاء التي حقها ان يشكروها فسوف يعلمون اي
عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا
اي بلدهم حرما امنا مصونا عن النهب والتعدي سالما اهله من كل سوء ويتخطف الناس
من حولهم اي والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب
افبالباطل يؤمنون اي ابعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق
وبنعمة الله يكفرون وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين
لاظهار كمال شناعة ما فعلوا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا اي هو اظلم
من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا او
كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول او بالقران وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا حين
جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اثر ذي اثير اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها
كقول من قال الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء
على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح او انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب
مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين
جاهدوا فينا اي في شاننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة
لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير و
توفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما
لم يعلم وان الله لمع المحسنين معية النصرة والمعونة وعنه عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم ستون

الم الكلام فيه كالذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في ادنى الارض اي ادنى
ارض العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم من العرب على ان
اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الاردن وفلسطين وقرئ في اداني الارض وهم اي الروم من بعد غلبهم اي من
بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب سيغلبون سيغلبون اي فارس
في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر
فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن
وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم
فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا

انا حبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر به ابو بكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس
عند راس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من
ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآية
من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القران من عند الله عز وجل حيث اخبرت عن الغيب
الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان
الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من
نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد اي في
اول الوقتين وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين اخرا ليس الا بامر
الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف
اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا ويومئذ اي يوم اذ تغلب الروم على فارس
ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له
وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل بنصر الله اظهار
صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل بنصره تعالى ان ولى بعض
الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما شوكة الاخر وفي ذلك قوة
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين
وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب لقوله تعالى ينصر من يشاء اي من يشاء ان ينصره
من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استيناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد
وهو العزيز المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم
المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة
فظ لما ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا
مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من اثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة
لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه قيل وعد
الله وعدا لا يخلف الله وعده اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والاخرة لاستحالة الكذب عليه
سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استيناف مقرر لمعنى المصدر
وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف و
لكن اكثر الناس لا يعلمون اي ما سبق من شؤونه تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهو ما
يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم
المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل
فانهما ليسا مما يعلم منها بل من افعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس
دون الوحدة كما توهم اي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الاخرة التي هي

الغاية القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يودى
الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سياتى والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة
على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر للاولى
وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها
لهم بالبهائم المقصور ادراكها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون احوالها التى هى مبادى العلم
بامور الاخرة واشعارا بان العلم المذكور وعدم العلم راسا سيان اولم يتفكروا انكار واستقباح
لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحيوة الدنيا مع الغفلة عن الاخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه
المقام وقوله تعالى فى انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه فى غيرها لتحقيق امره
وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الخ متعلق اما بالعلم
الذى يودى اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذى يترتب عليه كما فى قوله تعالى ويتفكرون فى خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا اى اعلموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط او قصروا النظر عليه
ولم يحدثوا التفكر فى قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التى هم من جملتها
ملتبسة بشئ من الاشياء الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما
علموه والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح
الذى هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته
وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التى من جملتها احياؤهم بعد الفنا
بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم غبّما تبين المحسن من المسئ وامتازت درجات افراد كل
من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب فى المصنوعات
من الايات والدلايل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض
فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك
فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله وقد مر تحقيقه
فى اوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى واجل مسمى عطف على الحق اى وباجل
معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهى اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز
ان يكون قوله تعالى فى انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا فى انفسهم التى هى اقرب المخلوقات
اليهم وهم اعلم بشونها واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا
من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها الحكيم الذى
دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك
امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد
الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله
ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى وان
كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على
ما ذكر من الغفلة عن احوال الاخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات
والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه

بالبعث اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومالهم والهمزة
لتقرير المنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اقعدوا فى اماكنهم ولم يسيروا فى الارض وقوله
تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل فى حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا فى اقطار الارض و
شاهدوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد
منهم قوة الخ بيان لمبدا احوالهم ومالها يعنى انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث كانوا
اشد منهم قوة واثاروا الارض اى قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج
المعادن وغير ذلك وعمروها اى عمرها اولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها
مما يعد عمارة لها اكثر مما عمروها اى عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم
اهل واد غير ذى زرع لا تبسط لهم فى غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها
مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتقلب فى
اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجاؤن الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس
وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات فما كان الله ليظلمهم اى فكذبوهم
فاهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه
تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم فى شئ على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بابرازه فى معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر فى سورة الانفال وسورة ال عمران ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بان اجترؤا على اقتراف ما يوجبه من المعاصى العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساؤا اى
عملوا السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم السوأى
اى العقوبات التى هى اسوأ العقوبات وافظعها التى هى العقوبة بالنار فانها تانيث الاسوأ كالحسنى
تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء وهى مرفوعة على انها
اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل فى الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بايات الله
علة لما اشير اليه من تعذيبهم الدنيوى والاخروى اى لان كذبوا او بان كذبوا بايات الله المنزلة على رسله
عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤن عطف على كذبوا داخل
معه فى حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة
النظم الجليل وقد قيل وقيل الله يبدؤ الخلق اى ينشؤهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه
ترجعون الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة فى الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم
الساعة التى هى وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه يبلس المجرمون اى يسكتون متحيرين لا ينبسون
يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اخبره واسكته ولم يكن
لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها فى
مقابلة الجمع اى لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وكانوا بشركائهم كافرين اى بالهيتهم وشركتهم لله
سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم
وليس بذاك اذ ليس فى الاخبار به فائدة يعتد بها ويوم تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه
وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع فى بعض منه وضمير
يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد

بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الاخر بل بفرقتهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في
الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم
في روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق
ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه
وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن
ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن بكر بن عياش التيجان على
رؤسهم وعن وكيع رحمه الله السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم
وفي اخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال عليه السلام يا اعرابي ان في الجنة لنهرا
حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة
قال الراوي فسالت ابا الدرداء رضي الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة اشجارا
عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فيقع في تلك الاشجار
فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا التي من
جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل ولقاء الاخرة صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الايات
للاعتناء بامره وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر
والتكذيب باياته تعالى وبلقاء الاخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون
بما فصل من القبائح في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اثر ما بين حال فريقي المؤمنين
العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالايات وما لهما من الثواب والعقاب امروا بما ينجي من الثاني
ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم
الاول على الثاني لما ان التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك
فسبحوا الله تعالى اي نزهوه عما ذكر سبحانه اي تسبيحه اللائق به في هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار
بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض في معنى الامر به على ابلغ وجه واكده
وتوسيطه بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه السلام
من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد
قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الايات والاحاديث وتخصيصهما بتلك
الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من ايات قدرته تعالى واحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة
بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين
تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى
الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك انه ليس من الاوقات التي تختلف فيها

احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة
فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما في المساء والصباح فظ واما في الظهيرة فلانها وقت
يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها
عليهما وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب

والعشاء

وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية
اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها
فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي اخره خمس صلوات كل يوم وليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه عليه السلام
من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون ادرك ما فاته
في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه
وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت من
الحي النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك
ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله
تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده ومن اياته الباهرة الدالة على انكم تبعثون دلالة اوضح مما سبق فان دلالة
بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها ان خلقكم
اي في ضمن خلق ادم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا
من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم وصفاتكم ثم اذا
انتم بشر تنتشرون اي فاجاتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض بعد ذلك وهذا
مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من
نطفة الاية ومن اياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لكم اي لاجلكم
من انفسكم ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع ادم عليه السلام متضمن لخلقهن من انفسكم
على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس اخر وهو الاوفق لقوله تعالى لتسكنوا اليها اي لتالفوها
وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق
والتنافر وجعل بينكم اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف ظرف
معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل
او بين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء وياباه قوله تعالى مودة ورحمة فان المراد بهما ما كان منهما
بعصمة الزواج قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة
معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من
الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا ان في ذلك
اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من
معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته لايات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا
يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن اياته

بل هي مشتملة على ايات شتى ومن اياته الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات
والارض اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة
على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما
يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم اي لغاتكم بان علم كل
صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين
في الكيفية من كل وجه والوانكم ببياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء
وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوامين مع توافق موادهما
واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه
وانما نظم هذا في سلك الايات الافاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الايات الانفسية الحقيقية
بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من
تتمات خلقهم ان في ذلك اي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان
لايات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها للعالمين اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها
الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الايات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة
ومن اياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وابتغاؤكم
من فضله فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في
الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الايات الواردة
في ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه
كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي شانهم ان يسمعوا الكلام
سماع تفهم واستبصار حيث يتاملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى
ومن اياته يريكم البرق الفعل اما مقدر بان كما في قول من قال الا ايها الزاجري احضر الوغى
اي ان احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او هو على حاله
صفة لمحذوف اي اية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى
ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن اياته شيء او سحاب يريكم البرق
خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه
المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو اراءة خوف
وطمع او على تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال
نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد
موتها يبسها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد
العقل عند استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره
اي بارادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والاسباب
وليس المراد باقامتهما انشاؤهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن اياته خلق السموات والارض ولا
اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر

في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الاية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما
عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى فيما قبل ما خلق الله السموات والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث
كانت هذه الاية متاخرة عن سائر الايات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت
متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار
بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء اجل قيامهما مترتبا على تعداد اياته الدالة عليه غير منتظم في
سلكها كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض على هيئاتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره
الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم اي بعد انقضاء الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال
ايها الموتى اخرجوا فاجاتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق
بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد
اذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من في السموات والارض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا و
تصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له قانتون اي منقادون لفعله لا يمتنعون
عليه في شان من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد موتكم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد
لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه اي بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما
عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما انها مؤولة بان يعيد و
قيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل
بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من
الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد بالهون ثمة الفعل اقربيته الى
الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل اسهلية
تاتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون
ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى العجيب الشان
من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها
ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية في السموات والارض متعلق بمضمون
الجملة المتقدمة على معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل
وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى وهو العزيز
القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة
ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان الشرك من انفسكم اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور
اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى
هل لكم الخ تصوير للمثل اي هل لكم مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركاء فيما رزقناكم
من الاموال وما يجري مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة
لتاكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى فانتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم
وشركائهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليهم على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم
لا اندغام للفريقين بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم في البشرية و
احكامها ان يشاركوكم فيما رزقناكم وهو مستعار لكم فانتم وهم فيه سواء شرع يتصرفون فيه كتصرفكم

من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم خبر آخر لأنتم أو حال من ضمير الفاعل في سواء أي تهابون أن تستبدوا
بالتصرف فيه بدون رأيهم كخيفتكم أنفسكم أي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الأحرار المساهمين لكم
فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أي لا ترضون بأن يشارككم فيما هو معار لكم
مماليككم وهم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي
هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه كذلك
أي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات أي نبينها ونوضحها لا تفصيلا أدنى منه فإن التمثيل
تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وإبراز لأوابد المدركات على هيئة المأنوس فيكون في غاية
الإيضاح والبيان لقوم يعقلون أي يستعملون عقولهم في تدبر الأمور وتخصيصهم بالذكر
مع عموم تفصيل الآيات للكل لأنهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا إعراض عن مخاطبتهم ومحاولة
إرشادهم إلى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة
تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا أهواءهم الزائغة ووضع الموصول
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه أو ظالمون
لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم أي جاهلين ببطلان ما أتوا مكبين عليه لا يلويهم
عنه صارف حسبما يصرف العالم إذا اتبع الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من أضل الله أي خلق
فيه الضلال لصرف اختياره إلى كسبه أي لا يقدر على هدايته أحد وما لهم أي لمن أضله الله
تعالى والجمع باعتبار المعنى من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على
معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فأقم وجهك للدين تمثيل
لإقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب أسبابه فإن من اهتم بشيء محسوس
بالبصر عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه أي فقوم وجهك له وعدله
غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المأمور أو من الدين فطرة الله الفطرة
الخلقة وانتصابها على الإغراء أي الزموا أو عليكم فطرة الله فإن الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله
تعالى منيبين والإفراد في أقم لما أن الرسول صلى الله عليه وسلم إمام الأمة فأمره عليه السلام
مستتبع لأمرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال به باتباع الهوى وتسويل
الشياطين وقيل على المصدر أي فطر الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله
مؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر فإن خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم
من إدراكه أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فإنهم لو خلوا وما خلقوا
عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن
ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن
دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان
يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب الامتثال
به أي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة
الشيطان وقيل لا يقدر أحد على أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بإزالتها رأسا
ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من إدراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدور

بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها
عليها وعدم الإخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك إشارة إلى الدين المأمور بإقامة
الوجه له أو إلى لزوم فطرة الله المستفاد من الإغراء أو إلى الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو
باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه
صدودا منيبين إليه حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لعمومه للأمة حسبما أشير
إليه وما بينهما اعتراض أي راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى واتقوه
أي من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين بإعادة الجار وتفريقهم لدينهم
اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وفائدة الإبدال التحذير عن الانتماء إلى حزب من أحزاب
المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وكانوا شيعا
أي فرقا تشايع كل منها إمامها الذي أضلها كل حزب بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على
الرأي الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم أنه حق وأنى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز أن يكون فرحون صفة لكل على أن الخبر هو الظرف
المقدم أعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده وإذا مس الناس ضر أي شدة دعوا ربهم منيبين إليه
راجعين من دعاء غيره ثم إذا أذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة إذا فريق منهم بربهم الذي
كانوا دعوه منيبين إليه يشركون أي فاجأ فريق منهم الإشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم
لما أن بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد أي مقيم على الطريق القصد
أو متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للأمر التهديدي
كقوله تعالى فتمتعوا غير أنه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم
وقرئ بالياء على أن تمتعوا ماض والالتفات إلى الغيبة في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم للإيذان بالإعراض
عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا أي حجة واضحة وقيل ذا سلطان أي ملكا
معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أو تكلم نطق بما كانوا
به يشركون بإشراكهم به تعالى أو بالأمر الذي بسببه يشركون وإذا أذقنا الناس رحمة أي نعمة
من صحة وسعة فرحوا بها بطرا وأشرا لا حمدا وشكرا وإن تصبهم سيئة شدة بما قدمت أيديهم
بشؤم معاصيهم إذا هم يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون أولم يروا
أي ألم ينظروا ولم يشاهدوا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا
في السراء والضراء كالمؤمنين إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة
والحكمة فآت ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما
يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون
وجه الله ذاته أو جهته ويقصدون بمعروفهم إياه تعالى خالصا أو جهة التقرب إليه لا جهة أخرى
وأولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة خالية
عن العوض عند المعاملة وقرئ أتيتم بالقصر أي غشيتموه أو رهقتموه من إعطاء ربا ليربوا في أموال
الناس ليزيد ويزكو في أموالهم فلا يربو عند الله أي لا يبارك فيه وقرئ لتربوا أي لتزيدوا

لقصير واذوي دبول وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله اي تبغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك
هم المضعفون اي ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار
او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة
ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها
موكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء
بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصوف صفته والخبر هل من شركائكم
والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم في جنس
الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة
الخطاب ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق
البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت
ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل هابيل اخاه وفي البحر
بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا اي بعض جزائه فان تمامه في الآخرة
واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ليشاهدوا آثارهم كان اكثرهم مشركين استيناف
للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل
منهم فاقم وجهك للدين القيم اي البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر احد
على رده من الله متعلق بياتي او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه
يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر
فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون
منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين
ليجزي كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المومنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض
الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الآخر بقوله
تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة
لا محالة ومن آياته ان يرسل الرياح اي الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور
فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على
ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع
لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على
مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم
وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر لا تعلق له بمنافعكم ولتجري الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا
من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد
ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم كما ارسلناك الى قومك فجاؤهم بالبينات اي جاء كل رسول

قوم

قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى فانتقمنا من الذين
اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان
المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين مزيد تشريف و
تكرمة للمومنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم
وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق
وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب المطلوب بقوله تع
لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام
الله يرسل الرياح استيناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه
متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب
الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى اي قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او
مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من
عباده اي بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون فاجاوا الاستبشار بمجي الخصب وان
كانوا ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي وان الشان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم اي المطر من قبله تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم منه وقيل
الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك
ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل لتفيد سرعة تقلب قلوبهم من الياس الى الاستبشار
بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال الياس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا
الفجائية لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اي آيسين فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل
المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد
وقوله تعالى كيف يحيي اي الله تعالى الارض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف
معلق لانظر اي فانظر الى احياء البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتاويل وايا ما كان فالمراد
بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث
وقرئ تحيي بالتانيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان ذكر بعض شؤونه لمحيي
الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان احياء
الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير
تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة
قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه اي الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه
بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب
لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام في ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء
في فراوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد مسد الجوابين اي وبالله لئن
ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون
من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى
حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجؤوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم

القنطوا ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر والطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار
وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم افة ولا يكفروا نعماءه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم
فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق
واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احديهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل
الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته بشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا
يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا
اما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع
الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول والا من يشارف الايمان بها
ويقبل عليها ابتداء للايقان فهم مسلمون منقادون لما تامرهم به من الحق الله الذي خلقكم من ضعف
مبتدا او خبر اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
اي خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق
بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد في الكل
وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قراتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأني من ضعف وهما
لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتاخر يخلق ما يشاء من الاشياء التي من جملتها
ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد
فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي القيمة سميت بها
لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب
للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اي في القبور او في الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث
كما سياتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث
ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهي اربعون سنة
او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون
مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في
الدنيا من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه وعينه او في اللوح
او القران وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين
كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه
يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون
مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويبكتوهم بالاخبار بوقوعها
حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق
فتستعجلون به استهزاء او جواب شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا
ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ تنفع
بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي
اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته

اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل اي ولقد بينا لهم كل حال
ووصفنا لهم كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة
وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم باية من ايات القران
بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين ان انتم الا مبطلون اي مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله
على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات
ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من
الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصر واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا
بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون
بما تتلو عليهم من الايات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التي من جملتها قولهم ان انتم الا
مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون الخفيفة وقرئ ولا يستحقنك
من الاستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين واياه ما كان ظاهر النظم الكريم وان
كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التاثر من
استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك
سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع يومه وليلته

سورة لقمان اربع وثلثون اية مكية

الم تلك ايات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف
له بنعته تعالى او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن
في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد وهو قليل وقيل
بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على
انهما خبران اخران لاسم الاشارة او لمبتدا محذوف للمحسنين اي العاملين للحسنات فان اريد بها
مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم
يوقنون بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد
سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها
وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة
كونه مبتدا مما لا وجه له اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل
مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع
سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير
الموصوف ومن في قوله تعالى من يشتري لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية
والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يشتري او فريق يشتري على انضباط الافادة والمقصود

بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذواتا اولئك المذكورين كما مر في قوله تعالى
ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر الاية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالاحاديث
التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وساير ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة
بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت
الاية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد عليه السلام
يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار وقيل كان يشتري القيان ويحملهن
على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل اليه تعالى او عن
قراءة كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت ويستمر على ضلاله او ليزداد فيه بغير علم
اي بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على
يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام او القران ايضا ويتخذها هزوا مهزوا به
وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله تعالى اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان
الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد
منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين لما اتصفوا
به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه واذا تتلى عليه اي على المشتري افرد الضمير فيه
وفيما بعده كالضماير الثلثة الاول باعتبار لفظه من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها اياتنا التي
هي ايات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين ولى اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا
في التكبر كان لم يسمعها حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخففت
المثقلة اي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية
والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كانك لم
تجزع على ابن طريف كان في اذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل
مانع من السماع ويجوز ان يكونا استينافين وقرئ في اذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب اليم
اي فاعلمه بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
بيان لحال المومنين بايات الله تعالى اثر بيان الكافرين بها اي الذين امنوا باياته تعالى وعملوا بموجبها لهم
بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم جنات النعيم اي نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر ان والاحسن
ان يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم
او من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران موكدان
الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد
معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات
النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده الحكيم الذي لا يفعل
الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد الخ استيناف سيق للاستشهاد بما فصل
فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال
امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت
الحائط اذا دعمته اي بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استيناف جيء

به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد اي خلقها
بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمدة القدرة والقى في الارض
رواسي بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اي القى فيها جبالا
ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها
تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع
مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر فانبتنا
فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة
في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما هذا اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من
الامور المعدودة خلق الله اي مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء
له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وذا بصلته
خبره واروني متعلق به وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل
عليهم بالضلال البين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة ان يفهموا
منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتاثروا من الالزام والتبكيت فينزجروا عنه
ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون
عن الحد وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ولقد اتينا لقمان الحكمة كلام مستانف مسوق
لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من اولاد ازر ابن اخت ايوب عليه السلام او خالته وعاش حتى
ادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور
على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب
الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان
يسرد الدرع فلم يساله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله
فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وان داود عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت قال
اصبحت في يدي غيري فتفكر داود عليه السلام فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي
باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما
ايضا فساله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ومعنى ان اشكر لله اي
اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر الخ استيناف
مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر اي ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته
التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فان الله غني عن كل شيء فلا يحتاج الى
الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات
بلسان الحال وعدم التعرض لكونه مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو راسه كما قال عليه السلام الحمد راس
الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا واذ قال لقمان لابنه انعم وقيل
اشكم وقيل ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله
قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل
للنهي او الانتهاء عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الخ كلام مستانف اعترض به على نهج الاستطراد

في اثناء وصية لقمن تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله في عامين اعتراض
بين المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر موكد لفعل هو الحال اي تهن
وهنا وقوله تعالى على وهن صفة للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا
يزال تتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا
وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند ابي حنيفة رحمهما
الله هي ثلثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا
وما بينهما اعتراض موكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عليه السلام لمن قال له عليه السلام من
ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الي الرجوع
لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الكفر والشكر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك
به اي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا
معروفا اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه المروءة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد و
الاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم
عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بني
الخ شروع في حكاية بقية وصايا لقمن اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتاكيده بالاعتراض
انها ان تك مثقال حبة من خردل اي الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر
كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامه والتانيث لاضافة المثقال
الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم اولان المراد به الحسنة او السيئة
فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والقمارة في
اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها الله
اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعد ما امره
بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علم الله تعالى
وقدرته امره بالصلاة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد
فقال مستميلا له يا بني اقم الصلاة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا
لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدايد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل
ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته
في الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر
اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة
تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصعر
خدك للناس اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء
يصيب البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل
علاه وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر موكد
لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي او
موجبه وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل

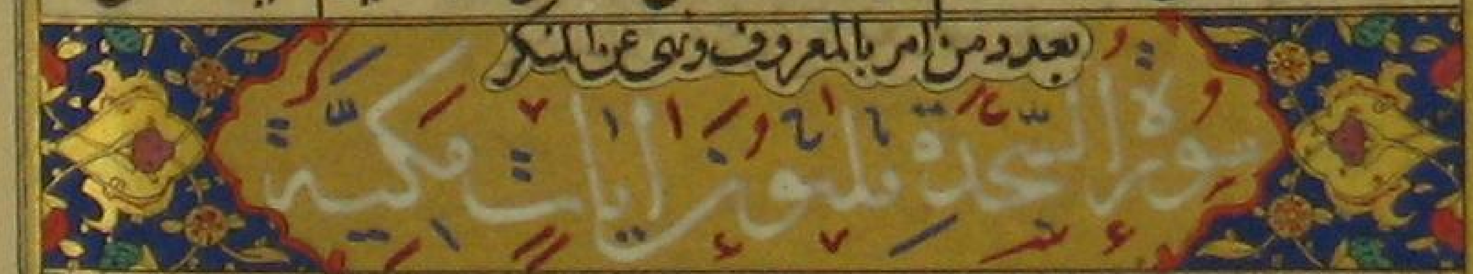
واقصد

واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام
سرعة المشي تذهب بهاء المومن وقول عايشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به
ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرميه
واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل
للامر على ابلغ وجه واكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط
في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان
حال صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات
ساير الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض رجوع الى سنن
ما سلف قبل قصة لقمن من خطاب المشركين وتوبيخ على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم
لدلايل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف
فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشيا المسخرة للانسان المستعملة
له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله
كجميع ما في السموات من الاشيا التي نيطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا
للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى
مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو
في الحقيقة مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم
وغير معروفة وقد مر شرح النعم وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالصاد وهو جار في كل سين
قارنته الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة
ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى
من جهة الرسول عليه السلام ولا كتاب منير انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم
اي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا يريدون
به عبادة الاصنام اولو كان الشيطان يدعوهم اي اباءهم لا انفسهم كما قيل ان مدار انكار الاتباع
واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اي ايتبعونهم ولو كان
الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب دعوته
والجملة في حيز النصب على الحاليه وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيا
ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض اليه مجامع اموره
واقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد وهو محسن
فقد استمسك بالعروة الوثقى اي تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل
المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه
والى الله لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا
يضرك في الدنيا ولا في الاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء وليس بمستفيض
الينا مرجعهم لا الى غيرنا فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب
والجمع في الضماير الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الاول باعتبار لفظها ان الله عليم بذات

الصدور تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان
مايزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة الى مايدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ
يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق ولين سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد لله
على ان جعل دلايل التوحيد لايكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم لايعلمون شيئا من الا
فلذلك لايعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لايعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض
فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغنى عن العالمين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد
احد والمحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اى لو
ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده اى من بعد
نفاده سبعة ابحر اى والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعه مدا لاينقطع
ابدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله مانفدت كلمات الله ونفدت
تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى وقرى يمده من
الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعه دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها
واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجاريه واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها
ينصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لايفي بالقليل منها
فكيف بالكثير ان الله عزيز لايعجزه شئ حكيم لايخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته
الموسسة عليهما ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى الا خلقها وبعثها في سهولة التاتي
اذ لايشغله شان عن شان لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتيه
حسبما يفصح عنه قوله تعالى اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل
مسموع بصير يبصر كل مبصر لايشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث
الم تر قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب
وهو الاوفق لما سبق وما لحق اى الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرويه ان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل اى يدخل كل واحد منهما في الاخر ويضيفه اليه فيفاوت بذلك حاله
زيادة ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغه لما ان ايلاج
احد الملوين في الاخر متجدد في كل حين واما تسخير النيرين فامر لاتعدد فيه ولا تجدد وانما
التعدد والتجدد في اثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجرى اى بحسب حركته الخاصه
وحركته القسريه على المدارات اليوميه المخالفه المتعدده حسب تعدد الايام جريا مستمرا
الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمه كما روى عن الحسن رحمه الله عليه السلام
فانه لاينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان
الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه السلام يجوز ان يكون حالا من الشمس
والقمر فان جريانهما الى يوم القيمه من جملة ما في حيز رويته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما
عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان
للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين

في الاخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليوميه فكلما كان جريانها
متوجها الى سمت الراس تزداد القوس التي هي فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام
بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذى هو اقرب المدارات الى سمت الراس وذلك
عند بلوغها الى راس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسى
التى فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزايه الى الليل الى ان يبلغ الى المدار
الذى هو ابعد المدارات اليوميه عن سمت الراس وذلك عند بلوغها برج الجدى وقوله تعالى
وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج اه داخل معه في حيز الرويه على تقديري خصوص
الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرايق والتدبير اللايق لايكاد يغفل عن
كون صانعه عز وجل محيطا بجلايل اعماله ودقايقها ذلك اشارة الى ما تلى من الايات الكريمه
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى بان الله
هو الحق اى بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد
وان ما تدعون من دونه الباطل اى ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دونه تعالى
لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لاريب فيها وقرى بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة
على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال
الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع
فقط بل بطريق الاستقلال ايضا وان الله هو العلى الكبير اى وبيان انه تعالى هو المترفع
عن كل شئ المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الايات الكريمه مبين لاختصاص العلو
والكبرياء به تعالى اى بيان هذا وقيل ذلك اى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجايب
الصنع واختصاص البارى به تعالى بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او
الثابت الهيته وانت خبير بان حقيقته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما
ذكر من الاحكام المعدوده لكن بطلان الهية الاصنام لادخل له في المناطيه قطعا فلا مساغ
لنظمه في سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكوره هي المقتضيه لبطلانها
لان بطلانها مقتضيها الم تر ان الفلك تجرى في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو
استشهاد اخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقه بتجرى او بمقدر
هو حال من فاعله اى ملتبسه بنعمته تعالى وقرى الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين
نعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته اى بعض دلايل وحدته وعلمه وقدرته
وقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور تعليل لما قبله اى ان فيما ذكر لايات عظيمه
في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس
والافاق ويبالغ في الشكر على نعمايه وهما صفتا المومن فكانه قيل لكل مومن واذا غشيهم
اى علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرى كالظلال جمع ظله
كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم
من الدواهى والشدايد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم على القصد السوى الذى هو التوحيد
او متوسط في الكفر لانجانه في الجمله وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطرى

او رفض لما كان فی البحر والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ فی كفران نعم الله تع یا ایها الناس
اتقوا ربكم واخشوا یوما لا یجزی والد عن ولده ای لا یقضی عنه وقری لا یجزی من اجزا اذا اغنی
والعاید الی المفعول محذوف ای لا یجزی فیه ولا مولود عطف علی والد وهو مبتدا خبره
هو جاز عن والده شیئا وتغییر النظم للدلالة علی ان المولود اولی بان یجزی وقطع طمع من
توقع من المومنین ان ینفع اباه الكافر فی الاخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق
لا یمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم الحیاة الدنیا ولا یغرنكم بالله الغرور ای الشیطان المبالغ
فی الغرور بان یحملكم علی المعاصی بتزیینها لكم ویرجیكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم
الساعة علم وقت قیامها لما روی ان الحارث بن عمرو اتی رسول الله صلی الله علیه وسلم
فقال متی الساعة فانی قد القیت حباتی فی الارض فمتی تمطر السماء وحمل امراتی ذكر ام انثی
وما اعمل غدا واین اموت فنزلت وعنه علیه السلام مفاتح الغیب خمس وتلا هذه الایة
وینزل الغیث فی ابانه الذی قدره والی محله الذی عینه فی علمه وقری ینزل من الانزال
ویعلم ما فی الارحام من ذكر او انثی او تام او ناقص وما تدری نفس من النفوس ماذا
تكسب غدا من خیر او شر وربما یعزم علی شیء منهما فیفعل خلافه وما تدری نفس بای ارض
تموت كما لا تدری فی ای وقت تموت روی ان ملك الموت مر علی سلیمان علیهما السلام
فجعل ینظر الی رجل من جلسایه فقال من هذا قال ملك الموت قال كانه یریدنی فمر الریح
ان تحملنی وتلقینی ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسلیمان علیهما السلام كان دوام
نظری الیه تعجبا منه حیث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة
العلم الی الله تعالی والدرایة الی العبد للایذان بانه اعمل حیلته وبذل فی التعرف وسعه
لم یعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكیف بغیره مما لم ینصب له دلیل علیه وقری
بایة ارض وشبه سیبویه تانیثها بتانیث كل فی كلهن ان الله علیم مبالغ فی العلم فلا یعزب
عن علمه شیء من الاشیاء التی من جملتها ما ذكر خبیر یعلم بواطنها كما یعلم ظواهرها
عن رسول الله صلی الله علیه وسلم من قرا سورة لقمن كان لقمن رفیقا له یوم القیمة واعطی من الحسنات
بعدد من امر بالمعروف ونهی عن المنكر



الم اما اسم للسورة فمحله الرفع علی انه خبر لمبتدا محذوف ای هذا مسمی بالم والاشارة الیها
قبل جریان ذكرها قد عرفت سرها واما مسرود علی نمط التعدید فلا محل له من الاعراب
وقوله تعالی تنزیل الكتاب علی الاول خبر بعد خبر علی انه مصدر اطلق علی المفعول مبالغة
وعلی الثانی خبر لمبتدا محذوف ای المولف من جنس ما ذكر تنزیل الكتاب وقیل خبر لالم ای المسمی
به تنزیل الكتاب وقد مر مرارا ان ما یجعل عنوانا للموضوع حقه ان یكون قبل ذلك معلوم
الانتساب الیه واذ لا عهد بالتسمیة قبل تحققها الاخبار بها وقوله تع لا ریب فیه
خبر ثالث علی الوجه الاول وثان علی الاخیرین وقیل خبر لتنزیل الكتاب فقوله تعالی من رب
العالمین متعلق بمضمر هو حال من الضمیر المجرور ای كاینا منه تعالی لا بتنزیل لان المصدر لا یعمل

فیما بعد الخبر والاوجه حینئذ انه الخبر ولا ریب فیه حال من الكتاب او اعتراض والضمیر فی فیه
راجع الی مضمون الجملة كانه قیل لا ریب فی ذلك ای فی كونه منزلا من رب العالمین ویویده قوله تع
ام یقولون افتریه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمین فلا بد ان یكون مورده حكما
مقصود الافادة لا قیدا للحكم بنفی الریب عنه وقد رد علیهم ذلك وابطل حیث جیء بام المنقطعة
انكارا له وتعجبا منه لغایة ظهور بطلانه واستحالة كونه مفتری ثم اضرب عنه الی بیان حقیة
ما انكروه حیث قیل بل هو الحق من ربك باضافة اسم الرب الی ضمیره علیه السلام بعد اضافته
فیما سبق الی العالمین تشریفا له علیه السلام ثم اید ذلك ببیان غایته حیث قیل لتنذر قوما
ما اتاهم من نذیر من قبلك لعلهم یهتدون فان بیان غایة الشیء وحكمته لا سیما عند كونها
غایة حمیدة مستتبعة لمنافع جلیلة فی وقت شدة الحاجة الیها مما یقرر وجود الشیء ویوكده
لا محالة ولقد كانت قریش اضل الناس واحوجهم الی الهدایة بارسال الرسول وتنزیل الكتاب
حیث لم یبعث الیهم من رسول قبله علیه السلام ای ما اتاهم من نذیر من قبل انذارك او من
قبل زمانك والترجی معتبر من جهته علیه السلام ای لتنذرهم راجیا لاهتدایهم او لرجاء
اهتدایهم واعلم ان ما ذكر من التایید انما یتسنی علی ما ذكر من كون تنزیل الكتاب مبتدا واما
علی سایر الوجوه فلا تایید اصلا لان قوله تعالی من رب العالمین خبر رابع علی الوجه الاول
وخبر ثالث علی الوجهین الاخیرین وایا ما كان فكونه من رب العالمین حكم مقصود الافادة لا قید
لحكم اخر فتدبر الله الذی خلق السموات والارض وما بینهما فی ستة ایام ثم استوی علی العرش
مر بیانه فیما سلف ما لكم من دونه من ولی ولا شفیع ای ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالی احد
ینصركم ویشفع لكم ویجیركم من باسه او ما لكم سواه ولی ولا شفیع بل هو الذی یتولی مصالحكم
وینصركم فی مواطن النصر علی ان الشفیع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم یبق لكم ولی ولا
نصیر افلا تتذكرون ای الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او اتسمعونها فلا تتذكرون
بها فالانكار علی الاول متوجه الی عدم السماع وعدم التذكر معا وعلی الثانی علی عدم التذكر مع
تحقق ما یوجبه من السماع یدبر الامر من السماء الی الارض قیل یدبر امر الدنیا باسباب
سماویة من الملایكة وغیرها نازلة اثارها واحكامها الی الارض ثم یعرج الیه ای یثبت فی علمه
موجودا بالفعل فی یوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ای فی برهة من الزمان متطاولة
والمراد بیان طول امتداد ما بین تدبیر الحوادث وحدوثها من الزمان وقیل یدبر امر الحوادث
الیومیة باثباتها فی اللوح المحفوظ فینزل بها الملایكة ثم یعرج الیه فی زمان هو كالف سنة
مما تعدون فان ما بین السماء والارض مسیرة خمسمایة عام وقیل یقضی قضاء الف سنة فینزل
به الملك ثم یعرج بعد الالف لالف اخر وقیل یدبر امر الدنیا جمیعا الی قیام الساعة ثم یعرج الیه
الامر كله عند قیامها وقیل یدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء الی الارض بالوحی ثم لا
یعرج الیه خالصا الا فی مدة متطاولة لقلة المخلصین والاعمال الخلص وانت خبیر بان قلة الاعمال
الخالصة لا یقتضی بطء عروجها الی السماء بل قلته وقری یعدون بالیاء ذلك اشارة الی الله تع
باعتبار اتصافه بما ذكر من الخلق السموات والارض والاستواء علی العرش وانحصار الولایة
والنصرة فیه وتدبیر امر الكاینات علی ما ذكر من الوجه البدیع وهو مبتدا خبره ما بعده ای

اى ذلك العظيم الشان عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز
الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران اخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل فى جميع
ماذكر فاعل الاحسان الذى احسن كل شئ خلقه خبر اخر او نصب على المدح اى حسن كل مخلوق
خلقه اومامن مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات
حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وقيل
علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اى يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنه بتحقيق واتقان
وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل وجه للمبدل منه اى حسن خلق كل شئ وقيل بدل الكل
على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اى حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على
تضمينه معنى اعطى اى اعطى كل شئ خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله
الاول وكل شئ مفعوله الثانى والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى
الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شئ مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته
كل شئ مما يحتاجون اليه فيؤل الى معنى قوله تعالى الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وبدأ
خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع يحار العقول فى فهمه حيث برأ
ادم عليه السلام على خلقة عجيبة منطوية على فطرة ساير افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا
لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه
قوله تعالى ثم جعل نسله الخ اى ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة
من ماء مهين هو المنى الممتهن ثم سواه اى عدله بتكميل اعضايه فى الرحم وتصويرها على ما
ينبغى ونفخ فيه من روحه اضافه الله تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع
فان له شانا له مناسبة الى حضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهى اليه العقول البشرية من معرفته
هذا القدر الذى يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما فى قوله
تعالى قل الروح من امر ربى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الجعل ابداعى واللام متعلقة
والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من
نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها
فى انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسايل الى التمتع بساير النعم الدينية والدنيوية الفايضة
عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الايات التنزيلية
الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم الايات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بها
بافيدتكم على وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلى
على ان القلة بمعنى النفى كما ينبئ عنه ما بعده اى شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفى حكاية
احوال الانسان من مبدا فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك
بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه
وقالوا كلام مستانف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم
شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة ائذا
ضللنا فى الارض اى صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقرئ

ظللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهى
الارض اى صرنا من جنس الصلة قيل القايل ابى بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل
والعامل فى اذا ما يدل عليه قوله تعالى ائنا لفى خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا والهمزة
لتذكير الانكار السابق وتاكيده وقرئ انا على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار
التاكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها موخرة عنها فى الاعتبار وانما تقديمها
عليها لاقتضايها الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم
بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه
فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت
لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اى يقبض
ارواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا او لا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها
من ضرب وجوهكم وادباركم الذى وكل بكم اى بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى
ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القايلون ائذا ضللنا فى
الارض الاية او جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزى عند
ظهور قبايحهم التى اقترفوها فى الدنيا ربنا اى يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اى صرنا ممن
يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الايات المبصرة والايات المسموعة وكنا من
قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه تلك
الايات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معانى
الايات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعرى البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا
وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على
الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعا فى الاجابة الى ما سالوه من
الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه
ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصى على صورة منكرة هايلة ويخبرهم الملايكة
بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها فى الدنيا حسنة وسمعنا ان
مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا
منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار مدلول
ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول
الرسل اى سمعنا سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك روية
فى ذلك الوقت او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمضى فيها وفى لو باعتبار ان الثابت فى علم الله
تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل
احد ممن يصلح له كاينا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا
يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهى
الفظيعة بل كل من يتاتى منه الروية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب
بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص بروية

راه دون راء بل كل من يتاتى منه الرؤية فطه سهو خل في هذا ومن علل عموم الخطاب
فقد ذهل عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب
المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لاتينا
كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الى اخره اى
ونقول لو شئنا اى لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس البرة
والفاجرة ما تهتدى به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار
الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول مني اى سبقت كلمتي حيث قلت لابليس
عند قوله تعالى لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشا اعطاء الهدى على العموم بل
منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوايه ومشيئتنا
لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلاله لم نشا
اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سياتي من
من قوله تعالى انما يومن باياتنا الذين الاية فيكون مناط عدم مشية اعطاء الهدى في
الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيه بما مر من التعلق الفعلي بافعال
العباد عند حدوثها لان المشية الازليه من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا
متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى
ازلا بصرف اختيارهم فيما سياتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريد بها هي من تلك
الحيثيه لا ستدرك بعدمها وبنط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم
الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف
الذى لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره
فقد اشتبه عليه الشؤن والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما
يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكي والباء في قوله تع بما نسيتم
لقاء يومكم هذا للايذان بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد
ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا او حق وعيدي فذوقوا
بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهايل وترككم التفكر فيه بالكليه انا نسيناكم اى تركناكم
في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتاكيد
والتشديد وتعيين المفعول المطوى للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان
بل اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل
في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق اولا
وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة
على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يومن باياتنا استئناف
مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من

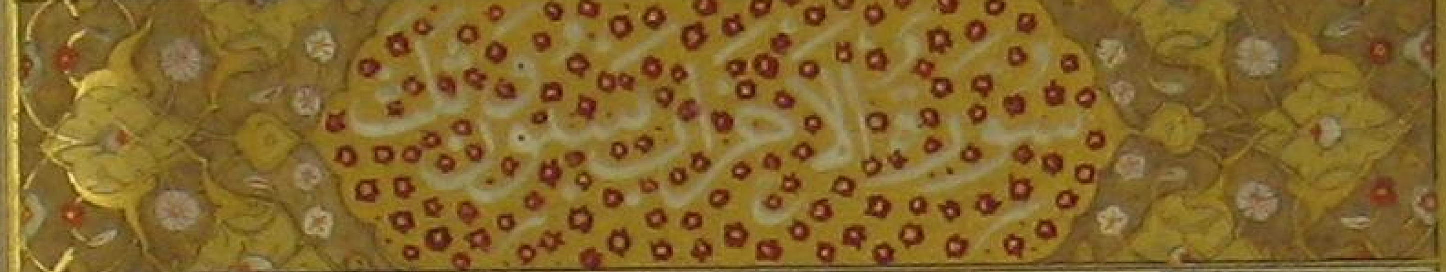
يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تومنون باياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم
الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يومن بها
الذين اذا ذكروا بها اى وعظوا خروا سجدا اثر ذى اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن
التشريف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اى سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد
ربهم اى ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين
بحمده تعالى على نعمايه التي اجلها الهداية بايتاء الايات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان
الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم
يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون اى والحال انهم خاضعون له تعا
لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اى ترتفع وتتنحى عن المضاجع
اى الفرش ومواضع المنام والجملة مستانفه لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل
قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى
نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهي صلاة الاوابين وهو
قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال عطاء هم
الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلاة الليل
وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام
بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي صلى
الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله
الاولين والاخرين وجاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى
الكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع
فيقول ليقم الذين يحمدون الله في الباساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى
الجنة ثم يحاسب ساير الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم اى داعين له تعا
على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته ومما رزقناهم
من المال ينفقون في وجوه البر والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب
ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اى لاوليك الذين عددت نعوتهم الجليله
من قرة عين مما تقر به اعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقروا ان شيتم
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرى ما اخفى لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم على صيغة
المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرى قرات اعين لاختلاف انواعها
والعلم بمعنى المعرفة وما موصوله او استفهاميه علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اى جزوا
جزاء او اخفي لهم الجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هم القوم اخفوا اعمالهم
فاخفى الله تعالى ثوابهم افمن كان مومنا كمن كان فاسقا اى ابعد ظهور ما بينهما من التباين
يتوهم كون المومن الذى حكيت اوصافه الفاضله كالفاسق الذى ذكرت احواله لا يستوون

التصريح به مع افادة الانكار نفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه واكد لبناء التفصيل الآتي عليه
والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما
في الدنيا واضيفت الجنة الى الماوى لانها الماوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه
لا محاله وقيل الماوى جنة من الجنان وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم
عن مضاجعهم التي هي ماواهم في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من
الطعام والشراب وانتصابه على الحاليه بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم
واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة فماواهم اي ملجاهم ومنزلهم النار مكان جنات
الماوى للمومنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استيناف لبيان كيفية كون النار
ماواهم يروى انهم يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا
ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على
انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم
وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون على الاستمرار في الدنيا
ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين
والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونه
وهم في الحياة يرجعون يتوبون عن الكفر روى ان الوليد بن عقبه فاخر عليا رضي الله عنه
يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال
من قابل ايات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة
ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في
بيت الحماسه لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم
وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين
اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم
واشد جرما من كل مجرم ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة
بينهما وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلم
فلا تكن في مرية من لقايه من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القران والمعنى
انا اتينا موسى مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما القيناك من الوحي فلا تكن في شك من
انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام وعنه عليه
السلام رايت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة
وجعلناه اي الكتاب الذي اتيناه موسى هدى لبني اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التورية ولد
اسمعيل وجعلنا منهم ايمة يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى
طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرايعه بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا
هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير للايمة تقديره لما صبروا جعلناهم
ايمة او هو ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ايمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة

اي بعذاب النار

الشدايد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرى لما صبروا اي لصبرهم وكانوا باياتنا التي في
تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي اتيناكه
هدى لامتك ولنجعلن منهم ايمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم
قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المومنين والمشركين يوم القيمه فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا
فيه يختلفون من امور الدين الهمزة للانكار والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل
الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى
التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل
الهداية لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم
لوط وقرى نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى
فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استينافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم
اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون اثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم
وقرى يمشون للتكثير ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتيه او في
مساكنهم لايات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الايات سماع
تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع وازيل
بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك الارض زرعا تاكل منه اي من ذلك
انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرى ياكل بالياء وانفسهم
كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك
ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا
على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا
واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر او الفصل بالحكومه ان كنتم صادقين في ان الله تعالى ينصركم
او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم
ينظرون يوم الفتح يوم القيمه وهو يوم الفصل بين المومنين واعدايهم ويوم نصرهم عليهم وقيل
هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رحمهما الله يوم فتح مكه والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر
سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسال عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم
واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل
لا تستعجلوا فكاني بكم قد امنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر
واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا
وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا امنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم
وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اي الغلبة عليهم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم
متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله
في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظرون فان استعجالهم المذكور
وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرى
على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملايكة ينتظرونه عن النبي

صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام



يا ايها النبي اتق الله في ندايه عليه السلام بعنوان النبوة تنويه بشانه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المامور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه عليه السلام في الموادعة التي كانت بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع من المصالح والمفاسد فلا يامرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما فيه الحكمة البالغة والجملة تعليل للامر والنهي موكد لوجوب الامتثال بهما واتبع اي في كل ما تاتي وتذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الايات التي من جملتها هذه الاية الامرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتاكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم وقيل له عليه السلام وللمومنين وقيل للغايبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب واياما كان فالجملة تعليل للامر وتاكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويامرك بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي امر عليه السلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون الظاهر منها اما وكون الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في الاثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل وذكر

الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة في امراة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى الجمع بين حقيقية الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق والحرمة الى اداء الكفارة كما عدي الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللائي تظاهرون بحذف التاء من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من مساق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لابائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لابائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطاتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطي وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقايل يعتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمومنين من انفسهم اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المومنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولو الارحام اي ذو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما انزله وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله تعالى

من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولى الارحام او صلة لاولى اى ولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث
من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء
من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك
فى الكتاب مسطورا اى كان ما ذكر من الايتين ثابتا فى اللوح او القران وقيل فى التورية واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم اى اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء
الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم
فى النبيين للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرايع واساطين
اولى العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم عليهم الصلاة والسلام لابانة خطره الجليل واخذنا منهم
ميثاقا غليظا اى عهدا عظيم الشان او موكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو
اخذه والعطف مبنى على تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى تفخيما لشانه كما فى قوله تعالى
ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا
وقوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى
ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه
بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اى فعل الله ذلك ليسال يوم
القيمة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما
سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اى ليسال الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم
او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما
قيل من ان المعنى ليسال المومنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم
عهدهم فياباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما عطف
على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثه الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة
المومنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المومنين تعسف
ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز
عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسال الصادقين كانه قيل فاثاب المومنين واعد للكافرين
الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا
فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اى كائنة عليكم اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها
لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم
قريش وغطفان ويهود قريظه والنضير وكانوا زهاء اثنا عشر الفا فلما سمع رسول الله عليه السلام
باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسى ثم خرج فى ثلاثة الاف من المسلمين
فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الاطام واشتد
الخوف وظن المومنون كل ظن ونجم النفاق فى المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا
كنوز كسرى وقيصر لا نقدر نذهب الى الغايط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم
الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابى جهل وهبيرة بن ابى وهب ونوفل

ابن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بنى محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا
مضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع فخرج على بن ابى طالب رضى
الله عنه فى نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التى اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو
معلما ليرى مكانه فقال له على رضى الله عنه لكنى والله احب ان اقتلك فحمى عمرو وعند ذلك وكان
غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على على فتناولا وتجاولا
فضربه على رضى الله عنه ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة
وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى قتله
ايضا على رضى الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك
قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيبا فى تفصيلها
فى اخر القصة وجنودا لم تروها وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة
فى ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت
الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى
قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد
بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادى
الحراب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرى بالياء اى بما يعمله الكفار اى من التحزب
والمحاربة او من الكفر والمعاصى بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر
لما قبله اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادى من جهة المشرق وهم بنو غطفان
ومن تابعهم من اهل نجد قايدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود
من قريظه والنضير ومن اسفل منكم اى من اسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش ومن
شايعهم من الاحابيش وبنى كنانة واهل تهامة وقايدهم ابو سفيان وكانوا عشرة الاف واذ
زاغت الابصار عطف على ما قبله داخل معه فى حكم التذكير اى حين مالت عن سننها وانحرفت
عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع
وبلغت القلوب الحناجر لان الرية تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة
وهى منتهى الحلقوم وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب
فى قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا لمن ظهر الايمان على الاطلاق اى تظنون به تعالى انواع الظنون
المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى منجز وعده فى اعلاء دينه كما يعرب عنه
ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الاية او ممتحنهم فخافوا
الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيهم والجملة معطوفة
على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرى الظنون بغير الف
وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد فى القوافى هنالك ظرف مكان لما بعده اى
فى ذلك الزمان الهايل او المكان الدحض ابتلى المومنون اى عوملوا معاملة من يختبر فظهر
المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرى بفتح الزاء
واذ يقول المنافقون عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول

واستحضار الصورة والذين في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من
اعلاء الدين والظفر الا غرورا اي وعد غرور وقيل قولا باطلا القايل معتب بن قشير واضرا
راضون به قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا
وعد غرور واذ قالت طايفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه
يا اهل يثرب هو اسم المدينه المطهره وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى
النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها قال هي طيبه او طابه كانهم ذكروها بذلك الاسم
مخالفة له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم لهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع
اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة لكم او لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرى بفتح الميم
اي لا قيام ولا موضع قيام لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدينه مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا
عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في
دين محمد عليه السلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه
الى اعدايه ولا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده
فان قوله ويستاذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار
الصورة وهم بنو حارثه وبنو سلمه استاذنوه عليه السلام في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تع
يقولون بدل من يستاذن او حال من فاعله او استيناف مبني على السؤال عن كيفية الاستيذان
ان بيوتنا عورة اي غير حصينه معرضة للعدو والسراق فاذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى
العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد جوز ان يكون تخفيف عورة
من عورت الدار اي اختلت وقد قرى بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه
تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون
ما يريدون بالاستيذان الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم
واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر
الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها
اي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختله بالكليه ودخلها
كل من اراد من اهل الدعارة والفساد ثم سيلوا من جهة طايفة اخرى عند تلك النازلة
والرجعة الهايله الفتنة اي الردة او الرجعة الى الكفر مكان ما سيلوا الآن من الايمان والطاعة
لاتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهيا والغارة الشعوا وقرى لاتوها
بالقصر اي لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة اي ما البثوها وما اخروها الا يسيرا
ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا
الآن وقيل ما لبثوا بالمدينه بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللايق بالمقام هذا واما تخصيص
فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبه فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل
ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق
تعللوا بشي يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثر ذي اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف
يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكوره واسناد سؤال الفتنه والدعوة الى الكفر

الى طايفة اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المومنين المصرون
على الاعراض عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا
الله من قبل لا يولون الادبار فان بني حارثه عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من
الكرامه والفضيله فقالوا لين اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسولا مطلوبا
حتى مقتضي به وقيل مسولا عن الوفاء به ومجازي عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل سيف في وقت معين سبق به القضا
وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن
ذلك التمتيع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا
او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول
لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع
عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم المنافقون والقايلين لاخوانهم من منافقي المدينه هلم الينا وهو صوت سمي به فعل متعد
نحو احضر او قرب ويستوي فيه الواحد والجماعه على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم
يا رجل وهلموا يا رجال اي اقربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون من
المعسكر متوجهون نحو المدينه ولا ياتون الباس اي الحراب والقتال الا قليلا اي اتيانا
او زمانا او باسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المومنين يوهمونهم
انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى
ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمه كلامهم معناه ولا ياتي اصحاب محمد حروب الاحزاب ولا
يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم اي بخلا عليكم بالمعاونه والنفقة في سبيل الله او الظفر
والغنيمه جمع شحيح ونصبه على الحاليه من فاعل ياتون او من المعوقين على الذم فاذا جاء الخوف
رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفه لمصدر
ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اي ينظرون نظرا كاينا كنظر المغشي
عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك او ينظرون كاينين كالذي الخ
او تدور اعينهم دورانا كاينا كدوران عينه او تدور اعينهم كاينة كعينه فاذا ذهب الخوف
وحيزت الغنايم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم
وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد واللسان
وقرى صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحاليه او الذم ويويده القراة بالرفع اولئك نعتها
الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يومنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم اي اظهر بطلانها
اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل وابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيويه اصلا
وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شي عليه تعالى يسير
لبيان ان اعمالهم حقيقه بان يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكليه
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هولاء لجبنهم يظنون الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينه

وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب وقرى بُدّى جمع باد وغزّى جمع غاز يسالون كل قادم من جانب المدينة وقرى يسّالون اى يتسالون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتسالون الاعراب كما يقال رايت الهلال وترآيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسند اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظايره عن انبايكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها ان يوتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدايد وهو في نفسه قدوة يحق التاسى به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اى هى في نفسها هذا القدر من الحديد وقرى بكسر الهمزة وهى لغة فيها لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اى ثواب الله او لقاءه او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر من ايام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله اى وقرن الرجاء ذكر الله كثيرا اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابر على ذكره تعالى تودى الى ملازمة الطاعة وبها تحقق الايتسا برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما راى المومنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المومنين عند اشتباه الشئون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اى لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم قالوا هذا مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ كما مر في قوله تع فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى وجعله اشارة الى الخطب والبلاء من نتايج النظر الجليل فتذكر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذى هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب سايرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرى بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اى ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله وصدقا في النصر والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اى ما راوه الا ايمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المومنين اى المومنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضى الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقنى اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقنى سن بكره اى في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لك ما نحن نبنى الاعداء ان لم تخرى وقالوا له سنفى بك وحيث دنوا

به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاوه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية اى فبعضهم او بعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التى هى المقابلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزامه على ما سياتى ومنهم اى وبعضهم او وبعض منهم من ينتظر اى قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما فمن استشهد بعد ذلك رضوان الله عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول الاية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقى وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التى هى افعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح وايا ما كان ففى وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها واخراج النظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله فاعله اى وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلا اى تبديلا ما اصلا لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثانى لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلام في رواية جابر رضى الله عنه من سره ان ينظر الى شهيد يمشى على الارض فلينظر الى طلحة بن عبد الله وفي رواية عايشة رضى الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشى على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما ليجزى الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكى من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزى الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ان شاء تعذيبهم او يتوب عليهم ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفى التبديل المنطوى واثباته المعرض به كان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى ليترتب على ذلك الخطب ليجزى الاية فتامل وبالله التوفيق ان الله كان غفورا رحيما اى لمن تاب وهو

وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ورد الله الذين كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة
وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف
اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزى الله كانه قيل اثر حكاية الحال المذكورة وقع ما وقع من
الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت
بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر
عن فريقى اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها
الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها
ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى
بغيظهم حال من الموصول اى ملتبسين به وكذا قوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل او تعاقب اى غير
ظافرين بخير او الثانية بيان للاولى او استئناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال الريح
والجنود وكان الله قويا على احداث كل ما يريد عزيزا غالبا على كل شئ وانزل الذين ظاهروهم
اى عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم
جمع صيصية وهى ما يتحصن به ولذلك تقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك وقذف فى
قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى
فريقا تقتلون وتاسرون فريقا من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصا
روى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها
الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال اتنزع لامتك والملائكة ما وضعوا
السلاح ان الله يامرك ان تسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فاذن فى الناس ان لا يصلوا العصر
الا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم
تنزلون على حكمى فابوا فقال اتنزلون على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم
ونسائهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم
ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة وقرئ تاسرون بضم السين كما قرئ الرعب
بضم العين ولعل تاخير المفعول فى الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما فى قوله
تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون لمراعاة الفواصل واورثكم ارضهم وديارهم اى حصونهم واموالهم
نقودهم واثاثهم ومواشيهم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون
الانصار فقالت الانصار فى ذلك فقال عليه السلام انكم فى منازلكم فقال عمر رضى الله عنه اما تخمس
كما خمست يوم بدر فقال عليه السلام لا انما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع
الله ورسوله وارضا لم تطؤها اى واورثكم فى علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم
وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر وكان الله على كل شئ قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته
من ايراث الاراضى التى تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن
الحياة الدنيا اى السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين اى اقبلن بارادتكن واختياركن
لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمنى وذهب يكلمنى وقام يهددنى امتعكن بالجزم بالجزم باللام وكذا
واسرحكن اى اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف

واولادهم

روى انهن سالنه عليه السلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعايشة فخيرها
فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك
فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف فى ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع
الطلاق بنفس الاختيار اولا فذهب الحسن وقتادة رضى الله عنهما واكثر اهل العلم الى انه لم يكن
تفويض الطلاق وانما كان تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن عليه السلام
كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب اخرون الى انه كان تفويضا
للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا واختلف فى حكم التخيير فقال عمر
وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم اذا خير رجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شئ اصلا
ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعى وهو قول عمر بن
عبد العزيز وابن ابى ليلى وسفيان رحمهم الله وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروى عن على
رضى الله عنه انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة
وروى عنه ايضا انها ان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه ايضا انها ان اختارت
زوجها لا يقع شئ اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روى عن عايشة رضى الله عنها خيرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب
الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة فى المطلقة التى لم يدخل بها ولم يفرض لها
صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهى درع وخمار وملحفة بحسب السعة
والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا ينقص من
خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اى تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان
بجلالة محله عليه السلام عنده تعالى والدار الاخرة اى نعيمها الذى لا قدر عنده للدنيا وما
فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا
يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة فى
تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح
وفى وصف السراح بالجميل يا نساء النبى تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتنا
بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه السلام لانها التى يدور عليها ما يرد عليهن
من الاحكام من يات منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ
بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هى عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تات بالفوقانية
يضاعف لها العذاب ضعفين اى يعذبن ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن
اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف
حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول
ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله
يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبى صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة
حقه ومن يقنت منكن اى ومن يدم على الطاعة لله ورسوله وقرئ بالتاء وتعمل صالحا نوتها

اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويوتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى
واعتدنا لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا يا نساء النبي لستن كاحد
من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمونث والواحد
والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة
حكم الله تعالى ورضاء رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا تخضعن بالقول
عند مخاطبة الناس اي لا تجبن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع
الذي في قلبه مرض اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض
القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع
مريض القلب وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنث او
قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن ففعل به ما
فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت احدى راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما في
ظلن ولا تبرجن اي لا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في
الجاهلية القديمة وهي ما بين ادم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم السلام وقيل الزمان
الذي ولد فيه ابرهيم عليه السلام كانت المراة تلبس درعا من اللولو فتمشي وسط الطريق
تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين
عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام
ويويده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام
قال بل جاهلية كفر واقمن الصلاة واتين الزكاة امرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصلي الطاعات
البدنية والمالية واطعن الله ورسوله اي في كل ما تاتين وما تذرن لاسيما فيما امرتن به
ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن
ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل
بطريق النداء والمدح اهل البيت مرادا بهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار
والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه
كما ترى اية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان راي
الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم واما ما تمسكوا به من ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت
فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك
لما اعتبر بها لكونها في مقابلة النص واذكرن ما يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق العظة
والتذكير ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين كونه ايات الله البينة الدالة
على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن
حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان

والحرص

والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون
النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الايات ووقوعها في كل
البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي
لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما
ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او
يعلم من يصلح للنبوة ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات اي الداخلين
في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمومنين والمومنات المصدقين بما
يجب ان يصدق به من الفريقين والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات القائمين بها
والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن
المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين
والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم
والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم
بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات
بما عملوا من الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والاية وعد لهن ولامثالهن
على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي
عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل
منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم
ما نزل قال نساء المومنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين
وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك
في قوله تعالى مسلمات قانتات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه
النعوت الجميلة وما كان لمومن ولا مومنة اي ما صح وما استقام لرجل ولا امراة من
المومنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن
حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل هي في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها
للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله
فزوجنا عبده ان تكون لهم الخيرة من امرهم اي ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل يجب عليهم ان
يجعلوا رايهم تبعا لرايه عليه السلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مومن
ومومنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم
وقرئ تكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله في امر من الامور ويعمل فيه برايه فقد ضل
طريق الحق ضلالا مبينا اي بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول اي واذكر وقت
قولك للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته
وانعمت عليه بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن
حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر منه عليه السلام من اظهار خلاف
ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد

امسك عليك زوجك اى زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت
فى نفسه حالة جبليه لايكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب
بالتسبيحه فذكرتها لزيد ففطن لذلك فوقع فى نفسه كراهة صحبتها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم
وقال اريد ان افارق صاحبتى فقال مالك ارابك منها شئ قال لا والله ما رايت منها الا
خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال امسك عليك زوجك واتق الله فى امرها فلا تطلقها
فلا تطلقها اضرارا او تعللا بتكبرها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها
او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى
والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفا وحده بل على الاخفا مخافة قالة الناس واظهار ما ينافى
اضماره فان الاولى فى امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رايه فلما قضى زيد منها وطرا
بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا
حاجة لى فيك زوجناكها وقرى زوجتكها والمراد الامر بتزوجها منه عليه السلام وقيل
جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويويده انها كانت تقول لساير نساء النبى صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى تولى نكاحى وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير فى خطبتها
وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه لكى لا يكون على المومنين حرج ضيق ومشقة
فى ازواج ادعيائهم اى فى حق تزوجهن اذا قضوا منهن وطرا فان لهم فى رسول الله اسوة
حسنة وفيه دلالة على ان حكمه عليه السلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان
امر الله اى ما يريد تكوينه من الامور او مامور الحاصل بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض
تذييلى مقرر لما قبله ما كان على النبى من حرج اى ما صح وما استقام فى الحكمة ان يكون له ضيق
فيما فرض الله له اى قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان كذا ومنه فروض العساكر
لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا موكد لما قبله من
نفى الحرج اى سن الله ذلك سنة فى الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام
حيث وسع عليهم فى باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امراة وثلثمائة
سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان امر الله
قدرا مقدورا اى قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجارين مجرى
الواحد للمسارعة الى تقرير نفى الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين
خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرى رسالة الله ويخشونه فى كل ما ياتون ويذرون
لا سيما فى امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تاخذهم فى ذلك لومة لائم
ولا يخشون احدا الا الله فى وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه
عليه السلام من الاحتراز عن لايمة الخلق بعد التصريح فى قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان
تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغى ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة و
الكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى على الحقيقة
حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض
عمومه بكونه عليه السلام ابا للطاهر والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا

له عليه السلام لا لهم ولكن رسول الله اى كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة
بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحيوتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولادة
بينهم وبينه عليه السلام فحكمه حكمهم وليس للتبنى والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص
وخاتم النبيين اى كان اخرهم الذى ختموا به وقرى بكسر التاء اى كان خاتمهم ويويده قراءة ابن مسعود
رضى الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين انه لا ينبا احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما
ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله
بكل شئ عليما ومن جملته هذه الاحكام والحكم التى بينها لكم وكنتم منها فى شك مريب
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا
يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا اى اول النهار واخره
على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون ساير الاوقات بل لابانة فضلهما على
ساير الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح به من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه
العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة قيل المراد بالتسبيح
الصلاة هو الذى يصلى عليكم الى اخره استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين
فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة
على ما يستوجبه عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على المستكن
فى يصلى لمكان الفصل المغنى عن التاكيد بالمنفصل لكن على ان يراد بالصلاة الرحمة اولا والاستغفار
ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد فى معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى
مجازى عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم
فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقى له او الترحم والانعطاف المعنوى الماخوذ من
الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود ولا ريب فى ان استغفار
الملائكة ودعاءهم للمومنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابى الدعوة كما
قيل فاعتبار ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور
متعلق بيصلى اى يعتنى بامور كم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة
وقوله تعالى وكان بالمومنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اى كان بكافة المومنين الذين
انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة
ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان بكم رحيما على ان المومنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا
لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الاجلة لرحمته
تعالى بهم بعد بيان اثارها العاجلة التى هى العناية بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اى ما
يحيون به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور
او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم
بالجنة وتكرمة لهم كما فى قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار
بالسلامة عن كل مكروه وافة وقوله تعالى واعد لهم اجرا كريما بيان لاثار رحمته الفائضة
عليهم بعد دخول الجنة عقيب اثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة

الفعليه على الاسميه المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كبيرا ولهم اجر كريم للمبالغة
في الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان ان الاجر الذى هو المقصد الاقصى من بين ساير اثار
الرحمة موجود بالفعل مهيا لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا
على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من
التصديق والتكذيب وساير ما هم عليه من الهدى والضلال وتوديها يوم القيمة اداء
مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المومنين بالجنة وتنذر الكفار
بالنار وداعيا الى الله اى الى الاقرار به وبوحدانيته وبساير ما يجب به من صفاته وافعاله
باذنه اى بتيسيره اطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب
المنال وخطب فى غاية الاعضال لا يتاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف
للوجوه عن القبل المعبوده وادخال للاعناق فى قلادة غير معهوده وسراجا منيرا
يستضاء به فى ظلمات الجهل والغوايه ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهدايه وبشر
المومنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال
الناس وبشر المومنين منهم بان لهم من فضلا كبيرا اى على مومنى ساير الامم فى الرتبه والشرف او
زيادة على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين فهى عن
مداراتهم فى امر الدعوة واستعمال لين الجانب فى التبليغ والمسامحة فى الانذار كنى عن ذلك
بالنهى عن طاعتهم مبالغة فى الزجر والتنفير عن المنهى عنه بنظمه فى سلكها وتصويره بصورتها
ومن حمل النهى على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اى لا تبال باذيتهم
لك بسبب تصلبك فى الدعوة والانذار وتوكل على الله فى كل ما تاتى وما تذر من الشئون
التى من جملتها هذا الشان فانه تعالى يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور فى كل
الاحوال واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد استقلال الاعتراض
التذييلى ولما وصف عليه السلام بنعوت خمسه قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر
مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبه ثقة بظهور دلالة مقابلة المبشر عليه وهو الامر
بالتبشير حسبما ذكر انفا وقوبل النذير بالنهى عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة فى
انذارهم كما تحققته وقوبل الداعى اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن
الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده
الله تعالى بالقوة القدسيه ورشحه للنبوه وجعله برهانا نيرا يهدى الخلق من ظلمات الغى
الى نور الرشاد حقيق بان يكتفى به عن كل ما سواه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اى تجامعوهن وقرى تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة
بايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها
وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجل للدلالة على ان العدة
حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرى تعتدونها على ابدال احد الدالين بالياء او على
انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة فى حكم المس وتخصيص المومنات مع
عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المومن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مومنه

وفايدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخى الطلاق ريثما يمكن الاصابة يوثر فى العدة كما يوثر فى
النسب فمتعوهن اى وان لم يكن مفروضا لها فى العقد فان الواجب للمفروض لها نصف
المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا فى رواية وفى اخرى غير مستحبة عندنا
وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار
ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السنى لانه انما يتسنى فى المدخول بهن يا ايها النبى
انا احللنا لك ازواجك اللاتى اتيت اجورهن اى مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها
اما اعطاؤها معجلة او تسميتها فى العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له عليه السلام به ليس لتوقف
الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسميه ويجب مهر المثل او المتعه على تقديرى الدخول وعدمه
بل لايثار الافضل والاولى له عليه السلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبيه فى قوله تعالى
وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد
القرايب بكونهن مهاجرات معه فى قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه عليه السلام خاصة ويعضده
قول ام هانى بنت ابى طالب خطبنى رسول الله فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله هذه الايه
فلم احل له لانى لم اهاجر معه كنت من الطلقا وامراة مومنة بالنصب عطفا على مفعول احللنا
اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرى بالرفع على
انه مبتدا خبره محذوف اى احللنا هالك ايضا ان وهبت نفسها للنبى اى ملكته بضعها باى عبارة
كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل ارادته عليه السلام استنكاحها
نطق به قوله نعم ان اراد النبى ان يستنكحها اى ان يتملك بضعها باى عبارة كانت بلا مهر فان ذلك
جار منه عليه السلام مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا فى كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح
ان يكون مناطا للخلاف فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف فى اتفاق هذا
العقد فعن ابن عباس لم يكن عنده عليه السلام احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت
الحارث وزينب بنت خزيمه الانصاريه وام شريك بنت جابر وخوله بنت حكيم وايراده عليه السلام
فى الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص
عليه السلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك اى خلص لك احلالها خالصة
اى خلوصا فان الفاعلة فى المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة او خلص احلال ما احللنا لك من
المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى من دون المومنين على الاول ان الاحلال
المذكور فى المادة المعهوده غير متحقق فى حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثانى
ان احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق فى حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه
المعهود وقرى خالصة بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى ذلك خلوص لك وخصوص او هى اى
المراة او الهبة خالصة لك لا تجاوز المومنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبه بل يجب مهر
المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اى على المومنين فى ازواجهم اى فى حقهن اعتراض
مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمومنين
ببيان انه قد فرض عليهم من شرايط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه السلام تكرمة له وتوسعة عليه

اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اي
حد واي صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك
ببعض الخصايص لكي لا يكون عليك حرج اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار
ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه السلام لا باعتبار اختصاصه به
عليه السلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته
لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك وسع الامر في مواقع
الحرج ترجي من تشاء منهن اي تؤخرها وتترك مضاجعتها وتووي اليك من تشاء
وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرى
ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن ابتغيت اي طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة
فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او
يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان تخلى المعزولة او
يبتغيها وروي انه ارجا منهن سودة وجويرية وصفيه وميمونه وام حبيبة فكان يقسم
لهن ما شاء كما شاء وكانت مما اوى اليه عايشه وحفصه وام سلمه وزينب وارجى
خمسا واوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سوده فانها
وهبت ليلتها لعايشه رضي الله عنها وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسايك
ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين
بما اتيتهن كلهن اي اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء
ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمين
به نفوسهن وقرى تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد
لنون يرضين وقرى بالنصب على انه تاكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضماير
والخواطر فاجتهد في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه
وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتاخيرها فانه امهال لا اهمال
لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرى بالتاء من بعد
اي من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما
من بعد هولاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله
ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل اي تتبدل بحذف احدى التائين
بهن اي بهولاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منها وتنكح مكانها اخرى ومن
مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر
رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي عليه السلام عنهن وهن عايشه بنت ابي بكر
وحفصه بنت عمر وام حبيبه بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعه وام سلمة بنت
امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونه بنت الحارث الهلاليه وزينب بنت جحش
الاسديه وجويرية بنت الحارث المصطلقيه وقال عكرمة رحمه الله المعنى لا يحل
لك النساء من بعد الاجناس الاربعه اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها

من الاعرابيات والغرايب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وياباه قوله تعالى
ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان يكون
معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ
الذي ليس من الوظايف البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج المستبدلة
وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير قيل تقديره
مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولامة مومنة خير من مشركة
ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعميه امراة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه
اي هو ممن اعجبه عليه السلام حسنهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة قيل
بقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتووي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا
لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله عنها
ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس رضي الله عنه
مات عليه السلام على التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول
الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا
مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي
شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم اثر
بيان ما يجب مراعاته عليه السلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يوذن
لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا
لكم وقيل من اعم الاوقات اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يوذن لكم
ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون
الماول لا يقال اتيتك ان يصيح الديك وانما يقال اتيتك صياح الديك وقوله تعالى
الى طعام متعلق بيوذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام
بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين
وقته وادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال
معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرى بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من
هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرى بالامالة لانه مصدر اني الطعام
اي ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه
دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا
فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون
ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته
عليه السلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستانسين لحديث
اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر
بفعل اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستانسين الى اخره ان ذلكم اي الاستيناس الذي كنتم
تفعلونه من قبل كان يوذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وما يجابه للاشتغال بما لا

يعنيه وصدّ عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي من اخراجكم لقوله تع والله لا يستحيي
من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيي منه امرا حقا متعلقا بهم لا بانفسهم وما ذلك الا اخراجهم
فينبغي ان لا يترك حيا ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير بعدم الاستحيا للمشاكله
وقرى لا يستحي بحذف الياء الاولى والقا حركتها الى ما قبلها واذا سالتموهن الضمير لنساء
النبي المدلول عليهن بذكر بيوته عليه السلام متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسئلوهن
اي المتاع من وراء حجاب اي ستر روي ان ابن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك
البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم
ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشه رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت
ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسوال
المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانيه
وما كان لكم اي وما صح وما استقام لكم ان توذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حيوته
فعلا يكرهه ويتاذى به ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي من بعد وفاته وفراقه
ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذايه عليه السلام ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي امرا عظيما وخطبا هائلا
لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسوله عليه السلام وايجاب حرمته حيا وميتا
ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على
السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي
البادية والخافيه لا محاله وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد
ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في اباءهن ولا ابناءهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا
ابناء اخواتهن استيناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية الحجاب قال
الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم
والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالى واله اباءك ابرهيم واسمعيل
واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب
بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لما انهن عمات لابناء
الاخوة وخالات لابناء الخالات وقيل لانه ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما
ولا نسائهن اي نساء المومنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة
وقد مر في سورة النور واتقين الله في كل ما تاتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه
ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافيه ولا تتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملايكته
وقرئ وملايكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة
ما بعده عليه على راي البصريين يصلون على النبي قيل الصلاة من الله تعالى الرحمة ومن الملايكة
الاستغفار وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملايكة يدعون له وعنه ايضا
يصلون يبركون وقال ابو العاليه صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملايكة وصلاتهم
دعاوهم له فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكور

فردا حقيقيا له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شانه
وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملايكة بالدعا والاستغفار يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قايلين اللهم صل على محمد او نحو ذلك وقيل
المراد بالتسليم انقيادا لامره والاية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض
لوجوب التكرار وعدمه قيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف
رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عليه السلام من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار
فابعده الله ويروى انه عليه السلام قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي
علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملايكته جوابا لذينك الملكين
امين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله
تعالى وملايكته جوابا لذينك الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره
عليه السلام كما قيل في اية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم
من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط و
يستدعيه معرفة علو شانه عليه السلام ان يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلاة عليه
في الصلاة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك
حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلاة عندنا وعن ابرهيم النخعي رحمه الله ان الصحابة رضي الله عنهم
كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد
جعلها شرطا واما الصلاة على غير الانبياء عليهم السلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف
شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يوذون الله
ورسوله اريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التاذي
في حقه تعالى وقيل في ايذايه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلوله
وثالث ثلاثه والمسيح ابن الله والملايكة بنات الله والاصنام شركاوه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في اياته وفي ايذاء الرسول عليه السلام هو قولهم شاعر ساحر
كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح
صفيه والحق هو العموم فيهما واما ايذاوه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقه وذكر الله
عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وان ايذاءه عليه السلام ايذاء له
سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة بحيث لا يكادون
ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا يصيبهم في الاخرة خاصه
والذين يوذون المومنين والمومنات يفعلون بهم ما يتاذون به من قول او فعل وتقييده
بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا اي بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية
بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا في غير حق واما اذى هولاء
فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين
كانوا يوذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك
والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوايجهن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء

ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحراير ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس
والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سياتي من اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعد ما بين سوء
حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يامر بعض المتاذين منهم بما
يدفع ايذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء
المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة
على راسها وتبقي منه ما ترسله الى صدرها وقيل هي الملحفة وكلما يستتر به اي يغطين بها وجوههن
وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها
والارخاء ببعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العين ذلك
اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع
تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف
منهن من التفريط رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات لئن
لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم
مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة من المرجفين
عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة
للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة
لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى
الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان
الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه السلام اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة الا قليلا
زمانا او جوارا قليلا ريثما تبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم او الحال
على الاستثناء وارد عليه ايضا على راي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل
الى انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا تعمل
فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية سنة وهي
ان تقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما
ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكم التي يدور عليها فلك
التشريع يسالك الناس عن الساعة اي عن وقت قيامها كان المشركون يسالونه عليه
السلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في
التورية وساير الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله
تعالى وما يدريك خطاب مستقل له عليه السلام غير داخل تحت الامر مسوق لبيان
انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء اعلمك بوقت قيامها اي
لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت
قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او
الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار للتهويل
وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق

اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا
شديدة الاتقاد يقاسونها في الاخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا
يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل
لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى في
النار او يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة او من حال الى حال او يطرحون فيها
مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التائين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل
الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجه بالذكر لما
انه اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل
الجسد فقوله تعالى يقولون استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية حالهم الفظيعة
كانه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او هو العامل
في يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا
ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب
الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على
الكثرة والتعبير بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة
فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا
ربنا آتهم ضعفين من العذاب اي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا
والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة
في الجؤار واستدعاء الاجابة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت
في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس فبراه الله مما قالوا اي فاظهر براءته
عليه السلام مما قالوا في حقه اي من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان
قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر
الله تعالى نزاهته عليه السلام عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها
وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل
هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى راوه
غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قذفوه بعيب في بدنه من برص او
ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عند
اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان
عبد الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تاتون وما تذرون لا سيما في
ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عليه السلام وقولوا في كل شان من الشؤون
قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم
يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد

يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم
ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي
التي من جملتها هذه التكليفات فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا
يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
لما بين عظم شان طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال
المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم ما يوجبها من التكاليف الشرعية
وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم
بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى
المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها
والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى
استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها
والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل
امرها وربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل
الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من
القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشان بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام
العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين
قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق
روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه وحملها الانسان اي عند عرضها
عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها
والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبولها لها
بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا
اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان
مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة
او اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول
اشير بقوله عز وجل ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي حملها
الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة
فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض
على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى
هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني اشير بقوله تعالى
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من افراده
اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها
الانسان بحكم جبليته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية
المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد

والوعد حقه والله اعلم وجعل الامانة التي شانها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي
من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي
ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله الاية بجعل تعظيم شان الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام
بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين يأباه وصفه بالظلم
والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد
الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة
صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا
بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لاماناتنا واتين بما امرناهن به كقوله تعالى
ائتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق
هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن
عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق ادم عليه السلام
عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد
بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء
الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه
ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا اقرب من التحقيق فتامل والله الموفق
وقرئ ويتوب الله على الاستئناف وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب
عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها
اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبأ اربع وخمسون اية مكية

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات
كما مر في اية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعروف بلام الحقيقة بالاسم الجليل
من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك
وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق
الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته تعالى فما هذا شانه فهو بمعزل من
استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله
وله الحمد في الاخرة بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق
اما بنفس الحمد او بما تعلق به من الخبر الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر
كونه في الاخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها
بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة وقوله
الذي احلنا دار المقامة الاية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي
هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والاخرة

بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم
يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه
الحكمة الخبير ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض الخ تفصيل لبعض ما يحيط
به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز
والدفاين والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها وما ينزل من السما
كالملايكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة وما يعرج فيها
كالملايكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمه الغفور
للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة ارادوا بضمير المتكلم جنس
البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها
مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور
الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها
الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه على
معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى وربي لتاتينكم تاكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ
لياتينكم على تاويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الى اخره امداد للتاكيد و
تشديد له اثر تشديد وكسر لسورة تكبرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على
الاطلاق يوذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في
انه للشيء في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة اكد واقوى
والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن
فيه كما وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيها لهم على علة الحكم وكونه مما لا
يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا فانهم كانوا
يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام
الغيب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح لا يعزب عنه اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاء مثقال
ذرة اصغر نملة في السموات ولا في الارض اي كائنة فيهما ولا اصغر من ذلك اي من مثقال
ذرة ولا اكبر اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ
والجملة موكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع
على مثقال ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لما ان الاستثناء يمنعه الا ان يجعل
الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل
عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى لتاتينكم
وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم
بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه
ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين اي
مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب الكلام

فيه كالذي من اتفا ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة رضي الله عنه الرجز سوء العذاب
وقوله تعالى اليم بالرفع صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب
شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين اوتوا العلم اي يعلم اولوا العلم من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة او من امن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام وكعب واضرابهما رضي الله عنهم الذي انزل اليك من ربك اي القران هو الحق بالنصب
على انه مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على
الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى الى اخره مستانف مسوق للاستشهاد
باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات وقيل منصوب عطفا على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند
مجي الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الان برهانا ويحتجوا به على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم
من لم يومن من الاحبار اي ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي عطف على
الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كانه قيل
ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق وهاديا الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد
والتدرع بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل حال من الذي انزل على اضمار مبتدا اي وهو يهدي
كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم
لبعض هل ندلكم على رجل يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية قاتلهم
الله تعالى ينبئكم اي يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبئكم من الانباء اذا مزقتم كل ممزق اي اذا
متم ومزقت اجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا انكم لفي خلق جديد
اي مستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او تخلقون خلقا
جديدا للاشباع في الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا
لما ان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد كقل فهو قليل وقيل بمعنى
مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع افترى على الله كذبا فيما قاله ام به جنة اي جنون
يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو
ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون
بالاخرة في العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة
الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم
سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا في حقه عليه السلام كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال
العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب
ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوءهم
ويفت في اعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كانه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال
بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة
على ان علة ما ارتكبوه واجترؤا عليه من الشنعة الفظيعة كفرهم بالاخرة وما فيها من فنون العقاب
ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض استيناف مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب ايات الله تعالى واستعظام ما قالوا

في حقه عليه السلام وانه من العظايم الموجبة لنزول العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث
وتاخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشا الى اخره بيان لما ينبي عنه ذكر
احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق
المشية به اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهايل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم
بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشا جريا على موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما
خسفناها بقارون او نسقط عليهم كسفا اي قطعا من السماء كما اسقطناها على اصحاب الايكة
لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرايم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل
فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديد عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى
ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشا نخسف بهم الارض
او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات فتامل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف
ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين ان في ذلك اي فيما ذكر من السماء
والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر لاية واضحة
لكل عبد منيب شانه الانابة الى ربه فانه اذا تامل فيهما او في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبايح
وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد اتينا داود
منا فضلا اي اتيناه بحسن انابته وصحة توبته فضلا على ساير الانبيا عليهم السلام اي نوعا من
الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه السلام او على ساير الناس فيندرج فيه النبوة
والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا للتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما
في قوله تعالى واتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا وردها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال
اوبي معه من التاويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى
فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي
معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له
عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها
والطير باصواتها وهو بدل من اتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير بالنصب عطفا
على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضمار كما نقل عن
الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه
من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة
بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير
منزلة العقلاء المطيعين لامر الله تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت
وناطق الا وهو منقاد لمشيته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شانه تعالى و
كمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب والنا له الحديد اي جعلناه لينا في نفسه
كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته
التي اتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى ساير القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان ان

مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات واسعات وقرئ صابغات
وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفايح قالوا كان عليه السلام حين
ملك على بني اسرايل يخرج متنكرا فيسال الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له
ملكا في صورة ادمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فساله عنها فقال لولا
انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سال ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى
صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقرا
وقدر في السرد السرد نسج الدروع اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها
فلا تعملها دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبي عنه الانة الحديد وقيل
معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي فاصرفه
الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه
السلام ولاهله اني بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح
اي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها
شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستانفة او حال من
الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم
يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا
في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه
غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رايحون منه فبايتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين القطر
اي النحاس المذاب اساله من معدنه كما الان الحديد لداود عليه السلام فنبع منه نبوع الماء من
الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلثة ايام وقوله تعالى و
من الجن من يعمل بين يديه اما جملة من مبتدا وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال مقدمة
باذن ربه بامره تعالى كما ينبي عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا اي ومن يعدل منهم عما
امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعير
اي عذاب النار في الاخرة روي عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى
عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى
من محاريب الخ بيان لما يشاء اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها
يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد وتماثيل وصور الملئكة والانبياء عليهم السلام على
ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة
التصاوير شرع جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد
بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان جمع جفنة وهي الصحفة
كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة
وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل
عنها لعظمها اعملوا ال داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا
لان العمل للمنعم شكر له او لفعله المحذوف اي اشكروا شكرا او حال اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا

شكرا وقليل من عبادي الشكور اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك
لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه
عن الشكر وروي انه عليه السلام جزء ساعات الليل والنهار على اهله فلم يكن تاتي ساعة من الساعات
الا وانسان من آل داود قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان عليه السلام ما دلهم
اي الجن او آله على موته الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو
تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه
اكلا فاكلت اكلا تأكل منساته اي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد
وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنسأته
على مفعالة كميضاءة في ميضأة ومن سأته اي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان كما في
قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منساته فلما خر تبينت الجن من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباس
عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده
حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل
اشتمال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الى اخره وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول
على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا
للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن
لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود اسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فتوفي
قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان
اجله وعلم به سال ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم
فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها
فبقي كذلك وهم فيما امروا به من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع
حول محرابه اينما صلى عليه السلام فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلوته الا احترق فمر به يوما شيطان
فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا
وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه
قد مات منذ سنة وكان عمره عليه السلام ثلثا وخمسون سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة
وبقي في ملكه اربعين سنة وابتداء بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ
بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها اي لاولاد سبا بن يشجب بن
يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخراج لها
بين بين في مسكنهم وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن
يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال اية دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على
وجود الصانع المختار القادر على كل شيء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان
السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل من اية او خبر لمبتدا محذوف
اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين

عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحد من تينك الجماعتين
في تقاربهما وتضامهما كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله
كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او
لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف
مبين لما يوجب الشكر المامور به اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب
منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان اطيب البلاد
هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ
المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من موذيات الهوام شيء فاعرضوا عن الشكر بعد ابانة
الايات الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه وانذروهم
عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو
عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة
وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي
بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيها
خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار
الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي
وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم
وبدلناهم بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم وابدلناهم بهما جنتين ذواتي اكل خمط اي ثمر
بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر من كل شيء و
قيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل
شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل
خمط بالاضافة وبتخفيف اكل واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان
الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه لا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على جنتين قيل
وصف السدر بالقلة لان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح
ان السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل
اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هاهنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره
الله تعالى شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك اشارة الى مصدر قوله
تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته
في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول
ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء اخر او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا
بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل وهل
نجازي الا الكفور اي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازي على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجازى على البناء للمفعول ايضا
وهذا بيان ما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من

الجزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مساكنهم
ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم
يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبا لا على ما بعده من
الجمل الناطقة باعراضهم او بجزائهم اي وجعلنا مع ما اتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم اي
بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من
بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم
حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اي جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال
ابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ
الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرا لها في الحضر والسفر سيروا فيها
على ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى ليالي واياما اي متى شئتم من الليالي والايام
آمنين من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان
تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون
فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه
على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا بطروا النعمة
وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان
المن والسلوى وقالوا لو كان جنا جنانا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسالوا ان يجعل الله تعالى بينهم
وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء
فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيه داع ولا مجيب
وقرئ يا ربنا بعد بين اسفارنا وابعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما قال
سير فجاز ويوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء
والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم
وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه وظلموا
انفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة او غمطوها فجعلناهم احاديث اي جعلناهم
بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم
كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص
بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التاثير والايلام ما لا يخفى اي فرقناهم تفريقا لا غاية
وراءه بحيث يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب و
جذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبا
وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مارب
وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري ان عمرا راى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له
بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى
الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل عليه السلام
وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسالهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم

الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلاثة ايام فانهزمت جرهم
ولم يفلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى
الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يلوهم
وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان
فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة
وحجابة الكعبة ثم جاءهم اولاد اسمعيل عليه السلام فسالوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان فروة بن مسيك القطيعي سال النبي صلى الله عليه وسلم عن سبا
فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون
وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان ولما
هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة
نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلث قبائل من
اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف
اخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم
وسبا تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان
سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها
الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة
لكل صبار شكور اي شانه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم
وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي حقق عليهم ظنه او
وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه
نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى
قال له الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى
انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته
اضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة ان يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اي اهل سبا او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون
لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم
المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى
الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي
وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه
الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول
العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شيء حفيظ اي محافظ عليه فان فعيلا ومفعلا صيغتان
متآخيتان قل اي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم
آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصفته والثاني لقيام صفته اعني قوله تعالى
من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون

دونهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح
دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من
خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او
لان الهتهم بعضها سماوية كالملكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير
والشر سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم اي لالهتهم فيهما من شرك
اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي لله تعالى منهم من الهتهم من ظهير يعينه في
تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد راسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها
وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقع الشفاعة من النبيين والملكة و
نحوهم من المستاهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور
انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه
من الملكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن و
قال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستاهلين
لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اي لاجله وفي شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من
غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم
بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام
بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة
العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمشفوع
لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل
والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها
من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستيذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب
كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل
وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا
اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بامره ماذا قال ربكم اي في شان الاذن
قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل الشفاعة
الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اي ما قاله
الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور
شان كل من سواه اي هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع
مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة
اي نفي الوجل عنها وافنى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ وهو الخلو
حال ظرفه عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء واصله فرغ
الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ
افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر عليه السلام بتبكيت

المشركين بحملهم على الاقرار بان الهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى فانهم
لا ينكرونه كما ينطق قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار فسيقولون
الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلام قل الله اذ لا
جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من
الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة
الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما
سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك
لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين
واختلاف الجارين للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كانه
منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسألون عما
اجرمنا ولا نسأل عما تعملون وهذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه
الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر
الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم بيننا
ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم
الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم اي الحقتموهم
به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلام اظهار خطائهم العظيم
واطلاعهم على بطلان رايهم اي اروني بها لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في
استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال
المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم
التي هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وعلا او للشان كما في قل هو الله
احد وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان
يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى
جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم
متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا
ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به قل
لكم ميعاد يوم اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل
ويوما باضمار اعني للتعظيم لا تستاخرون عنه عند مفاجاته ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي
هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع
عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجاة فيكون
وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين
يديه اي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيمة • ولو ترى اذ الظالمون • المنكرون للبعث • موقوفون عند ربهم • اي في موقف المحاسبة • يرجع بعضهم الى بعض القول • اي يتحاورون ويتراجعون القول • يقول الذين استضعفوا • بدل من يرجع الخ اي يقول الاتباع • للذين استكبروا • في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال • لولا انتم • اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان • لكنا مومنين • باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم • قال الذين استكبروا للذين استضعفوا • استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا • انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين • منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام • وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا • اضرابا عن اضرابهم وابطالا له • بل مكر الليل والنهار • اي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صدنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اي بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اي مكرا دائما وقوله تعالى • اذ تامروننا • ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا • ان نكفر بالله ونجعل له اندادا • على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال من الترغيب والترهيب وغير ذلك • واسروا الندامة لما راوا العذاب • اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلوا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الاخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم • وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا • اي في اعناقهم والاظهار في موقع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم • هل يجزون الا ما كانوا يعملون • اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملون على نزع الجار • وما ارسلنا في قرية من القرى • من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المومنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة في حقه عليه السلام وكادوه بنحو ما كادوه به عليه السلام وقاسوا امور الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المومنين هانوا عليه تعالى لما حرمهم وما على ذلك الراي الركيك بنوا الحكم • وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين • اما بناء على انتفاء العذاب الاخروي راسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الاخرة على تقدير وقوعها • قل ردا عليهم

وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر التكوين • ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء • ان يبسطه له • ويقدر • على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر بالتشديد • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات • وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى • كلام مستانف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التانيث او بالخصلة التي تقربكم وقرئ باللذي اي بالشيء الذي • الا من امن وعمل صالحا • استثناء من مفعول تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المومن الصالح الذي انفق امواله في سبيل الله تعالى وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعات وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من الخ • فاولئك • اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح • لهم جزاء الضعف • اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء • بما عملوا • من الصالحات • وهم في الغرفات • اي غرفات الجنة • امنون • من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس • والذين يسعون في اياتنا • بالرد والطعن فيها • معاجزين • سابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا • اولئك في العذاب محضرون • لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا • قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده • اي يوسعه عليه تارة • ويقدر له • اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى • وما انفقتم من شيء فهو يخلفه • عوضا اما عاجلا واما اجلا • وهو خير الرازقين • فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته • ويوم يحشرهم جميعا • اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متاخر سياتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر • ثم يقول للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون • تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني الخ واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملئكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدا الشرك فظهور قصورهم عن رتبة المعبودية



وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال شركائهم بطريق الاولوية وقرئ يفعلان بالنون قالوا
استيناف مبني عن سوال نشا من حكاية سوال الملئكة كانه قيل فماذا يقول الملئكة حينئذ فقيل يقولون
منزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق
اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم
ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث
اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملئكة فيعبدونهم وقيل
يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول
للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من
جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤوس
الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء
ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملئكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه
ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم الملئكة للعبدة بنظمه
في سلك عدم نفع العبدة لهم كان نفع الملئكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض
لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا فاما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على
تقدير تركها كما او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على
الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين ظلموا عطف على نقول
للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيمة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي و
هذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي
يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم
آياتنا بينات بيان لبعض اخر من كفراتهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم آياتنا
الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل
يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي و
اضافة الاباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك
وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القران الكريم الا افك اي كلام مصروف عن وجهه
لا مصداق له في الواقع مفترى باسناده الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق اي لامر النبوة
او للاسلام او القران على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما
جاءهم من غير تدبر ولا تامل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح
بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا
القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة
الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام اتيناهم
كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس

وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل
ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم
ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما
بلغوا معشار ما اتيناهم اي ما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما
بلغ عشر ما اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل
والتفسير كقوله تعالى كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ فكيف كان نكير اي انكاري لهم بالتدمير
فليحذر هؤلاء من مثل ذلك قل انما اعظكم بواحدة اي ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة
هي ما دل عليه قوله تعالى ان تقوموا لله على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدا محذوف اي
هي ان تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا
عن المماراة والتقليد مثنى وفرادى اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش
الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمينان ثم
تتفكروا في امره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تعالى ما بصاحبكم
من جنة استيناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم
الذي تحته ملك الدنيا والاخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان
وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وقد علمتم انه عليه السلام ارجح
العالمين عقلا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا وافضلهم علما واجمعهم للكمالات البشرية وجب
ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على
معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان يكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا
اي شيء به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد هو عذاب الاخرة فانه عليه
السلام مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو
لكم والمراد نفي السؤال راسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد
بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا
اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه
السلام قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي
وقرئ ان اجري بسكون الياء قل ان ربي يقذف بالحق اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده
او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق
علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان لان
او خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور
مبالغة غائب قل جاء الحق اي الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زهق
الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل
مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس
او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منصوبة

بما بعدها قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل على نفسي فان وبال الضلال عليها لانه بسببها
اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى وان اهتديت
فبما يوحي الي ربي لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء انه سميع قريب
يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله وان بالغ في اخفائهما ولو ترى اذ فزعوا عند الموت
او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها
فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف اي لرايت امرا هائلا فلا فوت فلا
يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض او من الموقف
الى النار او من صحراء بدر الى قليبها او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على
فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ بالعطف على محله
اي فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله
تعالى ما بصاحبكم وانى لهم التناوش التناوش التناول السهل اي ومن اين لهم ان يتناولوا
الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل
حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة
تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشيء اذا طلبته
وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه
قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور وقد كفروا به
اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب الشديد الذي انذرهم اياه من قبل من قبل ذلك في
اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول
عليه السلام من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان بعيد
من جهة بعيدة من حاله عليه السلام حيث ينسبونه عليه السلام الى الشعر والسحر والكذب
وان ابعد شيء مما جاء به السحر والشعر وابعد شيء من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب
ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه و
قرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على
حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من
الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ
باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل اي باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم
كانوا في شك مريب اي موقع في الريبة او ذي ريبة والاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا
من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله اعلم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الفاطر خمس واربعون آية

الحمد لله

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو
الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت
للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق جاعل الملائكة الكلام في
اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة
بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم
الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل
المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه
له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على
المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملئكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين
انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه
تعالى وبين خلقه ايضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييريا
اما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة
صفة لرسلا واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض
والخلفة وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة
في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان من
الملئكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحة كل منهم ثلثة وخلقا آخر لكل منهم اربعة
اجنحة ويروى ان صنفا من الملئكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وباخرين منها
يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله عز
وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل عليهما السلام ان يتراءى له في صورته
فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج عليه السلام في ليلة مقمرة فاتاه جبريل
صلوات الله عليهما في صورته فغشي عليه السلام ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه
على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل
عليه السلام فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها
بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو
العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملئكة
في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم
كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته
من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص بعض المعاني
بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل
الحصر فيها وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول
قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاء ايجابا بينا ما
يفتح الله للناس من رحمة عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها

المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اى اى شئ يفتح الله من خزاين رحمة
ايه رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها
اى لا احد يقدر على امساكها وما يمسك اى اى شئ يمسك فلا مرسل له اى لا احد يقدر
على ارساله واختلاف الضميرين لما ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثانى مطلق يتناولها
وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده اى من بعد امساكه
وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من الامور التى من جملتها الفتح والامساك الحكيم
الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن
كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التى عليها يدور امر التكوين وبعدما بين سبحانه
انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد فى ذلك دخل
ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال يا ايها الناس اذكروا
نعمة الله عليكم اى انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اى
راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت
نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة فى نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون فى الوجود
شئ غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكارى المنادى باستحالة ان
يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اى هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق
مبتدا محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه
نعت له فى قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من
السماء والارض اى بالمطر والنبات كلام مبتدا على التقادير لا محل له من الاعراب داخل
فى حيز النفى والانكار ولا مسلغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورة لان
معناه نفى وجود خالق موصوف بوصفى المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفى وجود ما اتصف
بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدا ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى
من خالق على الفاعلية اى هل يرزقكم من خالق الخ لما ان معناهما نفى رازقية خالق مغاير له تعالى
من غير تعرض لنفى وجوده راسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله تعالى لا اله الا هو
فانه استيناف مسوق لتقرير النفى المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام
صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفى الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء فى قوله
تعالى فانى تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا
تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك
وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين خطابى الناس مسارعة الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا و
الاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اى وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين
بعدما اقمت عليه الحجة والقمتهم الحجر فتاس باولئك الرسل فى المصابرة على ما اصابهم من قبل
قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب

لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اى رسل اولوا شان خطير وذووا عدد كثير والى الله ترجع
الامور لا الى غيره مجازى كلا منك ومنهم بما استمر عليه من الاحوال التى من جملتها صبرك
وتكذيبهم وفى الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا
من المبالغة فى الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل فى
التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتاكيد العظة والتذكير ان وعد
الله المشار اليه برجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهى بزخارفها عن تدارك
ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهى صورة اليها كما فى
قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه تعالى الغرور اى المبالغ فى
الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصى قائلا اعملوا ما شئتم ان الله
غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول
السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهى للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين فى الكيفية
وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو
عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له فى عقايدكم
وافعالكم وكونكم على حذر منه فى مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه فى دعوة شيعته
الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو
مقصد المتحابين فى الدنيا عند سعى بعضهم فى حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم فى العذاب
المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم
لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه والذين امنوا وعملوا الصالحات
بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة
واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فراه حسنا اما تقرير لما سبق من التباين
البين بين عاقبتى الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتب
ما بعدها على ما قبلها اى ابعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك
فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف
ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى فان الله يضل الى اخره تقرير له وتحقيق للحق ببيان
ان الكل بمشيته تعالى اى فانه تعالى يضل من يشاء ان يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال
وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدى من يشاء ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى
فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم
ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم قطعا اى ابعد كون حالهم كما ذكر
تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة بينة
واما تمهيد لصرفه عليه السلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة فى دعوتهم

والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر من
زين له الكفر من قبل الشيطان فراه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك
في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ عليه اي انه ممن شاء الله
تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات
اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على
احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتاسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه
حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه
صلته واما حال كان كلها صارت حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي من القبائح
تعليل لما قبله على الوجوه الثلثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في
ابي جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل الرياح مبتدا وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في
قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة
والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار الامر
فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه
بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها
اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن
اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث
الذي شبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز
الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة
التاتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل
الله تعالى من تحت العرش ماء فتنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين
كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين
كانوا يتعززون بهم من الذين امنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة
جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الاخرة اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغني
عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح
وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة
عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب
الذي به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطي طلبته بالذات
والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل
فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناءين
والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار

وقراءة

وقراءة القران وعنه عليه السلام ان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد
عرج به الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن
ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى
يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الخ والذين يمكرون
السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح
وانتصاب السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات
قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الراي في احدى الثلث التي هي الاثبات
والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون
ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد
عن ساير المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان
وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به عليه السلام
هو يبور اي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم
حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلث التي اكتفوا في
حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل اخر على صحة البعث والنشور اي
خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق ادم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة
اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل
بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته و
ما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد ولا ينقص
من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى
لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر
واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا
فاربعون واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في
الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا ثم يكتب
تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى ياتي على اخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل
ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اللوح وقيل علم الله عز وجل
وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام
على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات
سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ
الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف
وملح ككتف وقوله تعالى ومن كل اي من كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وتستخرجون
اي من المالح خاصة حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع
واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوايد لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان

فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر
المومن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى
لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله اللايق دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر من
حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم
قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان
منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان
وترى الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب
لكل احد تتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة
بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز
تعلقها بما دل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اي
ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص الاخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الاخر وسخر الشمس
والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد حينا
فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى
كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب
تعدد ايام السنة جريانا مستمرا لاجل مسمى قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كما
روي عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما في فلكيهما والاجل
المسمى عن منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة
لقمن ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو
مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه الصنايع البديعة الله
ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدايع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار
له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدأ في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء
التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
استيناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع
ولو سمعوا على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل
من انهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيمة
يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك
مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون
ساير المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة
في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر

الخلايق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو
الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق المنعم على ساير الموجودات المستوجب للحمد ان يشا
يذهبكم ويات بخلق جديد ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة او بعالم اخر غير ما تعرفونه
وما ذلك اي ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان باخرين على الله بعزيز متعذر ولا متعسر
ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس اثمة وزر اخرى اثم نفس اخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها
واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو
حمل اثقال اضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة
اي نفس اثقلها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه
ولو كان اي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا
نفي للحمل اختيارا والاول نفي له اجبارا انما تنذر استيناف مسوق لبيان من يتعظ بما
ذكر اي انما تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غايبين
عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غايب عنهم واقاموا الصلوة اي
راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء
من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار الاوزار
والمعاصي بالتاثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما
ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ من ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم و
اقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادي التزكي والى الله المصير لا الى احد غيره استقلالا
او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء وما يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمومن
ولا الظلمات ولا النور اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون
الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين
لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم
ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل اخر للمومنين
والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين
افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ان الله يسمع من يشاء ان يسمعه ويوفقه لفهم
اياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر
بالاموات واشباع في اقناطه عليه السلام من ايمانهم ان انت الا نذير ما عليك الا الانذار
واما الاسماع البتة فليس من وظايفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك
بالحق اي محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا
اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اي ما من امة من الامم الدارجة
في الازمنة الماضية الا خلا اي مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره
للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا انفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام وان
يكذبوك اي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم

من الامم العاتية جاءتهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات الظاهرة الدلالة على نبوتهم و
بالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون
الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع
الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ فكيف كان نكير اى انكارى
بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها الم تر استيناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف
احوال الناس والتفاوت امر مطرد فى جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية
قلبية اى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به بذلك الماء والالتفات لاظهار
كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبى عن كمال القدرة والحكمة ثمرات مختلفا
الوانها اى اجناسها او اوصافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها واشكالها
او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما فى قوله تعالى ومن الجبال جدد
اى ذو جدد اى خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع
جديد بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة
والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها
ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع
للاصفر والقانى للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره فى الصفة قول النابغة
والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفى مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اى ومنهم بعض مختلف الوانه او وبعضهم
مختلف الوانه على ما مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع
مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية فى الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس فى الاحوال
الباطنة لما ان اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر
عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل
على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريرى المنبى عن الحمل
عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التامل
فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهى لقوله تعالى
مختلف اى صفة لمصدره المؤكد بتقدير مختلف اختلافا كائنا كذلك اى كاختلاف الثمار والجبال
وقرئ الوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة فى الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين
من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما فى الاوصاف
المعنوية فبطريق التمثيل واما فى الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما
حقها اللائق بها من البيان اى انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته
الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى
منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على

كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان
المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية
مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على
انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اى يداومون على
قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس
كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان
صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتى من
من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا
سبيل اليه كيف والمقصود الترغيب فى دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب
فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع فى ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث
الرغبة فى تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الباقى
مشروعا ليس الا حكمها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن واما تلاوتها فبمعزل من
المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة يرجون تجارة
تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اى لن تكسد ولن تهلك بالخسران
اصلا صفة للتجارة جئ بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران
لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله
تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى
ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل
عليه ما عد من افعالهم المرضية اى فعلوا ذلك ليوفيهم الى آخره وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة
انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اى
مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو انفقوا والذى اوحينا اليك من
الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق
مصدقا لما بين يديه اى احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته
تستلزم موافقته اياه فى العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن
امورهم وظواهرها فلو كان فى احوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذى
هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هى الامور الروحانية ثم اورثنا
الكتاب اى قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضى لتحققه وقيل اورثناه من
الامم السالفة اى اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من
الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم
وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليهم الصلوات
وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا

الكتاب لانه فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجا لامر الله ومنهم مقتصد
يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلوا من خلط السيئ ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قيل هم السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تع
باذن الله اي بتيسره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة او صعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق
الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا
واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روى
ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وعلا لا ينال
الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او
مبتدا وخبره يدخلونها وعلى الاول هو مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص
حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول
الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعي في ادراك شاو السابقين وقرئ
جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول
يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حالية من اساور
هي جمع اسورة جمع سوار من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون
بعض اساور من ذهب كانه افضل من ساير افرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من اساور
وقرئ بالجر عطفا على ذهب اي من ذهب مرصع من لولو او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم
فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو ما اهمتهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما حزن الاعراض والافات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس
وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ
الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم
ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا
دار المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه
شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب
نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول
له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
اي لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على

يقضي كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها
كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى
منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقرئ نجازي وهم يصطرخون فيها
يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا
اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر
على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه
صالحا والان تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى
وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة
اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر و
التفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وروي ذلك عن علي رضي الله تعالى عنهم وهو
العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين
سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم
كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه في معنا قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول
الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القران وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار
على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق
على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله
عالم غيب السموات والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى
عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا
علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض
يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاءه
في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء
ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر
منكم مثل هذه النعم السنية وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تع
ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال
الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم اي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار
الاخرة الذي ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد
من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة قل ارايتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله اي الهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان
يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه وياباه سباق النظم الكريم
وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم
اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه
في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم
شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان

يكون ضمير اتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان
الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلايل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى
انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء
للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا استيناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما
ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما من احد من بعده من
بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية
للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا
جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم
الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم
او من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم
نذير واي نذير اشرف الرسل عليهم السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا
عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء
اي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن
سكونا او وقفة خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون اي ما ينظرون
الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع
موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء
لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي
وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على
تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الامم الماضية
العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وطول اعمار فما نفعهم
طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى وما كان الله
ليعجزه من شيء اي ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من
استيصال الامم السالفة وقوله تعالى انه كان عليما قديرا اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع
اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا
من السيئات كما فعل باولئك ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها
من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شوم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما
فجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه
الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او النصب على انه
مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين بالرفع والنصب اي هذه ياسين او اقرا يس
ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على
شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار
باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من
هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين
وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل تتاتى فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء
السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما في حيث واين حسبما يشهد بذلك قراءة ياسين بالكسر
كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان معناه يا انسان في لغة طي قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله
يا انيسين فاقتصرت على شطره كما قيل من الله في ايمن الله والقران بالجر على انه مقسم به
ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم الحكيم
اي المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي
وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم الاصل الحكيم قائله فحذف
قائله المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة
المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب للقسم والجملة لرد
انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه السلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من
جملة ما اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص
القران بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشانه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته
عليه السلام من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا
لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقيق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون
شاهدا به دليلا عليه قطعا وقوله تعالى على صراط مستقيم خبر آخر لان او حال من
المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط
وفائدته بيان ان شريعته عليه السلام اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير
التفخيمي والوصف اثر بيان انه عليه السلام من جملة المرسلين بالشرائع تنزيل العزيز الرحيم
نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالجر على انه بدل من القران
وايا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القران بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا
من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته
الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة
والرافة العامة حث على الايمان به ترغيبا وترهيبا واشعارا بان تنزيله ناشئ عن غاية
الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه
مصدر مؤكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استيناف مسوق لبيان

ماذكر من فخامة شان القران وعلى كل تقدير ففيه فضل تاكيد لمضمون الجملة القسمية
لتنذر متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اى لتنذر
به كما فى صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين اى انك مرسل
لتنذر قوما ما انذر اباوهم اى لم ينذر اباوهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على
ان ما نافيه فتكون صفة مبينه لغاية احتياجهم الى الانذار والذى انذره اوشيا
انذره اباوهم الابعدون على انها موصوله او موصوفه فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او
انذار اباءهم الاقدمين على انها مصدريه فيكون نعتا لمصدر موكد اى لتنذر انذارا
كاينا مثل انذارهم فهم غافلون على الوجه الاول متعلق بنفى الانذار مترتب عليه
والضمير للفريقين اى لم ينذر اباوهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقيه
متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره عليه السلام
او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصه فالمعنى فهم غافلون عنه
اى عما انذر اباوهم الاقدمون لامتداد المدة واللام فى قوله تعالى لقد حق القول
على اكثرهم جواب للقسم اى والله لقد ثبت وتحقق عليهم البته لكن لا بطريق الجبر من غير
ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختيارى على الكفر والانكار وعدم
تاثرهم من التذكير والانذار وغلوهم فى العتو والطغيان وتماديهم فى اتباع خطوات
الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول
قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم
الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك
تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هولاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم
من جملة اوليك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول
وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يومنون متفرع
فى الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا
تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوايهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم
فهى الى الاذقان اى فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا
يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون روسهم له فهم مقمحون رافعون روسهم غاضون
ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون اما تتمه للتمثيل وتكميل له اى
تكميل اى وجعلنا مع ماذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورايهم سدا كذلك فغطينا
بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شىء ما اصلا واما تمثيل مستقل
فان ماذكر من جعلهم محصورين بين سدين هايلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون
شيا قطعا كاف فى الكشف عن فظاعة حالهم وكونهم محبوسين فى مطمورة الغى والجهالات
محرومين عن النظر فى الادلة والايات وقرى سدا بالضم وهو لغة فيه وقيل ما كان من

عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فهو بالضم وقرى فاعشيناهم من العشا وقيل الايتان
فى بنى مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى
ليرضخن راسه فاتاه وهو عليه السلام يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت
الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال
مخزومى اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره وسواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم بيان لشانهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اى مستو عندهم
انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه فى سورة البقرة وقوله تعالى لا يومنون
استيناف موكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستوا او حال موكدة له او
بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتاثر منه فقيل
انما تنذر اى انذارا مستتبعا للاثر من اتبع الذكر اى القران بالتامل فيه او الوعظ
ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشى الرحمن بالغيب اى خاف عقابه وهو غايب
عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه فى سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم
قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبى عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى
هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمه واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب
البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشيه انا نحن نحيى الموتى بيان لشان
عظيم ينطوى على الانذار والتبشير انطواء اجماليا اى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياوهم
اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا
اى ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها واثارهم التى ابقوها من الحسنات كعلم
علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر
وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتاسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب
مبادى الشر والفساد وغير ذلك من فنون الشرور التى احدثوها وسنوها لمن بعدهم
من المفسدين وقيل هى اثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الاثار وقرى
ويكتب على البناء للمفعول ورفع اثارهم وكل شىء كاينا ما كان احصيناه فى امام مبين
اصل عظيم الشان مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ
واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة فى تطبيق حالة غريبة
بمثلها كما فى قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط واخرى فى ذكر
حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما فى قوله تعالى
وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اى بينا لكم احوالا بديعة هى فى الغرابة كالامثال
فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهولاء فى الكفر والاصرار على تكذيب الرسل
اى طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول
اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثانى اذكر وبين لهم قصة هى فى الغرابة
كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكيه
اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى

اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان بامره
تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اى
فاتياهما فدعواهم الى الحق فكذبوهما بالرسالة فعززنا اى قوينا يقال عزز المطر
الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة
ماقبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا اى جميعا
انا اليكم مرسلون موكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث
لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين
فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يٰسين
فسالهما فاخبراه قال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان
له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فامن حبيب وفشا الخبر وشفي على ايديهما
خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك
والهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث
عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به
ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما
يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا
الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا فقالا يفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى
حتى انشق له بصر فاخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصار مقلتين ينظر بهما فقال
له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال
ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل
معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء
ميت امنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت
شابا حسن الوجه يشفع لهولاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان
فتعجب الملك فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن وامن قوم ومن لم يومن
صاح عليه جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم
حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج
ولم يذكر فيه ممن يومن احد سوى حبيب ولو ان الملك وقوما من حواشيه امنوا لكان
الظاهر ان يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا كدأب النجار الشهيد
ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية
على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار قالوا اى اهل انطاكية
الذين لم يومنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم
بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء

بما تدعونه من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم
انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من
تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام الموكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار
وما علينا اى من جهة ربنا الا البلاغ المبين اى الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا
بالايات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا من عهدته فلا مواخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا
او ما علينا شيء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاى شيء
تطلبونه منا حتى تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا
تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم
وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة
الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بانفسهم و
اهليهم واموالهم ان لم يومنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوه
لئن لم تنتهوا اى عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا نقادر
قدره قالوا طائركم اى سبب شومكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم
وقرئ طيركم اين ذكرتم اى وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
ماقبله عليه اى تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين همزتين وبفتح ان
بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث
جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير
سببا للشوم او مصححا للتوعد اى ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان
فلذلك اتاكم الشوم او في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه
والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو
ممن امن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن
نوفل وغيرهما ولم يومن بنبي غيره عليه السلام قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى
فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه قال استيناف وقع جوابا عن سوال نشأ من
حكاية مجيئه ساعيا كانه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين
تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتاليف قلوبهم واستمالتها
نحو قبول نصيحته وقوله اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتاكيد وللتوسل به
الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير الدنيا والدين
وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض
النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى
عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق
الاول فقال ااتخذ من دونه الهة انكار ونفي لاتخاذ الالهة على الاطلاق وقوله تعالى
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اى لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون
من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استيناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لالهة

كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك الهة ليست كذلك وقرى ان يردن بفتح
الياء على معنى ان يوردنى ضرا اى يجعلنى موردا للضر انى اذا اى اذا اتخذت من دونه
الهة لفى ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شانه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر
الذى لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز فى الجملة انى
امنت بربكم خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه
فاسرع نحو الرسل قبل ان تقتلوه فقال ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة
والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتدا
بهم كانه قال بربكم الذى ارسلكم او الذى تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اى اسمعوا
ايمانى واشهدوا لى به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب
فى الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان
ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما
قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كساير الشهدا وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة
قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول
الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة
فى المسارعة الى بيانه والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية حاله ومقاله
كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى بروحه لوجهه تعالى فقيل
قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من
المكرمين فانه جواب عن سوال نشا من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك
الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله
بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء فى كظم الغيظ والترحم
على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم فى امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه
الا سعادة وقرى من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية
وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اى باى شى غفر لى ربى يريد به تفخيم شان المهاجرة
عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من
جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم
بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شان الرسول صلى الله عليه وسلم
وما كنا منزلين وما صح فى حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السما لما انا قدرنا لكل شى
سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف
وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصايصك فى الانتصار من قومك وقيل ما
موصولة معطوفة على جند اى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة
ونحوها ان كانت اى ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه
السلام وقرى الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرى الا زقية واحدة من زقا الطاير اذا صاح
فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة فى الحركة

والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا
بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالى فهذه من الاحوال التى حقها ان تحضرى فيها
وهى ما دل عليه قوله تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين
بالناصحين الذين نيطت بنصايحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون
او قد تلهف على حالهم الملايكة والمومنون من الثقلين وقد جوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة
الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه لانفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى
يا حسرتى ونصبها لطولها بما تعلق به من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف
وقرى يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل والمفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل
مجرى الوقف الم يروا اى الم يعلموا وهو معلق عن العمل فى قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم
من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان
معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه انهم اليهم
لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى اى الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين نفاقا
ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرى بالكسر على الاستيناف وقرى الم يروا من اهلكنا
والبدل حينئذ بدل الاشتمال وان كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر
بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا
وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون
للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرى لما بالتخفيف على ان ان
مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتاكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ واية لهم الارض
الميتة بالتخفيف وقرى بالتشديد قوله تعالى اية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم
اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدا والميتة صفتها
وقوله تعالى احييناها خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة استيناف
مبين لكيفية كونها اية وقيل اية مبتدا ولهم خبر والارض الميتة مبتدا موصوف واحييناها
خبره والجملة مفسرة لاية وقيل الارض مبتدا واحييناها خبره والجملة خبر لاية وقيل الخبر لها هو
الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفايدة
هو كون الارض اية لهم لا كون الاية هى الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون
تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب
اى من انواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا
كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها
بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها وقرى بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى
من العيون اى بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة
على راى الاخفش لياكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتاخيره عن تفجير العيون لانه من مبادى الاثمار
اى وجعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادى اثمارها لياكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل
باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة

لان الثمر خلقه تعالى وقرى بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار بضمة وسكون وما عملته
ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافيه والمعنى ان الثمر
بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحاليه ويوكد الاول قراة عملت بلا هاء فان
حذف العايد من الصلة احسن من الحذف من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح
لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايرون هذه
النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذى خلق الازواج كلها استيناف مسوق
لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الاية المذكوره واستعظام ما ذكر فى حيز الصلة
من بدايع اثار قدرته واسرار حكمته وروايع نعمايه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به
والتعجيب من اخلالهم بذلك والحالة هذه ما ذكر فى حيز الصله هذه وسبحان علم للتسبيح الذى هو
التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح فى الارض والماء اذا
ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدريه ولا يكاد يذكر
ناصبه اى اسبح سبحانه اى انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه
وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول
عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصه لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة
فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه
التام والتباعد الكلى عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة
فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه
وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين
للمومنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف
والانواع مما تنبت الارض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة
وغيرها ومن انفسهم اى خلق الازواج من انفسهم اى الذكر والانثى ومما لا يعلمون
اى والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم
يتعلق بذلك شئ من مصالحهم الدينيه والدنيويه وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على
منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه
واية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدا موخر كما مر وقوله تعالى نسلخ منه النهار
جملة مبينه لكيفية كونه اية اى نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما
بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب فى الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب
من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخه فاذا هم مظلمون اى داخلون فى الظلام
مفاجاة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجرى لمستقر لها
لحد معين تنتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان
حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هنالك وقفة قال والشمس حيرى لها فى الجو تدويم
او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها
فى دورها ثلثمايه وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب فى مغرب ثم لا

تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرى الى مستقر لها اى لا
سكون لها فانها متحركة دايما وقرى لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك اشارة الى جريها
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اى
ذلك الجرى البديع المنطوى على الحكم الرايقه التى تحار فى فهمها العقول والافهام تقدير
العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه
بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرى بالرفع على الابتداء اى قدرنا له منازل وقيل
قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهى ثمانيه وعشرون الشرطان البطين
الثريا الدبران الهقعه الهنعه الذراع النثره الطرف الجبهة الزبره الصرفه
العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشوكه النعايم البلده سعد الذابح
سعد بلع سعد السعود سعد الاخبيه فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو الموخر الرشاء
وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان فى اخر
منازله وهو الذى يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ
المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرى كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون
القديم العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغى لها اى يصح ويتسهل لها
ان تدرك القمر فى سرعة السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او فى
الاثار والمنافع او فى المكان بان تنزل فى منزله او فى سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى
الشمس للدلالة على انها مسخره لا يتسنى لها الا ما قدر لها ولا الليل سابق النهار اى يسبقه
فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما اياتهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان
الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملايم لسرعة سيره وكل
اى وكلهم على ان التنوين عوض من المضاف اليه الذى هو الضمير العايد الى الشمس والقمر والجمع
باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما فى
الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها فى فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهوله
واية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين
يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لاسيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم
فى السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع فى الفلك المشحون اى المملو وقيل هو فلك نوح عليه
السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل ابايهم الاقدمين وفى اصلابهم هولاء وذرياتهم وتخصيص
اعقابهم بالذكر دونهم لانه ادخل فى الامتنان وادخل فى التعجيب الذى يدور عليه كونه ايه
وخلقنا لهم من مثله بما يماثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفاين البر او مما يماثل ذلك
الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد
صنعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لمزيد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما
يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن
بهذا الركوب لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام
بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وان نشا نغرقهم الخ من تمام الاية فانهم معترفون

بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرى
نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشية اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم
من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيته تعالى به اى ان نشا نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه
من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جيء به في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال
التماثل بين الابل والفلك فكانها نوع منه او مع ما يركبون من السفن والزوارق فلا صريخ
لهم اى فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من
قولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون اى ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى الا رحمة منا
ومتاعا استثناء مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتاخرة اى لا يغاثون
ولا ينقذون لشيء من الاشياء الا رحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع
بالحياة مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما
غاية للاغاثة والانقاذ اى لنوع من الرحمة وتمتيع الى حين اى الى زمان قدر فيه آجالهم كما
قيل ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم عن
الايات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الايات الافاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم
تاملهم فيها اى اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الايات او بغيره اتقوا ما بين ايديكم و
خلفكم من الافات والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون
ومن حيث لا تحتسبون او من الوقايع النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في
الاخرة او من نوازل السماء ونوايب الارض او من عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او ما تقدم من
الذنوب وما تاخر لعلكم ترحمون اما حال من واو اتقوا او غاية له اى راجين ان ترحموا او كي
ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف
ثقة بانفهامه من قوله تعالى وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين انفهاما
بينا اما اذا كان الانذار بالاية الكريمة فبعبارة النص واما اذا كان بغيرها فبدلالته لانهم حين
اعرضوا عن ايات ربهم فلان يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا
العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي
ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة
الايات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه في
حقها والمراد بها اما الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الايات
القرانية التي من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل من بدايع صنع الله وسوابغ آلائه
الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء
واما ما يعمها وغيرها من الايات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات
التي من جملتها الايات الثلث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك
الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الايات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته
تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المودي الى الايمان
به تعالى والاتيان على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا

ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الايات وعن
متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على انها حال من
مفعول تاتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ
من اعم الاحوال اى ما تاتيهم من اية من ايات ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها
او ما تاتيهم آية منها في حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم
الله اى اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق
وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم
جنايتهم في ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية اى اذا قيل لهم بطريق النصيحة
انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع
المكاره قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما
بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشية الله تعالى انطعم حسبما تعظوننا به
من لو يشاء الله اطعمه اى على زعمكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا
امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش
حين استطعمهم فقراء المومنين من اموالهم التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام
يوهمون انه تعالى لما لم يشا اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم
فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك
ان انتم الا في ضلال مبين حيث تامروننا بما يخالف مشية الله تعالى وقد جوز ان يكون
جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية لجواب المومنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
اى فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين لما
انهم ايضا كانوا يتلون عليهم ايات الوعيد بقيامها ومعنى القرب في هذا اما بطريق
الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ما ينظرون جواب من جهته تعالى اى ما
ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تاخذهم مفاجاة وهم يخصمون
اى يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى
فتاخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علاماتها ولا يزعموا انها
لا تاتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء
الساكنين وقرى بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرى على الاختلاس
وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن الاول حرف مد
وقرى يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ان كانوا
فيما بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون
حيث ما كانوا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اى ينفخ فيه
وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث اى القبور جمع جدث وقرى
بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار
لقوله تعالى لدينا محضرون وقرى بضم السين قالوا اى في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا

احضر فهذا اوانك وقرى يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرى من اهبنا من هبّ من
نومه اذا انتبه وقرى من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله هبّ بنا فحذف الجار واوصل
الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا
نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا اصيح باهل القبور يقولون
ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه وابى بن كعب وقتاده رحمهم الله تعالى ان الله تعالى
يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانيه وشاهدوا من اهوال
القيمه ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان
العذاب يصير عذاب القبر فى جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرى من بعثنا ومن
هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اى من رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس
فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدا وخبر وما
موصوله محذوف العايد او مصدريه وهو جواب من قبل الملايكه او المومنين عدل به
عن سنن سوالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذى يهمهم هو السوال
عن البعث ماذا هو دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم ذلك فى كتبه
وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما توهمونه حتى تسالوا عن الباعث وقيل
هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به انفسهم
او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره
محذوف اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق ان كانت اى ما كانت النفخة التى
حكيت آنفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام فى الصور فاذا هم
جميع اى مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث و
الحشر والايذان باستغنايهما عن الاسباب ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس
برة كانت او فاجرة شيا من الظلم ولا تجزون الا ما كنتم تعملون اى الا جزاء ما كنتم تعملونه
فى الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شئ واحد او الا بما كنتم تعملونه اى بمقابلته
او بسببه وتعميم الخطاب للمومنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق
وتقريعا لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم
يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدايهم اثر بيان سوء حالهم
مما يزيدهم مساءة على مساءة وفى هذه الحكاية مزجرة لهولاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى
الاقتداء بسيرة المومنين والشغل هو الشان الذى يصد المرء ويشغله عما سواه من شوونه
لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد ههنا
هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم
فيه من فنون الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكليه واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع
وضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق

او

او شغلهم عن اهاليهم فى النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص فى
نعيمهم كما روى كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر
شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور
بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر لان وفاكهون خبر آخر لها اى انهم
مستقرون فى شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فايزون بملك كبير والتعبير عن حالهم
هذه بالجملة الاسميه قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة
تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرى فى شغل بسكون الغين وفى
شغل بفتحتين وبفتحه وسكون والكل لغات وقرى فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهى
لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن فى الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم فى
ظلال على الارايك متكئون استيناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها
بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على ان هم
مبتدا وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل
او هو والجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبه وقيل الخبر هو الظرف الاول والثانى
مستانف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون
مبتدا موخر وقرى متكئين بالاهم نصبا على الحال من المستكن فى الظرفين او احدهما وقيل هم
تاكيد للمستكن فى خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارايك متعلق به وكذا فى ظلال او بمضمر
هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظله كقباب جمع قبه
ويويده قراءة فى ظلل والارايك جمع اريكه وهى السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب
لا يكون اريكه حتى يكون عليها حجله وقوله تعالى لهم فيها فاكهة الخ بيان لما يتمتعون به فى الجنة
من الماكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانيه والروحانيه بعد بيان ما لهم فيها
من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجه اى لهم
فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما فى قوله تعالى ولهم ما يدعون موصولة او
موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشان معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالدعاء دون ما عداه
ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او هى على عمومها
قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر واياما كان فهو مبتدا ولهم خبره
والجملة معطوفة على الجملة السابقه وعدم الاكتفاء بعطف ما يدل على فاكهة لئلا يتوهم كونه
عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشان او
كل ما يدعون به كاينا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور واياما كان ففيه دلالة
على انهم فى اقصى غاية البهجه والغبطه ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى
واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامى وقيل بمعنى يتمنون
من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على وقال الزجاج هو من الدعاء اى ما يدعو به اهل الجنه
ياتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحله وبعضهم
القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشى وقوله تعالى سلام على التقدير الاول بدل من ما يدعون

او خبر لمبتدا محذوف و قولا مصدر موكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار
متعلق بمضمر هو صفة له كانه قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام يقال لهم قولا كاينا
من جهة رب رحيم اى يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة
فى تعظيمهم قال ابن عباس رضى الله عنهما والملايكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين
واما على التقدير الثانى فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف
متوفر على ان الشرف مبتدا ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اى ما يدعون
سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر موكد لمضمون الجملة اى عدة من رب
رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدا محذوف الخبر اى لهم سلام اى
تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الافات فيكون قولا مصدرا موكدا لمضمون الجملة
كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ
وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرى سلاما بالنصب على
الحالية اى لهم مرادهم سالما خالصا وقرى سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين وامتازوا
اليوم عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود
عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء
حال هولاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اوليك ووصف ثوابهم كما مر فى قوله تعالى
وبشر الذين امنوا الاية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما
على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم فى شغل عظيم الشان
وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقر وابذلك عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون
الى مصيركم وعن قتاده اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه
لا يرى ولا يرى واما ما قيل من ان المضمر فليمتازوا وانفعزلوا من السداد لما ان المحكى عنهم ليس
مصيرهم الى ما ذكر من الحالة المرضيه حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو
استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدى نفعا
لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك
الحال منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكته البارعه والحكم الرايعه حسبما مر
بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكليه يكون التصدى لاضمار شى
يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان
من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول
جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم الى اخره والعهد الوصيه والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد
ههنا ما كلفهم الله تعالى على السنه الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهى التى من جملتها
قوله تعالى يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنه الاية وقوله تعالى ولا تتبعوا
خطوات انه لكم عدو مبين وغيرهما من الايات الكريمه الوارده فى هذا المعنى وقيل هو الميثاق
الماخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بنى ادم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج
العقليه والسمعيه الامره بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان

طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعباده ولزيادة التحذير والتنفير عنها
ولوقوعها فى مقابلة عبادته عز وجل وقرى اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء
مكان العين واحد بالادغام وهى لغة بنى تميم انه لكم عدو مبين اى ظاهر العداوة وهو تعليل
لوجوب الانتهاء عن المنهى عنه وقيل تعليل للنهى وان اعبدونى عطف على ان لا تعبدوا على ان
ان فيهما مفسرة للعهد الذى فيه معنى القول بالنهى والامر او مصدريه حذف عنها الجار
اى الم اعهد اليكم فى ترك عبادة الشيطان وفى عبادتى وتقديم النهى على الامر لما ان حق
التخليه التقدم على التحليه كما فى التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم
فانه اشارة الى عبادته تعالى التى هى عبارة عن التوحيد اى الاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى
هذا صراط على مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم
واللام فى قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجمله استينافيه
مسوقة لتشديد التوبيخ وتاكيد التقريع ببيان ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به
وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازله على الامم الخاليه بسبب طاعتهم للشيطان
فالخطاب لمتاخريهم الذين من جملتهم كفار مكه خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف
جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرى بضمتين وبتشديد وبضمتين
وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرى
جبلا جمع جبله كفطر وخلق فى جمع فطره وخلقه وقرى جيلا بالياء وهو الصنف من الناس
اى والله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذى امرتكم
بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهايله التى ملا الافاق
اخبارها وبقى مدى الدهر اثارها والفاء فى قوله تعالى افلم تكونوا تعقلون للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اى اكنتم تشاهدون اثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم
او فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى
هذه جهنم التى كنتم توعدون استيناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام
والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اى كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم السلام
بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاوكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال
اخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانه كقوله تعالى ذق انك انت الخ اى
ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر فى الدنيا وقوله تعالى
اليوم نختم على افواههم اى نختما يمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر
احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكى احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من
الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكليه
وقرى تختم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون
فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ نختم على افواههم

وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز على شاهدًا الامن
نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدًا
لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها لالتها على افعالها وظهور
اثار المعاصي عليها وقرى وتتكلم ايديهم وقرى ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب
على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرى ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم ولو
نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشية
محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مضمونها مفعول الجزاء اي لو نشا
ان نطمس على اعينهم لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة
ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيه فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي
ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في
قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط اي فارادوا ان
يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع الجار او هو بتضمين الاستباق
معنى الابتدار او بالظرفيه فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك ولو نشاء لمسخناهم
بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اي مكانهم الان المكانة اخص كالمقامة
والمقام وقرى على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال
ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اي ولا رجوعا
فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصله عن ابن عباس رضي الله عنهما قردة وخنازير وقيل
حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرى مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق
الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم
عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار امثالهم احقاء
بان يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الاخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك
ليس الا عدم تعلق المشيه الالهية به كانه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا
على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشاها جريا على سنن الرحمة والحكمة
الداعيتين الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه ونخلقه
على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وتنتقض بنيته ويتغير شكله
وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن
الفهم والادراك وقرى ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس افلا يعقلون اي ايرون
ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما
لعدم تعلق مشيته تعالى بهما وقرى تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر
رد وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عليه السلام من انه شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه
الشعر بتعليم القران على معنى ان القران ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال
مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافيه مبني على خيالات واوهام واهيه
فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام

الباهرة

الموصلة الى سعادة الدنيا والاخرة ومن اين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم الظنون
قاتلهم الله انى يوفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث
لو اراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ليكون الحجة اثبت والشبهة
ادحض واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله عليه السلام
هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير
قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقران اي وما ينبغي للقران ان يكون شعرا
ان هو اي ما القران الا ذكر اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى
ان هو الا ذكر للعالمين وقران مبين اي كتاب سماوي بين كونه كذلك او فارق بين الحق
والباطل يقرا في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم
بينه وبين ما قالوا لينذر اي القران او الرسول عليه السلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرى
لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار من كان حيا اي عاقلا متيقظا
فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص
الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اي تجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر
وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن اثار الحياة واحكامها التي هي المعرفة
اموات في الحقيقة اولم يروا الهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف على جملة منفيه مقدرة
مستتبعه للمعطوف اي الم يتفكروا ولم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة
انا خلقنا لهم اي لاجلهم وانتفاعهم مما عملت ايدينا اي مما توليناه احداثه بالذات وذكر
الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث
والاعتناء به انعاما مفعول خلقنا وتاخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقديم
عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى
النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا عن
كون المؤخر امرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من
منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه
ولان في تاخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون
الايات الثلاث اي فهم لها مالكون اي متملكون لها بتمليكنا اياهم وايثار الجملة الاسميه على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها او قادرون
على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى
وذللناها لهم تاسيسا للنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي صيرناها لهم منقادة بحيث لا
يستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى فمنها ركوبهم
الخ فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم
اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرى ركوبتهم وهي
بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرى ركوبهم اي ذو ركوبهم ومنها
ياكلون اي وبعض منها ياكلون لحمه ولهم فيها اي في الانعام بكلا قسميها منافع اخر

غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران ومشارب
من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل في سورة النحل افلا يشكرون اي ايشاهدون
هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله اي متجاوزين
الله الذي شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة
الهة من الاصنام واشركوها به تعالى في العبادة لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من
جهتهم فيما حزبهم من الامور او يشفعوا لهم في الاخرة وقوله تعالى لا يستطيعون نصرهم
الخ استيناف سيق لبيان بطلان رايهم وخيبة رجايهم وانعكاس تدبيرهم اي لا يقدر
الهتهم على نصرهم وهم اي المشركون لهم اي لالهتهم جند محضرون يشيعونهم عند
مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده
مساق النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب النهي على ما قبله
فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر
عليهم بترتيب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة
واما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فبمعزل من ذلك والنهي وان كان بحسب الظاهر
متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عليه
السلام عن التاثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه
المودية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب
ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه
والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام الهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه
بقولهم هولاء الهتنا وانهم شركاء الله سبحانه في المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ
يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى انا نعلم ما
يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهي بطريق الاستيناف بعد تعليله بطريق الاشعار
فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافيه والباديه
التي لا يعزب عن علمها شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتقديم السر على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كان علمه تعالى
بما يسرون اقدم منه بما يعلنون مع استوايهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس
بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا
يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة
العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى
بحالته الثانية حقيقة اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة كلام مستانف مسوق
لبيان بطلان انكارهم البعث بعدما شاهدوا في انفسهم اوضح دلايله واعدل شواهده
كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعدما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب
التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف

على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما في نظاير في الجملة الانكاريه السابقه اي الم يتفكر
الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الى اخره او هي عين الجملة السابقة اعيدت
تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا للانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجيب لما ان المنكر هناك
عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب
في ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجيب من الاخلال
بذلك ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى
لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهميه على معنى ان المنكر
الاول بعيد قبيح والثاني ابعد واقبح ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانيه
على الاولى على انها متقدمه في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام
كما هو راي الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث
هو انسان كما في قوله تعالى اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى
فاذا هو خصيم مبين اي شديد الخصومه والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفيه داخل
في حيز الانكار والتعجيب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجا خصومتنا
في امر يشهد بصحته وتحققه مبدا فطرته شهادة بينه وايراد الجملة الاسميه للدلالة على
استقرارة في الخصومه واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف
الجمحي وابو جهل والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا
ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه
ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال
صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو
خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب
عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من
متممات شواهد صحة البعث فقوله تعالى وضرب لنا مثلا معطوف حينئذ على الجملة المنفيه
داخل في حيز الانكار والتقبيح واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائيه والمعنى
ففاجا خصومتنا وضرب لنا مثلا اي اورد في شاننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابه
والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها
وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من
الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى ونسي خلقه اي خلقنا
اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار و
التعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى قال استيناف وقع جوابا
عن سؤال نشا من حكاية ضربه المثل كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال
من يحيي العظام منكرا له اشد النكير موكدا له بقوله وهي رميم اي بالية اشد البلى بعيدة
من الحياة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيايه تعالى للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر
حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع

المنكر لكونه كالانشاء بل هو اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياؤه تعالى لها فانه
امر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس
الامر اقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء او هو اهون منه واما على الثالث
فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تانيث الرميم مع وقوعه خبر المؤنث
لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من اثبت
للعظم حيوة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر
ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن
حي حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده
الى طريقة الاستشهاد بها يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما هي لاستحالة
التغير فيها والمادة على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق
والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص
اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق
فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان
علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه للمنشآت وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتاكيد
ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل ابداعي والجاران
متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تاخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء بالنظر الى المعنى
وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منه عصيتين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما
الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فينقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله
فاذا انتم منه توقدون ممن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية
المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرا عليه اليبوسة
والبلى وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض الخ استئناف مسوق من
جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي امر عليه السلام بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم
الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي
انشاها اول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض
مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالنسبة
اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر كما
قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى بلى
جواب من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان
بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم
عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما

انما امره اي شانه اذا اراد شيئا من الاشياء ان يقول له كن اي ان يعلق به قدرته
فيكون فيحدث من غير توقف على شيء اخر اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى فيما اراده
بامر الآمر المطاع المامور المطيع في سرعة حصول المامور به من غير توقف على شيء ما وقرئ
فيكون بالنصب عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عز وعلا عما
وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شانه تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة
الى ان ما فصل من شؤونه تعالى موجبة لتنزهه وتنزيهه اكمل ايجاب والملكوت مالكية كل شيء ومالك
كل شيء واليه ترجعون لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد
ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف
خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان
قلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله تعالى له واعطي من الاجر كانما
قرا القران اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة ياسين
بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له
ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا
يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة
بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان
ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم
ان في القران سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس تم سورة يس بعون

سُورَةُ وَالصَّافَاتِ

والصافات صفا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان
المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها اي الناظمات لها
في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات
اقدامها في الصلاة وقيل اجنحتها في الهوا فالزاجرات زجرا اي الفاعلات للزجر او الزاجرات
لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة
ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع
كما سياتي وصفا وزجرا مصدران موكدان لما قبلهما اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما
ذكرا في قوله تعالى فالتاليات ذكرا فمفعول التاليات اي التاليات ذكرا عظيم
الشان من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح و
التقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر موكد لما قبله فان التلاوة من باب
الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل

اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحد منهن على
طوايف معينه فهو للدلالة على ترتب الموصوفات فى مراتب الفضل بمعنى ان طوايف الصافات
ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات
نفوس العلماء العمال الصافات انفسها فى صفوف الجماعات واقدامها فى الصلوات الزاجرات
بالمواعظ والنصايح التاليات ايات الله تعالى الدارسات شرايعه واحكامه وقيل طوايف
الغزاة الصافات انفسهم فى مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص وطوايف قوادهم
الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو فى المعارك طردا التاليات ايات
الله تعالى وذكره وتسبيحه فى تضاعيف ذلك والكلام فى العطف ودلالته على ترتب
الصفات فى الفضل او ترتب موصوفاتها فيه كالذى سلف واما الدلالة على الترتب
فى الوجود كما فى قوله يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب فغير ظاهرة فى شىء
من الطوايف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر فى الملايكة والغزاة فتاخر التلاوة
عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما
يزجر عن المعاصى والتاليات كل من يتلو كتاب الله وقيل الزجرات القوارع القرانيه وقرى
بادغام التاء فى الصاد والزاء والذال ان الهكم لواحد جواب القسم والجملة تحقيق للحق
الذى هو التوحيد بما هو المالوف فى كلامهم من التاكيد القسمى وتمهيد لما يعقبه من
البرهان الناطق به اعنى قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلايل وجود الصانع وعلمه وقدرته
واعدل شواهد وحدته كما مر فى قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان
لان او خبر لمبتدا محذوف اى مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها
ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور اثار
الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمايه وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها
وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم فى مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين
ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتا ومغرباهما انا زينا السماء الدنيا اى القربى
منكم بزينة عجيبة بديعة الكواكب بالجر بدل من زينه على ان المراد بها الاسم اى ما يزان به
لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها من بعض زينه واى زينة وقرى بالاضافة
على انها بيانيه لما ان الزينه مبهمة صادقة على كل ما يزان به فيقع الكواكب بيانا لها ويجوز
ان يراد بزينة الكواكب ما زينت به وهو ضوءها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما
بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير الزينه مصدرا فالمعنى على تقدير
اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها
الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين
فى راى العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر
متلالية فى سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رايعة ولا يقدح فى ذلك ارتكاز الثوابت

فى الفلك الثامن وما عدا القمر فى الستة المتوسطة ان ثبت ذلك وحفظا منصوب
اما بعطفه على زينه باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل
شيطان مارد اى خارج عن الطاعة برمى الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل موخر
معلل به كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى انا زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملا الاعلى
كلام مبتدا مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما
يعتريهم فى اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن
سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف
اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمنى فبقى ان لا يسمعوا ثم تحذف ان ويهدر عملها
كما فى قول من قال الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا لما ان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر
بانفراده فاما اجتماعهما فمن انكر المنكرات التى يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها
واصل يسمعون يتسمعون والملا الاعلى الملايكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة وعنه
اشراف الملايكة عليهم السلام اى لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرى يسمعون بالتخفيف
ويقذفون يرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها دحورا
علة للقذف اى للدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر موكد لهما لانهما من
واد واحد وقرى دحورا بفتح الدال اى قذفا دحورا مبالغا فى الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا
كالقبول والولوع ولهم عذاب واصب اى ولهم فى الاخرة غير ما فى الدنيا من عذاب الرجم
بالشهب عذاب شديد دايم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير الا
من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد
اختلاس كلام الملايكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفه وقرى بكسر الخاء والطاء المشددة
وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب اى تبعه ولحقه
وقرى فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء ثاقب مضىء فى الغاية كانه يثقب
الجو بضوءه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم
وانما يعود من يسلم منهم حيا طمعا فى السلامة ونيل المراد كراكب السفينه فاستفتهم
فاستخبر مشركى مكة اهم اشد خلقا اى اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا
ام من خلقنا من الملايكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب
الثواقب ومن لتغليب العقلاء وغيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك لا سيما قراءة
من قرا ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم
وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه
بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرى لازم ولاتب بل عجبت اى من قدرة الله على هذه
الخلايق العظيمه وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرى بضم
التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتى وكثرة مخلوقاتى الى حيث عجبت منها وهولاء لجهلهم يسخرون
منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افاعيله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تعالى

اما على الغرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند
استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا اي وديدنهم
المستمر انهم اذا وعظوا بشيء من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل
على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم واذا راوا اية اي معجزة تدل
على صدق القايل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم
من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا اي ما يرونه من الاية الباهرة الا سحر مبين ظاهر
سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزاينا ترابا وبعضها عظاما وتقديم
التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى
ائنا لمبعوثون اي نبعث لا نفسه لان ه ونه خطوما لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم
الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة
في ائنا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد
كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون
على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ
بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط اوآباؤنا الاولون رفع على الابتدا وخبره محذوف
عند سيبويه اي وآباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على
الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما اشركنا
ولا آباؤنا وآباؤنا ما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم
وقرئ اوآباؤنا قل تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وانتم داخرون لهم ولآبائهم
بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون
اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه فانما هي زجرة واحدة هي اما ضمير مبهم يفسره خبره
او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الخ
والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية فاذا هم قايمون
من مراقدهم احياء ينظرون يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اي
المبعوثين وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا اي هلاكنا احضر فهذا اوان
حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعايهم الويل بطريق الاستيناف اي اليوم
الذي نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون
ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملايكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل
هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى
احشروا الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل للملايكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من
مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اي اشباههم ونظراؤهم من العصاة
عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل قرناؤهم من
الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام

ونحوها زيادة في تحسرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى الاية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل
الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم اي عرفوهم طريقها
ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف كان الملايكة عليهم السلام
سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسؤولون
ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتاخير العذاب في الجملة بل
ليسالوا لكن لا عن عقايدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما
ينطق به قوله عز وجل ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم
بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتاخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب
وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد
وقعا وتاثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون
خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز
فكلهم مستسلم غير منتصر واقبل حينئذ بعضهم على بعض هم الاتباع والرؤسا او الكفرة
والقرناء يتساءلون يسال بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية تساؤلهم كانه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا
اي الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء انكم كنتم تاتوننا في الدنيا عن اليمين عن اقوى الوجوه
وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين
الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك يسمى يمينا ويتيمن بالسانح
او عن القوة والقسر فتقسروننا على الغي وهو الاوفق للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون
انهم على الحق قالوا استيناف كما سبق اي قال الرؤسا او القرناء بل لم تكونوا مؤمنين
اي لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر
عليه وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما
طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق علينا اي لزمنا وثبت علينا قول ربنا
وهو قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذايقون اي العذاب
الذي ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجية فاستجبتم لنا باختياركم
واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوايكم بتلك المرتبة
من الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية فانهم اي الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب
مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك اي مثل ذلك الفعل البديع الذي
تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما يعرب
عنه التعليل بقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله
يستكبرون عن القبول ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق
المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به
البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة

انكم بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام والاستكبار لذايقوا العذاب
الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرى بنصب العذاب على تقدير النون
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرى لذايقون العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون
اى الا جزاء ما كنتم تعملونه من السيات او الا بما كنتم تعملونه منها الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع من ضمير ذايقوا وما بينهما اعتراض جى به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان
ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون
على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا
مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب فى تجزون
لجميع المكلفين فانه ليس فى حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذايقوا العذاب الاليم لكن عباد الله
المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى اوليك اشارة اليهم للايذان بانهم
ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص فى عبادته تعالى عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون
بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى لهم اما خبر له
وقوله تعالى رزق مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدا ولهم خبر مقدم
والجملة خبر لاوليك والجملة الكبرى استيناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا بيانا
تفصيليا وقيل هى خبر للاستثناء المنقطع على انه متاول بالمبتدا وقوله تعالى معلوم
اى معلوم الخصايص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرايحة ونحوها من نعوت
الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى
فواكه اما بدل من رزق او خبر مبتدا مضمر اى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر
لان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه اى ما يوكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون
عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من
اتباع ساير الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان
وذلك اعظم المثوبات واليقها باولى الهمم وقيل مكرمون فى نيله حيث يصل اليهم بغير تعب
وسؤال كما هو شان ارزاق الدنيا وقرى مكرمون بالتشديد فى جنات النعيم اى فى
جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن فى مكرمون وقوله تعالى
يطاف عليهم اما استيناف مبنى على سؤال نشا من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من
الضمير فى متقابلين او فى احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكاس باناء فيه خمر
او بخمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما فى قول من قال وكاس شربت على لذة واخرى تداويت
منها بها من معين متعلق بمضمر هو صفة لكاس اى كاينة من شراب معين او من نهر معين
وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف
به الخمر وهو للماء لانها تجرى فى الجنة فى انهار كما يجرى الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء
لذة للشاربين صفتان ايضا لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة او لانها
تانيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدى من

خيفة الحدثان يريد به النوم لا فيها غول اى غايلة كما فى خمور الدنيا من غاله اذا افسده
واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف
ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا اخرج دمه كله افرد هذا
بالنفى مع اندراجه فيما قبله من نفى الغول عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر كانه جنس براسه
والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم ولا هم
يسكرون وقرى ينزفون بكسر الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرى
ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف بضم الزاء فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن
ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة
العين كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء
والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون معطوف على يطاف اى يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب
قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض
يتساءلون عن الفضايل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم فى الدنيا فالتعبير عنه بصيغة
الماضى للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قايل منهم فى تضاعيف محاوراتهم
انى كان لى قرين مصاحب يقول لى على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق
بالبعث انك لمن المصدقين اى بالبعث وقرى بتشديد الصاد من التصدق والاول
هو الاوفق لقوله تعالى ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون اى لمبعوثون ومجزيون
من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اى ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه
وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك
قال تصدقت به ليعوضنى الله تعالى فى الاخرة خيرا منه فقال انك لمن المصدقين بيوم
الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيا فيكون التعرض لذكر موتهم
وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتاكيد انكار الجزاء المبنى على البعث قال اى ذلك القايل
بعد ما حكى لجلسايه مقالة قرينه فى الدنيا هل انتم مطلعون اى الى اهل النار لاريكم ذلك
القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القايل هو الله تعالى او بعض الملايكة
يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من
منزلتهم قيل ان فى الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اى عليهم فراه
اى قرينه فى سواء الجحيم اى فى وسطها وقرى فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرى
مطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا
فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض
عليهم الاطلاع فقبلوا اما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه
لما شرط فى اطلاعه اطلاعهم كما هو ديدن الجلساء فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا
للملايكة وقرى مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله
هم الفاعلون الخير والامرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التاخى قال

في الدنيا م

اى القايل مخاطبا لقرينه تالله ان كدت لتردين اى لتهلكنى بالاغواء وقرى لتغوين والتاء
فيه معنى التعجب وان هى المخففه من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف واللام
فارقه اى تالله ان الشان كدت لتردينى ولولا نعمة ربى بالهداية والعصمة لكنت من
المحضرين اى ومن الذين احضروا العذاب كما احضرته انت واضرابك وقوله تعالى
افما نحن بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما
اتاح الله لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه نظم الكلام اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى بمن شانه الموت
وقرى بمايتين الا موتتنا الاولى التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحيا
للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان
اهل الجنه اول ما يدخلون الجنه لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش
املح وذبح ثم نودى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه
فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة
من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اى الامر العظيم الذى نحن فيه
لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرى لهو الرزق
العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل هذا المرام
الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيويه السريعة الانصرام المشوبة بفنون الالام
وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل
الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشئ فانتصابه على التمييز اى اذلك الرزق المعلوم الذى
حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التى حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما
يقام ويهيا من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحاليه والمعنى ان الرزق المعلوم نزل
اهل الجنه واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير فى كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة
الورق ذفرة مرة كريهة الرايحه تكون فى تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم فى الاخرة وابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا انها فى النار
قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار
ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم
منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرى نابتة فى اصل الجحيم طلعها اى حملها
الذى يخرج منها مستعار من طلع النخله لمشاركته له فى الشكل او الطلوع من الشجر قالوا اول
الثمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كانه رءوس الشياطين فى تناهى القبح والهول
وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفايق فى الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهايله
القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى
ثمره رءوس الشياطين فانهم لاكلون منها اى من الشجرة او من طلعها فالتانيث مكتسب
من المضاف اليه فمالؤن منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون
ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها على الشجرة التى ملؤا منها بطونهم بعد ما شبعوا

منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان تكون لما فى شرابهم
من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع
امعاءهم وقرى بالضم وهو اسم لما يشاب والاول مصدر سمى به ثم ان مرجعهم اى مصيرهم
وقد قرى كذلك لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم
قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى
هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم
فى الجحيم الى شجرة الزقوم فياكلون منها الى ان يمتلؤا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده
انه قرى ثم ان منقلبهم انهم الفوا اباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب
بتقليد الاباء فى الدين من غير ان يكون لهم ولا باباهم شئ يتمسك به اصلا اى وجدوهم ضالين
فى نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم على اثارهم يهرعون
من غير ان يتدبروا انهم على الحق او لا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تامل والاهراع الاسراع
الشديد كانهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على اثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة
ولقد ضل قبلهم اى قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفه وهو جواب قسم محذوف
وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين اى انبياء اولى عدد كثير وذوى شان خطير
بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمه وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق
مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا
الى الانذار ولم يرفعوا له راسا والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن
من مشاهدة اثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى عنهم المخلصون
بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اى الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل
بموجب الانذار وقرى المخلصين بكسر اللام اى الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا
نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء
عاقبة بعض المنذرين كقوم نوح وال فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم
الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام
ووجه تقديم قصة نوح على ساير القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما
فى قوله تعالى فلنعم المجيبون اى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما
دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابه
فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبريا
ونجيناه واهله من الكرب العظيم اى من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم
الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعايه رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا وقد روى انه مات كل من كان معه فى السفينه غير ابنايه وازواجهم او هم الذين
بقوا متناسلين الى يوم القيمه قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له
ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان
من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك وياجوج وماجوج وتركنا عليه فى الاخرين

من الامم سلام على نوح اى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرات سورة
انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امه وقيل ثمه
قول مقدر اى فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى فى العالمين متعلق بالجار
والمجرور ومعناه الدعاء بثبات التحية واستمرارها ابدا فى العالمين من الملايكة والثقلين
جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة
السنيه من اجابة دعايه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين
عليه الى اخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل
مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنيه التى وقعت
جزاء له عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو
رتبته وبعد منزلته فى الفضل والشرف والكاف متعلقه بما بعدها اى مثل ذلك
الجزاء الكامل نجزى الكاملين فى الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا
المومنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على
جلالة قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا الاخرين اى المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه
اجمعين وان من شيعته اى ممن شايعه فى اصول الدين لابرهيم وان اختلفت فروع
شرايعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلى او اكثرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما
من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين
وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمايه سنه
اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعه بقلب سليم
اى من افات القلوب او من العلايق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجىء به
ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اى اى شىء تعبدون ايفكا الهة دون الله تريدون
اى اتريدون الهة من دون الله افكا اى للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم
المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز ان
يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم يفسر الافك بقوله الهة من دون الله دلالة
على انها افك فى نفسها للمبالغه او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا
بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين اى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم
عبادته خاصه واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اى شىء هو من الاشياء حتى جعلتم
الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من
الاشراك به فنظر نظرة فى النجوم قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة معينه فى بعض
ساعات الليل فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة فاذا هى قد حضرت فقال انى سقيم
وكان صادقا فى ذلك فجعله عذرا فى تخلفه عن عيدهم وقيل اراد انى سقيم القلب لكفركم
وقيل نظر فى علمها او فى كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه السلام
ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به عليه السلام الى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين

فاوهمهم انه قد استدل بامارة فى علم النجوم على انه سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون
وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معيدهم
وتركوه فى بيت الاصنام وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اى مخافة العدوى
فراغ الى الهتهم اى ذهب اليها فى خفيه واصله الميل بحيله فقال للاصنام استهزاء
الا تاكلون اى من الطعام الذى كانوا يضعونه عندها للتبرك عليه مالكم لا تنطقون
اى بجوابى فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ضربا باليمين مصدر موكد
لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اى فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو
الحال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اى فراغ عليهم ضاربا باليمين اى ضربا شديدا وذلك
لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الالة تقتضى قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة
والمتانة كما فى قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اى بالقوة وعلى ذلك
مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوى الكلام ويوكده وقيل بسبب الحلف وهى قوله
وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اى المامورون باحضاره عليه السلام بعد ما
رجعوا عن عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسالوا عن الفاعل فظنوا انه
عليه السلام فعله فقيل فاتوا به يزفون حال من واو اقبلوا اى يسرعون من زفيف النعام
وقرى يزفون من ازف اذا دخل فى الزفيف او من ازفه اى حمله على الزفيف اى يزف
بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف
اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه عليه السلام
قال اى بعد ما اتوا به عليه السلام وجرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورات ما
نطق به قوله تعالى قالوا اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هولا
ينطقون اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون
حال من فاعل تعبدون موكدة للانكار والتوبيخ اى والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه
فان جوهر اصنامكم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى
اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد والاسباب وما تعملون
اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل
ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث ساير اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين
ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان
ان جميع ما يعملونه كاينا ما كان لا مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اى عملكم على انه بمعنى المفعول
وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك
قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم اى فى النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهى شدة التاجج
واللام عوض عن المضاف اليه اى جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنايهم له فى سورة الانبياء
فارادوا به كيدا فانه عليه السلام لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر
للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه
عليه السلام بجعل النار عليه بردا وسلاما وقال انى ذاهب الى ربى اى مهاجر الى حيث

امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تعالى
سيهدين اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او
لفرط توكله او للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين
اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويونسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة
على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا
اخاه هرون نبيا ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فانه صريح في ان المبشر به عين ما استوهبه
عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون
حليما واي حلم يعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تومر
ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم
بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعده اعدل بينة بذلك
والفاء في قوله تعالى فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على
شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتاخر بعد البشارة
كما مر في قوله تعالى فلما راينه اكبرنه وفي قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده اي فوهبناه له
فنشا فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوايجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي
لا بنفسه لان صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما ذكر السعي
قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه
قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يوميذ ثلاث عشرة سنة قال اي ابرهيم عليه
السلام يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اي ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه
عبارته وتاويله وقيل انه راى ليلة التروية كان قايلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك
هذا فلما اصبح ادى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمه
سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثمه سمي يوم عرفة ثم راى
مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملايكة حين بشرته بغلام حليم
قال اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان
المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذي وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده
معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده
اسمعيل عليه السلام والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله
له حفر بير زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بماية من الابل
ولذلك سنت الدية ماية ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى
احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان بشارة اسحق كان مقرونة بولادة يعقوب
منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلى الله عليه وسلم سيل اي النسب
اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرايل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم
خليل الله فالصحيح انه عليه الصلاة والسلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم

والزوايد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت و
قرئ اني بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم
ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم ليوطن
نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا تري بضم التاء
وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تومر اي تومر به فحذف الجار اولا
على القاعدة المطردة ثم حذف العايد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصاله الى
الفعل او حذفا دفعة او افعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به
امرا وقرئ ما تومر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر
الى حين الامتثال به ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله تعالى
فلما اسلما اي استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم له
واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له
ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه ومعناهما
اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى
وعن قتادة في اسلما اسلم ابرهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين صرعه على شقه
فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه
ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في
الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت
الرويا بالعزم على الاتيان بالمامور به وترتيب مقدماته وقد روي انه امر السكين بقوته
على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء
وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كان ما كان مما لا يحيط به نطاق
البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله
والتوفيق لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم
الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج
به من جوز النسخ قبل وقوع المامور به فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله تعالى افعل
ما تومر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص عن غيره
او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شيء اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل
عظيم اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله
سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس رضي الله عنه انه الكبش الذي قربه
هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل عليه السلام وقيل فدي بوعل
اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من ابرهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات
حتى اخذه فبقي سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح
ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله
والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة هو ابرهيم وانما

قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطي له والامر به على التجوز في الفدا او الاسناد وتركنا
عليه في الاخرين سلام على ابرهيم قد سلف في خاتمة قصة نوح كذلك نجزي المحسنين
ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم
تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا انه من عبادنا المومنين الراسخين في الايمان على وجه
الايقان والاطمينان وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اى مقتضيا بنبوته مقدرا كونه
من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة
فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال
فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق
نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا
مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها
حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد
النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق
وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرايل
وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرى
وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر
والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهداية والضلال
وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا على موسى وهرون
اى انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم
بنو اسرايل من الكرب العظيم وهو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بانواع الغشم
والعذاب كما في قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن
عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اى اياهما وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك
هم الغالبين عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين
تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه التنبيه وان كانت بحسب الوجود مقارنة
لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه
بدئ بها ثم بالنصر الذى يحقق مدلوله بمحض نجية المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه
ثم بالغلبة لتوفية المقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث
نعمة جليلة على حيالها واتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين اى البليغ في البيان
والتفصيل وهو التورية وهديناهما بذلك الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب
بما فيه من تفاصيل الشرايع وتفاريع الاحكام وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى
وهرون اى ابقينا فيما بين الامم الاخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل انا كذلك
الجزاء الكامل نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه انهما من عبادنا
المومنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن يسين من سبط هرون اخى
موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرى مكانه ادريس وادراس وقرى

المبس وقرى الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون اى عذاب الله تعالى
اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بكة من الشام
وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة
اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعماية سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان
يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل
الرب بلغة اليمن اى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين اى وتتركون
عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم
ورب ابائكم الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرى بالرفع على الابتداء
والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لابايهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان
آراء ابايهم ايضا فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون اى العذاب والاطلاق
للاكتفاء بالقراين على ان الاحضار المطلق مخصوصا بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين
استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في الاخرين سلام على آل ياسين هو لغة في الياس
كسيناء في سينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم
اذا جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرى باضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان
فيكون ياسين ابا الياس انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين مر تفسيره
وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اى اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا في
الغابرين اى الباقين في العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا الاخرين فان في ذلك
شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم
في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام مصبحين
داخلين في الصباح وبالليل اى ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها
المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون اتشاهدون ذلك فلا تعقلون
حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان يونس لمن المرسلين وقرى بكسر
النون اذ ابق اى هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن
ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اى المملو فساهم فقارع اهله فكان من
المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه عليه السلام
لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت
فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى نفسه في الماء
فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه
او مليم نفسه وقرى مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى
كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان كثير الصلاة في الرخاء للبث في
بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه
في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما

يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينه رافعا راسه يتنفس فيه يونس
عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ
فاسلموا وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل
اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعه وقيل ثلاثه وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من
بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه روى عطاء انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت
انى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه
كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اى فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو
كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من
قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا
يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال
اجل هي شجرة اخي يونس عليه السلام وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل
باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب
من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد
به ارساله السابق اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة
وكان توسيط تذكير وقت هربه عليه السلام الى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه
وهو ما جرى بينه عليه السلام وبين انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت
حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم
ان ايمانهم الذى سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان
عليه بالفاء بعدما اللتيا والتي وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر
او يزيدون اى في مراى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون
والمراد هو الوصف بالكثرة وقرى بالواو فآمنوا اى بعد ما شاهدوا علايم حلول
العذاب ايمانا خالصا فمتعناهم اى بالحياة الدنيا الى حين قدره الله سبحانه لهم وقيل
ولعل عدم ختم هذه القصه وقصة لوط بما ختم به ساير القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب
الشرايع واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر
السورة فاستفتهم امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله عليه السلام
بتبكيت قريش وابطال مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة
الناطقة بتحققه لا محاله وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب و
استثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر
الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم
على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالاخلاص
واخرى بالايمان ثم امره عليه السلام ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر
خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد
الزايغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح الملايكة

قومه من حر

بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اوليك الرسل الذين هم اعلام الخلق
عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يوكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد
ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملايكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم
المنطوى على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم
ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك اى فاستخبرهم الربك البنات
اللاتي هن اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من
له ادنى شئ من العقل وقوله تعالى ام خلقنا الملايكة اناثا اضراب وانتقال من التبكيت
بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما اشير اليه اى بل اخلقنا الملايكة الذين هم من
اشرف الخلايق وابعدهم من صفات الاجسام ورذايل الطبايع اناثا والانوثة من اخس
صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى
اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان
امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل
مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القايل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل
خلقنا اى بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا اى بل اهم شاهدون
وقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله استيناف من جهته غير داخل تحت الامر
بالاستفتاء مسوق لابطال اصل مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح و
الافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم لكاذبون في قولهم ذلك كذبا
بينا لا ريب فيه وقرى ولد الله على انه خبر مبتدا محذوف اى الملايكة ولده تعالى عن ذلك
علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى المفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث
اصطفى البنات على البنين اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر
بين الاستحاله هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشئ لنفسه
وقرى بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقه بدلالة القران عليه وجعله بدلا من
ولد الله ضعيف وتقدير القول اى لكاذبون في قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد ما لكم
كيف تحكمون بهذا الحكم الذى يقضى ببطلانه بديهة العقول افلا تذكرون بحذف احدى
التائين من تتذكرون وقرى تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اى الا تلاحظون
ذلك فلا تذكرون بطلانه فانه مركوز في عقل كل ذكى وغبى ام لكم سلطان مبين اضراب
وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود اصلا
اى بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملايكة بناته تعالى ضرورة ان الحكم بذلك
لا بد له من سند حسى او عقلى وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلى فاتوا بكتابكم الناطق
بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها وفي هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار
الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم
وافهامهم مع استهزائهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تامل فيها وقوله تعالى وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبه للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن

درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى جنابا بانهم لاخرين والمراد بالجنة الملايكه
قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن ظهر منهم
ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع
عظم شانهم فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبه التى اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة
عن قولهم الملايكه بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ولقد علمت
الجنة انهم لمحضرون اى وبالله لقد علمت الجنة التى عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى
نسبا وهم الملايكه ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترايهم فى قولهم ذلك
والمراد به المبالغه فى التكذيب ببيان ان الذين يدعى هولاء لهم تلك النسبه ويعلمون انهم
اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم فى ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما موكدا
وقيل ان قوما من الزنادقه يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس
هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازى
وهذا القول عندى اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القايلين بيزدان واهرمن
وقال مجاهد قالت قريش الملايكه بنات الله فقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه فمن
امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا
بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن فى استحقاق العبادة وعلى هذه الاقاويل يجوز
ان يكون الضمير فى انهم لمحضرون للجنه فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم
النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى او شركاء فى استحقاق العباده لما عذبهم
والوجه هو الاول فان قوله سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه الملايكه اياه تعالى
عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم فى ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله
الا عباد الله المخلصين شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنه
لتبريهم منه بحكم اندراجهم فى زمرة المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع
من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملايكه ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا
سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم براء من ذلك الوصف
وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما
ذكر ببيان عجزهم عن اغوايهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتنا بتحقيق
مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبروهم
عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافيه وانتم خطاب لهم ولمعبودهم تغليبا
وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته اى افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم
ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم الا من هو صال الجحيم
منهم اى داخلها العلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محاله واما
المخلصون منهم فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم براء من ان يفتتنوا بكم ويسلكوا
مسلككم فى وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرى صال بضم اللام على انه جمع محمول على معنى من
فسقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم تبيين لجلية

امرهم وتعيين لحيزهم فى موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه
الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شانهم وقمائتهم اى وما منا
احد الا له مقام معلوم فى العبادة والانتهاء الى امر الله عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه
ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روى
فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه قال ابن عباس رضى الله عنهما ما فى
السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى او يسبح وروى انه قال عليه السلام اطت
السماء وحق لها ان تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك
واضع جبهته ساجد لله وقال السدى الا له مقام معلوم فى القربة والمشاهده
وانا لنحن الصافون فى مواقف الطاعة ومواطن الخدمه وانا لنحن المسبحون المقدسون لله
تعالى عن كل ما لا يليق بجناب كبريايه وتحلية كلامهم بفنون التاكيد لابراز صدوره
عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذى يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر فى تفسير
الايات الكريمه واعرابها وجوه اخر فتامل والله الموفق وان كانوا ليقولون ان هى
المخففه من الثقيله وضمير الشان محذوف واللام هى الفارقة اى ان الشان كانت
قريش تقول لو ان عندنا ذكرا من الاولين اى كتابا من كتب الاولين من التورية والانجيل
لكنا عباد الله المخلصين اى لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا
كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم والفاء فى قوله تعالى فكفروا به
فصيحة كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فجاءهم ذكر واى ذكر سيد
الاذكار وكتاب مهيمن على ساير الكتب والاسفار فكفروا به فسوف يعلمون اى عاقبة
كفرهم وغايلته ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استيناف مقرر للوعيد
وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اى وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة
والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين لهم
الغالبون على اعدايهم فى الدنيا والاخرة ولا يقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض
المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب
من الابتلاء والمحنه والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنه ان لم ينصروا فى الدنيا
نصروا فى الاخرة وقرى على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها
كلمات لانتظامها فى معنى واحد وقرى كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى
حين الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم
على اسوء حال وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بابصارهم الايذان بغاية
قربه كانه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون
التبعيد افبعذابنا يستعجلون روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل
فاذا نزل بساحتهم اى فاذا نزل العذاب الموعود بفنايهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ
بفنايهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح وقرى نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرى نزل

مبنيا للمفعول من التنزيل اى نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة فى الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس رجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليه وتاكيد لوقوع الميعاد غب تاكيد مع ما فى اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثانى عذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر فى السورة الكريمه وما لم يذكر من الامور التى من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقه لاسيما فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبيه المعربة عن التربيه والتكميل والمالكيه الكليه مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التى منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشانهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فايزون بجميع المارب وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمه الثبوتيه بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبيه وايذان باستتباعهما للافعال الجميله التى من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنيه والكمالات الدينيه والدنيويه واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنه الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده عليه السلام من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المومنين على كيفيه تسبيحه تعالى وتحميده وتسليم على رسله الذين هم وسايط بينهم وبينه عز وجل فى فيضان الكمالات الدينيه والدنيويه عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمه بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جمله نعمه الموجبة للحمد عن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمه فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرى من الشرك وشهد له حافظاه انه



ص بالسكون على الوقف وقرى بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم فى موقع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرا لا فتحا كما مر فى فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرا صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو فى قراءة الكسر امر من المصاداة وهى المعارضه والمقابله ومنها الصدى الذى ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدى او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبرا لمبتدا محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرا او امرا من المصاداة فالواو فى قوله تعالى والقران ذى الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهى للعطف عليه فان اريد بالقران كله فالمغايرة بينهما حقيقيه وان اريد عين السورة فهى اعتباريه كما فى قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وايا ما كان ففى التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما فى قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظه او ذكر ما يحتاج اليه فى امر الدين من الشرايع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجه والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدى والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا او كون الماموربه واجبا او كون المقسم به حقيقا بالاعظام اى اقسم بالقران او بصاد وبه انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشان المسمى وتنبيه على عظم خطره اى انه لصادق والقران ذى الذكر او هذه السورة عظيمة الشان والقران الى اخره على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبه منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكليه انباء بينا كان فى قوله تعالى بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم فى استكبار وحمية شديدين وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابيه اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الى اخره وقرى فى غرة اى فى غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادى الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخاليه فنادوا عند نزول باسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا اى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اى فوت ونجاة من ناصه اى فاته لا من ناص بمعنى تاخر ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفى الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هى النافيه للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان وحين مناص منصوب على انه اسمها اى ولا حين مناص

لهم او بفعل مضمر اى ولا ارى حين مناص وقرى بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف
اى ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثانى مبتدا محذوف الخبر اى ولا حين مناص كاين لهم
وقرى بالكسر كما فى قوله طلبوا اصلحنا ولات اوان فاجبنا ان لاحين بقاء اما لان لات تجر
الاحيان كما ان لو تجر الضماير فى نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ
فى قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعافية وانت اذ صحيح فى انه زمان قطع منه المضاف
اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه
من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بنى الحين
لاضافته الى غير متمكن وقرى لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليه بالهاء كالاسماء
والبصريون بالتاء كالافعال وما قيل من ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام مما لا
وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم
المتفرعة على ما حكى من استكبارهم وشقاقهم اى عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل
ادون منهم فى الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال
الوقوع وانكروه اشد الانكار لانهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون وضع
فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون
فى الكفر والفسوق هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق كذاب فيما يسنده الى الله تعالى
من الارسال والانزال اجعل الالهة الها واحدا بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد
ان هذا لشئ عجاب بليغ فى العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا عليه اباءهم الذين اجمعوا
على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما ياتون وما يذرون من
امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما
جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا
يدعون ان لالهتهم علما وقدرة ومدخلا فى حدوث شئ من الاشياء حتى يلزم من نفى
الوهيتهم بقاء الاثار بلا مؤثر وقرى عجاب بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرام روى انه
لما اسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا
ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضى
بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخى هؤلاء
قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا
تسالوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم
ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم اى
وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابى طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه السلام فى الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين
كله وبيئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابى طالب من المصالحة على الوجه المذكور ان امشوا
اى قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على الهتكم اى واثبتوا على

عبادتها متحملين لما تسمعونه فى حقها من القدح وان هى المفسرة لان الانطلاق عن مجلس
التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت
المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاول اى اجتمعوا واكثروا وقرى امشوا بغير ان
على اضمار القول وقرى يمشون ان اصبروا ان هذا لشئ يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب
الامتثال به اى هذا الذى شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفى
الهتنا وابطال امرها لشئ يراد اى من جهته عليه السلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من
غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة
بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رايه بوساطة ابى طالب وشفاعته
وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة الهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه فى
حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشئ يريده الله تعالى وحكم بامضائه
وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشئ من نوائب
الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشئ يراد اى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا
عليه وقيل ان هذا الذى يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشئ يتمنى ويريده كل احد فتامل فى هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل
ما سمعنا بهذا الذى يقولونه فى الملة الاخرة اى الملة النصرانية هى اخر الملل فانهم مثلثة
او فى الملة التى ادركنا عليها اباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اى ما سمعنا
بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا فى الملة المترقبة ولقد كذبوا فى ذلك اقبح كذب
فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اى ما هذا الا
اختلاق اى كذب اختلقه اانزل عليه الذكر اى القران من بيننا ونحن رؤساء الناس
واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا
منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة
دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوى بل هم فى شك
من ذكرى اى من القران او الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر فى الادلة المؤدية
الى العلم بحقيته وليس فى عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه
تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا عذاب اى بل لم يذوقوا بعد عذابى
فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفى لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم
لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابى الموعود فى القران ولذلك
شكوا فيه ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزاين رحمته تعالى
يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها
بمقتضى رايهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل
يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اى الغالب الذى لا
يغالب الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفى اضافة اسم الرب المنبئ عن
التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه السلام من تشريفه واللطف به ما لا يخفى

وقوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اى بل الهم ملك
هذه العوالم العلويه والسفليه حتى يتكلموا فى الامور الربانيه ويتحكموا فى التدابير الالهيه
التى يستاثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا فى الاسباب جواب شرط
محذوف اى ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا فى المعارج والمناهج التى يتوصل بها الى
العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحى الى من يختارون ويستصوبون
وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب
السموات لانها اسباب الحوادث السفليه وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم
من الاحزاب اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا
تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيده للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما
وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك
القول العظيم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الى اخره استيناف
مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا
من التكذيب وفعل بهم ما فعل من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت اصله
من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة
الامر قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد
او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب
اربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى
يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد فى الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل
كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب
الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل استيناف
جئ به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اى ما كل احد من احاد اوليك
الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا
لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وايا ما
كان فالاستثناء مفرغ من اعم العام فى خبر المبتدا اى ما كل احد منهم محكوما عليه بحكم
الا محكوم عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبر عنه بانه
كذب الرسل وفى اسناد التكذيب الى الطوايف المذكورة على وجه الابهام اولا والايذان
بان كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية
ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب
عليه قوله تعالى فحق عقاب اى ثبت ووقع على كل منهم عقابى الذى كانت توجبه جناياتهم
من اصناف العقوبات المفصلة فى مواقعها واما مبتدا وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل
خبره بحذف العايد اى ان كل منهم الى اخره والجملة استيناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه
مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر
وقيل هو مبتدا وخبر والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين

وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل من انه خبر والمبتدا قوله وعاد الى اخره او قوله
وقوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وما ينظر هؤلاء شروع فى بيان
عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اضرابهم من الاحزاب الذين اخبر فيما سبق بانهم جند
حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه
قطعا وفى الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم واما جعله اشارة الى
الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر او حضورهم فى علم الله عز وجل فليس فى حيز
الاحتمال اصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور فى حق من لم
يترتب على اعماله نتايجها بعد وبعد ما بين عقاب الاحزاب واستيصالهم بالمرة لم يبق
مما اريد بيانه من عقوباتهم امر منتظر وانما الذين فى مرصد الانتظار كفار مكة حيث
ارتكبوا من عظايم الجرايم وكبار الجرائر الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاحزاب
او اشد منه ولما يلاقوا بعد شيئا من غوايلهما اى وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم
امثال اوليك الطوايف المهلكة فى الكفر والتكذيب الا صيحة واحدة هى النفخة
الثانيه لا بمعنى ان عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع
الامم برها وفاجرها بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا
هى حيث اخرت عقوبتهم الى الاخرة لما ان تعذيبهم بالاستيصال حسبما يستحقونه والنبى
صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن السنة الالهيه المبنية على الحكم الباهرة كما
نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما قيل من انها النفخة الاولى
فمما لا وجه له اصلا لما انه لا يشهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها
وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق موخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم
ما لها من فواق اى من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما
لغتان وقوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند
سماعهم بتاخير عقابهم الى الاخرة اى قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قسطنا من
العذاب الذى توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذى مبدؤه الصيحة المذكورة
والقط القطعة من الشئ من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجايزة قط لانها قطعة
من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا
منها وتصدير دعايهم بالنداء المذكور للامعان فى الاستهزاء كانهم يدعون ذلك بكمال الرغبة
والابتهال اصبر على ما يقولون من امثال هذه المقالات الباطلة واذكر لهم عبدنا
داود اى قصته تهويلا لامر المعصية فى اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبحها اجترؤا عليه من
المعاصى فانه عليه السلام مع علو شانه واختصاصه بعظايم النعم والكرامات لما الم بصغيرة
نزل عن منزلته ووبخته الملايكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد
منه ما يحكى من بكايه الدايب وغمه الواصب وندمه الدايم فما الظن بهؤلاء الكفرة الاذلين
من كل ذليل المرتكبين لاكبر الكباير المصرين على اعظم المعاصى او تذكر قصته عليه السلام

وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة
ذا الايد اى ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد بمعنى واياد كل شئ ما يتقوى به
انه اواب رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد به
القوة فى الدين فانه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا
سخرنا الجبال معه استئناف مسوق لتعليل قوته فى الدين واوابيته الى مرضاته
تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثارها على اللام لما اشير اليه فى سورة الانبياء من ان تسخير
الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلى فيها اليه عليه السلام كتسخير
الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به فى
عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو اقرب بالنسبة الى ما فى سورة الانبياء
يسبحن اى يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له او لخلق الله تعالى فيها الكلام او بلسان
الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة
على تجدد التسبيح حالا بعد حال او استئناف مبين لكيفية التسخير بالعشى والاشراق
اى وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضيئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى الا
بهذا الاثر والطير عطف على الجبال محشورة حال من الطير والعامل سخرنا اى وسخرنا
الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضى الله عنه كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح
واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرى والطير محشورة بالرفع على الابتداء
والخبرية كل له اواب استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من
تسبيح الطير اى كل واحد من الجبال والطير لتسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع
المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع
واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة
التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل اى كل من داود والجبال والطير لله اواب
اى مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرى
بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل على
آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه فى المنام ان اقتل المدعى عليه فتأخر فاعيد
الوحى فى اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم يواخذنى بهذا الذنب ولكن بانى
قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فقتله
فهابوه وعظمت هيبته فى القلوب واتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل
وقيل الزبور وعلم الشرايع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب اى فصل الخصام
بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعى
فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف
والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلاة وقيل
هو الخطاب الفصل الذى ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء فى نعت كلام النبوة فصل
لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبأ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع

ما فى

ما فى حيزه لا يذانه بانه من الانباء البديعة التى حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم
فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف ومعنى خصمان فريقان
اذ تسوروا المحراب اى تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه
اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا
او بالنبأ على ان المراد به الواقع فى عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه على حذف
مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول
عليه السلام لم يكن حينئذ وقوله تعالى اذ دخلوا على داود بدل مما قبله او ظرف لتسوروا
ففزع منهم روى انه تعالى بعث اليه ملكين فى صورة الانسانين قيل هما جبريل وميكائيل
عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه
المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا
عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفى غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس
ان داود جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه
ويوما للوعظ والتذكير قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام
كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه عليه السلام فقيل قالوا ازالة لفزعه
لا تخف خصمان اى نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على
بعض هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا ولا تشطط اى لا تجر فى
الحكومة وقرى ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق وقرى ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى
الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق واهدنا الى سواء الصراط الى وسط طريق الحق زجر
الباغى عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل ان هذا اخى استئناف لبيان
ما فيه الخصومة اى اخى فى الدين او فى الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل
به صاحبه له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضان وقد يكنى بها عن
المراة والكناية والتعريض ابلغ فى المقصود وقرى تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر
النون وقرى ولى نعجة بكسر الياء فقال اكفلنيها اى ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها
كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى فى الخطاب اى غلبنى فى مخاطبته
اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المراة
وخطبها هو فخاطبنى خطابا اى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرى وعازنى
اى غالبنى وعزنى بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام
المبالغة فى انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه فى نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها
ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق
المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى
الاضافة والضم وان كثيرا من الخلطاء اى الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغى ليتعدى
وقرى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسر بعضهم على بعض

غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحامون عن البغى
والعدوان وقليل ماهم اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة
اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستعار للعلم الاستدلالى لما بينهما من المشابهة
الظاهرة اى علم بما جرى فى مجلس الحكومه وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك
ثم صعد الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص
الفتنة به عليه السلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول
بالقياس الى مفعول اخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات
الفعل وقيوده باعتبار النفى فيه والاثبات فيها كما فى مثل قولك انما ضربت زيدا وانما
ضربته تاديبا بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل
بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفى والاثبات معا فى خصوصية الفعل
فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفى فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما
يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصه ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق
هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره فى الحقيقه فان معنى
نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الاعطاء والمنع
فمورد القصر فى الحقيقه ما يتعلق بالفعل باعتبار النفى فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى
وعلم داود انما فعلنا به الفتنه لا غير قيل ابتليناه بامراة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومه
هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ فى التوبيخ فان التامل فيه اذا اداه
الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع فى نفسه واعظم تاثيرا فى قلبه وادعى الى التنبه للخطا
مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهره والاشعار بانه امر يستحيى من
التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه السلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم
وتنبيهه عليه السلام على ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر
عنه ذنب وخر راكعا اى ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا
اى مصليا كانه احرم بركعتى الاستغفار واناب اى رجع الى الله تعالى بالتوبه واصل
القصة ان داود عليه السلام راى امراة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فساله
ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهى ام سليمان عليه السلام وكان ذلك
جايزا فى شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروة حيث كان يسال بعضهم بعضا
ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار فى صدر الاسلام يواسون
المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته
وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغى له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسال
رجلا ليس له الا امراة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسايه بل كان يجب عليه ان
يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل خطبها
ثم خطبها داود عليه السلام فاثر عليه السلام اهلها فكان ذنبه عليه السلام ان
خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه واغلق

بابه وجعل يصلى ويقرا الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان فى صورة حمامة من
ذهب فمد يده لياخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت فى كوة
فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امراة اوريا وهو من غزاة
البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه
على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله تعالى على يديه
او يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه
خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امراته فافك مبتدع مكروه ومكر
مخترع بيسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا
لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام
على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء عليهم السلام
هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه
فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم فهم بان ينتقم
منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به فاناب فغفرنا
له ذلك اى ما استغفر عنه وروى انه عليه السلام بقى ساجدا اربعين يوما وليلة
لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت منه العشب
الى راسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى فى العفو عنه
حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه
ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له
عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة وحسن ماب حسن مرجع فى الجنه يا داود
انا جعلناك خليفة فى الارض اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه
عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اى
وقلنا له او قايلين له يا داود الخ اى استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها
او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القايمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله
عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى
فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اى هوى النفس فى الحكومات
وغيرها من امور الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهى وقيل
هو مجزوم بالعطف على النهى مفتوح لالتقاء الساكنين اى فيكون الهوى او اتباعه سببا
لضلالك عن دلايله التى نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ان الذين يضلون
عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غايلته واظهار سبيل الله فى موقع الاضمار لزيادة
التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدا
وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعليه بما فيه من الاستقرار
بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا
صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه

ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا
فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم اى لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم
الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل
المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر
السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق
ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستانف مقرر
لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اى ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا
النظام البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اى خاليا عن الغاية الجليلة والحكم
الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا
اودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات
العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلايل آفاقية
وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف
بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عنها بالكلية
وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها ذلك
اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اى مظنونهم فان جحودهم بامر
البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه
عن الحكم سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتدا وخبر والفاء
لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم
للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في
قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظايره مفيد
لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يودي اليها من ظنهم وكفرهم
اى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث
والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما
في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه وآكده اى بل انجعل المومنين المصلحين
كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء
لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا منها من المومنين لكن ذلك
الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل
سافلين وقوله تعالى ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم
المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه
استحالة وهو التسوية بين اتقياء المومنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المومنين
مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين
آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمومنين انا نعطى

في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدا محذوف هو عبارة عن القرآن او
السورة وقوله تعالى انزلناه اليك صفته وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدا او صفة
لكتاب عند من يجوز تاخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرى مباركا على انه حال من
مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله ليدبروا آياته
متعلق بانزلناه اى انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار
التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفايقة والتاويلات اللايقة
وقرى ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اى انت وعلماء امتك بحذف احدى
التائين وليتذكر اولوا الالباب اى وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا
ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلايل فان الكتب
الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه ووهبنا
لداود سليمان نعم العبد وقرى نعم العبد اى سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع
كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى انه اواب اى رجاع الى الله تعالى بالتوبة
او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله لما ان الضمير المجرور في قوله تعالى اذ
عرض عليه راجع اليه عليه السلام قطعا واذ منصوب باذكر اى اذكر ما صدر عنه اذ
عرض عليه بالعشي هو من الظهر الى آخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل
ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر
والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة
في الخيل لا يكاد يتفق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي
يقف على سنبكه فهو المتخيم الجياد جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي
يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين
واقفة وجارية اى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا
خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روى انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب
الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد
يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل
عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها
فعقرها مقربا لله تعالى وبقي ما بقي فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها
ابدله الله عز وجل خيرا منها وهي الريح تجري بامره فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي
قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة
وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض
المستمر دون ابتدايه والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق
مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت
عدي تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه
والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق

الخير بما قال عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمه وقرى انى حتى توارت
بالحجاب متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار
العرض اى انبت حب الخير عن ذكر ربى واستمر ذلك حتى توارت اى غربت الشمس
تشبيها لغروبها فى مغربها بتوارى المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى
عليها وقيل الضمير للصافنات اى حتى توارت بحجاب الليل اى بظلامه ردوها على
من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم ينتبه
له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كان سائلا قال فماذا قال
سليمان فقيل قال ردوها فتامل والفاء فى قوله تعالى فطفق مسحا فصيحة مفصحة
عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اى
فردوها عليه فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اى بسوقها واعناقها
يقطعها من قولهم مسح علاوته اى ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها
حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرى بالسوق على همز الواو لضمتها كما فى ادؤر وقرى
بالسؤوق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرى بالساق اكتفاء بالواحد من الجمع
لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما
قيل فى فتنته عليه السلام ما روى مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة
تاتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم
تحمل الا امراة واحدة جائت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى
سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك
فكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم
يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزاير فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى
جراده من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا
على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها
يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره اصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج
وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له
ام ولد يقال لها امينه اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة يعطيها خاتمه وكان ملكه
فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على
كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى
امينه لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على
البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين
ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما
عبد الوثن فى بيته فانكر اصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف
الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به
وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقهما

بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمى به وهو جسم لا روح
فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال اهله لان اتخاذ
التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم لا يضره قال بدل من اناب
وتفسير له رب اغفر لى اى ما صدر عنى من الزلة وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى
لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى فانه عليه السلام لما نشا فى بيت
الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكميهما او لا ينبغى لاحد
ان يسلبه منى بعد هذه السلبه او لا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما
ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظم لا ان لا يعطى احد مثله
فيكون منافسه وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود
الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن
الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل فى الاجابه وقرى لى بفتح الياء انك
انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفره والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفره ايضا من
احكام وصف الوهابيه قطعا فسخرنا له الريح اى فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد
امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنه وقرى الرياح تجرى بامره بيان لتسخيرها له
رخاء اى لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمامور المنقاد
حيث اصاب اى حيث قصد واراد حكى الاصمعى عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب
والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين واخرين مقرنين فى
الاصفاد عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل كانه عليه السلام فصل الشياطين الى عملة
استعملهم فى الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مرده قرن بعضهم مع بعض
فى السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافه فلا ترى صلبه فيمكن تقييدها
ويقدرون على الاعمال الصعبه وقد جوز ان يكون الاقران فى الاصفاد عبارة عن كفهم
عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين
فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تعالى هذا الخ
اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شان ما اوتى من الملك وانه
مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما
فى خاتمة قصة داود عليه السلام اى وقلنا او قائلين له هذا الذى اعطيناكه من الملك
العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن
او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن فى الامر
اى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اى
هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين
وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد وان له
عندنا لزلفى فى الاخرة مع ما له من الملك العظيم فى الدنيا وحسن ماب هو الجنه قيل
فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنه وملك بعد الفتنه عشرين سنه وذكر الفقيه

ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه
في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان
فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز
بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت
المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعا وكان من حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله
تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرها والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب
عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عليه السلام بهذا العنوان لكمال
الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب عليه السلام هو ابن عيص بن اسحق عليهم السلام
اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له انى بانى مسنى الشيطان
بفتح ياء مسنى وقرى باسكانها واسقاطها بنصب اى تعب وقرى بفتح النون وبفتحتين
وبضمتين للتثقيل وعذاب اى الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون
الشدايد وهو المراد بالضر في قوله انى مسنى الضر وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به وبعبارته
والا لقيل انه مسه الخ والاسناد الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته
كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك
كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه
وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما
كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على
الكراهة والجزع فالتجا الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده
بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه السلام بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين
فاكتفى ههنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله
اركض برجلك الى اخره اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف على نادى اى
فقلنا له اركض برجلك اى اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى هذا مغتسل بارد وشراب
فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف
على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل
به وتشرب منه فيبرا ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب
ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ووهبنا له اهله معطوف على مقدر مترتب على
مقدر اخر تقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر
كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروى عن الحسن او
بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف
ما كان له قبل رحمة منا اى لرحمة عظيمة من قبلنا وذكرى لاولى الالباب ولتذكيرهم
بذلك ليصبروا على الشدايد كما صبر ويلجاوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجا ليفعل بهم ما
فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا
اى وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر

لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل
ماصر بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطات فحلف ان برى
ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش
ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر وقال فاضرب به اى بذلك الضغث
ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله هذه الرخصة رحمة عليه وعليها
لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهى باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد
من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا
فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه
لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث
كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على
الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه عليه السلام قال
في مناجاته الهى قد علمت انه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهبنى ما ملكت
يمينى ولم اكل الا ومعى يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع او عريان فكشف الله
تعالى عنه نعم العبد اى ايوب انه اواب تعليل لمدحه اى رجاع الى الله تعالى واذكر
عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرى عبدنا اما على ان ابرهيم وحده لمزيد
شرفه عطف بيان له وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعنى والباقيان عطف على عبدنا واما على
ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولى الايدى والابصار اولى القوة في الطاعة والبصيرة
في الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها
تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم
كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع تمكنهم منهما وقرى اولى الايد بطرح
الياء والاكتفاء بالكسر وقرى اولى الايادى على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل
لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اى جعلناهم خالصين لنا بخصلة
خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمى وقوله تعالى ذكرى الدار بيان للخالصة
بعد ابهامها للتفخيم اى تذكر للدار الاخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك
لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه
ولا يتسنى ذلك الا في الاخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها
ويعضد الاول قراءة من قرا بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما
الدنيا معبر وقرى باضافة خالصة الى ذكرى اى بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا
يشوبون ذكراها بهم اخر اصلا او تذكيرهم الاخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما
هو شان الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق
الذى ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين
عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع
ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر

الذى هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى
اسرائل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما فى قول من قال رايت الوليد
ابن اليزيد مباركا وقرى والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف
وقيل هو علم على القراءتين علم اعجمى دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع
او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة من بنى اسرائل من القتل فاواهم
وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلوة وكل اى وكلهم من الاخيار
المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الايات الناطقة بمحاسنهم ذكر
اى شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذى هو القران وباب منه مشتمل
على انباء الانبيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى
وان للمتقين لحسن ماب شروع فى بيان اجرهم الجزيل فى الاجل بعد بيان ذكرهم الجميل فى
العاجل وهو باب اخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون فى الحكم
دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التى هى الغاية
القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن ماب عند من يجوز تخالفهما تعريفا
وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده او بدل منه او
نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما فى
للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها
اما ضمير مقدر كما هو راى البصريين اى الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه
كما هو راى الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتدا والخبر او على انهما خبران
لمحذوف اى هى جنات عدن هى مفتحة متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة
وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استيناف لبيان حالهم فيها وقيل
هو ايضا حال مما ذكر او ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم
لمحض التفكه والتلذذ دون التغذى فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمه وعندهم
قاصرات الطرف اى على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران
ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم فى وقت
واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اى لاجله فان الحساب علته للوصول الى الجزاء
وقرى بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان والتكريم ان هذا اى
ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ماله من نفاد انقطاع ابدا
هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى وان للطاغين لشر ماب
شروع فى بيان اضداد الفريق السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اى يدخلونها
حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم
محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اى ليذوقوا هذا
فليذوقوه كقوله تعالى فاياى فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدا خبره
حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدا محذوف اى هو حميم والغساق

ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره
والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة فى المشرق لنتنت اهل المغرب ولو
قطرت قطرة فى المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى
وقرى بتخفيف السين واخر من شكله اى ومذوق اخر او عذاب اخر من مثل هذا المذوق
او العذاب فى الشدة والفظاعة وقرى واخرى ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد
ضمير شكله بتاويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق وهو راجع الى الغساق ازواج
اى اجناس وهو خبر لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار
والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين
اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم فى الكفر والضلالة والاقتحام الدخول فى
الشئ بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام
كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه اى مقولا او مقولا فى حقهم
لا مرحبا بهم اى لا اتوا مرحبا او لا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة
الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء
فى حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم
وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض فى حق الاتباع قالوا اى الاتباع عند سماعهم
ما قيل فى حقهم ووجه خطابهم للرؤساء فى قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الى اخره على الوجهين
الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خوطبوا مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق
الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الى اخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع
الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا فى قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم
اى بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك
اى انتم قدمتم العذاب او الصلى لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدى اليه من العقائد
الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها فى اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا
فبئس القرار اى فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا اى
الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بين التباين البين ذاتا وخطابا الى قالوا معرضين
عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار
كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار اى عذابا مضاعفا اى ذا ضعف
وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا اتهم ضعفين من العذاب وقيل
المراد بالضعف الحيات والافاعى وقالوا اى الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم
من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا
بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب
قالوه انكارا على انفسهم وتانيبا لها فى الاستسخار منهم ام زاغت عنهم الابصار متصل
باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم
وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين

على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعه والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم ابصارنا
كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو وعلى معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب
والانتقال الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرى اتخذناهم بغير همزه على انه صفة اخرى
رجالا فقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله تعالى ما لنا لا نرى رجالا والمعنى ما لنا لا نراهم
فى النار اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان تكون
الهمزة مقدره على هذه القراة وقرى سخريا بضم السين ان ذلك اى الذى حكى من احوالهم
لحق لابد من وقوعه البته وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدا محذوف والجملة
بيان لذلك وفى الابهام اولا والتعيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك و
قيل بدل من حق او عطف بيان له وقرى بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه
صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا
يقال بهذا غلام الرجل قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين انما انا
منذر من جهته تعالى انذركم عذابه وما من اله فى الوجود الا الله الواحد الذى لا
يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار لكل شىء سواه رب السموات والارض وما بينهما
من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها العزيز الذى لا يغلب فى امر من اموره
الغفار المبالغ فى المغفره يغفر ما يشاء لمن يشاء وفى هذه النعوت من تقرير التوحيد
والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفى القهر
والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه قل تكرير الامر للايذان
بان المقول امر جليل له شان خطير لابد من الاعتناء به امرا وائتمارا هو اى ما انبأتكم به
من انى منذر من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات
الجليله والاظهر ان القران وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به اخر السورة الكريمه
وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتاده نبأ عظيم وارد من جهته تعالى وقوله تعالى
انتم عنه معرضون استيناف ناع عليهم سوء صنيعهم ما كان لى من علم بالملأ الاعلى
الخ استيناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من انبايه على التفصيل
من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتاده فان ذلك حجة بينة دالة
على ان ذلك بطريق الوحى من عند الله وان ساير انبايه ايضا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة
وادم عليهم السلام وابليس عليه اللعنه وقوله تعالى اذ يختصمون متعلق بمحذوف
يقتضيه المقام اذ المراد نفى علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لى فيما
سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره
الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط
بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة عليهم السلام واستكبار ابليس وكفره حسبما
ينطق به الوحى فلابد من اعتبار العموم فى نفيه ايضا لا محاله وقوله تعالى ان يوحى الى الا
انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقرير الثبوت علمه عليه السلام
وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم

ملابسته عليه السلام بشىء من مباديه المعهوده تعين انه ليس الا بطريق الوحى حتما فجعل
ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفايده والمقصود اخبار
ما هو داع الى الوحى ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر فى ضمن تحقيق علمه عليه السلام
بقصة الملأ الاعلى فالقايم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عايد الى الحال المقدر وما يعمه وغيره
فالمعنى ما يوحى الى حال الملأ الاعلى او ما يوحى الى من ما يوحى من الامور الغيبية التى من جملتها
حالهم الا لانما انا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه السلام كذلك من دواعى الوحى
اليه وموجباته حتما واما ان القايم مقام الفاعل هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين
بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الى الا للانذار او ما يوحى الى الا ان انذر وابلغ ولا افرط
فى ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف فى توجيه قصر الوحى على كونه للانذار
فى الاول وقصره على الانذار فى الثانى فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا
والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتامل
والله المرشد وقرى انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع
فى تفصيل ما اجمل من الاختصام الذى هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه
تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى وليس
من ضرورة البدليه دخولها على نفس الاختصام بل يكفى اشتمال ما فى حيزها عليه فان القصه
ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبيه مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه
عليه السلام والايذان بان وحى هذا النبأ اليه تربية وتاييد له عليه السلام والكاف
وارد باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما فى قوله تعالى
قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الخ دون حال المامور والا لقيل ربى لانه داخل
فى حيز الامر انى خالق اى فيما سياتى وفيه ما ليس فى صيغه المضارع من الدلالة على
انه فاعل له تعالى البته من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اى جسما كثيفا
يلاقى ويباشر وقيل خلقا بادى البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكى
ليس هذا الاسم الذى لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن
حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد
والمسنونيه اكتفاء بما ذكر فى مواقع اخر فاذا سويته اى صورته بالصورة الانسانيه
والخلقة البشريه او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبايعه ونفخت فيه من روحى النفخ
اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما
هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اى فاذا اكملت استعداده
وافضت عليه ما يحيى به من الروح التى هى من امرى فقعوا له امر من وقع وفيه دليل على
ان المامور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اى اسقطوا له ساجدين تحية له وتكريما فسجد
الملائكة اى فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد
الا سجد اجمعون اى بطريق المعيه بحيث لم يتاخر فى ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص
لافادة هذا المعنى بالحاليه بل يفيده التاكيد ايضا وقيل اكد بتاكيدين مبالغة فى التعميم

هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الاية
الكريمه والتى فى سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعى ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما
شئ غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحه من الخلق والتسويه ونفخ الروح او على الامر التنجيزى كما
يقتضيه ما فى سورة البقره وما فى سورة الاعراف وما فى سورة بنى اسرايل وما فى سورة الكهف
وما فى سورة طه من الايات الكريمه فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل فى سورة البقره
وسورة الاعراف الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من
الملايكه موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثنى استثناء واحد منهم اولان من الملايكه
جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى استكبر على الاول استيناف مبين
لكيفيته ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتامل والتروى
وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثانى يجوز اتصاله بما قبله اى لكن ابليس استكبر
وكان من الكافرين اى وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم
فى علم الله عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى خلقته بالذات
من غير توسط اب وام والتثنيه لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعى
لاجلاله واعظامه قصدا الى تاكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار
وطرح همزة الوصل اى اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق
وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرى بحذف همزة الاستفهام
ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى قال انا خير منه ادعاء منه لشئ مستلزم لمنعه من
السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن
لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون وقوله تعالى خلقتنى من نار وخلقته
من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه السلام ولقد اخطا اللعين حيث خص
الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبا عنه قوله تعالى
ونفخت فيه من روحى وما من جهة الغايه وهو ملاك الامر ولذلك امر الملايكه بسجوده
عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة فى الارض وان له خواص
ليست لغيره قال فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفه للامر
الجليل وتعليلها بالاباطيل اى فاخرج من الجنة او من زمرة الملايكه وهو المراد بالامر
بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا
الطرد وقد بين كيفية وسوسته فى سورة البقره وقيل اخرج من الخلقه التى كنت فيها
وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح
بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى فانك رجيم تعليل للامر
بالخروج اى مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب
وان عليك لعنتى اى ابعادى عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها فى قوله تعالى
وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملايكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم
يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة الى يوم الدين اى يوم الجزاء والعقوبة

وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هى انموذج مما سيلقاه
مستمر الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما توهم ظاهر التوقيت بل على انه
سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنه وتصير كالزايل
الا يرى الى قوله تعالى فاذن موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن
بعضهم بعضا قال رب فانظرنى اى امهلنى واخرنى والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب
عليه الكلام اى اذ جعلتنى رجيما فامهلنى ولا تمتنى الى يوم يبعثون اى ادم وذريته
للجزاء بعد فنايهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوايهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت
بالكليه اذ لا موت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة
الاسميه مع التعرض لشمول ما ساله لاخرين على وجه يشعر بكون السايل تبعا لهم فى
ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع
اجابة لدعايه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتاخير
العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اى انك من جملة الذين
اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذى قدره
الله تعالى وعينه لفناء الخلايق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسو
فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المؤكد كما فى قول من قال
فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تعالى من الاهليه
القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هى لربط الاخبار بتلك الاهليه للرحمة بوقوعها هذا
وقد ترك التوقيت فى سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا
على ما ذكر ههنا وفى سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد
ان يكون له مقام تقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة
وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكيه
فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما
ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز
فقد سلف تحقيقه فى سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه قال فبعزتك الباء
للقسم والفاء لترتيب مضمون الجمله على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتنى وقوله
تعالى رب بما اغويتنى فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من
احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه
باحدهما والاخرى بالاخرى فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اى ذرية آدم بتزيين المعاصى
لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغوايه
وقرى المخلصين على صيغة الفاعل اى الذين اخلصوا قلوبهم او اعمالهم لله تعالى قال اى الله عز
وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه مبتدا محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدا ونصب
الثانى على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اى لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها اى فالحق قسمى لاملان جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تع

باقسامه به او فانا الحق او فقولي الحق وقوله تعالى لاملان الخ حينئذ جواب لقسم محذوف
اى والله لاملان الخ وقوله تعالى والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين
لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمه اعنى فقولي الحق وقريا
منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملان وما بينهما اعتراض
وقريا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول
على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التاكيد والتشديد وقرى
بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعوليه منك اى من جنسك
من الشياطين وممن تبعك في الغواية والضلال منهم من ذرية آدم اجمعين تاكيد
للكاف وما عطف عليه اى لاملانها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك
منهم لاملان جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح ان
مدار عدم المشية في قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان
بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس في ذلك شايبة الجبر فتدبر قل ما اسالكم عليه
على القران او على تبليغ ما يوحى الى من اجر دنيوى وما انا من المتكلفين اى المتصنعين بما
ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول القران ان هو اى ما هو الا ذكر من الله عز وجل
للعالمين للثقلين كافة ولتعلمن نباه اى ما انبا به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره
وانه الحق والصدق بعد حين بعد الموت او يوم القيمه او عند ظهور الاسلام وفشوه
وقيل من بقى علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا
يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى
لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير وقال ابو امامة عصمه الله من كل ذنب

سورة الزمر مكية

تنزيل الكتاب خبر لمبتدا محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة
الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عايد الى
الذكر في قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل او
خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذى هو مفعول معنى عاملها
المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول اولى في مقتضى المقام الذى هو بيان ان
السورة او القران تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره
كما يفيده الوجه الاخير وقرى تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا والزم والتعرض
لوصفى العزة والحكمة للايذان بظهور اثرهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه
من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق شروع في بيان شان المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شان المنزل

وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القران واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالا
ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشانه والباء اما متعلقة بالانزال اى بسبب الحق واثباته
واظهاره او بداعية الحق واقتضايه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من
الكتاب اى انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق والصواب اى كل ما
فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين
لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه السلام بالحق اى فاعبده تعالى
ممحضا له الدين من شوايب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما انزل اليك وقرى
برفع الدين على انه مبتدا خبره الظرف المقدم عليه لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام
والجملة استيناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى الا لله الدين الخالص
استيناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى
القراءة الاخيرة موكد لاختصاص الدين به تعالى اى الا هو الذى يجب ان يخص باخلاص الطاعة
له لانه المتفرد بصفات الالوهيه التى من جملتها الاطلاع على السراير والضماير وقوله تعالى
والذين اتخذوا من دونه اولياء الخ تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذى هو عبارة عن
التوحيد ببيان بطلان الشرك الذى هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين
ومحله الرفع على الابتدا خبره ما سياتى من الجملة المصدرة بان والاولياء عن الملايكة وعيسى
عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير
القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من
اعم العلل وزلفى مصدر موكد على غير لفظ الصدر ملاق له في المعنى اى والذين لم يخلصوا
العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قايلين ما نعبدهم لشىء من الاشياء الا ليقربونا
الى الله تعالى تقريبا ان الله يحكم بينهم اى وبين خصمايهم الذين هم المخلصون للدين وقد
حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اى
بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلايل
اى بين الخير وبينه وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذى
اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال
الموحدين الجنه والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه مساق النظم
الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العايد اليه واضمار
المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق اليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون
اولياء قايلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اى بين العبدة والمعبودين
فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعدا لاغضائه عما فيه
من التعسفات بمعزل عن السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن ما يختلف
فيه الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذلك ما بين فريقى الموحدين والمشركين
في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقى الى يوم القيمه وقرى قالوا ما نعبدهم فهو بدل
من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرى ما نعبدكم

الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء ان الله لا يهدي
اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو
كاذب كفار اي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب
فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة
والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا الخ استئناف
مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل
اندراجا اوليا اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاتخذ مما يخلق اي من
جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له
تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ
الولد منوط بالمماثلة بين المتخِذ والمتخَذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا
فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفاء
موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض
وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس
هو من اتخاذ الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض
وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على
ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال
لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه
تعالى وتاكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على
ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد واسبحه تسبيحا لائقا به على انه علم للتسبيح مقول على السنة
العباد او سبحوه تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار استئناف
مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة
الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية
الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى
عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهار لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت
الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات
كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق السموات و
الارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات الجليلة
اي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح
وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما
بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشي كل واحد
منهما الآخر كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة
او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد

وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى بيان
لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة
الا هو العزيز الغالب القادر على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار
المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من
آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس
واحدة بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان
باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي والبداية بخلق الانسان لعراقته في الدلالة
لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه
اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على
محذوف هو صفة لنفس اي من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اي من نفس
وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان
كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث
لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل
في كونها آية واجلب للتعجب من السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلا
ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج
ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام
بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعب الخلق الفايت للحصر منهما وقوله تعالى وانزل لكم
بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف
بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء
كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى هي الابل والبقر والضان
والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء
بما قدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة
المشوقة الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم استئناف مسوق لبيان
كيفية خلقهم واطوارهم المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج
والتجدد وقوله تعالى خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق
اي خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة
من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة في ظلمات ثلاث متعلق بيخلقكم وهي
ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة اليه
باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة
والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء اي ذلكم العظيم الشان الذي عددت افعاله الله وقوله
ربكم خبر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به
له الملك على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة
خبر آخر وكذا قوله تعالى لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فانى تصرفون لترتيب ما بعدها

على ما ذكر من شؤونه تعالى اى فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها
وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها
ان تكفروا به تعالى مع مشاهدة ما ذكر من فنون نعمايه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة
للايمان والشكر فان الله غني عنكم اى فاعلموا انه تعالى غنى عن ايمانكم وشكركم غير متاثر
من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر اى عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم
رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وان تشكروا يرضه لكم اى يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم
لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم
وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرى باسكان الهاء ولا تزر وازرة وزر اخرى بيان لعدم
سراية كفر الكافر الى غيره اصلا اى لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اى كنتم تعملونه في الدنيا من
اعمال الكفر والايمان اى يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا انه عليم بذات الصدور اى بمضمرات
القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة واذا مس الانسان ضر من مرض
وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من
القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان
لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اى اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد
اى جعله خايل مال من قولهم فلان خايل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول
وهو الافتخار اى جعله يخول اى يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اى نسي الضر الذى كان
يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه من قبل اى من قبل التخويل او نسي ربه الذى كان يدعو
ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى
ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا
من ان يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما ارضعت وجعل لله اندادا شركاء في العبادة
ليضل الناس بذلك عن سبيله الذى هو التوحيد وقرى ليضل بفتح الياء اى ليزداد ضلالا
او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متاخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله
تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل
ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال
وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا لذلك
الضال المضل وبيانا لحاله وماله تمتع بكفرك قليلا اى تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك
من اصحاب النار اى من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه
الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن
حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته ام من هو قانت آناء الليل الى اخره من تمام الكلام المامور
به اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة
مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا للتهديد وتهكما به انت احسن حالا ومالا ام من هو قايم
بمواجب الطاعات ودايم على اداء وظايف العبادات في ساعات الليل حالتى السراء والضراء

لا عند مساس الضر فقط كدابك حال كونه ساجدا وقايما اى جامعا بين الوصفين المحمودين
وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرى كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر
يحذر الاخرة حال اخرى على الترادف او التداخل او استيناف وقع جوابا عما نشا من حكاية
حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الاخرة
ويرجو رحمة ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها
فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب
الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل امن هو قانت الى اخره افضل ام من هو
كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوى
الذين يعلمون حقايق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون
اى ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدابك والاستفهام للتنبيه على ان كون
الاولين في اعلى معارج الخير وكون الاخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى
على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون
والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام
مستقل غير داخل في الكلام المامور به وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع
الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تاثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول
من قال عوجوا فحيوا النعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى واحجار اى انما يتعظ بهذه البينات
الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوايب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرى انما يذكر
بالادغام قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير
المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولى الالباب ايذانا بانهم هم كما
سيصرح به اى قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء
بشان المامور به فان نقل عين امر الله تعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين احسنوا
تعليل للامر او لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان
بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه
الاخلاص وهو الذى عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سيل عن الاحسان بقوله
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اى حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها
وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد
بها حينئذ الصحة والعافية وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان
في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له
في التفريط اصلا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون الخ ترغيب في التقوى المامور به وايثار
الصابرين على المتقين للايذان بانهم حايزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان



لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في
تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اى انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم
يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة
الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب اى بحيث لا
يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف
وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم
ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم
تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له
الدين اى من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله تعالى الذى هو عبارة عما امر به المؤمنون
من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون
وامرت لان اكون اول المسلمين اى وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا
والآخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول
بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضى الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها
من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان اقوم بدليل قوله تعالى
وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او من
قومى او اكون اول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه قل انى اخاف ان عصيت ربى
بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة وصف
بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهى والاهوال قل الله اعبد لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا
مخلصا له دينى من كل شوب امر عليه السلام اولا ببيان كونه مامورا بعبادة الله تعالى
واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله
بالامر على ابلغ وجه واكده اظهارا للتصلب في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم
بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم ان تعبدوه من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب
عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كى يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين
اى الكاملين في الخسران الذى هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه الذين خسروا
انفسهم واهليهم باختيارهم الكفر لهما اى اضاعوهما واتلفوهما يوم القيمة حين يدخلون
النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدى واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا
اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة
فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر
وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة
وخسروا اهليهم الذى كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وايا ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين
في الخسران بما ذكر بل بيان انهم هم اما بجعل الموصول عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا
اوليا وما في قوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين من استئناف الجملة وتصديرها بحرف

التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف
الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى
وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام
على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من ظلل والاظهر انه حال من الضمير
في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اى لهم كاينة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها
فوق بعض كاينة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اى اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل
لآخرين بل لهم ايضا عند ترديهم في دركاتها ذلك العذاب الفظيع هو الذى يخوف الله
به عباده ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا
لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والمرحمة وقرى
يا عبادى والذين اجتنبوا الطاغوت اى البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم
اللام على العين بنى للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت
والمراد به هو الشيطان ان يعبدوها بدل الاشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة
للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا
كليا لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملايكة عند حضور الموت وحين يحشرون
وبعد ذلك فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب
والانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار
اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل
فالافضل اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده من
الموصول اى اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة الذين هداهم الله للدين الحق واولئك
هم اولوا الالباب اى هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى
المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها
افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاحوال اضداد المذكورين على طريقة
الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به
التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق
عليه كلمة العذاب فانت تنقذه على انها شرطية دخل عليها الهمزة للانكار مضمونها ثم الفاء
لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفى بمضمونهما معا
اى انت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء
لتاكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير في من في النار لمزيد تشديد
الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان
اجتهاده عليه السلام في دعائهم الى الايمان سعى في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء
محذوفا وقوله تعالى افانت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما

حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد
في دعايه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه
منه ثم شدد التنكير فقيل افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر
على الانقاذ لاغير وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من
النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها
غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفا
وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم الاية وبين ان
لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علا
بعضها فوق بعض مبنيه بناء المنازل المبنية الموسسة على الارض في الرصانة والاحكا
تجري من تحتها من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله
مصدر موكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد واي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته
عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء استيناف وارد اما لتمثيل الحياة الدنيا في
سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذ
من الاغترار بزهرتها كما في نظاير قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الاية او للاستشهاد على
تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما
يترتب عليه من اثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في
الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه فادخله و
نظمه ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان
الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار اي في ينابيع ثم
يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعو
وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج
اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته فتراه مصفرا من بعد خضرته ونضرته وقرى
مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرة كان لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الاثار
القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك اشارة الى ما ذكر تفصيله وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا
عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول الخالصة عن شوايب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة
الحال يتذكرون بذلك ان حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من
حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يجزمون بان من قدر على انزال
الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا واما ما قيل
ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لابد من صانع حكيم وانه كاين عن تقدير وتدبير لا عن
تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الاية الكريمة وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الاثار الجليلة
والافعال الجميلة من غير اسناد لها الى موثر ما فحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين ان
يكون متعلق التذكير والتنبيه شونه تعالى او شون اثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله

انی

افمن شرح الله صدره للاسلام الخ استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى
باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي
هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب و
استضاءته بنوره فانه روي انه عليه السلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل
فما علامة ذلك قال عليه السلام الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب
للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب
وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اي
خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض
المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم من ربه وهو اللطف
الالهي الفايض عليه عند مشاهدة الايات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى
الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه
ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الايات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره الذي حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن
به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم او اياته اشمازوا من اجله وازدادت قلوبهم
قساوة كقوله تعالى فزادهم رجسا وقرى عن ذكر الله اي عن قبوله اولئك البعداء الموصوفون
بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال بعيد من الحق مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل
نزلت الاية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه
وابي جهل وذويه الله نزل احسن الحديث هو القران الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له عليه السلام حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس
قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن ساير الاحاديث وفي ايقاع الاسم
الجليل مبتدا وبناء نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه
وتاكيد استناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز
ما لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا
اولا فان مساغ مجي الحال من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما
لاتصافه بقوله تعالى متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه
في الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش
وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال
اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل
من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة
ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القران سور وايات ويجوز ان ينتصب على
التمييز من متشابها كما يقال رايت رجلا حسنا شمايله اي شمايله والمعنى متشابها مثانيه
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر

انه استيناف مسوق لبيان اثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير
كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه
من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الرا ليكون رباعيا ودالا على معنى زايد يقال
اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هايل دهمه بغتة والمراد اما
بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم
بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقران وقوارع اياته وعيده اصابتهم هيبة وخشية
تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة
وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اى ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته
وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اى الكتاب الذى
شرح احواله هدى الله يهدى به من يشاء ان يهديه لصرف مقدوره الى الاهتدا بتامله
فيما فى تضاعيفه من شواهد الحقيقة ودلايل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل اى يخلق
فيه الضلالة لصرف اختياره الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره
بوعيده ووعده اصلا او ومن يخذل فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك
الذى ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى يهدى بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن
يضلل اى ومن لم يوثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من موثر
فيه بشئ قط افمن يتقى بوجهه الى اخره استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين
حالى المهتدى والضال والكلام فى الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذى مر فى نظايره والتقدير
اكل الناس سواء فمن شانه ان يقى نفسه بوجهه الذى هو اشرف اعضايه سوء العذاب اى
العذاب السىء الشديد يوم القيمة ليكون بها التى بها كان يتقى المكاره والمخاوف مغلولة
الى عنقه كمن هو امن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت فى
ابى جهل وقيل للظالمين عطف على يتقى اى ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضى
للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقى باضمار قد ووضع المظهر فى مقام المضمر للتسجيل
عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر فى قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اى وبال ما كنتم
تكسبونه فى الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصى كذب الذين من قبلهم استيناف مسوق
لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوى اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب
الاخروى اى كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم
من حيث لا يشعرون من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله
الخزى اى الذل والصغار فى الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء ونحو
ذلك من فنون النكال ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون
اى لو كان من شانهم ان يعلموا شيا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس فى هذا القران
من كل مثل يحتاج اليه الناظر فى امور دينه لعلهم يتذكرون كى يتذكروا به ويتعظوا
قرانا عربيا حال موكدة من هذا على ان مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاءنى زيد رجلا
صالحا او مدح له غير ذى عوج لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص

بالمعانى وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى ضرب
الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ايراد لمثل من الامثال القرانية بعد بيان ان
الحكمة فى ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق
حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر فى سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا
مفعوله الاول اخر عن الثانى للتشويق اليه وليتصل اليه ما هو من تتمته التى هى العمدة فى
التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه فى الاصل كذلك مما لا حاجة
اليه والجملة فى حيز النصب على انه وصف لرجلا او الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع
به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه
مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه
فى مهماتهم المتباينة فى تحيره وتوزع قلبه ورجلا اى وجعل للموحد مثلا رجلا سلما اى
خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرى سلما بفتح السين وكسرها مع سكون
اللام والكل مصادر من سلم له كذا اى خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرى
سالما وسالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجرى عليه من الضر والنفع
هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوايهما ونفى له على ابلغ وجه واكده وايذان بان
ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوايهما او يتلعثم فى الحكم بتباينهما
ضرورة ان احدهما فى اعلى عليين والاخر فى اسفل سافلين وهو السر فى ابهام الفاضل والمفضول
وانتصاب مثلا على التمييز اى هل يستوى حالاهما وصفتاهما والاقتصار فى التمييز على الواحد
لبيان الجنس وقرى مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان
المراد هل يستويان فى الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل
الخ وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفى الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين
على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده
وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل
ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون
اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم
المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون فى ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرى مايت ومايتون
وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته اى انكم جميعا بصدد الموت
ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اى مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم
ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التى من جملتها ما فى تضاعيف هذه الايات واجتهدت
فى الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا فى المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام
الجارى فى الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب
على الله فانه الى اخره مسوق لبيان حال كل من طرفى الاختصام الجارى فى شان الكفر والايمان
لا غير اى اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد

٥

وكذب بالصدق اى بالامر الذى هو عين الحق ونفس الصدق وهو ماجاء به النبى صلى الله عليه
وسلم اذ جاءه اى فى اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تامل اليس فى جهنم مثوى للكافرين
اى لهولاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع
باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضماير السابقة باعتبار لفظها وللجنس الكفرة وهم داخلو
فى الحكم دخولا اوليا والذى جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد فى قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
هو عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمومنين بهم ويويده قراءة ابن مسعود
رضى الله عنه والذين جاوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج
او الفريق اوليك الموصوفون بما ذكر من المجىء بالصدق والتصديق به هم المتقون
المنعوتون بالتقوى الذى هو اجل الرغايب وقرى وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس
فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به اى بسببه لان ماجاء به من القران
معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرى صُدِّق به على البناء للمفعول لهم مايشاوون عند
ربهم بيان لما لهم فى الاخرة من حسن الماب بعد بيان مالهم فى الدنيا من محاسن الاعمال
اى لهم كل مايشاوونه من جلب المنافع ودفع المضار فى الاخرة لا فى الجنة فقط لما ان بعض ما
يشاوونه من تكفير السيات والامن من الفزع الاكبر وساير اهوال القيمة انما يقع قبل دخول
الجنة ذلك الذى ذكر من حصول كل مايشاوونه جزاء المحسنين اى الذين احسنوا اعمالهم
وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوء الذى عملوا الخ متعلق
بقوله تع لهم مايشاوون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه
غاية لثبوت مايشاوون لهم فى الاخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه
فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سياتى كان فى معنى الوعد
به كما فى قوله تعالى وعد الله فانه مصدر موكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها
غرف فانه فى معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع مايشاوونه
من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوء الذى عملوا دفعا
لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل فى
موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام مضه واضافة الاسوء والاحسن الى ما بعدهما
ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشىء الى بعضه للقصد الى
التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على
المضاف اليه المعين بخصوصه كما فى قولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان خلا ان الزيادة
المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هى فى الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام
سياتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثانى بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين
من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن
فى الاول بناء على ان تخصيص الاسوء بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام
تكفير الاسوء لتكفير السيء لكن لما لم يمكن ذلك فى الاحسن كان الاحسن نظمهما فى سلك واحد

من الاعتبار والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل فى صلة الموصول الثانى دون الاول للايذان
باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف عبده انكار ونفى لعدم
كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد ان
يتفوه بعدمها او يتلعثم فى الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم
او الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا ويويده قراءة من قرا عباده وفسر بالانبياء
عليهم السلام وكذا قراءة من قرا بكافى عباده على الاضافة ويكافى عباده على صيغة المغالبه
اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف ان يخبلك الهتنا ويصيبك معرتها العيل
اياها وفى رواية قالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود
ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه
اى الاوثان التى اتخذوها الهة من دونه تعالى والجملة استيناف وقيل حال ومن يضلل
الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا
فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او
يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى
اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذى انتقام ينتقم من اعدايه
لاوليايه واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابه
ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل وسنوح السبيل قل
تبكيتا لهم افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره اى
بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوى والسفلى هو الله عز وجل فاخبرونى ان الهتكم ان
ارادنى الله بضر هل يكشفن عنى ذلك الضر او ارادنى برحمة اى او ان ارادنى بنفع هل
هن ممسكات رحمته فيمنعنها عنى وقرى كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين
فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد فى نحورهم
حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبى الله
اى فى جميع امورى من اصابة الخير ودفع الشر روى انه عليه السلام لما سالهم سكتوا فنزل
ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التى انتم عليها من العداوة التى تمكنتم فيها فان
المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرى
على مكاناتكم انى عامل اى على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة والاشعار بان حاله
لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتاييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين
بقوله تعالى فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فان خزى اعدايه دليل غلبته عليه السلام
وقد عذبهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم اى دايم هو عذاب النار
انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فان مناط مصالحهم فى المعاش والمعاد بالحق
حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اى انما نفع به

نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها
وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اى بلاغ
الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها اى يقبضها من الابدان بان يقطع
تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم
فيمسك التى قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرئ قضى على البناء للمفعول
ورفع الموت ويرسل الاخرى اى النايمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت
المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما
لا امتداد فيه ولا كميه وما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان فى ابن ادم نفسا وروحا
بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتميز والروح هى التى بها النفس
والتحرك فتتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر ان فى ذلك
اى فيما ذكر من التوفى على الوجهين والامساك فى احدهما والارسال فى الاخر لايات عجيبه
دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون فى كيفيه تعلقها
بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكليه كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما
يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا
بعد حين الى انقضاء اجالها ام اتخذوا اى بل اتخذ قريش من دون الله من دون اذنه
شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيا ولا يعقلون الهمزة لانكار الواقع
واستقباحه والتوبيخ عليه اى قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيا من الاشيا
ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى او هى لانكار الوقوع ونفيه على ان
المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء فى شئ لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك
اظهر المحالات فالمقدر حينئذ غير ما قدر اولا وعلى اى تقدير كان فالواو للعطف على شرطيه
قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اى ايشفعون لو كانوا يملكون شيا ولو كانوا لا يملكون الخ
وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل بعد تبكيتهم وتجهيلهم
بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اى هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان
يكون المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى له ملك
السموات والارض تقرير له وتاكيد اى له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد
ان يتكلم فى امر من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه
لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده دون الهتهم
اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اى انقبضت ونفرت كما فى قوله تعالى واذا
ذكرت ربك فى القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه فرادى
او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد
بولغ فى بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلى القلب سرورا
حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلى غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل
فى اذا الاولى اشمازت وفى الثانية ما هو العامل فى اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين

من دونه فاجاوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
اى التجى اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت فى امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم فى المكابرة
والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون اى حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب
الدنيوى والاخروى وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا الخ كلام مستانف
مسوق لبيان اثار الحكم الذى استدعاه النبى صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته
اى لو ان لهم جميع ما فى الدنيا من الاموال والذخاير ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب
يوم القيمه اى لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين
مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون اى ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن فى حسابهم وهذه غاية من الوعيد
لا غاية وراءها ونظيره فى الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وبدا لهم سيات
ما كسبوا سيات اعمالهم او كسبهم حين يعرض عليهم صحايفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
اى احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده
والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حاليهم القبيحتين وما بينهما
اعتراض موكد للانكار عليهم اى انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر
الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمازوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه
نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطى جزاء قال انما
اوتيته على علم اى على علم منى بوجوه كسبه او بانى ساعطاه لما لى من الاستحقاق او على علم
من الله تعالى بى وباستحقاقى والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لما ان المراد
شيا من النعمة بل هى فتنة اى محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك
للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامه وانما هو امر مباين
له بالكليه وتانيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين
من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جمله وقرئ بالتذكير والموصول عبارة
عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندى وهم راضون به فما اغنى عنهم ما
كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيات ما كسبوا جزاء سيات
اعمالهم او اجزية ما كسبوا وتسميتها سيات لانها فى مقابلة سياتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها
والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او التبعيض اى افرطوا فى الظلم والعتو سيصيبهم
سيات ما كسبوا من الكفر والمعاصى كما اصاب اولئك والسين للتاكيد وقد اصابهم اى
اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اى فائتين اولم
يعلموا اى اقالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له
ويقدر لمن يشاء ان يقدره له من غير ان يكون لاحد مدخل ما فى ذلك حيث حبس عنهم الرزق
سبعا ثم بسطه لهم سبعا ان فى ذلك الذى ذكر لايات دالة على ان الحوادث كافة

من الله عز وجل لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم اي افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين
على ما هو عرف القران الكريم لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا
ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغير حسبما يشاء
وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى
انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما
يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم
وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة
واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على
انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي من اسباب النزول الدالة على
ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في
كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا
يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان
ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى ان الآية تدل على حصول المغفرة لكل احد من
غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل
اليكم من ربكم اي القران والمامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ
دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه لتتداركوا وتتاهبوا له ان تقول نفس اي كراهة
ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ربما يسلك
عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدل من
ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ
يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري
في جنب الله اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله في جنب وامق
له كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف
كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن
الساخرين اي المستهزئين بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت
وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي
او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة و
العمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحيرا وتحسرا او تعللا بما لا طائل تحته وقوله تع
بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما
تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لما ان تقديمه يفرق القرائن وتاخير
المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة

وهو

وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير
الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتانيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان
وصفوه بما لا يليق بشانه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل
عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو على ان الرؤية بصرية او
مفعول ثان لها على انها عرفانية اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان
والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي
اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب اي ظفر به
والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل
الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة
وقوله تع لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم
مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز
منه اي نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير وبيان لمفازتهم اي
ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية
اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز
الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس
والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر
بل بمباشرة الكاسب لاسبابهما وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء
له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة
عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن
لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته
وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سال
النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه السلام تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والاخر
والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه
الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا
بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق لجميع الاشيا
ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين
كفروا باياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس والتنزيلية التي من جملتها هاتيك
الايات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسار وراءه هذا وقد قيل هو متصل بقوله
وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي ابعد مشاهدة
هذه الايات غير الله اعبد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا
استلم بعض الهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تامرونني
اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان

ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايهذا الزاجرا احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلد
ويويده قراءة اعبد بالنصب وقرى تامرونى باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانيه
ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك اى من الرسل عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن
عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة و
الايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره
فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطية للقسم والاخريان
للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصايصهم لان الاشراك منهم اشد واقبح وان
يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
اولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد
رد لما امروه ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك
وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص وتقتضيه وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته
تعالى في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرى
بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على
غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظيمة التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى
قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل
من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة
من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير
ذات قبضة وقرى بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع
لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغايرة وقرى مطويات على انها
حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد
وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور يعني
النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض اى خروا امواتا او مغشيا عليهم
الا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانيه واخرى تحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام
قائمون من قبورهم او متوقفون وقرى بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره
والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض
بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى
الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضيف الاسم الجليل الى ضمير
الارض او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف الى الاسم الجليل ووضع
الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال
في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحايف وجيء
بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمومنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم
بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد

ووفيت كل نفس ما عملت اى جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله
وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الخ تفصيل للتوفيه وبيان لكيفيتها اى سيقوا اليها
بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في
الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو
عنه حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكي بعدها الجملة وقرى
بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم وقرى
نذر منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اى وقتكم هذا وهو
وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم
باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون قيل ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها اى مقدرا خلودكم فيها وابهام القايل لتهويل المقول فبئس
مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا اى فبئس مثواهم
جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم
النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه
في سورة الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى
دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت
مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقرى بالتشديد وجواب
اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات
كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره
والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي او طبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين
كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب
واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها
مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة
حيث نشاء اى يتبوأ كل واحد منا في اى مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات
معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين
من حول العرش اى حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم اى ينزهونه
تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانيه او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى
بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم
هو الاستغراق في شؤونه تعالى وقضي بينهم بالحق اى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم
الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين
اى على ما قضى بيننا بالحق وانزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقايلون هم المومنون ممن قضي
بينهم والملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر

لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخايفين وعن عايشة رضي الله عنها
انه عليه السلام كان يقرا كل ليلة بني اسرايل والزمر

سورة المؤمن خمس وثمانون اية

حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرى باماله الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين او نصبها باضمار اقرا ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى تنزيل الكتاب كالذى سلف في الم السجدة وقوله تعالى من الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكر هنالك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقيه على انها لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبه وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلى على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي ما يجادل في ايات الله اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطله لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا واما الذين امنوا فلا يخطر ببالهم شايبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقايقها الكليه وتوضيح مناهج الحق في مضايق الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القران كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء امقت عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والاخره فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرى برسولها لياخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذي لا اصل ولا حقيقة له اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هولاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم

فان اثار دمارهم عبرة للناظرين ولاخذن هولاء ايضا لاتحادهم في الطريقه واشتراكهم في الجريره كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاوه بالتعذيب على اوليك الامم المكذبه المتحزبه على رسلهم المجادله بالباطل لادحاض الحق به وجب ايضا على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدايه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكه وقوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل اي لانهم مستحقو اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه السلام كداب من قبلهم من الامم المهلكه فهم لساير فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكه كونهم من اصحاب النار كما وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الاخره ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلى طبقات الملايكه عليهم السلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتدا خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملايكه عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المومنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشانه الجليل ملتبسين بحمده على نعمايه التي لا تتناهى ويومنون به ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره راسا لاظهار فضيله الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعايهم للمومنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا فان المشاركة في الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقه وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظايفهم المفروضه عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنايهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى وروسهم قد احرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملايكه فان خلقا من الملايكه يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث ان الله امر جميع الملايكه ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سايرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القايمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملايكه يطوفون مهللين مكبرين ومن ورايهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورايهم مائة الف صف قد وضعوا ايمانهم على

السمايل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر ربنا على ارادة القول اى يقولون ربنا
على انه اما بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمتك
وعلمك فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومها وتقديم
الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء فى قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
اى للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم
وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد ربنا وادخلهم عطف
على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة فى الجوار جنات عدن التى وعدتهم اى وعدتهم اياها
وقرى جنة عدن ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم اى صلاحا مصححا لدخول الجنه
فى الجمله وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اى وادخلها معهم هولاء
ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثانى لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل
اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم بان
يكونوا اعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المومن الجنه فيقول اين ابى اين ولدى
اين زوجى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت اعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنه
وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعى حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار
وعليه مبنى قول من قال فايدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاولى هو الاول لان
الدعاء بالادخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى وقرى صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز
اى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة
من الامور التى من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها وقهم السيات اى العقوبات
لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص
بالاتباع او المعاصى فى الدنيا فمعنى قوله ومن تق السيات يومئذ فقد رحمته ومن تقه
المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الاخرة كانهم طلبوا لهم السبب بعد ما سالوا المسبب
وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما
مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذى لا مطمع وراءه لطامع
شروع فى بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون
اى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا فيما وقعوا
باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا اى ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤس الاشهاد
فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او
اياكم فى الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتابون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم
الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين واستحبابا لارائهم اكبر من مقتكم انفسكم
لما كنتم تدعون الى الايمان الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول
وان توسط بينهما الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل لمصدر اخر مقدر اى مقته اياكم اذ تدعون
وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين فى الاخرة واذ تدعون تعليل لما بين

الظروف من الاتساع والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم
انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم
اضرابهم مما لا داعى اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدرى الفعلين
المذكورين اى اماتتين واحياتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف
الزوايد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحياة حتما
كانه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حيوتين اثنتين على طريقة قول من قال
وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف اى لم تدع فلم يبق الا مسحت
الخ قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء اجالهم على ان
الاماتة جعل الشئ عادم الحياة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما فى قولهم سبحان من صغر
البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحياة وبالاحيائين الاحياء الاول واحياء البعث
وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحيائين ما
فى القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة
تحقق حيوة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع اثار
واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما ينطق به قولهم
فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به
اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
وهو الذى ارادوه بقولهم فهل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار يأس
منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب فى ان الذى كانوا ينكرونه ويفرعون
عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه
لينظموه فى سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة
الاولى مع كونهم معترفين بها فى الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها وكذا حال الموتة فى القبر
فان مقصدهم الاصلى هو الاعتراف بالاحيائين وانما ذكروا الاماتتين لترتيبهما عليهما
ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اى من سبيل ما كيفما كان وقوله
ذلكم الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اى ذلكم
الذى انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اى بسبب ان الشان
اذا دعى الله فى الدنيا اى عبد وحده اى منفردا كفرتم اى بتوحيده وان يشرك به تومنوا
اى بالاشراك به وتسارعوا فيه وفى ايراد اذا وصيغة الماضى فى الشرطية الاولى وان وصيغة
المضارع فى الثانيه ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك
فالحكم لله الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى الا بما تقتضيه الحكمة العلى الكبير الذى ليس كمثله شئ
فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا
يغفر للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذى
يريكم اياته الدالة على شؤنه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك
وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرى بالتخفيف من

الانزال لكم من السماء رزقا اى سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الايات
الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من اثار قدرته وجلايل نعمته الموجبة للشكر
وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار
والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الايات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها
الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه فى تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته
الكامله ونعمته الشامله الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل
من التذكر والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين اى اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص
التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المومنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى
وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاضهم اخلاصكم رفيع الدرجات خبر بعد خبر
السموات على انه صفة مشبهه اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور
وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد فى الاستعمال اى رفيع
درجات ملايكته اى معارجهم ومصاعدهم الى العرش ذو العرش اى مالكه وهما خبران
آخران لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شانه وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة
به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملايكته الى
العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضته
قدرته مما يقضى بكون علو شانه وعظم سلطانه فى غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارتين
عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى
يلقى الروح من امره فانه خبر اخر لما ذكر منبئ عن انزال الرزق الروحانى الذى هو الوحى بعد بيان
انزال الرزق الجسمانى الذى هو المطر اى ينزل الوحى الجارى من القلوب منزلة الروح من الاجساد
وقوله تعالى من امره بيان للروح الذى اريد به الوحى فانه امر بالخير او حال منه اى حال كونه
ناشيا ومبتديا من امره او صفة له على راى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى
الروح الكاين من امره او متعلق بيلقى ومن للسببيه كالباء مثل ما فى قوله تعالى مما خطيئاتهم
اى يلقى الوحى بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذى اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه
اليهم لينذر اى الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرى لتنذر على ان الفاعل هو الرسول
عليه السلام او الروح لانها قد تونث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثانى اى لينذر الناس
العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمه لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض و
او هو المفعول الثانى اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة
وقرى لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اى خارجون
من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شىء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يوميذ قاعا صفصفا
ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة
نفوسهم لا تحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرايرهم لا يخفى على الله منهم شىء استيناف
لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون فى الدنيا من الاستتار توهما باطلا
او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اى لا يخفى عليه تعالى شىء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم

الجليه والخفيه السابقه واللاحقه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع
حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفيه المستانفه
او مستانف يقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا
يكون حينئذ فقيل يقال الخ اى ينادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد
القهار وقيل المجيب هو السايل بعينه لما روى انه يجمع الله الخلايق يوم القيمة فى صعيد واحد
فى ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادى مناد لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هى حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب
التصرفات المجازيه واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهيه اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته
التى هى الحكم السوى والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب
اى تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم
بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اى سريع حسابه تماما اذ لا يشغله
تعالى شان عن شان فيحاسب الخلايق قاطبه فى اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضى الله
عنه انه تعالى اذا اخذ فى حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا
لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاقى ويوم البروز ربما يوهم
استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئا فيكون تعليلا للانذار تعالى اليوم تجزى الى اخره
فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاقى ويوم البروز وانذرهم يوم الازفة اى القيمه
سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الازفه
وهى مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما فى قوله تعالى فلولا اذا بلغت
الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقى اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الازفة فانها
ترتفع من اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت
كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها فى الظرف
وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين
او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اى انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم
ما للظالمين من حميم اى قريب مشفق ولا شفيع يطاع اى لا شفيع مشفع على معنى نفى
الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضماير ان عادت الى
الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به
يعلم خاينة الاعين النظرة الخاينة كالنظرة الثانيه الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة
الاعين على انها مصدر كالعافيه وما تخفى الصدور من الضماير والاسرار والجملة خبر آخر
مثل يلقى الروح للدلالة على انه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضى بالحق
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشىء الا وهو حق وعدل والذين يدعون
يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون بشىء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فى حقه يقضى
او لا يقضى وقرى تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير

تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض
بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا
من قبلهم اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا
اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير الفصل مع ان حقه التوسط
بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف
وآثارا في الارض مثل القلاع الحصينة والمداين المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله
متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق
اي من واق يقيهم عذاب الله ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات اي بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي
متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين اي وحجة قاهرة وهي اما عين الآيات والعطف
لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات
لانافتها افراد جبريل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب اي فيما اظهر من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب
العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا
ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي
اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه السلام
واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن
مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد
الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر
المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر
والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف
ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله
بالمرة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كان ملاؤه اذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم
ليس هذا بالذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته
ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة
بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات باهرة
وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه
وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من
الفزع الهائل وقوله وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخوف ما يخاف
اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن
عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من
التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح اليا

والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون
وقال موسى اي لقومه حين سمع بما يقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام اني
عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بان
تاكيدا واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن
الحفظ والتربية لانهما الذي يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ
به تعالى والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تاثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون
بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراءة
على الله تعالى وقرئ عت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم
لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا يكتم ايمانه اي من فرعون وملائه
اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله اي وحده
من غير روية وتامل في امره وقد جاءكم بالبينات والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي
شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا
لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال فان يك كاذبا فعليه
كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي
يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام
صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا
او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا
عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط
بعض النفوس حمامها مردود لما ان مراده بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى
البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة
لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول لتليين شكيمتهم وقد
عرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل في الارض اي ارض مصر لا يقاومكم
احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من باس الله من اخذه وعذابه ان جاءنا اي فلا تفسدوا
امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من
الملك والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء باس الله
تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه
في حق نفسه ليتاثروا بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما اريكم اي ما اشير عليكم
الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد اي الصواب
او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا
للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين
للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على

السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال الذي آمن
مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب
مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين
من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم
منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما ان المنفي فيه ارادة
ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب
الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيمة لانه ينادي فيه بعضهم
للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او تتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما
حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى
يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار
الا وجدوا املاكا صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب
يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اي منصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها
حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون
ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن
يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد
وقيل سبطه يوسف بن ابرهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات
بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده
او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان
بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف
في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في
التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار
معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون اي
بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين
آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ
وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة
بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحا اي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اي الطرق
اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى
معرفتها فاطلع الى اله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ
ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب
سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان

يرى فساد قوله عليه السلام بان اخبار من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله
اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذلك الا
لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا فيما يدعيه من الرسالة وكذلك
اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي
عنه بحال وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده
قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى
بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب
اي خسار وهلاك او على انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة
الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا اي هو وقومه وقال
الذي آمن اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام يا قوم اتبعون فيه دلالة على التكلم
عليه اهدكم سبيل الرشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما
يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي
تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد
اليها راس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الاخرة فقال
وان الاخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى في
الاخرة الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها
ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل
ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من
ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة
واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به
الاستفهام دعوتهم اياه الى النار لا دعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال
ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون
حزينا وقوله تعالى تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية
بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بشركته له تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته علم
والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا
ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما
يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران
لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما تدعونني اليه
ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي حق ووجب عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا او
عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه
اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته
وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اي التفريق والمعنى

لانقطع لبطلان الوهية الاصنام اى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويوين قولهم لا جرم
انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله اى
بالموت عطف على ان ما تدعوننى داخل فى حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اى فى الضلال
والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار اى ملازموها فستذكرون
وقرى فستذكرون اى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصايح
وافوض امرى الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فنجى من يلوذ به
من المكان فوقاه الله سيات ما مكروا شدايد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع
العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بال فرعون اى بفرعون
وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل
بطلبه المومن من قومه لما انه فر الى جبل فاتبعه طايفة لياخذوه فوجدوه يصلى والوحوش
صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل والنار النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب والنار خبر مبتدا
محذوف كان قايلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استيناف للبيان او
بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الال ولا يشترط فى الحيوان ان يكون الحايق
ذلك السوء بعينه حتى يرد ان فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل
رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى فى ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة
على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم
بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود
رضى الله عنه ان ارواحهم فى اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة
وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت
الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملايكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم
فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرى
ادخلوا من الدخول اى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون فى النار
اى واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم
روساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم فى جمع خادم او ذوى تبع اى اتباع على اضمار
المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اى دافعون عنا نصيبا الخ او
بمغنون على تضمينه معنى الحمل اى مغنون عنا حاملين نصيبا الخ او نصب على المصدرية كشيئا
فى قوله تعالى لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه فى موقع غنا فكذلك نصيبا
قال الذين استكبروا انا كل فيها اى نحن وانتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن
انفسنا وقرى كلا على التاكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ
لجعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف
المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين

العباد

العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين فى النار من الضعفاء
والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم لخزنة جهنم اى للقوام بتعذيب
اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او التفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد
دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملايكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على
الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اى مقدار يوم او فى يوم ما
من الايام على انه ظرف لا معيار شيئا من العذاب واقتصارهم فى الاستدعاء على ما ذكر
من تخفيف قدر يسير من العذاب فى مقدار قصير من الزمان دون رفعه راسا او تخفيف
قدر كثير منه فى زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس فى حيز الامكان ولا يكاد يدخل
تحت امانيهم قالوا اى الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اى الم تنبهوا على هذا ولم
تك تاتيكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه
من الكفر والمعاصى كما فى قوله تعالى الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب
الاجابة قالوا بلى اى اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شىء ان انتم الا فى ضلال كبير والفاء فى قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة
كما فى قول من قال فقد جئنا خراسانا اى اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل
ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عراءه عن بيان
ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفاء ربما يوهم ان الاذن فى حيز الامكان وانهم لو اذن لهم
فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم فى الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما
صرحوا به فى قولهم وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى ضياع وبطلان وقوله تعالى انا
لننصر رسلنا والذين امنوا الى اخره كلام مستانف مسوق من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب
الكفرة من العذاب المحكى من فروع حكم كلى تقتضيه الحكمة وهو ان شاننا المستمر انا ننصر رسلنا
واتباعهم فى الحياة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال والقتل والسبى
وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح فى ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة
انما هى بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اى يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار
بكيفية النصرة وانها تكون عند جمع الاولين والاخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى
الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة
لانها باطلة وقرى لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اى البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اى جهنم
ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرايع واورثنا بنى
اسرايل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا
ومذكرا لاولى الالباب لذوى العقول السليمة العاملين بما فى تضاعيفه فاصبر
على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله اى وعده الذى ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك
او جميع مواعيده التى من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى

وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى
كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي ودم
على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة
وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر
ان الذين يجادلون في ايات الله ويجحدون بها بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته تعالى
وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في امر الدين لا بد من استناده
الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى
ان في صدورهم الا كبر خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او
الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق والارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا
حسبما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها موقع جدال ما او ان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا للمجادلة في
الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما
ارادوه من الرياسة او النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور
في التورية بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في اخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر
وتسير معه الانهار وهو اية من ايات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك
كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه
رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله
تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لقصورهم في النظر والتامل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير اي الغافل
والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال
اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتاكيد النفي
لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني
عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة
والتمثيل قليلا ما يتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ
على الغيبة والضمير للناس او الكفار ان الساعة لاتية لا ريب فيها اي في مجيئها لوضوح شواهدها
واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم
على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني استجب لكم اي اثبكم لقوله تعالى
ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء
بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة
الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف الحركات وهدوء الحواس
لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا اي مبصرا

فيه او به ان الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم
المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار
مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون
لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي
وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله
يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل من يجحد باياته
تعالى اي اية كانت لا افكا اخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء
بناء بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى
وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان
الاحسان عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة
متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم
من الطيبات اي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران
لذلكم فتبارك الله اي تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته
مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه انا لانعدم
بالكلية هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود
يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجب به تعالى
مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك
عن ابن عباس رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل
اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والايات
او من الايات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الايات التنزيلية مفسرات
للايات التكوينية الافاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب العالمين اي بان انقاد له
واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق ادم عليه السلام منه حسبما
مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني ثم من علقة
ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا والافراد لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا
اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا
شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا
ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل
الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا
اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكي تعقلوا ما
في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي الاموات ويميت الاحياء او الذي يفعل الاحياء
والاماتة فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شيء
من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير

لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومامور والفاء الاولى للدلالة
على ان ما بعدها من نتايج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين
يجادلون في ايات الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة وآرايهم الركيكة وتمهيد
لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القران وبساير الكتب والشرايع وترتيب الوعيد على ذلك
كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى
فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود وهو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اى انظر الى هولاء المكابرين
المجادلين في اياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون
عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى
الذين كذبوا بالكتاب اى بكل القران او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في
محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او في حيز النصب والرفع على الذم وانما وصل الموصول
الثاني بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة
الماضي للدلالة على تحقق المجادلة وتكررها وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب او مطلق الوحى
والشرايع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته
اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضى لتيقنه والسلاسل
عطف على الاغلال والجار في نية التاخير وقيل مبتدا حذف خبره لدلالة خبر الاول عليه وقيل
قوله تعالى يسحبون بحذف العايد اى يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن في الظرف
وقيل استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك
فقيل يسحبون في الحميم وقرى والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف
الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم في معنى
اعناقهم في الاغلال واضمار للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون اى يحرقون من سجر
التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه يسجر بالحب اى يملى والمراد بيان انهم يعذبون
بالوان العذاب وينقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا
ضلوا عنا اى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا
وذلك قبل ان يقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيا
اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيا يعتد به كقولك
حسبته شيا فلم يكن كذلك اى مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون
الى شى ينفعهم في الاخرة او كما ضل عنهم الهتهم يضلهم عن الهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا
ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض اى تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك
والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والاشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ
ادخلوا ابواب جهنم اى ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها
فبئس مثوى المتكبرين اى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود
فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كاين لا محالة فاما نرينك
اى فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها

بعض الذى نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا يرجعون يوم القيمة
فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان
يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب
وافظعه كما ينبى عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة
واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة الاف من بنى اسرايل
واربعة الاف من ساير الناس وما كان لرسول اى وما صح وما استقام لرسول منهم
ان ياتى باية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم
حسبما اقتضته مشيته المبنية على الحكم البالغة كساير القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها
والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة قضى بالحق
بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اى وقت مجى امر الله اسم
مكان استعير للزمان المبطلون اى المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون
المقترحون دخولا اوليا الله الذى جعل لكم الانعام قيل هى الابل خاصة اى خلقها لاجلكم
ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تاكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن
لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اى تعلقهما بها وقيل للتبعيض اى لتركبوا
بعضها وتاكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز
تعلقه بما تعلق به الاخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية
لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل
كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد
وعليها وعلى الفلك تحملون اى المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله
عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفاين
البر وقيل هى الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا
به يجوز تعلقه بكل منها ولا على ان كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق
به الاخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع
تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم اياته دلايله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته
فاى ايات الله اى فاى اية من تلك الايات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث
لا يكاد يجترى على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاى واضافة الايات الى الاسم الجليل
لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكيره اى هو الشايع المستفيض والتانيث قليل لان التفرقة
بين المذكر والمونث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهو في اى اغرب لابهامه
افلم يسيروا اى اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ استيناف مسوق لبيان مبادى
احوالهم وعواقبها واثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هى
اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او

اواستفهاميه منصوبه باغنى والثانيه موصوله او مصدريه مرفوعه اى لم يغن عنهم اواى
شئ اغنى عنهم مكسوبهم اوكسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات وبالايات الواضحه
فرحوا بما عندهم من العلم اى اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقايد الزايغه والشبه
الداحضه وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبايع والتنجيم والصنايع ونحو ذلك او هو علم الانبياء
الذى اظهره رسلهم على معنى ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادى جهلهم وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المودى الى حسن العاقبه وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا
امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا
باسنا اى عند رويتهم عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم
يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم
ان ذلك يغنى عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجه وان كان
عكس الغرض ونقيض المطلوب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ والثانيه تفسير وتفصيل لما ابهم
واجمل من عدم الاغناء وقد كثر فى الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على ان التفسير بعد الابهام
والتفصيل بعد الاجمال والثالثه لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه
لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا
ثم لما راوا باسنا امنوا والرابعة للعطف على امنوا كانه قيل فامنوا فلم ينفعهم لان النافع هو
الايمان الاختيارى سنة الله التى قد خلت فى عباده اى سن الله تعالى ذلك سنة ماضية
فى العباد وهو من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اى وقت رؤيتهم الباس على انه
اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف انفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة المومن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مومن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة اربع وخمسون آية

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدا محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدا خبره
تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدا محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وهو
من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او
خبر اخر او تنزيل مبتدا لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر اخر
او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية
واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فصلت اياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل فى اساليب مختلفه ومعان
متغايره من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اى فرقت بين
الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعانى من قولك فصل من البلد

فصولا

فصولا قرانا عربيا نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفه او من اياته لقوم
يعلمون اى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقه
بمحذوف هو صفة اخرى لقرانا اى كاينا لقوم الخ او بتنزيل على ان من الرحمن الرحيم ليست صفة
له او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرانا اى بشيرا لاهل الطاعه ونذيرا لاهل
المعصيه او حالان من كتاب او من اياته وقريا بالرفع على الوصفيه لكتاب او الخبريه لمحذوف
فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتامل حتى يفهموا جلالة
قدره فيؤمنوا به وقالوا اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان
والعمل بما فى القران قلوبنا فى اكنة اى اغطية متكاثفه مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر
اى صمم واصله الثقل وقرى بالكسر وقرى بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا
عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة
المتوسطه ولم يبق ثمه فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج
اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام فاعمل
اى على دينك وقيل فى ابطال امرنا اننا عاملون اى على ديننا وقيل فى ابطال امرك والاول
هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد تلقين للجواب عنه
اى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان
كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مامور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا
بالتوحيد بخطاب جامع بينى وبينكم فان الخطاب فى الهكم محكى منتظم للكل لا انه خطاب
منه عليه السلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه
ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل
وقد يدل عليهما دلايل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم
وقد اوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وانا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى
فتامل والفاء فى قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحى
فان ذلك موجب لاستقامتكم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص فى الاعمال واستغفروه
مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك
اثر ترغيبهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكاة لزيادة التحذير و
التخويف عن منع الزكاة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة حيث قيل
وهم بالاخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية
والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنه انه
فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون
انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك
ومقاتل لا ينفقون فى الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين امنوا و
عملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اى لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من مننت
الحبل قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا

يجعلون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتاكيد الانكار وتقديم
الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التاكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر
العقلاء وقوعه فيحتاج الى التاكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذى خلق الارض فى
يومين لتفخيم شانه تعالى واستعظام كفرهم به اى بالعظيم الشان الذى قدر وجودها اى حكم
بانها ستوجد فى مقدار يومين او فى نوبتين على ان ما يوجد فى كل نوبة يوجد باسرع ما يكون
والا فاليوم الحقيقى انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها
وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل فى حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار
ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اى وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن
ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى العظمة وافراد الكاف
لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدا خبره ما بعده اى ذلك العظيم
الشان الذى فعل ما ذكر رب العالمين اى خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض
خاصة فكيف يتصور ان يكون اخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسى
عطف على خلق داخل فى حكم الصلة والجعل ابداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين
خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له
والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه من
التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف فى تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له
ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اى خلقها وجعل الخ وقيل هو
كلام مستانف وايا ما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها
متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسى اى كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها
معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها
اى قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التى من جملتها الحيوان واصناف النبات
التى منها معايشهم وقدر فيها اقواتها اى حكم بالفعل بان يوجد فيما سياتى لاهلها من
الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها
اقواتها فى اربعة ايام متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اى قدر حصولها فى
يومين وانما قيل فى اربعة ايام اى تتمة اربعة تصريحا بالفذلكة سواء مصدر موكد لمضمر
هو صفة لايام اى استوت سواء اى استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير
فى اقواتها او فى فيها وقرئ بالرفع اى هى سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا
الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها اقواتها لاجل السائلين
اى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى الى السماء شروع فى
بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض
واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادى معايشهم قبل خلقهم مما
يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوى الى

غيره وهى دخان اى امر ظلمانى عبر به عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها
او دخان مرتفع من الماء كما سياتى وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه
اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى فقال لها وللارض اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما
فيها كانه قيل فقال لها وللارض التى قدر وجودها ووجود ما فيها ائتيا اى كونا واحدثا
على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما
تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك امر ومامور كما فى قوله
تعالى كن وقوله تعالى طوعا او كرها تمثيل لتحتم تاثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما
من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال اى طائعتين او كارهتين
وقوله تعالى قالتا اتينا طائعين اى منقادين تمثيل لكمال تاثرهما بالذات عن القدرة
الربانية وحصولهما كما امرتا وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة
البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما
فى معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات
تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مترتب على تكوينهما
اى خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او
مبهم وسبع سموات حال على الاول تمييز على الثانى فى يومين فى وقت مقدر بيومين وقد
بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل فى ستة
ايام حسبما نص عليه فى مواقع من التنزيل واوحى فى كل سماء امرها عطف على قضاهن اى خلق
فى كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة
والسدى فالوحى عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او
اوحى الى اهل كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد
المذكور وايا ما كان فعلى ما قرر من التفصيل الادلة فى الاية الكريمة على الترتيب بين ايجاد
الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما
عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهى وما فى سورة البقرة من قوله تعالى
هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على
تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد
روى ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث فى الماء
اضطرابا فازبد فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد
ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن
يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق ادم عليه السلام فى اخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها
القيمة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها موخر عنه
لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله من انه تعالى خلق الارض
فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه
السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا

ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاءها واحداثها
بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ايتيا
على ما ينبغي ان تاتيا عليه ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وايتي يا سماء مقببة سقفا
لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة
وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى تاتي ما ذكر بل خلق ما
فيها ايضا من الامور المتاخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر
بالاتيان على تكونهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا
على ذلك التكون وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكون السماء على
الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكون الارض على الوجه المذكور قبل ذلك
وان يجعل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبة بمضمر قد حذف على شريطة
التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها
لا الى نفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على
انه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر
واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روي عن الحسن رضي الله عنه نصا في تاخر دحو الارض
عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في
ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل رحمه الله ان خلق السماء مقدم على
ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر باتيانهما حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق
والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق
الارض على خلق السماء وهذا كله على تقدير كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير كونها للتراخي
الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك
بني الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الاية وانما لم يحمل الخلق هنا
على معنى التقدير كما حمل عليه هناك لان التوفية مقام الامتنان حقه وزينا السماء الدنيا بمصابيح
من الكواكب فانها كلها ترى متلالئة عليها كانها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد
العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر موكد لفعل معطوف على زينا اي وحفظناها
من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة
وحفظا ذلك الذي ذكر تفاصيله تقدير العزيز العليم المبالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا
متصل بقوله تعالى قل أئنكم الخ اي فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى
الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان فقل لهم انذرتكم اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة
على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر صاعقة اي عذابا هائلا شديد الوقع كانه صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق
يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل
حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما
جعله صفة لصاعقة عاد اي الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته

من بين ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او
من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما
سيحيق بهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون
والمتاخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء انفسهم فان هودا وصالحا
كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء
من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل قد جاءوهم وخاطبوهم بقوله تعالى الا تعبدوا الا
الله اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة قالوا لو شاء ربنا
اي ارسال الرسل لا انزال الملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما ارادوه من نفي رسالة البشر
وقد مر فيما سلف لانزل ملائكة اي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل
فانا بما ارسلتم به اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون لما انكم بشر مثلنا من غير فضل
لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا
عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت
الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم
انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة
عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من اي بنات
قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد
وثمود امسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذ ورجع الى اهله ولم
يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة
ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله
ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم
ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد
فاستكبروا في الارض شروع في حكاية ما يخص بكل واحدة من الفريقين من الجناية والعذاب
اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا فيها واستولوا
على اهلها بغير الحق اي بغير استحقاق للتعظم والولاية وقالوا من اشد منا قوة مدلين بشدة قوتهم
حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل
كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده اولم يروا اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما
جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اي قدرة فانه تعالى
قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر
على كل قوي وقادر وانما اورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم
التفرد في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على الرسل يجحدون
اي ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما
بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي باردة تهلك وتحرق

بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من
الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون
على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن اخر شوال من الاربعا
الى الاربعا وما عذب قوم الا في يوم الاربعا لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف العذاب الى الخزي الذي
هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى
وهو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع
العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الايات
التكوينية وارسال الرسل وانزال الايات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر
تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره
ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة على
الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب وقارعة العذاب والهون
الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة
ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع في
بيان عقوبتهم الاجلة اثر بيان عقوبتهم العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله لذمهم والايذان
بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والاخرين ويرده ما
سياتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل
ونصب اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اي الى موقف الحساب
اذ هناك تتحقق الشهادة الاتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه
بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على
شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة
عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى
فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون
ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤوها اي جميعا غاية ليحشر او ليوزعون اي حتى
اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى او
يظهر عليها اثارا مما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بشهادة الجلود شهادة
الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال في قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار
من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح اي سالوها سؤال توبيخ
لما روي انهم قالوا لها تعنكن كنا نناضل فبعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع
العقلاء لان نطقها الله الذي انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم
بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء

وفي رواية

وليس

وليس بذلك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار وقيل سالوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ
ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه
لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس
مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب
على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى
بطريق التوبيخ والتقريع تقرير لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم
الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح
عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء راسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من
القبائح المخفية فلا يظهرها في الاخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة
الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود
رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي
فقال احدهم اترون ان الله يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الاية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان
على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي
وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من
الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر وذلكم اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد
للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم
خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم
من الخاسرين اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين فان يصبروا فالنار
مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان
باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم
في غيابة دركات النار وان يستعتبوا اي يسالوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه
فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسالوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة
وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون
عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة
فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الاخرة حيث اروهم
ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب
وتحقق موجبها ومصداقها وهو قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين كما مر مرارا في امم
حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد

باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والاخرين كما قيل
قد خلت صفة لامم اي مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كداب
هولاء انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والاخرين وقال
الذين كفروا من روساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القران اي
لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا
اصواتكم بها لتشوشوه على القارى وقرى بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى كلقي يلقى
ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي فوالله
لنذيقن هولاء القايلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا
لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوء الذي كانوا يعملون اي جزاء سيات اعمالهم التي هي في انفسها
اسوء وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها
محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضي الله عنه عذابا شديدا يوم بدر واسوء الذي كانوا يعملون في
الاخرة ذلك مبتدا وقوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه
تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء او ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك على
انه تعالى عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله
لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدا هو خبره اي هي بعينها دار
اقامتهم على ان في للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر اخر مثله مبالغة لكماله فيها كما
يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على معناها والمراد ان لهم في النار المشتملة
على الدركات دارا فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون
قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون باياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر
الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا
الذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم
على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير
حق وقرى ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرى باختلاس كسرة الراء نجعلهما
تحت اقدامنا اي ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين
اي ذلا ومهانة ان الذين قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن احوال المومنين في الدنيا
والاخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته
ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان
الاستقامة لها الشان كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات
على الايمان واخلاص العمل واداء الفرايض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى
يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف
والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبايح وقيل
تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاث
عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ان لا تخافوا

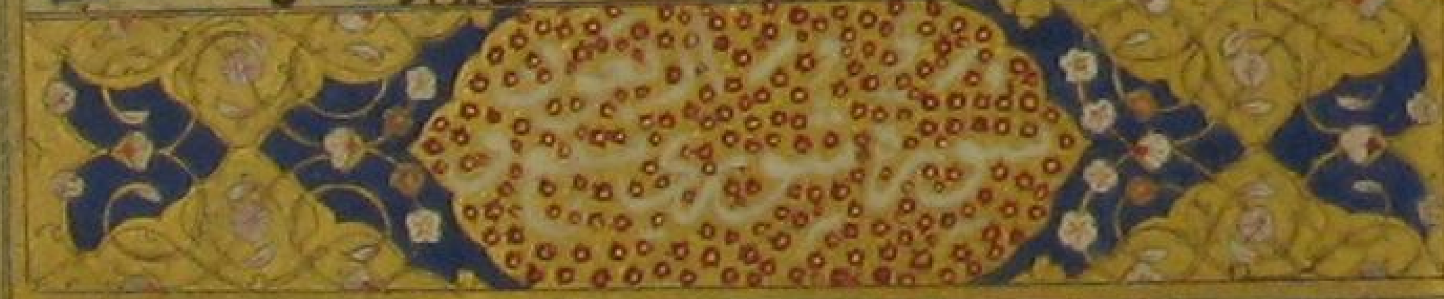
ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه
من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى
كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل
بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرى لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملايكة
او استيناف وابشروا اي سروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة الرسل
هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاث وقوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا الخ
من بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم
ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المومنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى
وتاييده لهم بواسطة الملايكة عليهم السلام وفي الاخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة
حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام ولكم فيها اي في الاخرة ما
تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى
الطلب اي تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدا وفيها حال
من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للاشباع في البشارة والايذان
باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون مفيد لكون ما يتمنونه بالنسبة
الى ما يعطون من عظايم الامور كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى توحيده
تعالى وطاعته عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام
وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الموذنين والحق ان حكمها
عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه
وقال انني من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان
اي مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرى اني بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
جملة مستانفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال
الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية
المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الاثار والاحكام
ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن الخ استيناف مبين لحسن
عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن
دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب
عن سوال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المامور به اي فاذا فعلت
ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة والسجية
التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا شانهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت في ابي سفيان بن
حرب وكان موذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك
من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها

بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان
بالمصدر اى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى احسن فاستعذ
بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك وفى
جعل ترك الدفع بالاحسن من اثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن اياته
الدالة على شونه العظيمه الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذى
خلقهن الضمير للاربعه لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث او لانها عبارة عن
الايات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن
رتبة المسجودية بنظمهما فى المخلوقيه فى سلك الاعراض التى لا قيام لها بذاتها وهو السر فى نظم
الكل فى سلك اياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد
من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعى وعندنا اخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى
فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملايكة يسبحون له بالليل والنهار
اى دايما وهم لا يسامون لا يفترون ولا يملون وقرى لا يسامون بكسر اليا ومن اياته انك
ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها
الماء اى المطر اهتزت وربت اى تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنا ان يظهر
ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقيل ربات
اى ارتفعت ان الذى احياها بما ذكر بعد موتها لمحيى الموتى بالبعث انه على كل شىء من الاشيا
التى من جملتها الاحياء قدير مبالغ فى القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامه
وقرى يلحدون فى اياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطله لا يخفون علينا
فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى فى النار خير ام من ياتى امنا يوم القيمة تنبيه على
كيفيه الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال الموديه الى ما ذكر من الالقاء فى النار والاتيان امنا وفيه
تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر
لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبران هو الخبر السابق وقيل مستانف
وخبرها محذوف وقال الكساى سد مسده الخبر السابق والذكر القران وقوله تعالى وانه
لكتاب عزيز اى كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتاتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية
شناعة الكفر به وقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى لا يتطرق اليه
الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدا
محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافيه كما ان الصفتين السابقتين
مفيدتان لفخامته الذاتيه وقوله تعالى لا ياتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح
من الصفات على الصريح كل ذلك لتاكيد بطلان الكفر بالقران وقوله تعالى ما يقال لك
الى اخره تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية الكفار اى ما يقال فى شانك
وشان ما انزل اليك من القران من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى الا
مثل ما قد قيل فى حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيايه وذو عقاب اليم

لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدايهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدايك
ايضا ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القران بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا
لولا فصلت اياته اى بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى اعجمى وعربى انكار مقرر للتحضيض
والاعجمى يقال للكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغه فى الوصف كاحمرى والمعنى اكلام اعجمى
ورسول او مرسل اليه عربى على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافى
والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرى اعجمى اى اكلام
منسوب الى امة العجم وقرى اعجمى على الاخبار بان القران اعجمى والمتكلم او المخاطب عربى ويجوز
ان يراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما
كان فالمقصود بيان ان ايات الله تعالى على اى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به
قل هو للذين امنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما فى الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون
مبتدا خبره فى اذانهم وقر على ان التقدير هو اى القران فى اذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير
المقدر وفى اذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر او وقر فى لقوله تعالى وهو عليهم عمى
وقيل خبر الموصول فى اذانهم ووقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدا والظرف خبره والجملة
خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون فى اذانهم منه وقر ومن جوز العطف على
عاملين عطف الموصول على الموصول الاول اى هو للاولين هدى وشفاء وللاخرين وقر
فى اذانهم اوليك اشارة الى الموصول الثانى باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وملاحظة
ما اثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته
فى الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد اى اوليك البعداء الموصوفون بما ذكر
من التصام عن الحق الذى يسمعونه والتعامى عن الايات الظاهرة التى يشاهدونها ينادون
من مكان بعيد كلام مستانف مسوق لبيان ان الاختلاف فى شان الكتب عادة قديمة
للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى
وبالله لقد اتيناه التورية فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك
فى شان ما اتيناك من القران فمن مومن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك فى حق
امتك المكذبة وهى العدة بتاخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المومنين من الخصومة
الى يوم القيمة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يوخرهم الى اجل مسمى
لقضى بينهم باستيصال المكذبين كما فعل بمكذبى الامم السالفه وانهم اى كفار قومك
لفى شك منه مريب اى من القران وجعل الضمير الاول لليهود والثانى للتورية مما لا وجه له
من عمل صالحا بان امن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اى فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه
لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلى مقرر
لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير
اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما فى
المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة
اى اذا سيل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرات من اكمامها

اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمر كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس
والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافيه ومن الاولى مزيده للاستغراق
واحتمال ان تكون موصوله معطوفه على الساعة ومن مبينه بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع
اي حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما يحدث شيء من خروج
ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم
يناديهم اين شركايي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى اين شركايي الذين زعمتم وفيه
تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان
عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا اذناك اي اخبرناك ما منا من شهيد
من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرانا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا
من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد
لهم بانهم كانوا محقين وقولهم اذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب
او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقايدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه
اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك
وضل عنهم ما كانوا يدعون اي يعبدون من قبل اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان
حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف
النفي لا يسام الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة و
اسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيقة فيوس
قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن ياس
مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تع ورحمته
وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان الياس من رحمته لا يتاتى الا من الكافر وسيصرح
به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه
لما لي من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما
سياتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اي للحالة الحسنى من
الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الاخرة
كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها
الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله
انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا
يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن الشكر ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد
بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد به
عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر
فذو دعاء عريض اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل
اذ الطول الطول الامتداد فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض
غير البعض الذي حكي عنه الياس والقنوط او شان الكل في بعض الاوقات قل ارايتم اي

اخبروني ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من
اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا
لمزيد ضلالهم سنريهم اياتنا الدالة على حقيته وكونه من عند الله في الافاق هو ما اخبرهم
النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له
وللخلفاء من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على
وجه خارق للعادة وفي انفسهم هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس
في الافاق اي منازل الامم الخالية وآثارهم وفي انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي
في الافاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه السلام والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة وقيل في
الافاق اي في اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار
والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف
الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات
الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين مع ان اراءة تلك
الايات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقايقها يوما فيوما حتى يتبين لهم بذلك انه
الحق اي القرآن والاسلام والتوحيد او لم يكف بربك استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم
في شان القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الايات الموعودة المبينة لحقية القرآن وعدم
اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم
يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد ولا يكاد يزاد الا مع كفى وقوله تعالى انه على
كل شيء شهيد بدل منه اي الم يغنهم عن اراءة الايات الموعودة المبينة لحقية القرآن
ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل
معناه ان هذا الموعود من اظهار ايات الله في الافاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه
فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع
يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن
كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتامل واما ما قيل من ان المعنى
او لم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الايات الموعودة كما
حقق سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد
فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك عظيم
من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية
بالضم وهي لغة فيها الا انه بكل شيء محيط عالم بجميع الاشياء وجملها وتفاصيلها وظواهرها
وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات



حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا ايتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب
ساير الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدا محذوف وقيل حم مبتدا وعسق خبره
وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز
الحكيم كلام مستانف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف ساير الكتب
المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق او ان ايحاءها مثل ايحائها
بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شانها والكاف في حيز النصب على انه مفعول
ليوحي على الاول وعلى انه نعت لمصدر موكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها
وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته
في الفضل اي مثل ما في هذه السورة من المعاني اوحي اليك في ساير السور والى من قبلك من
الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق
وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد او مثل ايحائها اوحي اليك عند ايحاء ساير السور والى
ساير الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح الاية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية
للايذان باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها به
من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل
مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند
الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحي
فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له او مبتدا كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له
او العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم
خبران له وعلى الوجوه السابقة استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرئ
بالياء يتفطرن تتشقق من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ
ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث
وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان
اعظم الايات وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من
تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق
فلان تؤثر في جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن في الارض
بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة
واستدعاء تاخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المومن والكافر
بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمومنين
كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم
اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته
تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب

على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز
الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من
دونه اولياء شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها
وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك
اوحينا اليك قرانا عربيا ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية
وقرانا عربيا مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك
قرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قران عربي بين لتنذر ام القرى
اي اهلها وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اي يوم القيمة لانه يجمع فيه
الخلائق قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل
الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف هاهنا
ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله
ضمير القران لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم
في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع
لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين اي مشارفين
للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اي في الدنيا امة واحدة
قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى
ولكن يدخل من يشاء في رحمته انه تعالى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في
عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب في ان مشيته تعالى لكل من الادخالين تابعة
لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال
الداخلين فيهما قطعا فلم يشا جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم
لا من جهته تعالى كما في الادخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مومنين كلهم وهو
ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى
ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشية قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء
مشية حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المومنين في رحمته وهم المرادون
بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مومنين
ياباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان
المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه فالذي يقتضيه
سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة
فبعث الله النبيين الاية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين هم في فترة ادريس او في فترة
نوح عليهما السلام والمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل
اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه
من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي شانه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم

هم

ما ذكر فيتأثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة
ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الاخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا
على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الاخرة الى السعير من غير ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم
من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء جملة مستانفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون
للظالمين ولي ام نصير وام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما
بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه واكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما
قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء في شيء لان ذلك فرع كون الاصنام اولياء
وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام وغيرها هيهات وقوله تع
فالله هو الولي جواب شرط محذوف كانه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان ارادوا
وليا في الحقيقة فالله هو الولي لا سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شانه ذلك وهو على كل شيء
قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه
من شيء حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم الكفار فيه من
امور الدين فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين
ذلكم الحاكم العظيم الشان الله ربي مالكي عليه توكلت في مجامع اموري خاصة لا الى
غيره واليه انيب ارجع في كل ما يعن لي من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان
التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر في الاول
صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من
الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة
غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب
الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه
من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا
مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه السلام فاطر السموات
والارض خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدا محذوف او مبتدا خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه
بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة
والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح قد مر سره غير مرة ومن الانعام اي وجعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم
من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو
والذر فيه اي فيما ذكر من التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل
كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى ثم
سلكت هذه الطريقة في شان من لا مثل له وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة
وهو السميع البصير المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض
اي خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته
المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل شيء عليم مبالغ في الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل

على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى
وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين
عليهم السلام تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته عليه السلام
اي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرايع واولي العزائم من
مشاهير الانبياء عليهم السلام وامرهم به امرا موكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو
شانهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق كل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شان
موسى عليه السلام وتفرد النصارى في حق عيسى عليه السلام والا فما من نبي الا وهو مامور
بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل
الاعصار من اصول الشرايع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تاكيد الامر
والاعتناء بشان المامور به والمراد بايحايه اليه عليه السلام اما ما ذكر في صدر السورة
الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك اوحينا الآية او ما يعمهما وغيرهما مما وقع في ساير المواقع
التي من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وقوله تع قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه
عليه الصلاة والسلام بالذي لزيادة تفخيم شانه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما
قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الايحاء من التصريح
برسالته عليه السلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال
الاعتناء بايحايه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية
نوح عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه
عليه السلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه السلام
ان اقيموا الدين اي دين الاسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه
ورسله وبيوم الجزاء وساير ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه
من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل من
مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشا من ابهام المشروع كانه
قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما انه مع افضائه
الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبي عليه السلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى
ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين عليهم السلام وتوجيه النهي الى اممهم تمحل ظاهر مع ان
الاظهر انه متوجه الى امته عليه السلام وانهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا اي لا تتفرقوا في
الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف
الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين
شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم اي عظم وشق عليهم ما تدعوهم
اليه من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه

اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اى الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان
يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعى اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدى اليه
من ينيب اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا
شروع فى بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال
ابن عباس رضى الله عنه هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة اى وما تفرقوا فى الدين الذى دعوا اليه ولم يؤمنوا كما امن بعضهم
الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن
من دلايل الحقية حسبما وجدوه فى كتابهم او العلم بمبعثه عليه السلام وهو استثناء مفرغ
من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى حال من الاحوال او فى وقت من
الاوقات الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا
لان لهم فى ذلك شبهة ولولا كلمة سبقت من ربك وهى العدة بتاخير العقوبة الى
اجل مسمى هو يوم القيمة لقضى بينهم لاوقع القضاء بينهم باستيصالهم لاستيجابهم
لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب الخ بيان لكيفية كفر المشركين
بالقران اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا اى وان المشركين الذين
اورثوا القران من بعدهم ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفى شك منه من القران
مريب موقع فى القلق او فى الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغى والمكابرة بعد ما
علموا بحقيته كدأب اهل الكتابين هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم الانبياء عليهم
السلام وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد
عليه على السنة الانبياء عليهم السلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى
اجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله
تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله
تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغى بينهم فان مشاهير الامم
المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار وامهال على ان مساق النظم الكريم
لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم السلام لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء
دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم السلام تاكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر
عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق امهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك
المرام فلذلك اى فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين
القويم القديم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اى الناس كافة الى اقامة ذلك
الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم فى شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم
على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما
ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه
نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما فى قوله تعالى بان ربك اوحى لها اى فالى ذلك الدين
فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه كما امرت واوحى اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة

وقل امنت بما انزل الله من كتاب اى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين امنوا
ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول وتاليف
لقلوب اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة
وامرت لاعدل بينكم فى تبليغ الشرايع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام
وقيل معناه لاسوى بينى وبينكم ولا آمركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا
افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمامور به محذوف اى امرت بذلك
لاعدل او زايدة اى امرت ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اى خالقنا جميعا
ومتولى امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم
اثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اى لا محاجة ولا خصومة
لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم
القيمة واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة فى مواقف المجاورة
لا متاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ باية القتال والذين يحاجون فى الله اى
فى دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن
ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه السلام
وايده بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنعوته عليه السلام و
استفتحوا به قبل مبعثه عليه السلام وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين
كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم
زالة زايلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم
الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر
قدره الله الذى انزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق ملتبسا به فى احكامه واخباره او
بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى
بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك اى اى شئ يجعلك
عالما لعل الساعة التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قريب اى شئ قريب او قريب
مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان
فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الاعمال
ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون
متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذى نحن عليه ام الذى عليه محمد واصحابه والذين
امنوا مشفقون منها خايفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اى الكائن
لا محالة الا ان الذين يمارون فى الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت
ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفى ضلال
بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغايبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء
الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه
ما لا يكاد يناله ايدى الافكار والظنون يرزق من يشاء ان يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من عباده

بنوع من البر على ما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغه وهو القوى الباهر القدرة
الغالب على كل شئ العزيز المنيع الذى لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة الحرث فى الاصل
القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الاعمال ونتايجها بطريق
الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصله من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال
بالبذور اى من كان يريد باعماله ثواب الاخرة نزد له فى حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد الى
عشر الى سبعمايه فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها
نوته منها اى شيئا منها حسبما قسمنا له لاما يريده ويبتغيه وما له فى الاخرة من نصيب
اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء ام لهم شركاء اى بل الهم
شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم ياذن به
الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم
الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله
تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق
بتاخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمه لقضى بينهم اى بين الكافرين والمومنين
او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل
اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الاخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب
الاليم غالب فى عذاب الاخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له
للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء مشفقين خايفين مما كسبوا من
السيات وهو واقع بهم اى وباله لاحق بهم لا محاله اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال
من ضمير مشفقين او اعتراض والذين امنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات مستقرون
فى اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه من فنون المستلذات
حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاؤن
ذلك اشارة الى ما ذكر من حال المومنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار
اليه هو الفضل الكبير الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو
الذى يبشر الله عباده اى يبشرهم به فحذف الجار ثم العايد الى الموصول كما فى قوله تعالى
اهذا الذى بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا
الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسالكم عليه روى انه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال
بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسال على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اى لا اطلب منكم على
ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة فى القربى اى الا ان تودونى لقرابتى
منكم او تودوا اهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسالكم اجرا قط ولكن اسالكم
المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابه
والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابه روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هولاء
الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنه
على من ظلم اهل بيتى واذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب

ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيمه وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان
تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى ومن
يقترف حسنة اى يكتسب اى حسنة كانت فتتناول مودة ذى القربى تناولا اوليا
وعن السدى انها المرادة وقيل نزلت فى الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم نزد له فيها
اى فى الجنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وقرئ حسنى ان الله
غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية العذاب والتفضل عليه بالزياده ام يقولون
بل ايقولون افترى محمد على الله كذبا بدعوى النبوه وتلاوة القران على ان الهمزة للانكار
التوبيخى كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء
على الله الذى هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك
استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عليه السلام لو افترى على الله تع لمنعه من ذلك قطعا
وتحقيقه ان دعوى كون القران افتراء عليه تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء عدم صدوره عن
النبى صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه
قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشا ذلك يختم على قلبك
بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر
كذلك بل تواتر الوحى حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشا
يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترى على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومودا
استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وانه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة
المختوم على قلوبهم وعن قتاده يختم على قلبك ينسك القران ويقطع عنك الوحى يعنى لو
افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القران
وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق
بكلماته استيناف مقرر لنفى الافتراء غير معطوف على يختم عنه اظهار الاسم الجليل
وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر
اى ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضايه كقوله تعالى بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بانه تعالى يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى
هو عليه بالقران او بقضايه الذى لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجرى عليها
احكامه اللايقة بها من المحو والاثبات وهو الذى يقبل التوبة عن عباده التوبة هو الرجوع
عن المعاصى بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروى جابر رضى الله عنه ان اعرابيا
دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك و
كبر فلما فرغ من صلوته قال له على رضى الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة
الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبه فقال يا امير المومنين وما التوبة قال اسم
يقع على سته معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعاده ورد المظالم
واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصيه واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة

ن

نختم بكلماته

المعصية والبكاء بدل كل ضحكة ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء
ويعلم ما يفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب
الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة
على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنها قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او
يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب
قال لانه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرا والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سالوا
واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمومنين من الثواب
والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا
ولعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب
تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير
ما يشاء ان ينزله مما يقتضيه مشيئته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم
وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشانهم فيفقر ويغني ويمنع
ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم
لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا
تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب
ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا يئسوا منه وتقييد تنزيله
بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته اي بركات
الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة
لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة الحميد المستحق
للحمد على ذلك لا غيره ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع
فانها بذاتها وصفاتها تدل على شونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق
من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص
باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما
يخرج من الملح وقد جوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان
يخلق الله في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا
تعلمون وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه
كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض
ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى
اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته
واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة
كانت فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او
متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير

من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب اخر منها
تعريضه للثواب بالصبر عليها وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان
هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها
عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق
لا التي عليها النار للاهتداء خاصة ان يشا يسكن الريح التي تجري بها وقرئ الرياح فيظللن رواكد
على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي
ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن اخرى على حسب مشيئته تعالى لآيات عظيمة في
انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شونه تعالى لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن
التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في الآية او لكل مومن
كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى
ان يشا يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن بعصفها وايقاعها الايباق عليهن مع انه حال
اهلهن للمبالغة والتهويل واجرا حكمه على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها
فيوبقن ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون
في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس
وقوله تعالى ولنعلمه من تاويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم
عطفا على يعف فيكون المعنى او ان يشا يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من
محيص اي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء مما ترغبون
وتتنافسون فيه فمتاع الحياة الدنيا اي فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله
من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان
ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه
انه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين
يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده
عطف على الذين آمنوا او مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على
انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنه
كبير الاثم الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى لا ينفردون
براي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا
ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها
عند اجتماعهم للصلاة والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على
ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات
الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة
مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اغراء للباغي

مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت
اللئيم تمردا فوضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه
في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة
لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على
الثانية لانها تسوء من نزلت به فمن عفا عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو
والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله
عدة مبهمة منبئة عن عظم شان الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب الظالمين
البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما ظلم وقد قرئ به
فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضميرين لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل
بالمعاتبة او المعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويعتدون
في الانتقام ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون
بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى
وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك اي الذي ذكر من الصبر والمغفرة
لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم
وهذا في المواد التي لا يودي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اي حين يرونه
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا

اى رجعة الى الدنيا ه

وتراهم يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من
يتاتى منه الروية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي
اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال
الذين امنوا ان الخاسرين اي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم
بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيمة اما ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي
يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان
الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من
اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا
ومن يضلل الله فما له من سبيل يودي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم الى الايمان
على لسان نبيه من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من
صلة مرد او من قبل ان ياتي من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ اي مفر تلتجئون
اليه وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم وتشهد عليكم
جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس
بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه السلام اي فان لم يستجيبوا واعرضوا
عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد فعلت

وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان
الجنس لقوله تعالى وان تصبهم سيئة اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان
الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتامل سببها بل
يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين
لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة
للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية
بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من
الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس
موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فمن قضيته ان يملك التصرف فيهما وفي
كل ما فيهما كيفما يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريد يخلق ما يشاء مما تعلمه
ومما لا تعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون في
ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى
يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توامين ويجعل من يشاء عقيما
والمعنى يجعل احوال العباد في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشية فيهب لبعض اما
صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير
النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيته تعالى لا ما يتعلق به مشية
الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب
قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث
لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين
الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط
اناثا ولابرهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه
عليم قدير بالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اي وما صح لفرد
من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا اي الا بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف
في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليهما السلام في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد
اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض
الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل
له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك
كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او
يرسل رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه
اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء
عليهم السلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى او يرسل مصدران
واقعان موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم
الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروي ان

ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى
ونظر اليه فانا لن نومن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله
تعالى فنزلت وعن عايشه رضى الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم
قالت رضى الله عنها اولم تسمعوا ربكم فتلت هذه الآية انه علي متعال عن صفات المخلوقين
لا يتاتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجرى افعاله
على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اى ومثل
ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القران الذى هو للقلوب بمنزلة الروح
للابدان حيث يحييها حيوة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام
ارساله اليه بالوحى ما كنت تدرى قبل الوحى ما الكتاب اى اى شئ هو ولا الايمان
اى الايمان بتفاصيل ما فى تضاعيف الكتاب من الامور التى لا تهتدى اليها العقول لا الايمان
بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه
اى الروح الذى اوحيناه اليك نورا نهدى به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذى
يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وانك لتهدى تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها
ومفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور اى وانك لتهدى بذلك النور من نشاء هدايته
الى صراط مستقيم هو الاسلام وساير الشرايع والاحكام وقرى لتهدى اى يهديك الله وقرى
لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذى له
ما فى السموات وما فى الارض لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه فان
كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب
الا الى الله تصير الامور اى امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط
المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم عسق
كان ممن يصلى عليه الملايكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وهى تسع وثمانون اية

حم الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقران
لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا
على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة فى العنوان ومناط
تكرير القسم المبالغة فى تاكيد مضمون الجملة القسمية المبين اى البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم
وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه فى ابواب الديانة
انا جعلناه قرانا عربيا جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التاكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته
التى يعرب عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة الى التحقيق والتاكيد لكونها منبئة عن
الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اى جعلنا ذلك الكتاب قرانا عربيا لكى
تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرايق والمعنى الفايق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة

الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه فى
ام الكتاب اى فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرى ام الكتاب بالكسر لدينا
اى عندنا لعلى رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران
لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا
فى ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة فى حكمها ففى الاقسام بالقران
على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان بحيث لا يحتاج فى بيانه
الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف فى الشهادة على ذلك من حيث الاقسام
به على منهاج الاعتراض فى قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شان القران
العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويومنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار
ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب عنكم الذكر اى ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب
الغرايب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت
عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اى انهملكم فننحى الذكر عنكم صفحا اى اعراضا
عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر موكد لما دل عليه فان التنحيه منبئة عن الصفح و
الاعراض قطعا كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفيه اى افننحيه
عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اى لان كنتم منهمكين فى الاسراف مصرين عليه على معنى ان
حالكم وان اقتضى تخليتكم وشانكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكنا
لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين
وقرى ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة
بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى الا كانوا به
يستهزءون تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء
اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى فاهلكنا
اشد منهم بطشا اى من هولاء القوم المسرفين عدة له عليه السلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على
الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهولاء بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين
اى سلف فى القران غير مرة ذكر قصتهم التى حقها ان تسير مسير المثل ولين سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اى ليسندن خلقها الى من هذا شانه فى الحقيقة
وفى نفس الامر الا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه
تعالى بما سرد من جلايل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر بين
لا ريب فيه وان الحجة قايمة عليهم شاءوا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى
الذى جعل لكم الارض مهدا استيناف من جهته تعالى اى بسطها لكم تستقرون فيها
وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها فى اسفاركم لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا بسلوكها الى
مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى والذى نزل من السماء ماء بقدر
بمقدار تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اى احيينا بذلك الماء بلدة
ميتا خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرى ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة فى معنى

البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره
كذلك اى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة اخراج النبات من الارض تخرجون اى تبعثون
من قبوركم احياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج
تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذى
خلق الازواج كلها اى اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنه الازواج الضروب
والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج
كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اى ما
تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها
بكلمة فى للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال
اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اى لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع
باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اى تذكروها بقلوبكم معترفين بها
مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا متعجبين من ذلك
كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا
استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون
وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وما كنا له مقرنين اى مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده
قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام
ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم
وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتأمل فيما يلابسه من
المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب الى الله تعالى فيبنى اموره فى مسيره ذلك
على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شئ مما يأتى ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون
ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ اى وقد
جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء
لمزيد استحالته فى حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين
ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما
يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا
على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب
من شأنهم وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ داخل فى حكم الانكار والتعجيب
او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتأكيد الالزام
وتشديد التوبيخ اى بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم
اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شئ
من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى
آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين
لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا الخ استئناف

مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر بها اغتم
والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها اى اذا اخبر
احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لابد ان يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه
مسودا اى صار اسود فى الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال
وقرئ مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له او من ينشؤ
فى الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوب بمضمر معطوف على جعلوا اى او جعلوا
من شأنه ان يربى فى الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامر بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الواقع واستبعاده واقحامها
بين المعطوفين لتذكير ما فى ام المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنوانى اى او
اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور فى الخصام اى الجدال الذى
لا يكاد يخلو عنه الانسان فى العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان
عقله وضعف رأيه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرئ ينشأ
وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد
واكرمهم على الله عز وجل انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن
على تمثيل زلفاهم وقرئ أنثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اى احضروا خلق الله تعالى
اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم
وتهكم بهم وقرئ اأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بالف بينهما ستكتب
شهادتهم هذه فى ديوان اعمالهم ويسألون عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وسنكتب
بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهى قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة وقرئ
يساءلون من المساءلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم اى
لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه
حق مرضى عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه
بانه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم
الباطل على مقدمتين احديهما ان عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم
لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا فى الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح
بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضاء او السخط فى شئ من الطرفين ولذلك
جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اى بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء
لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة من علم يستند الى
سند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى
لما ظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب
عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن
او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون

بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون اى لم ياتوا بحجة عقلية او نقلية
بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد ابائهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التى تؤم
اى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآمّ اى القاصد
وقوله تعالى على اثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اى والامر كما
ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك فى قرية
من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون استيناف مبين
لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص
المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر الى التقليد
قال حكاية ماجرى بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد ابائهم اى قال كل نذير من
اوليك المنذرين لاممهم اولو جئتكم اى اتقتدون باباءكم ولو جئتكم باهدى بدين اهدى
مما وجدتم عليه اباءكم من الضلالة التى ليست من الهداية فى شئ وانما عبر عنها بذلك مجاراة
معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحى حينئذ الى كل نذير لا على انه
خطاب للرسول عليه السلام كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية
عن الامم قطعا اى قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به الخ وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر
فى قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه السلام بحمل صيغة
الجمع على تغليبه على ساير المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من
التوحيد لاجماعهم عليه كما فى نظاير قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية
قوله تعالى فانتقمنا منهم اى بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم
المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابرهيم اى واذكر لهم وقت قوله عليه السلام
لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله اننى براء مما تعبدون وتمسك
بالبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف
ابائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمونث
وقرئ برئ وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عايدها اى اننى
برئ من عبادتكم او معبودكم الا الذى فطرنى استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم
اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اى اننى براء
من الهة تعبدونها غير الذى فطرنى فانه سيهدين اى سيثبتنى على الهداية او سيهدين
الى ما وراء الذى هدانى اليه الى الآن والاوجه ان السين للتاكيد دون التسويف وصيغة
المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اى جعل ابرهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها عبارة
عنها كلمة باقية فى عقبه اى فى ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها
كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى
ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اى جعلها
باقية فى عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن
محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان

يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول
عليه السلام من اهل مكة واباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا فى الشهوات
وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اى هؤلاء الحق اى القران ورسول اى رسول
مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالايات البينات والحجج
وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله تعالى وجعلها كلمة
باقية الخ مبالغة فى تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة
الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعله سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال
ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا
الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القران
سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين اى من احدى
القريتين مكة والطايف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اى بالجاه والمال
كالوليد بن المغيرة المخزومى وعروة بن مسعود الثقفى وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى وعن
مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله
الى الرسول عليه السلام دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرابته بل استدلالا على
عدمها بمعنى انه لو كان قرانا لنزل الى احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل
لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة روحانية لا يترقى اليها
الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المويدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضايل
الانسية واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق
تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب
من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى اسباب معيشتهم فى الحياة
الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا
بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض فى الرزق وساير مبادى المعاش
درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوى
وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا
فى مصالحهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى
مرافقهم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا
فاذا كانوا فى تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو فى طرف الثمام
على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم فى تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم
البحث عن امر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اى النبوة وما يتبعها
من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا
ان يكون الناس امة واحدة استيناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله تعالى
والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا فى الكفر اذا راوا اهله فى سعة

وتنعم فجمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلايق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن
وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن فى يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف
كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرى سقفا بسكون القاف تخفيفا
وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كانه لغة فى سقف وسقوفا ومعارج اى جعلنا لهم معارج
من فضة اى مصاعد جمع معرج وقرى معاريج جمع معراج عليها يظهرون اى يعلون السطوح
والعلالى ولبيوتهم اى وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اى على السرر
يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اى زينة عطفا على سقفا او ذهبا
عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا اى وما كل ما ذكر من البيوت
الموصوفة بالصفات المفصلة الا شئ يتمتع به فى الحياة الدنيا وفى معناه ما قرى وما كل ذلك
الا متاع الحياة الدنيا وقرى بتخفيف ما على ان ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرى بكسر اللام
على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عايدها اى للذى هو متاع الخ كما فى قوله تعالى تماما
على الذى احسن والاخرة بما فيها من فنون النعيم التى يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين
اى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم فى الاخرة لا فى الدنيا ومن يعش اى
يتعام عن ذكر الرحمن وهو القران واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرى
يعش بالفتح اى يعم يقال عشى يعشى اذا كان فى بصره افة وعشا يعشو اذا تعشى بلا افة كعرج وعرج
وقرى يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله
بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه فى حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين
لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرى يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع
يعشو فحقه ان يرفع نقيض وانهم اى الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو
ليصدونهم اى قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما ان افراد الضماير السابقة
اعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذى يدعو اليه القران ويحسبون اى العاشون
انهم اى الشياطين مهتدون اى الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون ان
انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك
لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا او من فاعله او منهما
لاشتمالها على ضميريهما اى وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه
وصيغة المضارع فى الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددى لقوله تعالى حتى اذا جاءنا
فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتما ان تكون غاية لامر
ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير فى جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من
العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين
والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له
ياليت بينى وبينك فى الدنيا بعد المشرقين اى بعد المشرق والمغرب اى تباعد كل منهما
من الاخر فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما فبئس القرين اى انت وقوله تعالى

ولن ينفعكم الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا اى لن ينفعكم
اليوم اى يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اى لاجل ظلمكم انفسكم فى الدنيا باتباعكم اياهم
فى الكفر والمعاصى وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اى اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم
انفسكم فى الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى تبين انى لم تلدنى لئيمة
بل كريمة وقوله تعالى انكم فى العذاب مشتركون تعليل لنفى النفع اى لان حقكم ان تشتركوا
انتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن
لا بمعنى ان ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى شدايد الدنيا اشتراكهم فيها
لتعاونهم على تحمل اعبائها وتقسمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان
الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفى
بكون قرناءكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب
والعنهم لعنا كبيرا او قولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظايرهما لتتشفوا بذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبالغ فى المجاهدة فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما
يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القران فنزل افانت تسمع
الصم او تهدى العمى وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا
فى الكفر واستغرقوا فى الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عمى مقرونا بالصمم ومن كان فى ضلال
مبين عطف على العمى الذى يقدر على هدايتهم باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن
والاستقرار فى الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توهم القصور من قبل الهادى ففيه رمز
الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اى فان قبضناك
قبل ان نبصرك عذابهم ونشفى بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة
فى الدنيا والاخرة فما مزيدة للتاكيد بمنزلة لام القسم فى انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك
الذى وعدناهم اى او اردنا ان نريك العذاب الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون
بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد اراه عليه السلام ذلك يوم بدر فاستمسك
بالذى اوحى اليك من الايات والشرايع سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه الى اليوم الاخر وقرى
اوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك او للامر
وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يوم القيمة عنه وعن قيامكم
بحقوقه واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا اى واسأل اممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسألوا
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسئول عنه عين ما نطقت به
السنة الرسل لا ما يقوله اممهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء انما يخبرونه عن كتب
الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء عليهم السلام اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
اى هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء
على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى باياتنا
ملتبسا بها الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية الرسول
صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع

جميع الرسل عليهم السلام عليه فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجؤا وقت ضحكهم
منها اي استهزؤا بها اول ما راوها ولم يتاملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها
الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها
من الايات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها او الا وهي
مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها واخذناهم بالعذاب كالسنين
والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا ايها
الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون
للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف
عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف
العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة اننا لمهتدون
اي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجؤا وقت نكث عهدهم بالاهتدا
وقد مر تفصيله في الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم
وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي ملك مصر
وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس
تجري من تحتي اي من تحت قصري او امري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي
في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجري حال منها او للحال
فهذه مبتدا والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدا افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام
ملكه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير من
المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين اي الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له
عليه السلام في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت
ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وام اما منقطعة والهمزة للتقرير كانه قال
اثر ما عدد اسباب فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه
حالي من حال هذا الخ واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون خلا انه وضع قوله انا خير
موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة
المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب
فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه
مقاليد الملك ان كان صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من
ذهب واسورة جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وقرئ اساورة جمع اسوار بمعنى السوار
على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ كذلك وقرئ والقي عليه اسورة واساور على البناء
للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من
قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم
وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا

قوما فاسقين فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي فلما اسفونا اي اغضبونا
اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين
في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما
حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين
واللام على انه جمع سليف اي فريق قد سلف كرغف او سالف كصبر او سلف كاسد وقرئ
سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين
اي عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب
ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم
فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست
النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا
ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى
اذا قومك منه اي من ذلك المثل يصدون اي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وقرئ
يصدون اي من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اي يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض اي
يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب
بمعنى المفاجاة وقالوا االهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما
بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء اي ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو في
النار فلا باس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما
قيل من انه عليه السلام سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الآية فان ذلك مع ابهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه السلام عنه من شائبة الافحام
من اول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روي ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة
صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي بقوله عليه السلام ما اجهلك
بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل وانما الرخص عليه السلام هذا الحكم بالتبيه حين
سال الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض
المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة نعم عليه السلام الكل لكن
لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم رد
عليه السلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ان الملائكة والمسيح بمعزل من
ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل انما
كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة بمحض وقاحتهم وتمادي الكفر على المكابرة والعناد كما ينطق به
قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام
لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون اي لدّاد شداد الخصومة
مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه

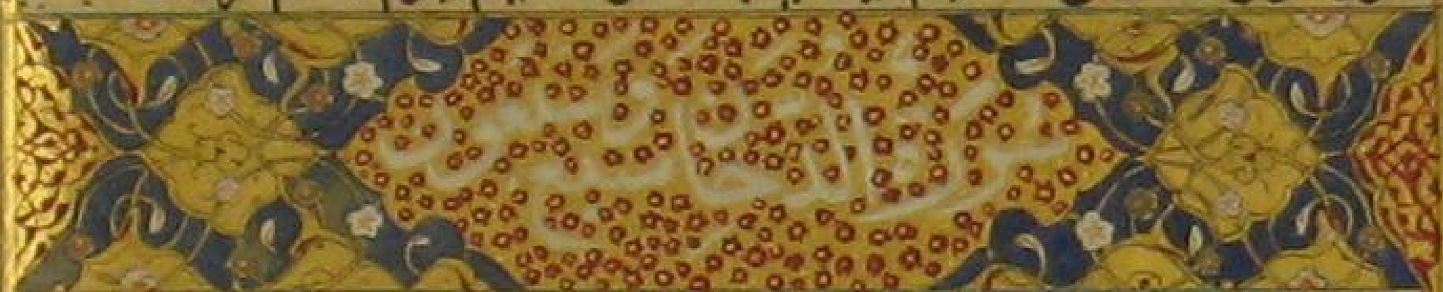
من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا ادميا ونحن نعبد الملايكة فنزلت فقولهم
الهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لالهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملايكة ومعنى ما
ضربوه الخ ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا اما يريد محمد هذا
الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر و معنى
يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد عليه السلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه
السلام وبين الهتهم الاستهزاء به وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكر عليهم من قولهم
الملايكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كانهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا
من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا
اليه الملايكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة
وجعلناه مثلا لبني اسرايل اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السايرة على الوجه
الاول استيناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام
بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على
بطلان راي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد راي من يرى رايهم في شان الملايكة
وعلى الثاني والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل او بباطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كساير العبيد
قصارى امره انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه
بديع وقد خلقنا آدم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب
عبدته حتى يفتخر عبدة الملايكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اشف او اخف من
حالهم واما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم في افترايهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببيان ان عيسى في الحقيقة وفيما اوحى الى الرسول عليهما السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر
فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته او كيف يتوهم الرضى بمعبودية نفسه وقوله تع ولو نشاء
الخ لتحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله تعالى وانه تعالى قادر على ابدع من
ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملايكة ايضا من درجة المعبودية اي قدرتنا بحيث لو نشاء
لجعلنا اي لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شانكم الولادة ملايكة هم كما خلقنا
بطريق الابداع في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السما يخلفون اي
يخلفونكم مثل اولادكم فيما تاتون وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان
شانهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شانهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف
يتوهم استحقاقهم للمعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه وان عيسى لعلم
للساعة اي انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصولها به او بحدوثه بغير اب او باحيايه
الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرى
لعلم اي علامة وقرى للعلم وقرى لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث
ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة
وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى عليه
السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب

البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقران لما ان فيه الاعلام بالساعة
فلا تمترن بها فلا تشكن في وقوعها واتبعون اي واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل
هو قول الرسول مامورا من جهته تعالى هذا اي الذي ادعوكم اليه او القران على ان الضمير
في انه له صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين
بين العداوة حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات
او بايات الانجيل او بالشرايع الواضحات قال لبني اسرايل قد جئتكم بالحكمة اي الانجيل او الشرايع
ولابين لكم عطف على مقدر ينبي عنه المجيء بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظايف الانبياء
عليهم السلام كما قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون
فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد
التوحيد والتعبد بالشرايع هذا اي التوحيد والتعبد بالشرايع صراط مستقيم لا يضل
سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام او استيناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى
عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من بعث اليهم من
اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل
ينظرون اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تاتيهم اي الا اتيان الساعة بغتة اي فجاة
لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله
وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية يومئذ يوم
اذ تاتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علايق الخلة والتحاب لظهور كونها
اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد
بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل
وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون
المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين امنوا باياتنا صفة للمنادى او نصب
على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال
من واو امنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلايق
روسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين امنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة روسهم ادخلوا الجنة
انتم وازواجكم نساؤكم المومنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم
او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل
يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف
جمع صحيفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم المكيلة والاكواب جمع
كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرى
ما تشتهي وتلذ الاعين اي تستلذ وتقر بمشاهدته وقرى وتلذه وانتم فيها خالدون
اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالاخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف
وتلك الجنة مبتدا وخبر التي اورثتموها وقرى ورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال

الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفته
والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء
بمحذوف لا باورثتموها كما في الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا
بحسب الافراد فقط منها تاكلون اي بعضها تاكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على
الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها ان المجرمين اي الراسخين في الاجرام
وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المومنين بالايات في عذاب جهنم خالدون
خبران او خالدون هو الخبر وفي متعلقة به لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من
قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي العذاب وقرى
فيها اي في النار مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين
لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا خازن النار يا مالك وقرى يا مال على الترخيم
بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي
ليميتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما
ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا
لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله عنه انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة
وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال
الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم
وقيل في قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اي حق كان كارهون لا يقبلونه وينفرون
منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القران فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا
امرا كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام
منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة
للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام
صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه اي ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم او فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما
ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون
في انديتهم ويتشاورون في امره عليه السلام ام يحسبون اي بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم
وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجواهم اي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق
التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم
اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونهما او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال
التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اي نسمعهما
والحال ان رسلنا يكتبونه قل اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك لهم بعدم عبادة
لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبوديهم بل انما هو لجزمك
باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا

اول العابدين اي له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس بشؤونه تعالى وبما يجوز عليه وبما
لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على
انتفاء كونهم كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى تقدير كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على
قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكا
حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن
ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الآنفين اي المستنكفين
منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد
فانا اول من قال بذلك وقرى ولد سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
اي يصفونه به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه
على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون
شيء منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش فذرهم حيث لم يذعنوا
للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم فان ما هم فيه
من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى
يلاقوا يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه
الاسم الجليل من معنى المعبود به بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه
قيل وهو الذي مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرى وهو الذي في السماء
الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف
عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد
نعم يجوز ان يكون صلة للموصول واله خبر المبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه
في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي للالهة السماوية والارضية
وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله
وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما اما على الدوام كالهواء او في بعض الاوقات
كالطير وعنده علم الساعة اي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيمة واليه ترجعون للجزاء والالتفات
للتهديد وقرى على الغيبة وقرى تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون اي يدعونه وقرى
بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون الا من شهد بالحق الذي هو التوحيد
وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان
الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله
او منفصل على انه خاص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم اي سالت العابدين والمعبودين
ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فانى يوفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره
مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله بالجر اما على انه عطف على الساعة او عنده علم الساعة
وعلم قوله عليه السلام يا رب الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله
ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الاقسام به من رفع شانه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه

اليه تعلق بها لا يخفى وقرى بالنصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله
او بتقدير فعل القسم وقرى بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة
فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقنط عن ايمانهم وقل سلام اى امرى تسلم منكم ومتاركة
فسوف يعلمون حالهم البتة وان تاخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرى تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة



حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذى سلف في السورة السابقة انا انزلناه اى الكتاب
الذى هو القران في ليلة مباركة هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدى فيها انزاله او انزل
فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى
صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما
ان نزول القران مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة
واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين
استيناف مبين لما يقتضى الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من
العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف
فيها يفرق كل امر حكيم استيناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة
الموافقة لها يستدعى ان ينزل فيها القران الذى هو من عظايمها وقيل صفة اخرى لليلة وما
بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من
ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدا
في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق
الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى
اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصايب الى ملك الموت عليهم السلام
وقرى يفرق بالتشديد وقرى يفرق على البناء للفاعل اى يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرى
نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من
عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز
كونه حالا من كل امر لتخصصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهى
ويجعل مصدرا موكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لما ان الفرق به او
حالا من احد ضميرى انزلناه اى آمرين او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل
جواب ثالث وقيل مستانف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال متاخرة عنه
على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث متقدم عليه على ان المراد مبدوها اى انا

انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم
او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من
احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه السلام لتشريفه او تعليل ليفرق او
لقوله تعالى امرا على ان قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل
له اى يفرق فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب
في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية
لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرى رحمة بالرفع اى تلك الرحمة وقوله تعالى انه هو
السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض
وما بينهما بدل من ربك او بيان او نعت وقرى بالرفع على انه خبر آخر او استيناف على اضمار
مبتدا ان كنتم موقنين اى ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم
بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما
قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستانفة مقررة لما قبلها وقيل
خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض يحيى ويميت مستانفة كما قبلها وكذا قوله
ربكم ورب ابائكم الاولين باضمار مبتدا او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان
او نعت له وقيل فاعل ليميت وفي يحيى ضمير راجع الى رب السموات وقرئا بالجر بدلا من رب
السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في اقرارهم يلعبون
لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء في قوله تعالى فارتقب
لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اى فانتظر لهم
يوم تاتى السماء بدخان مبين اى يوم شدة ومجاعة فان الجايع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان
اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى
الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاخذتهم
سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان
يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى يغشى الناس اى يحيط
بهم هذا عذاب اليم اى قايلين ذلك فمشى اليه عليه الصلاة والسلام ابو سفيان ونفر معه
وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يومنوا وذلك قوله تعالى
ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وبه
اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان ياتى من السماء قبل يوم القيمة
فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعترى المومن منه كهيئة
الزكام ويكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس
الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب
يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من

مخ يبرو اذنيه ودبر والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى
انى لهم الذكرى الخ رد لكلامهم واستدعايهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان
المنبى لهم عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اى كيف يتذكرون بذلك ويفون بما
وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اى والحال انهم شاهدوا
من دواعى التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشان
وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات باهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه
عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظايم الموجبة للاقبال اليه
ولم يقتنعوا بالتولى وقالوا في حقه معلم مجنون اى قالوا يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف و
اخرى مجنون او يقول بعضهم كذا واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتاثروا
بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغا وقوله تعالى
انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا
العذاب انا مومنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اى انا
نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم
من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على
تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم
فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط
قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف
عنا العذاب انا مومنون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون
ولا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى اى يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل
عليه قوله تعالى انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك اى يوم نبطش ننتقم انا
منتقمون وقيل هو بدل من يوم ياتى الخ وقرى نبطش اى نحمل الملايكة على ان يبطشوا بهم البطشة
الكبرى وهو التناول بعنف وصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرى نبطش بضم الطا
وهى لغة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اى امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم او اوقعناهم في
الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرى بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم
رسول كريم على الله تعالى او على المومنين او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه
وكرامهم ان ادوا الى عباد الله اى بان ادوا الى بنى اسرايل وارسلوهم معى او بان ادوا الى يا عباد
الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجئ الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة
وقيل مخففة من الثقيلة اى جاءهم بان الشان ادوا الى الخ وقوله تعالى انى لكم رسول امين
تعليل للامر او لوجوب المامور به اى رسول غير ظنين قد ايتمنني الله على وحيه وصدقني بالمعجزات
القاهرة وان لا تعلوا على الله اى لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتى
سلفت وقوله تعالى انى اتيكم اى من جهته تعالى بسلطان مبين اى من جهة النبى اى اتيكم
بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها اتيكم على صيغة الفاعل والمضارع وفي ايراد الاداء مع الامين
والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى وانى عذت بربى وربكم اى التجات اليه وتوكلت عليه

ان ترجمون من ان ترجمونى اى ان تؤذونى ضربا او شتما او ان تقتلونى قيل لما قال وان لا
تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرى بادغام الذال في التاء وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون اى وان
كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لى فخلونى كفافا لا على ولا لى ولا تتعرضوا الى بشر واذى فليس ذلك
جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عنى فلا موالاة بينى
وبين من لا يؤمن يأباه المقام فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام ان هؤلاء اى بان
هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمى دعاء وقرى
بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادى ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اى فقال
ربه اسر بعبادى واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى اى بنى
اسرايل فقد دبر الله تعالى ان تتقدموا وقرى بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون اى يتبعكم
فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا
على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط
انهم جند مغرقون وقرى انهم بالفتح اى لانهم كم تركوا اى كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل محسنة ونعمة اى تنعم كانوا فيها فاكهين
متنعمين وقرى فكهين كذلك الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل
عليه تركوا اى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما اخرين وقيل مثل ذلك
الاخراج اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على الخبرية اى الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها
معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم
الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده
فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روى ان المومن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته
ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره في الارض وقيل تقدير اهل السماء والارض وما كانوا
لما جاء وقت هلاكهم منظرين ممهلين الى وقت اخر او الى الاخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد
نجينا بنى اسرايل بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون
اياهم وقتل ابنايهم واستحياء نسايهم على الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على
جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اى عذاب فرعون او حال من المهين
اى كاينا من فرعون وقرى من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره
اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه امره في الشر
والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان اى كان متكبرا مسرفا او حال
من الضمير في عاليا اى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فايقا لهم بليغا في الاسراف ولقد
اخترناهم اى بنى اسرايل على علم اى عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في بعض
الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم
واتيناهم من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظايم الايات
التى لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جليلة او اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون

ان هولاء يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على
تماثلهم فى الاصرار على الضلاله والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون ان هى الا موتتنا
الاولى اى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى
اثبات موتة اخرى كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون
موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هى الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التى
تعقبها حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التى تعقب
حيوة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا باباءنا خطاب لمن وعدهم بالنشور
من الرسول عليه السلام والمومنين ان كنتم صادقين فيما تعدوننا من قيام الساعة وبعث
الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصى بن كلاب ليشاوروه
وكان كبيرهم ومفزعهم فى الملمات والمهمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اى اهم خير فى
القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم
من كل جبار عنيد اولى باس شديد والاستفهام للتقرير ان اولئك هو تبع الحميرى الذى سار
بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مومنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم
الله تعالى دونه وكان يكتب فى عنوان كتابه بسم الله الذى ملك برا وبحرا اى بحارا كثيرة وعن النبى
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلام ما ادرى اكان تبعا
نبيا او غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنه انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون
كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود
واضرابهم من كل جبار عنيد اولى باس شديد والاستفهام للتقرير ان اولئك اقوى من هولاء
وقوله تعالى اهلكناهم استيناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين
تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا فى غاية القوة والشدة
فلان يهلك هولاء وهم شركاؤهم فى الاجرام اضعف منهم فى الشدة والقوة اولى وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما اى ما بين الجنسين وقرى وما بينهن لاعبين لاهين من غير ان
يكون فى خلقها غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من
اعم الاحوال او اعم الاسباب اى ما خلقناهما ملتبسا بشىء من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما
خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذى هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم الفصل اى فصل الحق
عن الباطل وتمييز المحق من المبطل وفصل الرجل عن احبابه واقاربه ميقاتهم وقت موعدهم
اجمعين وقرى ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اى ان ميعاد حسابهم و
جزائهم فى يوم الفصل يوم لا يغنى بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه
الفصل لا لنفسه مولى من قرابة او غيرها عن مولى اى مولى كان شيئا اى شيئا من الاغناء
ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول
الشفاعة فى حقه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز الذى
لا ينصر من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرى بكسر الشين وقد مر معنى

الزقوم فى سورة الصافات طعام الاثيم اى الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما
بعده عليه وما بعده كالمهل وهو ما يمهل فى النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت يغلى
فى البطون وقرى بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلى الحميم غليانا كغليه خذوه على ارادة
القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اى جروه والعتل الاخذ بمجامع الشىء وجره بقهر وعنف و
قرى بضم التاء وهى لغة فيه الى سواء الجحيم اى وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم
كان الاصل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف
وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اى وقولوا له
ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين جبليها اعز ولا اكرم منى فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيئا وقرى
بالفتح اى لانك وعذاب انك ان هذا اى العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون
فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اى عن الكفر والمعاصى فى مقام
فى موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذى شاع استعماله فى معنى العموم
وقرى بضم الميم وهو موضع اقامة امين يامن صاحبه الافات والانتقال عنه وهو من الامن
الذى هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه
بما يلقى فيه من المكاره فى جنات وعيون بدل من مقام جىء به دلالة على نزاهته واشتماله
على طيبات الماكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير فى
الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين
فى المجالس ليستانس بعضهم ببعض كذلك اى الامر كذلك او كذلك اثبناهم وزوجناهم
بحور عين على الوصف وقرى بالاضافة والمراد قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين
جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف فى انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل
فاكهة اى يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شىء منها بمكان ولا
زمان امنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون على الحياة
ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق
كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ووقاهم عذاب الجحيم
وقرى مشددا للمبالغة فى الوقاية فضلا من ربك اى اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تع
وقرى بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع
المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة
للسورة الكريمة اى انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كى يفهمه قومك ويتذكروا به ويعملوا
بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية ست وثلثون

حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المومن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا
محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان
جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر
بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا مضمر يلوح به ما قبله اي
المولف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل آه وقد مر مرارا ان الذي يجعل
عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها
الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب
فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر
سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى
ان في السموات والارض لايات للمومنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستانف مسوق
للتنبيه على الايات التكوينية الافاقية والانفسية ومحل الايات اما نفس السموات والارض
فانهما منطويتان من فنون الايات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى
ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى وفي خلقكم اي من نطفة ثم من علقة
متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على المضاف دون المضاف
اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة ايات بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة
معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل ايات عطف على ما قبلها من الجملة المصدرة
بان وقيل ايات عطف على ما قبلها من ايات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرى آية بالتوحيد
وقرى ايات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما
يبث من دابة ايات لقوم يوقنون اي من شانهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه واختلاف
الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور في الايتين قبله وقد قرى بذكره والمراد باختلافهما
اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السما عطف على اختلاف من رزق
اي من مطر وهو سبب للرزوق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة
فاحيى به الارض بان اخرج منها اصناف الزرع والثمرات والنبات بعد موتها بعرائها عن
آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى
اخرى ومن حال الى حال وقرى بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود
اما للايذان بانه اية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف
الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدا لانشاء المطر
بل له ولساير المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار ايات لقوم يعقلون بالرفع على انه
خبر ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرى بالنصب على الاختصاص
وقيل على انها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان
وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في ايات وتنكير ايات في المواقع
الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الايات في الدقة والجلاء تلك
ايات الله مبتدا وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر

وايات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلوا ومن مفعوله اي نتلوها محقين
او ملتبسة بالحق فباي حديث من الاحاديث بعد الله واياته اي بعد ايات الله وتقديم
الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القران حسبما
نطق به قوله تعالى الله نزل احسن الحديث وهو المراد باياته ايضا ومناط العطف التغاير العنواني
يومنون بصيغة الغيبة وقرى بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع ايات
الله صفة اخرى لافاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من ايات الله
ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون مما لا يسمع كقولك سمعت
زيدا يقرا ثم يصر اي يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما
سمعه من ايات الله تعالى والاذعان لما نطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل
وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع
القران لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد
وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الايات التي حقها ان تذعن لها القلوب
وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اي
كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال من ضمير يصر اي يصر شبيها بغير السامع
فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من اياتنا شيا اي اذا بلغه من اياتنا
شيء وعلم انه من اياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيا
يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها اي
الايات كلها هزوا اي هزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتانيث لانه في معنى
الآية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبايح والجمع باعتبار الشمول
للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضماير باعتبار كل
واحد واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية
لحق استكبارهم واستهزائهم بايات الله سبحانه وتعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم لانهم
متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة
التي يواريها الشخص من خلف وقدام ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد
شيا من عذاب الله تعالى او شيا من الاغنا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام
وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال
والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم ولهم
فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي القران هدى في غاية الكمال من
الهداية كانه نفسها والذين كفروا اي بالقران وانما وضع موضعه ضميره قوله تعالى بايات ربهم
لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اي من اشد العذاب اليم بالرفع
صفة عذاب وقرى بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه
اما على الابتدا واما على الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما
يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجري الفلك فيه بامره وانتم راكبوها

ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا النعم
المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا من الموجودات بان جعلها
مدار المنافعكم جميعا اما حال من ما في السموات والارض او توكيد له منه متعلق بمحذوف
هو صفته لجميعا او حال من ما اي جميعا كاينا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كاينة منه
مخلوقة له تعالى او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه تعالى وقرى منة على المفعول له ومنةٌ على
انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدا محذوف اي ذلك منة ان في ذلك اي فيما
ذكر من الامور العظام لايات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدايع صنع الله
تعالى فانهم يقفون بذلك على جلايل نعمه تعالى ودقايقها ويوفقون لشكرها قل للذين امنوا
حذف المقول لدلالة يغفروا عليه فانه جواب له للامر باعتبار تعلقه لا باعتبار نفسه فقط
اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون
وقايعه تعالى باعدايه من قولهم ايام العرب لوقايعها وقيل لا يا ملون الاوقات التي وقتها
الله تعالى لثواب المومنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخت بها وقيل
نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال
وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بير يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي
فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البير فما ترك احدا يستقي
حتى ملا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله عنه فقال ابن ابي ما مثلنا
ومثل هولاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ ذلك عمر فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها
الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المومنون
والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيمة قوما ايما قوم قوما مخصوصين
بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم
الغيظ واحتمال المكروه وما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم
الكفرة وبما كانوا يكسبون سياتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير
وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد
من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي
ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرى ليجزى قوم
وليجزى قوما اي ليجزي الجزاء قوما وقرى لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا
كان او شرا ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب اي التورية والحكم اي الحكمة النظرية والعملية
والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم
الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذايذ كالمن والسلوى
وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نوت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام
ونظايرهما وقيل على عالمي زمانهم واتيناهم بينات من الامر دلايل ظاهرة في امر الدين
ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله عنه هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم

وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامه الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا
في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف
موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة
بالمواخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة
عظيمة الشان من الامر اي امر الدين فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير
اخلال بشي منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي اراء الجهلة واعتقاداتهم الزايغة التابعة
للشهوات وهم روساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام ارجع الى دين ابايك انهم لن يغنوا
عنك من الله شيا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع
اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من
توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا اي القران او اتباع الشريعة بصاير للناس
فان ما فيه من معالم الدين وشعاير الشرايع بمنزلة البصاير في القلوب وهدى من ورطة الضلالة
ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شانهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيات
استيناف سيق لبيان تباين حالي المسيين والمحسنين اثر بيان تباين حالي الظالمين والمتقين
وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان
لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح
الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوي الاحوال
كالذين امنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة
ورفع الدرجة وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في
الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعا
به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كاينين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم
كلا لا يستوون في شي منهما فان هولاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيى وفي رحمة الله تعالى
ورضوانه في الممات واوليك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيى وفي لعنة الله والعذاب
الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة
لان المسيين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرى محياهم
ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم
ومماتهم وقد ذكر في الاية الكريمة وجوه اخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر
وقرى سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدا فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال واياما كان
فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على
المومنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه
انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا
وبيس شيا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استيناف مقرر لما سبق من الحكم
فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسي

فی المحیا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم یطرد ذلک فی المحیی فهو بعد الممات حتما
ولتجزی کل نفس بما کسبت عطف علی بالحق لان فیه معنی التعلیل اذ معناه خلقها مقرونة
بالحکمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلک ولتجزی الخ او علی علة محذ وف
مثل لیدل بها علی قدرته او لیعدل ولتجزی وهم ای النفوس المدلول علیها بکل نفس لا یظلمون
بنقص ثواب او بزیادة عقاب وتسمیة ذلک ظلما مع انه لیس کذلک علی ما عرف من قاعدة اهل
السنة لبیان غایة تنزه ساحة لطفه تعالی عما ذکر بتنزیله منزلة الظلم الذی یستحیل صدوره
عنه تعالی افرایت من اتخذ الهه هواه تعجیب من حال من ترک متابعة الهدی الی متابعة الهوی
فکانه عبده ای انظرت فرایته فان ذلک مما یقضی منه العجب وقری الهة هواه لان احدهم
کان یستحسن حجرا فیعبده فاذا رای احسن منه رفضه الیه فکانه اتخذ الهة شتی واضله الله
وخذله علی علم ای عالما بضلاله وتبدیله لفطرة الله التی فطر الناس علیها وختم علی سمعه
وقلبه بحیث لا یتاثر بالمواعظ ولا یتفکر فی الایات والنذر وجعل علی بصره غشاوة
مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقری بفتح الغین وضمها وقری غشوة فمن یهدیه من بعد الله
ای من بعد اضلاله تعالی ایاه بموجب تعامیه عن الهدی وتمادیه فی الغی افلا تذکرون
الا تلاحظون فلا تذکرون وقری تتذکرون علی الاصل وقالوا بیان لاحکام ضلالهم المحکی
ای قالوا من غایة غیهم وضلالهم ما هی ای ما الحیاة الا حیاتنا الدنیا التی نحن فیها نموت
ونحیا ای یصیبنا الموت والحیاة فیها ولیس وراء ذلک حیاة وقیل نکون نطفا وما قبلها وما
بعدها ونحیی بعد ذلک او نموت بانفسنا ونحیی ببقاء اولادنا او یموت بعضنا ویحیی بعضنا
وقد جوز ان یریدوا به التناسخ فانه عقیدة اکثر عبدة اهل الاوثان وقری نحیی وما یهلکنا
الا الدهر الا مرور الزمان وهو فی الاصل مدة بقاء العالم من دهره ای غلبه وقری الا دهر یمر
وکانوا یزعمون ان المؤثر فی هلاک الانفس هو مرور الایام واللیالی وینکرون ملک الموت
وقبضه للارواح بامر الله تعالی ویضیفون الحوادث الی الدهر والزمان ومنه قوله علیه السلام
لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر ای فان الله هو الآتی بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلک
ای بما ذکر من اقتصار الحیاة علی ما فی الدنیا واسناد الحیاة والموت الی الدهر من علم
ما مستند الی عقل او نقل ان هم الا یظنون ما هم الا قوم قصاری امرهم الظن والتقلید
من غیر ان یکون لهم شیء یصح ان یتمسک به فی الجملة هذا معتقدهم الفاسد فی انفسهم واذا
تتلی علیهم ایاتنا الناطقة بالحق الذی من جملته البعث بینات واضحات الدلالة علی ما
نطقت به او مبینات له ما کان حجتهم بالنصب علی انه خبر کان ای ما کان متمسکا لهم شیء من
الاشیاء الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان کنتم صادقین فی انا نبعث بعد الموت ای الا هذا القول
الباطل الذی یستحیل ان یکون من قبیل الحجة وتسمیته حجة اما لسوقهم ایاه مساق الحجة علی
سبیل التهکم بهم او لانه من قبیل تحیة بینهم ضرب وجیع وقری برفع حجتهم علی انها اسم کان
فالمعنی ما کان حجتهم شیئا من الاشیاء الا هذا القول الباطل قل الله یحییکم ابتداء ثم یمیتکم
عند انقضاء اجالکم لا کما تزعمون من انکم تحیون ثم تموتون بحکم الدهر ثم یجمعکم بعد البعث
الی یوم القیمة للجزاء لا ریب فیه ای فی جمعکم فان من قدر علی البدء قدر علی الاعادة والحکمة

اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالایات دل علی وقوعهما حتما والاتیان بابائهم
حیث کان مزاحما للحکمة التشریعیة امتنع ایقاعه ولکن اکثر الناس لا یعلمون استدراک من قوله
تعالی لا ریب فیه وهو اما من تمام الکلام المامور به او کلام مسوق من جهته تعالی تحقیقا للحق
وتنبیها علی ان ارتیابهم لجهلهم وقصورهم فی النظر والتفکر لا لان فیه شائبة ریب ما
ولله ملک السموات والارض بیان لاختصاص الملک المطلق والتصرف الکلی فیهما وفیما بینهما
بالله عز وجل اثر بیان تصرفه تعالی فی الناس بالاحیاء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ویوم
تقوم الساعة یومئذ یخسر المبطلون والعامل فی یوم یخسر ویومئذ بدل منه وتری کل امة جمیع
من الامم المجموعة جاثیة بارکة علی الرکب مستوفزة وقری جاذیة ای جالسة علی اطراف الاصابع
لاستیفازها واشد استیفازا من الجثو وعن ابن عباس رضی الله عنه جاثیة مجتمعة وقیل جماعات من
الجثوة وهی الجماعة کل امة تدعی الی کتابها الی صحیفة اعمالها وقری کل بالنصب علی انه بدل من الاول
وتدعی صفة او حال او مفعول ثان الیوم تجزون ما کنتم تعملون ای یقال لهم ذلک وقوله تعالی
هذا کتابنا الخ من تمام ما یقال حینئذ وحیث کان کتاب کل امة مکتوبا بامر الله تعالی اضیف
الی نون العظمة تفخیما لشانه وتهویلا لامره فهذا مبتدا وکتابنا خبره وقوله تعالی ینطق علیکم
ای یشهد علیکم بالحق من غیر زیادة ولا نقص خبر اخر او حال وبالحق حال من فاعل ینطق وقوله
انا کنا نستنسخ الخ تعلیل لنطقه علیهم باعمالهم من غیر اخلال بشیء منها ای انا کنا فیما قبل
نستکتب الملائکة ما کنتم تعملون فی الدنیا من الاعمال حسنة کانت او سیئة وقوله تعالی
فاما الذین امنوا وعملوا الصالحات فیدخلهم ربهم فی رحمته ای فی جنته تفصیل لما یفعل
بالامم بعد بیان ما خوطبوا به من الکلام المنطوی علی الوعد والوعید ذلک الذی ذکر من الادخال
فی رحمته تعالی هو الفوز المبین الظاهر کونه فوزا لا فوز وراءه واما الذین کفروا افلم تکن ایاتی
تتلی علیکم ای فیقال لهم بطریق التوبیخ والتقریع الم تکن تاتیکم رسلی فلم تکن ایاتی تتلی علیکم فحذف
المعطوف علیه ثقة بدلالة القرینة علیه فاستکبرتم عن الایمان بها وکنتم قوما مجرمین
ای قوما عادتهم الاجرام واذا قیل ان وعد الله ای ما وعده من الامور الاتیة او وعده بذلک
حق ای واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التی هی اشهر ما وعده لا ریب فیها ای فی
وقوعها وقری والساعة بالنصب عطفا علی اسم ان وقراءة الرفع للعطف علی محل ان واسمها
قلتم لغایة عتوکم ما ندری ما الساعة ای ای شیء هی استغرابا لها ان نظن الا ظنا ای ما
نفعل الا ظنا وقد مر تحقیقه فی قوله تعالی ان اتبع الا ما یوحی الی وقیل ما نعتقد الا ظنا ای لا
علما وقیل ما نحن الا نظن ظنا وقیل ما نظن الا ظنا ضعیفا ویرده قوله تعالی وما نحن بمستیقنین
ای لامکانه فان مقابل الاستیقان مطلق الظن لا الضعیف منه ولعل هؤلاء غیر القائلین ما هی
الا حیاتنا الدنیا وبدا لهم ای ظهر لهم حینئذ سیئات ما عملوا علی ما هی علیه من الصورة
المنکرة الهائلة وعاینوا وخامة عاقبتها او جزاءها فان جزاء السیئة سیئة وحاق بهم ما کانوا به
یستهزءون من الجزاء والعقاب وقیل الیوم ننساکم نترککم فی العذاب ترک المنسی کما نسیتم
فی الدنیا لقاء یومکم هذا ای کما ترکتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الی الیوم اضافة المصدر
الی ظرفه وماواکم النار وما لکم من ناصرین ای ما لاحد منکم ناصر واحد یخلصکم منها ذلکم

العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم ايات الله هزوا اى مهزوا بها ولم ترفعوا لها راسا وغرتكم
الحياة الدنيا فحسبتم ان لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها اى من النار وقرى يخرجون من الخروج
والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب
الى غيابة النار ولا هم يستعتبون اى يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد
خاصة رب السموات والارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتاكيد و
الايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرى برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله
الكبرياء فى السموات والارض لظهور اثارها واحكامها واظهارهما فى موقع الاضمار لتفخيم شان
الكبرياء وهو العزيز الذى لا يغلب الحكيم فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الأحقاف أربع

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذى مر فى مطلع السورة السابقة ما خلقنا
السموات والارض بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما
من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه
الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اى ما خلقناها فى
حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى
وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى واجل مسمى
عطف على الحق بتقدير مضاف اى وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه امور الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو اخر مدة البقاء المقدر لكل واحد
وياباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم القيمة وما فيه من الطامة
التامة والاهوال العامة لا اخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية اى ما خلقنا
الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذى يجازون عنده والحال انهم غير مومنين به معرضون عنه وعن
الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا ارايتم اخبرونى وقرى ارايتكم ما تدعون ما تعبدون
من دون الله من الاصنام ارونى تاكيد لارايتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام فى ماذا
ام لهم شرك اى شركة مع الله تعالى فى السموات اى فى خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم
ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له فى وجود شى من الاشيا بوجه من الوجوه
فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى
ايتونى بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان
بسند عقلى اى ايتونى بكتاب الهى كائن من قبل هذا الكتاب اى القران الناطق بالتوحيد وابطال
الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين
شاهدة باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين فى دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان
عقلى او سلطان نقلى وحيث لم يقم عليها شى منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين

بطلانها وقرى اثارة بكسر الهمزة اى مناظرة فانها تثير المعانى واثرة اى شى اوثرتم به وخصصتم
من علم مطوى عن غيركم واثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما
المفتوحة فهى المرة من اثر الحديث اى رواه واما المضمومة فاسم ما يوثر كالخطبة التى هى اسم ما
يخطب به ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ونفى لان يكون احد يساوى
المشركين فى الضلال وان كان سبك التركيب لنفى الاضل منهم من غير تعرض لنفى المساوى كما مر
غير مرة اى هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة
مصنوعهم العارى عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفى الاستجابة وهم عن دعائهم
الضمير الاول لمفعول يدعو والثانى لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق
باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادات وضماير العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها
بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم الاية واذا حشر الناس عند قيام القيمة كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم
كافرين اى مكذبين بلسان الحال والمقال على ما يروى انه تعالى يحيى الاصنام فتتبرا عن عبادتهم
وقد جوز ان يراد بهم كل ما يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع
الضماير واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبروهم عنهم وعن عبادتهم
وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق اى لاجله وفى شانه وهو عبارة عن الايات المتلوة
وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير
المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اى فى اول ما جاءهم من غير تدبر
وتامل هذا سحر مبين اى ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم
السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما فى ام من الهمزة للانكار التوبيخى المتضمن للتعجب اى بل
ايقولون افترى القران قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لى من الله شيئا اذ لا ريب فى انه
تعالى يعاجلنى حينئذ بالعقوبة فكيف اجترى على ان افترى عليه تعالى كذبا واعرض نفسى للعقوبة
التى لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى
اياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بينى وبينكم حيث يشهد لى بالصدق
والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم
وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت
بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرى بفتح الدال على انه
صفة كقيم وزيم او جمع مقدر بمضاف اى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراة الاولى ايضا على انه
مصدر كانوا يقترحون عليه عليه السلام ايات عجيبة ويسالونه عن المغيبات عنادا ومكابرة
فامر عليه السلام بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى اتيكم
بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسالون عنه من الغيوب فان من قبلى من الرسل عليهم السلام
ما كانوا ياتون الا بما اتاهم الله تعالى من الايات ولا يخبرون الا بما اوحى اليهم وما ادرى ما يفعل
بى ولا بكم اى اى شى يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه

وعن الحسن رضي الله عنه ما ادرى ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنه
ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وقيل يجوز ان يكون المنفي الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما
عبارة عما ليس علمه من وظايف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع في الاخرة
فان العلم بذلك من وظايف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا
وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من
اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك بمكة ام اومر بالخروج
الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورايتها في منامي وتجوز ان تكون ما موصولة
والاستفهامية اقضى لحق مقام التبرء عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتاكيده
وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل الا اتباع
ما يوحى الي على معنى قصر افعاله عليه السلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع
الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم
الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المؤمنين ان يتخلصوا عن
اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى حسبما
يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان اي ما يوحى الي من القرآن
من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في
الخبر وسطت بين اجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى
قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع
وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به
امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في
قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور متحققة عندهم
وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار منه او لا والمعنى اخبروني
ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين
على شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التوراة على مثله اي مثل القرآن من المعاني المنطوية
في التوراة المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في
الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى وانه لفي الصحف الاولى
والمثلية باعتبار تاديتها بعبارات اخر او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما
ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فآمن للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم
انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له
اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد
ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى
المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه واذا

ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود
قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم
النبي عليه السلام اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا
واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله
فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال
هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه
نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من بعثه
النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام
فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت
السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني
ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن
الايمان به عن هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية
مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم
وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي
قال كفار مكة للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به عليه السلام من القرآن والدين
خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال
ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما تنال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها
الاعراض عن زخارف الدنيا والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها
ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قالوه بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة
واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية لا بد
حينئذ من الالتجاء الى ادعاء ان الآية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه
ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته
هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله
اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى وقيل والجملة حالية او مستانفة واياما كان
فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطاله فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا
اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرايعه كما يقتدى بالامام
ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم
الشان مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد
قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها
معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي لينذر الذين

ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عليه السلام ويؤيد الاخير القراءة
بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه
خبر مبتدا مضمر اي وهو بشرى وقيل على انه عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في امور الدين التي
هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف
عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد
بيان دوام نفي الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما
ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى
جزاء اما منصوب بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم وان قوله تعالى اولئك اصحاب
الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات العلمية والعملية ووصينا الانسان
بان يحسن بوالديه احسانا وقرئ حسنا اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في
ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او
وصيناه ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة
وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله اي
مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى
والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل مدة العمر
ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا يمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدايد لاجله وهذا
دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين
لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما
وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله
وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب
اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير واصلح لي في ذريتي
اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي قال ابن عباس
اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله عنه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم
يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم
يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين اني تبت اليك عما لا ترضاه او عما
يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الانسان والجمع
لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد
منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات
فان المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى

وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قايم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة
اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله نتقبل ونتجاوز
وعد من الله تعالى لهم بالتفضل والتجاوز الذي كانوا يوعدون على السنة الرسل والذي قال
لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان
المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين
والموصول عبارة عن الجنس القايل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو في الكافر
العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما
روي من انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قبل اسلامه يرده ما سياتي من قوله
تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الاية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت
الصديقة رضي الله عنها من قال ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ
اخرج من الخروج وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يسألانه
ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اي قايلين له ويلك في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث
والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك امن ان وعد الله حق اي البعث اضافاه اليه تعالى تحقيقا
للحق وتنبيها على خطائه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي امن بان وعد الله حق فيقول
مكذبا لهما ما هذا الذي تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب
من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القايلون هذه المقالة الباطلة الذين حق عليهم القول
وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى
في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة انهم جميعا كانوا
خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤوس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم
بطريق الاستيناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من جزاء
ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب وليوفيهم
اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الاخرين
والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استيناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم
اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات
والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى
على السيف اي قتلوا وقيل تعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال
لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ اذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي
اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم
بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم في الدنيا
تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون اي تخرجون من طاعة الله
عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر اي لكفار مكة
اخا عاد اي هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم بالاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب

عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة
وقد خلت النذر اى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اى من قبله ومن خلفه
اى من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله موكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه
وبين قوله ان لا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا باشتراكهم فى
العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد
انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل
انذر على معنى انه عليه السلام انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما
فيه من تكلف تقدير الاعلام لا بد فى نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الاتى منزلة الخا[لى]
قالوا اجئتنا لتافكنا اى تصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب العظيم
ان كنت من الصادقين فى وعدك بنزوله بنا قال انما العلم اى بوقت نزوله او العلم بجميع الاشيا
التى من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لى بوقت نزوله ولا مدخل لى فى اتيانه وحلوله وانما
علمه عند الله تعالى فياتيكم به فى وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب الرسالة
التى من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرى
ابلغكم من الابلاغ ولكنى اريكم قوما تجهلون حيث تقترحون على ما ليس من وظائف الرسل من
الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى فلما راوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه
قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع الى ما استعجلوه بقولهم فاتنا بما تعدنا اى فاتاهم
فلما راوه سحابا يعرض فى افق السماء مستقبل اوديتهم اى متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية
كما فى قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا وصفين للنكرة بل هو اى قال هود وقد
قرى كذلك وقرى قل وهو رد عليهم اى ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب
ريح بدل من ما او خبر لمبتدا محذوف فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر
اى تهلك كل شئ من نفوسهم واموالهم بامر ربها وقرى يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك
فالعائد الى الموصوف محذوف او هو الهاء فى ربها ويجوز ان يكون استينافا واردا لبيان ان لكل
ممكن فناء مقضيا منوطا بامر باريه ويكون الهاء لكل شئ لكونه بمعنى الاشياء وفى ذكر الامر والرب
والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء فى قوله تعالى فاصبحوا لا يرى
الا مساكنهم فصيحة اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرى ترى بالتاء
ونصب مساكنهم خطابا لكل احد يتاتى منه الروية تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم
لا يرى فيها الا مساكنهم كذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى القوم المجرمين وقد مر تفصيل
القصة فى سورة الاعراف وقد روى ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعهما فى الجو
حتى ترى كانها جرادة قيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار
وروى ان اول ما عرفوا به انه عذاب ما راوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح
بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى
الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم

فى البحر وروى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المومنين خطا الى جنب عين
تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح
الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة
ولقد مكناهم اى قررنا عادا او اقدرناهم وما فى قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة او موصوفة
وان نافية اى فى الذى او فى شئ ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادى
التصرفات كما فى قوله تع وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع
ان ههنا التفصى عن تكرر لفظة ما وهو الداعى الى قلب الفها هاء فى مهما وجعلها شرطية او زائدة
مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل
منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على
شكره فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه فى استماع الوحى ومواعظ الرسل ولا ابصارهم
حيث لم يجتلوا بها الايات التكوينية المنصوبة فى صحائف العالم ولا افئدتهم حيث لم يستعملوها
فى معرفة الله تعالى من شئ اى شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتاكيد وقوله تع اذ كانوا يجحدون
بايات الله متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف
اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمنى فى قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت
اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال فى حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الايات كررناها
لهم لعلهم يرجعون لكى يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون
الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به الى الله تعالى واحد مفعولى اتخذوا ضمير الموصول المحذوف
والثانى آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال
كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل
وان كان هو المقصود لكنه لا بد فى غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب فى ان قولنا
اتخذوهم من دون الله قربانا اى متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به
فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله فى ذلك وقرى قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اى غابوا
عنهم وفيه تهكم آخر بهم كان عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم اى ظهر ضياعهم عنهم بالكلية
وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك اى ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم
افكهم اى اثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرى افكهم وكلاهما مصدر كالحذر
والحذر وقرى افكهم على صيغة الماضى فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ اى وذلك الاتخاذ الذى
هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرى افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال اى جعلهم
آفكين وقرى آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اى قولهم الآفك اى ذو الافك كما
يقال قول كاذب وما كانوا يفترون عطف على افكهم اى واثر افترائهم على الله تعالى او اثر ما كانوا
يفترونه عليه تعالى وقرى وذلك افك مما كانوا يفترون اى بعض ما كانوا يفترون من الافك

واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير
لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القران وما بعده وهو حال مقدرة
من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنا
من الجن مقدرا استماعهم للقران فلما حضروه اي القران عند تلاوته او الرسول عند تلاوته
على الالتفات والاول هو الاظهر قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا لنستمعه
فلما قضي اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه السلام وهذا يؤيد
عود ضمير حضروه اليه عليه السلام ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم
اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا
لنبإ عظيم حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة
فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاة الفجر فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانبأه الله تعالى
باستماعهم وقيل بل امر الله تعالى ان ينذر الجن ويقرا عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له
فقال عليه السلام اني امرت ان اقرا على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا
فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عليه السلام
ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيا قلت نعم
رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة
التي قراها عليهم اقرا باسم ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من
بعد موسى قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الجن لم تكن سمعت
بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه اراد وابه التورية يهدي الى الحق من العقايد الصحيحة
والى صراط مستقيم موصل اليه وهو الشرايع والاعمال الصالحة يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا
به اراد وابه ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعدما وصفوه بالهداية الى الحق
والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم في
الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى
فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة واختلف في ان لهم اجرا
غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس
بمعجز في الارض ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين
واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة
وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب
وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه اولياء بيان
لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون
من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الاحاد الى الاحاد كما ان الجمع في قوله تعالى اولئك بذلك

لاعتبار اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر كونه ضلالا
بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار والواو
للعطف على مقدر يستدعيه المقام والروية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما
متاخما للمشاهدة والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال يحتذيه
ولا قانون ينتحيه ولم يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال
عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه
القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الاية على ان وما في
حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على
كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا
على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ
من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللائق بتهويله
وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم
بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون
في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وانى لهم ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر
اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد
باولي العزم اصحاب الشرايع الذين اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها
ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام
وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم
صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على
الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين
وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين
ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم يوم يرون ما يوعدون
من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدون من شدة العذاب
وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدا محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او
او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون
اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك
وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد ثمان وثلثون آية مكية

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او
منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك
كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا
من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم
اى ابطلها واحبطها وجعلها ضايعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان لم
تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونه من اعمال البر كصلة الارحام
وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها
للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله
واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سياتى من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله
تعالى فاذا لقيتم الى آخره والذين آمنوا وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار
وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل وآمنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك
مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين ساير ما يجب الايمان به
وانه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته
بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزايل وعلى الاول مقابل الباطل وايا ما كان فقوله
تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرى نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف
كفر عنهم سيئاتهم اى سترها بالايمان والعمل الصالح واصلح بالهم اى حالهم في الدين والدنيا
بالتاييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال
وهو مبتدا خبره قوله تعالى بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم
اى ذلك كاين بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر
والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه اصلا مستتبعا
لها قطعا وبسبب ان الآخرين اتبعوا الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من
الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح
بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدا ومنشا
لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل
الحق وهو الزايل الذاهب الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها
لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لان الكفر
والصد اخس منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له
فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون
التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر
بها في الموقعين كذلك اى مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اى يبين للناس امثالهم
اى احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم
وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم مما يوجب ان يرتب على كل من الجانبين والفاء في قوله تع
فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم

وصلاح

اختصار و

وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام
اى فاذا كان الامر كذلك فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب
ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه تاكيد بليغ والتعبير
به عن القتل تصوير له باشنع صورة وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا
اثخنتموهم اى اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح
حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا
الوثاق بالكسر وقد قرى بذلك فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون بعد ذلك منا او تفدون
فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رضي الله عنه
وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد
ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرى فدى كعصا حتى تضع الحرب اوزارها
اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها
اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رحمه الله لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا
يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا تبقى لهم شوكة وقيل الى ان ينزل عيسى
عليه السلام واما عند ابي حنيفة رضي الله عنه فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء
والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب
والشد والمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى يضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة
وقيل اوزارها آثامها اى حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا ذلك اى الامر ذلك
او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستيصال
ولكن لم يشا ذلك ليبلوا بعضكم ببعض فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا
الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن
الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اى استشهدوا وقرى قاتلوا اى جاهدوا وقتلوا وقتلوا
فلن يضل اعمالهم اى فلن يضيعها وقرى تضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل
وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الثواب
او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث
اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق
وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله تع او طيبها
لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة
والجملة اما مستانفة او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله اى دينه
ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها او على
محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط
ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله
واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول ذلك اى ما ذكر من التعس واضلال
الاعمال بانهم بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد وساير الاحكام المخالفة

لما الغوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي لو كانوا عملوها مع
الايمان لاثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض اي اقعدوا في اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان اثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى
دمر الله عليهم استئناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استاصل
الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه
ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوبتهم
لكن لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب
متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين
وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد الما
من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير
كانه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الاخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت امثال عقوبة
الامم السابقة لهؤلاء بان الله مولى الذين امنوا اي ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولي الذين امنوا
وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى
ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية والذين
كفروا يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تاكل الانعام غافلين عن عواقبهم
والنار مثوى لهم اي منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف
وكاي كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية
تمييز لها وقوله تعالى هي اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التي اخرجتك
صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجرى احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو
قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك
من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف
قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه السلام للايذان باولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته
قول النابغة كليب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تع فلا ناصر لهم
بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم
والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من
ربه تقرير لتباين حال فريقي المؤمنين والكافرين وكون الاولين في اعلى عليين والاخرين في اسفل
سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي عليه
السلام او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام
وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير اليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان
نير من مالك امره ومربيه وهو القران الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله
من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين اهواءهم

الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة
تدل عليها وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي
وعد المتقون استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة انفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها
التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي
هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن اخرها ومثلها وصفها العجيب الشان وهو
مبتدا محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى فيها انهار الى اخره
مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل
زائد كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدا خبره فيها انهار الخ
من ماء غير اسن اي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان صار
قارصا ولا حازرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح
ولا غائلة سكر وخمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تانيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة
وقرئ لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل
مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة
بانواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب
غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل
الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق
بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي
كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر لمبتدا محذوف تقديره امن هو خالد في
هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل
هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل
اهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة
من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما
فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم
من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وامازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم
ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظة من كما ان جمعه فيما سياتي
باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه
ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة
ماذا قال انفا اي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وانفا
من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استانف الشيء وائتنف وهو
ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون بما ذكر
الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا
ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم اي الله تعالى هدى بالتوفيق
والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون

الا الساعة اى القيمة وقوله تعالى ان تاتيهم بغتة اى تباغتهم بغتة وهى المفاجاة بدل اشتمال من
الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من
عظايم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرى بغتة بفتح الغين وقوله
فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق امر من الامور الموجبة للتذكر
امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها
من مبادى اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهى العلامة
والمراد بها مبعثه عليه السلام وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم
حكم بخطايهم وفساد رايهم فى تاخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى
يوم يتذكر الانسان وانى له الذكرى اى وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم
مبتدا واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجىء عن قيد البغتة لما ان
مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرى ان تاتهم على انه
شرط مستانف جزاوه فانى لهم الخ والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم
تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اى اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد
والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية
والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذى ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى
عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيات المقربين وارشادا
له عليه السلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل وللمومنين والمومنات اى لذنوبهم
بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه
جنسا وفى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم فى الذنب وفرط
افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة
ومثواكم فى العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يامركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال
بما امركم به فانه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شىء منها ويقول
الذين امنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اى هلا نزلت سورة تومر فيها بالجهاد فاذا
انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اى سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها
لوجه اخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لم تنسخ وقرى فاذا
نزلت سورة وقرى وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال رايت الذين فى
قلوبهم مرض اى ضعف فى الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون
اليك نظر المغشى عليه من الموت اى تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كداب من اصابته غشية الموت
فاولى لهم اى فويل لهم وهو افعل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم
المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام
فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستانف اى امرهم طاعة الخ او طاعة وقول معروف
خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابى يقولون طاعة وقول معروف اى امرنا ذلك فاذا
عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما فى قوله تعالى ان ذلك من عزم

الامور

الامور وعامل الظرف محذوف اى خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى
فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرنى طعام فلو جيتنى لاطعمتك اى فلو صدقوه تعالى
فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجبه لكان اى الصدق خيرا لهم
وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكى عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوا
فى الايمان وواطات قلوبهم فى ذلك السنتهم وايا ما كان فالمراد بهم الذين فى قلوبهم مرض
وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم الخ بطريق الالتفات لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع
اى هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم
تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف فى الدين والحرص
على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون
شانكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الافساد
وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد
فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات
وفيه ان الواقع فى حيز الشرط فى مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذوريته باعتبار ما يستتبعه
من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب فى ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر وفساد فحقه ان
يجعل عمدة فى التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرى وليتم على البناء للمفعول اى جعلتم
ولاة وقرى توليتم اى تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم
وقرى وتقطعوا من التقطيع بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار
اى فى ارحامكم وقرى وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم
فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات
ايذانا بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم
وهو مبتدا خبره الذين لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم
عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الايات المنصوبة فى الانفس
والافاق افلا يتدبرون القران اى الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر
حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا
وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة
لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بابهام
امرها فى القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها فى
القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة
على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لساير الاقفال المعهودة وقرى اقفلها
واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم
المنافقون واضافة الاقفال اليهم هم الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبايح
الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلام من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة
والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به عليه السلام بعد ما

وجدوا نعته عليه السلام في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم
جملة من مبتدا وخبر وقعت خبر الان اى سهل لهم ركوب العظايم من السول وهو الاسترخا وقيل
من السول المخفف من السؤل لاستمرار القلب فمعنى سول له امرا اوقعه في امنيته فان السول
الامنيه وقرى سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اى كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم
في الامانى والآمال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرى املى لهم على صيغة التكلم
فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال او الاستيناف وقرى املى لهم على البنا للمفعول
اى امهلوا ومد في عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدى
ولا الى التسويل كما قيل لان شيا منهما ليس مسببا من القول الآتى وهو مبتدا خبره قوله تع بانهم
اى بسبب انهم قالوا يعنى المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعدما وجدوا
نعته عليه السلام في التورية كما قيل فان كفرهم به عليه السلام ليس بسبب هذا القول ولو فرض
صدوره عنهم سواء كان القول لهم المنافقين او المشركين على راى القايل بل من حين بعثته عليه السلام
للذين كرهوا ما نزل الله اى اليهود الكارهين لنزول القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا المشركين كما قيل فان قوله تعالى
سنطيعكم في بعض الامر عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم
لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذى اشاروا
الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا
يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع
الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اى اخفاهم
لما يقولونه لليهود وقرى اسرارهم اى جميع اسرارهم التى من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما
قبله متضمن للافشا في الدنيا والتعذيب في الآخرة والفا في قوله تع فكيف اذا توفتهم الملايكة
لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كانه قيل
يفعلون في حيوتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملايكة وقيل مرفوع على انه خبر
لمبتدا محذوف اى فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرى توفاهم على انه اما ماض او مضارع
قد حذف احدى تاءيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم او من مفعوله وهو تصوير
لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا يضرب
الملايكة وجهه ودبره ذلك التوفى الهايل بانهم اى بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر
والمعاصى وكرهوا رضوانه اى ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا
عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التى عملوها حال
ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التى لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها
ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم
السابق لكونه مدار النعى عليهم بقوله تع ان لن يخرج الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة
من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو

الحقد اى بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين ان لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها
لرسوله عليه السلام وللمؤمنين فيبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال
ولو نشاء اراءتهم لاريناكهم لعرفناكهم بدلايل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات
الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم التى نسمهم بها وعن انس رض
ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم
ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا
وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد
والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب قسم محذوف
ولحن القول نحوه واسلوبه وامالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام
عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان
حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلوا اخباركم ما يخبر
عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرى وليبلو بالياء وقرى ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو
ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم
الهدى بما شاهدوا نعته عليه السلام في التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه
من الايات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا
من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه
وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اى مكايدهم التى نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقة
رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوايل ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء
عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء
اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط
الطاعات بالكباير ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب فلا تهنوا اى لا تضعفوا
وتدعوا الى السلم اى ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون
منصوبا باضمار ان على جواب النهى وقرى ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد
وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير
اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهى على ما
سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهى مؤكدة لوجوب
الانتهاء وكذا قوله تعالى والله معكم فان كونهم الاغلبين وكونه عز وعلا ناصرهم من اقوى
موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال حسبما يعرب
عنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم اى ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد
او اخ او حميم فافردته من الوتر الذى هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذى
هو اضاعة شئ معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة

ابراز الغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم
الحقوق واتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم انما الحياة
الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اي ثواب
ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي تتنافس فيها المتنافسون ولا يسألكم اموالكم
بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم
ان يسألكموها اي اموالكم فيحفكم اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة
وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اي استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اي احقادكم
وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ تخرج من
الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ها انتم هؤلاء اي انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون
وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى
الذين اي ها انتم الذين تدعون نفيه توبيخ عظيم وتحقير من شانهم والانفاق في سبيل الله يعم
نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل اي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى
لتضمنه معنى الامساك والتعدي والله الغني دون من عداه وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم
الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا عطف على ان
تؤمنوا اي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما اخرين ثم لا
يكونوا امثالكم في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة
وقيل اهل فارس لما روي انه عليه السلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه
فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل
كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا
على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح تسع وعشرون اية

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحرب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق
ماخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا
وايجادا وهو المروي عن انس رضي الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه
عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة
تاكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق وفيه من الفخامة المنبئة عن عظم شان المخبر
جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام في تلك السنة من فتح خيبر وهو
المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين
بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس
رضي الله عنه رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روي
انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال

بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم
في الامان وقد راوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان
وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على
فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية اية عظيمة هي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة
فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب من كان معه جميع
وقيل فجاش الماء حتى امتلات ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح الله له عليه السلام من
الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو راس الفتوح كافة
اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء
ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروي عن
قتادة رضي الله عنه وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط
التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف
الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على
سعيه عليه السلام في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات
الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من
افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الاخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى
ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى
منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه
من النعم الدينية والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم
الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل
الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة
الغايات ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب عنه تاكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا
اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او
عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمانينة
اي انزلها في قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد
الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به
عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الاخر عن ابن عباس
ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة والحج والجهاد فازدادوا ايمانا
مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم
ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما
السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم
بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى

من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المومنين ليعرفوا نعم الله في ذلك ويشكروها
فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير
مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي
ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق
الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته في الاصل فلما قدم عليه صار حالا
اي كائنا عند الله اي في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة
على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اي ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله
والمومنين عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمومنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ
دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه
ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم
عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفاء
المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منهما في الوعيد واصالته من
غير اعتبار استتباع بعضها البعض وساءت مصيرا اي جهنم ولله جنود السموات والارض
وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فايدتها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة
وجنود العذاب وان المراد هنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك
شاهدا اي على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا
على المعصية لتومنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته وتعزروه
وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبحة
بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضي الله عنهما صلوة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر
وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ
بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزاءين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك
اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله خبر ان يعني ان مبايعتك هي مبايعة
الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تع يد الله فوق ايديهم
حال او استيناف موكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله
تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله
اي لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على
نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقي بعد حذف الواو توسلا
بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اي ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ
بما عهد وقرئ فسنوتيه بنون العظمة سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة
وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة
من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا
من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه الهدي

ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة
وقتلوا اصحابه فيقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عليه السلام بانهم سيعتلون ويقولون شغلتنا
اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ
شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك
باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقولون او استيناف
لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم فمن يملك لكم
من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشية الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا
اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما
وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر على شيء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ
اموالكم واهليكم فاي حاجة لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم
الكاذبة وتعميم الضرر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة
يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده
على تقدير صدقه اي ليس الامر كما يقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها
تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام
اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا بان يستاصلهم المشركون بالمرة
فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة
والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث واما الاهالي فاسم جمع
كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشان انفسكم غير مبالين
بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه او الى الشيطان وظننتم ظن السوء
المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون
الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول
فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه
على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار
كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمونث ومن لم يومن
بالله ورسوله كلام مبتدا من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته
اي ومن لم يومن بهما كهولاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع
الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير
بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف
في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد في
شيء منهما وجودا او عدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلام لهم وكان الله
غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يومن
بالله ورسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون
وقوله تعالى اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون

الى التخلف

عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنايم
مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان
يشاركوا في الغنايم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة
من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوايل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية
ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة وايا ما
كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنايم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي
ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل لن تتبعونا اى لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي
للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اى عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمومنين عند
سماع هذا النهي بل تحسدوننا اى ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنايم
وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اى الا فهما قليلا وهو
فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط
وسوء الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم
ستدعون الى قوم اولي باس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اى يكون احد
الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي
قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة
لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة فيخص دوام نفي الاتباع بما في
غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى
وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في
الاخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف
جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اى في التخلف عن الغزو لما بهم
من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوايف المعدودة
مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدايرة الرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول اى عن الطاعة
يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المومنين هم الذين ذكر
شانهم بما يعتهم وبهذه الاية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة
منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال
من مفعوله روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل
مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه عليه السلام لم يات لحرب
وانما جاء زايرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل
فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف
بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة
وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا

اى لا يفهمون م

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة
وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك
لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من
الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم عطف
على رضي اى فانزل عليهم الطمانينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم
فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة
ياخذونها اى مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا
غالبا حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيء على
المومنين الى يوم القيمة تاخذونها اى في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اى
غنايم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اى ايدي اهل خيبر وحلفايهم من بني اسد وغطفان حيث
جاووا لنصرتهم فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون
اية للمومنين امارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده اياهم عند رجوعهم من الحديبية ما ذكر من
المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف موخر اى ولتكون اية لهم فعل
ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اى فعجل لكم هذه او كف
ايدي الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم
بتلك الاية صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تاتونه وما تذرونه
واخرى عطف على هذه اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم
هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم
فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تاتيها بالنسبة الى قدرته
تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اى قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل
حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها اى وقضى
الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله تعالى اياها بعد اندراجها في جملة المغانم
الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد فايدة وانما الفايدة في بيان
تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم
الذين كفروا اى اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون
وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اى سن الله غلبة انبيايه
سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اى تغييرا وهو الذي كف ايديهم
اى ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اى في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم
وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح واستشهد
به ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا وكفهم
عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا عطف على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا

على المسجد بحذف المضاف اى ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى معكوفا
حال من الهدى اى محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدى او منصوب بنزع
الخافض اى محبوسا من ان يبلغ مكانه الذى يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفه على ان المحصر محل
هديه الحرم قالوا بعض الحديبيه من الحرم وروى ان خيامه عليه السلام كانت فى الحل ومصلاه
فى الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذى هو منى
ولولا رجال مومنون ونساء مومنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة
رجال ونساء وقوله تعالى ان تطوهم اى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير
المنصوب فى تعلموهم فتصيبكم منهم اى من جهتهم معرة اى مشقة ومكروه كوجوب الدية
او الكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالة بهم والاثم بالتقصير فى البحث عنهم
وهى مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطاهم اى غير عالمين بهم
وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مومنين بين
الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله فى
رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك
الكف المودى الى الفتح بلا محذور فى رحمته الواسعه بقسميها من يشاء وهم المومنون فانهم
كانوا خارجين من الرحمة الدنيويه التى من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدى الكفره واما الرحمة
الاخرويه فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين فى اقامة مراسم العباده كما
ينبغى فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم فى الرحمة الاخرويه الاخرويه وقد جوز ان يكون
من يشاء عبارة عمن رغب فى الاسلام من المشركين وياباه قوله تعالى لو تزيلوا الخ فان فرض التزيل
وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق المباينه بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اى لو
تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرى لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتليهم
وسبى ذراريهم والجملة مستانفه مقرره لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعوليه
او بعذبنا على الظرفيه وقيل بصنع هو احسن الله اليكم وايا ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم
لذمهم بما فى حيز الصله وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقا فقوله تعالى فى قلوبهم الحمية
اى الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اى جعلوها
ثابتة راسخة فى قلوبهم حمية الجاهليه بدل من الحمية اى حمية الملة الجاهليه او الحمية الناشيه
من الجاهليه وقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين على الاول عطف على جعل
والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمومنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفره وعلى
الثانى على ما يدل عليه الجملة الامتناعيه كانه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فانزل الخ وعلى الثالث على
المضمر تفسيرا له والسكينة الثبات والوقار يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل
الحديبيه بعث قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف
على ان يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلى له قريش مكة من العام
القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله

صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما
قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب
ما يريدون فهم المومنون ان يابوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا
والزمهم كلمة التقوى اى كلمة الشهاده او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى
هى الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة
اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا
وقيل احق بها من الكفار واهلها اى المستاهل لها وكان الله بكل شئ عليما فيعلم حق كل شئ
فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرويا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه
الى الحديبيه كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا روسهم وقصروا فقص الرويا على اصحابه
ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها فى عامهم فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابى وعبد الله بن
نفيل ورفاعه بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اى صدقه عليه السلام
فى روياه كما فى قولهم صدقنى سن بكره وتحقيقه اراه الرويا الصادقه وقوله تعالى بالحق اما صفة
لمصدر موكد محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق اى بالغرض الصحيح والحكمة البالغه التى هى التمييز بين
الراسخ فى الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرويا اى ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام
وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذى هو من اسماء الله تعالى او نقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف اى والله لتدخلن الخ وقوله تع ان شاء الله
تعليق للعدة بالمشية لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك او
هى حكاية لما قاله ملك الرويا لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لما قاله عليه السلام لاصحابه
آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى محلقين روسكم ومقصرين
اى محلقا بعضكم ومقصرا اخرون وقيل محلقين حال من ضمير امنين فتكون متداخله لا تخافون
حال موكده من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او استيناف اى لا تخافون بعد ذلك
فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تع العلم الفعلى المتعلق بامر حادث بعد المعطوف
عليه اى فعلم عقيب ما اراه الرويا الصادقه ما لم تعلموا من الحكمة الداعيه الى تقديم ما يشهد بالصدق
علما فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اى من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام
آمنين الخ فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على
صدق الرويا حسبما قال ولتكون اية للمومنين واما جعل ما فى قوله تع ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة
فى تاخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فياباه الفا فان علمه تعالى بذلك متقدم على
اراة الرويا قطعا هو الذى ارسل رسوله بالهدى اى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق
وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التى هى الاديان المختلفه
بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدله بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط
المسلمين على اهل ساير الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تاكيد لما وعد
من الفتح وتوطين لنفوس المومنين على انه تع سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما
يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كاين لا محالة او على نبوته عليه السلام

باظهار المعجزات محمد خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى رسول الله بدل وبيان ونعت اى
ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدا ورسول الله خبره والجملة
مبينة للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدا خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء
جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم
في الدين الرافة والرحمة كقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب
على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى تراهم ركعا سجدا
اى تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاول خبر آخر او
استيناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اى ثوابا ورضا اما خبر آخر او حال
من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استيناف مبني على سؤال نشا من بيان مواظبتهم
على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ سيماهم
اى سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء
بالمد وهو مبتدا خبره في وجوههم اى في جباههم وقوله تع من اثر السجود حال من المستكن
في الجار اى من التاثير الذي يوثره كثرة السجود وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عليه
السلام لا تعلبوا صوركم اى لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك
السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا
لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقال
لهما ذوا الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما في مواضعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم
ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى
وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال
عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر
الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى مثلهم اى وصفهم
العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى في التورية حال من مثلهم والعامل
معنى الاشارة وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التورية
والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى كزرع اخرج شطاه الى آخره
تمثيل مستانف اى هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر
لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التورية وقرئ شطاه
بفتحات وقرئ شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها
الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة
وقرئ فازره بالتخفيف وازره بالتشديد اى شد ازره وقواه فاستغلظ فصار غليظا بعد ما
كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة يعجب الزراع
بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه صلى الله عليه وسلم
قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب

مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر و
قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه
واستحكامه او لما بعده من قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمومنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة
غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفتح فكانما
كان ممن شهد مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة شرفها الله تعالى

سورة الحجرات ثماني عشرة آية مدنية

يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي
مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان
بانه داع الى المحافظة عليه ووازع من الاخلال به لا تقدموا اى لا تفعلوا التقديم على ان ترك
المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي و
يمنع اى يفعل الاعطاء والمنع اى لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه
والاول اوفى بحق المقام لافادته النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم
لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة
الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرا لا تقدموا بحذف احدى التائين من تتقدموا وقرئ
لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي
الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله
وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تامير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد واتقوا
الله في كل ما تاتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع
لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي عليه السلام بعد النهي عن التجاوز في نفس
القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال
كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه اى لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته
وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض
اى جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته عليه السلام وتعهدوا
في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الداب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة
ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد
يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله
والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلمه عليه السلام
كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم



الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة
ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للمنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث
كان بصدد الاداء الى الحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا
وليس المراد بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم
ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم
لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع منهما
في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو ونحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في
ثابت بن قيس بن شماس وكان جهوري الصوت وكان في اذنه وقر وربما كان يكلم رسول الله
فيتاذى بصوته وعن انس رضي الله عنه انه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام
فاخبر بشانه فدعاه فساله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت
فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير
وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن من انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون
اصواتهم فوق صوته عليه السلام فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي المومنين بدلالة النص
وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه
بعد الترهيب عن الاخلال به وقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب في
الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة
النهي اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدا خبره الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب
المعرفة واللام صلة لمحذوف اي للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف
الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب
اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضي الله عنه اذهب عنها الشهوات لهم في الآخرة
مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم
الاشارة او استيناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات اي من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان
المناداة نشات من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدا والمنتهى بحسب
الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع
حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر
بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المومنين ومناداتهم من ورائها
اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له
عليه السلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل
وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له

عليه السلام وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا
وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون
اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي
ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها
التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد ان الصبر
ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عليه السلام فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك
تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم
اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان
اي الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول
الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر
فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق
ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتعرفوا
وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق
وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم
خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب
الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي
توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذار ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم
فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غما لازما
متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله
ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من
الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب
عليكم تغييرها او كائنين على حالة الخ وهي انكم تريدون ان يتبع عليه السلام رايكم في كثير من
الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رايهم
واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه
السلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة
وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا من اطاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل
انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه السلام لهم في ذلك فان
المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون
والتحقيق ان الاستمرار الذي تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل
من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر

تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد
وذلك اذا اعتبر تعلقه بما تعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون ذلك بحسب
الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التى
يفصح عنها قوله تعالى فى كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع
ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعد وقوع الطاعة فى امر ما من تلك الامور الكثيرة
اصلا وبعدم وقوعها فى كلها مع وقوعها فى بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد
الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر فى وقت من الاوقات وقع العنت
قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة فى الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمرا
فالحق هو الثانى فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة
انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة الواقعة فى تلك الامور
الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة فى وقت
من الاوقات وقع العنت حتما واعلم ان الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول
لانه اوفق للقياس المقتضى لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة
للاول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفى على خلاف
القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد
مزية كما فى مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفى الحزن عنهم اذ ليس فى نفى
استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام
فالعدول عنه مما لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه
له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم اى ولكنه
تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه فى قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال
والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه
من آثارها واحكامها ولما كان فى التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما
اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم
فى حق النبى المصطلق من خلل فى عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان
والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اى السالكون الى الطريق السوى الموصل
الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذى فى قوله تعالى وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك
هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اى وانعاما تعليل لحبب او كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما
بفعل مضمر اى جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ فى العلم فيعلم احوال
المومنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المومنين
اقتتلوا اى تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت
اى تعدت احديهما على الاخرى ولم تتاثر بالنصيحة فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ اى ترجع
الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذرا من قتالكم
فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون

بينهما قتال فى وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد
اكد ذلك حيث قيل واقسطوا اى واعدلوا فى كل ما تاتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين
فيجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه السلام بالسعف
والنعال وفيها دلالة على ان الباغى لا يخرج بالبغى عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه
فئ الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة انما
المومنون اخوة استيناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اى انهم منتسبون الى اصل واحد هو
الايمان الموجب للحياة الابدية والفاء فى قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة
الدينية موجبة للاصلاح ووضع الظاهر مقام المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة فى تاكيد
وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق
ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ
بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله فى كل ما تاتون وما تذرون من الامور التى من جملتها ما امرتم
به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم اى منكم
من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهى او لموجبه اى عسى ان
يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام على النساء وهو
فى الاصل اما جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع فى الجمع واما تعميمه
للفريقين فى مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية
فى المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجرى بين بعض وبعض
ولا نساء اى ولا تسخر نساء من المومنات من نساء منهن عسى ان يكن اى المسخور منهن خيرا منهن
اى من الساخرات فان مناط الخيرية فى الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا
الاوضاع والاطوار التى عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة فى القلوب فلا يجترئ
احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره
الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هى ذات الخبر كما
فى قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهى التى لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اى ولا يعب بعضكم
بعضا فان المومنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه
واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اى ولا يدع بعضكم بعضا بلقب
السوء فان النبز مختص به عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى بئس الذكر المرتفع للمومنين
ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان او اشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم
طار اسمه فى الناس بالكرم او باللوم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المومنين
خصوصا اذ روى ان الآية نزلت فى صفية بنت حيى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت ان ابى هرون
وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان
قبيح ومن لم يتب عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض
النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اى كونوا على جانب منه وابهام

الكثير لايجاب الاحتياط والتامل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من اى قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه
كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات
والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السؤ بالمومنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية
ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم الذنب
الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كانه يثم الاعمال اى يكسرها ولا تجسسوا
اى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب
لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرى بالحاء من الحس
الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا
عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته
ولا يغتب بعضكم بعضا اى لا يذكر بعضكم بعضا بالسؤ في غيبته وسيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد
بهته وعن ابن عباس رضي الله عنه الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على
افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري
واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية
الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا للاكل ميتا واخراج تماثلهما
مخرج امر بتي غني عن الاخبار به وقرى ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ
والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان
الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرى كرهتموه اى جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه
والندم على ما صدر منكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة
حيث يجعل التايب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتايب دون تايب بل يعم الجميع وان كثرت
ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما
اداما وكان اسامة على طعامه عليه السلام فقال ما عندي شي فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا
سلمان الى بير سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى
خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من ادم وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء
في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تاكيدا للنهي السابق بتقرير الاخوة المانعة
من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبايل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو
يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع
الفصايل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة
وقيل الشعوب بطون العجم والقبايل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب
الانساب فلا يعتزي احد الى غير ابائه لا لتفاخروا بالاباء والقبايل وتدعوا التفاوت والتفاضل
في الانساب وقرى لتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم

تعليل النهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقي كانه قيل
ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرى بان المفتوحة على حذف
لام التعليل كانه قيل لم لا تتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان
مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى
قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان
رجل مومن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنه كرم الدنيا الغنا
وكرم الاخرة التقوى ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب امنا
نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان
يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام ما فعلوا قل ردا لهم لم تومنوا اذ الايمان هو
التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم على ما ذكرتم
كما ينبئ عنه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة
وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا
او لم تومنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان وللتفادي عن اخراج قولهم مخرج
التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا
اى ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر
بان هولاء قد امنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم
من اعمالكم لا ينقصكم شيا من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرى لا يالتكم من
الالت وهي لغة غطفان او شيا من النقص ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم
بالتفضل عليهم انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب
مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان
عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط
بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا
كالحج والجهاد اوليك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون بما ذكر من الاوصاف
اى الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روى انه لما نزلت الاية جاوا وحلفوا انهم مومنون
صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم اى اتخبرونه بذلك بقولكم امنا
والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والله يعلم ما في السموات وما في الارض حال من مفعول
تعلمون موكدة لتشنيعهم وقوله تعالى والله بكل شي عليم تذييل مقرر لما قبله اى مبالغ في
العلم بجميع الاشيا التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ
لهم يمنون عليك ان اسلموا اى يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها
ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من
المن قل لا تمنوا على اسلامكم اى لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع

للخاضع بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرى
ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى
فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا
ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسمى اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن
بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض
اى ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم
وقرى بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق خمس واربعون آية

ق والقران المجيد اى ذى المجد والشرف على ساير الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه
وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل في مطلع سورة ص
وقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اى لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او
من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقران المجيد انزلناه اليك
لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يومنوا به بل جعلوا
كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه
الى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقران المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم
اضرب عنه وقيل بل عجبوا اى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من
الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه من وصف القران بالمجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم
من الايمان بالقران انه لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب تفسير لتعجبهم
وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه السلام
منذرا بالقران واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم
بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا اشارة الى مبهم يفسره
ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم
واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع
معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول
واعرق في كونه كفرا ايذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر غني
عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اى احين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به
النذير والمنذر به مع كمال التباين بينها وبين الحياة حينئذ وقرى اذا متنا على لفظ الخبر او على
حذف اداة الانكار ذلك اشارة الى محل النزاع رجع بعيد اى عن الاوهام او العادة او
الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذى هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر
من البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف
حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد

رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وقيل
ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل
الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم
من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل
كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع
وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تامل وتفكر وقرى لما جاءهم
بالكسر على ان اللام للتوقيت اى وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القران او الاخبار بالبعث فهم
في امر مريج اى مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر
وتارة ساحر واخرى كاهن افلم ينظروا اى اغفلوا او عموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم بحيث
يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اى رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب
المرتبة على نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل
ولعل تاخيره لمراعاة الفواصل والارض مددناها اى بسطناها والقينا فيها رواسي
جبالا ثوابت من رسا الشيء اى ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها
لارساء الارض بها وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى
علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستئناف
اى فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اى راجع الى ربه متفكر في بدايع صنايعه
وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اى كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما
ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله و
منبه على ما بعده فانبتنا به اى بذلك الماء جنات كثيرة اى ذات ثمار وحب الحصيد
اى حب الزرع الذى شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر
لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات
لبيان فضلها على ساير الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتاكيد استقلالها وامتيازها عن البقية
مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اى طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت
فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرى باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد اى منضود
بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات
بطريق الترادف او من ضميرها في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع
به على الفاعلية وقوله تعالى رزقا للعباد اى لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله
بذلك بعد تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون
انتفاعه بذلك من حيث التذكير والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل
رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا
جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز
بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك
الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء

انجار و

وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من
القبور لا شئ مخالف لها وفى التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحيا وعن حياة الموتى بالخروج
تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح
منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الخ استئناف
وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها
واصحاب الرس قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل وقيل كما مر فى سورة الفرقان
على التفصيل وثمود وعاد وفرعون اى هو وقومه ليلايم ما قبله وما بعده واخوان لوط
قيل كانوا من اصهاره عليه السلام واصحاب الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام
غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم فى سورة الدخان كل كذب الرسل اى فيما ارسلوا
به من الشرايع التى من جملتها البعث الذى اجمعوا عليه قاطبة اى كل قوم من الاقوام المذكورين
كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل
او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر
فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها
وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث
والى ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد اى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب
وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استئناف
مقرر لصحة البعث الذى حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعى بالامر العجز عنه يقال
عى بالامر وعيى به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه
العى من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة
بل هم فى لبس من خلق جديد عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا
على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير
خلق لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم
بمعرفته ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اى ما تحدثه به نفسه وهو ما
يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة
والباء كما فى صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد اى اعلم بحاله ممن كان هو اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب
الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق واضافته
بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان
من الراس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان منصوب بما فى اقرب
من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان
من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غنى عن استحفاظهما
لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحايفهما
يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة

لطف له فى الكف عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعنه عليه السلام ان مقعد ملكيك
على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحيى من الله
ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقى الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله
لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال
قعيد اى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كما فى قول
من قال رمانى بامر كنت منه ووالدى بريئا ومن اجل الطوى رمانى وقيل يطلق الفعيل على
الواحد والمتعدد كما فى قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمى به
من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب ملك يرقب قوله
ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير
العنوان غنى عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب لما
فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد اى معد مهيا لكتابة ما امر به
من الخير او الشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر
لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى انينه فى مرضه
وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عليه السلام كاتب الحسنات
على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات
فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعد ما ذكر استبعادهم
للبعث والجزاء وازيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم
اتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال
وقد عبر عن وقوع كل منهما بصيغة الماضى ايذانا بتحققهما وغاية اقترابهما وسكرة الموت شدته
الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما فى قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة
الموت حقيقة الامر الذى نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة
الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له
واما للملابسة كالتى فى قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة
والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب
الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق
سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اى الموت ما كنت
منه تحيد اى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده
طبعا ونفخ فى الصور هى النفخة الثانية ذلك اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف
يوم الوعيد يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب
الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان
وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة
وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق

والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اى معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والاخر يشهد
بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق
كاتب السيات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه
او اعماله ومحل معها النصب على الحاليه من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفه كانه قيل كل النفوس
او الجر على انه وصف لنفس او حال اخرى منها او استيناف مبنى على سوال نشا مما قبله كانه قيل
فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت فى غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما انه ما من احد الا وله
غفلة ما من الاخرة وقيل الخطاب للكافر وقرى كنتِ بكسر التاء على اعتبار تانيث النفس والتذكير
على القراة المشهوره بتاويل الشخص كما فى قول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور
فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطى لامور المعاد وهو الغفله والانهماك فى
المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار
وقرى بكسر الكاف فى المواضع الثلاثه وقال قرينه اى الشيطان المقيض له مشيرا اليه
هذا ما لدى عتيد اى هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم قد هياته لها باغوائى واضلالى
وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيا
للعرض وما ان جعلت موصوفه فعتيد صفتها وان جعلت موصوله فهى بدل منها او خبر بعد
خبر او خبر لمبتدا محذوف القيا فى جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او
للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال
فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر وان تدعانى احم عرضا ممنعا او على ان الالف بدل من نون
التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويويده انه قرى القين بالنون الخفيفه عنيد معاند
للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضه وقيل المراد بالخير الاسلام فان الايه
نزلت فى الوليد بن المغيره لما منع بنى اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك فى
الله وفى دينه الذى جعل مع الله الها اخر مبتدا متضمن لمعنى الشرط خبره فالقياه قال
قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استونفت استيناف الجمل الواقعة فى حكاية المقاوله
لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه منبى عن سابقة كلام اعتذر
به الكافر كانه قال هو اطغانى فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة
الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول اعنى مجى كل
نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو بالذات فى ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه
بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما فى قوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لى قال استيناف مبنى على سوال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى
فقيل قال تعالى لا تختصموا لدى اى فى موقف الحساب والجزاء اذ لا فايدة فى ذلك وقد
قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان فى دار الكسب فى كتبى وعلى السنة رسلى فلا تطمعوا فى
الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطله والجملة حال فيها تعليل للنهى على معنى لا
تختصموا وقد صح عندكم انى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت والباء مزيده

او

او معديه على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى
ما يبدل القول لدى الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل
اى وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم
به فلا تطمعوا ان ابدل وعيدى والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس
بتبديل فان دلايل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد
لتحقيق الحق على الوجه الكلى وتبيين ان عدم تبديل القول وتبديل موجب الوعيد ليس من جهته
تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما
اشير اليه آنفا اى وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان
تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنه فضلا عن كونه ظلما مفرطا
لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم
وصيغة المبالغه لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغه
فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها
مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد سوال وجواب جى
بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها تطرح
فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلى او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها
وفيها بعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرى يقول بالياء والمزيد اما
مصدر كالمحيد والمميد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون
ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر موخر اى يكون من الاحوال
والاهوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع فى بيان حال المومنين بعد
النفخ ومجى النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف
على نفخ اى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما
فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فايزون بها وقوله تعالى غير بعيد
تاكيد للازلاف اى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اى شيا غير بعيد
ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمونث او
لتاويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو
المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ
العربى كما مر فى قوله تعالى ولما راى الشمس بازغة قال هذا ربى وقوله تعالى ولما راى المومنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة
الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرى يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل
منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنه والعامل ازلفت اى مقولا لهم او مقولا
فى حقها هذا ما توعدون لكل اواب اى رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار
حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها
وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه من خشى الرحمن

بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون
في حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذي او مبتدا خبره ادخلوها بتاويل يقال
لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
خشي او من مفعوله او صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو
غايب عنه او هو غايب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع
خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تع
بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال
النعم او بسلام من جهته تع وملايكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض
منه ما ذكر من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاؤن من فنون المطالب كاينا
ما كان فيها متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عايده المحذوف من
صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيتهم من معالي الكرامات
التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة
فتمطرهم الحور فيقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك
من قرن هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد واضرابها فنقبوا في البلاد اي خرقوا فيها ودوخوا
وتصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب
التنقير عن الامر والبحث عنه والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على
التنقيب وقيل هي عاطفة في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف هل
من محيص اي هل لهم من مخلص من امر الله تع والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي
فنقبوا في البلاد قايلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى
القول او هو كلام مستانف وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي
ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم
ويعضده القراة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف
البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصصهم
وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي قلب سليم يدرك به
كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم
هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير او القى السمع اي الى ما يتلى عليه من
الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر
فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله
وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غايب وتجريد القلب عما ذكر من
الصفات للايذان بان من عرى قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما من اصناف المخلوقات في ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا يفي به القوى
والقدر من لغوب من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى
بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش

سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله المشركون في شان
البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر
على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اي
نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن
وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تع على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه
وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت
الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلاة
فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاآن
والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع لما يوحى اليك من احوال
القيمة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم يناد المنادي اي اسرافيل او جبريل عليهما السلام
فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل
القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي الحشر من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل
على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع
من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم يناد
الخ وهي النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى
ذلك يوم الخروج اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور
انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء في الآخرة
لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التاءين من
تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين
ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى
نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه
وما انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر فذكر
بالقرآن من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم ويستدعيه اعمالهم من
الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات
الموت وسكراته

سورة الذاريات ستون آيات مكية

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذروا التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال
فالحاملات وقرا اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية
المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها
او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة
لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا اي الملايكة التي تقسم الامور من الامطار

والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل
الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذروه تثير
السحاب وتحمله وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار
فان حملت لامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفا لترتيب الاقسام باعتبار ما بينهما من
التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فهي لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها
تذروا الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله
انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام
بها رمز الى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى
الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف
الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك
قال ابن عباس وقتاده وعكرمه ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة
وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد
اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان
لها طرائق او عن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي وهي اما جمع حباك
او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرى الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك
والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف
اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه السلام تارة شاعر واخرى ساحر وفي شان
القران الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تاييد لكون الحبك عبارة
عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض
مختلف وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق
السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يوفك عنه من افك اي يصرف
عن القران او الرسول صلى الله عليه وسلم من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل
يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على
معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرى من افك من افك الناس وهم قريش حيث
كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره
واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا
صحة له وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هولاء الخراصون وقرى قتل الخراصين اي
قتل الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلال ساهون غافلون عما امروا به يسالون ايان
يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال
استهزاء وقرى ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب للسوال اي يقع يوم هم
على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر لمبتدا محذوف اي هو يوم هم الى اخره
والفتح لاضافته الى غير متمكن ويويده انه قرى بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول
وقوله تع هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر

اي هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتاويل
العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها
اخذين ما اتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما اتاهم حسن مرضي
يتلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة اتين بها على
ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه عليه
السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تع كانوا
قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او
كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان يكون مصدرية
او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه
وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة
والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون
من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون
اي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا في ليلهم
باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم
المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفي اموالهم حق اي نصيب وافر يستوجبونه
على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي
يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض ايات للموقنين اي دلائل واضحة على شوونه تع
على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها
والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن
مفتنة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم
والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم
وفي انفسكم اي وفي انفسكم ايات اذ ليس في العالم شي الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته
على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال
البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون
فلا تبصرون بعين البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء
السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة
او لان الاعمال وثوابها مكتوب مقدر في السماء وقيل انه مبتدا خبره قوله تع فورب السماء والارض
انه لحق على ان الضمير لما واما على الاول فاما له واما لما ذكر من امر الايات والرزق على انه مستعار
لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في
حقيته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا
مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شي وان بما
في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويويده القراءة بالرفع هل اتيك
حديث ضيف ابرهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم

بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم
وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وميكائيل وملك اخر معهما عليهم السلام و
تسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم عليه السلام او لانهم كانوا
في حسبانه كذلك المكرمين اي المكرمين عند الله تعالى او عند ابرهيم حيث خدمهم بنفسه
وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان
فسر باكرام ابرهيم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال اي ابرهيم سلام اي عليكم
سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه السلام احسن
من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم
عليه السلام للسلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم
واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم
بذلك لا انه خاطبهم به جهرا او سألهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عنده
ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب اليهم على خفية من ضيفه
فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى ويبادر به حذارا من ان يكفه ويعذره او يصير
منتظرا والفاء في قوله تع فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة
الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر
فانفلق اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال
الا تاكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم اضمر في نفسه خيفة لتوهم انهم
جاؤا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاؤا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عليه السلام
العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بواسطتهم بغلام هو اسحق
عليه السلام عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها
وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية
ان جعل اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني فصكت وجهها اي لطمته من الحياء لما انها
وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وقالت
عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك وانما
نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله
حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت
فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابرهيم عليه السلام ايضا
حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك كما انه لم يذكر هنالك سارة اكتفاء
بما ذكر ههنا وفي سورة هود قال اي ابرهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر فما
خطبكم اي شأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى
قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما
فصل في سائر السور الكريمة حجارة من طين اي طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من اسمت
الماشية اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك

للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى
على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وابرهيم عليهم
السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر
كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقوله فاسر باهلك الخ من كان فيها اي في قرى
قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت
اي غير اهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا
ثلاثة عشر وتركنا فيها اي في القرية آية اي علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل
هي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اي من شأنهم
ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم
لا يعتدون بها ولا يعدونها آية وفي موسى عطف على قوله تعالى وفي الارض او على قوله
وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ
ارسلناه قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف اي كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا
الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة فتولى بركنه اي فاعرض
عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره
فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او
مجنون كانه نسب ما ظهر على يديه من المعجزات العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره
وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم
شان القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم اي آت بما يلام عليه
من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح
وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح
شجر وهي الدبور او الجنوب ما تذر من شيء اتت عليه اي جرت عليه الا جعلته
كالرميم هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظام او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم
تمتعوا حتى حين وهو قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام قيل لهم صالح عليه السلام
تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا
عن امر ربهم اي فاستكبروا عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة قيل لما رأوا العلامات التي
بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه
الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم
الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها
فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم
كما لم يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر
ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه
من قبل اي من قبل هؤلاء المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود فيما كانوا
فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد اي بقوة وانا لموسعون لقادرون من

الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق ولموسعون السماء او ما بينها وبين الارض
او الرزق والارض فرشناها مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون
اى نحن ومن كل شئ اى من الاجناس خلقنا زوجين اى نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين
السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون اى
فعلنا ذلك كله كى تتذكروا وتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على
اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبى صلى
الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكى من آثار غضبه الموجبة للفرار
منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا
الى الله تعالى الذى هذه شؤنه بالايمان والطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف
على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كانه قيل لهم فتذكروا ففروا الى الله الخ
وقوله تعالى انى لكم منه نذير مبين تعليل للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال به فان كونه
عليه السلام منذرا منه تعالى موجب عليه عليه السلام ان يامرهم بالفرار اليه وعليهم ان
يمتثلوا به اى انى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب اظهاره كمن
العذاب المنذر به وفى امره تعالى للرسول عليه السلام بان يامرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه
وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من
المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر نهى موجب للفرار
من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى انى لكم منه اى من
الجعل المنهى عنه نذير مبين فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى
الافرار يقال فر منه او هرب واقر غيره كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا
او قولا الها آخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير
كما قيل بل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه كذلك اى الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول
وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم الخ تفسير له اى ما اتاهم
من رسول من رسل الله الا قالوا فى حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف
بانى لامتناع عمل ما بعدها فيما قبلها اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك
الكلمة الشنيعة التى لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اى اوصى بهذا
القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار
اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصى واشنع منه من الطغيان
الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته
الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم فتول
عنهم فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم على التولى
بعد ما بلغت الجهود وجاوزت فى الابلاغ كل حد معهود وذكر اى افعل التذكير والموعظة
ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين اى الذين
قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين وما خلقت

الجن والانس الا ليعبدون استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم
مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه السلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل
تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الانس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم
مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب
الغاية على ما هى ثمرة له منزلة الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة
مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهى رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذى لا يليق بجنابه
عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله
بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحكيم فغير
منفى من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة
ويكفى فى تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق
مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة
عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادى
وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما فى قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج
الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال
مجاهد واختاره البغوى معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن
رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر فى التعبير عن المعرفة
بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هى المعرفة الحاصلة
بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون
بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم
ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل رزقى ولا
رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من
عبادتى ان الله هو الرزاق الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غنى عنه وقرئ
انى انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع نعت على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر
لمضمر وقرئ بالجر على انه وصف للقوة على تاويل الاقتدار والايد فان للذين ظلموا اى ظلموا
انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان
التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اى نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم
مثل انصبا نظرائهم من الامم المحكية وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو
الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون اى لا يطلبوا منى ان اعجله فى المجىء يقال استعجله اى حثه
على العجلة وامره بها ويقال استعجله اى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا
تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول
موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب

ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على
ذلك ومن في قوله تعالى من يومهم الذي كانوا يوعدون للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر
وقيل يوم القيمه وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله
من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والذاريات اعطاه
الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور تسع واربعون آية

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى
عليه السلام كلام الله عز وعلا وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب
الحروف المكتوبة والمراد به القران او الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب
في اللوح او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي كتب فيه استعير لما يكتب فيه
الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او الاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت
المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه
كثرة غاشيته من الملائكة والسقف المرفوع اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور
والبحر المسجور اي المملو وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس
روي ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع اي
لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع
اما مبتدا للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام
بها لما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تع
بتفصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها
وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظا(عته)
والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور السماء كما تدور
الرحى وتتكفا باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير الجبال سيرا اي تزول
عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن
الحدود المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين
اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم الذين هم في خوض
اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي
يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا
الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور
او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك ومعنى
التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا
يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقران الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الا

ومدار التوبيخ ام انتم لا تبصرون اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر ام سدت
ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه
سواء عليكم اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تع انما تجزون ما كنتم
تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء في
عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او
جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ
فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر آخر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم
عطف على آتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر او في
الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم
للتشريف والتعليل كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما
وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة
وما فاعل هنيئا اي هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم
بحور عين [illegible] على اضافة الموصوف الى صفته بالتاويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء
مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى
صيرناهم ازواجا بسببهن [illegible] لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تع والذين آمنوا
كلام مستانف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم
ذريتهم في الايمان وهو مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله تع واتبعتهم ذريتهم عطف على آمنوا وقيل
اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة
ايمان الآباء [illegible] الايمان الكامل [illegible]
[illegible]
في الايمان [illegible] الحقنا بهم ذريتهم في الدرجة كما روي انه عليه السلام قال ان الله
يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وما التناهم وما
[illegible] من عملهم من شيء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الصالح فان عمله فكه ومن ضرورته ان لا ينقص الا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ
بما كسب راهن اى دايم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء
وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الاباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة
ولحم مما يشتهون وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون
النعماء والوان الالاء يتنازعون فيها اى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق
كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كاسا اى خمرا تسمية لها باسم محلها لا لغو فيها اى فى
شربها حيث لا يتكلمون فى اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تاثيم ولا يفعلون
ما يؤثم به فاعله اى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا
وانما يتكلمون بالحكم ومحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تاثيم بالفتح
ويطوف عليهم اى بالكاس غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم
كانهم لؤلؤ مكنون مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى
القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وعنه
عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اى يسال كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض
سايلا ومسؤلا لا انه يسال بعض معين منهم بعضا آخر معينا قالوا اى المسؤلون وهم كل واحد منهم
فى الحقيقة انا كنا قبل اى فى الدنيا فى اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خايفين من عصيان الله
تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق للحق ووقانا عذاب
السموم عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على
ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه
من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا
مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما
يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه
اذا قطعه لان الموت قطوع اى بل ايقولون ننتظر به نوايب الدهر قل تربصوا فانى معكم من المتربصين
اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تامرهم احلامهم اى عقولهم
بهذا اى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون
مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء فى واحد
وامر الاحلام بذلك مجاز من اداها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدود فى المكابرة
والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة
عن دايرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اى اختلقه من تلقاء نفسه
بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التى لا يخفى على احد بطلانها كيف لا
وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من
العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم

ووقانا بالتشديد [illegible]

ومن

ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان
بمثله بقضيه مشاركتهم له عليه السلام فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب
والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقايع والايام ولا ريب فى
ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك ام خلقوا من غير شئ اى ام
احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شئ من عبادة
وجزاء ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات والارض بل لا
يوقنون اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا
لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزاين ربك اى خزاين رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا
ويمسكوها عمن شاؤا او عندهم خزاين علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره
ام هم المسيطرون اى الغالبون على الامور يدبرونها كيفما شاؤا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا
الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ام لهم سلم منصوب
الى السماء يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملايكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما
هو كاين من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليات
مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون تسفيه
لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رايه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى الى عالم
الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما فى ام المنقطعة
من الانكار والتوبيخ ام تسالهم اجرا رجوع الى خطابه عليه السلام واعراض عنهم اى بل اتسالهم
اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون
الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم
يكتبون ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك بنفى او اثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم
للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا
اوليا هم المكيدون اى هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه
وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم
ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اى عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه وان يروا كسفا
قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم
اى هم فى الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم
حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذى فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة
او من اصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر
لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغنى عنهم
كيدهم شيئا اى شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى
استعمالهم له طمعا فى الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه فى امره صلى الله عليه وسلم من الكيد

مدافعتهم

الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجرى طمعا فى الكيد والحيل
وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون
من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اى لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من
قبل اى وان لهؤلاء الظلمة عذابا اخر دون ذلك دون ما لاقوه من القتل اى قبله وهو القحط
الذى اصابهم سبع سنين او وراءه كما فى قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وهو عذاب
القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر
كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا
واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة
الهموم فانك باعيننا اى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير
والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح اى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على
نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من اى مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم
من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله عنه معناه صل لله حين تقوم من
منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة
فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اى وقت ادبارها
من آخر الليل اى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشائين وادبار النجوم صلاة
الفجر وقرئ ادبار النجوم بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت او خفيت عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته

سورة النجم ستون وآيتان مكية

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه
يقال هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد واما النجم من نجوم
القرآن فهويه نزوله والعامل فى اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال
كما فى قوله آتيك اذا احمر البسر وفى الاقسام بذلك على نزاهته عليه السلام عن شائبة الضلال
والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان النجم شانه ان يهتدى
به السارى الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة الى سواء السبيل ما ضل
صاحبكم اى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة وما غوى اى وما اعتقد باطلا قط
اى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شئ اصلا واما على الثانى
فلانه تنويه بشان القرآن كما اشير اليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط
اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده كانه قيل والقرآن الذى هو علم فى الهداية الى مناهج الدين
ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه السلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه السلام
بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه

السلام مما نفى عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له
عليه السلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى
على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء
ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه او صعوده مع ما
فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا
هو اللائق بشان التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم القيمة او على انقضاض النجم الذى
يرجم به وحمل النجم على النبات او حمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره منها فمما لا يناسب المقام
وما ينطق عن الهوى اى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفى
النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه كما مر مرارا ان هو اى ما الذى ينطق به من القرآن الا
وحى من الله تعالى وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار
التجددى علمه شديد القوى اى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى
ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى تحت
الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان
هبوطه على الانبياء وصعوده فى اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اى حصافة فى عقله ورأيه
ومتانة فى دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان
لكيفية التعليم اى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل
بها كلما هبط بالوحى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه فى صورته التى
جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليهما السلام من المشرق
فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام
فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد من الانبياء فى صورته
غير النبى عليهما السلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما
جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اى افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنا
اى اراد الدنو من النبى عليهما السلام فتدلى اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا
من النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق فكان
اى مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين اى مقدارهما فان القاب والقيب والقاد والقيد
والقيس المقدار فكان جبريل عليه السلام كما فى قولك هو منى معقد الازار او ادنى على
تقديركم كما فى قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى
اليه بنفى البعد الملبس فاوحى اى جبريل الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية
ظهوره كما فى قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اى من الامور العظيمة التى لا تفى بها العبارة
او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى
تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اى فؤاد محمد عليه السلام ما رأى
اى ما رآه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال
ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك ان جبريل

بصورته **افتمارونه على ما يرى** اى اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة اوابعد ما ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اى فتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اى جحده **ولقد رآه نزلة اخرى** اى وبالله لقد راى جبريل فى صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر **عند سدرة المنتهى** هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها فى منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهى اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشئ الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى **عندها جنة المأوى** اى الجنة التى يأوى اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى **اذ يغشى السدرة ما يغشى** ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشى زيدا كل حين اى يأتيه والاول هو الاليق بالمقام وفى ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه اى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفى به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر **ما زاغ البصر** اى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه **وما طغى** وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجايب التى امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** اى والله لقد رأى الآيات التى هى كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فارى من عجايب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة **افرأيتم اللات**

والعزى ومناة الثالثة الاخرى هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطايف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعم الحاج وقيل كان يلت السويق بالطايف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعُبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسايك تمنى عندها اى تراق ومناءة وهى مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهى المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملايكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره فى الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى افرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبرونى عن الهتكم هل لها شئ من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة فى الآى السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التى تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم فى الآخرة وقيل افرأيتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى **الكم الذكر وله الانثى** شهادة بينة فانه توبيخ مبنى على التوبيخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى ينتظم بناء التوبيخ الثانى عليه وظاهر ان ليس فى شئ من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العايد الى المفعول الاول لما ان الاصل اخبرونى ان اللات والعزى ومناة الكم الذكر وله هن اى تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التمحلات التى ينبغى تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه **تلك** اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية **اذا قسمة ضيزى** اى جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وقرئ ضئزى بالهمز من ضأزه اذا ظلمه

على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى اما على انه مصدر وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى
وعطشى ان هي الضمير للاصنام اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي يدعونها الا اسماء
محضة ليس تحتها مما ينبئ هي عنه من معنى الالوهية شئ ما اصلا وقوله تعالى سميتموها
صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة
بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وان قيست الى المسمى فمعناها
مسمى للاسم وانما اختير ههنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها
الهة اسماء مجرده ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
الآية الا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسميه وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث
كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب
اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصه
للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور
في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية
اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم واباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطله
ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون الالتفات الى الغيبه للايذان بان
تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسميه
والعمل بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى الانفس اي تشتهيه
انفسهم الامارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى قيل هي حال من فاعل يتبعون او اعتراض
وايا ما كان ففيه تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من
اي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول عليه السلام وانزال الكتاب اقبح ام
للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا
الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي
اي ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في شفاعة
الالهة ونظايرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الاخرة والاولى تعليل لانتفاء ان
يكون للانسان ما تمناه حتما فان اختصاص امور الاخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء
ان يكون له امر من الامور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام
بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة المنفية وجمع
الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم
عند الله تعالى شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان ياذن الله لهم في
الشفاعة لمن يشاء ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان
واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بالف
منزل فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا
يؤمنون بالاخرة وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة

المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق اي يسمون كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم
الملائكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسميه بالانثى وفي تعليقها بعدم
الايمان بالاخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة في الاخرة بحيث لا يجترئ
عليها الا من لا يؤمن بها راسا وقوله تعالى وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون اي يسمونهم
والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة او بالتسميه ان يتبعون في ذلك
الا الظن الفاسد وان الظن او جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من الحق
شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به
في شان المعارف الحقيقيه وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها فاعرض عن من تولى عن
ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلته من
الاوصاف القبيحه وتعليل الحكم بها اي فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القران
المنطوي على علوم الاولين والاخرين المذكر لامور الاخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع
لامر الاخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها ولم يرد الا الحياة الدنيا راضيا
بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشانه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في
الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا
على الباطل ذلك اي ما اداهم الى ما هم فيه من التولي وقصر الارادة على الحياة الدنيا مبلغهم
من العلم لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم
باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم
للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى
هو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع
الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شانه الاهتداء في الجملة اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي
عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل
الاول وفي تعليل الامر باعراضه عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باقتصار العلم باحوال الفريقين
عليه تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد
ووعد ضمنا كما سياتي صريحا ولله ما في السموات وما في الارض اي خلقا وملكا لا لغيره
اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ليجزي الخ متعلق بما دل عليه اعلم الخ وما بينهما
اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تع باحوالهم الا يعلم من خلق
كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي الذين اساءوا بما عملوا
اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا ويجزي
الذين احسنوا اي اهتدوا بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى
وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض كانه قيل خلق ما فيهما
ليجزي الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة اي هو اعلم بمن ضل ليؤول امره
الى ان يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا

وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين الذين يجتنبون كباير الاثم
بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره
او بيان او نعت او منصوب على المدح وكباير الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه
الوعيد بخصوصه وقرى كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكباير
خصوصا الا اللمم اى الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكباير قيل هى النظرة والغمزة
والقبلة وقيل هى الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة
النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغاير باجتناب

حتى اتاه جبريل عليه السلام حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح
الولد ويروى انه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم
وتقديم موسى لما ان صحفه التى هى التورية اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر اخرى
اى انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى على ان ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان
الذى هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل مما فى صحف موسى
او الرفع على انه خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما فى صحفهما فقيل هو الا تزر الخ والمعنى انه لا يواخذ
احد بذنب غيره ليتخلص الثانى من عقابه ولا يقدح فى ذلك قوله عليه السلام من سن سنة

والطغى من الفريقين حيث كانوا يوذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم
ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا
من الف سنه والموتفكه هى قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اى انقلبت بهم اهوى
اى اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السما فغشاها ما غشى
من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فباى الاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب للرسول عليه السلام على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او
لكل احد واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة
التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون
كل من ذلك فاعلا ومفعولا لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها المعنى الاول فقط كما فى
يتداعونهم اى يدعونهم وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن
فيه فان المراد بتعدده تعدد الالاء فتدبر وتسمية الامور المعدودة الاء مع ان بعضها نقم
لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمومنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر
للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القران والنذير مصدر او الى
الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر واياما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقه
بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اى هذا القران الذى تشاهدونه نذير
من قبيل الانذارات المتقدمه التى سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين
الاولين والاولى على تاويل الجماعه لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفى
تعقيبه بقوله تع ازفت الازفه اشعار بان تعذيبهم موخر الى يوم القيمه اى دنت الساعه
الموصوفه بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعه ليس لها من دون الله كاشفه اى ليس لها
نفس قادره على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الان نفس كاشفه
بتاخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفه لوقتها الا الله كقوله تع لا يجليها لوقتها
الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف على ان كاشفه مصدر كالعافيه افمن هذا الحديث
اى القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شى من ذلك ولا تبكون
حزنا على ما فرطتم فى شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكوره وانتم سامدون
اى لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن
استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع
كما فى قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير
قيد للنفى والانكار وارد على نفى البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفى والانكار
متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفاء فى قوله تعالى
فاسجدوا لله واعبدوه لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القران
بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اى واذا كان الامر كذلك
فاسجدوا لله الذى انزله واعبدوه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النجم اعطاه الله عشر حسنات

بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكه شرفها الله تعالى

سورة القمر خمس وخمسون اية مكية

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اية
فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال
ابن مسعود رضى الله عنه رايت حراء بين فلقتى القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق
يوم القيمه ويرده قوله تع وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم
قد شاهدوه بعد مشاهدة نظايره وقد قرى وقد انشق القمر اى اقتربت الساعه وقد حصل من
ايات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام اى وان يروا آية من ايات
الله تعالى يعرضوا عن التامل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دايم ياتى به
محمد عليه السلام على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كساير انواع السحر او قوى مستحكم لا يمكن ازالته
وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم فى العناد
والمكابره ويويده ما سياتى لرده وقرى وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة وكذبوا اى
بالنبى صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما اظهره الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم
التى زينها الشيطان لهم او كذبوا الاية التى هى انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او
سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغه الماضى للدلالة على التحقق وقوله تعالى وكل امر مستقر استيناف
مسوق لاقناطهم عما علقوا به امانيهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلام حسبما قالوا سحر
مستمر ببيان ثبات امره ورسوخه اى وكل امر من الامور مستقر اى منته الى غاية يستقر عليها لا محاله
ومن جملتها امر النبى صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شانه
وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل امر
من امرهم وامره عليه السلام مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة فى
الدنيا وشقاوة او سعادة فى الاخره وقرى بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او اسم زمان اى
ذو استقرار او ذو موضع استقرار او ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر
وكل عطف على الساعه اى اقتربت الساعه وكل امر مستقر ولقد جاءهم اى فى القران وقوله
من الانباء اى انباء القرون الخاليه او انباء الاخره متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اى وبالله
لقد جاءهم كاينا من الانباء ما فيه مزدجر اى ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار
على ان فى تجريديه والمعنى انه فى نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال
والذال والزاء للتناسب وقرى مزجر بقلبها زاء وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها
وهى بدل مما او خبر لمحذوف وقرى بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة تخصصت
بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغنى النذر نفى للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم
الاغناء على مجى الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد
عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجى الزواجر واستمرارها وما على الوجه الثانى منصوبة
اى فاى اغناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم

اعلمك بان الانذار لا يوثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تع كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا الى شيء نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيمة وقرى نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرى خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرى خاشعة على الاصل وقرى خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المومنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تاثرهم بها تقرير الفحوى قوله تع فما تغني النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال يا رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي هو مجنون وازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرى بالكسر على ارادة القول مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر ياسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرى ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير قضاء لحق المقام فالتقى الماء اي ماء الارض وماء السماء والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرى الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تودي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تع على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتار

في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرى لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي معتبر بتلك الآية الحقيقية بالاعتبار وقرى مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن الخ جملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تع ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه السلام روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تع فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استيناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شوم مستمر اي شومه او مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع روسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا روس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تانيثها في قوله تع اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تع فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتاخيره عن الصفة المأولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرى ابشر منا واحد على الابتداء وقوله تع نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذن

اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي جنون
فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق
وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول
االقي الذكر اي الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب
اشر اي ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى
سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا
لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون
البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه
وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ
الاشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل
المراد بالغد يوم القيمة ويأباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة الخ فانه استئناف مسوق
لبيان مبادي الموعود حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا
فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم
مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته
فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي الامر العظيم
غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها
والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة
عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اي فصاروا كهشيم
المحتظر اي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه
صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم
اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو اخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه
او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب
نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اي اخذتنا الشديدة
بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم
فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم
جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا
عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من
جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول
نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه بالاستقرار ايماء
الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي اليه فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم حينئذ من
جهته تع تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام
ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية

عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة اجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر
آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تع كذبوا بآياتنا
كلها استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل
كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء
اكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة او مكانة من اولئكم الكفار المعدودين
والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا
يصيبكم مثل ذلك وانتم شر مكانا واسوأ حالا وقوله تعالى ام لكم براءة في الزبر اضراب
وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل الكم براءة وامن من تبعات ما تعملون
من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تعالى
سيهزم الجمع رد وابطال ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه
آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب
وحكاية قبائحهم لغيرهم بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولوا حزم ورأي امرنا مجتمع لا نرام
ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ
الجميع وقوله تع سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتاكيد اي يهزم جمعهم البتة
ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد
منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رض
يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت
تأويلها وقرئ سيهزم الجمع اي الله عز وعلا بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم
بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه والساعة ادهى وامر اي في اقصى غاية من
الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة
في موقع اضمارها لتربية هولها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر
اي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعا
يوم يسحبون الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تع في ضلال اي كائنون في ضلال وسعر
يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا
مس سقر اي قاسوا حرها والمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته
اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء
خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي يدور عليها امر التكوين
او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ
بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبر وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين
وهو قوله تع كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة
وقيل معناه قوله تع وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم
في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر

والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر اي في ديوان الحفظه وكل صغير وكبير من الاعمال
مستطر مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفره بقوله تعالى ان
المجرمين الخ مما يستدعي بيان حسن حال المومنين ليتكافا الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن
الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشان
ونهر اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر
كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر
اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه
سبحانه ما اعظم شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمه
ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن ست وسبعون آية مكية

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السابقه من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب
كل ضرب منها ان القران قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك
عدد في هذه السورة الكريمه ما افاض على كافة الانام من فنون النعم الدينيه والدنيويه
الانفسيه والافاقيه وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدا بتعليم
القران فقيل الرحمن علم القران لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار
للسعادة الدينيه والدنيا وبه عيار على ساير الكتب السما وبه ما من مرصد برنوا اليه احداق
الامم الا وهو منشاوه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه
واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعه واحكامها وقد اقتصر
على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم
وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاوه على ما هو عليه من القوى الظاهره
والباطنه والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان
نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القران والجمل الثلاث
اخبار مترادفه للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد
الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك
امور الكاينات السفليه ويختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب والنجم
اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان
اي ينقادان له تع فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران
اخران للرحمن جردا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم
ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما
سواه تعالى كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف
لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانيه لتناسبهما من حيث التقابل لما ان
الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال

السفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة
حيث جعلها منشا احكامه وقضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبريا
شانه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اي شرع
العدل وامر به بان وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم
واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان
القران وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو
ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتاده والضحاك
فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم
به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطايهم الا تطغوا في الميزان اي لئلا تطغوا فيه على
ان ان ناصبه ولا نافيه ولام العله مقدرة متعلقه بقوله تع ووضع الميزان او لا تطغوا
على انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف
وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا
لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان
اي لا تنقصوه امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزياده ثم عن الخسران
الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتاكيدا للامر
باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان
يخسره ويخسره وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل
الفعل والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الما للانام اي خفضها مدحوة على الما
للانام اي الخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابه وقيل الثقلان
وقوله تع فيها فاكهة الخ استيناف مسوق لما افاده الجملة السابقه من كون الارض موضوعه
لمنافع الانام وتفصيل المنافع العايدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ
ان يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الحاليه اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به
والنخل ذات الاكمام هي اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى
فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمر وجمار وجذوعه والحب هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير
ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما
يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي
له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان
اي خلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه
ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله القرطبي فباي الاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تع للانام وسينطق به قوله تع ايها الثقلان والفا لترتيب
الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الالاء الموجبة للايمان والشكر حتما
والتعرض لعنوان الربوبيه المنبئة عن المالكيه الكليه او التربيه مع الاضافة الى ضميرهم

لتاكيد التكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآية تع كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه
كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينيه واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف
بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيويه الواصلة اليهم باسناده الى غيره تع استقلالا او اشتراكا
صريحا او دلالة فان اشراكهم لالهتهم به تع في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما
يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب
الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محاله اى فاذا كان الامر على
ما فصل فباى فرد من افراد الآلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع ان كلا منها
ناطق بالحق شاهد بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على اخلالهم
بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي
له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى ادم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ
مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخرين
وخلق الجان اى الجن او ابا الجن من مارج من لهب صاف من نار بيان لمارج فانه في
الاصل المضطرب من مرج اذا اضطرب فباى آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في تضاعيف
خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين بالرفع على خبرية مبتدا محذوف اى
الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعه رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته
ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبه وقيل على الابتدا والخبر قوله تع مرج الى اخره
وقرى بالجر على انه بدل من ربكما فباى آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوايد لا تحصى من
اعتدال الهوى واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك
مرج البحرين اى ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب
يلتقيان اى يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في راى العين وقيل ارسل بحرى
فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ اى حاجز من قدرة
الله عز وجل او من الارض لا يبغيان اى لا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة وابطال الخاصيت
او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباى آلاء ربكما تكذبان وليس منهما شئ يقبل التكذيب
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار
الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع انهما انما يخرجان من الملح على
ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او لانهما لما التقيا وصارا كالشئ
الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما لا يخرجان من جميع البحر
ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرى يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب
اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة فباى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار اى السفن جمع جارية وقرى
برفع الراء بحذف الياء كقول من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت
المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرى بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن
الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل فباى آلاء
ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر

باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه كل من عليها اى على الارض من
الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان هالك لا محاله ويبقى وجه ربك
اى ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اى ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي
عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظايم صفاته تع ولقد قال عليه السلام
الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال
والاكرام فقال قد استجيب لك وقرى ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك واياما كان
ففي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقايه تعالى ايذان بانه تع يفيض عليهم بعد فنايهم
ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تع فباى آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحياة
الابديه واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسئله من في السموات والارض
قاطبه ما يحتاجون اليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وساير احوالهم سؤالا مستمرا
بلسان المقال وبلسان الحال فانهم كافة من حيث حقايقهم الممكنه بمعزل من استحقاق الوجود
وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهيه من العلاقة لم
يشموا رايحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير
قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابرهيم عليه السلام كل يوم اى كل وقت
من الاوقات هو في شان من الشؤن التي من جملتها اعطاء ما سالوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا
ويفني آخرين ويأتي باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة
وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين قيل وفيه رد على اليهود
حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيا فباى آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم
لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء
شؤن الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شان فلا يبقى حينئذ الا شان واحد هو الجزاء
فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك
اى ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه
وقرى سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرى سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم ايها الثقلان
هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف
فباى آلاء ربكما التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيمة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب
تكذبان باقوالكما واعمالكما يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة
التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان
قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم ان قدرتم على ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
اى ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي او من اقطار سمواتي وارضي فانفذوا منها
وخلصوا انفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اى بقوة وقهر
وانتم من ذلك بمعزل بعيد روي ان الملايكة تنزل فتحيط بجميع الخلايق فاذا رآهم الجن والانس
هربوا فلا ياتون وجها الا وجدوا الملايكة احاطت به فباى آلاء ربكما تكذبان اى من التنبيه
والتحذير والمساهلة مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل

المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان
الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار متعلق
بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كاين من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اي دخان وقيل صفر
مذاب يصب على روسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة
ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب
فلا تنتصران اي لا تمتنعان فباي الاء ربكما تكذبان فان بيان ماهم عليه من الكفر والمعاصي
لطف اي لطف ونعمة اي نعمة فاذا انشقت السماء اي انصدعت يوم القيمة فكانت وردة
كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد
كقول من قال ولين بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنايم او يموت كريم كالدهان خبر ثان لكانت
او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به
كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يحيط به دايرة المقال فباي الاء ربكما تكذبان مع عظم شانها فيومئذ اي يوم اذ
تنشق السماء حسبما ذكر لا يسال عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول
ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى
فوربك لنسالنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه
رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسال عن ذنبه انسي ولا جني فباي الاء
ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المودي اليه واما ما
قيل مما انعم الله على عباده المومنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف
المجرمون بسيماهم استيناف يجري مجرى التعليل لعدم السوال قيل يعرفون بسواد الوجوه
وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيوخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور
هو القايم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان الماخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا
حذركم ونحوه واخذ به اذا كان الماخوذ شيا من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى
لا تاخذ بلحيتي ولا براسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم
واقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملايكة تارة تاخذ بالنواصي وتارة
بالاقدام فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة
القول اي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة اما استيناف وقع جوابا عن سوال ناشي
من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ او حال
من اصحاب النواصي والاقدام لان الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض
يطوفون بينها اي بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم
او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباي الاء ربكما تكذبان وقد اشير
الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الالاء مرارا ولمن خاف مقام ربه شروع في
تعداد الالاء الفايضة عليهم في الاخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الالاء الدينية
والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الاية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات

كما انها الاء جليلة واصلة اليهم في الاخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا الاء
عظيمة لكونها داعية لهم الى السعي في تحصيل ما يودي الى نيلها من الايمان والطاعة وان ما فصل
من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في شان من النعم الدينية والدنيوية الانفسية
والافاقية الاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة
على ما يودي الى استدامتها واما ما عدد من قوله تعالى سنفرغ لكم الى هذه الاية من الاحوال
الهايلة التي ستقع في الاخرة فليست هي من قبيل الالاء وانما الالاء حكاياتها الموجبة للازدجار عما
يودي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى
موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على احواله
من قام عليه اذا راقبه او مقام الخايف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب
للتفخيم والتهويل او هو مقحم للتعظيم جنتان جنة للخايف الانسي وجنة للخايف الجني فان الخطاب
للفريقين والمعنى لكل خايف منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل
الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية
وكذا ما جاء مثنى بعد فباي الاء ربكما تكذبان وليس فيهما شيء يقبل التكذيب فيهما عينان
تجريان صفة اخرى لجنتان اي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في [illegible]
العالي [illegible] من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان [illegible]
فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب او
رطب ويابس صفة اخرى لجنتان ولعل توسيط الاعتراض بين الصفات لما [illegible] فباي الاء ربكما
تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخايفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب على المدح
على فرش بطاينها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطاينها كذلك فما ظنك بظهايرها
وقيل ظهايرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما من الثمار
قريب يناله القايم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضي الله عنه تدنو الشجرة حتى يجتنيها
ولي الله ان شاء قايما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فباي الاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى فيهن اي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت انها لكل خايف من
الثقلين او لكل خايف [illegible] حسب تعدد [illegible] وقوله تعالى متكئين وقيل فيما
فيهما من الاماكن والقصور وقيل في هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش
قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان اي لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن
المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون
وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها
لتخصصها بالاضافة وقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان
اما صفة لقاصرات الطرف او حال منهن كما مر قبلها اي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه
والمرجان اي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كبارها وقيل ان
الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء

فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تع هل جزاء الاحسان الا الاحسان استیناف مقرر لمضمون ما
فصل قبله ای ما جزاء الاحسان فی العمل الا الاحسان فی الثواب فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تع
ومن دونهما جنتان مبتدا وخبر ای ومن دون تینك الجنتین الموعودتین للخائفین المقربین
جنتان اخریان لمن دونهم من اصحاب الیمین فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی مدهامتان
صفة للجنتان وسط بینهما الاعتراض لما ذکرنا من التنبیه علی ان تکذیب کل من الموصوف والصفة
حقیق بالانکار والتوبیخ ای خضراوان تضربان الی السواد من شدة الخضرة وفیه اشعار بان
الغالب علی هاتین الجنتین النبات والریاحین المنبسطة علی وجه الارض وعلی الاولیین الاشجار
والفواکه فبای الاء ربکما تکذبان فیهما عینان نضاختان ای فوارتان بالماء والنضخ اکثر من
النضح بالحاء المهملة وهو الرش فبای الاء ربکما تکذبان فیهما فاکهة ونخل ورمان عطف الاخیران
علی الفاکهة عطف جبریل ومیکائیل علی الملائکة بیانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاکهة وغذاء
والرمان فاکهة ودواء وعن هذا قال ابو حنیفه رحمه الله من حلف لا یاکل فاکهة فاکل رمانا
او رطبا لم یحنث فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تع فیهن خیرات حسان صفة اخری للجنتان
کالجملة التی قبلها والکلام فی جمع الضمیر کالذی مر فیما مر وخیرات مخففة من خیرات لان خیرا
الذی بمعنی اخیر لا یجمع وقد قری علی الاصل حسان ای حسان الخلق والخلق فبای الاء ربکما
تکذبان وقوله تع متکئین نصب علی الاختصاص علی رفرف خضر الرفرف حور بدل من
خیرات مقصورات فی الخیام قصرن فی خدورهن یقال امراة قصیرة وقصورة ای مخدرة او
مقصورات الطرف علی ازواجهن وقیل ان الخیمة من خیامهن درة مجوفة فبای الاء ربکما تکذبان
وقوله تع لم یطمثهن انس قبلهم ولا جان کالذی مر من نظیره فی جمیع الوجوه فبای الاء ربکما تکذبان
وقوله تع متکئین نصب علی الاختصاص علی رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع
واحده رفرفة قیل هو ما تدلی من الاسرة من عالی الثیاب وقیل هو ضرب من البسط او البسط
وقیل الوسائد وقیل النمارق وقیل کل ثوب عریض رفرف ویقال لاطراف البسط وفضول
الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هیدبه وعبقری حسان العبقری منسوب الی عبقر
تزعم العرب انه اسم بلد الجن فینسبون الیه کل شیء عجیب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع
حملا علی المعنی کما فی رفرف علی احد الوجهین وقری علی رفارف خضر بضمتین وعباقری کمدائنی
نسبة الی عباقر فی اسم البلد فبای الاء ربکما تکذبان وقوله تعالی تبارك اسم ربك
تنزیه وتقدیس له تعالی فیه تقریر لما ذکر فی السورة الکریمة من الالاء الفائضة علی الانام ای
تعالی اسمه الجلیل الذی من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الالاء
المفصلة وارتفع عما لا یلیق بشانه من الامور التی من جملتها جحود نعمائه وتکذیبها واذا کان
حال اسمه بملابسة دلالته علیه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلی وقیل الاسم بمعنی الصفة
وقیل مقحم کما فی قول من قال الی الحول ثم اسم السلام علیکما ذی الجلال والاکرام وصف به الرب
تکمیلا لما ذکر من التنزیه والتقریر وقری ذو الجلال علی انه نعت للاسم عن النبی صلی الله علیه وسلم
من قرا سورة الرحمن ادی شکر ما انعم الله علیه

سورة الواقعة

وتسعون ست آیة مکیة

اذا وقعت الواقعة ای اذا قامت القیمة وذلك عند النفخة الثانیة والتعبیر عنها بالواقعة
للایذان بتحقق وقوعها لا محالة کانها واقعة فی نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فی حیز الشرط
کانه قیل کانت الکائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ینبئ عن الهول والفظاعة کانه
قیل اذا وقعت الواقعة یکون من الاهوال ما لا یفی به المقال وقیل بالنفی المفهوم من قوله تعالی
لیس لوقعتها کاذبة ای لا یکون عند وقوعها نفس تکذب علی الله تع او تکذب فی نفسها کما تکذب
الیوم واللام کهی فی قوله تعالی یا لیتنی قدمت لحیاتی وهذه الجملة علی الوجه الاول اعتراض
مقرر لمضمون الشرط علی ان الکاذبة مصدر کالعافیة ای لیس لاجل وقعتها وفی حقها کذب
اصلا بل کل ما ورد فی شانها من الاخبار حق صادق لا ریب فیه وقوله تع خافضة رافعة
خبر مبتدا محذوف ای هی خافضة لاقوام رافعة لاخرین وهو تقریر لعظمتها وتهویل لامرها
فان الوقائع العظام شانها کذلك او بیان لما یکون یومئذ من حط الاشقیاء الی الدرکات
ورفع السعداء الی الدرجات ومن زلزلة الاشیاء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الکواکب
واسقاط السماء کسفا وتسییر الجبال فی الجو کالسحاب وتقدیم الخفض علی الرفع للتشدید فی
التهویل وقری خافضة رافعة بالنصب علی الحال من الواقعة وقوله تع اذا رجت الارض رجا
ای زلزلت زلزالا شدیدا بحیث ینهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة ای تخفض
وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ینخفض ما هو مرتفع ویرتفع ما هو منخفض او بدل من
اذا وقعت وبست الجبال بسا ای فتتت حتی صارت مثل السویق الملتوت من بس السویق
اذا لته او سیقت وسیرت من اماکنها من بس الغنم اذا ساقها کقوله تع وسیرت الجبال
وقری رجت وبست ای ارتجت وذهبت فکانت ای فصارت بسبب ذلك هباء
غبارا منبثا منتشرا وکنتم اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغلیبا او للحاضرین
فقط ازواجا ای اصنافا ثلاثة فکل صنف یکون مع صنف اخر فی الوجود او فی الذکر فهو
زوج وقوله تع فاصحاب المیمنة ما اصحاب المیمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة
تقسیم وتنویع للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالیة الی احوالهم قبل تفصیلها فقوله تعالی
فاصحاب المیمنة مبتدا وقوله ما اصحاب المیمنة خبره علی ان ما الاستفهامیة مبتدا ثان
ما بعده خبره والجملة خبر للاول والاصل ما هم ای ای شیء هم فی حالهم وصفتهم فان ما وان
شاعت فی طلب مفهوم الاسم والحقیقة لکنها قد یطلب بها الصفة والحال تقول ما زید
فیقال عالم او طبیب فوضع الظاهر موضع الضمیر لکونه ادخل فی التفخیم وکذا الکلام فی قوله تعالی
واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والمراد تعجیب السامع من شان الفریقین فی الفخامة
والفظاعة کانه قیل فاصحاب المیمنة فی غایة حسن الحال واصحاب المشامة فی نهایة سوء الحال
وتکلموا فی الفریقین فقیل اصحاب المیمنة اصحاب المنزلة السنیة واصحاب المشامة اصحاب
المنزلة الدنیة اخذا من تیمنهم بالمیامن وتشاؤمهم بالشمائل وقیل الذین یؤتون صحائفهم
بایمانهم والذین یؤتونها بشمائلهم وقیل الذین یؤخذ بهم ذات الیمین الی الجنة والذین یؤخذ بهم
ذات الشمال الی النار وقیل اصحاب الیمن واصحاب الشؤم فان السعداء میامین علی انفسهم

بطاعاتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون السابقون هو القسم الثالث
من الازواج الثلاثة ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم في الفضل ليقترن
ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق
من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من
غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضايل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى
القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى
الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات واياما كان فالجملة مبتدا وخبر والمعنى والسابقون
هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابي النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شانهم
والايذان بشيوع فضلهم واستغنايهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى
طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته او السابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى
اوليك اشارة الى السابقين ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتدا خبره ما بعده اي اوليك الموصوفون بذلك
النعت الجليل المقربون اي الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت
الى حظاير القدس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل واشهره والذي تقتضيه
جزالة التنزيل ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتدا محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب
المشامه وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة
بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها اليها
والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة والآخر اصحاب المشامه والثالث السابقون خلا انه لما
اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي
احوالهما في الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على
ان ما الاستفهامية مبتدا وما بعدها خبر على ما راه سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما
بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبر الا بيان
ان امر ابديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدا وكذا الحال في ما اصحاب المشامه
واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله
تعالى السابقون مبتدا والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم واوليك مبتدا ثان او بدل من الاول
وما بعده خبر له او للثاني والجملة خبر للاول وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون
او بمضمر هو حال من ضميره اي كاينين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار
بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزيه وقرى في جنة النعيم وقوله تعالى
ثلة من الاولين خبر مبتدا محذوف اي هم امة جمة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى
نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من الاخرين اي من هذه الامة
ولا يخالفه قوله عليه السلام ان امتي يكثرون ساير الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من
سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية تابعي هولاء من تابعي اوليك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب
اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لان كثرة كل من الفريقين في انفسها لا تنافي اكثرية

احدهما من الاخر وسياتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والاخرين
ههنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتاخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر
موضونة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر اخر للضمير والموضونة
المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج متكين
عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكين
عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق
والآداب يطوف عليهم حال اخرى او استيناف اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون
اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والقرط الخلد قيل
هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيات فيعاقبوا عليها روي
ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة
باكواب بآنية لا عرى لها ولا خراطيم واباريق اي آنية ذات عرى وخراطيم وكاس من معين
اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكاس لانها لا تسمى كاسا الا اذا كانت مملوة
لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرى لا يصدعون اي لا
يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يوميذ يصدعون وقرى لا يصدعون اي لا يفرق
بعضهم بعضا ولا ينزفون اي لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه
وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه وياخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون
وقرى ولحوم طير وحور عين بالرفع عطفا على ولدان او مبتدا محذوف الخبر اي وفيها او
ولهم حور وقرى بالجر عطفا على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة
حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب
اي ويوتون حورا كامثال اللولو المكنون صفة لحورا وحال جزاء بما كانوا يعملون مفعول
له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر موكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا
اي باطلا ولا تاثيما اي ولا نسبة الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تاثيم ولا سماع كقوله ولا ترى
الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تع لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم
يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام
الآخر بدءا او ردا وقرى سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين شروع في
تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شونهم الفاضلة اثر تفصيل شون السابقين وهو مبتدا وقوله
ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجب من حالهم وقد عرفت كيفية
سبكها ومحلها اما الرفع على انها خبر للمبتدا او معترضة لا محل لها والخبر قوله تع في سدر
مخضود وهو على الاول خبر ثان للمبتدا او خبر لمبتدا محذوف والجملة استيناف لبيان ما ابهم في
قوله ما اصحاب اليمين من علو الشان اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق
كان خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو
رطب وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام

غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرايحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من
العسل وعن على رضى الله عنه انه قرا وطلع وما شان الطلح وقرا قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل
او نحولها قال اى القران لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس رضى الله عنه نحوه وظل ممدود ممتد
منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب
لهم اينما شاوا وكيفما ارادوا بلا تعب او مصبوب سايل يجرى على الارض فى غير اخدود كانه
مثل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل
البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة
فى وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها
كما يحظر على بساتين الدنيا وقرى فاكهة كثيرة بالرفع وعلى هنالك فاكهة الخ كقوله تع وحور عين
وفرش مرفوعة اى رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش
النساء حيث يكنى بالفراش عن المراة وارتفاعها كونهن على الارايك قال تعالى هم وازواجهم
فى ظلال على الارايك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشاناهن انشاء وعلى التفسير الاول
اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدانا خلقهن ابتداء
جديدا او ابدعناهن من غير ولادة ابداء او اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا
عجايز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما اتاهن
ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تع فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع عروب
وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرى عربا بسكون الراء اترابا مستويات فى السن
بنات ثلاث وثلثين سنة وكذا ازواجهن واللام فى قوله تعالى لاصحاب اليمين متعلقة
بانشانا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اى مساوله فى السن وقيل بمحذوف هو
صفة لابكارا اى كاينات لاصحاب اليمين او خبر مبتدا محذوف اى هن لاصحاب اليمين وقيل
خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتدا محذوف خمتت به
قصة اصحاب اليمين اى هم امة من الاولين وامة من الاخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابى العاليه
ومجاهد وعطا والضحاك ثلة من الاولين اى من سابقى هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة
فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الاية قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتى واصحاب الشمال شروع فى تفصيل احوالهم التى اشير عند
التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام فى قوله تع ما اصحاب
الشمال عين ما فصل فى نظيره وكذا فى قوله تعالى فى سموم وحميم والسموم حر نار تنفذ فى المسام
والحميم الماء المتناهى فى الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كساير الظلال
ولا كريم فيه خير ما فى الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذى عبر به عن دفع
اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرى لا بارد ولا كريم بالرفع اى لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى
انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلايهم بما ذكر من العذاب اى انهم كانوا قبل ما ذكر من
سوء العذاب فى الدنيا منعمين بانواع النعم من الماكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات
الكريمة منهمكين فى الشهوات فلا جرم عذبوا بنقايضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اى

اى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المواخذة
بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اى كان بعض
اجزاينا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد
وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى
اينا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو
المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد
الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية
له بالكلية وتكرير الهمزة لتاكيد النكير كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة
لاقتضاء الصدارة كما فى مثل قوله تع افلا تعقلون على راى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب
الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية
بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه
الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال
ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تع اواباونا الاولون لتاكيد النكير والواو للعطف على
المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون ان بعث ابايهم الاولين ابعد من
الوقوع وقرى اوابانا قل ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والاخرين من الامم الذين
من جملتهم انتم واباوكم وفى تقديم الاولين مبالغة فى الرد حيث كان انكارهم لبعث ابايهم
اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى لمجموعون بعد البعث وقرى لمجمعون
الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة
ثم انكم ايها الضالون عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخى زمانا او رتبة
المكذبون اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لاكلون بعد البعث والجمع ودخول
جهنم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اى مبتدون
الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اى كاين من زقوم
فمالئون منها البطون اى بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث
من الحميم اى الماء الحار فى الغاية وتانيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ
وقرى من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للاكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم
كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اى لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون
مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيما
وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على فعل كسحاب
وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار
فى احشايهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملاوا منه بطونهم وهو فى غاية المرارة
والحرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع امعاءهم فيشربونه
شرب الهيم وقرى شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرى بالكسر على انه اسم المشروب
هذا الذى ذكر من الوان العذاب نزلهم يوم الدين اى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو

مايعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاء تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تع بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تع نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اى فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شئ وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا افرأيتم ما تمنون اى تقذفون في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه اى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شئ فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجئ الخالقون بعد نحن بطريق التاكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما يقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا وما نحن بمسبوقين اى انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتى مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رحمه الله اى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته وعلى ان نبدل الخ اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الاولى هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم عليه السلام من التراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثى وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الاخرى وهو يسعى لدار الغرور افرأيتم ما تحرثون اى تبذرون حبه وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف ام نحن الزارعون اى المنبتون لا انتم والكلام في ام كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على ما فعلتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون اى تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل انا لمغرمون اى لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ اينا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اى قائلين او تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون افرأيتم الماء الذى تشربون اى العذب الفرات وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة

كيف

منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به ءانتم انزلتموه من المزن اى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب في الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستانفتان مسوقتان لبيان ان عصمته تع للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تع فلولا تشكرون تحضيض على شكر الكل افرأيتم النار التى تورون اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد ءانتم انشأتم شجرتها التى منها الزناد وهى المرخ والعفار ام نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين ساير الاشجار التى لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تع ثم انشأناه خلقا آخر كذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استيناف مبين لمنافعها اى جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم وتذكرة وانموذجا من نار جهنم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى توقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس بابدع من اخراج النار من الشئ الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهمهم ويسد خللهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ وتاخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروى والفاء في قوله تع فسبح باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدايع صنعه تع وروايع نعمه الموجبة للتسبيح تعالى اما تنزيها له تع عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابقة اى فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم للشئ ذكره له والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم اى فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلاقسم او فلارد لكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به بمواقع النجوم اى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دايم لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تع واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظيم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض قصد المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتاكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم بين القسم

وجوابه الذی هو قوله تعالی انه لقران کریم ای کثیر النفع لاشتماله علی اصول العلوم المهمة
فی صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضی او کریم عند الله تع وبقوله تعالی لو تعلمون بین الموصوف
وصفته وجواب لو اما متروک ارید به نفی علمهم او محذوف ثقة بظهوره ای لعظمتموه او
لعملتم بموجبه فی کتاب مکنون ای مصون من غیر المقربین من الملائکة لا یطلع علیه من
سواهم وهو اللوح لا یمسه الا المطهرون اما صفة اخری لکتاب فالمراد بالمطهرین الملائکة
المنزهون عن الکدورات الجسمانیه واوضار الاوزار او للقران فالمراد هم المطهرون
من الاحداث فیکون نفیا بمعنی النهی ای لا ینبغی ان یمسه الا من کان علی طهارة من الناس
علی طریقة قوله صلی الله علیه وسلم المسلم اخو المسلم لا یظلمه ولا یسلمه ای لا ینبغی له
ان یظلمه او یسلمه الی من یظلمه وقیل لا یطلبه الا المطهرون من الکفر وقری المتطهرون
والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهر بمعنی طهر والمطهرون ای انفسهم او غیرهم
بالاستغفار او غیره تنزیل من رب العالمین صفة اخری للقران وهو مصدر نعت به
حتی جری مجری اسمه وقری تنزیلا افبهذا الحدیث الذی ذکرت نعوته الجلیلة الموجبة
لاعظامه واجلاله وهو القران الکریم انتم مدهنون ای متهاونون به کمن یدهن فی الامر
ای یلین جانبه ولا یتصلب فیه تهاونا به وتجعلون رزقکم ای شکر رزقکم انکم تکذبون
ای تضعون التکذیب موضع الشکر وقری وتجعلون شکرکم انکم تکذبون ای تجعلون
شکرکم لنعمة القران انکم تکذبون به وقیل الرزق المطر والمعنی وتجعلون شکر ما یرزقکم
الله تعالی من الغیث انکم تکذبون بکونه من الله حیث تنسبونه الی الانواء والاول هو الاوفق
لسیاق النظم الکریم وسیاقه فان قوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم الخ تبکیت مبنی
علی تکذیبهم بالقران فیما نطق به قوله تعالی نحن خلقناکم الی هنا من القوارع الدالة علی کونهم
تحت ملکوته تع من حیث ذواتهم ومن حیث طعامهم وشرابهم وسایر اسباب معایشهم
کما ستقف علیه ولولا للتخصیص لاظهار عجزهم واذا ظرفیه ای فهلا اذا بلغت النفس
ای الروح وقیل نفس احدکم الحلقوم وتداعت الی الخروج وانتم حینئذ ایها الحاضرون
حول صاحبها تنظرون الی ما هو فیه من الغمرات ونحن اقرب الیه علما وقدرة وتصرفا
منکم حیث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غیر ان تقفوا علی کنهها
وکیفیتها واسبابها ولا ان تقدروا علی دفع ادنی شیء منها ونحن المتولون لتفاصیل احواله
بعلمنا وقدرتنا او بملائکة الموت ولکن لا تبصرون لا تدرکون ذلک لجهلکم بشؤوننا
وقوله تع فلولا ان کنتم غیر مدینین ای غیر مربوبین من دان السلطان رعیته اذا ساسهم
واستعبدهم ناظر الی قوله تع نحن خلقناکم فلولا تصدقون فان التخصیص یستدعی عدم
المخصص علیه حتما وقوله تع ترجعونها ای النفس الی مقرها هو العامل فی اذا والمحضض علیه
بلولا الاولی والثانیه مکرره للتاکید وهی مع ما فی حیزها دلیل جواب الشرط والمعنی ان کنتم
غیر مربوبین کما ینبئ عنه عدم تصدیقکم بخلقنا ایاکم فهلا ترجعون النفس الی مقرها عند
بلوغها الحلقوم ان کنتم صادقین فی اعتقادکم فان عدم تصدیقهم بخالقیته تع لهم عبارة عن
تصدیقهم بعدم خالقیته تع بموجب مذهبهم وقوله تع فاما ان کان من المقربین الی اخره

شروع فی بیان حال المتوفی بعد الممات اثر بیان حاله عند الوفاة ای فاما ان کان الذی بین حاله
من السابقین من الازواج الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح ای فله استراحة وقری فروح
بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحیاة المرحوم وبالحیاة الدایمة وریحان ورزق وجنة نعیم
ای ذات تنعم واما ان کان من اصحاب الیمین عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم یذکر لهم فیما
سبق وصف واحد ینبئ عن شانهم سواه کما ذکر للفریقین الاخرین وقوله تع فسلام لک
من اصحاب الیمین اخبار من جهته تع بتسلیم بعضهم علی بعض کما یفصح عنه اللام لا حکایة انشاء
سلام بعضهم علی بعض کما یفصح والا لقیل علیک والالتفات الی خطاب کل واحد منهم للتشریف
واما ان کان من المکذبین الضالین وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلک حسبما وصفوا به
عند بیان احوالهم بقوله تع ثم انکم ایها الضالون المکذبون ذما لهم بذلک واشعارا بسبب
ما ابتلوا به من العذاب فنزل ای فله نزل کاین من حمیم یشرب بعد اکل الزقوم کما فصل
فیما قبل وتصلیة جحیم ای ادخال فی النار وقیل اقامة فیها ومقاساة لالوان عذابها وقیل
ذلک ما یجد فی القبر من سموم النار ودخانها ان هذا ای الذی ذکر فی السورة الکریمة
لهو حق الیقین ای حق الخبر الیقین وقیل الحق الثابت من الیقین والفاء فی قوله تع فسبح باسم
ربک العظیم لترتیب التسبیح او الامر به علی ما قبلها فان حقیة ما فصل فی تضاعیف السورة
الکریمة مما یوجب تنزیهه تع عما لا یلیق بشانه الجلیل من الامور التی من جملتها الاشراک به
والتکذیب بایاته الناطقة بالحق عن النبی صلی الله علیه وسلم من قرا سورة الواقعة فی کل لیلة لم

تصبه فاقة ابدا

سورة الحدید تسع وعشرون ایة

سبح لله ما فی السموات والارض التسبیح تنزیه الله تعالی اعتقادا وقولا وعملا عما لا یلیق بجنابه
سبحانه من سبح فی الارض والماء اذا ذهب وابعد فیهما وحیث اسند ههنا الی غیر العقلاء
ایضا فان ما فی السموات والارض یعم جمیع ما فیهما سواء کان مستقرا فیهما او جزءا منهما
کما مر فی آیة الکرسی ارید به معنی عام مجازی شامل لما نطق به لسان المقال کتسبیح الملائکة
والمومنین من الثقلین ولسان الحال کتسبیح غیرهم فان کل فرد من افراد الموجودات یدل
بامکانه وحدوثه علی الصانع القدیم الواجب الوجود المتصف بالکمال المنزه عن النقصان
وهو المراد بقوله وان من شیء الا یسبح بحمده وهو متعد بنفسه کما فی قوله وتسبحوه واللام اما
مزیده للتاکید کما فی نصحت له وشکرت له او للتعلیل ای فعل التسبیح لاجل الله تعالی وخالصا
لوجهه ومجیئه فی بعض الفواتح ماضیا وفی البعض مضارعا للایذان بتحققه فی جمیع الاوقات
وفیه تنبیه علی ان حق من من شانه التسبیح الاختیاری ان یسبحه فی جمیع الاوقات کما علیه
الملا الاعلی حیث یسبحون اللیل والنهار لا یفترون وهو العزیز القادر الغالب الذی لا
یمانعه ولا ینازعه شیء الحکیم الذی لا یفعل الا ما یقتضیه الحکمة والمصلحة والجملة اعتراض
تذییلی مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحکم وکذا قوله تعالی له ملک السموات والارض
ای التصرف الکلی فیهما وفیما فیهما من الموجودات من حیث الایجاد والاعدام وسایر التصرفات

بما نعلمه ومالا نعلمه وقوله تعالى يحيي ويميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله
حالا من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شيء قدير من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء
والاماتة قدير مبالغ في القدرة هو الاول السابق على ساير الموجودات لما انه مبدؤها
ومبدعها والاخر الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها
فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية والظاهر وجودا لكثرة
دلايله الواضحة والباطن حقيقة فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين
الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع
الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي هو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بيان لبعض احكام ملكهما
وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها
مر بيانه في سورة سبا وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم
عنه اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتاخيره عن الخلق
لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تع
والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله
ترجع الامور اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا ترجع جميع الامور على البنا للمفعول
من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل مر تفسيره مرارا وقوله تع وهو عليم اي مبالغ في العلم بذات الصدور اي بمكنوناتها
اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها
امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير
ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق
فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف
هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء ممن قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم
حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين امنوا منكم وانفقوا
حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة
اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير
وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار
ان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه
من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب
فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي
فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار
الوقوع كما في اضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط
كما فيما نحن فيه وفي قوله تع ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان
كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع

ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الخ فيكون مضمون الجملة الحالية
مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب
عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه
وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى
ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا
للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين فموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه هو
الذي ينزل على عبده حسبما يعن لكم من المصالح ايات بينات واضحات ليخرجكم اي الله تع
او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم
حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الايات بعد نصب الحجج العقلية
وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المامور به بعد توبيخهم
على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه
الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا
فيما هو قربة الى الله تع ماهو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف
وقوله تع ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكد للتوبيخ فان
ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار
فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال بالاخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من
اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه
في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء
بل تبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة
وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين
حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد ان بيان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري
الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه افضل
العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده
عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى
من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي
اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجميلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله
عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا
نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى
الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي

الجنة لا الاولين فقط وقرى وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله والله بما تعملون خبير
بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الاية فى ابى بكر رضى الله عنه فانه اول من آمن
واول من انفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى
من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق فى سبيله بعد الامر به
والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله تع رجاء ان
يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى اكرم المال وافضل الجهات
فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه
له اى فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم
فى نفسه حقيق بان تنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا
كثيرة وقرى بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدا اى فهو يضاعفه وقرى يضعفه
بالرفع والنصب يوم ترى المومنين والمومنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله
تع فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تع يسعى نورهم حال من
مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هو هداهم وبايمانهم
كتبهم اى يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفى ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القران
وعن ابن مسعود رضى الله عنه يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم
من يوتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفى تارة ويلمع اخرى وقال
الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات
مقدر بقول هو حال او استيناف اى يقال لهم بشراكم اى ما تبشرون به جنات او بشراكم
دخول جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اى ما ذكر من النور والبشرى
بالجنان المخلدة هو الفوز العظيم الذى لا غاية وراءه وقرى ذلك الفوز العظيم يوم يقول
المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا اى انتظرونا يقولون
ذلك لما ان المومنين يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهولاء مشاة
او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين
ايديهم وقرى انظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى ان يلحقوا بهم انظارا
لهم نقتبس من نوركم اى نستضئ منه واصله اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم من
جهة المومنين او من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم الى الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة
يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا
خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا
بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اى حائط
والباء زائدة له باب باطنه اى باطن السور او الباب وهو الجانب الذى يلى الجنة فيه
الرحمة وظاهره وهو الطرف الذى يلى النار من قبله من جهته العذاب وقرى فضرب على
البناء للفاعل ينادونهم استيناف مبنى على السوال كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور
ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن فى الدنيا معكم يريدون به موافقتهم لهم فى

الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها
وتربصتم بالمومنين الدوائر وارتبتم فى امر الدين وغرتكم الامانى الفارغة التى من جملتها الطمع
فى انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اى الموت وغركم بالله الكريم الغرور اى غركم الشيطان
بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرى الغرور بالضم فاليوم لا يوخذ منكم فدية فداء وقرى توخذ بالتاء
ولا من الذين كفروا اى ظاهرا وباطنا مأواكم النار لا تبرحونها ابدا هى مولاكم اى اولى بكم و
حقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اى مكان لقول القائل انه
لكريم او مكانكم عن قريب من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها وبئس المصير اى النار الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله استيناف ناع عليهم تثاقلهم فى امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم
لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروى ان المومنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا
الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا
وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى استبطا
قلوب المومنين فعاتبهم على راس عشرة سنة من نزول القران اى الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم
لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان
ولا فتور من انى الامر اذا جاء اناه اى وقته وقرى الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرى الما يان
وفيه دلالة على ان المنفى متوقع وما نزل من الحق اى القران وهو عطف على ذكر الله فان كان
هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا
فالعطف كما فى قوله تع انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه
من الاحكام التى من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق فى سبيل الله وقرى نزل من التنزيل
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على
تخشع وقرى بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهى عن مماثلة اهل الكتاب فى قسوة
القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية
والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اى الاجل وقرى الامد بتشديد الدال
اى الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التى كانت تاتيهم من الكتابين فقست قلوبهم
فهى كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اى خارجون عن حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم
بالكلية اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة
باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الايات
التى من جملتها هذه الايات لعلكم تعقلون كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة
الدارين ان المصدقين والمصدقات اى المتصدقين والمتصدقات وقد قرى كذلك وقرى
بتخفيف الصاد من التصديق اى الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو
عطف على ما فى المصدقين من معنى الفعل فانه فى حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين وعقب
بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبى وهو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا

وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصله من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس
بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا
واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين امنوا ولاسيما العلماء منهم وعملوا الصالحات
لهم كذا لكن لا على ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل
زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روى انه عليه السلام
قال يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف
معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب
عن طيبة النفس وخلوص النيه على المستحق للصدقه يضاعف لهم على البناء للمفعول مسندا
الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصله على حذف مضاف اى ثواب
التصدق وقرى على البناء للفاعل اى يضاعف الله تعالى وقرى يضعف بتشديد العين
وفتحها ولهم اجر كريم مر ما فيه من الكلام والذين امنوا بالله ورسله كافه وقد مر بيان
كيفية الايمان بهم في خاتمه سورة البقره اوليك اشارة الى الموصول الذى هو مبتدا
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدا ثان
وقوله تع هم مبتدا ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع
خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاوليك والجملة خبر للموصول اى اوليك
عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبه ورفعة المحل وهم الذين سبقوا
الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله او هم المبالغون في الصدق حيث امنوا وصدقوا
جميع اخباره تعالى ورسله والقايمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانيه ولهم بالايمان او على
الامم يوم القيمه وقوله تع لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال
على انه جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول والخبر هو الجار وما بعده مرتفع
به على الفاعليه والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اى
لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها
على قوة المماثله وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست
المماثله بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخيرين بل بين تمام ما
للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه
الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذى يقتضيه جزالة
النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدا وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم الخ والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اوليك الموصوفون بتلك الصفات القبيحه اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها
ابدا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينه وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
بعد ما بين حال الفريقين في الاخرة شرح حال الحياة الدنيا التي اطمان بها الفريق الثاني واشير
الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمينان بها وانها مع ذلك
سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اى الحراث نباته
اى النبات الحاصل به ثم يهيج اى يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعد ما رايته ناضرا

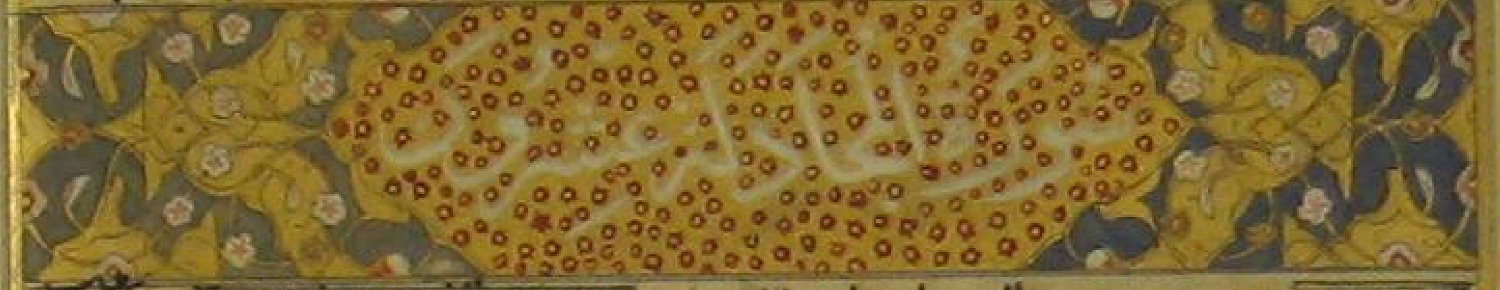
مونقا وقرى مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه
رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحاليه من الضمير في
لعب لانه في معنى الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف اى مثل
الحياة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها
اشير الى فخامة شان الاخرة وعظم ما فيها من اللذات والالام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم
وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الاخرة عذاب شديد لانه من نتايج
الانهماك فيما فصل من احوال الحياة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا
يقادر قدره وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اى لمن اطمان بها ولم يجعلها ذريعة الى
الاخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك
الى طلب رضوان الله تع فنعم المتاع ونعم الوسيله سابقوا اى سارعوا مسارعة المسابقين
لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمه كاينه من ربكم اى الى موجباتها من الاعمال الصالحه
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اى كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك
بطولها وقيل المراد بالعرض البسطه وتقديم المغفره على الجنه لتقدم التخليه على التحليه
اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف
في استحقاقها ذلك الذى وعد من المغفره والجنه فضل الله عطاؤه يوتيه تفضلا واحسانا
من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يوتي من يشاء مثل ذلك
الفضل الذى لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزروع والثمار
ولا في انفسكم كمرض وافة الا في كتاب اى الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح
من قبل ان نبراها اى نخلق الانفس او المصايب او الارض ان ذلك اى اثباتها في كتاب على
الله يسير لاستغنايه فيه عن العدة والمدة لكيلا تاسوا اى اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا
على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اتاكم اى اعطاكم الله تع منها فان من علم ان الكل
مقدر يفوت ما قدر فواته وياتي ما قدر اتيانه لا محاله لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما
هو ات وقرى بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت
وطباعها واما حصولها وبقاوها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرى بما اوتيتم والمراد
به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تع والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله
والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيويه وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها
لا محاله وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يظن به غالبا ويامر غيره به او مبتدا
خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض
عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه
بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرى فان الله الغني لقد
ارسلنا رسلنا اى الملايكه الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اى بالحجج
والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اى جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط

اى بالعدل روى ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر
قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسه ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد
قيل نزل ادم عليه السلام من الجنه ومعه خمسة اشيا من حديد السندان والكلبتان و
والمطرقه والابر وروى ومعه المر والمسحاه وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تع وانزل لكم
من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السما وقوله فيه باس شديد
لان الات الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس اذ ما من صنعه الا والحديد او ما يعمل بالحديد
آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف
يدل عليه ماقبله فانه حال متضمنه للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء
من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وساير الاسلحة فى مجاهده اعدآيه او متعلق
بمحذوف موخر والواو اعتراضيه اى وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تع
ليقوم الناس بالقسط وقوله تع بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اى غايبا منهم او غايبين
منه وقوله تع ان الله قوى عزيز اعتراض تذييلى جى به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد
وتعريضهم للقتال ليس لحاجته فى اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا
بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غنى بقدرته وعزته عنهم فى كل مايريده ولقد ارسلنا
نوحا وابرهيم نوع تفصيل لما اجمل فى قوله تع لقد ارسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد
الاعتناء بالامر اى وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم
واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اى من الذرية او من المرسل اليهم
المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق
المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم
ثم قفينا على اثارهم برسلنا اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى بن مريم اى ارسلنا
رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من
عاصراهم من الرسل لا للذريه فان الرسل المقفى بهم من الذريه واتيناه الانجيل وقرى بفتح
الهمزه فانه اعجمى لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة وقرى
رآفة على فعالة ورحمة اى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه فى شان النبى صلى الله عليه
وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اى وابتدعوا رهبانيه
ابتدعوها واما بالعطف على ماقبلها وابتدعوها صفة لها اى وجعلنا فى قلوبهم رافة ورحمة
ورهبانية مبتدعة من عندهم اى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانيه واستحداثها
وهى المبالغة فى العباده بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان
وهو الخايف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرى بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان وهو
جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المومنين بعد رفع
عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتتنوا
فى دينهم فاختاروا الرهبانيه فى قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعباده وقوله تعالى
ما كتبناها عليهم جملة مستانفه وقيل صفة اخرى لرهبانيه والنفى على الوجه الاول متوجه الى

اصل

اصل الفعل وقوله تع الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى ما فرضناها نحن عليهم راسا
ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تع فما رعوها حق رعايتها من
حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تع وعلى الوجه الثانى متوجه
الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اى ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها
لشئ من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان
يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما راعاها كلهم بل بعضهم فاتينا الذين امنوا منهم ايمانا
صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها
بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر اجرهم اى ما يخص بهم من الاجر
وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق
الرهبانيه قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير
تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام يا ايها الذين امنوا
اى بالرسل المتقدمه اتقوا الله فيما نهاكم عنه وامنوا برسوله اى بمحمد صلى الله عليه وسلم
وفى اطلاقه ايذان بانه علم فرد فى الرساله لا يذهب الوهم الى غيره يوتكم كفلين نصيبين
من رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم
باقية بعد البعثه بل على انها كانت حقه قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيمه حسبما
نطق به قوله تع يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصى
والله غفور رحيم اى مبالغ فى المغفره والرحمه وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق
بمضمون الجملة الطلبيه المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتومنوا برسوله يوتكم
كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اى ليعلموا ولا مزيده كما ينبئ عنه قراءة ليعلم
ولكى يعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء وان فى قوله تعالى ان لا يقدرون على شئ من فضل الله
مخففة من الثقيله واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف والجملة فى حيز النصب على انها مفعول
يعلم اى ليعلموا انه لا ينالون شيا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفره ولا يتمكنون من
نيله حيث لم ياتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله وقوله تع وان الفضل بيد الله عطف
على ان لا يقدرون وقوله تع يوتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمه
وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون
الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى
الله عليه وسلم يوتكم ما وعد من امن من اهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى اولئك يوتون
اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم فى الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله
وروى ان مومنى اهل الكتاب افتخروا على ساير المومنين بانهم يوتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل
عليهم فنزلت وقرى ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسر وقرى بسكون الياء وفتح اللام
كاسم المراة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرى ان لا يقدروا هذا وقد قيل لا غير مزيده وضمير
لا يقدرون للنبى عليه السلام واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى
والمومنون به على شئ من فضل الله الذى هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم

علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله ان الفضل بيد الله
الخ عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله



قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك
الكلام في شانه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك اي تسائلك
وتشتكي الى الله عطف على تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي
متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن حرامة الخزاعية ظاهر عنها زوجها
اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فشق
عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله
ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية ما اراك الا قد حرمت عليه في المرار كلها فقالت
اشكو الى الله فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه
السلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وفي كلمة قد اشعار بان الرسول
عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح
به ما روي انه عليه السلام قال لها عند استفتائها ما عندي في امرك شيء وانها كانت ترفع
راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى
لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعني بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما
اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده
وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل
لما قبله فان الحافها في المسالة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه السلام اياها
بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو
بعيد وقوله عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ بالمسموعات
والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع
راسها الى السماء وساير آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل
الحكم بوصف الالوهية وتاكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم
شروع في بيان شان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار
ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب والحق به
الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان
اهل جاهليتهم خاصة دون ساير الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويظاهرون ويتظهرون
وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت
وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا
تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات وازواج النبي صلى الله عليه وسلم

فدخل بذلك في حكم الامهات والزوجات فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون بقولهم
ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه
منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم
لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو
والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع
الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون
لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى ان تعودوا لمثله
ابدا فان اللام والى يتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح فتحرير رقبة اي فتداركه او
فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الايمان
والفاء للسببية ومن فوايدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا
عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله
تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع
فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر
جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر
ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستانف عند ابي حنيفة رحمه الله
ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدا خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر
المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع
هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم
بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال التي من جملتها التكفير
وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود
ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين
من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطا فمن لم يستطع اي الصيام لسبب من الاسباب
فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على
المسيس لكن لا يستانف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم
للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء او
النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا
بشرايعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة
وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين
اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر
فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا
من المتعادين كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد

الاخر غير ان لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع
ما لا غاية وراءه كبتوا اي اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا
وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تع اتى امر الله وقيل اصل
الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام
وقد انزلنا ايات بينات حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا ايات واضحات
فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل ايات تدل على صدق الرسول
وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الايات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الايات
دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به
اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا
يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان
صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشاة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد
تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تع احصاه الله استيناف وقع جوابا
عما نشا مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم
وهي اعراض متقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شي فقوله تع ونسوه
حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم بذلك
فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه
مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شي شهيد لا يغيب عنه امر من الامور
قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه تعالى وقوله تع الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما
في الارض استشهاد على شمول شهادته تع كما في قوله تع الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه
وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم
ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تع ما يكون
من نجوى ثلاثة الخ استيناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من
كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي
ثلاثة نفر اي من مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف
اي من اهل نجوى ثلاثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم
اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم
الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص
الواقعة فان الاية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد
عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة
وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا
ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس
لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف
بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شي عليم لان نسبة ذاته

المقتضية الى العلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت
في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته
العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول عطف عليه داخل في
حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه السلام وذكره
عليه السلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم و
استعظام معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول
واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول
وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا
يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير
اي جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التائين
وتناجوا بالبر والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عليه السلام
واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تاتون
وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره
فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تع ليحزن الذين امنوا خبر اخر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم
انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء
او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه
تعالى يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا وليفسح بعضكم
عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق
بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون
تنافسا في القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال
وهي مراكز الغزاة كقوله تع مقاعد للقتال قيل كان الرجل ياتي الصف ويقول تفسحوا فيابون لحرصهم
على الشهادة وقرئ في المجلس من مجالس القتال بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا في
جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان
والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به
من صلاة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر
الشين يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف الجنان في الاخرة
والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثرى العلم والعمل فان العلم مع
علو رتبته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شاوه العمل العاري عنه وان كان في
غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على
العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر

وقرئ يعملون بالياء التحتانيه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول في بعض شؤنكم المهمة الداعيه
الى مناجاته عليه السلام فقدموا بين يدي نجواكم صدقه اي فتصدقوا قبلها استعاره ممن له
يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول عليه السلام وانفاع الفقرا والزجر عن الافراط في السؤال
والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه
نسخ بقوله تعالى اشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه
ان في كتاب الله آيه ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه السلام
تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنيا مناجاة في مدة بقايه
اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من
الريبه وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تع فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق اشفقتم ان تقدموا بين يدي
نجواكم صدقات اي اخفتم الفقر من تقديم الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان
عليه من الفقر وجمع الصدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم ذلك
وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه
لما راى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تع
اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلاة واتوا الزكاه اي فاذ فرطتم فيما امرتم به
من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة واطيعوا الله ورسوله
في ساير الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون ظاهرا
وباطنا الم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون
اليهم اسرار المومنين اي الم تنظر الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود
كما انبا عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون
بين ذلك والجملة مستانفه او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا
لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجب وصيغة المضارع للدلاله على تكرر الحلف
وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيد لكمال
شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح وفيه دلاله على ان الكذب يعم ما
يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال
يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق
وكان ازرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تشتمني انت واصحابك فحلف بالله
ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم
بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من
الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي
يحلفون بها عند الحاجه وقرئ بكسر الهمزه اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية
وسترة دون دمايهم واموالهم فالاتخاذ على هذه القراة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل
واما على القراة الاولى فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبه وتهيئتهم لها الى وقت الحاجه

ع

ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المواخذه لا عن استعمالها بالفعل وذلك متاخر عن المواخذة المسبوقة بوقوع
الجنايه والخيانة واتخاذ الجنه لا بد ان يكون قبل المواخذه وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفا
في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في
الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم
وقيل الاول عذاب القبر وهو عذاب الاخره لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من
عذابه تعالى شيا من الاغنا روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمه بانفسنا واموالنا
واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحه اصحاب النار اي ملازموها
ومقارنوها هم فيها خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف
لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم
في الدنيا ويحسبون في الاخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء من جلب منفعة او دفع
مضره كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها
فوايد دنيويه الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا
على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه
عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم من حذت الابل اذا استوليت عليها
وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم
يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح حزب الشيطان
اي جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون بالخسران الذي لا
غاية وراه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجمله بحرفي
التنبيه والتحقيق واظهار المضافين معا في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من
فنون التاكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون الله ورسوله استيناف سيق لتعليل ما قبله من
خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصله على ان موادة من حاد الله
ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين
اي في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والاخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة
الاخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهيه كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله
استيناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى
القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة والسيف وما يجري مجراهما او
باحدهما ونظيره قوله تع ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان
جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح اليا ان الله قوي على نصر انبيايه عزيز لا يغلب عليه
في مراده لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر مفعوله الثاني والخطاب للنبي عليه السلام
او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تع يوادون من حاد الله ورسوله الى واحد فهو حال
من مفعوله لتخصصه بالصفه وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم
الاخر وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي
ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو كانوا اي من

حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها آباءهم آباء
المواد من او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة
والكلام نص لو قدر على التفصيل مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب
الناس اليهم واسمهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدا خبره
كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء
الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم
بروح منه اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير
للايمان لحياة القلب به ففيه تجريد وقوله تع ويدخلهم الخ بيان لآثار رحمته الآجلة اثر
بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم في الاخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
الآبدين وقوله رضي الله عنهم استيناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة
والآجلة وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا وقوله تع اولئك
حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون
بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشاتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التاكيد كما مر في
نظائرها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر اربع وعشرون آية مدنية

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة
الحديد وقد كرر الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح
روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية
هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم
وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته
في التورية لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في
اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام فامر عليه السلام
محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال
لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه السلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي
المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم
فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف
الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة
ابيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا من الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل
ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تع سبح لله ما
في السموات الى قوله تع والله على كل شيء قدير وقوله تع هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تع بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة

على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تع بهما مع
مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا لاسم الاشارة كما في قوله تع قل ارايتم ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج
كانه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كانه قيل فذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الخ
ففيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام و
كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم
وآخر حشرهم جلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيمة لان
المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون ان يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة
باسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم
من باس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة
حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازهم
ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفع على الفاعلية فاتاهم الله اي امر الله تعالى
وقدره المقدور لهم من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما
اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم وقرئ فاتاهم اي فاتاهم الله العذاب او النصر وقذف
في قلوبهم الرعب اي اثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا
بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم
بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم
ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكانهم
كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل
الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا يا اولي الابصار
فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا يكاد يهتدي اليه الافكار واتقوا مباشرة
ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على
تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه
ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا
بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استيناف غير متعلق بجواب
لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الاخرة ذلك
اي ما حاق بهم وما سيحيق بهم بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم
من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته
تعالى لتضمنها المشاقة عليه السلام وليوافق قوله تع فان الله شديد العقاب وهو اما نفس
الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف
اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب وايا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه
وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العذاب العاجل والآجل
بسبب مشاقتهم لله تع ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد

فاذن لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اى اى شئ قطعتم من نخلة وهى فعلة من اللون
وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمه وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على لين
وهى النخلة الكريمه او تركتموها الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينه كما فى قوله تع ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشئ
ما وقرى على اصُلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع كرُهُن وقرى قايما على اصوله
ذهابا الى لفظ ما فباذن الله فذلك اى قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزى الفاسقين
اى وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها وتركها لانهم اذا راوا المومنين يتحكمون فى اموالهم
كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون
حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم
وتخصيص اللينه بالقطع ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنيه اللتين هما كرام النخيل
وان كانت هى الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم شروع
فى بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والاجل وما
فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع اى ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان
حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع فى ايديهم بغير حق فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى
خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اى
من بنى النضير فما اوجفتم عليه اى فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير
من خيل ولا ركاب هى ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب
الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحله والمعنى ما قطعتم
لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم على ميلين
من المدينه فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من
غير ان يجرى بينهم مسايفه كانه قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين
ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اى سنته جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم
تسليطا خاصا وقد سلط النبى عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان تقتحموا مضايق
الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم فى اموالهم والله على كل شئ قدير فيفعل ما يشاء
كما يشاء تارة على الوجوه المعهوده واخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل
القرى بيان لمصارف الفئ بعد بيان افاءته عليه عليه السلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه
حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار
بشمول ما لعقاراتهم ايضا فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
اختلف فى قسمة الفئ فقيل تسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر
المساجد وقيل تخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل تخمس خمسه
كالغنيمه فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعه كما يشاء والان
على الخلاف المذكور كيلا يكون اى الفئ الذى حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال

وقرى بفتحها وهو ما يدول للانسان اى يدور من الغنا والجد والغلبه وقيل الدولة بالفتح
من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم فى المال وبالفتح فى النصرة اى كيلا يكون
جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم
كانوا يستاثرون بالغنيمه ويقولون من عزّ بزّ وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم
ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفئ شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء
والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا
بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرى دولة بالرفع على ان كان تامه اى كيلا يقع دولة على ما فصل من
المعانى وما اتاكم الرسول اى ما اعطاكموه من الفئ او من الامر فخذوه فانه حلال لكم او فتمسكوا به
فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله فى مخالفته
عليه السلام ان الله شديد العقاب فيعاقب من يخالف امره ونهيه للفقراء المهاجرين
بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء
ذوى القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفئ بنى النضير فتعسف ظاهر
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة
رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا اى طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ومرضاة
فى الاخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفئ من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك
ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم ويوكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهى حال مقدرة
اى ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين
الى المدينه نصرة واى نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون
الراسخون فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا والذين تبوؤا الدار والايمان
كلام مستانف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم
باختصاص الفئ بهم احسن رضا واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينه والايمان مباءة
وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا
الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار
الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينه
بالايمان لكونها مظهره ومنشاه من قبلهم اى من قبل هجرة المهاجرين على المعانى الاول ومن قبل
تبوء المهاجرين على الاخير ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعانى
الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب
فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا و
اعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اى يحبونهم من
حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون فى صدورهم اى فى نفوسهم حاجة اى شيئا
محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد
والغيظ مما اوتوا اى مما اوتى المهاجرون من الفئ وغيره ويؤثرون اى يقدمون المهاجرين
على انفسهم فى كل شئ من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امراتان كان ينزل عن احديهما

ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اى حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهى
فروجه والجملة فى حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبى صلى الله عليه وسلم قسم
اموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن
خرشه وسهل بن حنيف والحارث الصمه وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم
ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمه وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شئ
من الغنيمه فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونوثرهم بالغنيمه ولا نشاركهم
فيها فنزلت وهذا صريح فى ان قوله تع والذين تبوؤا الخ مستانف غير معطوف على الفقراء او
المهاجرين نعم يجوز عطفه على اوليك فان ذلك انما يستدعى شركة الانصار للمهاجرين فى
الصدقة دون الفى فيكون قوله تع يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا للصدقهم او حالا
من ضمير تبوؤا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرى به ايضا اللوم واضافته الى
النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله شحها حتى
يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاوليك اشارة الى من باعتبار معنا
العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفايزون بكل مطلوب الناجون عن كل
مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقد يوق بالتشديد والذين جاوا
من بعدهم هم الذين هاجروا بعدما قوى الاسلام او التابعون باحسان وهم المومنون بعد
الفريقين الى يوم القيمه ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المومنين واياما كان فالموصو
مبتدا خبره يقولون الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المومنين ومراعاتهم لحقوق
الاخوة فى الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطفت عليه من الجملة السابقه لمدح الانصار الى
يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اى فى الدين الذى هو اعز واشرف عندهم من النسب
الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل فى قلوبنا غلا وقرى
غمرا وهما الحقد للذين امنوا على الاطلاق ربنا انك روف رحيم اى مبالغ فى الرافة والرحمة
فحقيق بان تجيب دعانا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال
الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المومنين واقوالهم على اختلاف
طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى
يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار
صورته واللام فى قوله تع لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما
توافقهم فى الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام فى قوله تع لئن اخرجتم اى من دياركم قسرا
موطية للقسم وقوله تع لنخرجن معكم جواب القسم اى والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البته ونذهبن
فى صحبتكم ايما ذهبتم ولا نطيع فيكم اى فى شانكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال
الزمان وقيل لا نطيع فى قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم
لهم على ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تع
وان قوتلتم لننصرنكم اى لنعاوننكم على عدوكم على ان دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يعدوا عدم طاعتهم فيها ضرورة انها لو كانت

لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب فى ان ما فعله عليه السلام عند
ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس بهذه المرتبه من اظهار الكفر
لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقه فى الدين والله يشهد
انهم لكاذبون فى مواعيدهم الموكدة بالايمان الفاجرة وقوله تع لئن اخرجوا لا يخرجون معهم
الخ تكذيب لهم فى كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال ولئن
قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابى واصحابه ارسلوا الى بنى النضير ذلك
سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوه واعجاز القران ولئن نصروهم على الفرض والتقدير
ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اى المنافقون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم
لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اى اشد
مرهوبية على انها مصدر من المبنى للمفعول فى صدورهم من الله اى رهبتهم منكم فى السر اشد
مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمه من الله تع ذلك
اى ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اى
شيا حتى يعلموا عظمة الله تع فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اى اليهود والمنافقون بمعنى لا
يقدرون على قتالكم جميعا اى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن الا فى قرى محصنة
بالدروب والخنادق او من وراء جدر استئناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس
لضعفهم وجبنهم فى انفسهم فان باسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم
بالنسبة اليكم بما قذف الله تع فى قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم
شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم اى ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا
يعقلون اى لا يعقلون شيا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمين به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا
عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقهم وتفرق
فنونهم واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعجز عن السداد
وقوله تع كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين من اليهود
والمنافقين كمثل اهل بدر او بنى قينقاع على ما قيل انهم خرجوا قبل بنى النضير قريبا اى فى زمان قريب
وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الى اخره ذاقوا وبال امرهم اى سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا
ولهم فى الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هولاء كحال اوليك فى الدنيا والاخرة
لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهى ما نطق
به قوله تع كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهى
اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم آخرا وقد اجمل فى النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين
الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع
يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الى اخره
ومثل المنافقين فى اغرايهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر
اى اغراه على الكفر اغراء الامر المامور على المامور به فلما كفر قال انى برئ منك وقرى انا برئ منك
ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيمه كما ينبئ عنه قوله تع انى اخاف

الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
الآية فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس وقد مر انه
او نحو خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على انه خبران وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين اي الخلود
في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي في كل ما
تاتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيمة عبر عنه
بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كانه قيل لغد لا يعرف
كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل
كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات كما
يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تع ان الله خبير بما
تعملون اي من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي نسوا حقه تعالى وما قدروه حق قدره
ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اي جعلهم ناسين
لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى
فاستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب
النار في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من
جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز
اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى
هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول
والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الاية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار
لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير
عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تع اصحاب الجنة هم الفائزون فانه
استيناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن
كل مكروه لو انزلنا هذا القران العظيم الشان المنطوي على فنون القوارع على جبل من الجبال لرايته
مع كونه علما في القسوة وعدم التاثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اي متشققا منها
منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القران وقوة تاثير ما فيه من المواعظ
كما ينطق به قوله تع وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة
قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي لا اله الا هو وحده عالم الغيب
والشهادة اي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها
وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية
هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ
في النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهي لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر

وصف

وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن
الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن بقلب همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر
خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اي اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا
او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى او عن اشراكهم
به اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه تع في شيء منها شيء ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء
على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال
المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعاني الحسنة
يسبح له ما في السموات والارض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم
الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة ثلاث عشرة آية مدنية

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما
تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا
حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها
فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها
فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما
كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرءا ملصقا في قريش ليس فيهم
من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة
كما في قوله تع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب
المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات
الجارية على غير من هي له انما اشترط في الاسم دون الفعل او استيناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق
حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعل
ما هو سبب الايمان سببا للكفر يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو اما حال من فاعل
كفروا او استيناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تع ان تؤمنوا
بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار
بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق
بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استيناف
وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم اي والحال

انى اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولى على ما تسرون فاى طايل لكم فى الاسرار
وقيل اعلم مضارع والباء مزيده وما موصوله او مصدريه وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه
فى قوله تع يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم اى الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل
فقد اخطا طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اى ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اى يظهروا
ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما
يسوءكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للايذان
تحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين
توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يوم القيمه بجلب نفع او دفع ضر
يفصل بينكم استيناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اى يفرق الله بينكم بما
اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الاخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه
الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شانه وقرى يُفصَل ويُفصِّل مبنيا للمفعول
ويُفصِل ويفصِّل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونُفصِل ونفصِّل بالنون والله بما تعملون بصير
فيجازيكم به قد كان لكم اسوة حسنة اى خصلة حميدة حقيقة بان يُؤتسى ويُقتدى بها وقوله
فى ابرهيم والذين معه اى من اصحابه المومنين صفة ثانيه لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال
من المستكن فى حسنه او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف
لخبر كان لقومهم انا برءاؤا منكم جمع بريء كظريف وظرفاء وقرى براء كظراف وبُراء كرُخال
وبراء على الوصف بالمصدر مبالغه ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم
اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبالهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء ابدا اى هذا دابنا معكم لا نترككم حتى تومنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من
الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك
استثناء من قوله تعالى اسوة حسنه فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان
جايزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى ان
يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الايتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سياتى
من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب
استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جواز
[illegible] فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره عليه السلام لابيه
الكافر فيما ينبغى ان يؤتسى به بانه كان قبل النهى او لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد بالكليه
لابتنائه على تناول النهى لاستغفاره عليه السلام له وانبائه عن كونه موتسى به لو لم ينه عنه
وكلاهما بين البطلان لما ان مورد النهى هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان
استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الايتساء به
لا ما يجوز فعله فى الجمله وتجويز ان يكون استغفاره عليه السلام له بعد النهى كما هو المفهوم من
ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا
الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابى لانها كانت هى الحامله له عليه السلام على الاستغفار

وتخصيص

وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع فى سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربى
لورودها على طريق التوكيد القسمى واما جعل الاستغفار دايرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر
فقد مر تحقيقه فى سورة التوبه وقوله تع وما املك لك من الله من شئ من تمام القول
المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اى استغفر لك وليس فى طاقتى
الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير
لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تع ربنا عليك توكلنا واليك انبنا
واليك المصير الى اخره من تمام ما نقل عن ابرهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنه
وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا
التجاء الى الله عز وجل فى جميع امورهم لا سيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به
قوله تع ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه
واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ربنا انك انت العزيز الغالب الذى لا يذل من التجا اليه ولا
يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغه وتكرير النداء للمبالغة فى
التضرع والجؤار هذا واما جعل الآيتين تلقينا للمومنين من جهته تع وامرا لهم بان يتوكلوا عليه و
ينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع
العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اى فى ابرهيم ومن معه
اسوة حسنه تكرير للمبالغه فى الحث على الايتساء به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى
لمن كان يرجو الله واليوم الاخر بدل من لكم فائدته الايذان بان من يومن بالله واليوم الاخر لا
يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تع ومن يتول فان الله
هو الغنى الحميد فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم
اى من اقاربكم المشركين مودة بان يوافقوكم فى الدين وعدهم الله تع بذلك لما راى منهم من
التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة اباءهم وابنائهم وساير اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكليه
تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اتاح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصا
فى ما تم والله قدير اى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل
اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم
فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم
يخرجوكم من دياركم اى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول
وتقسطوا اليهم اى تفضوا اليهم بالقسط اى العدل ان الله يحب المقسطين اى العادلين
روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنه بهدايا
فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها
وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من
دياركم وهم عتاة اهل مكه وظاهروا على اخراجكم وهم ساير اهلها ان تولوهم بدل الاشتمال
من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية فى

موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين امنوا بيان لحكم
من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين اذا جاءكم المومنات مهاجرات من بين الكفار
فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض
زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا
حبا لله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان
مومنات علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا والتي من الاستدلال بالعلايم
والدلايل والاستشهاد بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه
جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله تع
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما للتاكيد للحرمة
او لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد واتوهم ما
انفقوا اي واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان
من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعه بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم
بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي
فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون
النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها
عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار
اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام
المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب اي لا يكن بينكم
وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنه من كانت له امراة كافرة
فلا يعتدن بها من نسايه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله هي المسلمة
تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرى
ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين من تتمسكوا واسالوا ما انفقتم
من مهور نسايكم اللاحقات بالكفار وليسالوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات
ذلكم الذي ذكر حكم الله وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف
الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما يقتضيه الحكمة
البالغة روي انه لما نزلت الاية ادى المومنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن
المشركين وابى المشركون ان يودوا شيا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى
وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد من ازواجكم وقد
قرى به وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم او شيء من مهور ازواجكم فعاقبتم
اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هولاء مهور
نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب
وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا توتوه

زوجها

زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فاتوا بدل الفايت من
الغنيمة وقرى فاعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها فقيل جميع
من لحق بالمشركين من نساء المومنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة
بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول
واتقوا الله الذي انتم به مومنون فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تع يا ايها النبي اذا
جاءك المومنات يبايعنك اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه
عليه السلام لما فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيا اي شيا
من الاشياء او شيا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به واد البنات
وقرى ولا يقتلن بالتشديد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المراة
تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها
لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك في معروف اي فيما
تامرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول عليه السلام
لا يامر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة
بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اي على ما ذكر
وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وساير اركان الدين
وشعاير الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة
فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن
ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله غفور رحيم
اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته
عليه السلام لهن يوميذ روي انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر
اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امراة وقفت
على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمسن ايديهن وروي انه عليه السلام
بايعهن وبين يده ويدهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عايشة رضي الله عنها والله
ما اخذ رسول الله على النساء قط الا بما امره الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله
عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المومنات اذا
هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك
المومنات الى اخر الاية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها
الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في
بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها
او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المويد بالايات كما
يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال
وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال الياس منها
وقيل المعنى كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا او يرجعوا الى الدنيا احياء [illegible]

بقلة يا سهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان له المومنون والمومنات شفعا يوم القيمة

سورة الصف اربع عشرة آية مدنية

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره لم تقولون ما لا تفعلون
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله
لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بين الاختلال وروي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم
احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله تع وتجاهدون في
سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام ان ترتيب الايات الكريمة ليس على
ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لين لقينا
قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل
يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى
فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداوهم بالايمان
تهكم بهم وبايمانهم وليس بذلك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد
حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاي شيء تقولون
نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما
وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به
ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك
الموعود كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته
وكبر من باب نعم وبيس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل
قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم
ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تع ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا
صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح او انتحله المنتحل او ادعاه المنافق
وان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون
وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصب على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين
انفسهم او مصفوفين وقوله تع كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي
مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيا
واحدا وقوله تع واذ قال موسى لقومه كلام مستانف مقرر لما قبله من شناعة ترك
القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين
اي واذكر لهم لا للمعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة
بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين

فلم يمتثلوا امره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تع فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اي بالمخالفة
والعصيان فيما امرتكم به وقوله تع وقد تعلمون اني رسول الله اليكم جملة حالية موكدة لانكار الاذية
ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما
قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم
من ملكته اني رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والاخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا
في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام
واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي
والضلال وقوله تع والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة
ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة
الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة
والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين وهم داخلون في
حكمهم دخولا اوليا واياما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما في قوله تع فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
وقوله تع فلا تاس على القوم الفاسقين هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق
السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يوذونه عليه السلام بانواع الاذى
من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود اياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم
رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى
واذ قال عيسى ابن مريم اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على
عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله اني رسول الله اليكم
مصدقا لما بين يدي من التورية فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم
اياه وقوله تع ومبشرا برسول ياتي من بعدي معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام
مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التورية والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار
فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال
كوني مصدقا لما تقدمني من التورية ومبشرا بمن ياتي من بعدي من رسول اسمه احمد اي محمد
صلى الله عليه وسلم يريد ان ديني التصديق بكتب الله وانبيايه جميعا ممن تقدم وتاخر وقرئ من
بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين
الى ما جاء به او اليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة ويويده قراءة من قرا هذا ساحر ومن اظلم
ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام
الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي
هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اي هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي
وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم
الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا نور الله

اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا
لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من نفخ في نور الشمس بفيه ليطفيه والله متم نوره اي مبلغه
الى غايته بنشره في الافاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم والجملة
في حيز الحال على ما بين مرارا هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقران او بالمعجزة ودين الحق
والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله وعده
حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون
ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرئ
تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
استيناف وقع جوابا عما نشا مما قبله كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ
وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده
قراءة من قرا امنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم
اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا خير لكم
على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد
بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد
فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه
بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان
ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات
الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم الى هذه
النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على
الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدا خبره نصر من الله وهو على الاول
بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدا محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على
الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر اي تنصرون نصرا ويفتح لكم
فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا وبشر المؤمنين
عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى امنوا كانه قيل امنوا
وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا يا ايها الذين
كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم
انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله
كما يقتضيه قوله تع قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى
الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى
اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله او قل لهم
كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا

فامنت طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت
طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين امنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف
وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة احدى عشرة آية

يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ
الصفات الاربع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون
ولا يقرؤون قيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا
منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم
ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث الاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما
التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب
القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة
على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما
مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القران تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا
الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث
النبوية من الاحكام والشرائع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية
وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من
الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة واخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم
اي يعلمهم ويعلم اخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان
دعوته عليه السلام وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لاخرين اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه
من بين كافة البشر ذلك الذي امتاز به من بين سائر الافراد فضل الله واحسانه يؤتيه من يشاء
تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الاخرة مثل الذين
حملوا التورية اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الايات
التي من جملتها الايات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا
اي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار
اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني بئس مثل
القوم الذين كذبوا بايات الله اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله على ان التمييز
محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او
بئس مثل القوم الذين كذبوا الخ على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف

المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثل هولاء على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التورية من الايات الشاهدة بصحة نبوة محمد عليه السلام والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين للتكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس كان يقولون نحن اولياء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الاخرة لهم عند الله خالصة من دون الناس ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما يدل عليه النفي اي يابون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما ياتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه السلام لو تمنوا الماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي فعل النداء لها اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله اية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة وذروا

البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الاخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم اهل العلم فاذا قضيت الصلاة اي اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم ياتها في امصار المسلمين

سورة المنافقون احدى عشر اية

اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والاظهار في موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اي وقاية عما يتوجه اليهم من المواخذة بالقتل والسبي وغير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المواخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المواخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المواخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد الدخول في الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان هذا

الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرى ايمانهم اى ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة
عبارة عن استعمالهم بالفعل فانه وقاية دون دمايهم واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ
فاستمروا على ما كانوا عليه من الصدود والاعراض عن سبيله تع انهم ساء ما كانوا يعملون من
النفاق والصد وفى ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما
تقدم من القول الناعى عليهم انهم اسوء الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب
والاستتار بالايمان الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا
من الاشعار ببعد منزلته فى الشر بانهم اى بسبب انهم امنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر
من يدخل فى الاسلام ثم كفروا اى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلايله او نطقوا
بالايمان عند المومنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر
واطمانوا به وقرى على البناء للفاعل وقرى فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون
حقيقته اصلا واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وروقات منظرهم لصباحة وجوههم
وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما
فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من امثاله وهم روساء المدينة وكان
عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن
يصلح للخطاب ويويده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تع كانهم خشب مسندة فى حيز
الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او كلام مستانف لا محل له شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله
صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحايط فى كونهم اشباحا
خالية عن العلم والخير وقرى خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء
وهى الخشبة التى دعرجوفها اى فسد شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم وقرى خشب
كمدرة ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم لجبنهم واستقرار الرعب
فى قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم
هم العدو اى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادى العدو المكاشر
الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى والجملة مستانفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان
مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء فى قوله تع فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على
كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تع ان يلعنهم ويخزيهم وتعليم
للمومنين ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تع انى يوفكون تعجيب من حالهم اى كيف يصرفون
عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة
تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا روسهم اى عطفوها استكبارا ورايتهم يصدون
يعرضون عن القايل او عن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك سواء عليهم استغفرت
لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرى استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة
بدلالة ام عليه وقرى استغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل الفا ام لم
تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبايحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم
ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى القوم الفاسقين الكاملين

الفسق الخارجين عن دايرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم
والاظهار فى موقع الاضمار لبيان غلوهم فى الفسق او الجنس وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا
وقوله تع هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون
فقراء المهاجرين استيناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تع لهم وقرى حتى
ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم وقوله
ولله خزاين السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يودى الى انفضاض
الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزاين الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء
ويمنع من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشونه ولذلك يقولون
من مقالات الكفر ما يقولون يقولون لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى
ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضى الله عنه نازع سنانا الجهنى حليف ابن ابى واقتتلا فصرخ جهجاه
يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاه جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى
الى ابن ابى فقال للانصار لا تنفقوا الى اخره والله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المومنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به
فرد عليهم ذلك بقوله تع ولله العزة ولرسوله وللمومنين اى ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من
رسوله والمومنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما
يهذون روى ان عبد الله بن ابى لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه عبد الله بن عبد الله بن
ابى وكان مخلصا وقال لين لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال
اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمومنين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله
وعن المومنين خيرا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اى لا يشغلكم
الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة
وساير العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهى بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة كما فى قوله
ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك اى التلهى بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون
اى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى وانفقوا مما رزقناكم اى بعض
ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للاخرة من قبل ان ياتى احدكم الموت
بان يشاهد دلايله ويعاين امارانه ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما
قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتنى الى امهلتنى الى اجل قريب
اى امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمنى وقرى فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم
عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتنى اصدق واكن وقرى واكون بالنصب عطفا على لفظه
وقرى واكون بالرفع اى وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يوخر الله نفسا اى ولن يمهلها
اذا جاء اجلها اى اخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى اخره والله
خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو
آت وقرى يعملون بالياء التحتانية عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برى من النفاق

سورة التغابن ثماني عشرة آية مكية

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق
بجناب كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدي لكل شئ وهو القايم به
والمهيمن عليه والمولى لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد
بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضيه للقدرة الى الكل سواء
هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلميه والعمليه ومع ذلك فمنكم
كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما يستدعيه خلقته ومنكم
مومن مختار للايمان كاسب له حسبما يقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا
مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليهما من ساير النعم فما فعلتم ذلك مع
تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب
بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مومن مقدر
ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلايم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا
ما يجديكم من الايمان والطاعه واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق
بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينيه والدنيويه وصوركم فاحسن صوركم حيث برأكم في احسن
تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة
والكامنه وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصايص مبدعاته وجعلكم انموذج
جميع مخلوقاته في هذه النشاه واليه المصير في النشاه الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
فاحسنوا سرايركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض
من الامور الكليه والجزئيه والاحوال الجليه والخفيه ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه
فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء
ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تع والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي
مقرر لما قبله من شمول علمه تع لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور
الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلاله للاشعار
بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجمله قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفرة
نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف
على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبه على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان
بانه امر هايل وجناية عظيمه اي الم ياتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه
كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي
ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الاخرة بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين
في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر

يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكايه فاسند القول الى جميع الاقوام
واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تع يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم
واستغنى الله اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه
تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق
بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء
العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففه مع ما في حيزها والمراد بالموصول كفار
مكة اي زعموا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه
بلى اي تبعثون وقوله وربي لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة
مستقله داخلة تحت الامر واردة لتاكيد ما افاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان امر
اخر متفرع عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقيق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من البعث والجزاء
على الله يسير لتحقق القدرة التامه وقبول الماده والفاء في قوله تع فآمنوا فصيحة مفصحة عن
شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد عليه السلام
والنور الذي انزلنا وهو القران فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات
الى نون العظمه لابراز كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير
فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد
والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال الجمله يوم يجمعكم ظرف لتنبئون
وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر
وقرئ نجمعكم بنون العظمه ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون اي لاجل ما فيه من الحساب
والجزاء ذلك يوم التغابن اي يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو
كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء
ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص
التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقه هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا
ومن يومن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمه عنه سيئاته
يوم القيمه ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون
ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه لانطوائه
على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطيبات والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كأن هاتين الايتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن
ما اصاب من مصيبة من المصايب الدنيويه الا باذن الله اي بتقديره وارادته كانها بذاتها
متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تع ومن يومن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع
وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه
اي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه
وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شئ من الاشياء

التي من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المومن ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله
واطيعوا الرسول كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفيه وتوضيح
مورد التولي في قوله تع فان توليتم اي عن اطاعة الرسول وقوله تع فانما على رسولنا البلاغ المبين
تعليل للجواب المحذوف اي فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا
مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام الاضمار لتشريفه عليه السلام و
الاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي
عنه الله لا اله الا هو جملة من مبتدا وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غيره وفي اضمار خبر لا مثل
في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره
لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المومنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار
بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما
سواه بالمرة يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله او
يخاصمونكم في امور الدين والدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعا
فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالمامور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني اما الحذر
عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا
عن ذنوبهم القابلة للعفو بان يكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة
وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم
يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المومنين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم
ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك
ورأوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو
وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا
الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر
والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون والله
عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله تع وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصالحهم
فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا
اوامره وانفقوا مما رزقكم في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم
اي ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان
لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا
او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر اي يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا
حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ
يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور يعطي الجزيل
بمقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة لا يخفى
عليه خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغا

دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق اثني عشر آية مدنية

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه
عليه السلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق
استتباعه اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كندائهم فان ذلك لا اعتبار لو كان في حيز الرعاية
لكان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه
كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة
خلت من شهر كذا فان المراة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة
لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق
وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في
تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تع بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب
الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن
وهي لازواجهن لتاكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن
منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد منهن اما اذا اتفقا
على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هي الزنا
فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة
الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك
اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود الله
اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار
بعلة الحكم في قوله تع فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب ياباه قوله تع
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد
قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تع ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم
عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي
والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى
وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي
لا للنبي عليه السلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر نفسه فانك لا تدري
ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا
يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا تتسنى تلافيه
برجعة او استيناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن
بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار
بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعة والفرقة قطعا

للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تع واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي انه للوجوب
في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تع ذلكم اشارة الى
الحث على الاشهاد والاقامة على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر اذ
هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تع ومن يتق الله الخ جملة اعتراضية موكدة لما سبق من
وجوب مراعاة حدود الله تع بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تع ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه موكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم
يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا
مما عسى يقع في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب
ويرزقه من حيث لا يحتسب اى من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جي
به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تع ذلكم يوعظ به من كان يومن بالله الخ فالمعنى ومن يتق الله
في كل ما ياتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة فيندرج فيه ما نحن فيه
اندراجا اوليا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن
غمرات الموت ومن شدايد يوم القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم
ومن يتق الله فما زال يقرءها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه
سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عليه السلام
اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه
الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو واستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه
اى كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اى منفذ امره وقرى بتنوين بالغ ونصب
امره اى يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرى برفع امره على انه مبتدا وبالغ خبر
مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية اى نافذ امره وقرى بالغا امره
على انه حال وخبر ان قوله تع قد جعل الله لكل شئ قدرا اى تقديرا وتوقيتا او مقدارا وهو بيان
لوجوب التوكل عليه تع وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره
تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله تع واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن
وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ان ارتبتم اى شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن
ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن اى فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله
عليه واولات الاحمال اجلهن اى منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن مطلقات او متوفى
عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضي الله
عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة
بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شان احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له
من امره يسرا اى يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع

ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تع امر الله انزله اليكم لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي
لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى فذلك يوعظ به من كان يومن بالله من سورة
البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سياته فان الحسنات يذهبن السيات
ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تع اسكنوهن من حيث سكنتم استيناف وقع جوابا
عن سؤال نشا مما قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل
اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم وقوله تع من وجدكم اى من وسعكم
اى مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن اى في السكنى
لتضيقوا عليهن وتلجؤهن الى الخروج وان كن اى المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى
يضعن حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لها فان ارضعن لكم بعد
ذلك فاتوهن اجورهن على الارضاع واتمروا بينكم بمعروف اى تشاوروا وحقيقته ليامر
بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة وان
تعاسرتم اى تضايقتم فسترضع له اخرى اى فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة
للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله وان قل
اى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها جل
او قل فانه تع لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل
مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر يسرا اى عاجلا او اجلا وكاين
من قرية اى كثير من اهل قرية عتت اى اعرضت عن امر ربها ورسله بالعتو والتمرد والعناد
فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها
عذابا نكرا اى منكرا عظيما وقرى نكرا والمراد حساب الاخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ
الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان
عاقبة امرها خسرا هايلا لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه
مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب
استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحايف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون
عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تع كاين الذين امنوا منصوب
باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله
محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو
القران كما ينبئ عنه ابداله قوله تع رسولا منه او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد
بالذكر الشرف كما في قوله تع وانه لذكر لك ولقومك كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل
عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تع كقوله تعالى عند ذي العرش مكين او هو النبي عليه السلام
وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القران او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله
بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القران
ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى
الرسالة وقوله تع يتلو عليكم ايات الله مبينات نعت لرسولا وايات الله القران ومبينات

حال منها اى حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرى مبينات اى بينها
الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الايات واللام فى قوله تع ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات
متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه السلام او ضمير الجلاله والموصو
عبارة عن المومنين بعد انزاله اى ليحصل لهم الرسول او الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الايمان
والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه سيومن من الظلمات الى النور من الضلاله الى الهدى
ومن يومن بالله ويعمل صالحا حسبما بين فى تضاعيف ما انزل من الايات المبينات يدخله
جنات تجرى من تحتها الانهار وقرى ندخله بالنون وقوله تع خالدين فيها ابدا حال من مفعول
يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضماير الثلاثه باعتبار لفظها وقوله تع قد احسن
الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير فى خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه
وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق الله المومنين من الثواب الله الذى خلق سبع سموات
مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اى خلق من الارض مثلهن فى العدد وقرى مثلهن بالرفع على انه
مبتدا ومن الارض خبره واختلف فى كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين
طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل ارض سكان من
خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال
القرطبى والاول اصح لان الاخبار داله عليه كما روى البخارى وغيره من ان كعبا حلف بالذى فلق
البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها
اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين
وما اضللن ورب الرياح وما اذرين نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها
وشر اهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رضى الله عنه ان نافع بن الازرق ساله هل تحت الارضين
خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملايكة او جن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوة الاسلام
باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء
واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون
الضياء منها والثانى انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى
الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله عنه انها سبع ارضين منفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء
يتنزل الامر بينهن اى يجرى امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه بينهن وعن قتاده فى كل سماء وفى
كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضايه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره
وقرى ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شى قدير متعلق بخلق او يتنزل او بمضمرٍ يعمهما اى فعل
ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شى وان الله قد احاط بكل شى علما لاستحالة
صدور الافاعيل المذكوره ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخلق
وتنزل الامر اى اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى
من عجايب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شى ما اصلا وقرى ليعلموا عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

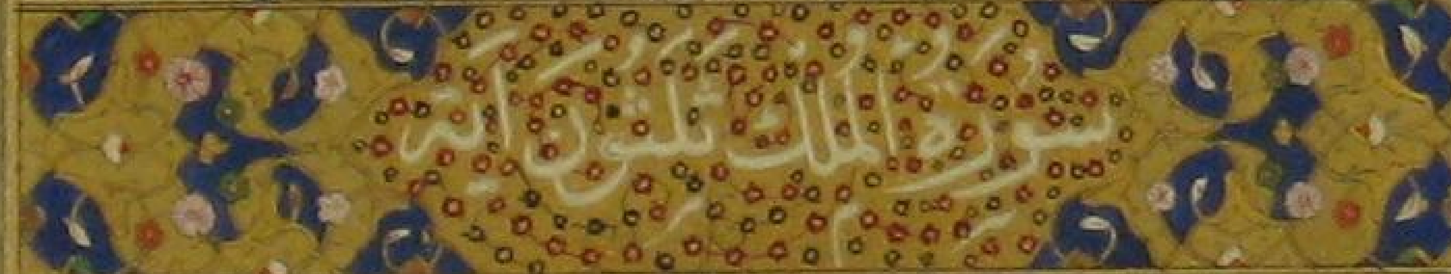
سورة التحريم اثنى عشر آية مدنية

يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك روى ان النبى صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عايشة
وعلمت بذلك حفصه فقال لها اكتمى على فقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان ابا بكر
وعمر يملكان بعدى امر امتى فاخبرت به عايشه وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصه
فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال
راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسايك فى الجنة وروى انه عليه السلام شرب عسلا
فى بيت زينب بنت جحش فتواطات عايشه وحفصه فقالتا انا نشم منك ريح المغافير وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك
من ملك اليمين او من العسل تبتغى مرضاة ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او
استيناف ببيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ فى
الغفران قد غفر لك هذه الزله رحيم قد رحمك ولم يواخذك به وانما عاتبك محاماة على
عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اى شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثنا
متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد هنا والله موليكم سيدكم ومتولى اموركم وهو العليم
بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن فى افعاله واحكامه فلا يامركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه
الحكمه واذ اسر النبى الى بعض ازواجه وهى حفصه حديثا اى حديث تحريم مارية او العسل او
امر الخلافه فلما نبات به اى اخبرت حفصه عايشه بالحديث وافشته اليها وقرى انبات به
واظهره الله عليه اى اطلع الله النبى صلى الله عليه وسلم على افشاء حفصه عرف اى النبى
عليه السلام حفصه بعضه بعض الحديث الذى افشته قيل هو حديث الامامه روى انه
عليه السلام قال لها الم اقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا
بالكرامة التى خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اى عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث
مارية فلما نباها به اى اخبر النبى عليه السلام حفصه بما عرفه من الحديث قالت من انباك هذا
اى افشاها الحديث قال نبانى العليم الخبير الذى لا يخفى عليه خافيه ان تتوبا الى الله خطاب
لحفصه وعايشه على الالتفات للمبالغه فى العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء للتعليل كما فى
قولك اعبد ربك فالعبادة حق فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما
من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرى فقد زاغت
وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التائين وقرى على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اى ان
تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين
اى فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المومنين
اتباعه واعوانه قال ابن عباس رضى الله عنه اراد بصالح المومنين ابا بكر وعمر رضى الله عنهما وقد
روى ذلك مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللايق بتوسيطه
بين جبريل والملايكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا وان جبريل
ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتاييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير امور الرساله

وتمشيه احكامها الظاهر ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام اشد تاثيرا في قلوب بنتيهما
وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور والملايكة
مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه
الاعظم وصالح المومنين ظهير اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما ذا يفيده
تظاهر امراتين على من هولاء ظهراوه وما ينبو عنه قوله تع بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم
من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى بهم وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من ساير وجوه
نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المومنين خاصه
ويكون بيان بعدية مظاهرة الملايكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكرى من افضلية المقدم
فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المومنين وساير الملايكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام
ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اي يعطيه عليه السلام بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب
او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصه وان في النساء خيرا منهن
فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرى ان يبدله
بالتشديد مسلمات مومنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات
مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات
لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سايحات صايمات سمي الصايم سايحا لانه يسيح في النهار
بلا زاد او مهاجرات وقرى سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها
الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون
به انفسكم وقرى اهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل على تغليب
المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد
غيرها بالحطب وامر المومنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة
للمبالغة في التحذير عليها ملايكة اي تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانيه غلاظ شداد
غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة
لا يعصون الله ما امرهم اي امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به على نزع الخافض
اي لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يومرون اي يودون ما يومرون به من
غير تثاقل ولا توان وقوله تع يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول لقول قد حذف
ثقة بدلالة الحال عليه اي يقال لهم ذلك عند ادخال الملايكة اياهم النار حسبما امروا به
انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي بعدما نهيتم عنها اشد النهي وامرتم
بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي بالغة
في النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التايبين وهو ان ينصحوا
بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا عن القبايح لقبحها نادمين عليها
مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبايح موطنين انفسهم
على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا وعن علي رضي الله عنه ان التوبة يجمعها ستة اشياء

على الماضي من الذنوب الندامه وللفرايض الاعاده ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم
على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصيه وان تذيقها
مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف
واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك
وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم
الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرى توبا
نصوحا وقرى نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اي ذات نصوح
او تنصح نصوحا او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الانهار ورود صيغة الاطماع للجري على سنن الكبرياء والاشعار
بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في
اقامة وظايف العباده يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف
على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المومنين على انه
عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدا خبره قوله تع نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على
الصراط وهو على الاول استيناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون الى اخره وعلى الثاني خبر
اخر للموصول اي يقولون اذا طفي نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير
وقيل يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه
تفضلا وقيل السابقون الى الجنه يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا
وزحفا واوليك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال
والمحاجه ومأواهم جهنم سيرون فيها عذابا غليظا وبيس المصير اي جهنم او مصيرهم ضرب
الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها
حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة اي جعل الله مثلا لحال هولاء الكفرة حالا ومالا على ان مثلا مفعول
ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تع امراة نوح وامراة لوط اي حالهما مفعوله الاول اخر عنه
ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هولاء فقوله تع كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان متمكنين
من تحصيل خير الدنيا والاخرة وحيازة سعادتهما وقوله تع فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من
الجناية العظيمه مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبي عليه اي خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير
لحالهما المحاكيه لحال هولاء الكفرة في خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع
تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تع فلم يغنيا الى اخره بيان لما ادى اليه خيانتهما اي
فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اي من عذابه تعالى شيا اي شيا من الاغناء وقيل
لهما عند موتهما او يوم القيمه ادخلا النار مع الداخلين اي مع ساير الداخلين من الكفرة الذين
لا وصلة بينهم وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون
اي جعل حالها مثلا لحال المومنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت اعدى اعداء

اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة وقوله تع اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اى ضرب الله
مثلا للمومنين حالها اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى
درجات المقربين روى انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها
ونجني من فرعون وعمله اى من نفسه الخبيثة وعمله السيئة ونجني من القوم الظالمين
من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امراة فرعون تسلية للارامل
اى وضرب مثلا للذين امنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء على نسا
العالمين مع كون قومها كفارا التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرى فيها اى في مريم
من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزله
او بما اوحى الى انبيايه وكتبه بجميع كتبه المنزله وقرى بكلمة الله وكتابه اى بعيسى وبالكتاب
المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير
للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر من طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم
لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليهما السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال
كثير ولم تكمل من النسا الا اربع اسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد صلوات الله عليه وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم اتاه الله تعالى توبة نصوحا



تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه
ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه
في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه
تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة
ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك
الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها
بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال
غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على
تحقق مضمونها واليد مجاز من القدرة التامة والاستيلاء الكامل اى تعالى وتعاظم بالذات عن
كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضته قدرته التصرف الكلي في كل الامور وهو على
كل شيء من الاشيا قدير مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيته المبنية
على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى
في جلايل الامور ودقايقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة شروع في تفصيل بعض
احكام الملك واثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات
جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند

اصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة واما ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه تعالى خلق
الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رايحته شيء الا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء
لا تمر بشيء ولا يجد رايحتها شيء الا حيى فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة
فمعنى خلقه حينئذ تقديره او ازالة الحياة وايا ما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطارى
وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تع ليبلوكم ايكم احسن عملا فان
استدعاءهما ملاحظتهما الاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية
وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اى خلق موتكم وحياتكم على ان
الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على
مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح و
لذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله
كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر
التفكر في بدايع صنع الله تع والتدبر في اياته المنصوبة في الانفس والافاق وقد روى عنه عليه
السلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا
وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل
بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق
المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى
العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة
التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح
ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور
كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات
له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية
للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب
في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقايضهما ما لا يخفى وهو العزيز
الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت
للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى
وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله في قوله تع الذين يومنون بالغيب من سورة البقرة منتظم
معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدار البلوى كما نطق به
قوله تع وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا
وقوله تع طباقا صفة لسبع سموات اى مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها
وصف به المفعول او مصدر موكد لمحذوف هو صفتها اى طوبقت طباقا وقوله تع ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير
للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها

نعما جليلة او استئناف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب
ومن لتاكيد النفي اي ما ترى فيه شيا من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت
فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الاخر وقرى من تفوت ومعناهما واحد وقوله تع
فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبيب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت في
خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى تتضح ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق
والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في
ارتياد الخلل والمراد بالتثنيه التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة
وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل
كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة
وقوله تع ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان
خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد
زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات
والثوابت تترآى كان كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في ساير السموات وما ذاك الا لان كل واحد
منها مخلوق على نمط رآئق يحار في فهمه الافكار وطراز فايق يهيم في دركه الانظار وجعلناها رجوما
للشياطين وجعلنا لها لهم فايدة اخرى هي رجم اعدايكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار
الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده
المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم في الاخرة عذاب السعير بعد الاحراق
في الدنيا بالشهب وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرى بالنصب على
انه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم وبئس المصير اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها
اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تع شهيقا لانه في الاصل صفته فلما قدمت
صارت حالا اي سمعوا كاينا لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا
الشهيق في الصدر والزفير في الحلق وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه و
جعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تع لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى
تكاد تميز اي تتميز وتتفرق من الغيظ اي من شدة الغضب عليهم فانه صريح في انه من اثار الغضب
عليهم كما في قوله تع سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاين هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه
من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر اخر وقوله تع كلما القي فيها فوج استيناف
مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة
سالهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة الم ياتكم نذير
يتلو عليكم ايات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم ايضا
قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب
ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجئ النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم
وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك اي قال كل فوج من تلك
الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا

وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من اياته فكذبنا ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى
وقلنا في حق ما تلاه من الايات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل الله على احد
من شيء من الاشيا اصلا مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب
وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما
واما اقامة اجماع النذر على ما لا يختلف تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار
اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عباراتهم كيف لا
وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرايع والاحكام باختلاف العصور والاعوام
واين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج
واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل
نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلاثه
على التقدير الاول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون
وقد جوزان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا
عليه في الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة
وقد حكوه للخزنة فتامل وكن على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل
لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم
الشياطين لقوله تع واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا
آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم
وتكذيبهم بايات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرى بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من
المزيد بحذف الزوايد كما في قعدك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا
او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا اي بعدا كما في قول من قال
وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الى اخره
وعلى هذين الوجهين قوله تع وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى لاصحاب السعير للبيان
كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان الذين
يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه غايبا عنهم او غايبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم
وهو قلوبهم لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به
بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تع كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به
قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيوحى اليه
عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به
فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة
في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه تع بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع
كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تع بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء
في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به
الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم

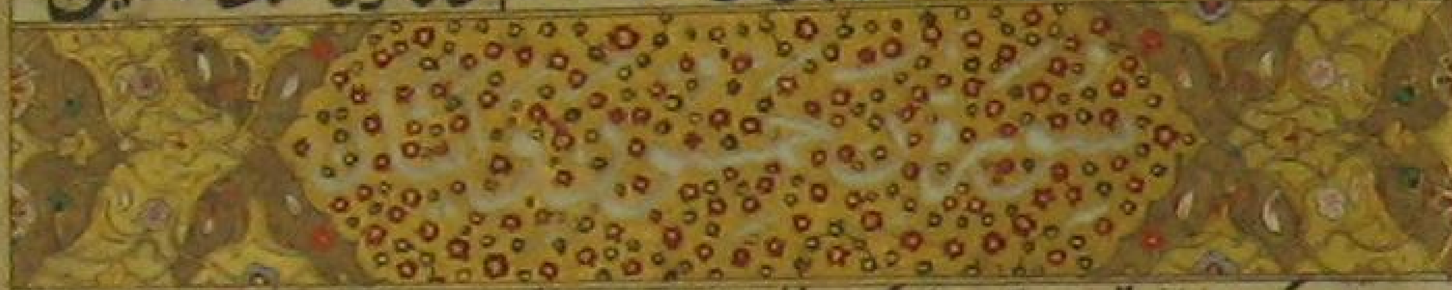
على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي
صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضماير بصاحبيتها من الجزالة ما لا
غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في
صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرون وتجهرون به ويجوز ان يراد
بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر
من اسرارها وقوله تع الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تع بالمضمر والمظهر اي الا
يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التي هما من جملتها وقوله تع وهو اللطيف
الخبير حال من فاعل يعلم موكد للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما
ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه
بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى
الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتاتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم
الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل
عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التاخر عنهما للاهتمام بما قدم
والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر
من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله
فامشوا في مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط
التذليل فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطاه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض
في الذل بحيث يتاتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم
الله تعالى واليه النشور اي المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه والآية اامنتم من
في السماء اي الملايكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تاويل من في السماء امره وقضاؤه
او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اي اامنتم من تزعمون انه في السماء وهو
متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتاكلون
من رزقه لكفرانكم تلك النعم اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل
اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف فاذا هي تمور اي تضطرب ذهابا
ومجيا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمينان ام امنتم من في السماء اضراب عن التهديد
بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اي بل امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة
من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء
لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون عن قريب البتة كيف نذير اي انذاري
عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين
من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى
الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية
الهول والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اغفلوا ولم ينظروا

الى

الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن
قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك
وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ما يمسكهن في
الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شيء بان
براهن على اشكال وخصايص وهياهن للجري في الهوا والجملة مستانفة او حال من الضمير في
يقبضن انه بكل شيء بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تع امن
هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى
كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تع ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تع
كما هو الانسب بما سياتي من قوله تع ان امسك رزقه كقوله تع ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا
في المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر
لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على
ترك التامل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى
التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما
بعدها من الاستفهامية وهي مبتدا وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في قوله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وايثار هذا التحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار
لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني
متعلق بينصركم كما في قوله تع او ينصركم من عذاب كاين من عند الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة
لقوله تعالى اولم يروا الخ مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له اصلا وقوله تع ان
الكافرون الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اي ما هم في
زعمهم انهم محفوظون من النوايب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تع فقط او ان آلهتهم تحفظهم من
باس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به
في الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبايحهم لغيرهم والاظهار
في موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تع امن هذا الذي يرزقكم
ان امسك رزقه بامساك المطر وساير مباديه كالذي مر تفصيله خلا ان قوله تع بل لجوا
في عتو ونفور مبني على مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتاثروا
بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد واستكبار وطغيان ونفور اي شراد
عن الحق وقوله تع افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا
لحاليهما وتحقيقا لشان مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في
مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدايهم في مسالك المحاجة الى جهة
يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب
المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الخ والمكب
الساقط على وجهه يقال اكب خر على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كاقشع الغمام
اي صار ذا قشع والمعنى افمن يمشي وهو يعثر كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال

قواه اهدى الى المقصد الذى يؤمه ام من يمشى سويا اى قايما سالما من الخبط والعثار
على صراط مستقيم مستوى الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانيه محذوف
لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانيه معطوفة على الاولى عطف المفرد على
المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوى البصير وقيل من يمشى
مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنه قل هو
الذى انشاكم انشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر
والنواهى وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الايات التكوينيه الشاهدة بشئون
الله عز وجل والافئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الايات التنزيليه
والتكوينيه وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اى باستعمالها فيما
خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اى شكرا قليلا
او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذى ذراكم فى الارض اى خلقكم
وكثركم فيها لا غيره واليه تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا اموركم على ذلك
ويقولون من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد اى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تع واليه
تحشرون ان كنتم صادقين يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم والمومنين حيث كانوا مشاركين
له عليه السلام فى الوعد وتلاوة الايات المتضمنه له وجواب الشرط محذوف اى ان كنتم صادقين
فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اى العلم بوقته عند الله عز وجل
لا يطلع عليه غيره كقوله تع قل انما علمها عند ربى وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود
لا محاله واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظايف الانذار والفاء فى قوله تع فلما راوه
فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فراوه
فلما راوه الخ كما مر تحقيقه فى قوله تع فلما راه مستقرا عنده الا ان المقدر هناك امر واقع مرتب
على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله تع زلفة
حال من مفعول راوا اما بتقدير المضاف اى ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل
اى مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اى راوه فى مكان ذى زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا بان غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذله ووضع الموصول موضع ضميرهم
لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم هذا الذى كنتم به
تدعون اى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل
وقيل هو من الدعوى اى تدعون ان لا بعث ولا حشر وقرى تدعون هذا وقد روى عن مجاهد
ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل ارايتم اى اخبرونى ان اهلكنى الله اى اماتنى والتعبير
عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المومنين بالهلاك ومن معى
من المومنين او رحمنا بتاخير آجالنا فنحن فى جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن
يجير الكافرين من عذاب اليم اى لا ينجيكم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم
للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفى الانجاء به قل هو الرحمن اى الذى ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها
آمنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه فاما نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا

لعلمنا بان ما عداه كاينا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو فى
ضلال مبين منا ومنكم وقرى فسيعلمون بالياء التحتانيه قل ارايتم اى اخبرونى ان اصبح ماؤكم
غورا اى غايرا فى الارض بالكليه وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به فمن ياتيكم
بماء معين جار او ظاهر سهل الماخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر



ن بالسكون على الوقف وقرى بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار
حرف القسم فى موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا
كما سبق فى فاتحة سورة البقرة ولامتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل
اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدى باحد الطريقين المذكورين فى موقعه او اسما للسورة
منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف فالواو فى قوله تع والقلم للقسم
وان جعل مقسما به فهى للعطف عليه وايا ما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه
للاعظام بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاق ما فى ايدى الناس لذلك لكثرة منافعه
ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز قايلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرى بادغام
النون فى الواو وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به
اصحابه كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصوله او وسطرهم على انها مصدريه وقيل
للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآله واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم
ما خط اللوح خاصه والجمع للتعظيم وقوله تع ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقه
بمضمر هو حال من الضمير فى خبرها والعامل فيها معنى النفى كانه قيل انت برئ من الجنون ملتبسا
بنعمة الله التى هى النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبيه المنبئة عن التبليغ الى معارج
الكمال مع الاضافه الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والايذان بانه تع يتم نعمته عليه
ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه عليه السلام عما كانوا ينسبونه اليه من
الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عليه السلام فى غاية الغايات القاصيه ونهاية
النهايات النائيه من حصافة العقل ورزانة الراى وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد
من جهتهم وتحملك لاعباء الرساله لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه كقوله
تع عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه تع عطاؤه تع بلا توسط وانك لعلى
خلق عظيم لا يدرك شاوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسيلت
عايشه رضى الله عنها عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح
المومنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس رضى الله عنه
فستعلم ويعلمون يوم القيمه حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون فى الدنيا بظهور
عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلايك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما فى
قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بايكم المفتون

اى ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود
او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المومنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق
هذا الاسم وهو تعريض بابى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما كقوله تع سيعلمون
غدا من الكذاب الاشر وقوله تع ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله
من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد اى هو اعلم بمن ضل عن
سبيله تعالى المودى الى سعادة الدارين وهام فى تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة
الابدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيوثره
والنفع ضررا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور
وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو
اعلم لزيادة التقرير والفاء فى قوله تع فلا تطع المكذبين لترتيب النهى على ما ينبئ عنه ما قبله
من اهتدائه عليه السلام وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم
على معاصاتهم اى دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب فى ذلك او نهى عن مداهنتهم
ومداراتهم باظهار خلاف ما فى ضميره عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ
عنه قوله تع ودوا لو تدهن فانه تعليل للنهى او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة فى الزجر
والتنفير اى احبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الامور فيدهنون اى فهم يدهنون حينئذ او فهم
الآن يدهنون طمعا فى ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل فى حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون
عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتى من بنيهم بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب
ادخاله تحت التمنى وايا ما كان فالمعتبر فى جانبهم حقيقة الادهان الذى هو اظهار الملاينة واظهار
خلافها واما فى جانبه عليه السلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط واما
اضمار خلافها فليس فى حيز الاعتبار بل هم فى غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه
السلام وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى المفهوم من ودوا وان ما بعده حكاية
لودادتهم وقيل على انه عطف على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك
منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل ودوا ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها
وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اى ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك
ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل تقديم هذا الوصف على ساير الاوصاف الزاجرة
عن الطاعة لكونه ادخل فى الزجر مهين حقير الراى والتدبير هماز عياب طعان مشاء بنميم
مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية
مناع للخير اى بخيل او مناع للناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق معتد متجاوز فى
الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما
عد من مثالبه زنيم دعى ماخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية فى
حلقها وفى قوله تع بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبايحه قيل هو الوليد بن المغيرة
فانه كان دعيا فى قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الاخنس
ابن شريق اصله من ثقيف وعداده فى زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تع لا تطع اى

لا تطع من هذه مثالبه لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تع اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين استئناف جار مجرى التعليل للنهى وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من
معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا
بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون
لساير قبايحه دخل فى ذلك وقرئ ان كان على معنى الا كان ذا مال كذبها او انطيعه لان كان
ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اى لا تطع كل حلاف شارطا يسارا لان اطاعة
الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكى على اكرم مواضعه
لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه
سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن ساير الكفرة انا بلوناهم اى اهل مكة بالقحط
بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم
هذه الجنة دون صنعا فكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء
وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل وما فى اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب
وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات ابوهم
قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى
اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح ولا يستثنون اى لا يقولون ان شاء الله
وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله
ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة
مستانفة فطاف عليها اى على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من
جهته تع وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرمت
ثماره بحيث لم يبق فيها شئ فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اى احترقت فاسودت وقيل كالنهار
اى يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا
اى نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين فى الصباح ان اغدوا اى اغدوا على ان ان مفسرة او بان
اغدوا على انها مصدرية اى اخرجوا اغدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعديته الغدو بعلى
لتضمينه معنى الاقبال او الاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون
اى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود
للخفاش ان لا يدخلنها اى الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما فى التخافت من معنى القول
وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من
الدخول كقولهم لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين اى على نكد لا غير من حاردت السنة
اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان يتنكدوا على المساكين
ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك
انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب
خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على النكد والحرمان
مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم

ببعض لقوله تع يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين
عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما راوها قالوا فى بديهة رويتهم انا لضالون اى طريق
جنتنا وما هى بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تاملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن
قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم
اى رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم
وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من
فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تع قالوا
سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما فى التعظيم او لانه
تنزيه له تعالى عن ان يجرى فى ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم
بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره
قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرى بالتشديد اى
يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجون
العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا
منها وروى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى
وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام
ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها
وقال ابن مسعود ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود
منها كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار
فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رضى الله عنه قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادرى
ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف فى امرهم والاكثرون
على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى كذلك العذاب جملة من مبتدا وخبر مقدم لافادة القصر
والالف واللام للعهد اى مثل الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب
الاخرة اكبر اعظم واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يوديهم اليه ان للمتقين اى من
الكفر والمعاصى عند ربهم اى فى الاخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها
الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا
وقوله تع افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله
الكفرة عند سماعهم بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا
نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا
ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اى انحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد وتشديده
ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعاد له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل ام لكم كتاب
نازل من السماء فيه تدرسون اى تقرؤن ان لكم فيه لما تخيرون اى ما تختارونه وتشتهونه

واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جىء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله
تع وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح فى العالمين وتخير الشىء واختياره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا
اى عهود موكدة بالايمان بالغة متناهية فى التوكيد وقرىء بالنصب على الحال والعامل فيها احد
الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى
نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل
منها يمين ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا لكم سلهم تلوين
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اى سلهم
مبكتا لهم ايهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اى قائم يتصدى لتصحيحه ام لهم شركاء
يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم
اذ لا اقل من التقليد وقد نبه فى هذه الايات الكريمة على ان ليس لهم شىء يتوهم ان يتشبثوا به
حتى التقليد الذى لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الاخرة
يوم يكشف عن ساق اى يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله
تشمير المخدرات عن سوقهن فى الحرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن
ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشىء اصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اى يوم يكشف
عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرى تكشف
بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرى نكشف بالنون وتكشف بالتاء
المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اى دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم
اى اذكر يوم الخ او موخر اى يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه
الوصف ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك
فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتاتى منهم ذلك
عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم اصلابهم اى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض
وفى الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اى فقارة واحدة خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون
على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم
تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا والاظهار فى موضع الاضمار
لزيادة التقرير او لان المراد به الصلاة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون
متمكنون منه اقوى تمكن اى فلا يجيبون اليه ويابونه وانما ترك ذكر ثقة بظهوره فذرنى ومن
يكذب بهذا الحديث اى كله الى فانى اكفيك امره اى حسبك فى الايقاع به والانتقام منه
ان تكل امره الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر
على ما قبلها من احوالهم المحكية اى واذا كان حالهم فى الاخرة كذلك فذرنى ومن يكذب بالقران
وتوكل على فى الانتقام منه وقوله تع سنستدرجهم استيناف سيق لبيان كيفية التعذيب
المستفاد من الامر السابق اجمالا والضميران والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى يكذب باعتبار
لفظها اى سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة
من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين

مع انه سبب لهلاكهم واملي لهم وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدي متين لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسمية ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد ام تسالهم على الابلاغ والارشاد اجرا دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم اى غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اى اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اى يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملو غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اى لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلي ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية من الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما مر في الحال الاولى والجملة الشرطية استيناف وارد لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغايلة وقوله تع فاجتباه ربه عطف على مقدر اى فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روى انها نزلت باحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المنهزمين من المومنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويزهقونك وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعني اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روى انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصايص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرا هذه الآية لما سمعوا الذكر اى وقت سماعهم القرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدايع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام الطبايع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراتهم على تفوه تلك العظيمة اى يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقايقه خبرا بما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين احسن الله اخلاقهم



الحاقة اى الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي تحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولى العلم وايا ما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافها بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة على ان ما مبتدا ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والاصل ما هي اى اى شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تاكيدا لهولها هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظايرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدا وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى وما ادراك اى واى شيء اعلمك ما الحاقة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دايرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى شدتها وهولها بحيث لا تكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تع ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تع الحاقة موكدة لهولها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استيناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه ما ادراه عليه السلام بها احد كما في قوله تعالى وما ادراك ما هي نار حامية ونظاير خلا ان المبين هناك نفس المسؤل عنها وههنا حال من اخوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اى بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة او الرجفة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تع سخرها عليهم استيناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اى سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الداء اذا تابعت

بين كبها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون
مصدرا منتصبا على العله بمعنى قطعا او على المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويويده
القراة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا
لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هى ايام
العجز وهى اخر الشتاء واسماوها الصن والصنبر والوبر والآمر والموتمر والمعلل ومطفى الجمر وقيل
مكفى الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا حينئذ فيها اى فى مهابها او فى تلك الليالى والايام
صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اى اصول نخل خاويه متاكلة الاجواف فهل ترى لهم
من باقيه اى بقية او نفس باقيه او بقاء على انها مصدر كالكاذبه والطاغيه وجاء فرعون
ومن قبله اى ومن تقدمه وقرى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويويده انه قرى ومن
معه والموتفكات اى قرى قوم لوط اى اهلها بالخاطيه بالخطا او بالفعلة او الافعال
ذات الخطا التى من جملتها تكذيب البعث والقيمه فعصوا رسول ربهم اى فعصى كل امة
رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبايح فاخذهم اى الله عز وجل اخذة رابيه
اى زايدة فى الشدة كما زادت قبايحهم فى القبح من ربا الشى اذا زاد انا لما طغا الماء بسبب اصرار
قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه عليه السلام فيما اوحى اليه من
الاحكام التى من جملتها احوال القيمه حملناكم اى فى اصلاب ابايكم فى الجاريه فى سفينه
نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم
الى السفينه كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من
مفعوله اى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجاريه بامرنا وحفظنا
وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينه سبب صورى لنجعلها اى
لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المومنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على
كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اى تحفظها والوعى ان تحفظ
الشى فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرى تعيها بسكون العين تشبيها
له بكتف اذن واعيه اى اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر
فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب
لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرى اذن بالتخفيف فاذا نفخ فى الصور نفخة واحده
شروع فى بيان نفس الحاقه وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن
اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرى نفخة واحده بالنصب على اسناد
الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخه الاولى التى عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال
اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهيه او بتوسط الزلزله او الريح العاصفه
فدكتا دكة واحده اى فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضهما ببعض ضربة واحده حتى تندق
وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحده فصارتا قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان
فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعه اى قامت القيمه وانشقت السماء لنزول الملايكه فهى اى السماء

يومئذ واهيه ضعيفة مسترخيه بعدما كانت محكمه والملك اى الخلق المعروف بالملك على
ارجايها اى جوانبها جمع رجا بالقصر اى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجون الى اكنافها وحافاتها
ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملايكه الذين هم على الارجاء او فوق الثمانيه يومئذ ثمانية من
الملايكه عن النبى صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمه ايدهم الله تع باربعة
اخرين فيكونون ثمانيه وروى ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم الارض السابعه والعرش فوق رؤسهم
وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم
على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك فى خلق الاوعال ما بين ركبها
مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك
وعن الحسن الله اعلم اثمانيه ام ثمانيه الاف وعن الضحاك ثمانيه صفوف لا يعلم عددهم الا الله
تعالى ويجوز ان يكون الثمانيه من الروح او من خلق اخر وقيل هو تمثيل لعظمته تع بما يشاهد من
احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال
والا فشونه سبحانه اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة يومئذ تعرضون اى تسالون
وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روى ان فى
يوم القيمه ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثه ففيها تنشر
الكتب فياخذ الفايز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانيه لكن لما
كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقه والنشور والحساب وادخال اهل
الجنة الجنه واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافيه حال من مرفوع تعرضون
اى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال
والمبالغه فى العدل او غير خاف يومئذ على الناس كقوله تع يوم تبلى السرائر وقرى يخفى بالياء
التحتانيه فاما من اوتى كتابه بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم
اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات اجودهن ها يا رجل وها يا امراة وهاؤما يا رجلان
او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوه ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه
اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء
فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب
اثباتها لثباتها فى الامام انى ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار
بانه لا يقدح فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا ينفك عنها العلوم النظريه غالبا
فهو فى عيشة راضيه ذات رضا على النسبة بالصيغه كما يقال دارع فى النسبة بالحرف او جعل
الفعل لها مجازا او هو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوايب دايمة مقرونة بالتعظيم
فى جنة عاليه مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها
جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانيه يتناولها القاعد كلوا واشربوا
باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيا اكلا وشربا هنيا او هنيتم هنيا بما اسلفتم بمقابلة ما
قدمتم من الاعمال الصالحه فى الايام الخاليه اى الماضية فى الدنيا ولمن مجاهدا ايام الصيام وروى

اطلاقها الريح

يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم من الاشربة وغارت
اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية واما من اوتي كتابه بشماله
ورای ما فيه من قبايح الاعمال فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من سوء
العاقبه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضيه اي القاطعة لامري ولم ابعث بعدها
ولم الق ما القى ضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اي يا ليت هذه الحالة كانت
الموتة التي قضيت علي لانه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحياة
الدنيا اي يا ليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال
والاتباع على ان ما نافيه والمفعول محذوف او استفهاميه للانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان
لي من اليسار هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في
الدنيا او تسلطي على القوى والالات فعجزت عن استعمالها في العبادات خذوه حكاية لما
يقوله الله تع يومئذ لخزنة النار فغلوه اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي لا تصلوه الا
الجحيم وهي النار العظيمه ليكون الجزاء على وفق المعصيه حيث كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة
ذرعها اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما
بينها مرهق لا يستطيع حراكا وتقديم السلسله كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام
بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصليه وما بينها وبين السلك في
السلسله في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستيناف التحقيقي ووصفه
تع بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات
ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله وقيل
ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزله فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان
الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذه قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقايد
الكفر واشنع الرذايل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم هاهنا حميم اي قريب يحميه ويدفع عنه
ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة اهل
النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطي الرجل
اذا تعمد الذنب من الخطا المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضي الله عنه
انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون
الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اي فاقسم على ان لا مزيده للتاكيد واما حمله على
معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تع بما تبصرون
وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعه اي اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة
وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنه والاول
منتظم للكل انه اي القران لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه
كريم على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليه السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة
قليلا ما تؤمنون ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تزعمون ذلك تارة اخرى قليلا ما
تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفي اي لا تؤمنون ولا تتذكر

اصلا وقيل ذكر الايمان مع نفي الشاعريه والتذكر مع نفي الكاهنيه لما ان عدم مشابهة القران
الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانه فانها تتوقف على تذكر احواله عليه
السلام ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنه ومعاني اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما
لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام
ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراه اقاويل
تحقيرا لها كانه جمع افعوله من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا
منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن
يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين
بمعنى القوه قال قايلهم اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين فما منكم ايها الناس
من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام وانه اي القران
لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة
على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المومنين به وانه لحق اليقين الذي لا يحوم حوله ريب فسبح
فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على
ما اوحي اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا



سال سايل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث
قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا
بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان
الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت
مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى
رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله وهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه السلام
استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السوال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان
ويؤيده انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق
وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري
واما في الآخرة فهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كاين للكافرين او صلة
لواقع او متعلق بسال اي دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تع ليس له دافع صفة اخرى
لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفه او بالعمل او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب
او استيناف من الله متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته تع ذي المعارج ذي
المصاعد التي يصعد فيها الملايكه بالاوامر والنواهي او هي عبارة عن السموات المترتبه بعضها
فوق بعض تعرج الملايكه والروح اي جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح
خلق هم حفظة على الملايكه كما ان الملايكه حفظة على الناس اليه الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه

اوامر تعالى وقيل هو من قبيل قول ابرهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى ربى
فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج
وبعد مداها على منهاج التخييل والتمثيل والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى زمان
لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملايكة والروح
الى عرشه تعالى فى يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة اى يقطعون فى يوم ما يقطعه
الانسان فى خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل فى يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه
من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك فى الحقيقة او لشدته على الكفار
او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك فى حق الكافر واما فى حق المومن
حتى انه يكون اخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق
بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحى وذلك مما يضجره عليه السلام او
كان عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سايل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه
فقد شارفت الانتقام انهم يرونه اى العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق فى يوم بواقع
بعيدا اى يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسالون به ونراه قريبا هينا فى قدرتنا غير
بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر
بالصبر وقوله تع يوم تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم او
بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اى يوم تكون السماء كالمهل الخ يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يوصف او بدل من فى يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعا
سال سايل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسالونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون
متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر او ابو جهل او الفهرى
فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسال به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الى اخره
استيناف مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محاله وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه
وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الى اخره
متعلق بليس له دافع او بما يدل هو عليه اى يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من
الفلزات وقيل دردى الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان
الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش
اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما اى لا يسال قريب قريبا من احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم
بما يشغله عن ذلك وقرى على البناء للمفعول اى لا يطلب من حميم حميمه او لا يسال منه حاله يبصرونهم
اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساول الا تشاغلهم بحال انفسهم وقيل ما
يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل فى التهويل وجمع الضميرين لعموم
الحميم وقرى يبصرونهم والجملة استيناف يود المجرم اى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى
لو يفتدى من عذاب يومئذ اى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حكاية
لودادتهم ولو فى معنى التمنى وقيل هى بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما
بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الى اخره والجملة استيناف لبيان

ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدى باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا
ان يهتم بحاله ويسال منها وقرى يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب
يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب وفصيلته اى عشيرته التى فصل عنهم التى تؤويه
اى تضمه فى النسب او عند الشدايد ومن فى الارض جميعا من الثقلين او الخلايق ومن للتغليب
ثم ينجيه عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى
لو كان هولاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن
الوداده وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او مبهم
ترجم عنه الخبر الذى هو قوله لظى وهو علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى
نصب على الاختصاص او حال موكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الراس وقرى نزاعة
بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدا ونزاعة خبره
تدعو اى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الى الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكفار
بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها من ادبر اى عن الحق
وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اى جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يود زكوته وحقوقه
وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنايه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا الهلع شدة الجزع عند
مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تع اذا مسه الشر اى الفقر
والمرض ونحوهما جزوعا اى مبالغا فى الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اى السعة والصحة منوعا
مبالغا فى المنع والامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل
الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت
الجليلة الآتية من المطبوعين على القبايح الماضية لاباء نعوتهم عن الاستغراق فى طاعة الحق
والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على
خلاف القبايح المذكورة الناشية من الانهماك فى حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على
صلاتهم دايمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين فى اموالهم حق معلوم اى نصيب معين يستوجبونه
على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة
للسايل الذى يساله والمحروم الذى لا يساله فيظن انه غنى فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين
اى باعمالهم حيث يتعبون انفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث
يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خايفون على انفسهم
مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض مؤذن
بانه لا ينبغى لاحد ان يامن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سلف تفسيره فى سورة المومنين فمن ابتغى اى طلب لنفسه
وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات فاولئك هم العادون المتعدون لحدود الله
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشئ من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قايمون اى
مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الامانات لابانة فضلها

وقرى لاماناتهم وبشهاداتهم على ارادة الجنس والذين هم على صلاتهم يحافظون اى يراعون شرايطها
ويكملون فرايضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين
للدلالة على فضلها وانافتها على ساير الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة
اختلاف الذوات كما فى قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتايب فى المزدحم
ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام
جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شئ منها تتمة للآخر اولئك اشارة الى الموصوفين
بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليهم للايذان بعلو شانهم
وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدا خبره فى جنات اى مستقرون فى جنات لا يقادر قدرها
ولا يدرك كنهها وقوله تع مكرمون خبر اخر او هو الخبر وفى جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة
الفواصل او مضمر هو حال من الضمير اى مكرمون كاينين فى جنات فما للذين كفروا قبلك حولك
مهطعين مسرعين نحوك مادى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال
عزين اى فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى
كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزون
بكلامه عليه السلام ويقولون ان دخل هولاء الجنة كما يقول محمد عليه السلام فلندخلنها قبلهم
فنزلت ايطمع كل امرء منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا
خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون فنزلت ايطمع كل امرء
منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم كما فى قول الاعشى ازمعت من آل ليلى ابتكارا
وشطت على ذى هوى ان تزارا وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل
من ان تبوء مبوا الكاملين فمن اين لهم ان يطمعوا فى دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق
وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون
التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فمتى لم تستكمل الايمان والطاعة ولم تتخلق بالاخلاق الملكية لم تستعد دخولها ولا يخفى ما فى الكل من
التمحل والاقرب انه كلام مستانف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم
لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزايهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحى وادعايهم
دخول الجنة بطريق السخرية وينشى بدلهم قوما آخرين فان قدرته تع على ما يعلمون من النشاة الاولى حجة بينة
على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تع فلا اقسم برب المشارق والمغارب
والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم اى نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم وناتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا
على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت
تاخير عقوباتهم فذرهم فخلهم وشانهم يخوضوا فى باطلهم الذى من جملته ما حكى عنهم ويلعبوا
فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون هو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى
كما توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل من يومهم وقرى يخرجون على البناء للمفعول
من الاخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون اى مسرعين كانهم الى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله

راعون

وقرى بسكون الصاد وفتح النون وسكون الصاد ايضا يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم
وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم
ذلة شديدة ذلك الذى ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهايلة اليوم الذى كانوا يوعدون
فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سال سايل اعطاه الله تع ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم

سورة نوح ثمان وعشرون

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اى بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار
واوصل اليها الفعل فان حذفه مع أنْ وأنّ مطرد وجعلت صلتها امرا كما فى قوله تعالى وان اقم
وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية
ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا
توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة
على المصدر استويا فى صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى
الحدث المجرد عن معنى الامر والنهى والمضى والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار وقيل المعنى
ارسلناه بان قلنا له انذر اى ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان يكون ان مفسرة لما فى الارسال من
معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند
الخليل والكساى كما هو المعروف وقرى انذر بغير ان على ارادة القول من قبل ان ياتيهم عذاب اليم
عاجل او آجل لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا قال استيناف مبنى على سوال نشا من حكاية ارساله
عليه السلام بالوجه المذكور كانه قيل فما فعله عليه السلام فقيل قال لهم يا قوم انى لكم نذير مبين
منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق بنذير على
الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فان الاسلام
يجبه ويوخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة
وراء ما قدره لهم على تقدير بقايهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تاخيرهم
اليه بالايمان والطاعة صريح فى ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يومنوا وهو المراد بقوله تعالى
ان اجل الله اى ما قدر لكم على تقدير بقايكم على الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يوخر
فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذى هو بقاؤكم على الكفر فلا يجئ ويتحقق
شرط التاخير الى الاجل المسمى فتوخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله
تعالى من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول مما لا يساعده
المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتاخير الى الاجل المسمى فلا بد
ان يكون المنفى عند مجئ الاجل هو التاخير الموعود فكيف يتصور ان يكون ما فرض مجيئه هو الاجل
المسمى لو كنتم تعلمون اى لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به قال اى نوح عليه السلام
مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال فى تلك
المدد الطوال بعد ما بذل فى الدعوة غاية المجهود وجاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه

الحيل وعيت به العلل رب اني دعوت قومي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اى دايما من
غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي الا فرارا مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعا لسببيته
لها كما في قوله تع زادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم اى الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم
في اذانهم اى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اى بالغوا في التغطي بها
كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم
واصروا اى اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها
واستكبروا من اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم و
اسررت لهم اسرارا اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة غب كرة على وجوه متخالفة واساليب
متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او للتراخي
بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم
جاهرتهم او هو صفة لمصدر اى دعوتهم دعاء جهارا اى مجاهرا به او مصدر في موقع الحال اى مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين كانهم تعللوا وقالوا
ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا
فامرهم بما يمحق ما سلف عنهم من المعاصي ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم
واحب اليهم من العوايد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم
ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان امنوا ان يرزقهم الله تع الخصب
ويدفع عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اى كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او
السحاب ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية
ما لكم لا ترجون لله وقارا انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان
الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على
ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تعالى
وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له اى
اى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة
له وقد خلقكم اطوارا اى والحال انكم على حالة منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه
تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما
ثم انشاكم خلقا آخر فان التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع
العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل اى ما لكم لا تاملون له تع
توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حالة تاملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في
دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي تستدعيه الجزالة
التنزيلية فان اللايق بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع
مشاهدتهم لاثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله تعالى اياهم
في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف
وفي قوله ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر

يقتضي ان يكون التوقير صادرا منه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون
الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم ارج
اى لم ابال وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اى متطابقة بعضها فوق
بعض وجعل القمر فيهن نورا اى منور الوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في
السماء الدنيا لما انها محاطة بساير السموات فما فيها يكون في الكل ولان كل واحدة منها شفافة
لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها
كانه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض
ويشاهدون الافاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه
المثابة انما هو نور في الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اى انشاكم منها فاستعير الانبات للانشا
لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوايد
ويسمى اسم مصدر او لما يترتب عليه من فعله اى انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل
انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في
كل منهما بما ذكر في الاخرى كما مر في قوله تعالى ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تع
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها
بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل
لكم الارض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه
مع ان حقه التاخر لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر
فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة
له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة جمع فج وهو
الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او
بمضمر هو حال من سبلا اى كاينة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها قال نوح اعيد لفظ الحكاية
لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اى قال مناجيا له تعالى رب انهم عصوني اى تموا على عصياني
فيما امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا
خسارا اى واستمروا على اتباع رؤسايهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك
سببا لزيادة خسارهم في الاخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم
انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة
للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف
على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار لفظها مكرا كبارا اى
كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم
للناس عنه وتحريشهم لهم على اذية نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن الهتكم اى لا تتركوا عبادتها
على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اى ولا
تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها
عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث

لمدحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح وقيل من اولاد
آدم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون
بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على
صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة
نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا
اي الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد
الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا
ووضع المظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو
الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين
في ضلال وسعر ويؤيده ما سياتي من دعايه عليه السلام مما خطيئاتهم اي من اجل خطيئاتهم
وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم
بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم اي بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم
اغرقوا بالطوفان لا بسبب اخر فادخلوا نارا المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا
في الماء فعن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب واما عذاب جهنم والتعقيب
لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها او لتهويلها
او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم
يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم الهة من دون الله وبانها غير قادرة على
نصرهم وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره
السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعايه عليه السلام للايذان من اول الامر
بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي عددها نوح واشار الى استحقاقهم
للاهلاك لاجلها لا انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام
وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعايه هذا وديارا من الاسماء المستعملة في النفي
العام يقال ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله
ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم عليها كلا او
بعضا يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما
يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستيصال مع احتمال ان يكون
من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم
واستقرا احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه متوشلخ وامه شمخا بنت انوش
كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي و
قيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امراته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه
السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين
وللمؤمنات عممهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا
اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب ابائهم

وامهاتهم بارادة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون
مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم
فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب ابائهم الطوفان باربعين
سنة او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان

سورة الجن ثمان وعشرون

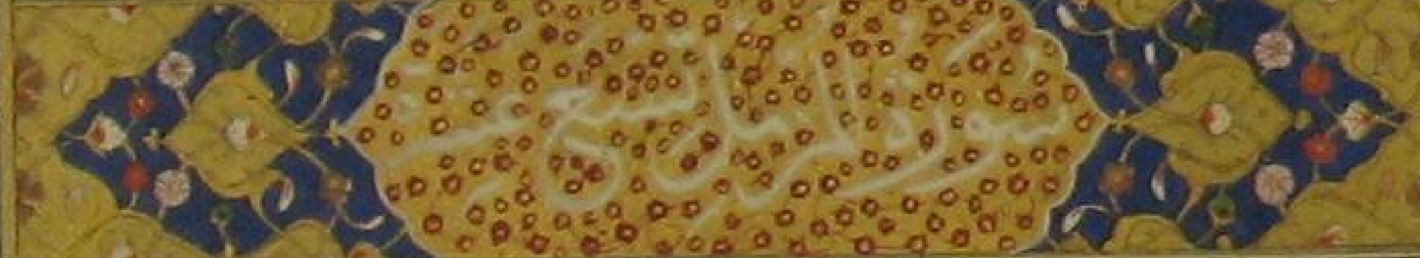
قل اوحي الي وقرئ احي اصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة
كاعد وازن في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان استمع اي القران
كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة
والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل
هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم
ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله تعالى بذلك
وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرانا
كتابا مقروا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به
للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القران ولن نشرك بربنا
احدا حسبما نطق به ما فيه من دلايل التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل
المصدرة بان في احد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل صدقناه
وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم تمكنه او سلطانه او غناه
على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او
لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح
اندراج كلها تحت القول واما اندراج الجمل الاتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف
على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا
بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته
عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القران ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطا فيما
اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه
تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط
اي بعد عن القصد ومجاوزة للحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة
والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين
بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله
سفيهنا في حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس
والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن انه لن يكذب
على الله تعالى ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف

لمصدر المحذوف اى قولا كذبا اى مكذوبا فيه وقرى لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا
مصدر موكد له لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادى
من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن
وذلك قوله تعالى فزادوهم اى زاد الرجال العايذون الجن رهقا اى تكبرا وعتوا او
فزاد الجن العايذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اى الانس كما ظننتم
ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم
ايها الكفرة الخ فيكون هذه الاية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انهما كذلك وعلى
كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله
وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بانا ينبغي ان تكون معطوفة على ذلك على ان الموحى
عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحى الى كيت وكيت وهذه العبارات اى طلبنا
بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه
واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اى حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل
شديدا قويا وهم الملايكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار
الكوكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة
للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اى لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اى مقاعد
كاينة للسمع فمن يستمع الان فى مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا اى شهابا راصدا له
ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين له على انه اسم مفرد فى معنى الجمع
كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان قبل البعث ايضا
لكنه كثر الرجم بعد البعثه وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا
ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض
بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اى خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الاداب
الشريفة القرانية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظايره وانا منا الصالحون اى الموصوفون
بصلاح الحال فى شان انفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المايلون الى الخير والصلاح حسبما
يقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك
اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لا فى
الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القران كما يعرب عنه قوله تعالى كنا
طرايق قددا واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا
المسلمون اى كنا قبل هذا ذوى طرايق اى مذاهب او مثل طرايق فى اختلاف الاحوال او كانت طرايقنا
طرايق قددا اى متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اى علمنا الان
ان لن نعجز الله اى ان الشان لن نعجز الله كاينين فى الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا
هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى
اى القران الذى هو الهدى بعينه امنا به من غير تلعثم وتردد فمن يومن بربه وبما انزله فلا يخاف

فهو لا يخاف بخسا اى نقصا فى الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس
احدا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من امن بالله تعالى ان يجتنب
المظالم وقرى فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المومن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون الجايرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى
من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون
الجايرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا
ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحى الى ان الشان لو استقام
الجن او الانس او كلاهما على الطريقة التى هى ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اى لوسعنا عليهم
الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب
وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى
وطاعته ولم يتكبر عن السجود لادم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده فى الاسلام لانعمنا عليهم
ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام الجن على
طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم فى الفتنة
ونعذبهم فى كفران النعم ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله
عذابا صعدا اى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان
المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع اى واوحى الى ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل
معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اى لا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد
الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها
جعلت مسجدا للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع السجود على ان المراد نهى السجود لغير الله تعالى
وقيل اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمى وانه من جملة الموحى اى واوحى
الى ان الشان لما قام عبد الله اى النبى صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو
المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام
اى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله فى الاحقاف كادوا اى الجن يكونون عليه
لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء اصحابه
به قياما وركوعا وسجودا لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره وقيل معناه لما
قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد
جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرى لبدا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة
ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس
والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يظهره على من ناواه قل انما ادعو اى اعبد ربى ولا
اشرك به فى العبادة احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتى
وقرى قال على انه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى
قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من
كلا المتقابلين ما ذكر فى الاخر قل انى لن يجيرنى من الله احد ان اراد بى سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا

ملتجا او معدلا وهذا بيان لعجزه عليه السلام عن شيون نفسه بعد بيان عجزه عليه السلام عن شئون
غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما
بينهما اعتراض موكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اي لن اجد من دونه ملجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني
به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف
لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته اي لا املك لكم الا
تبليغا كاينا منه تعالى ورسالاته التي ارسلني بها ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ
الكلام فيه فان له نار جهنم وقرى بفتح الهمزة على فحقه او فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها
في النار او في جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون
من فنون العذاب في الاخرة غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره
عليه السلام واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من
فنون العذاب في الاخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وحمل ما يوعدون
على ما راوه يوم بدر يا باه قوله تعالى قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي
امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزا
به فقيل قل انه كاين لا محالة واما وقته فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل هو بدل من
ربي او بيان له ويا باه الفاء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل
له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدا محذوف
اي هو عالم الغيب والجملة استيناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار
على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية
الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول اي الا رسولا
ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول
تعلقا ما اما لكونه من مبادي رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها
واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة
عليها في الاخرة وما تتوقف هي عليه من احوال الاخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك
من الامور الغيبية التي بيانها من وظايف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب
التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية
التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف
فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من
تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف
الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير
وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اي فانه تعالى يسلك من جميع جوانب
الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملايكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من
الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية
له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل

وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة
عن الغيب الذي اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد
فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة
عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى
حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنايه تعالى
بامرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما لمن
ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه
قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما
ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى واحاط بما لديهم اي بما عند الرصد والرسل عليهم السلام
حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جيء به لتحقيق استغنايه تعالى في العلم
بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اي يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه
علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا واحصى كل شيء مما كان
وما سيكون عددا اي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض
عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو حال اي معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء وايا ما
كان ففايدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان
الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا
تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ
عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والماية والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد
فيبني على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر
يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الى اخره فبمعزل من السداد
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة



يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء وقد قرى على الاصل وقرى
المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل هو خطاب النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان
عليه من الحالة حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر
ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام
على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه
عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل
بالخطاب للملاطفة والتانيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة
رضي الله عنها فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه
غير عاتب عليه وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما هو امر النبوة اي حمله والزمل الحمل وازدمله

اى احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام او للامر به فان تحميله عليه السلام
لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد فى العبادة قم الليل اى قم الى الصلاة وانتصاب الليل على
الظرفيه وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرى بضم الميم وبفتحها الا قليلا استثنا
من الليل وقوله تعالى نصفه بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل اى قم نصفه والتعبير عن
النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون
القيام فيه بمنزلة القيام فى اكثر فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرايه عن الفائدة
خلاف الظاهر او انقص منه اى انقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الاولى قليلا اى
نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه اى زد القيام على النصف
المقارن له فالمعنى تخيير عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه
بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذى ينبئ عنه الابدال
هو الجزء الباقى بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العارى عنه واما ثانيا فلان نقص القيام
وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذى هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا
لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكليه والاعتذار بتساوى النصفين
مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدلا من الليل والا قليلا استثناء من
النصف والضمير فى منه وعليه للنصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او
ازيد منه قليلا وقيل وقيل والذى يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما فى كتابه الجليل ورتل
القران فى اثناء ما ذكر من القيام اى اقراه على تودة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع
من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقى عليك اى سنوحى اليك وايثار الالقاء
عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو القران العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين
لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مامور بتحملها وتحميلها للامه والجملة
اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه السلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين
لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد
للنظر او ثقيل فى الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا نزل
عليه الوحى ثقل عليه وتربد له جلده وعن عايشه رضى الله عنها رايته ينزل عليه الوحى فى اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اى ان النفس التى تنشا من
مضجعها الى العبادة اى تنهض من نشا من مكانه اذا نهض وان قيام الليل على ان الناشية مصدر
من نشا كالعافيه او ان العبادة التى تنشا بالليل اى تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدا
بعد واحد او ساعاتها الاول من نشا اذا ابتدا هى اشد وطا اى هى خاصة اشد ثبات قدم او
كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرى وطاء اى اشد مواطاة يواطى قلبها لسانها ان اريد بها
النفس او يواطى فيها قلب القايم لسانه ان اريد بها القيام او العباده او الساعات او اشد موافقة
لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراة لحضور القلب وهدو
الاصوات ان لك فى النهار سبحا طويلا اى تقلبا وتصرفا فى مهماتك واشتغالا بشواغلك
فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للداعى الخارجى الى قيام الليل بعد بيان

ما فى نفسه من الداعى وقرى سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه
ونشر اجزايه واذكر اسم ربك ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اى وجه كان من تسبيح وتهليل
وتحميد وصلاة وقراة قران ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا اى وانقطع اليه بمجامع الهمة
واستغراق العزيمة فى مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوايق
الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلايق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من
رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتدا خبره لا اله الا هو
وقرى بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفا فى قوله
تع فاتخذه وكيلا لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهيه والربوبية به تعالى واصبر على
ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم
وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تع وذرنى والمكذبين اى دعنى واياهم وكل امرهم
الى فانى اكفيكهم اولى النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا
ان لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اى ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم
وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب فى الحلوق ولا يكاد يسوغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما
ونوعا اخر من العذاب مولما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله
يوم ترجف الارض والجبال اى تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدينا
وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اى عذابا واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها
وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول مهيلا
منثورا من هيل هيلا اذا نثر واسيل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد
يوم القيمه بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون رسولا هو موسى عليه السلام
وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه فعصى فرعون الرسول الذى ارسلناه اليه ومحل الكاف
النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله
شاهدا عليكم ارسالا كاينا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تع فاخذناه اخذا وبيلا
خارج من التشبيه جى به للتنبيه على انه سيحيق بهولاء ما حاق باوليك لا محاله والوبيل الثقيل
الغليظ من قولهم كلا وبيل اى وخيم لا يستمرا لثقله والوبيل العصا الضخم فكيف تتقون
اى كيف تقون انفسكم ان كفرتم اى بقيتم على الكفر يوما اى عذاب يوم يجعل الولدان من شدة
هوله وفظاعة ما فيه من الدواهى شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان
الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد جوز ان يكون ذلك
وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر اى منشق وقرى متفطر اى متشقق والتذكير لاجرائه
على موصوف مذكر اى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها
ورسمها ولم يبق منه الا ما يعبر عنه بالشئ وقيل لتاويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب
اى ذات انفطار والباء فى قوله تع به مثلها فى فطرت العود بالقدوم كان وعده مفعولا
الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة
الى الايات المنطويه على القوارع المذكوره تذكرة موعظه فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا

بالتقرب اليه بالايمان والطاعه فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل اى اقل منهما استعيرله الادنى لما ان المسافه بين الشيين اذا دنت قل ما بينهما من
الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقريا بالجر عطفا على ثلثي الليل وطايفة
من الذين معك اى ويقوم معك طايفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده
لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدا اوبناء يقدر عليه موجب للاختصاص
قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اى علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات
ولن تستطيعوا اضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدور ورفع
التبعة عنكم في تركه فاقروا ما تيسر من القران فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة
بالقراة كما عبر عنها بساير اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام بذلك
فلنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراة القران بعينها قالوا من قرا ماية اية من القران
في ليلة لم يحاجه وقيل من قرا ماتة اية كتب من القانتين وقيل خمسين اية علم ان سيكون منكم
مرضى استيناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف واخرون يضربون في
الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عم ابتغاء الفضل لتحصيل
العلم واخرون يقاتلون في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص
فاقروا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلاة اى المفروضة واتوا الزكاة الواجبة
وقيل هي زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل اخر السورة مدنيا
واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاق في سبيل الخيرات او اداء الزكاة على احسن الوجوه
وانفعها للفقرا وما تقدموا لانفسكم من خير اى خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله
هو خيرا واعظم اجرا من الذي يوخرونه الى الوصيه عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو
تاكيدا وفصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفه ولذلك يمتنع من حرف
التعريف وقرى هو خير على الابتدا والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو
من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا

سورة المدثر وهي ...

يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي
اول سورة نزلت روى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل
حرا فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيا فنظرت فوقي
فاذا به قاعد على عرش بين السما والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجه
فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرا
الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه
جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجه فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا
فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر

ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وقيل كان نايما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوه
والمعارف الالهيه وقرى المدثر على صيغه اسم المفعول من دثره اى الذي دثر هذا الامر العظيم
وعصب به وفي حرف ابي المتدثر يا ايها المتدثر على الاصل قم اى من مضجعك او قم قيام عزم
وتصميم فانذر اى افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
او جميع الناس حسبما ينبي عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافه للناس بشيرا ونذيرا وربك
فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبريا اعتقادا وقولا ويروى انه لما نزل
قال رسول الله الله اكبر فكبرت خديجه وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاه
والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان اى اى شي حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود
الاولى من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع جل
جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب في الصلاه واولى
واجب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وتقصيرها
ايضا فان طولها يودي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام من
رفض العادات المذمومه وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن
من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومداني
الاخلاق والرجز فاهجر اى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يودي اليه من الماثم وقرى
بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا اى رائيا لما
تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيا وهو يطمع ان يتعوض من
الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جايز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي اما
للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق
واحسن الاداب او للتنزيه للكل وقرى تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف او ابدالا من
تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن الذي في قوله تعالى منا ولا اذى لان من يمن
بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرى بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها كقول من قال
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وقد قرى باثباتها ويجوز في قراة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها
كما يروى احضر الوغى بالرفع ولربك اى لوجهه تعالى او لامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على
اذية المشركين وقيل على اداء الفرايض فاذا نقر في الناقور اى نفخ في الصور وهو فاعول من النقر
بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل اصبر على
اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى فذلك يوميذ يوم
عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله
الرفع على الابتدا ويوميذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل
يوميذ ظرف للخبر اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقه بعسير وقيل
بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير تاكيد لعسره عليهم
مشعر بيسره على المومنين واختلف في ان المراد به يوم النفخه الاولى او الثانيه والحق انها

الثانيه اذ هی التی یختص عسرها بالکافرین واما النفخة الاولی فحکمها الاصعاق یعم البر والفاجر
علی انها مختصه بمن کان حیا عند وقوعها وقد جاء فی الاخبار ان فی الصور ثقبا بعدد الارواح
کلها وانها تجمع فی تلک الثقب فی النفخه الثانيه فتخرج عند النفخ من کل ثقبة روح الی الجسد
الذی نزعت منه فیعود الجسد حیا باذن الله عز وجل ذرنی ومن خلقت وحیدا حال اما
من الیاء ای ذرنی وحدی معه فانی اکفیکه فی الانتقام منه او من التاء ای خلقته وحدی لم
یشرکنی فی خلقه احد او من العاید المحذوف ای ومن خلقته وحیدا فریدا لا مال له ولا ولد
وقیل نزلت فی الولید بن المغیرة المخزومی وکان یلقب فی قومه بالوحید فهو تهکم به وبلقبه وصرف
له عن الغرض الذی یومونه من مدحه الی جهة ذمه بکونه وحیدا من المال والولد او وحیدا من
ابیه لانه کان زنیما کما مر او وحیدا فی الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا کثیرا او
ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر اخر قیل کان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضی
هو ما کان له بین مکة والطایف من صنوف الاموال وقیل کان له بالطایف بستان لا ینقطع
ثماره صیفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعید بن جبیر کان له الف دینار وقال
قتاده ستة الاف دینار وقال سفیان الثوری اربعة الاف دینار وقال الثوری ایضا
الف الف دینار وبنین شهودا حضورا معه بمکة یتمتع بمشاهدتهم لا یفارقونه للتصرف
فی عمل او تجارة لکونهم مکفیین لوفور نعمهم وکثرة خدمهم او حضورا فی الاندیة والمحافل لوجاهتهم
واعتبارهم قیل کان له عشرة بنین وقیل ثلاثة عشر وقیل سبعة کلهم رجال الولید بن الولید
وخالد بن عمارة وهشام والعاص والقیس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة
ومهدت له تمهیدا وبسطت له الریاسة والجاه العریض حتی لقب ریحانة قریش ثم یطمع
ان ازید علی ما اوتیه وهو استبعاد واستنکار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزید علی ما اوتی
سعة وکثرة او لانه مناف لما هو علیه من کفران النعم ومعاندة المنعم وقیل انه کان یقول
ان کان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لی کلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه
الخایب وقوله تعالی انه کان لایاتنا عنیدا تعلیل لذلک علی وجه الاستیناف التحقیقی فان
معاندة ایات المنعم مع وضوحها وکفران نعمته مع سبوغها مما یوجب حرمانه بالکلیه
وانما اوتی ما اوتی استدراجا قیل ما زال بعد نزول هذه الایه فی نقصان من ماله حتی هلک
سارهقه صعودا ساغشیه بدل ما یطمعه من الزیادة او الجنة عقبة شاقة المصعد
وهو مثل لما یلقی من العذاب الصعب الذی لا یطاق وعن النبی صلی الله علیه وسلم یکلف ان
یصعد عقبة فی النار کلما وضع یده علیها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت
فاذا رفعها عادت وعنه صلی الله علیه وسلم الصعود جبل من نار یصعد فیه سبعین خریفا
ثم یهوی فیه کذلک ابدا انه فکر وقدر تعلیل للوعید واستحقاقه له او بیان لعناده لایاته
تعالی ای فکر ماذا یقول فی شان القران وقدر فی نفسه ما یقوله فقتل کیف قدر تعجیب
من تقدیره واصابته فیه للغرض الذی کان ینتحیه قریش قاتلهم الله او ثناء علیه بطریق الاستهزاء
به او حکایة لما کرروه من قولهم قتل کیف قدر تهکما به وباعجابهم بتقدیره واستعظامهم
لقوله ومعنی قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة

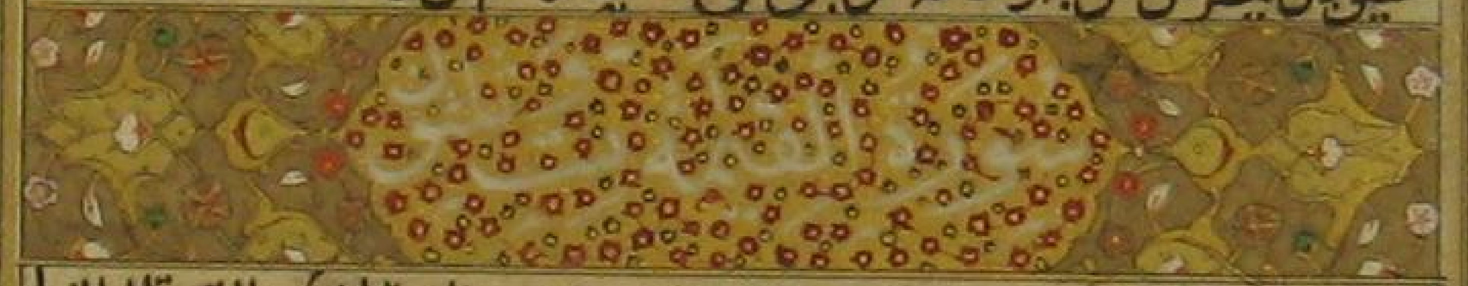
والشعر مبلغا حقیقا بان یدعو علیه حاسده بذلک روی ان الولید قال لبنی مخزوم والله لقد سمعت
من محمد انفا کلاما ما هو من کلام الانس ولا من کلام الجن ان له لحلاوة وان علیه لطلاوة وان
اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه یعلو وما یعلی فقالت قریش صبا والله الولید والله لتصبأن
قریش کلهم فقال ابن اخیه ابو جهل انا اکفیکموه فقعد عنده حزینا وکلمه بما احماه فقام فاتاهم
فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رایتموه یخنق وتقولون انه کاهن فهل رایتموه یتکهن وتزعمون
انه شاعر فهل رایتموه یتعاطی شعرا قط وتزعمون انه کذاب فهل جربتم علیه شیا من الکذب فقالوا
فی کل ذلک اللهم لا ثم قالوا فما هو ففکر فقال ما هو الا ساحر اما رایتموه یفرق بین الرجل واهله
وولده وموالیه وما الذی یقوله الا سحر یاثره عن اهل بابل فارتج النادی فرحا وتفرقوا معجبین
بقوله متعجبین منه ثم قتل کیف قدر تکریر للمبالغه وثم للدلالة علی ان الثانيه ابلغ من الاولی
وفیما بعد علی اصلها من التراخی الزمانی ثم نظر ای فی القران مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه
لما لم یجد فیه مطعنا ولم یدر ما ذا یقول وقیل نظر فی وجوه الناس ثم قطب وجهه وقیل نظر
الی رسول الله صلی الله علیه وسلم ثم قطب فی وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن
رسول الله صلی الله علیه وسلم واستکبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر یوثر ای یروی
ویتعلم والفاء للدلالة علی ان هذه الکلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غیر تلعثم وتلبث وقوله تعالی
ان هذا الا قول البشر تاکید لما قبله ولذلک اخلی عن العاطف ساصلیه سقر بدل من سارهقه
صعودا وما ادراک ما سقر ای ای شیء اعلمک ما سقر علی ان ما الاولی مبتدا وادراک خبره وما
الثانيه خبر لانها المفیدة لما قصد افادته من التهویل والتفظیع وسقر مبتدا ای ای شیء هی فی
وصفها لما مر مرارا من ان ما قد یطلب بها الوصف وان کان الغالب ان یطلب بها الاسم والحقیقه
وقوله تعالی لا تبقی ولا تذر بیان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنی الذی یلوح به وما ادراک
ما سقر وقیل حال من سقر ولبیس بذاک ای لا تبقی شیا یلقی فیها الا اهلکته واذا هلک لم تذره
هالکا حتی یعاد او لا تبقی علی شیء ولا تدعه من الهلاک بل کل ما یطرح فیها هالک لا محاله لواحة
للبشر مغیرة لاعالی الجلد مسودة لها قیل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من اللیل وقیل تلوح
للناس کقوله تعالی ثم لترونها عین الیقین وقری لواحة بالنصب علی الاختصاص للتهویل علیها
تسعة عشر ای ملکا او صنفا او نقیبا من الملایکه یلون امرها ویتسلطون علی اهلها
وقری بسکون عین عشر حذرا من توالی الحرکات فیما هو فی حکم اسم واحد وقری تسعة اعشر جمع
عشیر مثل یمین وایمن وما جعلنا اصحاب النار ای المدبرین لامرها القایمین بتعذیب اهلها
الا ملایکه لیخالفوا جنس المعذبین فلا یرقوا لهم ولا یستروحوا الیهم ولانهم اقوی الخلق واقومهم
بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالی واشدهم باسا عن النبی صلی الله علیه وسلم لاحدهم مثل قوة
الثقلین یسوق احدهم الامه وعلی رقبته جبل فیرمی بهم فی النار ویرمی الجبل علیهم وروی انه لما
نزل علیها تسعة عشر قال ابو جهل لقریش ایعجز کل عشرة منکم ان یبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد
ابن اسید بن کلدة الجمحی وکان شدید البطش انا اکفیکم سبعة عشر فاکفونی انتم اثنین فنزلت ای
ما جعلناهم رجالا من جنسکم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذین کفروا ای ما جعلنا عددهم الا
العدد الذی تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن الموثر تنبیها علی التلازم بینهما

وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القران ايضا كذلك
وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك تحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا
العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزايهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سياتي من استيقان
اهل الكتاب وازدياد المومنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية في
النظر والعمل بسبب القوى الحيوانيه الاثني عشر والطبيعة السبع او ان جهنم سبع دركات ست
منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب
يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها
بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة
للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يواخذ به بانواع العذاب يتولاها الزبانية
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه السلام وصدق
القران لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا اي يزداد ايمانهم كيفية
بما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى
ايمانهم بساير ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون تاكيد لما قبله من الاستيقان
وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المومنون في سلك اهل
الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب
من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المومنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم
بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث
للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض
شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينه بعد الهجرة والكافرون المصرون على
التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا العذاب المستغرب استغراب
المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من
باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء ذلك اشارة الى ما
قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف و
اصل التقدير يضل الله من يشا ويهدي من يشاء اضلالا وهداية كاينين مثل ما ذكر من الاضلال
والهدايه فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار للنظم مثل
ذلك الاضلال وتلك الهدايه يضل الله من يشا اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند
مشاهدته لايات الله الناطقه بالحق ويهدي من يشا هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة
الايات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه
التي من جملتها الملايكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على
حقايقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي
اي سقر او عدة خزنتها او الايات الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع
لمن انكرها او انكار لان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر كقبل
بمعنى اقبل ومنه قولهم صار كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح اذا اسفر

على العموم

اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر
جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتايها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها
القواصع في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعه اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر على معنى
ان البلايا الكبر والدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها نذيرا للبشر تمييز اي
لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه
خبر بعد خبر لان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا
لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى او لم يشاء ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان
يتقدم او يتاخر مبتدا فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر كل نفس
بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى
الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين
فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملايكة وقيل
الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام
يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها
وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشا مما قبله من استثنا اصحاب
اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى
يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسال بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد
منهم سايلا ومسوولا معا بل صدور السوال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت
في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك
فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم اي راى كل واحد منهم الاخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني
ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينيذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال
فمعنى يتساءلون عن المجرمين يسالونهم عن احوالهم وقد حذف المسوول لكونه عين المسوول عنه
وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسالونهم قايلين اي
شيء ادخلكم فيها فتامل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اي المجرمون مجيبين للسايلين
لم نك من المصلين للصلوات الواجبه ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام
لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذة
وكنا نخوض مع الخايضين اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين
اي بيوم الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها
وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتاخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها
كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لساير
جناياتهم المعدودة مستمرا الى اخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته
فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين
لترتيب انكار اعراضهم عن القران بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به
من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهاميه وعن متعلقه

بر اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن القران مع تعاضد موجبات
الاقبال عليه وتآخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كانهم حمر مستنفرة حال من المستكن
شبهوا في اعراضهم عن القران واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها
مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى
صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا
يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يوتى قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى
فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا
منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع لهم عن تلك الجراءة بل لا يخافون الاخرة فلذلك
يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه اي القران تذكرة
واي تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون الا
بمجرد مشيتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تاثير لمشية العبد
وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال
اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله
وهذا تصريح بان افعال العبد بمشية الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ
بهما مشددا هو اهل التقوى اي حقيق بان يتقى عقابه ويومن به ويطاع واهل المغفرة
حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر



لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها
صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي
ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه
فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما
فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا
البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا والله ان البعث حق
وايا ما كان ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله
في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس
يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراعة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا
تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل
بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة
ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه
فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة

فكيف

فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل نفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تتلوم على
فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان
ان لن نجمع عظامه وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشان لن نجمع
عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا
بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار وقيل ان عدي
ابن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما
اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى
يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم
اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي بنانه
اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام
او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون
بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ
بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره
فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه يسال ايان يوم القيمة
اي متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق
فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح
وانفرج وخسف القمر اي ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما
الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران
عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ يقع
هذه الامور اين المفر اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو
ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع عن طلب المفر وتمنيه لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل
كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اي اليه وحده استقرار
العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء
النار ينبؤا الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اي
عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني واخر اي لم يعمل خيرا كان او شرا
فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من سنة حسنة او
سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او وصى به
او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه
من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سياتي من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما
وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة او التاء للمبالغة
ومعنى بل الترقي اي ينبأ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه
لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها

ساعٍ نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع مبنواى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه
جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او بنبؤ باعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم
جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اى ولو ارخى ستوره كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراة ولم يصبر الى ان
يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا ان تنفلت منه فامر عليه السلام ان يستنصت له ملقيا اليه
قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحي ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اى
بالقران لسانك عند القاء الوحي لتعجل به اى لتاخذه على عجلة مخافة ان تنفلت منك ان
علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب عليك شئ من معانيه وقرانه اى اثبات قراءته في
لسانك فاذا قراناه اى اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراة الى نون
العظمة للمبالغة في ايجاب الثاني فاتبع قرانه فكن مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه
اى بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له عليه السلام عن عادة العجلة
وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة على تعميم
الخطاب للكل اى بل انتم يا بني ادم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شئ ولذلك تحبون
العاجلة وتذرون الاخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في
الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة
اى وجوه كثيرة وهي وجوه المومنين المخلصين يوم اذ تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد عليها
نضرة النعيم على ان وجوه مبتدا وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله تع
الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدا او نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة
مبتدا لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور
من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت
النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه تعالى مستغرقة
في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في
جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى
الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بالى بمعناه لا يعدى بالى ووجوه يومئذ
باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية
عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الاخرة اى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا
لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي
اى بلغت النفس اعالى الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق
اى قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت
ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان
ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت
عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الاخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان
في اكفانه الى ربك يومئذ المساق اى الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه

من

من الرسول عليه السلام والقران الذي نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض
عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار
مخاطبون بالفروع في حق المواخذة كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقران وتولى عن
الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون
اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى اى ويل لك واصله اولاك الله
ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من الويل بعد القلب
كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اى تكرر عليه ذلك
مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اى يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان
يترك في قبره فلا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الخ استيناف وارد لابطال
الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان
علقة اى بقدرة الله تعالى لقوله تع ثم جعلنا النطفة علقة فخلق اى فقدر بان جعلها مضغة
مخلقة فسوى فعدله وكمل نشاته فجعل منه من الانسان الزوجين اى الصنفين الذكر
والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشان الذي انشا هذا الانشاء البديع بقادر
على ان يحيى الموتى وهو اهون من البدء في قياس العقل روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها
قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرا سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان
مومنا يوم القيمة

سورة الدهر احدى وثلثون اية مكية

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى على الانسان قبل زمان قريب
حين من الدهر اى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا
منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من
الانسان اى غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اى لم يكن فيه شيئا
مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة
التقرير او آدم عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس وقتاده والثوري وعكرمه والشعبي
قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى
بين مكة والطايف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما
مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين
سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الحين المذكور ههنا هو
الزمن الطويل الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه عليه السلام وهذا بيانا
لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته وصف النطفة به
لما ان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص
متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ وماء المراة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منهما الولد
فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المراة قال

فيه قوة الانعقاد

القرطبي وقد روى هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياس وقيل امشاج الوان واطوار فان
النطفه تصير علقة ثم مضغه الى تمام الخلقه وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل خلقنا اى
مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سياتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة
كما روى عن ابن عباس رضي الله عنه نصرفه في بطن امه علقة الى اخره فجعلناه سميعا بصيرا
ليتمكن من استماع الايات التنزيليه ومشاهدة الايات التكوينيه فهو كالمسبب من الابتلا
فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال
الايات ونصب الدلايل اما شاكرا واما كفورا حالان من مفعول هدينا اى مكناه واقدرناه
على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حالتيه جميعا او للتفصيل او التقسيم اى هديناه الى
ما يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتدا والاخذ فيه وبعضهم
كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او كفورا على وصف
السبيل بوصف سالكه مجازا وقرى اما بالفتح على حذف الجواب اى اما شاكرا فبتوفيقنا واما
كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار
بان الانسان قلما يخلو من كفران وانما المواخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد
الانسان الذي هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا
بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تاخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الاية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام
وختمه بذكر المومنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الكريم وقرى سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر
بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة
السنيه والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو من يبر خالقه اى يطيعه
وقيل من يمتثل بامره تعالى وقيل من يودي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يوذي
الذر يشربون من كاس هي الزجاجه اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية
وعلى الثاني تبعيضيه او بيانيه كان مزاجها اى ما تمزج به كافورا اى ماء كافور وهو اسم عين في
الجنة ماوها في بياض الكافور ورايحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تع عينا بدل من
كافورا وعن قتاده تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رايحة الكافور وبياضه
وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير مضاف
اى يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا
اى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة
ويعضده قراءة ابن ابي عبله يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين بتلك
الكاس يفجرونها تفجيرا اى يجرونها حيث شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري
جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استيناف مسوق
لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه
قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العاليه فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما

نطفة ثم

اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا في الاقطار
غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام
على حبه اى كاينين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كاينين على حب الله تع او اطعاما
كاينا على حبه تعالى وهو الانسب لما سياتي من قوله تعالى لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا
اى اسير كان فانه صلى الله عليه وسلم يوتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه
او اسيرا مومنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم
اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في
موقع الحال من فاعل يطعمون اى قايلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن
المبطل للصدقة وتوقع المكافاه المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث
بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب
الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اى شكرا وهو تقرير وتاكيد لما قبله
انا نخاف من ربنا يوما اى عذاب يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في
الشدة والضراوة قمطريرا شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا
بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اى انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما
فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اى اعطاهم
بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم
على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة
بستانا ياكلون منه ما شاؤا وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنه
ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا
لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما
ان برءا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهما شي فاستقرض علي رضي الله عنه من
شمعون الخيبري ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص
على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سايل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد
مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موايد الجنة فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا
الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فاثروه ثم وقف
عليهم في الثالثه اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما
فاقبلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال
عليه السلام ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فراى فاطمة في محرابها قد التصق
ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك
الله تعالى في اهل بيتك فاقراه السورة متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم والعامل
فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارايك هي السرر في الحجال وقوله تعالى لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانيه من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم

هواء معتدل لا حار محم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء
بذاته لا يحتاج الى شمس ثمه ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة
لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرى دانية بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة
من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس موذية لكانت اشجارها
مظلة عليهم مذللة قطوفها او معطوف على دانيه اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها
وعلى تقدير رفع دانيه فهي جملة فعليه معطوفة على جملة اسميه ويطاف عليهم بآنية من فضة
واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروه كانت قوارير قوارير من فضة
اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة لاكواب
وقرى بتنوين قوارير الثاني ايضا وقريا بغير تنوين وقرى الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها
تقديرا صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على
مقادير واشكال معينه موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة
فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى
قدروا اشرابها على قدر اشتهائهم وقرى قدروها على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما
شاوا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا اي ما تشبه
الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب والذما تستلذ به
عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ
بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا
لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذا
حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو
السلاسة ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء
اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم
ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر
ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رايت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا
وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا
شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم عاليهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم
ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدا موخر والجملة صفة اخرى لولدان كانه قيل يطوف عليهم
ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف
عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرى عاليهم بالرفع على انه مبتدا خبره
ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرى خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه
اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرى برفع الاول وجر الثاني وقرى بالعكس
وقرى بجرهما وقرى واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من

الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب
لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى
يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من
ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم
شرابا طهورا هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين
ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسيه والركون الى ما سوى
الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين
ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر
من فنون الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكورا مرضيا
مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا اي مفرقا منجما لحكمة بالغة مقتضية
له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على الكفار فان له
عاقبة حميدة ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن
الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال
والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون
النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم
متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره في جميع الاوقات او دم على صلاة الفجر والظهر
والعصر فان الاصيل يتنظمهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب
والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له
قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها الفانية ويذرون
وراءهم اي امامهم لا يستعدون او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا لا يعباون به ووصفه
بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل
لما امر به ونهي عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب
واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة
اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة
وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه
سبيلا اي فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اي وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه
بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم
غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤون اتخاذ السبيل
ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل
لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التاثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرى يشاؤون بالياء وقرى
الا ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس
العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما

يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيته
المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيته
نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة
والظالمين وهم الذين صرفوا مشيتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام
قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين
ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا

سورة هل اتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

سورة المرسلات خمسون آية مكية

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
اقسام من الله عز وجل بطوايف من الملايكة ارسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن عصف
الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوايف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن
بالوحي او نشرن الشرايع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن
بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرايع
ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار
بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوايف الموصوفة بها للتفخيم
والاجلال بالاقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق
هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن
السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحاب نشرن الموات ففرقن كل
صنف منها عن ساير الاصناف بالشكل واللون وساير الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى
وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم
لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء
واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام
بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن ساير الكتب بالنسخ ونشرن
آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف
العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال
ملايكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتابعة من عرف الفرس
وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف
وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل انما توعدون لواقع جواب القسم
اي ان الذي توعدونه من مجيء القيمة كاين لا محالة فاذا النجوم طمست محيت ومحقت او ذهب
نورها واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت جعلت كالحب
الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت
الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اي عين لهم الوقت

الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا
الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاي يوم اجلت
مقدر بيقول هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اي يقال
لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى
ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلايق وما ادراك ما يوم
الفصل ما مبتدا ادراك خبره اي اي شيء جعلك داريا ما هو وضع موضع الضمير يوم الفصل
لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدا لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط
الفايدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هايلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية
ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين اي في
ذلك اليوم الهايل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع
للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين
كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم
الآخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرايهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب
وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد
بالآخرين المتاخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل
ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين اي سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ اي يوم اذ اهلكنا
للمكذبين بآيات الله تعالى وانبيايه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للعذاب
الدنيا الم نخلقكم اي الم نقدركم من ماء مهين اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين
هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل
منها او اكثر فقدرنا اي فقدرناه وقد قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدر
ما يقارن وجود المقدر بالفعل فنعم القادرون اي نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا
على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت
الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا تكفت احياء كثيرة
على ظهرها وامواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت
كصايم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا
لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف
اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق
ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن واشهر معلومات وتنكيرها
للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع
ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم
كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه
لاضطرارهم اليه طوعا او كرها ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شان

الدخان العظيم تراه يتفرق ذوايب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق
ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل العرش
قيل خصوصية الثلاث امالان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم اولان
المودى الى هذا العذاب هو القوة الوهميه الشيطانيه الحالة في الدماغ والقوة الغضبيه
السبعيه التي عن يمين القلب والقوة الشهويه البهيميه التي عن يسار ولذلك قيل تقف
شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم
لفظ الظل ولا يغني من اللهب اي غير مغن لهم من حر اللهب شيا انها ترمي بشرر كالقصر
اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحد قصره نحو جمرة وجمر
وقرى كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجر وشجره وقرى كالقصر بمعنى القصور
كرهن ورهن وقرى كالقصر جمع قصره كانه جمالة قيل هو جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل
وجمال وجماله وقيل اسم جمع كالحجارة صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان
سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط
والحركة وقرى جمالات جمع جمال او جماله وقرى جمالات جمع جماله وقد قرى بها وهي الحبل العظيم
من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا
يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما ان
السوال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن ومواقيت
ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك
كلا نطق وقرى بنصب اليوم اي هذا الذي فصل واقع يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون
عطف على يوذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان
يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين الحق و
الباطل والمحق والمبطل جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم
وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون
بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمومنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين
حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب في ظلال
وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا
بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الجار اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما
كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي في عقايدهم
واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداوهم هذا الثواب الجزيل وهم
بقوا في العذاب المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين
اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف
خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين
لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه
واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون

على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلاة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه
نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا
فقال عليه السلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى
السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع
في حق المواخذة فباي حديث بعده اي بعد القران الناطق باحاديث الدارين واخبار
النشاتين على نمط بديع معجز موسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يومنون اذا لم يومنوا
به وقرى تومنون على الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب له
انه ليس من المشركين

سورة النبأ اربعون آية مكية

عم اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة
لكثرة استعمالها وقرى على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسئول عنه
وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اي عن اي شيء عظيم الشان يتساءلون
اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن
لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف من
اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقايق الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك
وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا
يسالون عنه الرسول عليه السلام والمومنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه
ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه
بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب
فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما في قولك تراءى القوم اي راى كل واحد منهم
الاخر وقد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه
عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد كما في قولك تراءوا
الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن اي شيء يسال هولاء القوم الرسول
عليه السلام والمومنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار
تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فباي الاء ربك تتمارى وقوله تعالى عن النبا
العظيم بيان لشان المسئول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم
منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع
قرينه وانعدام نظيره خارج عن دايرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسال عنه كانه قيل
عن اي شيء يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبا العظيم على منهاج قوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر
بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السوال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل
هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجراء

الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل قيل
عن الثانية استفهام مضمر كانه قيل عم يتساءلون اعن النبا العظيم والنبا الخبر الذى له شان
وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذى هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تاكيد الخطر
اثر تاكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية
للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اى هم راسخون فى الاختلاف فيه
فمن جازم باستحالته يقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن
بمبعوثين وشاك يقول ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من
ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسمانى فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف
على الاختلاف فى كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكار الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء
على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفى والاثبات بناء على تعميم التساؤل
لفريقى المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال
الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى كلا سيعلمون الخ فانه صريح فى ان المراد
اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم
وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل
مما ينبغى تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذى يقتضيه التحقيق
ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبى صلى الله عليه وسلم بان يعتبر
فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر فى التساؤل فان الافتعال والتفاعل
صيغتان متاخيتان كالاستباق والتسابق والانتصال والتناضل الى غير ذلك يجرى فى كل منهما
ما يجرى فى الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن
استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه
المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين
وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتاكيد وليس
مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما فى قوله تعالى
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذى يختلفون فيه الآية
فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهى والعقوبات والتعبير
عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم
سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون
تكرير للردع والوعيد للمبالغة فى التاكيد لهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا
والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثانى ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثانى فى القيامة
وقيل الاول للبعث والثانى للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق
لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال
بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الخ استئناف
مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر

من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبى صلى
الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة
فى الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبى وهو ما
يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساها بها كما يرسى
البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة اما جعلنا
الخ او على ما يقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة ان يقال قد جعلنا الخ ازواجا اصنافا
ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا
نومكم سباتا اى موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة فى انقطاع احكام الحياة
وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت
فى منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق
بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل الذى فيه يقع النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم
اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره فى
تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر
عنها بالحياة فى قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اى وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذى
هو اخو الموت كما فى قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا
وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك
مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب فى تحصيل المعايش والحوائج وبنينا
فوقكم سبعا شدادا اى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور
والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف
على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر بقيت النفس
مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء
والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى
الآية الكريمة وللتشريعى ايضا كما فى قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا وايا ما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشئ آخر بان يكون فيه اوله او منه
او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شئ من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان
يكون عمدة فى الكلام بل قيدا فيه كما فى قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسى
وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل
او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو قيد فى الكلام حتى اذا
اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما فى قوله تعالى يجعلون اصابعهم
فى آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو فى الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف فى قوله تعالى
انى جاعل فى الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالى من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ فى الحرارة
من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء
وانزلنا من المعصرات هى السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما فى

احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التى حان
لها ان تعصر السحاب وقرى بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات
سوا اريد بها السحايب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات
ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هى التى تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصلحت ان تجعل مبدا
للانزال ماء ثجاجا اى منصبا بكثرة يقال ثج الماء اى سال بكثرة وثجه اى اساله ومنه قوله
عليه السلام افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبيه وصب دماء الهدى وقرى ثجاجا
بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات كالحنطة والشعير
ونحوهما ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تاخره عن النبات فى الاخراج
لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان وجنات الجنة فى الاصل هى الستر من مصدر جنه
اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابى سلمى
كان عينى فى غربى مقتله من النواضح تسقى جنة سحقا وعلى الارض ذات الشجر قال الفرا الجنة
ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى الفافا اى ملتفه تداخل
بعضها فى بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف
كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفا كخضر وخضرا وقيل جمع ملتفه بحذف الزوايد
واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيقته من وجوه ثلاثة الاول
باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعه من غير مثال يحتذيه ولا قانون
ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثانى باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات
على نمط رايع مستتبع لغايات جليله ومنافع جميله عايده الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكليه
ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث
بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميته يعاينونه كل حين
كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الافاقيه والانفسيه الدالة بفنون الدلالات على حقيه البعث
الموجبة للايمان به فما بالكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تع ان يوم الفصل
كان ميقاتا شروع فى بيان سر تاخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفيه وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما
جرى به الوعيد اجمالا اى ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلايق كان فى علمه وتقديره ميقاتا وميعادا
لبعث الاولين والاخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتاخر
وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا للخلايق ينتهون اليه ولا ريب فى انه لما اجل مضروب
القريب الذى اشير اليه على ان الدنيا تنتهى عند النفخة الاولى وقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور
اى نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير فى
تاخير الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع فى مبدائه النفخه وفى بقية الفصل ومباديه وآثاره
والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل
فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يومر بالنفخ فيه فيومر به فينفخ نفخه لا يبقى معها ميت

الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء فى قوله تعالى
فتاتون فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان
كما فى قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم افواجا اى امما او زمرا وجماعات مختلفه الاحوال متباينة الاوضاع
حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضى الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة
اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم
فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على
صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم
مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من
قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة
الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العمى فالذين يجورون فى الحكم
واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالفت اقوالهم
اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يوذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع
من النار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون
الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى فى اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر و
الفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف على ينفخ وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقرى فتحت بالتشديد
وهو الانسب بقوله تع فكانت ابوابا اى كثرت ابوابها المفتحه لنزول الملايكة نزولا غير معتاد
حتى صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحه كقوله تع وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون متفجرة وهو
المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله اى امره وباسه فى ظلل من الغمام والملايكة وقيل الابواب الطرق والمسالك اى تكشط
فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ وسيرت الجبال اى فى الجو على هيئاتها بعد قلعها من
مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى تراها راى
العين ساكنة فى اماكنها والحال انها تمر مر السحاب الذى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان
الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لا سيما
من بعيد والى هذا اشار من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج
وقد ادمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق
به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال على
تلك الهيئة الهايلة عند حشر الخلايق بعد النفخة الثانيه ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهوا وذلك قوله
فكانت سرابا اى فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تع وبست الجبال بسا فكانت هباء
منبثا اى غبارا منتشرا وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية
الارض انما يكونان بعد النفخه الثانيه كما نطق به قوله تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها
ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل

ويرزو الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية ان جهنم كانت مرصادا شروع في تفصيل
احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن
البيان والمرصاد اسم المكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه
الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد
يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها للطاغين متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اي
كائنا للطاغين وقوله تعالى مآبا بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا
قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا على انها
مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطاغين
كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها
لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة
في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان بالفتح على تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين
لابثين فيها حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى احقابا ظرف للبثهم
اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا
حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب
ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا
جملة مبتداة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب
يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف
وكلاهما ما يسيل من صديدهم جزاء اي جوزوا بذلك جزاء وفاقا ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق
مبالغة او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على انه فعال من وفقه كذا اي لاقه انهم كانوا لا يرجون حسابا
تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا بآياتنا الناطقة
بذلك كذابا اي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب
فعّل شايع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب يقال صدقتها وكذبتها والمرء
ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اي وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا واما
بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا مفرط الكذب
وكل شيء من الاشياء التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه وضبطناه
وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر مؤكد لاحصيناه لما ان الاحصاء والكتبة من واد واحد
او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى
فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ
عن التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة لترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة
على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية اشد ما في القرآن
على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة
اي ان للذين يتقون الكفر وساير قبايح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز وقيل نجاة
مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى حدائق واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة

وكروما بدل من مفازا وكواعب اي نساء فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا اي لدات
وكاسا دهاقا اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملأه لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكاس
لغوا ولا كذابا اي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لا يكذبه
او لا يكاذبه جزاء من ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فان في قوة ان يقال
جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام عطاء اي تفضلا
واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر
اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم
وقرئ حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض
وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل صفة للاول وقيل لا يملكون حال
لا وليا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى
لا يملكون منه خطابا استئناف مقرر لما افاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء
واستقلاله تعالى بما ذكر من العطاء والجزاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على
انهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتدا والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر
وهو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدا والرحمن مبتدا ثان
ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على رأي من يقول به والاوجه
ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون استئنافا على حاله ففيه
ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطا كما في البدلية لما ان المرفوع او المنصوب مدحا تابع لما قبله
معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة
وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر لمبتدا مضمر وما بعده
استئناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه
تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه
تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه واكده وقيل ليس في ايديهم
مما يخاطب الله به ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك
فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملائكة
واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا اعظم
منه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا كان يوم القيمة قام وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤوس وايد
وارجل ياكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من
السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة
وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد او متعدد
والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا
واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صوابا

بدل من ضمير لا يتكلمون العايد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملايكه وذكر
قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تع وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار
الكلام من مطلع السورة الكريمه الى مقطعها والجملة استيناف مقرر لمضمون قوله تعالى ولا
يملكون الخ وموكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشيء
من جنس الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك الماذون له قولا صوابا
اى حقا فكيف يملكون خطاب رب العزه مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا
على معنى ان الروح والملايكه مع كونهم افضل الخلايق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا
بما هو صواب من الشفاعه لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة
الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه ان يكون يوم ظرفا ليملكون فقد اشتبه عليه الشؤن واختلط به
الظنون وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن
له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اى حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع الاضمار
للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغه لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك
اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامه ومحله الرفع على الابتدا خبره
ما بعده اى ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملايكه مصطفين غير قادرين هم
وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اى الثابت المتحقق لا محاله من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مابا فصيحة تفصح عن شرط
محذوف ومفعول المشيه محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابه
في تعلقه بها حسب القاعدة المستمره والى ربه متعلق بمابا قدم عليه اهتماما به ورعاية
للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محاله فمن شاء ان يتخذ مرجعا
الى ثواب ربه الذي ذكر شانه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعه وقال قتادة مابا اى سبيلا
وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا
انا انذرناكم اى بما ذكر في السورة من الايات الناطقه بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها
وبساير القوارع الواردة في القران عذابا قريبا هو عذاب الاخره وقربه لتحقق اتيانه حتما
ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان راوه بعيدا او سيرونه قريبا لقوله تعالى كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل
هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تع يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا
او ظرف لمضمر هو صفة له اى عذابا كاينا يوم ينظر المرء اى يشاهد ما قدمه من خير او شر على
ان ما موصوله منصوبه بينظر والعايد محذوف او ينظر اى شيء قدمت يداه على انها استفهاميه
منصوبه بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا لم اخلق
ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء
من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى ادم وولده وثوابهم فيتمنى

ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمه

سورة النازعات ست واربعون اية

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا
اقسام من الله عز وجل بطوايف الملايكه الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق
كما قاله ابن عباس ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله على رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد
ابن جبير ومسروق وينشطونها اى يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البير اذا اخرجها
ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار
وبارواح المومنين الى الجنه فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها
من الالام واللذات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتايب في المزدحم للاشعار بان كل واحد من الاوصاف
المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال
والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما
على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب وغرقا
مصدر موكد بحذف الزوايد اى اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال
ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر
نفسه في وقت النزع من تحت كل شعره من تحت الاظافير واصول القدمين ثم تغرقها في جسده
ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في
وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدريه واما امرا فمفعول
للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوايف من الملايكه
يسبحون في مضيهم اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيويه والاخرويه
والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال
القيمه عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح
بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محاله وفيه من الجزاله ما لا يخفى وقد جوز ان يكون
اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان يقطع الفلك حتى تنحط في
اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح
في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين
مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج
الى برج ملايمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانيه بالنشط او بانفس الغزاة او بايديهم التي تنزع
القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو
فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب

ويخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح فى جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة
واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه هذا والذى يليق بشان التنزيل هو الاول وقوله تعالى
يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التى ترجف عندها
الاجرام الساكنة اى تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهى النفخة
الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى
تتبعها الرادفة اى الواقعة التى تردف الاولى وهى النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة
لوقوع اليوم ظرفا للبعث اى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية لتهويل اليوم
تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذى يقع فيه النفختان وبينهما اربعون
سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه
موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حى الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت
الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فيكون الجملة
استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم
النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة
اى ترجف وجفت القلوب قيل قلوب مبتدا ويومئذ متعلق بواجفة وهى صفة لقلوب
مسوغة لوقوعه مبتدا وقوله تعالى ابصارها اى ابصار اصحابها خاشعة جملة من مبتدا
وخبر وقعت خبرا لقلوب وقد مر ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات
فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء فى المعرفة والجهالة
كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثانى مخبرا به مقصود
الافادة تحكما بحتا على ان الوجيف الذى هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من
الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما
لا عهد له فى الكلام وايضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة
بالعموم والشمول تهوين للخطب فى موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام
الوصف المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او
على التكثير كما فى شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل
قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة اى شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضى الله عنه
خائفة وجلة وقال السدى زائلة عن اماكنها كما فى قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله
يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالايات
الناطقة اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها
للقلوب والابصار اى قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا
فى الحافرة اى فى الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء
فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية
اى منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهار صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة و

بمعنى المحفورة وقوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة تاكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية
له والعامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون اى ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها
ابعد شئ من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر او اسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو ناخر
ونخر وهو البالى الاجوف الذى تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر اخر لهم متفرع على
كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق
الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم فى كافر اوقاتهم حسبما ينبئ عنه
حكايته بصيغة المضارع اى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الردة فى الحافرة
مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة خاسرة اى ذات خسران او خاسر اصحابها
اى ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة تعليل لمقدر
يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التى عبروا عنها بالكرة فان مدار ما كان استصعابهم
اياها رد عليهم ذلك فقيل لا يستصعبوها فانما هى صيحة واحدة اى حاصلة بصيحة واحدة وهى
النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هى راجع الى الرادفة فقوله
فاذا هم بالساهرة حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجاة اى فاذا هم احياء على وجه الارض
بعد ما كانوا امواتا فى جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة
والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة
جارية الماء وفى ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب
هى وجه الارض وقيل هى ارض القيمة وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه ان الساهرة
ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هى ارض يجددها الله عز وجل يوم
القيمة وقيل هى اسم الارض السابعة ياتى بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل
الارض غير الارض وقال الثورى الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس
وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل اتاك حديث موسى كلام مستانف
وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بان يصيبهم مثل ما اصاب من
كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه عليه السلام من حديثه عليه السلام
ترغيب له عليه السلام فى استماع حديثه كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر
اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص ليس قد اتاك حديثه وقوله تعالى
اذ ناداه ربه بالواد المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما طوى بضم الطاء غير
منون وقرئ منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى او
المقدس اى ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب الى فرعون على ارادة القول وقيل
هو تفسير للنداء اى ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب
لان فى النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او لوجوب الامتثال به فقل بعدما اتيته هل لك
رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التائين من تتزكى اى تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ
تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه فتخشى اذ الخشية لا تكون
الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك

الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شر امر النبي صلى الله عليه وسلم بان
يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة
من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء في قوله تعالى
فاراه الاية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السورة الاخرى فانه عليه
السلام ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء
والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان
قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان
اللعين حين ابصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان ارادة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه
السلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا بالنظر الى
الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله عنه فانها كانت المقدمة
والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة
الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدايع الامور التي كل
منها اية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما
عداهما من الايات التسع انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو
من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترقب بعد
فكذب بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر
ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترا على انكار وجود رب العالمين راسا وكان
اللعين وقومه مامورين بعبادته عز وعلا وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها
منه فئته الباغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر فقط ثم ادبر اي تولى عن الطاعة او
انصرف عن المجلس يسعى اي يجتهد في معارضة الاية او اريد ثم اقبل اي انشا يسعى فوضع موضعه
ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه روي انه عليه السلام لما
القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون الفا من قومه وقيل انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو
فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك بالذي ارسلك الا اخذتها
فاخذها فعاد عصا ويأباه ان ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة
كما يعرب عنه قوله تعالى فحشر اي فجمع السحرة لقوله فارسل في المداين حاشرين وقوله تعالى فتولى
فرعون فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة والاتهم وقيل جنوده ويجوز ان يراد جميع الناس فنادى
في المجمع بنفسه او بواسطة المنادي فقال انا ربكم الاعلى قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة
فاخذه الله نكال الاخرة والاولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي
ينكل من راه او سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله
وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى وهو الاحراق في الاخرة والاغراق في الدنيا
وقيل مصدر لاخذ اي اخذ الله اخذ نكال الخ وقيل مفعول له اي اخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع

الخافض

الخافض اي اخذه بنكال الاخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا
باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور في الاخرة بل في الدنيا فان
العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما تؤدي اليها لا محالة وقيل المراد بالاخرة
والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة
فالاضافة اضافة المسبب الى السبب ان في ذلك اي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل
فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى اي لمن من شانه ان يخشى وهو من من شانه المعرفة وقوله تعالى
ءانتم اشد خلقا خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ
والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى فانما هي زجرة
واحدة اي اخلقكم بعد موتكم اشد اي اشق واصعب في تقديركم ام السماء اي ام خلق السماء
على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدايع التي تحار العقول عن ملاحظة ادناها كقوله تعالى
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد
من قوله ام السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من التنبيه على تعينه
وتفخيم شانه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى رفع سمكها بيان للبناء اي جعل مقدار ارتفاعها
من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها
مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به من الكواكب والتداوير
وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى امر فلان اذا اصلحه واغطش ليلها اي جعله
مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم واظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى
واذا اظلم عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها اي ابرز نهارها
عبر عنه بالضحى لانه اشرف اوقاته واطيبها فكان احق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تاخير ذكره
عن ذكر الليل وفي التعبير عن احداثه بالاخراج فان افاضة النور بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل
في الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز ان يكون اضافة
الضحى اليها بواسطة الشمس اي ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال
اشراقها والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها
وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها اخرج منها ماءها بان فجر منها عيونا واجرى انهارا
ومرعاها اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة
عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان السكنى لا تتاتى بمجرد البسط والتمهيد
بل لا بد من تسوية امر المعاش من الماكل والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور
او بدونه عند الكوفيين والاخفش كما في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم والجبال منصوب
بمضمر يفسره ارساها اي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه
على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات
ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والارض
والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا او شدة



تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري
الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها كما
يروى عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق
بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك
قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان الآية ان حمل ما فيه من
الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة
البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات
يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي
ان العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع
منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين
واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم
الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثا ويوم الاربعا وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم
الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة فالاقرب كما قيل
تاويل هذه الآية بان يجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها
لا الى نفسها ويحمل بعدية الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم
لا في الوجود لما عرفت من ان انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما
ذكر بعده ليفيد القصر وتعين البعدية في الوجود وفائدة تاخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر
في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان
المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل
وليس ما روي عن الحسن رضي الله عنه نصا في تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض
معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير
حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة
واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء
كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها على وفيما في سورة البقرة على التراخي في
الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم
اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج
الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما ياكله الانسان وغيره بناء على استعارة
الرعي لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر موكد لفعله المضمر اي
متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها في معنى
متع بذلك وقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية العظمى التي تطم على سائر
الطامات اي تعلوها وتغلبها وهي القيمة او النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها
الخلائق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان

احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب
ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الانسان ما سعى قيل هو بدل
من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها
بالظرف المحض مما يوهم تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا
لاضافته الى الفعل على رأي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده
مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله
ونسوه ويجوز ان يكون ما مصدرية وبرزت الجحيم عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا
لا يخفى على احد لمن يرى كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ
وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان
بعيد او على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى فاما من طغى
الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب
المحذوف تقديره انقسم الراؤن قسمين فاما من الخ والذي تستدعيه فخامة التنزيل وتقتضيه
مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤن ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان وآثر الحياة الدنيا
الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الاخروية الابدية
بالايمان والطاعة فان الجحيم التي ذكر شأنها هي المأوى اي هي مأواه واللام سادة مسد الاضافة
للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف
للتعريف لانهما معروفان وهي اما ضمير فصل او مبتدأ قيل نزلت الآية في النضر وابيه الحرث المشهورين
بالغلو في الكفر والطغيان واما من خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة
الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم
يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها فان الجنة
هي المأوى له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب
اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد يوم احد رضي الله عنه
هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ اي فاذا جاءت الطامة الكبرى
يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت
واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من
الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى
الخ تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين
يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها
ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله
فيم انت من ذكراها انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم
به حتى يسألوك بيانها كقوله تعالى يسألونك كانك حفي عنها اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها
في شيء لان ذلك فرع علمك به واني لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد

التعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد ناى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اى فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اى ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث فى نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تع الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اى علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شئ ما كاينا من كان فلاى شئ يسالونك عنها وقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام فى ذلك الشان فان انكار كونه عليه السلام فى شئ من ذكراها مما يوهم بظاهره ان ليس له عليه السلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفى منه عليه السلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسالونه عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فما لهم يسالونك عما ليس من وظايفك بيانه وعلى الوجه الثانى هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه السلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجئ الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقنى وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضى تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اما تقرير وتاكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجئ المنذر به لا سيما على الوجه الثانى اى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادمجوه فى سؤالهم فانهم كانوا يسالون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث فى الدنيا او فى القبور لا يقتضيه المقام وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد الاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقديرى الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كان قوله تعالى كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول فى يحشرهم اى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث فى الدنيا الا ساعة خلا ان التشبيه هناك فى الاحوال الظاهرة من الزى والهيئة وفيما نحن فيه فى الاعتقاد كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثانى مستانف لا محل لها من الاعراب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تع فى القبر والقيمة حتى يدخل الجنة

سورة عبس اثنتى واربعون آية مكية
قدر صلاة مكتوبة

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابى ربيعة الفهرى وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد ابن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرايين اى لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره فى الاقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرافة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات فى قوله تع وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل فى تشديد العتاب اى واى شئ يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله لعله يزكى استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شانا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادرايه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اى لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكى مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما فى قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر اصلا وقوله او يذكر عطف على يزكى داخل معه فى حكم الترجى وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اى او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكى التام وقيل الضمير فى لعله للكافر فالمعنى انك طمعت فى ان يتزكى او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان ما طمعت فيه كذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اى عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن فانت له تصدى اى تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء فى الصاد وقرئ تصدى بضم التاء اى تعرض ومعناه يدعوك الى التصدى له داع من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك الا يزكى وليس عليك باس فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار اى اى شئ عليك فى ان لا يتزكى ومآله النفى ايضا واما من جاءك يسعى اى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اى الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار فى اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرئ تلهى اى يلهيك شان الصناديد وفى تقديم ضميره عليه السلام على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما روى انه صلى الله عليه وسلم ما عبس

بعد ذلك فی وجه فقیر قط ولا تصدی لغنی کلا ردع له علیه السلام عما عوتب علیه من التصدی
لمن استغنی عما دعاه الیه من الایمان والطاعة وما یوجبهما من القران الکریم مبالغا فی الاهتمام بامره
متهالکا علی اسلامه معرضا بسبب ذلک عن ارشاد من یسترشده وقوله تعالی انها تذکرة
ای موعظة یجب ان یتعظ بها ویعمل بموجبها تعلیل للردع عما ذکر ببیان علو رتبة القران العظیم الذی
استغنی عنه من تصدی علیه السلام له وتحقیق ان شانه ان یکون موعظة حقیقة بالاتعاظ
بها فمن رغب فیها اتعظ بها کما نطق به قوله تعالی فمن شاء ذکره ای حفظه واتعظ به ومن رغب
عنها کما فعله المستغنی فلا حاجة الی الاهتمام بامره فالضمیران للقران وتانیث الاول لتانیث خبره
وقیل الاول للسورة او للایات السابقة والثانی للتذکرة والتذکیر لانها فی معنی الذکر والوعظ
ولیس بذاک فان السورة والایات وان کانت متصفة بما سیاتی من الصفات الشریفة لکنها
لکنها لیست مما القی علی من استغنی عنه واستحق بسبب ذلک ما سیاتی من الدعاء علیه والتعجب
من کفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعهما الی العتاب المذکور فقد اخطا واسا
الادب وخبط خبطا یقضی منه العجب فتامل وکن علی الحق المبین وقوله تعالی فی صحف متعلق
بمضمر هو صفة لتذکرة وما بینهما اعتراض جیء به للترغیب فیها والحث علی حفظها ای کاینة فی
صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مکرمة عند الله عز وجل مرفوعة ای فی السماء السابعة
او مرفوعة المقدار والذکر مطهرة منزهة عن مساس ایدی الشیاطین بایدی سفرة ای
کتبة من الملایکة علیهم السلام ینتسخون الکتب من اللوح علی انه جمع سافر من السفر وهو الکتب
وقیل بایدی رسل من الملایکة یسفرون بالوحی بینه تعالی وبین الانبیاء علی انه جمع سفیر من
السفارة وحملهم علی الانبیاء علیهم السلام بعید فان وظیفتهم التلقی من الوحی لا الکتب منه
وارشاد الامة بالامر والنهی وتعلیم الشرایع والاحکام لا مجرد السفارة الیهم وحملهم علی القراء
لقراءتهم الاسفار او علی اصحابه صلی الله علیه وسلم وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملایکة لا تکاد
تطلق علی غیرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم یمسها
الا الملایکة المطهرون اضیف التطهیر الیها لطهارة من یمسها وقال القرطبی ان المراد بما فی قوله
لا یمسه الا المطهرون هولاء السفرة الکرام البررة کرام عند الله عز وجل او متعطفین علی المومنین
یکلمونهم ویستغفرون لهم بررة اتقیاء وقیل مطیعین لله تعالی من قولهم فلان یبر خالقه ای یطیعه
وقیل صادقین من بر فی یمینه قتل الانسان دعاء علیه باشنع الدعوات وقوله تعالی ما اکفره
تعجب من افراطه فی الکفران وبیان لاستحقاقه للدعاء علیه والمراد به اما من استغنی عن القران
الکریم الذی ذکرت نعوته الجلیلة الموجبة للاقبال علیه والایمان به واما الجنس باعتبار انتظامه
له ولامثاله من افراده لا باعتبار جمیع افراده وفیه مع قصر متنه وتقارب قطریه من الانباء
عن سخط عظیم ومذمة بالغة ما لا غایة وراءه وقوله تعالی من ای شیء خلقه شروع فی بیان افراطه
فی الکفران بتفصیل ما افاض علیه من مبدا فطرته الی منتهی عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها
بالشکر والطاعة مع اخلاله بذلک وفی الاستفهام من مبدا خلقه ثم بیانه بقوله تعالی من نطفة
خلقه تحقیر له ای من ای شیء حقیر مهین خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره فهیاه لما یصلح له
ویلیق به من الاعضاء والاشکال او فقدره اطوارا الی ان تم خلقه وقوله تعالی ثم السبیل یسره

منصوب

منصوب بمضمر یفسره الظاهر ای ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان ینتکس
او یسر له سبیل الخیر والشر ومکنه من السلوک فیهما وتعریف السبیل باللام دون الاضافة
للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره ای جعله ذا قبر یواری فیه تکرمة له ولم یدعه مطروحا علی
وجه الارض جزرا للسباع والطیر کسایر الحیوان یقال قبر المیت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه
او مکن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة فی الجملة الی الحیاة الابدیة والنعیم المقیم ثم اذا
شاء انشره ای اذا شاء انشاره انشره علی القاعدة المستمرة فی حذف مفعول المشیة وفی تعلیق
الانشار بمشیته تعالی ایذان بان وقته غیر متعین بل هو تابع لها وقری نشره کلا ردع للانسان
عما هو علیه وقوله تعالی لما یقض ما امره بیان لسبب الردع ای لم یقض بعد من لدن ادم علیه السلام
الی هذه الغایة مع طول المدی وامتداده ما امره الله تعالی بامره اذ لا یخلو احد عن تقصیر ما کذا
قالوا وهکذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ریب فی ان مساق الایات الکریمة لبیان غایة عظم جنایة
الانسان وتحقیق کفرانه المفرط المستوجب للسخط العظیم وظاهر ان ذلک لا یتحقق بهذا القدر
من نوع تقصیر لا یخلو عنه احد من افراده کیف لا وقد قال صلی الله علیه وسلم شیبتنی سورة هود
لما فیها من قوله تعالی فاستقم کما امرت فالوجه ان یحمل عدم القضاء علی عموم النفی لا علی نفی العموم
اما علی ان المحکوم علیه هو المستغنی او هو الجنس لکن لا علی الاطلاق بل علی ان مصداق الحکم بعدم
القضاء بعض افراده وقد اسند الی الکل کما فی قوله تعالی ان الانسان لظلوم کفار للاشباع فی اللوم
بحکم المجانسة علی طریقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما علی ان مصداقه الکل من
حیث هو کل بطریق رفع الایجاب الکلی دون السلب الکلی فالمعنی لما یقض جمیع افراده ما امره
بل اخل به بعضها بالکفر والعصیان مع ان مقتضی ما فصل من فنون النعماء الشاملة للکل ان لا
یتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قیل کلا بمعنی حقا فیتعلق بما بعده ای حقا لم یعمل بما امر به وقوله
فلینظر الانسان الی طعامه شروع فی تعداد النعم المتعلقة ببقایه بعد تفصیل النعم المتعلقة
بحدوثه ای فلینظر الی طعامه الذی علیه یدور امر معاشه کیف دبرناه وقوله تعالی انا صببنا
الماء ای الغیث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل علیه و
قری انا علی الاستیناف وقری انی بالامالة ای کیف صببنا الخ ای صببناه صبا عجیبا ثم شققنا
الارض ای بالنبات شقا بدیعا لایقا بما یشقها من النبات صغرا وکبرا وشکلا وهیاة وحمل
شقها علی ما بالکراب یجعل اسناده الی نون العظمة من قبیل اسناد الفعل الی سببه یاباه کلمة ثم
والفاء فی قوله تعالی فانبتنا فیها حبا فان الشق بالمعنی المذکور لا ترتب بینه وبین الامطار اصلا
ولا بینه وبین انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الی ان یتکامل النمو
وینعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا یزال یتزاید ویتسع الی تلک المرتبة علی ان مساق
النظم الکریم لبیان النعم الفایضة من جنابه تعالی علی وجه بدیع خارج عن العادات المعهودة کما
ینبئ عنه تاکید الفعلین بالمصدر فتوسط فعل المنعم علیه فی حصول تلک النعم مخل بالمرام
وقوله تعالی وعنبا عطف علی حبا ولیس من لوازم العطف ان یقید المعطوف بجمیع ما قید
به المعطوف علیه فلا ضیر فی خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا ای رطبة سمیت بمصدر
قضبه ای قطعه مبالغة کانها لتکرر قطعها وتکثره نفس القطع وزیتونا ونخلا الکلام فیهما

وفي امثالهما كما في العنب وحدائق غلبا اي عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها
او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اي مرعى من اب اذا امه
اي قصده لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤوب
للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا
قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب
ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب
ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي
فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم
والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر موكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك
فتمتعتم متاعا او تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلثة في معنى
التمتيع فاذا جاءت الصاخة شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدا خلقهم ومعاشهم
والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة
زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق اي يصيخون لها من صخ
لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هي الصيحة
التي تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل هي ماخوذة من صخه بالحجر اي صكه وقوله تعالى
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اما منصوب باعني تفسيرا للصاخة او بدل
منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على راي الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى
يوم يتذكر الخ اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسال عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه
واما تعليل ذلك بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار اي لكل واحد من المذكورين
شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى
عن ابن عباس انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابرهيم عليه السلام
من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امراته فليس من هذا القبيل وكذا ما روي
ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة
والعين المهملة اي يهمه من عناه الامر اذا اهمه اي اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه
ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل المذكورين
وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدا وان كانت نكرة
لكونها في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه
بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة
بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار وكدورة ترهقها
اي تعلوها وتغشاها قترة اي سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرة

هم الكفرة الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير تسع وعشرون آية مكية

اذا الشمس كورت اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها
من مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء واما
لف ضوئها المنبسط في الافاق المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم
استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه
فكورة اذا القاه على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضي الله عنه تكويرها
ادخالها في العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره
المذكور وعند البعض على الابتدا واذا النجوم انكدرت اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت
روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه رضي الله عنه ان النجوم
قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات
ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها وروي ان الشمس والنجوم تطرح في
جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال سيرت
اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا العشار جمع عشرا
وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما تكون عند
اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان
العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت
بالتخفيف واذا الوحوش حشرت اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل
شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني ادم واعجاب
بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت اي احميت او مليت بتفجير
بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقيل مليت نيرانا تضطرم
لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف واذا
النفوس زوجت اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين
بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين واذا الموءودة اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة
الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر
حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب
وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان
ولدت ابنا حبسته سئلت باي ذنب قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ
والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين وقرئ سالت اي خاصمت او سالت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت لما ان

الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سُيلت ليقال قُتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها
حين سيلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرى كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس
انه سيل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية واذا الصحف نشرت اى صحف
الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر
الناس عراة حفاة فقالت ام سلمه فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمه قالت وما شغلهم
قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اى فرقت بين اصحابها عن مرثد
ابن وداعة اذا كان يوم القيمه تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المومن فى يده فى جنة
عاليه وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهى صحيفة غير صحف الاعمال
واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحه والغطاء عن الشئ المستور به
وقرى قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور واذا الجحيم سعرت اى
اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى آدم وقرى سعرت بالتخفيف
واذا الجنة ازلفت اى قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقيل هذه
اثنا عشرة خصله ست منها فى الدنيا اى فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله تعالى
واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الاخرة
اى بعد النفخة الثانيه وقوله تعالى علمت نفس ما احضرت جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد
ممتد يسع ما فى سباقها وسياقها وما عطف عليهما من الخصال مبدوه النفخة الاولى ومنتهاه فصل
القضا بين الخلايق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم فى كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند
وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه
وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد
بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحايفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور
انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشاة بصور عرضيه تبرز فى النشاة الاخرة بصور
جوهريه مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصه وهيئات معينه حتى ان الذنوب
والمعاصى تجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين
وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام
فى حق من يشرب من انية الذهب والفضه انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بُعد فى ذلك الا يرى
ان العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روى
عن ابن عباس رضى الله عنه انه يوتى بالاعمال الصالحة على صور حسنه وبالاعمال السيئه على صور قبيحه
فتوضع فى الميزان واياما كان فاسناد احضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما نطق به
قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لانها لما عملتها فى الدنيا فكانما احضرتها فى
الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هى عليه فى الحقيقه وان كانت صالحة تشاهد ما
عليه هٰهنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد
من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد
يحوم حوله شايبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو جئ بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك

النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء
الذى اشير بعض بدايع شئونه المنبئة عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس
كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تع ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وبقول من قال قد اترك القرن مصفرا انامله وبقول من قال حين سيل عن عدد فرسانه
رب فارس عندى وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادى فى تكثير فرسانه واظهار براءته من
التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان تزيد فمن لوايح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه
فيما ذكر من الامثله مما يقبل الافراط والتمادى فيه فانه فى الاول كثيرا ما يود وفى الثانى كثيرا ما ترك
وفى الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب
الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادى فى التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام
الذى عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القايل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد
بعكسه المبالغه والتمادى فيه وانما الذى يمكن فيه من المبالغة من ذكرناه فتامل ويجوز ان
يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح
عليها مخافة ان تكون هى تلك التى علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقه قولك
لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك
ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا
يرجى فيه الندم او ربما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعى الوجود كثير الوقوع فلا اقسم بالخنس
اى بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهى ما عدا النيرين من الدرارى الخمسه وهى بهرام
وزحل وعطارد والزهرة والمشترى وصفت بقوله تعالى الجوار الكنس لانها تجرى مع الشمس
والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من
من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو بيته الذى يتخذ من اغصان الشجر وقيل هى جميع الكواكب
تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع فى اماكنها كالوحش فى كنسها والليل اذا
عسعس اى ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفرا اجمع المفسرون على ان
معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل
هى لغة قريش خاصه وقيل معنى اقبال ظلامه اوفق لقوله تعالى والصبح اذا تنفس لانه اول النهار
وقيل ادبار اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك
نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اى القران الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى الهايله لقول رسول
كريم هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل ذى قوة شديدة كقوله تع شديد القوى
وقيل المراد القوة فى اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلاق بها من اول الخلق الى اخر زمان التكليف
عند ذى العرش مكين ذى مكانة رفيعه عند الله تعالى عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان
مطاع فيما بين ملايكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه ثمة امين على الوحى
وثمة ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرى ثُم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على ساير
الاوصاف وما صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما بهتته الكفرة والتعرض
لعنوان المصاحبه للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عليه السلام

عما نسبوه اليه بالكليه وقد استدل به على فضل جبريل عليه السلام للتباين البين بين وصفيهما
وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا
ام به جنة لا تعداد فضايلهما والموازنة بينهما ولقد رآه اي وبالله لقد راى رسول الله جبريل
عليهما الصلاة والسلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو اي رسول الله عليه السلام
على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بضنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر
في التبليغ والتعليم وقرى بظنين اي بمتهم من الظنه وهي التهمه وما هو بقول شيطان رجيم
اي قول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما
يسلكونه في امر القران والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون
في شي كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو ما هو الا
ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله
ان يستقيم مفعول شاء اي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله
من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن اي الاستقامة مشية مستتبعة لها في
وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيه اي المستتبعه
للاستقامه فان مشيتكم لا تستتبعها بدون مشية الله تعالى لها رب العالمين مالك الخلق
ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار تسع عشرة آية مكية

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملايكه كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل
الملايكه تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع
الشمس واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت متفرقه واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض واختلط
العذاب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض
تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستويه وهو معنى التسجير عند الحسن رحمه الله وقيل ان مياه البحار
الآن راكده مجتمعه فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرى فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا
للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلبت
ترابها واخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما
وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما
عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلايق لا ازمنة
متعدده حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي
مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدم واخر ما اسلف من عمل خير او شر واخر من سنة حسنة او سيئة
يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس ايضا ما قدم من معصيه واخر من طاعة
وهو قول قتاده وقيل ما قدم من امواله لنفسه وما اخر لورثته وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض
وقيل اول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك

بربك الكريم اي اي شي خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامه
والعراقيل الطامه وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى
للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا للاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شيت
فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الاخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة
بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعه والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل
ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى
الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر
على ذلك بدءا اقدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها
عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملايمة لها وقرى فعدلك
بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك
اي ركبك في اي صورة شاءها من الصور المختلفه وما مزيده وشاء صفة لصورة اي ركبك
في اي صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبه الحسنه كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في
احسن تقويم وانما لم يعطف الجمله على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم
الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعه وقوله تعالى بل تكذبون
بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم
لا ترتدعون عن ذلك بل تجترون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث راسا او بدين
الاسلام الذي هما من جملة احكامه فلا تصدقون سوالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه
قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس
الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تتيقنون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين
وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون مفيد لبطلان تكذيبهم وتحقق ما
يكذبون به اي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم كراما لدينا كاتبين
لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفي
تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلايل الامور حيث يستعمل فيه
هولاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استيناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ
والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى
يصلونها اما صفة للجحيم او استيناف مبني على سوال نشا من تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها فقيل
يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغايبين طرفة عين
فان المراد دوام نفي الغيبه لا نفي دوام الغيبه لما مر مرارا من ان الجملة الاسميه المنفيه قد يراد
بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل
معناه وما كانوا غايبين عنها قبل ذلك بالكليه بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال
النبي عليه السلام القبر روضة من رياض الجنه او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادريك
ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تفخيم لشان يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل
امره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دايرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما

تخيلوه فهو اطم من ذلك واعظم اى واى شئ جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهاميه خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو راى سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامه هنا هو ما لا يوم الدين اى اى شئ عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تاكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالى لشان يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادراتهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس كل ما في القران من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركة الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء والجزم او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه عليه السلام الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون وليس بذلك فانه عار عن افادة ما الوحي ما قبله كما ان ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء حسنه وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين ست وثلثون اية

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقيل وقيل واياما كان فهو مبتدا وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شئ طفيف حقير وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه السلام وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم والدعاء بالويل اى اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه ياخذونه وافيا وافراد تبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذى تضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس

فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شئ بطريق الشراء ونحوه مع انه الشايع فيما بينهم تقتضى ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدار الذم لهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدى نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مآلا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى تعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتامل وقد جوز ان تكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اى يستوفون على الناس خاصة واما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذى هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس اى اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اى ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا اى جنيت لك وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا لبيان في خصوصية الماخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون استيناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم فان الاشارة الى الشئ متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن ساير الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اى الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهايل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا متاخما للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبايح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اى لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعنى وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر المبتدا مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبنى على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راى الكوفيين ويويد الاخير ان القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة

عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع
بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة
والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه
سبب الحبس والتضييق في جهنم اولانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش
وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من
اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبايح اعمال المذكورين وقوله تعالى وما
ادريك ما سجين تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تع كتاب مرقوم اي مسطور
بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل
كتاب مرقوم وقوله تع ويل يومئذ للمكذبين متصل بقوله تع يوم يقوم الناس لرب العالمين وما
بينهما اعتراض وقوله تع الذين يكذبون بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او
بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب به الا كل معتد اي متجاوز عن حدود
النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تع وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته
للبدء اثيم اي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات
التامة الباقية وحملته على انكارها اذا تتلى عليه اياتنا الناطقة بذلك قال من فرط
جهله واعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه اساطير الاولين اي هي حكايات الاولين قال
الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث وقيل عام لكل من اتصف
بالاوصاف المذكورة وقرى اذا يتلى بتذكير الفعل وقرى اذا يتلى على الاستفهام الانكاري
كلا ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تع بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة اي ليس في اياتنا ما
يصح ان يقول في شانها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا
يكسبونها من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدا في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق
كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سودا حتى يسود قلبه ولذلك
قالوا اما قالوا والرين الصدا يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه
النوم اي رسخ فيه وقرى بادغام اللام في الراء كلا ردع وزجر عن الكسب الراين انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف المومنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة
من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن
ابن كيسان عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اي داخلوا النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم
اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية
هذا الذي كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله
ان كتاب الابرار لفي عليين استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار
متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تاكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم
وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملايكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على
على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه

مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام في قوله تعالى وما
ادريك ما عليون كتاب مرقوم كما مر في سجين وقوله تعالى يشهده المقربون صفة اخرى لكتاب
اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم شروع في بيان محاسن
احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شان الفجار على الارائك اي على الاسرة في الحجال
ولا يكاد يطلق الاريكة على السرير عندهم الا تكون في الحجلة ينظرون اي الى ما شاؤا مد اعينهم
اليه من رغايب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدايهم
يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي
بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان لما
لهم من اثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء يسقون من رحيق شراب
خالص لا غش فيه مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله
تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اي مقطعه رايحة مسك وقرى خاتمه بفتح التاء
وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر
من احوالهم وما فيه من معنى البعد اما للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه في الجنة
اي في ذلك خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى
طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تع لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق
المستبقون واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي
نفست الشيء انفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به
وقال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه
وينفس به على غيره اي يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما
بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانيه او تبعيضيه
او من نفسه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة
واما لانها تاتيهم من فوق روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب على
الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تع يشرب بها المقربون
فانهم يشربونها صرفا وتمزج لساير اهل الجنة فالباء زايدة او بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا
الخ حكاية لبعض قبايح مشركي قريش جي بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة كانوا في الدنيا
من الذين امنوا يضحكون اي يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء
المومنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين امنوا
يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل
واذا مروا اي فقراء المومنين بهم بالمشركين وهم في انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا
يتغامزون اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا
فكهين ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين
بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرى فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين
متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين واذا راوهم اينما كانوا قالوا ان هولاء لضالون اي نسبوا

المسلمين بمن راوهم ومن غيرهم بطريق التاكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال
من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم
احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما
اجترؤا عليه من القول من وظايف من ارسل من جهته تع وقد جوز ان يكون ذلك من جملة قول
المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك
ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما في
قولك حلف لافعلن فاليوم الذين امنوا اي المعهودون من الفقراء من الكفار اي من المعهودين
وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلوبين قد غشيهم فنون
الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار
والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون
في الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم
والى ما فيهم من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها
اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى هل ثوب الكفار ما
كانوا يفعلون فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة
والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في الثاء وعنه عليه السلام من

قرا سورة المطففين سقاه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم

سورة الانشقاق خمس وعشرون اية

اذا السماء انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه
تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت اي انقادت واذعنت لتاثير قدرته تع حين تعلقت
ارادته بانشقاقها انقياد المامور المطواع اذا ورد عليه امر الامر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الاتية بمنزلة قوله تعالى ايتيا طائعين
في الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة
كما اشير اليه فيما سلف وحقت اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم تكن
كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي
حقيقة بذلك لكن لا على ان المدار خصوصية ذاتها من بين ساير المقدورات بل خصوصية
القدرة القاهرة الربانية التي يتاتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان
تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه واذا الارض مدت اي بسطت بازالة جبالها
واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي
زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى امده اي زاده والقت ما فيها اي رمت ما في جوفها
من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى
لم يبق فيها شيء منه كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقاء والتخلي
وحقت اي وهي حقيقة بذلك اي شانها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع

ايجاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعها في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اي جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي
مثلت باللقاء ومبالغ في ذلك فان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا
خدشه فملاقيه اي فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فاما من
اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الى اخره قيل جواب اذا كما في قوله تع فاما ياتينكم
مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تع يا ايها الانسان الخ اعتراض
وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبارة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما مر في سورتي
التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تع يا ايها الانسان الخ تقديره لاقى الانسان
كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الخ باضمار القول
ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه
ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله مسرورا اي عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قايلا
هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله في الجنة من الحور والغلمان واما من اوتي كتابه
وراء ظهره اي يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى
كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا اي يتمنى الثبور وهو
الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فانه اوانك واتى له ذلك ويصلى سعيرا اي يدخلها وقرئ يصلى
كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ يصلى كما في قوله تع ونصله جهنم انه كان في اهله فيما بين
اهله وعشيرته في الدنيا مسرورا مترفا بطرا مستبشرا كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا
يخطر ببالهم امور الاخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله ومآله كسنة
الصلحاء والمتقين والجملة استيناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور تعليل
لسروره في الدنيا اي ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما في
حيزها مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى
ان ربه كان به بصيرا تحقيق وتعليل له اي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله
الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا تخفى منه خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت
الايتان في ابي سلمة بن عبد الاشد واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هي الحمرة التي تشاهد في
افق المغرب بعد الغروب او البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة
القلب والليل وما وسق وما جمع وما ضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اي جمعه فاجتمع وما
عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم بدرا ليلة
اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق اي لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة
والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن
احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن
القيمة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله
لا لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركبن الانسان
ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا للطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن

طبقا مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراة والفا في قوله تعالى فما لهم لا يومنون
لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها الموجبة
للايمان والسجود اى اذا كان حالهم يوم القيمة كما ذكر فاى شي لهم حال كونهم غير مومنين اى اى شي
يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى واذا قرى عليهم القران لا يسجدون جملة شرطية
محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اى فاى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم
عند قراة القران وقيل قرا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من
المومنين وقريش تصفق فوق روسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة
وعن ابن عباس رضي الله عنه ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت
الا بعد ان رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس رضي الله عنه صليت خلف ابي بكر
وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن رحمه الله هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقران
الناطق بما ذكر من احوال القيمة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند
تلاوته والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد
والبغي والبغضا او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب
علما فعليا فبشرهم بعذاب اليم لان علمه تع بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المومنين كافة
ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تع لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع او ممنون به
عليهم استيناف مقرر لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته
للثواب العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله تع ان يعطيه
كتابه وراء ظهره

سورة البروج عشرون آيات مكية

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون
فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السما فان النوازل
تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود اى يوم القيمة وشاهد ومشهود اى ومن
يشهد في ذلك اليوم من الخلايق وما يحضر فيه من العجايب وتنكيرهما للابهام في الوصف اى وشاهد
ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود
يوم القيمة وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله تع وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل امة محمد وساير
الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام
والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد
فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد
عليهم الصلاة والسلام قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول
والاصل لقتل كما في قوله من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال
وقيل تقديره لقد قتل واياما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم

بهذه الاشيا انهم اى كفار مكه ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود ولما ان السورة وردت لتثبيت
المومنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم
من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى ياتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم و
يعلموا ان هولاء عند الله عز وجل بمنزلة اوليك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد
قيل فيهم وقرى قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان
في طريق الغلام راهب فسمع منه فراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فقيل كانت
الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان
الغلام بعد ذلك يبرى الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فابصره الملك
فساله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم
يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف
بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفات بهم السفينة فغرقوا ونجا
فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي
وتقول بسم الله رب الغلام وترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس
امنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت
فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه
اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت قيل اخرج
الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن
علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له
المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه
فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل
فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب
الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي
بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين
الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا النار بدل الاشتمال من الاخدود
ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس
وقرى الوقود بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اى لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين
حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما في قوله تع وبات على النار الندى والمحلق
وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود اى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر
به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمومنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل
على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمومنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم
هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا
المومنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المومنين منها سالمين

والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدى وعلى ذلك حمل قوله تع ولهم عذاب الحريق وما
نقموا منهم اى ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يومنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفصح عن
براءتهم عما يعاب وينكر بالكليه على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم تلام بنسيان الاحبه
والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد ذلك بقوله
الذى له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شئ شهيد
وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تع بجميع الاشياء التى من جملتها اعمال الفريقين يستدعى
توفير جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المومنين والمومنات اى محنوهم فى دينهم ليرجعوا عنه والمراد
بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحين فى الاخدود واما الذين بلوهم فى ذلك
بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون فى جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اى عن كفرهم
وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة فى الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تع فلهم عذاب جهنم
جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعليه وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدا
معنى الشرط ولا ضير فى نسخه بان وان خالفه الاخفش والمعنى لهم فى الاخرة عذاب جهنم بسبب
كفرهم ولهم عذاب الحريق وهى نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمومنين ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح
جنات تجرى من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها
الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه
اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتاويلها بما ذكر
للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذى يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات
المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا للذات فقط كما هو شان الضمير فاذا اشير الى
الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تع لهم جنات
الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا وايا ما كان فما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجته وبعد منزلته فى الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى
ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذى يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغايب
بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة
وعلى الثانى مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد استيناف خوطب به النبى صلى الله عليه
وسلم ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبيه
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف
وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تع وكذلك اخذ ربك
اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اى هو يبدئ الخلق وهو
يعيده من غير دخل لاحد فى شئ منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة
فى الدنيا ويعيده فى الاخرة وهو الغفور لمن تاب وامن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش
خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اى ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذى العرش على انه صفة لربك
المجيد العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة

لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تع
وافعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى هل اتاك حديث الجنود استيناف مقرر لشدة
بطشه تع بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته صلى الله عليه وسلم
بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو
وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال
والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله وانذرهم ان يصيبهم
مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا فى تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم
اشد منهم فى الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم اشد منهم فى استحقاق العذاب
واستيجاب العقاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقران الكريم او قيل ليست جنايتهم مجرد
عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك فى تكذيب شديد للقران الناطق بذلك
لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرانا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور
حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من باس الله تعالى بعدم فوت
المحاط المحيط وقوله تع بل هو قران مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اى ليس الامر كما قالوا
بل هو كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهيه فى النظم والمعنى وقرئ قران مجيد بالاضافة
اى قران رب مجيد فى لوح محفوظ اى من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع
على انه صفة قران وقرئ فى لوح وهو الهواء اى ما فوق السماء السابعة التى فيه اللوح عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق سبع عشرة آية مكية

والسماء والطارق الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى
واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا
ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع فى التوسع حتى اطلق على الصور الخياليه البادية بالليل
قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد ههنا الكوكب البادى بالليل
اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح وقوله تع وما ادريك
ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق
فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدا وادريك خبره والثانيه خبر والطارق مبتدا كما مر تب
يين فى نظاير اى واى شئ اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدا محذوف
والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشا عما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضئ فى الغاية
كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا
لا محالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم فى السماء
السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع الى مكانه من السماء
السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفى ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه

وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلايق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تع ان كل نفس لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تاكيد فخامة المقسم به المستتبع لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافيه ولما بمعنى الا اى ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما فى قوله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تع ويرسل عليكم حفظه وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرى لما مخففه على ان ان مخففه من الثقيله واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف واللام هى الفارقه وما مزيده اى ان الشان كل نفس لعليها حافظ والفارق فى قوله تع فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان ما بين من ان كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان ان يتفكر فى مبدا فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملى على حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء دافق استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين فى الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترايب اى صلب الرجل وترايب المراه وهى عظام صدرها قالوا ان النطفه تتولد من فضل الهضم الرابع وينفصل عن جميع الاعضا حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويورث الافراط فى الجماع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيره نازلة الى الترايب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرى الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هى صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اى ان ذلك الذى خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه اى اعادته بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السراير اى تتعرف وتتصفح ما اسر فى القلوب من العقايد والنيات وغيرها وما اخفى من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وخبث وهو ظرف لرجعه فما له اى للانسان من قوة فى نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره والسماء ذات الرجع اى المطر سمى رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او اراد وابذلك التفول ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض من النبات او مصدر من المبنى للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القران الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما فى انفسهما من شواهده وهو السر فى التعبير عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواقع من التنزيل لا فى تشققها بالعيون انه اى القران الذى من جملته ما تلى من الايات الناطقه بمبدا حال الانسان ومعاده لقول فصل اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كانه نفس الفصل وما هو بالهزل ليس فى شئ منه شايبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة انهم

اى اهل مكة يكيدون فى ابطال امره واطفاء نوره كيدا حسبما تفى به قدرتهم واكيد كيدا اى اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون فمهل الكافرين اى لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك او لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدى لمكايدتهم قطعا وقوله امهلهم بدل من مهل وقوله تع رويدا اما مصدر موكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا اى قريبا كما قاله ابن عباس رضى الله عنه او قليلا كما قاله قتاده قال ابو عبيده هو فى الاصل تصغير رود بالضم وانشد كانها تمشى على رود اى على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله فى الاستعمال وجهان اخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اى متمهلين وفى ايراد البدل بصيغه لا يحتمل التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه عليه السلام من قرا سورة الطارق اعطاه الله تع بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

سورة الاعلى تسع عشرة آية مكية

سبح اسم ربك الاعلى اى نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزايغه وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرى سبحان ربى الاعلى وفى الحديث فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت الذى خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اى خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى والذى قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا الحال ما بعده اى قدر اجناس الاشيا وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها فهدى اى فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له طبعا واختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلايل وانزال الايات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرايت فى كل منها ما يحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك عينها بورقها وترجع باصره باذن الله عز وجل ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما تخرج فضلات ما ياكله من فمه حيث قيض الله تعالى له طايرا قد جعل غذاه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطاير فياكل ما فيه وقد خلق الله تعالى من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا واما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسميه ومن حيث الحيوانيه لا سيما من حيث الانسانيه فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا اللطيف الخبير والذى اخرج المرعى اى انبت ما يرعاه الدواب غضا طريا يرف

فجعله بعد ذلك غثاء احوى اى دريناً اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة
الخضرة والرى فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى
الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته العامه لكافة مخلوقاته وهى هدايته تعالى
عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القران الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس
اجمعين والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحى اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك
فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء اى سنقرئك ما نوحى اليك الآن وفيما بعد على
لسان جبريل او سنجعلك قارئاً بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امى لا تدرى
ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك اية اخرى لك مع ما فى تضاعيف ما تقرؤه من الايات البينات
من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنس نهى والالف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله
واضلونا السبيلا وقوله تع الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى لا تنسى مما تقرؤه
شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية
المهابة والايذان بدوران المشية المستتبعة لساير الصفات وقيل المراد به النسيان فى الجملة على
القلة والندرة كما روى انه عليه السلام اسقط اية فى قراءته فى الصلاة فحسب ابى انها نسخت فسأله
فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفى النسيان راسا فان القلة قد تستعمل فى النفى فالمراد بالنسيان
حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفى راسا لا ما قد ينسى ثم يذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما
قبله اى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التى من جملتها ما اوحى اليك فينسى ما يشاء انساءه ويبقى محفوظا
ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على نقرئك كما ينبئ عنه الالتفات
الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع الشايع تعليقه
بالامور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى ويسر لى امرى للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى و
التصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه عليه السلام جبل عليها كما فى قوله عليه السلام
اعملوا فكل ميسر لما خلق له اى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من ابواب الدين
علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة
السمحة والنواميس الالهيه مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء فى
قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما
فى تضاعيفه من الاحكام الشرعيه كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير
بنفع الذكرى لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود
ويتجاوز فى الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه
السلام بان يخص التذكير بمواد النفع فى الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر
ولا يتعب نفسه فى تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى
فذكر بالقران من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم
واستبعاد لتاثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ المكاسين ان سمعوا
منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تع سيذكر من يخشى اى سيتذكر بتذكيرك من من
شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى فى الجملة فيزداد بالتذكير فيتفكر فى امر ما تذكر

به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما فى قوله تع وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اى اذ كنتم
وقيل هى بمعنى ما اى فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف
والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجانى
والزهراوى ويتجنبها اى الذكرى الاشقى من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم
وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعه الذى يصلى النار الكبرى اى الطبقة السفلى من
طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين
جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها حتى يستريح ولا يحيى حيوة تنفعه وثم للتراخى فى مراتب الشدة لان
التردد بين الموت والحياة افظع من الصلى قد افلح اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اى
تطهر من الكفر والمعاصى بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء
وقيل تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى
فى الاخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه
فصلى اقام الصلوات الخمس كقوله تع اقم الصلوة لذكرى اى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى
اى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اى كبر يوم العيد فصلى اى صلوته بل تؤثرون الحياة الدنيا
اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يودى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون
اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو
الرضا والاطمينان بها والاعراض عن الاخرة بالكليه كما فى قوله تع ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا
بالحياة الدنيا واطمانوا بها الآية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس
غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة فى السعى وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد
التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة ولتشديد العتاب فى حق المسلمين وقرى يؤثرون بالياء وقوله تع
والاخرة خير وابقى حال من فاعل تؤثرون موكدة للتوبيخ والعتاب اى تؤثرونها على الاخرة والحال
ان الاخرة خير فى نفسها لما ان نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة خالص عن شايبة الغائلة ابدى
لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره
ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تع قد افلح من تزكى وقيل الى ما فى السورة جميعا لفى الصحف الاولى
اى ثابت فيها معناه صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفى ابهامها ووصفها بالقدم ثم
بيانها وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى روى ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة
كتب انزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفه وعلى ادريس ثلثين صحيفه وعلى
ابرهيم عشر صحايف عليهم السلام والتورية والانجيل والزبور والفرقان عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تع على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم



هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية قال قطرب اى قد
جاءك يا محمد حديث الغاشيه وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى استماعه

والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان تتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل
حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي
القيمة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار
وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها
بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة الى قوله تعالى مبثوثة استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشا من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته عليه السلام ما اتاني حديثها
ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن اتاه عليه السلام
حديثها فاخبره عليه السلام عنها فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتدا ولا باس بتنكيرها لانها في
موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها
اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل
والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ
في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة وقوله تعالى تصلى اي تدخل
نارا حامية اي متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد عرفت
ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له
ولا ريب في ان تصلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية في الانتساب الى الوجوه
معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا
للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استينافا مبينا لتفاصيل احوالها
تسقى من عين آنية اي متناهية في الحر كما في قوله وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم
اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم
قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون
الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين لآخرين
لا يسمن ولا يغني من جوع اي ليس من شانه الاسمان والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء
يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا
انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق
ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشاة من حالة عارضة للانسان
عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما
عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا
عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف
يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل
واستغناء به عن الغير او استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع
بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي
وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتاخير نفي الاغناء منه لمراعاة
الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة

استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتاكيد النفي وقوله تعالى وجوه
يومئذ ناعمة شروع في رواية حديث اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل في تهويل
الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد
المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايذانا بكمال
تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة
لسعيها راضية اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة عالية مرتفعة
المحل او علية المقدار لا تسمع اي انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو
فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية
فيها عين جارية اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة رفيعة
السمك او المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اي بين ايديهم ونمارق
وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي اي بسط فاخرة جمع زربية
مبثوثة اي مبسوطة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت استيناف مسوق لتقرير ما فصل
من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا
يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف
منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على
انها بدل اشتمال من الابل اي اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من
قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف
خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها
وعجيب هيآتها اللائقة بتاتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر
الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ العشر
فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر
البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها
في ذلك كيف ما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير والى السماء التي يشاهدونها كل لحظة
بالليل والنهار كيف رفعت رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك
والى الجبال التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها كيف نصبت نصبا رصينا
فهي راسخة لا تميل ولا تميد والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا
بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت
مشددا وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى
افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث
والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان
والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم
النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى
انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اي

لست عليهم بجبرهم على ما تريد كقوله تع وما انت عليهم بجبار وقرى بالسين على الاصل وبالاشمام و
قرى بفتح الطاء قيل هي لغة بني تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تع الا من
تولى وكفر استثناء منقطع اى لكن من تولى منهم فان الله تعالى الولاية والقهر فيعذبه الله
العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء متصل من قوله تعالى فذكر اى فذكر
الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول
انه قرى الا على التنبيه وقوله تعالى ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تع بالعذاب الاكبر اى ان الينا
رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده
باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرى ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل
من الاياب او فعال من اوب كفتار من فسر ثم قيل اِيوابا كديوان في دوان ثم قلبت الواو ياء
فادغمت الياء الاولى في الثانية ثم ان علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة
لا في الزمان فان الترتب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى فانهما امران
مستمران وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الاولى بكلمة ثم المفيد لبعد منزلة
الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية يحاسبه الله تع حسابا يسيرا

سورة الفجر ثلثون اية مكية

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته وليال
عشر هن عشر ذي الحجه ولذلك فسر الفجر بفجر عرفه او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها
للتفخيم وقرى وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اى الاشياء كلها
شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما
بيوم النحر ويوم عرفه ولقد كثرت فيهما الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرى بكسر الواو
وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الرحل وقرى والوتر بفتح الواو وكسر
التاء والليل اذا يسر اى يمضي كقوله تع والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من
الوضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اى صلى فيه
وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرى باثباتها على الاطلاق وبحذفها في الوقف خاصه وقرى يسر
بالتنوين كما قرى والفجر والوتر وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق هل في ذلك قسم
الخ تحقيق وتقرير لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال
عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يوكد به الاخبار على طريقة
قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتاويل
ما ذكر كما مر تحقيقه او الى الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة
المشار اليه وبعد منزلته في الشرف والفضل اى هل فيما ذكر من الاشياء قسم اى مقسم به لذي
حجر يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه
الطريقة هضما للحق وايذانا بظهور الامر وهل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول

عند

الثانية علي

عنده يعتد به ويفعل مثله ويوكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت
فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال
الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن
كما ينبئ عنه قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد الخ فانه استشهاد بعلمه عليه السلام
بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد على
طريقة قوله تع الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الاية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه
قيل الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظايرهم فسيعذب هولاء ايضا لاشتراكهم فيما
يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم
هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى بتقدير
مضاف اى سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها ويويده
القراءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقرى ارم باسكان الراء تخفيفا
كما قرى بورقكم ذات العماد صفة لارم اى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة
ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل
عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرى ارم ذات العماد باضافة
ارم الى ذات العماد والارم العلم اى بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرى
ارم ذات العماد اى جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت
بين الموصوف والصفه وروى انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في
بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضه واساطينها
من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناوها سار اليها باهل
مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تع عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله
ابن قلابه انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمه وبلغ خبره معاويه فاستحضره
فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابه فقال
هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم اى لم يخلق مثلهم في عظم
الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها
على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرى لم يخلق على اسناده الى الله تعالى
وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم
ابن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون
الاصنام كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر
كقوله تع وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة
مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها
في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب

او مرفوع على الذم اى طغا كل طايفة منهم فى بلادهم وكذا الكلام فى قوله تع فاكثروا فيها الفساد
اى بالكفر وساير المعاصى فصب عليهم اى انزل انزالا شديدا على كل طايفه من اوليك الطوايف
عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد ربك سوط عذاب اى عذاب شديدا لا يدرك
غايته وهو عبارة عما حل بهم من فنون العذاب التى شرحت فى ساير السور الكريمه وتسميته سوطا
للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم فى الاخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن
انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شى مايع او جار مجراه
فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من
ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشى المصبوب
وقيل السوط خلط الشى بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصيب
وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ فى تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار
تكرر تعلقه بالمعذب كما فى المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعانى مما يقبل الاستمرار فى نفسه
وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم
مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبيه مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان يترقب فيه الرصد
مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه
وقوله تعالى فاما الانسان الخ متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده
ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره
الدنيا ولذايذها اذا ما ابتلاه ربه اى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفا فى
قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيريه فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء فيقول ربى اكرمن
اى فضلنى بما اعطانى من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل عليه ليبلوه
ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدا الذى هو الانسان والفا لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط
على نية التاخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربى اكرمن وقت ابتلايه بالانعام وانما تقديمه
للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى واما اذا ما
ابتلاه اى واما هو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه مشيته المبنية على
الحكم البالغة فيقول ربى اهانن ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من
الاهانة فى شى بل التقتير قد يودى الى كرامة الدارين والتوسعه قد تفضى الى خسرانهما وقرى
فقدر بالتشديد وقرى اكرمنى واهاننى باثبات اليا واكرمن واهانن بسكون النون فى الوقف
كلا ردع للانسان عن مقالته المحكيه وتكذيب له فى كلتا الحالتين قال ابن عباس رضى الله عنه
المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته على ولم ابتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع
والتكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله تع بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى
بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقه لمشافهته
بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتاكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اى بل لكم
احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تودون

ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرى لا يكرمون ولا تحاضون بحذف احدى التائين من
تتحاضون اى لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اى على اطعامه وقرى تحاضون من المحاضة
وقرى تحضون بالياء والتاء وتاكلون التراث اى الميراث واصله وراث اكلا لما اى ذا لم
اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم او ياكلون
ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره
وقرى ويحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله تع اذا دكت الارض دكا دكا الخ استيناف
جى به بطريق الوعيد تعليلا للردع اى اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما
على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع
بالبسط والتسويه فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسويه ولم يبق على وجهها شى حتى صارت
كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانيه وجاء ربك اى ظهر
آيات قدرته واثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته وسياسته
وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا اى مصطفين
او ذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملايكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم
ومراتبهم محدقين بالجن والانس وجى يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود
ومقاتل يقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب
عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا يومئذ بدل
من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة
آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم فى النشاة الاخرة فيبرز كل من الحسنات
والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحه او يتعظ وقوله تعالى وانى له الذكرى اعتراض
جى به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقه لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه فى اوانه وانى خبر مقدم والذكرى
مبتدا وله متعلق بما تعلق به الخبر اى ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك
مضاف محذوف اى وانى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبه
فى دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبه فى شى فانه عالم بانها انما تكون فى الدنيا
كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتنى قدمت لحياتى وهو بدل اشتمال من يتذكر او استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشا منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتنى عملت لاجل حياتى
هذه او وقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس فى هذا التمنى شايبة دلالة على
استقلال العبد بفعله وانما الذى يدل عليه ذلك اعتقاده كونه متمكنا من تقديم الاعمال
الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا
واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفى
الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الاخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اى
طرف كان من افعاله الاختياريه لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجه فيومئذ
اى يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاهوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء
لله تعالى اى لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اى لا يعذب

احد من الزبانيه مثل ما يعذبونه وقرى الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل
المراد به ابى بن خلف اى لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه
فى الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمان بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمان
بالدنيا وصفت بالاطمينان لانها تترقى فى معارج الاسباب والمسببات الى المبدا الموثر
بالذات فتستقر دون معرفته وتستغنى به فى وجودها وساير شونها عن غيرها بالكليه وقيل
هى النفس المومنة المطمينة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هى الآمنه
التى لا يستفزها خوف ولا حزن ويويده انه قرى يا ايتها النفس الآمنة المطمينه اى يقول الله تعالى
ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام او على لسان الملك عند تمام الحساب وهو الاظهر وقيل
عند البعث وقيل عند الموت ارجعى الى ربك اى الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت
من النعيم المقيم مرضيه عند الله عز وجل فادخلى فى عبادى فى زمرة عبادى الصالحين المختصين
وادخلى جنتى معهم او انتظمى فى سلك المقربين واستضيى بانوارهم فان الجواهر القدسيه كالمرايا
المتقابله وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى
وهذا يويد كون الخطاب عند البعث وقرى فادخلى فى عبدى وقرى فى جسد عبدى وقيل نزلت
فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى رضى الله عنهما والظاهر العموم عن النبى عليه السلام
من قرا سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قراها فى ساير الايام كانت له نورا يوم القيمه

سورة البلد عشرون آية مكية

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا بمقاساة
الشدايد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد
اما لتشريفه عليه السلام بجعل حلوله عليه السلام به مناطا لاعظامه بالاقسام او للتنبيه
من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال
وبيان انه عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه فى هذا البلد الحرام وتعرضوا
له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة و
يستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته عليه السلام بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به فى
المستقبل كما فى قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل وقد كان كذلك
حيث احل له عليه السلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عليه السلام
فيها ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبه ومقيس بن صبابه وغيرهما
وحرم دار ابى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى ان تقوم
الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى
خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه
لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر ووالد عطف على هذا البلد والمراد به

ابرهيم ويقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبى صلوات الله عليهم اجمعين حسبما ينبئ عنه المعطوف
عليه فانه حرم ابرهيم ومنشا اسمعيل ومسقط راس رسول الله عليهم السلام والتعبير عنهما بما دون
من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق
فى حالتى الوالديه والولديه وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله
للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد منه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده لقد
خلقنا الانسان فى كبد اى تعب ومشقه فانه لا يزال يقاسى فنون الشدايد من وقت نفخ الروح الى
حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم
اتسع فيه حتى استعمل فى كل نصب ومشقه ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه
وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير فى قوله تعالى
ايحسب لبعضهم الذى كان عليه السلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه
وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحى وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظى
فيقوم عليه ويقول من ازالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعا ولا تزل قدماه اى ايظن
هذا القوى المارد المتضعف للمومنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففه من ان واسمها الذى
هو ضمير الشان محذوف اى ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا
يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر ايحسب
ان لم يره احد حين كان ينفق وانه تعالى لا يساله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما
ولسانا يترجم به عن ضمايره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب
وغيرها وهديناه النجدين اى طريقى الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم
العقبه اى فلم يشكر تلك النعم الجليله بالاعمال الصالحه وعبر عنها بالعقبة التى هى الطريق فى
الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادريك ما العقبه اى اى شى اعلمك ما اقتحام العقبه
لزيادة تقريرها وكونها عند الله عز وجل بمكانة رفيعه فك رقبه اى هو اعتاق رقبه او
اطعام فى يوم ذى مسغبه اى مجاعة يتيما ذا مقربة اى قرابة او مسكينا ذا متربة اى افتقار
وحيث كان المراد باقتحام العقبه هذه الامور حسن دخول لا على الماضى فانها لا تكاد تقع الا
مكررة اذ المعنى فلا فك رقبه ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبه والمقربه والمتربه مفعلات
من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرى فك رقبة او اطعم على الابدال
من اقتحم ثم كان من الذين امنوا عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان ورفعة
محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اى اوصى بعضهم بعضا
بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمه بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات
اوليك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد اليه للايذان ببعد درجتهم فى الشرف والفضل اى اوليك الموصوفون بالنعوت الجليله
المذكورة اصحاب الميمنه اى اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من
كتاب وحجة او بالقران هم اصحاب المشامه اى الشمال او الشوم عليهم نار موصدة مطبقه
من اصدت الباب اذا طبقته واغلقته وقرى موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبى عليه السلام

من قرأ سورة لا اقسم اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمه

سورة الشمس خمس عشرة آية مكية

والشمس وضحاها ای ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقیل الضحوة ارتفاع النهار والضحی فوق
ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ینتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها
وقیل اذا تلا طلوعه طلوعها وقیل اذا تلاها فی الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها
ای جلی الشمس فانها تنجلی عند انبساط النهار فكانه جلیها مع انها التی تبسطه او جلی الظلمة او الدنیا
او الارض وان لم یجر لها ذكر للعلم بها والیل اذا یغشاها ای الشمس فیغطی ضوءها او الافاق او
الارض وحیث كانت الواوات العاطفه نوایب للواو الاولی القسمیه القایمة مقام الفعل
والباء سادة مسدهما معا فی قولك اقسم بالله حقق ان یعملن عمل الفعل والجار جمیعا كما تقول
ضرب زید عمروا وبكر خالدا والسماء وما بناها ای ومن بناها وایثار ما علی من لارادة
الوصفیه تفخیما كانه قیل والقادر العظیم الشان الذی بناها وجعلها مصدریه مخل بالنظم
الكریم وكذا الكلام فی قوله تع والارض وما طحاها ای بسطها من كل جانب كدحاها ونفس
وما سواها ای انشاها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكیر للتفخیم علی ان المراد نفس آدم علیه
السلام او للتكثیر وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها ای افهمها ایاهما وعرفها
حالهما من الحسن والقبح وما یودی الیه كل منهما ومكنها من اختیار ایهما شائت وتقدیم الفجور
لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها ای فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها
بالتقوی وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكریر قد فی قوله تع وقد خاب من
دساها لابراز الاعتناء بتحقیق مضمونه والایذان بتعلق القسم به ایضا اصالة ای خسر من نقصها
واخفاها بالفجور واصل دسی دسس كتقضی وتقضض وقیل هو كلام تابع لقوله تعالی فالهمها فجورها
وتقواها بطریق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تعویلا علی دلالة قوله تع كذبت ثمود
بطغواها علیه كانه قیل لیدمدمن الله تعالی علی كفار مكة لتكذیبهم رسول الله علیه السلام كما
دمدم علی ثمود لتكذیبهم صالحا علیه السلام وهو علی الاول استیناف وارد لتقریر مضمون قوله
وقد خاب من دساها والطغوی بالفتح الطغیان والباء للسببیه ای فعلت التكذیب بسبب
طغیانها كما تقول ظلمنی بجرائته علی الله تعالی او صلة للتكذیب ای كذبت بما اوعدت به من العذاب
ذی الطغوی كقوله تعالی فاهلكوا بالطاغیه وقری بطغواها بضم الطاء وهو ایضا مصدر كالرجعی
اذ انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوی ای حین قام اشقی ثمود وهو قدار بن سالف
او هو ومن تصدی معه لعقر الناقة من الاشقیاء فان افعل التفصیل اذا اضیف یصلح للواحد
والمتعدد والمذكر والمونث وفضل شقاوتهم علی من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل فی
الرضی به فقال لهم ای لثمود رسول الله ای صالح علیه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ایذانا
بوجوب طاعته وبیانا لغایة عتوهم وتمادیهم فی الطغیان وهو السر فی اضافة الناقة الیه تعالی
فی قوله تع ناقة الله ای ذروا ناقة الله وسقیاها ولا تذودوها عنها فی نوبتها فكذبوه ای
فی وعیده بقوله تعالی ولا تمسوها بسوء فیاخذكم عذاب الیم وقد جوز ان یكون ضمیر لهم للاشقین

ولا یلایمه ذكر سقیاها فعقروها ای الاشقی والجمع علی تقدیر وحدته لرضی الكل بفعله وقال
قتاده بلغنا انه لم یعقرها حتی تابعه صغیرهم وكبیرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها
اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس فدمدم علیهم ربهم فاطبق علیهم العذاب وهو
من تكریر قولهم ناقة مدمومه اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم والتصریح بذلك
مع دلالة الفاء علیه للانذار بعاقبة الذنب لیعتبر به كل مذنب فسواها ای الدمدمة بینهم
لم یفلت منهم احد من صغیر او كبیر او فسوی ثمود بالارض او سواها فی الاهلاك ولا یخاف
عقباها ای عاقبتها وتبعتها كما یخاف سایر المعاقبین من الملوك فیبقی بعض الابقاء وذلك
انه تعالی لا یفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا یخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف
والواو للحال او للاستیناف وقری فلا یخاف وقری ولم یخف عن رسول الله صلی الله علیه وسلم
من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت علیه الشمس والقمر

سورة اللیل احدی وعشرون آیة

واللیل اذا یغشی الشمس كقوله تعالی واللیل اذا یغشاها او النهار او كل ما یواریه بظلامه والنهار
اذا تجلی ظهر بزوال ظلمة اللیل او تبین وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثی ای
والقادر العظیم القدرة الذی خلق صنفی الذكر والانثی من كل ماله توالد وقیل هما آدم وحوا وقری
والذكر والانثی وقری والذی خلق الذكر والانثی وقیل ما مصدریه ان سعیكم لشتی جواب
القسم وشتی جمع شتیت ای ان مساعیكم لاشتات مختلفه وقوله تعالی فاما من اعطی واتقی
وصدق بالحسنی الخ تفصیل لتلك المساعی المشتته وتبیین لاحكامها ای فاما من اعطی حقوق
ماله واتقی محارم الله التی نهی عنها وصدق بالخصلة الحسنی وهی الایمان او بالكلمة الحسنی وهی كلمة
التوحید او بالملة الحسنی وهی ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنی وهی الجنه فسنیسره للیسری
فسنهیئه للخصلة التی تودی الی یسر وراحة كدخول الجنة ومبادیه من یسر الفرس للركوب اذا
اسرجها والجمها واما من بخل ای بماله فلم یبذله فی سبیل الخیر واستغنی ای زهد فیما عند الله تع
كانه مستغن عنه فلم یتقه او استغنی بشهوات الدنیا عن نعیم الاخرة وكذب بالحسنی ای بما
ذكر من المعانی المتلازمه فسنیسره للعسری ای للخصلة المودیة الی العسر والشدة كدخول النار
ومقدماته لاختیاره لها ولعل تصدیر القسمین بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنی رتبة مما بعدهما
فی استتباع التیسیر للیسری والتیسیر للعسری للایذان بان كلا منهما اصیل فیما ذكر لا تتمة لما بعده
من التصدیق والتقوی والتكذیب والاستغناء وتفسیر الاول باعطاء الطاعة والثانی بالبخل
بما امر به مع كونه خلاف الظاهر یاباه قوله تعالی وما یغنی عنه ماله ای ولا یغنی او ای شیء
یغنی عنه ماله الذی یبخل به اذا تردی ای هلك تفعل من الردی الذی هو الهلاك او تردی فی
الحفرة اذا قبر او تردی فی قعر جهنم ان علینا للهدی استیناف مقرر لما قبله ای ان علینا بموجب
قضائنا المبنی علی الحكم البالغه حیث خلقنا الخلق للعباده ان نبین لهم طریق الهدی وما یودی الیه
من طریق الضلال وما یودی الیه وقد فعلنا ذلك بما لا مزید علیه حیث بینا حال من سلك كلا

الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن هنا تبين ان الهداية هي الدلاله على ما يوصل الى البغيه لا الدلالة
الموصلة اليها قطعا وان لنا للاخرة والاولى اى التصرف الكلي فيهما كيفما نشاء فنفعل فيهما ما
نشاء من الافعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل لنا كل ما في
الدنيا والاخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من
تتلظى اى تتلهب وقرى على الاصل لا يصليها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق
لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تع الذى كذب وتولى اى كذب بالحق واعرض عن الطاعه
وسيجنبها اى سيبعد عنها الاتقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها
او صليها الابدي واما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك
لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق الذى يوتي ماله يعطيه ويصرفه في
وجوه البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يوتي داخل في حكم الصلة لا محل له او في
حيز النصب على انه حال من ضمير يوتي اى يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء
ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استيناف مقرر لكون ايتايه للتزكي خالصا لوجه الله تع
اى ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافا فيقصد بايتاء ما يوتي مجازاتها وقوله تعالى
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرى بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه
الرفع اما على الفاعليه او على الابتداء ومن مزيده ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يوتي ماله الا
ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة والايات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى
بلالا في جماعة كان يوذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او اميه
ابن خلف وقد روى عطا والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم انه عذب المشركون بلالا وبلال
يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رضي
ان بلالا يعذب في الله فعرف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى
به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر
الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اى وبالله لسوف
يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضى وقرى يرضى
مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى
حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى احدى عشرة آية مكية

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم
فيها موسى عليه السلام والقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار
كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اى جنس الليل اذا سجى اى سكن
اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتاده ومقاتل وجعفر الصادق ان
المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى
ما ودعك ربك جواب القسم اى ما قطعك قطع المودع وقرى بالتخفيف اى ما تركك وما قلى

اى وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفي صدوره
الفعل عنه تعالى بالكليه مع ان فيه مراعاة للفواصل روى ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثنا كما مر في سورة الكهف او لزجره سايلا ملحا فقال المشركون
ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه السلام بالكرامة الحاصلة و
المترقبه كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى انه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في
الدنيا بشر عليه السلام بان ما سيوتيه في الاخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللاخرة خير لك
من الاولى لما انها باقيه صافيه عن الشوايب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي
عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في
الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه عند ما اعد له عليه السلام في الاخرة
من السبق والتقدم على كافة الانبيا والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته
شهدا على ساير الامم ورفع درجات المومنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات
السنيه التي لا يحيط بها العبارة بمنزله بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالاخرة
عاقبة امره عليه السلام اى لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتصاعد رفعة وقوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمه شاملة لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس
وعلوم الاولين والاخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه السلام وفي
ايام خلفايه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلاميه وفشو الدعوه والاسلام في مشارق
الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات السنيه التي لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبا
ابن عباس عن شمة منها حيث قال له عليه السلام في الجنه الف قصر من لولو ابيض ترابه المسك
واللام للابتداء دخلت الخبر لتاكيد مضمون الجمله والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف
يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل الا على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف
للدلالة على ان الاعطاء كاين لا محاله وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين
نون التاكيد قد استثنى منها النحاة صورتين احديهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس
كهذه الايه وكقولك والله لساعطيك والثانيه ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تع لالى الله
تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقايم بل هي التي
في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذا اللام في
قوله تعالى وللاخرة الخ وقوله تع الم يجدك يتيما فاوى تعديد لما افاض عليه عليه السلام من
اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود
فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك
الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روى
ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه
ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواوه وقرى فاوى وهو اما من اواه
بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تع ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق

كما اشير اليه او الى المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فآوى ووجدك
غافلا عن الشرايع التى لا يهتدى اليها العقول كما فى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب وقيل ضل فى
صباه فى بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه
فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادى من السماء يا معشر
الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه ولا يخذله وان محمدا بوادى تهامة عند شجر السمر فسار
عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبى صلى الله عليه وسلم قايم تحت شجرة يلعب بالاغصان
والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب
وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته فى ليلة ظلماء
فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة
فهدى فهداك الى مناهج الشرايع المنطوية فى تضاعيف ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك
ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عايلا اى فقيرا وقرى عيلا وقرى
عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنايم
قال عليه السلام جعل رزقى تحت ظل رمحى وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر
فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرى فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه واما السايل فلا تنهر
فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابرهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا
الى الاخرة وقال ابرهيم النخعى السايل بريد الاخرة يجىء الى باب احدكم فيقول ابعثون الى اهليكم بشىء
وقيل المراد بالسايل ههنا الذى يسال عن الدين واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها
واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم
النعم المعدوده الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعايلا فآواك الله
وهداك واغناك فمهما يكن من شىء فلا تنس حقوق نعمة الله عليك فى هذه الثلاث واقتد
بالله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السايل وتفقده
بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد
اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام للضلال وتعليمه للشرايع والاحكام حسبما هداه الله
عز وجل وعلمه من الكتاب والحكم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله تعالى
فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل سايل ويتيم

سورة الانشراح ثمان آيات مكية

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرايرها من العلوم والادراكات
والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دايرة تصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية
وتحليتها بالكمالات الانسيه اى الم نفسحه حتى حوى عالمى الغيب والشهاده وجمع بين ملكتى
الاستفاده والافاده فما صدك الملابسة بالعلايق الجسمانيه عن اقتباس انوار الملكات
الروحانيه وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شئون الحق وقيل اريد به ما روى

ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او فى يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله
ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسمانى مما سيظهر له عليه السلام من الكمال
الروحانى والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكارى عن انتفايه للايذان بان ثبوته من
الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين
الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه عليه السلام ومصالحه مسارعة
الى ادخال المسرة فى قلبه عليه السلام وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده
فضل تمكن وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة
كانه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح
مع ان حقه التاخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان فى
وصفه نوع طول فتاخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اى حططنا
عنك عبئك الثقيل الذى انقض ظهرك اى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك
كما يسمع من الرحل المتداعى الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه
ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرايع او من تهالكه على
اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرايع وتمهيد عذره بعد
ان بلغ وبالغ وقرى وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرى وحللنا عنك وقرك ورفعنا
لك ذكرك بعنوان النبوة واحكامها اى رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى فى كلمة الشهادة
والاذان والاقامه وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملايكته وامر المومنين
بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله والكلام فى العطف وزيادة لك كالذى سلف
وقوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام
وللمومنين كانه قيل خولناك ما خولناك من جلايل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه
فان مع العسر يسرا كثيرا وفى كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجىء اليسر كانه مقارن للعسر ان مع
العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر آخر كثواب الاخرة كقولك
ان للصايم فرحة ان للصايم فرحة اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله
عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثانى عين الاول سواء كان
معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت
اى من التبليغ وقيل من الغزو فانصب فاجتهد فى العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم
السالفه ووعدناك من الآلاء الآنفه وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء وقيل
اذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك والى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسال
غيره فانه القادر على اسعافه لا غيره وقرى فرغب اى فرغب الناس الى طلب ما عنده عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الم نشرح لك فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

سورة التين ثمان آيات مكية

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما
لاختصاصهما بخواص جليله فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء
كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن
ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر انه اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه
وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنه لقلت هذا لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها
تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو
امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع
مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل
ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول
هو سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا
وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال
الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق
والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس
وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس
التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك
التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم
الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابرهيم النخعي وعطا
وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين هو الجبل الذي ناجى [illegible] زيتونكم الذي تعصرون
عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون
كيبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابيه
وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها
انما تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه
لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن ووجه الاقسام بهاتيك
البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين لقد خلقنا الانسان
اي جنس الانسان في احسن تقويم اي كائنا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى
حيث براه الله تعالى مستوي القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحيوة والعلم والقدرة والارادة
والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذجات من الصفات السبحانية وآثار
لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبني عليه
تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة في
البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيف ماشات فاذا ارادت
فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقيه الى ما في القلب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها
واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم المجردات القائم روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما في الشرايين

من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك
من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة
فمن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب
العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا منه يفعل فيه ما
يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شؤونهم بما ذكر من الارواح
والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة للعالم الكبير وانموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه
اسفل سافلين اي جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه
على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل رددناه
الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في
الخلق وايا ما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او
صفة لمكان محذوف اي رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى
الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم
على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم
او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المومنين عن حكم
الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول عليه السلام
اي فاي شي يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلايل الناطقة به وقيل ما بمعنى من
وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا
بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان من نطفة بشرا سويا وتحويله
من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلايل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاي شي
يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان اليس الله باحكم
الحاكمين اي اليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث
استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي
وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها
يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه عليه السلام من قرا سورة والتين اعطاه الله تعالى
الخصلتين العافية واليقين ما دام في الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قراها من السورة

سورة العلق تسع عشرة آية مكية

اقرا اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك
ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم
اول ما نزل عليه عليه السلام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق
بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرا ملتبسا باسمه تعالى اي مبتديا به لتحقق مقارنته لجميع اجزاء

المقروء والتعرض لعنوان الربوبيه المنبئة عن التربيه والتبليغ الى الكمال اللايق شيا فشيا مع
الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات
البشريه بانزال الوحى المتواتر ووصف الرب بقوله الذى خلق لتذكير اول النعماء الفايضة عليه
منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات
العلميه والعمليه من مادة لم تشم رايحة الحياة فضلا عن ساير الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى
العالم المتكلم اى الذى انشا الخلق واستاثر به او خلق كل شئ وقوله تعالى خلق الانسان على
الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين خلق ساير المخلوقات لاستقلاله ببدايع الصنع والتدبير
وعلى الثانى افراد للانسان من بين ساير المخلوقات بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل
وهو المامور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول
الابهام ثم التفسير وما التفخيم فطرته وقوله تعالى من علق اى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى
باظهار ما بين حالته الاولى والاخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان فى
معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين ساير اطوار الفطرة الانسانية
مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما
كان خلق الانسان اول النعم الفايضة عليه منه تع واقدم الدلايل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته
وعلمه وحكمته وصف ذاته تع بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تع له من القراءة ثم
كرر الامر بقوله تعالى اقرا اى افعل ما امرت به تاكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى
وربك الاكرم الخ فانه كلام مستانف وارد لازاحة ما ابينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام
ما انا بقارئ يريد ان القراءة شان من يكتب ويقرا وانا امى فقيل له وربك الذى امرك بالقراءة مبتديا
باسمه هو الاكرم الذى علم بالقلم اى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارى بواسطة الكتابة
والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اى علمه به
وبدونه من الامور الكليه والجزئيه والجليه والخفيه ما لم يخطر بباله وفى حذف المفعول اولا
وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تع وكمال كرمه والاشعار بانه تع
يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه
وان لم يسبق ذكره للمبالغة فى الزجر وقوله تع ان الانسان ليطغى اى ليجاوز الحد ويستكبر على
ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى اخر السورة نزل فى ابى جهل بعد زمان وهو الظاهر
وقوله تعالى ان راه استغنى مفعول له اى يطغى لان راى نفسه مستغنيا على ان استغنى
مفعول ثان لراى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما فى علمتنى وان
جوز بعضهم فى الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عايشه رض لقد رايتنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما
ينبئ عنه قوله تع ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد
روى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة
فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال
ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المايدة فكف رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تع ان الى ربك الرجعى تهديد للطاغى وتحذير له من عاقبة
الطغيان والالتفات للتشديد فى التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم
الجار والمجرور عليه للقصر عليه اى ان الى مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره
استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تع ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى
تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من
يتاتى منه الرويه ويقضى منها العجب روى ان ابا جهل قال فى ملاء من طغاة قريش لئن رايت
محمدا يصلى لاطان عنقه فراه عليه السلام فى الصلاة فجاء ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك فقال
ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم
واستعظام النهى وتاكيد التعجيب منه والرويه ههنا بصريه واما ما فى قوله تع ارايت ان كان
على الهدى او امر بالتقوى وما فى قوله تع ارايت ان كذب وتولى فقلبيه معناه اخبرنى
فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئى اجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن
متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط
المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل
فان ذلك ليس فى حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التى هى كونها امرا بالتقوى وتكذيبا
وتوليا كما فى قوله تع قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لارايت محذوف
وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثانى سد مسده الجملة الشرطيه
بجوابها المحذوف فان المفعول الثانى لارايت لا يكون الا جملة استفهاميه او قسميه والمعنى
اخبرنى ذلك الناهى ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او امرا بالتقوى فيما
يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا بالحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن الم
يعلم بان الله يرى اى يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجترا على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولى
بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستانف ولم ينظما فى سلك الشرط
الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع فى نفس الامر وباستتباع الوعيد
الذى ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر فى حيز الشرط لتوسيع الداير
وهو السر فى تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانيه هذا وقد قيل
ارايت الاول بمعنى اخبرنى مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثانى الشرطيه الاولى بجوابها
المحذوف لدلالة جواب الشرطيه الثانيه عليه وارايت فى الموضعين تكرير للتاكيد ومعناه
اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله تع عن صلاته ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى
من عبادة الله تعالى او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد
وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع
على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتامل وقيل المعنى ارايت الذى ينهى عبدا
يصلى والمنهى على الهدى امر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثانى
للكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى وكانه قال يا كافر
اخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تع امرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف

كان ينهى سلمان عن الصلاة كلا ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى لئن لم ينته موطية للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعن بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما لصاحبه وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كامسي واصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع بعد ردع وزجر اثر زجر لا تطعه اي دم على ما انت عليه من معاصاته واسجد وواظب على سجودك وصلوتك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر خمس آيات مكية

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشان القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تاكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شان ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قرآن فالانسب ان يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تحريض من يريدها

للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على ساير الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل اري النبي صلى الله عليه وسلم اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لساير الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها استيناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبا ما قيل في شان الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة اي تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره من كل امر اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه سلام هي اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة ثمان آيات مدنية

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم والمشركين اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال

وكادة وعدهم اى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى
تاتيهم البينه التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا
للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار
حال الحكاية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اى تلت وقوله تعالى رسول بدل من البينه
عبر عنه عليه السلام بالبينه للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين وقوله تعالى
من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول موكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتيه بالفخامة الاضافيه
اى رسول واى رسول كاين منه تع وقوله تعالى يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير فى متعلق
الجار صحفا مطهره اى منزهة من الباطل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه
غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله
فيها كتب قيمه صفة لصحفا او حال من ضميرها فى مطهره ويجوز ان يكون الصفة او الحال الجار و
المجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعليه ومعنى قيمه مستقيمه ناطقة بالحق والصواب وقوله تع
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصه وتغليظ جنايتهم
ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما فى الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين
الحال وانقطاع الاعذار بالكليه وهو السر فى وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من
مطالعته والاحاطة بما فى تضاعيفه من الاحكام والاخبار التى من جملتها نعوت النبى عليه السلام وقد افردهم
بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطايفتين ولما كان هولاء والمشركون باعتبار اتفاقهم
على الراى المذكور فى حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك
وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقى اهل الكتاب وايذانا بان
انفكاكهم عن الراى المذكور ليس بطريق الاتفاق على راى آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى
الا من بعد ما جاءتهم البينه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى وقت من الاوقات
الا بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود فى كتابهم دلالة
جليله لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تع
وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حاليه مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اى والحال انهم ما امروا بما امروا
فى كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اى الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا
ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اى جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تع
فى الدين حنفاء مايلين عن جميع العقايد الزايغة الى الاسلام ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة
ان اريد بهما ما فى شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان اريد ما فى شريعتنا فمعنى امرهم
بهما فى الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التى هما من جملتها وذلك اشارة
الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمه اى دين الملة القيمه وقرئ الدين القيمه على تاويل
الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمه حكاية لما كانوا يقولونه
قبل مبعثه عليه السلام من انهم لا ينفكون من دينهم الى مبعثه وبعيد ان ينفكوا منه حينيذ
ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم

الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم
انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى استغنى
فيستغنى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق
الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتى على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم
عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد
ما جاءتهم البينه واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف
وعاند كما جوزه القايل فلا فتامل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم بيان لحال
الفريقين فى الاخرة بعد بيان حالهم فى الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب
حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة فى الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها
يوم القيمه وايراد الجملة الاسميه للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل
ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصى عين النار الا انها
ظهرت فى هذه النشاة بصورة عرضيه وستخلعها فى النشاة الاخرة وتظهر بصورتها الحقيقيه
كما مر فى قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفى سورة الاعراف خالدين فيها حال من المستكن
فى الخبر واشتراك الفريقين فى دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافى تفاوت عذابهم فى
الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اوليك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه
من القبايح المذكوره وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم فى الشر اى اوليك البعداء
المذكورون هم شر البريه شر الخليقه اى اعمالا وهو الموافق لما سياتى فى حق المومنين فيكون فى حيز
التعليل لخلودهم فى النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تاكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالهمز على الاصل
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن احوال المومنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على
السنة القرآنيه من شفع الترهيب بالترغيب اوليك المنعوتون بما هو فى الغاية القاصيه من
الشرف والفضيلة من الايمان والطاعه هم خير البريه وقرئ خيار البريه وهو جمع خير نحو جيد وجياد
جزاوهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار ان
اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها
مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين
فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانيه والروحانيه وفى تقديم مدحهم بخيرية البريه وذكر
الجزاء المؤذن بكون ما منحوه فى مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان
الربوبيه المنبئة عن التربيه والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها
بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتاكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضى الله
عنهم استيناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا
من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها واتيح لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر ذلك اى ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشى ربه فان الخشيه التى هى من خصايص
العلماء بشون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلميه والعمليه المستتبعة للسعادة الدينيه والدنيويه
والتعرض لعنوان الربوبيه المعربة عن المالكيه والتربية للاشعار بعلة الخشيه والتحذير من الاغترار بالتربيه

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لم يكن كان يوم القيمه مع خير البرية مسارا ومقيلا

سورة الزلزال ثمان آيات مكية

اذا زلزلت الارض اى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشية الالهيه المبنيه على الحكم البالغه وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره او زلزالها الداخل فى حيز الامكان وقرى بفتح الزاء وهو اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجال والقلقال وذلك عند النفخة الثانيه لقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اى ما فى جوفها من الاموات والدفاين جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وللايماء الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان اى كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامه ويبهرهم من الداهية العامه مالها زلزلت هذه المرتبه الشديده من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهايل وقد سيرت الجبال فى الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مومنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المومن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اى يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبي عليه السلام انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرى تنبئ اخبارها وقرى تنبئ من الانباء بان ربك اوحى لها اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها او امره اياها بالتحدث على احد الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها بان التحدث يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اى يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر فى قوله تعالى فتاتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنه وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اى اجزية اعمالهم خيرا كان او شرا وقرى ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا وقرى يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء واياما كان فمعنى روية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الاولى مختصة بالسعداء والثانيه بالاشقيا كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيات المومن المجتنب عن الكباير مغفوره وما قيل من ان حسنة الكافر توثر فى نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى ساير الدلايل الناطقه بعفو صغاير المومن المجتنب عن الكباير واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى ليس من مومن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المومن فيغفر له سياته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته

تحسرا ويعاقب بسياته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القران كله

سورة العاديات احدى عشرة آية مكية

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اى تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اى ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى اى فالتى تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة فالمغيرات اسند الاغارة التى هى مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها وهى حال اهلها ايذانا بانها العمدة فى اغارتهم صبحا اى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما ياتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن به اى فهيجن بذلك الوقت نقعا اى غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل ولله در شان التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرى فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اى توسطن بذلك الوقت او توسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاآت للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما فى قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبه على الاغارة المترتبه على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اى لكفور من كند النعمه كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى وكان احد النقباء فابطا عليه عليه السلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبى صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ما هم فيه من الكنود وفى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد ارجف هولاء فى حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون فى الكفر ان وانه على ذلك اى وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد اى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل وانه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنايم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايفعل ما يفعل من القبايح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعثر من فى القبور من الموتى

وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرى بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنايهما للفاعل
وحصل اى جمل محصلا او ميز خيره من شره وقرى حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما فى
الصدور من الاسرار الخفيه التى من جملتها ما تخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال
ان ربهم اى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء
على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب فى قوله تعالى
وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب
بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هنالك بهم بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها
يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور لخبير اى عالم بظواهر ما
عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه
محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل
واللام غير مانعة من ذلك وقرا ابن السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله عليه السلام
من قرا سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة عشر آيات مكية

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهى القيمة التى مبدؤها
النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر فى سورة التكوير سميت بها لانها تقرع
القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلويه والسفليه من حال الى
حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال
بالدك والنسف وهى مبتدا خبره قوله تعالى ما القارعة على ان ما الاستفهاميه خبر والقارعة
مبتدا لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب فى ان مدار افادة الهول
والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة اى اى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر
موضع الضمير تاكيدا للتهويل وقوله تعالى وما ادريك ما القارعة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان
خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى ان عظم شانها ومدى شدتها بحيث لا يكاد تناله دراية
احد حتى يدريك بها وما فى حيز الرفع على الابتدا وادريك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا
وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء
كما فى قوله تعالى ولا ادريكم به فلما وقعت الجملة الاستفهاميه معلقة له كانت فى موقع
المفعول الثانى له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدا الاول اى
واى شئ اعلمك ما شان القارعة ولما كان هذا مبنيا من الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح
لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راى الكوفيين اى هى يوم يكون الناس فيه كالفراش
المبثوث فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى كتطاير الفراش الى النار او
منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم

يوم يكون

يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هى هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة اى
تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره ستاتيكم القارعة يوم يكون الخ وتكون الجبال كالعهن المنفوش
اى كالصوف الملون بالالوان المختلفه المندوف فى تفرق اجزايها وتطايرها فى الجو حسبما نطق به قوله
تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية
عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هياتها ويسير الجبال عن مقارها على ما
ما ذكر من الهياة الهايلة ليشاهدها اهل المحشر وهى وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن
تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسئلونك عن
الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون
الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان
اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث
قطعا وقد مر تمام الكلام فى سورة النمل وقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه الخ بيان اجمالى
لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصه بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة
للكل والموازين اما جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفرا واما جمع ميزان
قال ابن عباس انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قال توضع فيه صحايف
الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدله وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى
والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين قالوا ان الميزان لا
يتوصل به الا الى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التى هى اعراض
منقضيه وقيل ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشاة بصور عرضيه تبرز فى النشاة الاخرة بصور
جوهريه مناسبة لها فى الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضه انه يؤتى بالاعمال الصالحة على
صور حسنه وبالاعمال السيئه على صور قبيحه فتوضع فى الميزان اى فمن ترجحت مقادير حسناته
فهو فى عيشة راضية اى ذات رضى او مرضيه واما من خفت موازينه بان لم يكن لها حسنة
يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه اى فماواه هاوية هى من اسماء النار سميت بها
لغاية عمقها وبعد مهواها روى ان اهل النار يهوون فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب
الاسفل منها وعبر عن المأوى بالام لان اهلها ياوون اليها كما ياوى الولد الى امه وعن قتاده
وعكرمه والكلبى ان المعنى فام راسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق
لقوله تعالى وما ادريك ماهيه نار حاميه فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها
عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهى ضمير الهاويه والهاء للسكت واذا وصل القارى حذفها
وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمه

سورة التكاثر ثمان آيات مكية

الهيكم التكاثر اى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا

وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا
واعز عزا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا
بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى زرتم المقابر اي حتى اذا
استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور
تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك
وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا
معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرى الهاكم على
الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا
على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم
كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او
في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين
اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى
لترون الجحيم جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه
تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او
المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين
فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسالن يومئذ عن النعيم اي عن النعيم الذي الهاكم
الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص لمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم
يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل
نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو
من ذلك بمعزل بعيد وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرا الف اية

سورة العصر ثلاث آيات مكية

والعصر اقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب
كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على ساير الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور
القار والمار ان الانسان لفي خسر اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في
مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجارة لن تبور
حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات
الرايحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى وتواصوا
بالحق الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره
ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله
في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر اي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى

الطاعات التي يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع
اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي
فعل ما يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر
ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهرا
وباطنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق
وتواصى بالصبر

سورة الهمزة تسع آيات مدنية

ويل مبتدا خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر
والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة
على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرى لكل همزة لمزة بسكون
الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزا به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق
فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص
الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم الذي جمع مالا بدل من
كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرى جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق
لقوله تعالى وعدده وقيل معنى عدده جعله عدة لنوايب الدهر وقرى وعدده اي جمع المال
وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له
عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده اي يعمل
عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله
ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا
لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحياة
الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروي ان الاخنس كان له اربعة آلاف
دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستانفة او حال من فاعل جمع كلا ردع له عن ذلك الحسبان
الباطل وقوله تعالى لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين لعلة الردع اي والله
ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة في الحطمة اي في النار التي شانها ان تحطم وتكسر كل ما
يلقى فيها كما ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى وما ادراك ما الحطمة لتهويل امرها
ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله تعالى نار الله خبر مبتدا محذوف
والجملة بيان لشان المسؤول عنها اي هي نار الله الموقدة بامر الله عز سلطانه وفي اضافته اليه سبحانه
ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة اي تعلو اوساط القلوب
وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما في الجسد واشده تالما بادنى اذى يمسه
او لانه محل العقايد الزايغة والنيات الخبيثة ومنشا الاعمال السيئة انها عليهم موصدة
اي مطبقة من اوصدت الباب وآصدته اي اطبقته في عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور

في عليهم اي كاينين في عمد ممدده اي موثقين فيها مثل المقاطر التي يقطر فيها اللصوص او خبر مبتدا
مضمر اي هم في عمد او صفة لموصدة قاله ابو البقاء اي كاينة في عمد ممدة بان توصد عليهم الابواب
وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرى عمد بضمتين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد
عليه السلام واصحابه

سورة الفيل خمس آيات مكية

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير
رويته عليه السلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الروية منصوبة بما بعدها والروية
عليه اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار
الظاهرة وتعليق الروية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل
الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هايلة وهياة عجيبة دالة على عظيم قدرة الله تعالى وكمال
علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله عليه السلام فان ذلك من الارهاصات لما روى
ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها ان ابرهة بن
الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعا كنيسه وسماها القليس واراد ان
يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من
العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه
محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانيه وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده
فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه
وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه
الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرا اسود وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل
طاير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسه واصغر من الحمصه فكان الحجر يقع على
راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوى
ابرهة فتساقطت انامله واراب وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم
وطاير يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه
وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مايتي بعير فخرج عليه في شانها فلما راه ابرهة عظم في عينه
وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل
والوحوش في رؤوس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره
ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت
الذي هو دينك ودين ابايك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود
اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة
فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو
اليمن فقال والله انها الطير غريبة ما هي بحرية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه

منتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي
الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضي الله عنها رايت قايد الفيل وسايسه
اعميين مقعدين يستطعمان وقرى الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى الم يجعل
كيدهم في تضليل الخ بيان اجمالي لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على
الجملة الاستفهاميه ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبه وتخريبها في تضييع
وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم طيرا ابابيل اي حزايق وجماعات جمع ابالة
وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط
لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة لطيرا وقرى يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تانيثه باعتبار
المعنى من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب
الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذي يكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب
المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال
وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير به الى حاله
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش اربع آيات مكية

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم
الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر
تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف
وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ويويده انهما في مصحف ابي سورة واحدة
بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب
ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترى عليهم احد وكانت لقريش رحلتان
يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين
لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف
من قولك آلفت المكان ايلافا اذا الفته وقرى لالاف قريش اي لمؤالفتهم وقيل يقال الفته
الفا والافا وقرى لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في
البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا
كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الاول ورحلة
مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالباس وفي اطلاق الايلاف
عن المفعول اولا وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرى ليالف قريش الفهم رحلة
الشتاء والصيف وقرى رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي
اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا
فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام وامنهم من خوف عظيم لا

يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام
فلا يصيبهم فى بلدهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات

بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الدين سبع ايات مكية

ارايت الذى يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام
والتعجيب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والروية بمعنى المعرفة وقرى
ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفاء فى قوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم جواب شرط
محذوف على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء او بالاسلام
ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذى يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم
الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من
معنى البعد على بعد منزلته فى الشر والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يساله
من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصا
وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمى وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل
الموصول على عمومه وقرى يدع اليتيم اى يتركه ويجفوه ولا يحض اى اهله وغيرهم من الموسرين
على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع
القدرة عليه والفاء فى قوله تعالى فويل الخ اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان
ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلايل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن اى يرون
الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون اى الزكاة او ما يتعاور عادة فان عدم
المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى
هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك
واما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك
الى بيان ان لهم قبائح اخر غير ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الدين غفر له

ان كان للزكاة مؤديا

سورة الكوثر ثلاث ايات مكية

انا اعطيناك وقرى انطيناك الكوثر اى الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخير
الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر فى
الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه
ربى فيه خير كثير وروى فى صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين
من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظما من شرب منه ابدا
اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسوا الثياب الشعث الروس الذين لا يزوجون المنعمات ولا
يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس
انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير
الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علماء امته او القران الحاوى لخير الدنيا والدين
والفاء فى قوله تعالى فصل لربك وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه
عليه السلام ما ذكر من العطية التى لم يعطها ولن يعطها احدا من العالمين مستوجب للمامور
اى استيجاب اى فدم على الصلاة لربك الذى افاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا تضاهيها
نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة
لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التى هى خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا
لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية
وقيل هى جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه فى التكبير الى نحره وهو
المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنه استقبل القبلة بنحرك وهو قول
الفراء والكلبى وابى الاحوص ان شانئك اى مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذى لا عقب
له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك
الى يوم القيمة ولك فى الاخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت فى العاص بن وائل واياما كان
فلا ريب فى عموم الحكم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر
فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

سورة الكافرون ست ايات مكية

قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روى ان
رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد
الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا
نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على رؤوسهم فقراها
عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع فى معنى
الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه
منى من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اى ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة
الهى ولا انا عابد ما عبدتم اى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اى لم يعهد منى
عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى
وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة حالا كما ان الاوليين
لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة
الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما اعبد على من
لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذى لا يقادر قدر عظمته و
قيل ان ما مصدرية اى لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان

مصدر ثان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تع
ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله تعالى
لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى ولى دين تقرير لقوله تع
ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوز
الى الحصول لى ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان
دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه الى الحصول لكم لانكم علقتموه بالمحال الذى
هو عبادتى لالهتكم واستلامى اياها ولان ما وعدتموه هين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد
الهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من
تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقرير القوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اى
ولى دينى لا دينكم كما مر فى قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى انى نبى مبعوث اليكم لادعوكم الى
الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك فتامل عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين

وبرى من الشرك وتعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر ثلاث ايات مدنية

اذا جاء نصر الله اى اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اى فتح مكة وقيل جنس نصر الله
ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى واماما جعل
مجيئه بمنزلة مجىء ساير الفتوح وعلق به امره عليه السلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر
والفتح بالمجىء للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه السلام وانهما على جناح الوصول اليه عليه السلام
عن قريب روى انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل فى ايام التشريق بمنى فى حجة الوداع فكلمة
اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما فى حيزها اعنى روية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة
لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبى صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين
والانصار وطوايف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل
مكة ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك
سمى اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورايت الناس اى ابصرتهم
او علمتهم يدخلون فى دين الله اى ملة الاسلام التى لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على
الاول حال من الناس وعلى الثانى مفعول ثان لرايت وقوله تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون
اى يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطايف واليمن وهوازن وساير قبايل العرب
وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى انه عليه السلام لما فتح مكة اقبلت
العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس يقاومه احد وقد كان الله تعالى
اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون فى دين الاسلام افواجا من غير

فقال وقرى فتح الله والنصر وقرى يدخلون على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا
له اى فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب على حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه
هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه السلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما
لنعمته لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة فى
عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما فتح باب الكعبة
صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن
على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا
لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عايشة
رضى الله عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك واستغفرك
واتوب اليك وعنه عليه السلام انى لاستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة وروى انه لما قراها
النبى صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم
قال نعيت اليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا
مستبشرا وقيل ان ابن عباس رضى الله عنه هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتى
هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة على تمام الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تع اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقايه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضى الله عنه فقال
فديناك بانفسنا واموالنا وابائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه
انه نعيت الى نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك اول اهلى لحوقا بى وعن ابن مسعود ان هذه السورة
تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته انه كان توابا منذ خلق المكلفين اى بالغا
فى قبول توبتهم فليكن كل تايب مستغفر متوقعا للقبول عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النصر

اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد عليه السلام يوم فتح مكة

سورة تبت خمس ايات مكية

تبت اى هلكت يدا ابى لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الهلاك واسناده
الى يديه لما روى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام
وتب اى وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزانى جزاه الله شر جزايه جزاء الكلاب العاويات
وقد فعل ويؤيده قراءة من قرا وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا
بالايدى والثانى اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثانى
اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرى ابو لهب
كما قيل على بن ابو طالب وقرى ابى لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اى لم يغن عنه
حين حل به التباب على ان ما نافية او اى شىء اغنى عنه على انها استفهامية فى معنى الانكار

منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسب به من الارباح والنتايج والمنافع والوجاهة والاتباع او
ماله الموروث من ابيه والذى كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى صلى الله
عليه وسلم او عمله الذى ظن انه منه على شىء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وعن ابن عباس رضى الله عنه ما كسب ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخى
حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى وولدى فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه
فافترس ولده عتبة اسد فى طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم
دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر
لسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثا حتى انتن
ثم استاجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القران سيصلى بفتح اليا
وقرى بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد الوعيد وتشديده اى سيدخل
لا محالة بعد هذا العذاب العاجل فى الاخرة نارا ذات لهب اى نارا عظيمة ذات اشتعال
وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصا فى انه لا يومن ابدا حتى يلزم من تكليفه بالقران ان يكون مكلفا
بان يومن بانه لا يومن ابدا فيكون مامورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير
مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا
اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم
اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر
وامراته عطف على المستكن فى سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهى ام جميل بنت حرب اخت
ابى سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل فى طريق النبى
صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يطوه كما يطو الحرير وقيل كانت تمشى بالنميمة ويقال لمن
يمشى بالنمايم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اى يوقد بينهم النايرة حمالة الحطب بالنصب
على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيمة
حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على
ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرى بالرفع على انه خبر وامراته
مبتدا وقرى حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرى حمّيلة بالتصغير للتحقير فى جيدها حبل
من مسد جملة من خبر مقدم ومبتدا موخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامراته وحبل مرتفع
به على الفاعلية وقيل هو حال من امراته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر
والمسد ما يفتل من الحبال وانما تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعله
الحطابون تخسيسا بحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك
ويمتعض بعلها وهما فى بيت العز والشرف قال من الهمدانى كانت ام جميل تاتى كل يوم باباله من
من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هى ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح
فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبى عليه السلام من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص اربع ايات مكية

الايمان

قل هو الله احد الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من الشهرة
والنباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبى عنه اسمه
الذى اصله القصد اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتدا خبره الجملة بعده ولا حاجة
الى الرابط لانها عين الشان الذى عبر عنه بالضمير والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر
على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه
من اول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه
فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفى
ويراد به العموم كما فى قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وما فى قوله عليه السلام ما احلت
الغنايم لاحد سود الروس غيركم فانها اصلية وقال مكى اصل احد واحد فابدلت الواو همزة
فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احديهما تخفيفا وقال ثعلب ان احد لا يبنى
عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل احد كما يقال
رجل واحد ولذلك اختص به تعالى وهو لما سيل عنه اى الذى سالتم عنه هو الله اذ روى ان قريشا
قالوا صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدا والله خبره واحد بدل
منه او خبر ثان او خبر مبتدا محذوف وقرى هو الله احد بغير قل وقرى الله احد بغير قل هو
وقرى قل هو الواحد وقوله تعالى الله الصمد مبتدا وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه
اذا قصده اى هو السيد المصمود اليه فى الحوايج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج اليه فى
جميع جهاته وقيل الصمد الدايم الباقى الذى لم يزل ولا يزال وقيل الذى يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم
يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة
للاولى بين اولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه
عن شايبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته
المقتضية لاستغنايه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها وبقايها
وساير احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة
تحت الاحكام السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق الملايكة والمسيح
ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى اى لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شىء ليمكن ان يكون له من
جنسه صاحبة فيتوالد كما نطق به قوله تعالى انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة ولا يفتقر الى
ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ولم يولد اى لم يصدر عن شىء لاستحالة
نسبة العدم اليه سابقا او لاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه
بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بانه
لم يولد الاعتراف بانه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستاخرون كما مر تحقيقه
ولم يكن له كفوا احد اى لم يكافيه احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة
لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التاخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافاة عن ذاته تعالى
وقد جوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد وليس بذاك واما تاخير اسم كان فلمراعاة

الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على اشتات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث القران فان مقاصده منحصرة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اي ما خلقت الا لتكون دلايل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام انه سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق خمس آيات مكية

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق عن عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العايذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية رجائه بتذكير بعض نظايره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر ان يزيل عن العايذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعايذ في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها من شر ما خلق اي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كاينا ما كان من ذوات الطبايع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدار الاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوايب الشر بالمرة وقوله تعالى ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اي ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى اذا وقب اي دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي

فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه ومن شر النفاثات في العقد اي ومن شر النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعايشة رضي الله عنهما انه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن اعصم اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد فدفنها في بير اريس فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البير كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البير وهي الصخرة التي توضع في اسفل البير فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرا المعوذتين عليها فكان كلما قرا آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام اما انا فقد عافاني الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عايشة رضي الله تعالى عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزايم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا بغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى

سورة الناس ست آيات مدنية

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية ساير الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص

الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته للارشاد
الى منهاج الاستعاذة المرضيه عنده تعالى الحقيقه بالاعاذه فان توسل العايذ بربه والمنتسب
اليه تعالى بالمربوبيه والمملوكيه والعبوديه فى ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعى مزيد
المرحمة والرافه وامره تعالى بذلك من دلايل الوعد الكريم بالاعاذة لا محاله ولان المستعاذ منه
شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تع وملكوته
رمز الى انجايهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادى ليس لك
عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصه بالنفوس
البشريه فقد قصر فى توفية المقام حقه واما جعل المستفاد منه فيما سبق المضار البدنيه فقد
عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة من شر الوسواس
هو اسم بمعنى الوسوسه وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى الزلزله واما المصدر فبالكسر والمراد
به الشيطان سمى بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسه الخناس الذى عادته ان يخنس اى يتاخر
اذا ذكر الانسان ربه الذى يوسوس فى صدور الناس اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول
اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم من الجنة والناس بيان للذى يوسوس على انه
ضربان جنى وانسى كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم
من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب
اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسى ويجعل سقوط
الياء كسقوطها فى قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنه والناس فان كل فرد من افراد الفريقين
مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركته شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا
الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره قال العبد الذليل متضرعا
الى ربه الجليل اللهم يا ولى العصمة والارشاد وهادى الغواة الى سنن الرشاد بارى البريه مالك
الرقاب عليك توكلى واليك متاب انت المغيث لكل حاير ملهوف والمجير من كل هايل مخوف
الوذ بحرمك المامون من غوايل ريب المنون والتجى الى حرزك الحريز واوى الى ركنك العزيز
واسالك من خزاين برك المخزون فى مكامن سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين
من امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمينان بدار الغرور
والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذنى بحمايتك واعنى بعنايتك
وافض على من شوارق الانوار الربانيه وبوارق الاثار السبحانيه ما يخلصنى من العوايق الظلمانيه
وجردنى من العلايق الجسمانيه وهذب نفسى الابيه من دنس الطبايع والاخلاق ونور قلبى
القاسى بلوامع الاشراق ليستعد للعبور على سرار الانس ويتهيا للحضور فى حظاير القدس
وثبتنى على مناهج الحق والهدى وارشدنى الى مسالك البر والتقى
واجعل اعز مرامى ابتغاء رضاك واشرف ايامى يوم القاك
يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا
واحشرنى مع الذين انعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين

وحسن اولئك رفيقا

كتب المولف عفا الله تعالى عنه فى آخر نسخة الاصل اتفق الفراغ من تسويد هاتيك الاوراق
بتوفيق الله عز سلطانه ليلة الجمعه الاولى من شهر الله الحرام رجب الفرد لعام ثلاث وسبعين
وتسعمايه حامدا لله رب العالمين ومصليا على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى ساير الانبيا
والمرسلين والملايكة المقربين اجمعين وسلم تسليما كثيرا

ووافق الفراغ من تكميل هذه النسخه المباركه الميمونه اللطيفة المصونه
فى اواخر شوال المبارك احد شهور سنة احدى وتسعين
وتسعمايه احسن الله ختامها بمكة المشرفة المعظمه
تجاه الكعبة المكرمه زادها الله تعالى
شرفا وتكريما ومهابة وتعظيما
على يد العبد الضعيف
محمد بن احمد الكفرى
المكى غفر الله له
ولكاتبها
امين

